

الجمهورية العربية السورية

وزارة الثقافة

جغرافية دار الإسلام البشرية

حتى منتصف القرن الحادي عشر

تأليف

أندريه ميكييل

ترجمة

أبراهيم خوري



المنشورية
للدراسات والنشر والتوزيع
دمشق - سورية

جغرافية دار الإسلام البشرية
حققت الفن الحديث

www.KitaboSunnat.com

أندرية ميكل

جغرافية دار الإسلام البشرية

حتى منتصف القرن الحادي عشر

الجزء الرابع
الأعمال والأيام

القسم ١ و ٢

ترجمته:
أبراهيم حموري



منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٠

العنوان الأصلي للكتاب :

ANDRÉ MIQUEL

La géographie humaine

du monde musulman

jusqu'au milieu du 11e siècle

Les travaux et les jours

جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر ...
La geographie humaine du monde musulman jusqu'au
milieu du 11e siecle / اندريه ميكيل ؛ ترجمة ابراهيم خوري...
دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ . - ج ٤ : مص ٢٤ سم .

١ - ٩١٠ م ي ك ج ٢ - العنوان ٣ - العنوان الموازي
٤ - ميكيل ٥ - خوري
مكتبة الأسد

الإيداع القانوني : ع - ١٣٤٣ / ١٩٩٥

تنبیه

سبقَت ثلاثة كتب هذا الكتاب الذي تَخْتَصِم به هذه السلسلة ،
وحدلت كلها عنواناً واحداً . وأعاد الكتاب الأول منها إدراج ما اتفق
على تسميته الجغرافيه العربيه . في مجمل الأدب العربي وإدخال ما عرف
بالنظام التنافي في تلك الفترة (حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي)
في إطار هذا الأدب ذاته . ودرس الكتاب الثاني مضمون المؤلفات
الجغرافيه . وبدأه بوصف الأرض والأقوام الغربيه مثلما فعل الجغرافيون .
وضمّن الكتاب الثالث الرؤيه . فاقصر فيها على شرح الوسط الطبيعي
في دار الإسلام (مملكة الإسلام) . مركز العالم وأفضل أجزائه .
وحان الآن وقت إنهاء الأبحاث باستعراض وجود المسلمين في دارهم .

ولن نعمل في هذا الكتاب عمل المؤرخ بالمعنى الدقيق ، وقد امتنعنا
عن هذا النهج في الجزئين السابقين أيضا . فالواقع لا يمننا بخد ذاته
لدراسة إحدى الخصب أو الحضارات . بل لأجل ما يعبر عنه في أذهان
الناس الذين عاشوه . ولا نأخذ معرفته بعين الاعتبار ، إلا لتسمح لنا
بقياسه وإدراكه . والمزى إذا كان إدراكنا أنه يصوّره بأمانة أو يتعد
عنه . وإلى أي مدى وحّى في الخلم وعند الصمت . ومهما يكن .

قد تنطوي هذه الطريقة على شيء من التاريخ . إذا صح أن التاريخ ينبغي أن يعتبر الأفكار والأحداث معاً وقائع .

ونحن نحاول أن نستخلص هذه الصورة من النصوص ، بل أن ننتزعها انتزاعاً منها ، لأنها لم تكتب دوماً بوضوح تام ، ووردت أحياناً مشوشة ، أو لاشعورية ، أو مترددة حيال نفسها . ونأخذها من أشخاص عاديين من حيث أصلهم الاجتماعي . وحرصهم على دار الإسلام معتدلة وموحدة ، ومستوى ثقافتهم . ولن أعود إلى الحديث عن هذه الأمور إلا لإبراز قيمة هذا الأدب من جديد . ونصور الجغرافية ؛ بمعناها الواسع ، تمثيلاً للعالم وتمثيلاً « للمسلم الورع » المثقف ثقافة ملائمة فحسب ، ونقابلها بالصورة الأخرى ، أعني صورة العلماء من شتى الأجناس ، فنحصل على مملكة إسلام واقعية إلى حد كبير ، مثلما شاهدتها عيون الذين رأوها ، ومختلفة عن فحوى تخاليل الباحثين . وهذه ناحية لا بدليل لها .

وهذه الجغرافية بشرية . ولن أرجع . هنا أيضاً ، إلى وصفها بالبشرية : فهذا الأدب كله إنساني ، لأنه يركز في دراسته على الشخص المدرك والمفكر ، سواء وصف -- ماعدا المؤلف نفسه الذي يظل شخصاً على الدوام -- الإنسان أو الخليفة التي سخرت من أجله . شريطة أن يتميز ، هنا وهناك ، عند الحيوان أو النبات . في السماء أو الماء ، أو الجهاد أو الريح ، الفائدة المرجوة ، على مستوى المنفعة الصرفة أو التأمل : وقد بلغت الجغرافية العربية أوج تطورها في بحثها الإنسان . انشطته . أو معتقداته أو تقاليده . وتنقلنا مادة هذا الكتاب إلى سميم المشهد وجوهر النقاش .

أقول : هذا الكتاب وكل الكتب التي ألهمته أكثر من سواها .
بالفعل . ينحصر موضوعه في بحث دار الإسلام . فماذا نرى؟ أمامنا ،
في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، مصنفون اعتمدوا على
معارف جزئية ، دونت من قبل حسب مبادئ الأدب . وعزموا على
تمحيص معطياتها وإعادة النظر بها في إطار كل عظيم صمموا على التمسك
به ، وهو في الواقع مملكة الاسلام . وقرروا أن يتجولوا في أراضي
هذه المملكة . وأن يسجلوا بأقلامهم مشاهدوه ، وأن يعضوا حياتهم
في هذه المغامرة ، وأن يجازفوا بها أحياناً ، مثلما يشهد المقدسي في
بيان متقدمته وفي رواية هذه المغامرة أو تلك الواردة في كتابه . ومن هنا ،
جاءت وفرة المعطيات الهائلة التي جمعها قبلنا مؤرخون من أمثال لومبار
وكاهين واستور وكثيرون غيرهم . إلا أنني على يقين أن تلك المعطيات
الوافرة ناقصة . فدا تزال ميادين كاملة تنتظر استكشافها في مجالي
التاريخ والجغرافية الخاصين بالغذاء والصحة واللباس والهندام والتقاليد
واللغات . : . وسوف نستعرض جميع الميادين الأخرى استعراضاً
عابراً . ما دامت تلتني مع حديثنا نحن . وتعمل الحواشي ماتبقى ،
لبنميد منها الذين يأتون في المستقبل .

وتتجه أفكاري وأنا أنجز هذا المشروع . إلى الأستاذ المأسوف
عليه دوماً . ريجيس بلاشير ، أول من دربني في يوم بعيد من عام ١٩٥١ .
في شهادة دراسات عاليا . على هؤلاء الجغرافيين العرب . وأمكنني
بتدقيقهم والإفادة منهم . وقد حبوني المتعة والمنفعة المرجوتين . وأنا
أدين بألف فضل لصحبتهم القديمة التي أظن أنها سوف تدوم ما دمت حياً .

أقول أيضاً كلمه أعبر فيها عن عوفاني الجميل لمن ساعدوني :
الآنسة استريد كابلون . والسيدات ايف باريه ، وماري فرانس يوشمور .
ودانييل سيبيل في الضرب على الآلة الكاتبة . ثم السيدة دانييل جيليس
في الفهارس . والسيدة مرغريت سيرونفال للايقونات . والسيدة ماري
لويز دوفور ومدرسة الدراسات العليا للعلوم الإجتماعية اتكرمهم
بقبول هذا الكتاب . . . والكتب السابقة :

باريس ، ٢٦ كانون الاول ١٩٨٦

المصادر والمراجع

أذكر هنا أسماء المؤلفات التي وردت في مصادر المجلدات الثلاثة السابقة ، مع ذلك نكرر فيما يلي نيت المؤلفين (بالرموز) لأسباب بديهة لتيسير العودة إليها . وسوف تأتي مصادر ومراجع المجلد الرابع قبل فهرس القسم ٢-٣ مباشرة .

أبل (ف.م.) ، جغرافية فلسطين ، باريس ، جزءان ، ١٩٣٨

أبل (ف.م.) . الدليل الأزرق لسورية وفلسطين ، باريس ، ١٩٣٢

ابستين (هـ) اصل الحيوانات الأهلية الافريقية ، نيويورك - لندن - مونيخ ،

جزءان ١٩٧١ .

ابن البيطار ، جامع المفردات ، ترجمة ل. لوكلير ، باريس ، ٣ أجزاء ، ١٨٧٧

١٨٨٣

ابن الفقيه . كتاب البلدان ، ترجمة هـ . ماسيه « بعد وفاته » (راجعها نس . بيللا) ،

دمشق ، ١٩٧٣ . حافظت على ذكر ترقيم صفحات النص العربي ، الوارد في الترجمة أصلا ،

لكي أوجد الاحالات مع حواشي الجزئين السابقين .

اتشيندوبار (ز . د .) وهو (ف) طيور الشمال في افريقية ، باريس ، ١٩٦٤

لا دريسي ، وصف افريقية والاندلس . طبع وترجمة ر . دوزي و م . ج . د

خويه ، إعادة طبع القديم ، لايدن ، ١٩٦٨ .

الوز (ب . أ) ، مراجع فقرات العراق والبلدان المجاورة ، ج ٤ ، الاسماك ، بغداد .

١٩٥٤

الياد (م.) ، الاقباان والخيميائيون ، باريس ١٩٧٧

الياد (م.) . كتاب تاريخ الأديان . باريس . ١٩٥٤

يسيف (ن.) . نور الدين ، أمير مسلم سوري عظيم في زمن الحروب الصليبية ،

دمشق ، ٣ أجزاء ، ١٩٦٧ .

انستاس الكرملي (ب.) ، « نفترات في كتاب التيسر بالتجارة » ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٣ روماني ، ١٩٣٥ ، ص ٢٨٧ - ٢٩٥ .

اوغنيف (س. ا.) ، ثدييات الاتحاد السوفييتي والبلدان المجاورة ، ٣ روماني؛ الحيوانات اللاحمة (المفترسة) ، ترجمة انكليزية لـ ا. بيرون و ز. س. كول ، القدس ، ١٩٦٢

بدار (ف. ا.) ، كتاب الحيتان ، لندن ، ١٩٠٠

بديكر (ك.) ، فلسطين وسورية ، لا ييزيف ، ١٨٩٣

بديكر (ك.) ، مصر والسودان ، لا ييزيف - باريس ، ١٩١٤

بديكر (ك.) ، مصر العليا ، لا ييزيف - لندن ، ١٨٩٩

بيراتز (س. ه.) ، كتاب الحيوانات الهندية ، الطبعة الثانية ، بمباي ، ١٩٦٥

برك (ج.) ، من الفرات إلى الاطلس ، باريس ، جزمان ، ١٩٧٨

برنتس (ب.) *Die Haustierwerdung in Orient* ويتنبرغ ، ١٩٦٥

بلاشير (ر.) - شويجي (م.) - دنيزو (ش.) ، معجم عربي فرنسي انكليزي ، باريس ، ١٩٦٤ (وبعدها)

بلاشار (ر.) ، انظر الجغرافية العالمية .

بلا نفورد (و. ن.) ، حيوانات الهند البريطانية ، الثدييات ، لندن - كلكتوتا - بمباي - برلين ، ١٨٨٨ - ١٨٩١

بلا نفورد (و. ن.) ، فارس الشرقية . تقرير رحلات لجنة الحدود الفارسية ، لندن ٢ روماني ، ١٨٧٦ .

بلا نهول (كزافيه دي) ، الاسس الجغرافية لتاريخ دار الاسلام ، باريس ، ١٩٦٨

بلا نهول (كزافيه دي) ، « ثور الحمل في الشرق الأدنى وفي افريقية الشمالية » . مجلة تاريخ الشرق الاقتصادي والاجتماعي ، ١٢ روماني ، ١٩٦٩ ، ص ٢٩٨ - ٣١٠

بلا نهول (كزافيه دي) ، « نغور افغانستان و جبال هيمالايا الغربية » . مجلة جغرافية الشرق ، ١٧ روماني ، ٢-١ ، كانون الثاني - حزيران ، ١٩٧٧ ، ص ٣ - ٢٦

بلدشينو (ج.) ، ترجمة المقدسي الجزئية (انظر هذا اللفظ) ، جزءان ، اطروحة
دكتوراه دور ثالث ، جامعة باريس ٣ ، ١٩٧٨

بليغداد (هـ) ولويتين (ب.) ، التقنيات العلمية الدائماكية في فارس ، ٣ روماني:
أسماك الخليج الفارسي ، كوبنهاغن ، ١٩٤٤ .
بولنز (ل.) ، طرق الزراعة في القرون الوسطى في كتب الفلاحة الاندلسية :
التقاليد والتقنيات ، جنيف ، ١٩٧٤ .

بولي ويسوفا . Real - Encyclopadie der Classisssshen Altertumsw
issenschaft ستوتغار ، ١٨٩٤ ويعدھا .

تيسيجر (و.) ، مغارة المغاور . مع النيدو ، آخر المتدين في جزيرة العرب الجنوبية،
ترجمة فرنسية لم. بوشيه - فورنيز ، باريس ، ١٩٧٨ .

جغرافية دار الاسلام البشرية . ج ١ و ٢ : ميكل (ا.) ، باريس - لاهاي،
ج ١ ، طبعة ثانية ، ١٩٧٣ ج ٢ ، ١٩٧٥ .

الجغرافية العالمية ، نشرت باشراف ب . فيدال دي لا بلاس ول . غالوا ، باريس .
بلا نثار (ر.) ، ج ٨ : آسية الغربية ، ١٩٢٩ ، ص ١ - ٢٣٤

تأمينا دالميدا (ب.) ، ج ٥ : الديول البلطيقية ، روسيا ، ١٩٣٢

غرينر (ف.) ، ج ٨ : آسية العليا ، ١٩٢٩ ، ص ٢٣٥ - ٢٧٩

موريت (ف.) ، ج ١٢ : افريقية الاستوائية والشرقية والجنوبية ، ١٩٣٨
الحيوان . انظر النقد

دوسو (ر.) ، الطبوغرافية التاريخية لسوريا القديمة وسورية القرون الوسطى ،
باريس ، ١٩٢٧

الدينوري ، كتاب النبات :

--- كتاب النبات ، أبو حنيفة الدينوري . ج ١ من القسم الثاني (ز) . نشره ب.
ليزين - ايسلا - ويسبادن ، ١٩٥٣ (مع معجم ألفاظ ، ص ٢٠ - ٥٢ ، اعتمد على مراجعته
مستندات قديمة - منها مستندات ابن النيدو وابن العوام - - ومستندات حديثة .

ب . معجم نبات أبي حنيفة الدينوري و كتاب النبات ، ص ١٠٠ (١) - محفوظ من استشهادات
مستندات متأخرة ، طبعة م . حبيب الله ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

روبرتز (ت . ج .) ، إدييات باكستان ، لندن - نونبريدج ، ١٩٧٧
سرجنت (ر . ب .) ، انظر لومبار النسيج .
سزكين (ف .) ، تاريخ التراث العربي ، ج ٣ ، ١٩٧٠
سليم علي ، وريبي (س . د .) ، كتاب طيور الهند وباكستان ، أكسفورد ١١٠
روماني ، ١٩٦٩ .

شوارتز (ب .) ، Iran in Mittelater nach den arabischen Geographen
لابيزينج ، ١٨٩٦ - ١٩٢٩ ، ٩٥٧ صفحة في ٧ أجزاء ، مع فهرس ،
وجزءان ملحقان ، ستوتغار برلين ، ١٩٣٤ و ١٩٣٦ .

عزيز فكري (م .) ، القمح المصري ، القاهرة (مستخلص من مجلة اتحاد المزارعين
في مصر ، الجمعية الملكية الزراعية ، رقم ٢٩٦ و ٢٩٧ ، تشرين الأول والثاني ، ١٩٣٨ .
غالب (ا .) ، الموسوعة في العلوم الطبيعية ، ذكرت من قبل في جغرافية دارالسلام ،
ج ٢ : تنطوي على مراجعة مصنغات قديمة وحديثة ، خاصة لمصطفى الشهابي . إلا أن
اهتمامها انصب على مفردات اللغة العربية الجاري استعمالها أو العلمية ، ويبدو المنظور
التاريخي ضعيفاً فيها .

غرينار (ف .) انظر الجغرافية العالمية .

غوتز (ا .) ، « رسالة في أسماك نهر دجلة » ، حوليات ومجلة التاريخ الطبيعي ، السلسلة
الرابعة ، ١٤ روماني ، ١٨٧٤ ، ص ٣٦ - ٣٨ .

فانليان (ا .) ، اضافات إلى المعاجم العربية ، الجزائر ، ١٩٢٣

فليش (هـ .) ، كتاب فقه اللغة العربية ، ج ١ : مقدمات ، علم الأصوات ، العصر ف ،
بيروت ، ١٩٦١

فهد (ت .) ، « العجيب في الحيوان والنبات والجماد » ، في الغريب والعجيب في دار
الاسلام في القرون الوسطى . مؤتمر جمعية تقدم الدراسات الاسلامية (با : يس - ١٩٧٤) .
باريس ، ١٩٧٨

فولرز (ج . د .) ، معجم اشتقاق فارسي : تبي ، يون . ٣ أجزاء . ١٩٥٥ - ١٩٦٥
(ملحق ١٨٦٧)

- فيليس (و.و.ا.) ، كتاب تدييات سيلان ، سيلان - لندن ، ١٩٣٥
- كامينا دالميدا (ب.) ، انظر الجغرافية العالمية
- كوتير (ه.) ، عالم الأحياء ، باريس ، ٥ أجزاء ، ١٩٢٧ - ١٩٣٠
- كووك (ج.) ، جامع المصادر العربية الخاصة بأفريقية العربية من القرن الثامن إلى القرن السادس عشر ، باريس ، ١٩٧٥
- لاووست (ه.) ، مفصل قانون ابن قدامة ، بيروت - دمشق ، ١٩٥٠
- لوروا لا دوري (ا.) ، فلاحو نغورك ، باريس ، جزآن ، ١٩٦٦
- لوسترانج (ج.) ، أراضي الخلافة الشرقية ، كمبريدج ، ١٩٠٥
- لومبار (م.) ، دار الاسلام في عظمتها الأولى ، باريس ، ١٩٧١
- لومبار (م.) ، النسيج في دار الاسلام ، من القرن السابع إلى القرن ١٢ ، باريس - لاهاي ، نيويورك ، « معطيات لكتابة تاريخ النسيج الاسلامي حتى الفتح المغولي » ، مجلة الفنون الاسلامية ، ٩ روماني - ١٦ روماني ١٩٥١
- لوفي بروفنسال (ا.) ، تاريخ الاندلس الاسلامية ، باريس - لا بدن ، ٣ أجزاء ١٩٥٠ و ١٩٦٧ . المعجم العالمي للتاريخ الطبيعي ، باريس ، ١٣ جزء ، ١٨٤١ - ١٧٤٩
- المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ترجمة جرئية لج . بلداسينو (انظر هذا الاسم) و ا . ميكيل ، « مصر كما رآها جغرافي عربي من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي : المقدسي » ، حوليات اسلامية ، ١١ روماني ، ١٩٧٢ (مجلد مخصص لآحياء ذكرى غستون وايت) ، ص ١٠٩ - ١٣٩ . انظر أيضاً جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ١ ، ص ٤٨ روماني .
- مورو (ف.) ، (باشراف) ، النبات ، باريس ، ١٩٦٠
- موريت (ف.) ، انظر الجغرافية العالمية .
- ميزيون (كزافيه) ، تحليل جغرافي حيواني لتدييات فارس ، بروكسيل ، ١٩٥٩
- النقد ، ٣٧٥ - ٣٧٦ ، آب - أيلول ، ١٩٧٨ ، عدد خاص ، الحيوان .

لورمان (ج . ر .) وفريزر (ف . ش .) ، عمالقة البحر ، ترجمة فرنسية لج .
مونتاندون ، باريس ، ١٩٣٨

هاريسون (د.ل.) ، ثدييات جزيرة العرب ، لندن ، ٣ أجزاء ، ١٩٦٤ - ١٩٧٢
هاسنجر (ج.د.) ، مسح ثدييات أفغانستان ، شيكاغو ، ١٩٧٣

الهروي ، كتاب الزيارات ، دمشق ١٩٥٣ ، وترجمته لج . سوردل - تومين ،
دمشق ١٩٥٧

هوزيه (ج .) ، نباتات الحبوب ، باريس ، ١٨٩٦
هويه (ف .) وانشيكوبار (و . د .) ، طيور الشرق الأدنى والأوسط ، باريس
١٩٧٠ .

* * *

ثبت المؤلفين ومصنفاتهم (بالرموز)

نكرر هنا ثبت الجزء السابق مع بعض الإضافات لتيسير الرجوع إليه

الرمز	اسم المصنف	اسم المؤلف
اصط	كتاب المسالك والممالك	ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي الاصطخري ، أبو اسحاق
وص	مختصر العجائب	ابراهيم بن وصيف شاه
ابرا(١)	رحلة إلى أروبة الغربية	ابراهيم بن يعقوب الاسرائيلي
ابرا(ص)	رحلة إلى الصقالبة (١)	الطروشلي
يعق	كتاب البلدان	احمد بن اسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي ، أبو العباس
رست	كتاب الأعلاق النفيسة	أحمد بن عمر ابن رسته ، أبو علي
فض	رسالة	أحمد بن فضال بن العباس بن الراشد بن حماد
فق	كتاب البلدان	أحمد بن محمد بن اسحاق بن ابراهيم الهمداني ، ابن الفقيه
راز	صفة الأندلس	أحمد بن محمد الرازي ، أبو بكر
اخ	رسائل	اخوان الصفاء و خلائع الوفاء
اسح	كتاب آكام المرجان	اسحق بن الحسين
تم	رحلة في بلاد خاقان التفرغز (٢)	تميم بن بحر المطوعي

(١) الأسباب تتعلق بتيسير المراجعة ، سوف نشر ، بعد الاحالة الى طبعة الحجى .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود من بني همدان ، أبو محمد ، ابن الحائك أو ابن ذي الدعينية .	صفة جزيرة القطر ب	هم
الحسن بن أحمد (محمد) المهلب	مقاطع من أبي القداء	مه (ف)
	مقاطع من صلاح المنجد	مه (م)
	مقاطع من ياقوت	مه (ي)
سهراب (ابن سراييون) مع احالات إلى طبعة فون مزيك	كتاب عجائب الاقاليم السبعة	سر
عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني ، أبو محمد	كتاب أخبار النبوة	اسو
عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، أبو المنصور النعالي	لطائف المعارف	ثعا
عبد الله بن أحمد بن خرداذبة ، أبو القاسم	كتاب المسالك والمعالم	خر
علي بن الحسين بن علي المسعودي أبو الحسن	مروج الذهب	مس (م)
	التنبيه والاشراف	مس (ت)
علي بن محمد الشاشي ، أبو الحسن	كتاب الديارات	شاب
عمرو بن بحر بن محبوب ، الكندي بالولاء ،	كتاب الامصار وعجائب البلدان	جا (ا)
أبو عثمان الشهير بالجاحظ	كتاب الحيوان	جا (ج)
	كتاب التبصر بالتجارة	جا (ت)
قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد ، البغدادي	كتاب الخراج وصناعة الكتابة	قد
أبو الفرج		
ماشاء الله بن سارية	كتاب الاسعار	ماش
محمد بن أحمد بن أبي البناء الشامي المقدسي البشار	أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم	مقد
شمس الدين ، أبو عبد الله		
محمد بن أحمد بن يوسف ، أبو عبد الله ، الكاتب البلخي الخوارزمي	مفاتيح العلوم	خو (م)
محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق ، أبو الفرج بن أبي يعقوب ، ابن النديم	الفهرست	

محمد بن حوقل البغدادى الموصلى	كتاب صورة الأرض	حو
محمد بن موسى الخوارزمي ، أبو عبد الله	صورة الأرض	خو(ص)
محمد بن يزيد السيرافي ، أبو زيد	ملحق أخبار الصين والهند	سيرا
محمد بن يوسف الوراق ، أبو عبد الله	كتاب المسالك والممالك	ر
	ترجمة جزئية للبكري لف. مونتييل ور(م)	
	ذكر في جغرافية دار الاسلام	
	البشرية	
	ج ٢ قسم أول ، ص ٢٨	
مسعر بن مهلهل الخزر جي الينبوعي ، أبودلف	الطريق إلى آسية	مس (ا)
	الرسالة الثانية	مس(ب)
مطهر بن طاهر المقدسي	كتاب البدء والتاريخ	مقب
المغرورون	قصص حلتهم	مغ
يحيى بن الحكم البكري الجياني ، الملقب بالغزال	رحلة إلى القسطنطينية	غز(ق)
	رحلة إلى بلا دالتورمان	غز(ن)
يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي	رسائل فلسفية	كن(ر)
مجهول	أخبار الصين والهند	احب
مجهول	تقويم قرطبة	تق
مجهول	حدود العالم	حد
مجهول	عجائب الهند	عج

* * *

القسم الأول

الخلفيّة التاريخيّة

الفصل الأول التاريخ والسلطات

لاريب أن الشعور بالمصير المشترك وعقباته ورهاناته يعدّ إحدى ركائز الأدب العربي في القرون الوسطى ، في النثر في الحد الأدنى ، وفي الشعر أيضاً أحياناً . ويخضع الجغرافيون إلى هذا الإحساس ، لكن لابد من تحديد المقصود بالجغرافية في البحث الذي يهمنا : فقد كانت الجغرافية ، لاسيما في بدايتها ، مثلما قلنا من قبل ، نبذة يعثر عليها في أعمال تتناول مواضيع أخرى : مثال ذلك قصص البحارة أو تقارير السفراء ، التي ترد فيها الجغرافية بصيغة تدوين معين ، نعت بالجغرافي في وقت لاحق : وكانت معرفة العالم والبلدان ، على حدّ التعبير المصطلح عليه آنذاك ، تدخل عنصراً أساسياً في معارف توصف بالعامّة ، مهياً لحفظها إما كتاب الدواوين في بغداد أو الرجل المثقف المطلوب منه الإلمام بحدّ أدنى من المعارف الموسوعية : وكانت الجغرافية تجتمع في مثل هذه المصنفات مع التاريخ ومبادئ الفلك والتنجيم والشرعة والفقه والأدب ذاته . إلا أن التاريخ لم يدخل بإيجائه في أي حالة من تلك الحالات ، كجزء متمم في كتب الجغرافية الصرفة .

وبداية ، كل حال يتبدّل ، ويتبدّل معه اهتمامنا : فمنذ اللحظة التي تظهر فيها جغرافية تعي نفسها ومرادها ، أي جغرافية تستقطب التاريخ ، وتعتبره عنصراً ضرورياً في بحث البلدان التي تعني بها . وهذه الغاية المبيّنة على هذا النحو ، تحلّد مجموعة الوثائق المعتمد عليها في القسم الأول من هذا الكتاب . لذلك سوف نميّز هنا ونفضّل حصراً ممثلي « معرفة البلدان » على طريقة ابن الفقيه أو وصف أرض مملكة الإسلام : فرائدهم يعقوبي واسباطهم العظام الاصطخري وابن حوقل والمقدسي (١) .

التاريخ والجغرافية

يدرس الجغرافيون بلداناً تعيد ذكريات ماضٍ قديم جداً ، يبدأ تاريخه في الحقيقة بخلق الكون . ويخالفون الموسوعيين أمثال المسعودي ، فلا يحاولون مثلهم رسم لوحة كاملة ، بل يبرزون هنا وهناك ، الرجال العظام من ملوك وفاتحين وأنبياء . بالتالي تبدو رؤيتهم اصطفاوية ، وتفترض من ناحية ثانية معرفة تفاصيل الأحداث العامة في تاريخ الأرض الذي يتضح تسلسله متى ذكرت بعض الأسماء العظيمة : ويختار الجغرافي ، وهو يقوم بهذا العمل ، الطريق الثانية من الطريقتين المفتوحتين أمام المؤرخ حسب ليفي ستروس ، وهما عرض كثير من الأحداث مع قليل من التعليل أو عرض قليل من الأحداث مع كثير من التعليل (٢) : بهذا النهج ، يصمم التاريخ ، بعد تعديل الجغرافية له ،

(١) بالمقابل ، سوف نشر في الحواشي الى المعطى المعبر عنه تعبيراً خاصاً عند المؤلفين غير المختصين في الجغرافية بشكل من الأشكال . من جهة ثانية ، فحرص على تخفيف الحواشي ، فلا نحيل (الا في حالة استثنائية مثل التناقض) الى الاصطخري الذي أخذ ابن حوقل نصه وطوره .

(٢) ليفي ستروس ، الفكر المتوحش ، باريس ، ١٩٦٢ ، ص ٣٤٧ .

على التعويض عن الزمن الكامل المحصور في أبرز أطوار اهسية ،
فيكشف أنه اعتاد أن يتجاوز الحاضر ، ويستعين باصول الزمن
الأسطوري الأول (٣) .

ولعل التاريخ درج أيضاً ، دون أن يعلم ، على ادخال الزمن بعداً
رابعاً في الرقعة الأرضية المدروسة (٤) ، لأن التساؤل ، متى تناول
أصلنا أي « من أين جئنا » ، يستتبع لازمة دائمة تتمثل في المعاينة
الحاضرة التي تلزم بدورها المستقبل الزاماً اجبارياً . ولا يتم هذا التساؤل
المزدوج هنا بنصوص فلسفية ، بل يطرح نفسه عند مشاهدة الأشياء
المرئية والبلدان المجاورة والمدن المندثرة أو المحافظة على ازدهارها :
بالتالي ، لا يعد تاريخ الماضي وتاريخ المستقبل فقرة مروية في هذه
الجغرافية ، لأنه يرتبط ارتباطاً تاماً ، مثلما تصوره ابن الفقيه بحق ،
بانسجة البلدان وبلدحمها ، ويسهم بجعل الجغرافية العربية لا وصفاً
جامداً ، بل رؤية ديناميكية قد تفقد قسماً كبيراً من ذاتها ، إذا خلعت
من يقطعة الوعي الدائم لماض غابر وتحول حاضر ومستقبل عابر .

ويظهر التداخل الأول الأوضح من تداخلات التاريخ والجغرافية ،
عندما يحاول المؤلفون أن يبيّنوا موقع دار الإسلام في تسلسل أحداث

(٣) م . الياد ، مظاهر الاسطورة ، باريس ، ١٩٦٣ ، ص ٥٠ ، ٩٠ - ٩١ ،
١٦٥ - ١٦٧ . لعلنا نلاقي هنا أيضاً من خلال تسلسل الأحداث العالمية قضية الخلود ونهاية
العالم المؤلفة - والخطرة نظرياً - انظر بشأن هذه الفكرة ، المسعودي (م) : فقرة
١٤٢٩ - ١٤٣٨ ، المسعودي (ت) : ٢٦٣ - ٢٨٦ ، المقدسي ، ج ٢ ، ٥٤ - ٥٥ ،
٥٧ - ٦٣ ، وما يليها ، ١٣٤ - ١٤٥ ج ٣ ، ١ - ١٤٢ .

(٤) خاصة عند مؤلف مثل ابن الفقيه مع لجوئه المنهجي لآخبار الموصوف من
البلدن أو المدن .

الأرض وعلى خريطتها : ويعرف هؤلاء جيداً أن هذا التداخل لم يستوف ، ولن يستوفي على الأرجح ، لازمان العالم ولا مكانه ، بل على النقيض ، يحتمل أن يخلو الكتاب حذو المنظرين ومن سبقهم من الموسوعيين ، ويحلّموا موضوع ملوك العالم الذين توزعوا على كرتنا وما زالوا يتوزعون ، ويقارنوا ، على غرار مافعل اخوان الصفاء (٥) توزيع « أقاليم الأرض » العلمي — المصطنع — بتقسيم آخر واقعي جداً ناشيء عن الحضارات والسلطات والمساحات الأرضية : وهم يقلّدون الإخوان أيضاً من ناحية أخرى ، فيذكرون مثلهم ، هنا وهناك ، في الأراضي التي خصّها بها التاريخ دار الإسلام ، أسماء ملوك يدعون افريدون ، وتبع ، والإسكندر ، وارد شيرين بابل ، أي ممثلي العصور القديمة الوثنية أو التوراتية ، في فارس وجزيرة العرب القديمة ، نعني أنهم يكتبون تاريخاً لا بد من تدوينه .

من التوراة إلى الإسلام

يبدو التاريخ ، من خلق الكون حتى ظهور الإسلام ، توراتياً فارسياً عربياً في جوهره عندما يعيد الجغرافيون قراءته أو يكتشفونه . وتبرز هنا وهناك بلا ريب عهود أخرى يحسّها بعض الأبطال العظام ، من امثال الاسكندر ، مع ان طابع خريطة الماضي شرقي حصراً تقريباً ، يعرض هلالاً خصيباً توراتياً ، تجاوره فارس في شماله الشرقي ، وجزيرة العرب قبل الاسلامية في جنوبه .

وترد في النصوص المقدسة أسماء انبياء قدامى بشروا بمجيء محمد خاتمهم ، وسوف نذكرهم مشتتين وموزعين على البلدان الموصوفة

(٥) اخوان الصفاء ، ج ١ ، ١٦٦ حيث قيل ان الاقاليم اختراع الملوك الاول الذين ارادوا ان يعرفوا ، وهم يتجولون في ريع الأرض المعمور ، معرفة حدود البلدان . بشأن هذه الاقاليم ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، الفصل الثاني .

في كتب الجغرافية . فالى العراق ، ينتمي دانيال الموضوع تابوته في
سريز نهر السوس ، ويونس المبعوث إلى أهل نينوى وأهل الكوفة .
وإبراهيم الخليل الذي طرحه النمرود كنعان في ناره ، ونوح في سفينه
ومن كان معه ، وعيسى بن مريم وحواروه في مدينة تكريت ومنذله
في مدينة الرها (٦) . وعدد الأنبياء المنتمين إلى إقليم الشام أكبر بكثير .
فابن حوقل يسمي في بضع صفحات لوط وداود وإبراهيم ومريم
ويوسف ويحيى بن زكريا (٧) . ويبالغ المقدسي في إعطاء التفاصيل :
فيشتق اسم دمشق من اسم دمشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ بن سام ،
ويذكر سليمان بن داود باني تدمر وهي على مثل الكرسي من مدنه ،
وأيوب في طبرية قصبة الأردن وبلد وادي كنعان ، ولوط في قرياته

(٦) سوف نلاقي عددا من هؤلاء الأنبياء فيما بعد في حديثنا عن « الجغرافية الروحية
للشعاعات » (الفصل ٢) بشأن دانيال ، انظر ابن حوقل : ٣٥٥ المقدسي : ٤٠٢
آخر ٤٠٧ - ٤٠٨ ، ٤١٧ (وابن الفقيه : ١٤٣ : رسم دانيال صور الأنبياء المحفوظة
في القسطنطينية) . بشأن يوفان ، ابن حوقل : ٢١٧ ، المقدسي : ١٣٠ ١٣٦ ، ١٣٩
بشأن إبراهيم : ابن حوقل : ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٥ ، ٢٧٨ ، ٢٦٧ ، المقدسي :
آخر ١٢٠ - ١٢١ ، ٤٤٥ . بشأن نوح ، ابن حوقل : ٢٢٩ ، المقدسي : ١٣٠ ،
١٣٦ ، ١٣٩ (إشارة إلى بناء أول مركز بشري بعد الطوفان / ثمنين . بشأن عيسى بن
مريم ، ابن حوقل : ٢٢٧ : أخذ الروم مندبل عيسى ، لم يذكر الاصطخري شيئا من
ذلك) ، ٢٢٨ . يشار أيضاً إلى وجود سليمان في فارس (ابن الفقيه : ١٢٦ ، ابن
حوقل : ٢٧٨ ، بخت نصر واليهود في اصفهان (ابن حوقل : ٣٦٣ ، المقدسي :
٣٨٨ ، ٣٨٩ (ج) أهل ارمينية واذربيجان وبلدان فارس من ذرية نوح (المقدسي :
٢٦١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٥) ، وحية جنة عدن في اصفهان (ابن الفقيه : ٢٦٨)
صخرة موسى بشروان ، قتل الفلام بقرية خزان ، بنواحي بحيرة طبرستان (ابن
خرداذبة : ١٢٣ - ١٢٤ مكرر عند المقدسي : ٤٦) .
(٧) ابن حوقل : ١٧٠ - ١٧٢ ، ١٧٤ - ١٧٥ .

على بحيرة صغر ومرقد إبراهيم ، وبني اسرائيل في أريحا ، وجالوت وقصره في عمان وبها قبر أوريا ، وسليمان ، وموسى وعيونه في مدين على حدود جزيرة العرب (٨) . أخيراً تظل مصر دوماً البلد الذي هاجرت اليه مريم بعيسى ، وبلد موسى ويوسف الذي يقال إنه اتخذ لأهل الفيوم مجرى من النيل وزنه ليدوم لهم دخول الماء فيه ، وقد دعت حكيمته إلى بناء اهرات تخزين الحبوب للسنين العجاف ، وايدته بالتشريع فوضع اعرافاً محلية لاستيفاء ضريبة العقارات (٩) .

وننتقل الآن إلى فارس ، ونحدث أولاً عن مؤسسيها . فهم ينحدرون في الغالب من نوح . واطلقت اسماؤهم على بعض المدن

(٨) المقدسي: آخر ١٥٩ (دمشق) ١٥٦ (تلمر) ١٦٠ (ايوب) ١٦١ (طبرية) ، ١٧٣ و ١٧٨ (إبراهيم ولوط) ، آخر ١٧٤ (أريحا) ، ١٧٥ (عمان في الحديث عن جالوت ، ملك البرير الذين هاجروا باتجاه الغرب بعد موته ، انظر ابن خردادبة : ٩١ (كرره ابن الفقيه : ٥٣ ، المسعودي (م) : فقرة ١١٠٦ ، وابن حوقل : ١٠٠ آخر ١٠٤) ، ١٧٩ (موسى . انظر أيضاً ابن حوقل : آخر ٣٢) . وقيل ان سليمان بن داود أمر الشياطين ببناء ثلاثة قصور لبليقيس احدها غمدان وكلها بصنعاء في اليمن (ابن الفقيه : ٣٥) . أخيراً لا ننسى باب إبراهيم في الكمية (ابن حوقل : ٢٨ ، المقدسي : ٧٣ ، ذكريات أخرى لا إبراهيم وموسى في جزيرة العرب : المقدسي : ٦٧ اهباط حواء في جدة (جدة : ابن الفقيه : ٢٦٨) .

(٩) انظر بشأن موسى وخروج العبرانيين عن طريق « تيه بني اسرائيل » : ابن حوقل : ١٤١ ، ١٥٠ أو يقال انه دفن بمصر موسى وهرون واسباط اسرائيل ، لكن الخبر غير موجود عند الاصطخري (، ١٥٨ ، ١٦٠ . المقدسي : ١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢١١ . بشأن مريم وعيسى ، ابن حوقل : ١٥٠ (ولد عيسى بمصر ، الخبر غير وارد عند الاصطخري) ، المقدسي : ١٩٣ ، ٢٠٩ . بشأن يوسف : ابن حوقل : ١٤٧ ، ١٥٠ (يوسف مدفون بمصر ، الملاحظة ذاتها بالنسبة الى الاصطخري ، المقدسي : ٦٥ (ح لك من ص ٦٤) ، ١٩٣ ، ٢٠٠ (مسجد يعقوب ويوسف) ، ٢٠٨ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٢ . اسماء فرعون إبراهيم وفرعون موسى وفرعون يوسف عند ابن الفقيه : ٢٧ - ٢٨ (ابن حوقل : ٢٣ ، ١٣٥ ، ١٤٤) . اسم مصر مشتق من اسم مصر بن حام بن نوح : ابن خردادبة : ٨٠ (المقدسي : ١٩٣) .

والمناطق ، مثل همدان ، وفارس ، وارجان ، وسيراف ، ودارابجرد ،
 وشيراز ، وسابور ، واصطخر . . . وجاء بعدهم الأخمينيون الحذرون ،
 ثم الساسانيون ، ثم ظهرت الزرادشتية ، وشيدت بيوت النار . . .
 وختلف جميع الملوك السابقين مباني تشهد على مرورهم على الأرض :
 مثل ايوان كسرى في المدائن ، وسد الشاذروان الذي بناه سابور على
 نهر تستر وقام بغيره من الأعمال المائية الهائلة ، وطربال اردشير في
 جور (١٠) . ومنذ البداية ، لوحظ في معالم التاريخ المنظور ، خلال
 معاينتها العامة ، امير الجدل الشعبي القديم ، والإدعاء بوجود تباين
 ثقافي داخل الامبرطورية العربية الإسلامية . اذن تبدو فارس من جهة ،
 ولإزاءها جزيرة العرب كما كانت في دار الإسلام ، وقبلها شبه
 جزيرة العرب في الجاهلية ، بخاصة اليمن وسبأ ، وفيها تعاقبت ثمود ،
 قبيلة الأقوام البائدة مثلما تروي الأساطير ، ثم التبابعة ، ملوك الماضي ،
 والتبتيان هود وصالح ، والعماليق مع الفراعنة الذين يقال انهم منهم .
 وقد وردت اخبارهم في قصة حركة القبائل اليمنية في أثناء هجراتها
 الكبرى نحو الشمال (١١) .

(١٠) بشأن المؤسسين الذين اطلقت اسمائهم على مدن أو مناطق ، انظر ابن الفقيه :
 ١٩٦ ، ٢١٨ - ٢١٩ ، المقدسي : ٣٨٥ ، ٤٠٥ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ (سيراف : رسمها
 نمرود بن كنعان ، ثم عمرها سيراف بن فارس) - ٤٢٤ . انظر أيضاً بهذا الشأن ذاته
 المقدسي ، ٣٧٤ (ارمينية) و ٣٧٥ (اذربيجان) . بشأن الأخمينيين والساسانيين ،
 ابن الفقيه ، ١٩٧ - ١٩٨ ، ٢١٩ - ٢٢٠ ، ابن حوقل ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ، آخر
 ١٧٧ - ٢٧٩ ، ٣٥٩ ، ٣٧٧ ، المقدسي ، آخر ٤٢٥ - ٤٢٦ ، ٤٤٧ (ح ب) .
 حول اعمال هؤلاء الملوك ، ابن حوقل آخر ٢٥٢ ، ٢٧٩ ، المقدسي ، ١٢٢ . انظر
 أيضاً ابن الفقيه ، ١٥٨ - ١٥٩ . بشأن الدين ، ابن حوقل ، ٢٥٦ ، (المانوية) وما
 يلي الفصل الرابع حول بيوت النار .

(١١) انظر ابن الفقيه ، ٢٧ - ٢٨ ، ابن حوقل ، ٣٢ - ٣٨ ، ١٥٨ ، المقدسي ،

٦٧ ، ٨٤ .

ويتراءى الإسلام في جميع هؤلاء ، وتمثل صورة الإنطلاقة الكبرى التي اندفع بها العرب وفتحوا العالم : فيصل التبابعة - اسيا د بلندي الشحر وحضرموت على وجه الدقة - إلى أماكن بعيدة مثل بابل وحتى سمرقند (١٢) . لكن لنصغ إلى ما يقوله ابن حوقل (١٣) : « وكانت هذه الديار عظيمة خطيرة الملوك ملكها الفراعنة والتبابعة . ومنهم من ملك أكثر أهل الأرض في سالف الزمان ، كتبّع ، الذي مدّن مدينتي صنعاء وسمرقند ، وكان يقيم بهذه حولا وهذه آخر . ومن أهلها فرعون إبراهيم ، وهو ستان بن علوان ، وفرعون موسى ، مصعب بن الوليد . وبعث فيها كثير من الأنبياء ، ، وكان من أكرمهم نبينا صلى الله عليه وسلم » .

ويعدّ الإسكندر وجهاً بارزاً أساسياً في هذا الماضي الذي يتم احياؤه ، ويعاين ، مع تباعد الزمن ، ويعتبر تصوراً مسبقاً لتاريخ سوف يأتي في وقت لاحق . فهو نصف فاتح نصف نبي ، يتوق إلى السيطرة على جميع أنحاء الأرض ، التي خص الله رسالة الإسلام بها (١٤) . ونحن نستشف ذكره في اسم جميع المدن التي أسسها ، من أكبرها على ساحل مصر ، إلى بابل وما بعدها باتجاه الشرق ، بعيداً عنها . ففي مرو : أضاف ذو القرنين إلى القهندز الذي بناه طهمووث (نمرود) ،

(١٢) عرف المسعودي بالتبابعة في المروج ، فقرة ١٠٨٧ ، بشأن ما تبقى ، انظر ابن حوقل ٢٣ ، آخر ٢٤٤ - ٢٤٥ ، ٤٩٤ .

(١٣) ابن حوقل ٢٣ (هذا النص غير موجود عند الاصطخري) .

(١٤) انظر و . مونتغمري وات « الاسكندر » في ١٢ (٢) ، مجلد ٤ ، ص ١٣٣ . بشأن الاسكندر والاسكندرية انظر ف . دي بولونياك ، « الاسكندرية » : عين العالم ونخم المجهول ، منوعات المدرسة الفرنسية في رومة ، ٩٦ روماني (١) ، ١٩٨٤ ، ص ٤٢٥ - ٤٣٩ .

مدينة كاملة ، فتعدل عمل الملك الشرير بعمل الملك الصالح الورع .
ويقال ان الإسكندر ، عند ابتناؤه سور شهرستان (أصبهان = اليهودية
+ شهرستان) جعل فيه ثلاث مائة وخمسة وستين برجاً ، لكل ضيعة
برج ، (١٥) ، ليتحصن فيه عند الفزع ويأوي اليه أهلها عند الحصار.
وتغلب الأشرار ، ذلك أن نواحي اصبهان كانت في قديم الأيام ثغراً
من ثغور الترك والديلم . وتحتكر ديار العرب ذي القرنين أيضاً ، إذ
ملكها كالتبابعة ، ويروي البعض أنه دفن فيها (١٦) . خلاصة القول
ان الإسكندر بطل تجول في العالم ، يبلدو وكأنه في بلاده في ديار الإسلام
العتيدة ، بل انه يبشر بها كما فعل عند منابع دجلة . وكان أول من
دخل كهف الظلمات الذي يخرج منه هذا النهر ، وانطلق فيه في
مغامرة تقوده إلى أراضي جديدة واقعة تحت الأرض ومجهولة قبله .
لكن هنا أيضاً ، شق ذو القرنين طريقاً سوف يسلكها المسلمون بعده ،
نعني مسلمة بن عبد الله فاتح تلك الرحاب (١٧) .

(١٥) حول المدن المسماة اسكندرية ، انظر ١ . ميكيل ، ١٠ (٢) م ، ٤ ، ١٣٦ -
١٣٧ . مدينة ذي القرنين في مصر: المقدسي ، ١٩٧ . لباقي الاسكندريات ، انظر ابن
الفقيه . ٧٠ (مات ببابل وحمل الى الاسكندرية) ، ابن حوقل ٣٦٣ ، ٤٨٤ ، المقدسي
٢٩٨ . انظر أيضاً من أجل همذان ، ابن الفقيه ، ٢١٩ ، ٢٤٣ ، مسعر (ب) ، ٢٧ -
٢٨ ، بشأن نمروذ وهو طمهورث الملك الشرير مع نبوخذ نصر ، وكلاهما بخلاف
سليمان والاسكندر ، انظر ابن رسته ، ١٩٩ . حول مائلة الاسكندر وذي القرنين ،
انظر ش . بيلا ، كتاب الترتيب ، الترجمة ، ص ٢٢ ، وف . دي بولينياك ، مقال
مشار اليه ، و . مونتغمري وات ، مقال مشار اليه . بشأن التجوال خارج ديار الاسلام
انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، الفهرس .

(١٦) اهداني ، ١١٨ ، ابن حوقل ، ٢٣ .

(١٧) المقدسي ، ١٣٦ ، ١٤٦ (وحاشية م) . مع ذلك حفوظ على وضع البطل =

الإسلام وريث مقيم

يعتبر تصور التاريخ المسبق على هذا النحو شرقياً إلى أقصى حد ،
مثلاً قلنا . ولا نجد شيئاً يستحق الذكر في أقصى الغرب وفي الشمال .
فنبرز جلاء البربر إلى المغرب . فبعد أن قتل داود ملكهم جالوت ،
انتقلوا إليه ، ونزلوا جباله ، وكرهوا نزول المدن ، وتركوها للروم
حتى افتتحها الإسلام (١٨) . وكان ملك الأندلس حين فتحت يقال
له لوزريق من أهل أصبهان ، وبأصبهان سمي أهل قرطبة الإسبان .
وكان في قصره بيت سري ، فيه مائدة سليمان وتيجان ملوك الأندلس
القدامى ، فخالف لوزريق جميع الأعراف ، ولم يأبه للتنبؤات المشائمة ،
وفتح بابه ، فإذا فيه تصاوير العرب على خيولهم . وكانت العرب على
أبواب الأندلس ، فدخلتها في السنة التي فتح فيها البيت (١٩) . ويتكرر
التصور ذاته في الشمال بالنسبة إلى بيزنطة ، بخاصة إلى أتباعها غساسنة
الشام . فقد جاءت إحدى سفارات المسلمين الملك (جبلة بن الأيهم
الغساني في الغوطة) ، ورفضت التقيد بالمراسم التي تقضي بأن تكلمه ،
إجلالاً له ، عن بعد برسول ، وقالوا له ان نبهم أخبرهم أن ثيابه

الخارق : وحرص مسلمة بن عبد الله في دخول كهف الظلمات ، واستعد المشاعل والشموع ،
فانطفت ورجع .

(١٨) ابن خردادبة ، ٦١ - ٩٢ (ذكر من قبل في الحاشية ٨) ، ابن الفقيه ، آخر ٨٣ ،
المسعودي (م) ، فقرة ١١٠٧ . يشار أيضاً إلى ابن الفقيه ، ٧٦ : اسم تونس القديم
قرطاجنة .

(١٩) ابن خردادبة ، ٩٠ ، كرره ابن الفقيه ، ٨٢ - ٨٣ (ابن رسته ، ٧٩ ،
ترجمة ٨٧ ، والمصادر ، حاشية ١) . حول أحد الاكتشافات في أثناء الفتح ، انظر
المقدسي ، ج ٤ ، ٨٨ .

السود لن تحمي سلالته من مصيرها المشؤوم . وهكذا أصبح الإسلام يفرض نفسه بسفاراته ، وسوف يخرج (ابن الأيهم) من دار مملكته ، وتجمع دويلات ملك الروم في مملكة عظمى واحدة (٢٠) . لكن يلاحظ أن هذه الرؤية عند مصنف النصف الثاني من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، ولو كانت بيزنطة مهددة عبر حلفائها ، (٢١) ترتبط ، فيما يبدو ، بماض سعيد ، أما المستقبل فتبشير متبينة ، مثلما سوف نرى فيما بعد .

لكن ، لنبق بعض الوقت أيضاً في أوائل الإسلام . ففي جميع الشرق ، تذكر المدائن والبلدان بوعد التاريخ الجديد : فابلة (ويلة) على بحر القلزم واردة من قبل في القرآن ، وفي دمشق حل المسجد محل البيعة ، وذخائر الحسين بن علي محل ذخائر يوحنا المعمدان ، إذ على باب جيرون نصب رأس الحسين بن علي بالموضع الذي نصب فيه رأس يحيى بن زكريا . وأصحاب الرس مذكرون أيضاً في القرآن ، ويرد اسمهم في عداد أسماء المرتفعات الجبلية في أرمنية . وشيراز مدينة فارسية ، اعيد بناؤها في الإسلام (محمد بن القاسم بن أبي عقيل ابن عم الحجاج) . وتذكر مرو بيزدجرد آخر الملوك الساسانيين وبمعسكر الإسلام في أثناء الفتح . وما يزال الناس يتحدثون في قاشان عن العقارب التي حملها إليها أبو موسى الأشعري لما عجز عن فتحها .

(٢٠) ابن الفقيه ، ١٤٠ - ١٤١ .

(٢١) انظر النصوص المحللة في جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، بشأن هذا الموضوع .

وفي جميع أنحاء فارس ، تنافس القناطر (الجسور) المحدثّة القناطر التي شيدت في الجاهلية (٢٢)

مع ذلك ، تتميز فلسطين ، دون سائر البلدان ، بجمعها على أفضل وجه تاريخ الماضي والحاضر والمستقبل . على ضوء الإيمان وفي منظور الخلاص . وقد أشرنا من قبل ، استناداً إلى تاريخ التوراة ، إلى بعض مشاهير العظماء الذين ماتزال أسماؤهم وذكرهم تتردد هنا وهناك في تلك المنطقة . ففي بيت المقدس ، تذكر بالحاج أبواب المسجد الأقصى ومصلياته إلى جانب وادي جهنم وجبل زيتا (الزيتون) ، والكتب المقدسة القديمة إلى جانب القرآن ، والعينان المقدستان سلوان (سلوام) وزمزم ، ومريم مع الصحابة ، ويسوع مع عمر (٢٣) .

فإذا فتحنا فصل إقليم الشام ، وجدنا أن المقدسي يعرض في تعداد فوضوي له مغزاه ، ما يجعل هذا الإقليم مقدساً بين سائر الأقاليم ، من أسماء أماكن وأسماء أشخاص ، مثل موضع الحشر والمسرى ،

(٢٢) عن إيلة ، انظر المقدسي ، آخر ١٧٨ (ترجمة ٢١٢ وحاشية ٢٧٧) . عن دمشق ، ابن حوقل ، ١٧٥ . عن اصحاب الرس ، المقدسي ، ٣٧٣ وجغرافية دار الاسلام ج ٣ ، ١٨ (حاشية ٣) و ١١٩ . عن شيراز المذكورة من قبل ، ابن حوقل ٢٧٩ (جعلها اسلامية تأسيساً) . انظر الاصطخري ، آخر ٧٦ - ٧٧ ، الذي يدقّق ويقول « مدينة اسلامية ، غير قديمة » ، المقدسي ، ٤٢٣ ، (بناها شيراز بن فارس ومصرها الاسلام) . عن مرو ، ابن حوقل ، ٤٣٦ . عن قاشان ، المقدسي ، ٣٩٠ . عن القناطر ، المقدسي ، آخر ٤٤٥ . انظر أيضاً المقدسي ، ٤٢٥ (فتح ارجان عثمان بن ابي العاصي ومسجد بناء الحجاج) .

(٢٣) المقدسي ، ١٧٠ - ١٧٢ .

والأرض المقدسة ، والرباطات الفاضلة ، والثغور الجليلة ، والجبال الشريفة ، ومهاجر ابراهيم ، وديار أيوب ، ومحراب داود وبابه ، وعجائب سليمان ، وتربة اسحاق ، ومولد المسيح ومهده ، وقرية طالوت ، ومقتل جالوت ، وجب أرميا ، ومسجد أوريا ، وقبة محمد ، وصخرة موسى ، وربوة عيسى ، ومحراب زكريا ، ومعركه يحيى ، وقرى أيوب ، وقبر موسى ، وموضع لقمان ، ووادي كنعان ، ومدائن لوط ، ووقف عثمان ، وشعب اسرائيل ، وداود أيضاً ، وقبر مريم ورا حيل ، اضافة إلى ما جاء في القرآن من أماكن يوم الدين ، عندما تأتي الكعبة وتستقر على الصفاة المقدسة (٢٤) . فهنا في آخر الزمان ، يتقرر مجرى التاريخ ، ويقتل عيسى الدجال على باب كنيسة اللد (٢٥) . وتكون الساهرة في بيت المقدس أرض القيامة البيضاء (٢٦) . ويخص المقدسي أرض بيت المقدس المقدسة - واصله منها ويحمل اسمها (٢٧) . - بصفحات طويلة ، وكانت في الماضي تعرف بانهار اللبن والعسل وبالقيامة في آخر الزمان ، ويقول عنها : وحدّ القدس ، ما حول ايلياء ، إلى أربعين ميلا (حوالي ٧٦ كم) يدخل بعضها (١٢ ميلا) في البحر من جهة الغرب ، والبادية من جهة الشرق ،

(٢٤) المقدسي ، ١٥١ ، وحاشية الترجمة ، ١٤٥ - ١٥٢ .

(٢٥) المقدسي ، ١٧٦ (ترجمة ٢٠٨ ، حاشية ٢٥٦) . يخرج الدجال من سوق اصفهان

حسب رواية اخرى : المقدسي ، ٣٩٦ (وابن الفقيه ، ٢٦٨) .

(٢٦) المقدسي ، ١٦٦ ، ١٧٢ (ترجمة ١٩٩ ، حاشية ٢١٧) .

(٢٧) المقدسي أو المقدسي قياساً على البيت المقدس أو بيت المقدس .

ويعتمد في كل ذلك ، في مناقشات كثيرة ، على ذكريات التوراة والقرآن والاحاديث النبوية والجغرافيه وفقه اللغة (٢٨) .

إذن يعنى التاريخ بالإسلام في الوقت الحاضر . ويستحيل أن نشير هنا ، استناداً إلى أعمال الجغرافيين ، إلى مالا يخص من الصفات التي يتسم بها دخوله في الحياة العامة وبقاؤه فيها . لكن نستطيع في الحد الأدنى أن نميز بعض المواضيع الكبرى . ويأتي الفتح في طلبعتها (٢٩) تليه تدوينات كثيرة عن الآثار البشرية العائدة إلى التاريخ الإسلامي . وأذكر لاعلى التعيين كثرة بناء المدن الجديدة ، كالكوكة ، والبصرة ، وبغداد ، وسامراء ، والقاهرة وغيرها ، والمشاريع المائية ، والتصور ، ومكتبات البويهيين في فارس ، والقناطر (الجسور) وخاصة المساجد ، التي تعتبر أوضح معالم التغيير الطارئ على مصير العالم القديم ، من نيسابور إلى بيت المقدس ، ودمشق حيث ترسخ الإسلام حيال سلفيه اليهود والنصارى (٣٠) . ولم يخل هذا الوضع من بعض الإضطرابات : فالبلدان والوثائق المكتوبة تحتفظ بذكرى بعض الثورات الكبرى ، الناشئة عن

(٢٨) المقدسي ، آخر ١٧٣ (ترجمة ، ٢٠٢ ولوحة ٩ روماني) ، آخر ١٨٦ -

١٨٨ .

(٢٩) بشأن المدن المذكورة (انظر ما تقدم عن قاشان وابي موسى الأشعري . بشأن فتوح المناطق ، انظر مثلاً من أجل اذريجان وتخوم قزوين ، ابن الفقيه ، ٢٨٠ - ٢٨٢ . ٢٨٤ .

(٣٠) بشأن المدن ، انظر ما تقدم عن شيراز التي أعيد بناؤها ثانية ، واليعقوبي ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ وما يليها ، و ٢٥٦ وما يليها ، وابن حوقل ، ١٤٦ . عن أعمال البويهيين في فارس ، المقدسي ، ٤٤٤ ، ٤٤٩ - ٤٥٠ . عن القناطر ، انظر ما سبق . عن المساجد المشار اليها هنا ، ابن الفقيه ، ١٠٨ ، ابن حوقل ، ١٧٤ - ١٧٥ ، المقدسي ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ٣١٦ (وما تقدم بشأن ذخيرة الحسين ويوحنا المعمدان) .

التوتر الاجتماعي ، والميل إلى الانفصال ، والمذاهب الدينية ، أو عنها جميعاً أحياناً . منها ثورة أحد ولاية خراسان ، والثمرد في جنوبي قزوین وأرمينية ، وبدعة بابلک في أذربيجان ، والقرامطة في البحرين ، وثورة الزنج ، وهم العميد السود الذين أخافوا بغداد (٣١) .

فالواقع أن السلطة العليا اقترنت بوجود سلطات أخرى . لكن السلطة الشرعية الوحيدة هي سلطة الخليفة ، وقد كان ينظر إليها قبل كل شيء نظرة تحيي ذكرى أصولها وتبرز دوام رمزها حيال الجميع وضدهم . اذن من جهة أولى يُلحَق على أمجاد الأمويين الغابرة في دمشق وأجناد ولائهم الحازمين مثل الحجاج . ومن جهة ثانية ، يُثَنَّى على بغداد وخلفائها ، ويُشار إلى أوائل حكمهم ، بخاصة إلى هارون الرشيد ، أحد أعظم خلفائهم وإلى وزرائه البرامكة (٣٢) . ويعدد اليعقوبي في قوائم دقيقة ولاية هذا الإقليم أو ذلك مثل خراسان وسجستان ، لكن يظهر فيها مباشرة ما يعترض السلطة المركزية من صعوبات كادت تحول دون ابقاء جميع أجزاء الامبراطورية الهائلة (٣٣) في هيئة سياسية واحدة متحدة تماماً . في النهاية سوف تهيمن رؤية متوازية للوضع السياسي المجزأ في وصف بلدان دار الإسلام منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي خاصة .

(٣١) انظر اليعقوبي ، ٢٥٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ابن الفقيه ، ٥٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ - ٢٨٦ ، ٢٩٤ ، ٣٠٥ - ٣١٠ ، ٣١٤ ، ابن حوقل ، ٢٦٩ ، ٢٩٥ - ٢٩٦ المقدسي ، ٩٤ ، ١٩٨ ، ٤٠٦ .

(٣٢) انظر ابن الفقيه ، ٢٨٢ ، ٣٢٣ - ٣٢٤ ، ابن حوقل ، آخر ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٦٨ ، المقدسي ، ٩ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٣١ - ١٣٣ ، ١٥٦ ، ٢٩٣ ، آخر ٤٠٩ .

(٣٣) اليعقوبي ، ٢٨٢ وما يليها ، ٢٩٥ وما يليها .

البلدان والسلطات

أجمعت الآراء على النظرية التي تقضي بأن تدير سلطة وحيدة شؤون دار الإسلام في جميع أراضيها . لكن برزت الخلافات في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وانصببت على تحديد من يتولى هذه الصلاحيات العليا . وكان الخليفة العباسي في بغداد على رأس الدولة . إلا أن بني أمية في الأندلس نازعوه على السلطة ، وهم الأبعدون عنه لحسن الحظ . وتنازع عليها أيضاً الفاطميون في القاهرة ، وهم الأقربون منه والطماعون . لكن ، في الغرب ، كان الأمويون مضطرين أن يقاوموا ضغط ممالك النصارى من الشمال ، فاقصرت أطماعهم على المغرب المتاخم لهم تقريباً : مثل سبتة وناحية فاس (٣٤) . أما الفاطميون ، فاخطر منهم بكثير ، وقد بدأت مغامرتهم في هذا المغرب ذاته ، وحالفها الظفر في القاهرة (٣٥) ، ثم شرعت تمتد من مقر الخلافة الجديدة المناوئة لخلافة بغداد ، إلى أماكن أبعد من مصر ، بفرض سلطتهم أو محاولة فرضها على ساحل جزيرة العرب وعلى إقليم الشام الجنوبي وبالدعوة في كرمان ومكران وحتى في وادي مهران (٣٦) .

(٣٤) ابن الفقيه ، ٨٨ ، اليعقوبي ، ٣٥٤ - ٣٥٥ ، ابن حوقل ، ٧٨ - ٧٩ آخر ١٠٩ - ١١١ ، المقدسي ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٣٥) ابن حوقل ، ٧١ ، ٧٨ - ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ١٤٣ (مع انتقاد غير متوقع للفاطميين : انظر المرجع ذاته ، ١٥٣ ، الذي يعطي الأسباب على الأغلب ، وجغرافية دار الاسلام ج ١ ، ٣٠٠) ، ١٤٦ ، آخر ٢٠٠ - ٢٠١ ، المقدسي ، ٩ ، ١٩٣ ، ١٩٧ وما يليها ، ٢١١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٤ (حاشية ب) .

(٣٦) ابن حوقل ، ٣١٠ ، المقدسي ، ١٠٤ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٤٨٥ (حاشية ج) .

وتعتمد هذه السلطات الثلاث العليا — أو التي تدعي أنها عليا — في بغداد والقاهرة وقرطبة ، اعتماداً سياسياً — بالنسبة إلى الأولين — على عدد كبير جداً من السلطات المحلية ، التي تمثل ركائز لأطماعهم تتفاوت طاعتها لهم ، وتحوي دعاة لقضيتهم وإبطالاً في نزاعاتهم ، يتباين ثباتهم . وتفرض الثقافة العامة آنذاك وحرص الجغرافيين على ربط وصف الأماكن بحقبة ازدهارها في الماضي ، ذكر الأسر العريقة التي صنعت التاريخ هنا وهناك . لكن لا يهتم أحد بتحديد التواريخ ولا بالقول إذا كان الحدث انقضى أم لا ، أو يخطئون بالتواريخ مثلما فعل ابن الفقيه ، الذي أخفى أنه نقل عن القدماء ، وجزم أن مدينة وليلة (فولوبيلس) غالب عليها المعتزلة ، وأن عميدهم اليوم اسحاق بن محمد بن عبد الحميد . هذا ما كتبه حوالي ٢٦٠ هـ / ٦٠٣ م . بينما توفي اسحاق المذكور سنة ١٦٢ هـ / ٨٠٨ م (٣٧) .

لكن لا بأس . فالأصل استعراض مجموعة مذهلة من البلدان والسلالات مع مطالعة صفحات الكتاب . وفي هذه الناحية ذاتها ، اكتشف المقدسي فكرة من أفكاره الرئيسية ، نعي أن التزوع إلى الإستقلال السياسي الذاتي شبه الناجز يقرن دوماً بشكل من الأشكال بوضع غريب ناشيء عن الجغرافية نفسها (٣٨) . لذلك قامت في الجهات الغربية

(٣٧) ابن الفقيه ، ٨٤ و د . أوستاش ، ادريس بن ادريس في ١٢ (٢) ج ٣ ، ١٠٥٨ .

(٣٨) انظر بشأن أكبر هذه الكيانات الأرضية الاقليم ، وبالنسبة للوحدات الصغرى أيضاً ، جغرافية دار الاسلام ، ج ١ ، ٣٢٤ - ٣٢٥ و ١ . ميكيل ، الامبراطورية العربية الاسلامية (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) في مفهوم الامبراطورية باشراف م . دوفيرجية ، باريس ، ١٩٨٠ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ . سوف نرجع فيما بعد (الفصل السادس) الى هذه التقسيمات .

إمارات كبرى ، منها الإدريسيون في فاس ، والرستميون في تاهرت ، والأغلبية في تونس . وقد ذكروا جميعاً في سياق وصف الأحداث التي رافقت تأسيس سلالاتهم والحديث عن عظمتها وانهزاماتها أيضاً (٣٩) . ومتى اجتيزت مصر التي حكمها الطولونيون ردهاً من الزمن ، يبدو الحمدانيون في حلب والجزيرة وملكهم العظيم سيف الدولة . وقد حنق عليهم ابن حوقل لضعف مقاومتهم الروم في الشمال ، وشدة مقاومتهم فاطمي القاهرة المفضلين لديه في الجنوب (٤٠) .

ويكثر الجغرافيون ، الشرقيون ولادة ونزعة ، في بغداد وما بعدها باتجاه الشرق ، من اعطاء تفاصيل الخريطة السياسية القديمة والمعاصرة لهم ، ويخلطون الماضي والحاضر أحياناً . ولا يقتصرون على العرض العام اقليمياً اقليمياً على غرار المقدسي (٤١) ، بل يتهافتون على التاريخ متى سنحت الفرصة لهم . فتاريخ سلالة من السلالات المحلية لا يعثر عليه في لوائح الملوك أوفي الحديث عن عهودهم فقط ، بل أيضاً في أحد الإجراءات الإدارية ، وتأسيس أحد المباني ، وصيانة الطرق ومراقبتها وهنا يلعب البويهيون الدور الأول . فقد اعلنوا

(٣٩) اليعقوبي ، ٣٤٧ وما يليها ، ٣٥٣ وما يليها ، ٣٥٧ - ٣٥٨ ابن الفقيه ٧٩ - ٨١ ، ابن حوقل ، ٨٠ - ٨١ ، المقدسي ، ٢٤٣ - ٢٤٤ .
(٤٠) ابن حوقل ، آخر ٣ - ٤ - ١٨ ، ٢١١ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ - ٢٢٦ ، المقدسي ، ١٨٩ ، ٣٧٥ . عن الزبيريين خلفاء الأغلبية ، انظر ابن حوقل ، ٧٨ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٠٧ . يلاحظ ضعف الاهتمام بطولونيين مصر (اليعقوبي ، ٣٧١ - ٣٧٢ ، ابن حوقل ، ١٤٦ ، المقدسي ، ١٦٢ ، ١٤٦ . اشارة واحدة عن الدولة كدولة ، ابن حوقل ١٥٣) تدوين نقص عند الاصطخري .
(٤١) بعنوان الولايات في اغلب الأحيان .

ارتباطهم ظاهرياً بخليفة بغداد ، لكنهم فرضوا عليه وصايتهم ، ولم يتخلوا عن سلاطنتهم ، مباشرة أو عن طريق عملائهم ، في موطنهم الأصلي أي الديلم . جنوبي بحر قزوين ، وفي الجبال وفي خوزستان وفارس وكرمان . ودعي لهم على المنابر في أوقات الصلاة ، في اليمن والهند وحتى في الصين . وهم ملوك عتاة-بجميع معاني هذا اللفظ- ومنظمو السلم المدني القساة ، ورجال في القتال ، وبناء ثابتون على اشادة القصور وقباب المدافن والقناطر والقلاع والمكتبات (٤٢) .

اخيراً ، ظهرت سلالات أخرى في مشرق دار الإسلام ، حول مرتفعات خراسان التي تعتبر السيطرة عليها رهاناً رئيسياً في استراتيجية السياسة والتجارة . ويأتي الطاهريون في الطليعة . وهم ولاة بغداد ، الذين لا يعزلون من مناصبهم ويتوارثونها ، وهم حكام عقلاء أيضاً (٤٣) . وسوف يدوم حكمهم نصف قرن تقريباً ، حتى سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م ، قبل أن يأخذ محلهم الصفاريون (٤٤) الذين أسسوا سلالة حقيقية في سجستان ، واحتفظوا بها حتى منتصف القرن السادس الهجري / الثاني

(٤٢) ابن حوقل ، ٣٦١ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣ ، المقدسي ، ٢١٠ ، ٢٣٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤١٣ ، ٤٢١ ، ٤٣٠ (حاشية ك) ، ٤٣٤ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ (حاشية أ) ٤٤٧ (حاشية ب) ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ - ٤٥٠ (وحاشية ب) ، ٤٦٤ ، ٤٦٩ (ح ٥٠) ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٨٥ (وحاشية د) ٤٨٧ (ح م) .

(٤٣) اليعقوبي ، ٣٥٧ وما يليها ، ابن الفقيه ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ابن حوقل ، ٣٤٣ ، آخر ٤٦٧ ، ٥٥٥ ، المقدسي ، ١٦٤ ، ٣٣٢ .

(٤٤) اليعقوبي ، ٣٥٧ ، ٣٥٣ ، ابن الفقيه ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ابن حوقل آخر ٢٥٦ ، ٣١٥ ، ٤١٥ ، ٤١٤ ، ٤٢٥ ، آخر ٤٣١ ، المقدسي ، آخر ٣٥٥ ، ٢٥٦ ، ٣١٦ ، ٣٣٧ (وحاشية ب) . ٤٦٤ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ .

عشر الميلادي . ثم توسعوا باتجاه فارس وخوزستان وكرمان
 وافغانستان وخراسان . واصطدموا ، خاصة في الشمال ، بملوك
 آخرين ، لعلهم أعظم ملوك تلك المناطق في القرن الرابع الهجري /
 العاشر الميلادي : نعي السامانيين « امراء خراسان » ، « المخلصين
 لأمير المؤمنين » ، لكنهم في الحقيقة « ملوك المشرق » ، وعواهل
 حقيقيون - ومستنيرون - في بلاد واسعة تشمل القوس الشمالية
 الشرقية من أراضي دار الإسلام . وقد أثنى ابن حوقل والمقدسي بلا
 تحفظ تقريباً على السامانيين . فحدثا سمرقند وبخارى وقصورهما بهية
 وكثيرة . ونضالهم دائم ضد أعدائهم وجيرانهم ، لاسيما البويهيين على
 تخوم قزوین الجنوبية . فبنوا أمجادهم عليه ، ووصل اشعاعهم إلى حبرون
 التي مولوا فيها مأوى . واعتمدوا على مشورة معاونين ماهرين (٤٥) .
 ويكتمل هذا النظام الهرمي في تولي السلطات ، من الخلفاء إلى
 الإمارات المحلية ، في أدنى القاعدة ، بعدد كبير من السلالات المحلية ،
 منها المؤقت ومنها ما يدوم بعض الوقت . انظر مثلاً وضع جزيرة
 العرب (٤٦) عند ابن حوقل . أما اليعقوبي ، فيشير إلى وجود مملكة
 في شمالي فارس ، تعيش على هامش مملكة الإسلام ، لم يزل ملكها

(٤٥) ابن الفقيه ، آخر ٣١٢ . ٣١٣ ، ابن حوقل ، ٣٨٢ ، ٤٢٤ ، ٤٣٠ ،
 ٤٣٧ ، آخر ٤٦٧ ٤٦٤-٤٦٩ ٤٨٣ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، المقدسي ، ٦ (حاشية ١ ،
 انظر الترجمة ١٨ ، حاشية ٢٥) ، ٩ (حاشية ب الترجمة ، ٢٧ ، حاشية ٦٩) ،
 ١٧٣ (حاشية د) ، ٢٦٠ ، ٢٧٤ ، ٣٣٧ (حاشية ب) ، ٣٣٨ (حاشية ت) ،
 ٣٣٩ (حاشية دوح) ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، آخر ٣٧٠ ، ٤٧٢ ، ٤٨٧ (حاشية يو) ،
 ٤٩٣ (حاشية وجغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، آخر ٨٨ - ٩١ ، ١٥١ - ١٥٢
 (٤٦) ابن حوقل ، ٢٣ - ٢٧ ، المقدسي ، ١٠٤ .

يسمى الأصهبذ (قائد الجيش) ، كان يكتب إلى الخلفاء من جبل جيلان أصهبذ خراسان ، موالي أمير المؤمنين ، لا يقول مولى أمير المؤمنين ، وهو اللقب المتوقع من أحد أتباع الخليفة (٤٧). ونلاحظ أُمَير استقلال ذاتي محلي مماثلة في المغرب ، في نطاق العصيان البربري (٤٨) ويذكر ابن الفقيه الترك في قزوين ، ومحاولة الخلافة الشيعية جنوبي قزوين (٤٩). وفي القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، دقق ابن حوقل والمقدسي في الخريطة السياسية ، خاصة في الجهة الشرقية (٥٠) . فتميزت البلدان الممتدة من أذربيجان إلى أرمينية المسيحية ، إضافة إلى جبل القبق المجاور ، بنزوح طبيعي لا يمكن كبحه إلى أي نير خارجي لا يمتثل (٥١) . وكما اتجهنا إلى الشرق ، نحو البلدان الواقعة على ساحل بحر قزوين ، المسماة جيلان وطبرستان وجرجان ، وجدنا فيها جملة أمارات تعتمد على « أُلُف قلعة » ولكل قلعة الضيعة والضيعتان ، وكلها أي الإمارات والقلاع لا تؤدي ما عليها من مال الا عندما تريد (٥٢) .

وعلى تخوم دار الإسلام ، التي تلاصق بلاد الهند ، تمثل بلدان نهر مهران وسهوب مكران سلطنات لم تعتنق الإسلام بعد ، أو اعتنقته

(٤٧) البعقوبي ، ٢٧٧ ، ابن الفقيه ، ٣٠٥ - ٣٠٦ ، ٣٠٩ .

(٤٨) البعقوبي ، ٣٤٣ - ٣٤٦ ، ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ابن الفقيه ، ٨٠ .

(٤٩) ابن الفقيه ، ٢٨٠ ، ٣١١ - ٣١٣ .

(٥٠) انظر مع ذلك عن المغرب ، ابن حوقل ، ٦٧ - ١٠٧ واماكن متفرقة .

(٥١) ابن حوقل . ٣٣١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٧ - ٣٤٨ . عن امارات جبل القبق على

حدود دار الاسلام . انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٢٥٩ - ٢٦٩ .

(٥٢) ابن حوقل ، ٣٧٧ ، ٣٨٣ ، المقدسي ، ٣٧١ (حاشية س من ٣٧٠)

تذكر امارة لا تطيع الا العلويين في اليمن .

سلاطينها أحياناً ، وأعلنوا بزهو بين الذهب والفيلة ، تبعيتهم النظرية الصرفة للفاطمي أو للعباسي : وفي الحالة الأخيرة تارة للخليفة وطوراً لحاميه البويهي (٥٣) . وقد اقتطعت أسرة محمد الياس لها امارة في واحات كرمان من ناحية الغرب ، وبقيت مدة من الزمن تابعة لسلطة السامانيين في خراسان لتسهل عليها مقاومة الضغوط البويهية القادمة من فارس (٥٤) .

وتبدو باقي الأصقاع على المستوى ذاته : فهنا وهناك ، تسود سلطات تقوم بنفسها (٥٥) . ولا نتحدث عن الأمراء الأتراك الصغار على حدود الدويلات السامانية الشمالية من جهة وادي نهر سيحون (سير داريا) (٥٦) بل نشير إلى فرغانة التي وصلت سلطة أسياها حتى سمرقند ، ودامت بعض الوقت (٥٧) ، وخاصة إلى بلدان الأفغان (٥٨) . فهنا في الباميان ، يقيم ملك حقيقي يحمل لقب شير الباميان . والوضع في الأماكن الأخرى شبيه بهذا الوضع : فالجوزجان ، عمل آل أفرغون ،

(٥٣) ابن حوقل ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ - ٣٢٥ ، المقدسي ، ٤٨٤ - ٤٨٥ (وحاشية ج)

(٥٤) ابن حوقل ، ٣١٥ ، ٤٢٤ ، المقدسي ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٤٧٢ .

انظر س . ١ . بوسورث ، آل الياس في ١٢ (٢) ج ٣ ، ١١٨٥ .

(٥٥) استعمل تعبير يقوم بنفسه الوارد عند المقدسي ، ٤١٤ في حديثه عن إحدى مدن خوزستان .

(٥٦) المقدسي ، ٢٧٥ .

(٥٧) ابن حوقل ، ٤٦٨ ، ٤٩٨ ، المقدسي ، ٢٧٩ .

(٥٨) فيما يتعلق بما يلي ، انظر ابن حوقل ، ٤٢٤ ، ٤٤٣ - ٤٤٤ ، آخر

٤٤٩ ، ٤٥٠ ، المقدسي ، ٣٤ ، ٣٥ (حاشية ح) ، ٧٤ ، ١٧٣ (حاشية د) ،

٢٩٥ (حاشية أ) ، ٣٠٩ ، ٣٣٧ (وحاشية ب) .

واقعة دين مرو وبأخ على تخوم خراسان ، وتبدو الشاهية في كابل وغزنة تقليدية لا يستحقها الملك إلا إذا عقدت له في كابل ، ولها أطماع بالهند المجاورة ، أما الغور ، فإنها دار الكفر وإنما تذكر في دار الإسلام لأن فيها مسلمين ، ويؤخذ منها الرقيق بالقوة . أخيراً خرج الشار ، والغرج هي الجبال والشار هو الملك ، فتفسيره جبال الملك بين الاميان ومرو : وهي بلاد أمينة ، شارها حكيم جداً ، تصل عطايها إلى مكة وتجتمع في حبرون مع هبات السامانيين .

السلطة : من الشك إلى زوال الوهم ومن زوال الوهم إلى القلق

لم تمنع تجزئة السلطة قيام مجتمع اسلامي على اراضي مملكة الإسلام ، حول رمز الخلافة . وسوف تتاح لنا الفرصة لكي نحيا هذا الواقع ونتحسس هذا الشعور الجماعي في الأحداث على غرار الجغرافيين ، يوماً بعد يوم ، ومرحلة اثر مرحلة . لكن لم يعد الوضع بعيداً عن القلق . فقد توارثوا نظرية سياسية ، افترضت من بدايتها أن السلطة البشرية لا تخلد ، ولم تخطنها حتى عظمة الخلافة العباسية في أول عهدها ، بل رادتها رواجاً في زمن الإضطرابات في أيام ابن حوقل والمقدسي . ولنبدأ من البداية ، ولنعد إلى هذه النظرية التي لانستغني عنها هنا . فقديمة يرسبها على مبدأ وحدة السلطة : فلا بد أن ينطبق على المجتمع البشري ، ما ينطبق على العالم الذي لا يشارك الله أحداً في حكمه إياه . إذن الملك ، بالتعريف ، شخصية فريدة ، تتركز سلطتها على الدين ، يجب عليها أن تعتمد على العدل ، لا على الإكراه ، وعلى النخبة ، لا على الجماهير . فمتى تقرر هذه المقدمات المنطقية ، تستطيع الآليات الاجتماعية أن تعمل عملها بسرعة : فالإنسان مخلوق محدود وفاني ،

لكنه ذكي يستخدم مواهبه ليخترع أو يتقن ، لكي يؤمن على وجه أفضل فافضل متطلباته التي تسمى غذاءاً ولباساً ومسكناً وأود حياة . وتنشأ عن تنوع استجاباته آلاف ضروب الأنشطة في الزراعة والحرف ، وكلها تؤدي إلى نشوء المدن والفنون والتجارة والعمل (٥٩) .

وهذا إنشاء ذهني كامل ، لكنه خيالي طبعاً . ويفتش المسعودي (٦٠) عن أسباب الشك في تاريخ الشعوب وتقاليدها . فالحكمة تقضي أن يصغي المرء « إلى الأموات يتكلمون نيابة عن الأموات » إلا أن هذا المبدأ السليم . طبقته فارس وحدها ، فيما يبدو ، وهو فعلاً حالة شاذة تثبت القاعدة : « وهم يراعون من تواريخ ما سلف ما لا يراعيه غيرهم لأن الفرس تدين بما وصفنا قولاً وفعلاً ، وغيرهم من الناس يقول ذلك قولاً ولا ينقاد إليه فعلاً ، لشبان أهل الشرائع » .

والعبرة واضحة في الدين ، خاصة بالنسبة إلى الإسلام ، الذي يحارب المعتقدات الأخرى مهما كان رأي المسعودي ، ويتعرض إلى انشقاقات داخلية . ويأسف المقدسي وخاصة ابن حوقل لهذا الوضع . ولا يلام التاريخ ، مثلما نلاحظ ، ويكمن الخطأ في سوء استعماله أو في نسيانه . ولا يخسم اخوان الصفا الموضوع تماماً . فالتاريخ في اعتقادهم يخضع إلى قرانات الكواكب بمددها المتفاوتة بين يوم واحد والـ ستة . وإلى تأثيرها في التمتع بالصحة أو حدوث الأمراض ، وفي كثرة الخيرات أو القحط ، وفي تغيير الدول والسلالات :

(٥٩) مقدمة ، م ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٧٦ ، ١٧٧ وعلى وجه العموم الكتاب الثامن من عمله .

(٦٠) المسعودي (م) ، فقرة ٥٦٢ ، ٩٨٦ - ٩٩٠ .

« اعلم ان الاحداث على الارض تتقلب وتتغير ، فتنطوّر عند البشر من عصر الى عصر ، ومن امة الى امة ، ومن بلد الى بلد . واعلم ايضا ان لكل دولة زمنا محدداً لتنشأ ، وذروة ترتفع اليها ، ونهاية تنقرض فيها : ومتى بلغت مسارها ، وانقضى عمرها حتى آخره ، عندئذ وبسرعة ، يبدأ الانحطاط والانحدار ، ويظهر عند رعاياها السر والذكر » (٦١) :

إذن مجرى التاريخ دوري ، لايجر شؤماً عظيماً . ويكفي انتظار أيام أسعد متى اقتضت (٦١) الحال . وهذا هو الوضع في الوقت الحاضر ، الذي يبدو فيه الأفق مكفهراً ، ويتوقع أن يصبح مدلهماً في وقت قريب ، وقد أعقب زوال الوهم الشك ، وبدت أميره وما يفوقها عند اليعقوبي . فصحيح أن كتابه يعطي انطباعاً آخر لأول وهلة ، وينظم العالم من بغداد ، ويشيد إلى أقصى حد بهذه العاصمة : فهي مدينة مدورة . مبانيها فخمة ، أنشأتها ارادة خليفة واحد أوحد ، ونسقتها على صورة العالم ، حول عرش قائم في وسطها ، وجعلت شوارعها وحماماتها لأخصى ، وهي ، باختصار ، مدينة مثالية ، قررت النجوم خلودها لاسعاد العالم أجمع (٦٢) .

وهذه الفكرة قديمة ، شاعت من أيام بابل ، وتهافت عليها مؤلفون غير اليعقوبي (٦٣) . لكن من لايلحظ الشبهة الكامنة في هذا

(٦١) اخوان الصفاء ، ١ روماني ، ١٥٤ - ١٥٥ ، ١٨٠ - ١٨١ .

(٦٢) اليعقوبي ، ٢٣٣ - ٢٣٧ .

(٦٣) قدامة ، ٢٣٤ ، ابن الفقيه ، ٦ ، المسعودي (م) فقرة ٣٩٥ ، ٥٢٢ ، =

الإلحاح؟ لأن جميع هذه الأمور تُقال وتُكتب ضد مجرى التاريخ الحقيقي ، بدءاً من اليعقوبي نفسه ، الذي تقيد ، في جميع الأحوال ، بفلسفة عصره التي تتلخص في القول المأثور : « هكذا تزول أمجاد الدنيا » وعلق على إنهيار آل طاهر ولاية خراسان ، فقال : « ومع انقضاء الدول ، تزول الأمور ، وتتغير الأحوال ، ويقع العجز ، ويظهر التقصير » (٦٤) . من جهة أخرى ، يعرف اليعقوبي جيداً جداً قوى التفكك التي تنتاب امبراطورية بغداد ، ويتشبث بتمجيد عظمتها خلافاً لكل ما يجري : فجده الثالث اشترك في مؤامرة هلك فيها ، وآلت إلى انفصال أدارسة المغرب . ولا يسعه أيضاً أن يتجاهل ثورة الأمويين في الأندلس ، ولا استقلال آل طولون شبه الكامل في مصر ، وقد تغنى بجلال ملكهم الغابر (٦٥) . ويحذو حذو اليعقوبي سائر المؤلفين ، ويشيدون ببغداد بعد مرور ما يقرب من قرنين على تأسيسها . ويثنون على بلد العراق ، كما لو أن شيئاً جديداً لم يحدث بعد : فهم يكذبون على أنفسهم ، وإن كانوا أحياناً يكشفون زاوية من زوايا الستار . مثاهم ابن الفقيه ، الذي يكرر الأخبار القديمة وينسب المدين بدمارها في المستقبل ، ويقول : « إننا نجد في الكتب أن الأرض كلها ستخرب قبل الشام بأربعين سنة . فمكة يخربها الحبشة ، والمدينة الجوع ، والبصرة الغرق ، الكوفة الترك ، والجبال تخرب بالصواعق والرواجف ، وخراسان بأصناف العذاب ، والري يغلب عليها الديلمية

= ٩٨٦ - ٩٨٧ ، المسعودي (ت) ، ٥٥ وما يليها ، الثعالبی ، ١٠٥ - ١٠٧ ، الجاحظ مناقب الترك ، ١٦ .

(٦٤) اليعقوبي ، ٣٠٨

(٦٥) انظر رثاء هذه السلالة ، اليعقوبي ، ٣٧١ - ٣٧٢ .

والطبرية ، وأما أرمينية وأذربيجان ، فيهلكان بسنابك الخيل من الجيوش ، وبالصواعق والرواحف ، ويلقون من الشدة ما لا يلقاه غيرهم . وأما حلوان فتهلك بهلاك زوراء » (٦٦) . وتقرن الإشادة بالماضي السعيد ، عند المسعودي ، بالتحسر على الحاضر إنما ما حدث في دار الإسلام لم يكن سوى سرورة أقدم قانون بشرى في الدنيا ، نعني أن الإنحطاط يعقب حتماً الأذهار والمجد ، وقد علق المسعودي على الثورات في الصنن فقال : « وتغلب كل صاحب ناحية من عمله على ناحيته ، كتغلب ملوك الطوائف ، حين قتل الإسكندر بن فيلبوس المقدوني دارا بن دارا ملك فارس ، وكنحو مانحن في سبيله في هذا الوقت وهو ستة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة » (٦٧) .

ساور الشك الجغرافيين ، ثم زال الوهم من أذهانهم ، وظهر القاق الصريح . ثم خطوا خطوطهم الأخيرة في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . وأولهم المقدسي . فقد دون اثر وفاة عضد الدولة البويهى أبيات شعر انشده اياها بعض الخدم ، وذكروا أنهم سمعوها

(٦٦) ابن الفقيه ، ٢٥٧ - ٢٥٨ . عوضاً عن « ترك » ، يمكن ان نقرأ أيضاً « ترك » . الجبال اي الهضبة الايرانية ، الري رهاجس القديمة قرب موقع طهران الحالية . وحلوان مدينة واقعة على الحدود العراقية الايرانية . وخراب الزوراء وارد في مخطوط آخر (انظر ترجمة ماسيه - بيلا ، ٣١١ ، حاشية ١ : « زلزلة تقلبها رأساً على عقب ») .

(٦٧) المسعودي (م) فقرة ٣٣٥ . انظر أيضاً الفقرات ٣٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٩٥ ، ٥٠٤ (هامة وفيها عوامل انحطاط تقاومها فارس على وجه أفضل ، في منظور الذهنية الميينة من قبل) ، المسعودي (ت) ، ٥٠٧ . بشأن الاشادة بالحقب السعيدة ، انظر المسعودي (م) ، ج ٧ ٢٧٥ وما يليها ، ج ٨ ، ١١٣ وما يليها ، وقبل ذلك ، ابن خرداذبة ، ٩٩ - ١٠١ .

من فم السلطان عند موته ، تضمنت أن لابقاء للملوك في الدنيا ، وأن مصيرهم اخلاء قصورهم الفخمة والانتقال إلى حفرة اللحد (٦٨) . وهذه الفكرة تافهة بحد ذاتها . لكنها ترسخت في الأذهان على ضوء أحداث الساعة . فكل شيء ينطلق في هذه الحالة نوعاً ما ، من انوضع الذي أوجده الخلافة الجديدة في القاهرة والمقدسي يتعاطف معها — وهذا أقل ما يمكن أن يقال عنه من هذه الناحية (٦٩) — ويعلن صراحة أن « بغداد نسخت إلى يوم الدين » (٧٠) . لكن لم يقل أحد أن مصير القاهرة نفسها آيل أيضاً إلى الإنحطاط في يوم من الأيام . وبالمقابل ، يلج الجغرافيون على بغداد ، ويكيلون لها المديح (٧١) الذي يبدو شكلياً ويمتزع بشعور الأسى على الماضي ، لأن معاينة الإنحطاط تلي مباشرة الإطراء : فالعراق وبغداد « في كل يوم إلى الوراء » ، ويخشى أن تعود بغداد في وقت قريب كسامراء ، منافستها العابرة ، يسود فيها « كثرة الفساد والجهل والفسق وجور السلطان » (٧٢) . وتجري آت جميع هذه الأمور في ظل تهديد مزدوج ، يتمثل في خطر خارجي آت من بيزنطية التي تضغط على المناطق الشمالية وعلى شواطئ إقليم الشام ، وفي خطر مرض داخلي ناجم عن قلة اهتمام المسلمين بلغتهم وثقافتهم (٧٣) .

(٦٨) المقدسي ، آخر ٤٤٩ - ٤٥٠ .

(٦٩) المقدسي ، الترجمة ، ص ٢٥ - ٢٨ روماني .

(٧٠) المقدسي ، ١٩٣ ، بشأن مدح القاهرة ، المرجع ذاته ، و ١٩٧ ، ١٩٩ .

(٧١) المقدسي ، ١١٣ ، ١١٩ - ١٢٠ .

(٧٢) المقدسي ، آخر ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٣١ .

(٧٣) المقدسي ، ١٥٢ ، آخر ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٧ (الرباطات الساحلية دليل

على الخطر القادم من البحر) ، ١٨٣ ، آخر ١٨٨ - ١٨٦ (ترجمة ، ٢٣٨ حاشية ١١٧) .

جغرافي مصمم على التشاؤم : ابن حوقل

وسوف يتخذ الخطران المنوه بهما شكلاً بارزاً جداً عند ابن حوقل. ويبدو تشاؤم المقدسي أدق وأضعف نهجاً : فهل تأثير البحث بتنظيم المصنف الإجمالي وبدقة تفاصيله وتوزيعه إلى أقاليم ، كما لو أن عرض مملكة الإسلام في خريطة وفي كتاب ككتلة متماسكة مقسمة تقسيماً عقلانياً ، يثبت ويقنع أن وحدة دار الإسلام « ما تزال قائمة » في الحقيقة والواقع ؟ مهما يكن ، يتميز كتاب ابن حوقل بالحماس الضعيف والسياق الحر ، مما يسمح بسهولة بانتهاز فرص التباكي التي لا تخصي . فغارات الروم زادت عند ابن حوقل عما كانت عند المقدسي . ومن يطالع كتاب صورة الأرض ، يشعر كما لو أنه يقرأ خريطة الإحتياجات والخراب . فالبكاء على مآسي الدهر (٧٤) لا ينتهي فيه ، ويستغرق صفحات طويلاً . ويبدو اقليم الشام والجزيرة أراضي مدمرة ، ويرد اسم القائد البيزنطي نففور فوقاس في النص (٧٥) ، وتدخل جيوشه البلاد . فخربت الأرياف التي عاد إليها البدو ، وأحرقت المدن ، وأستعبد الأهالي ، وفرضت ضريبة تدفع للغزاة ، ودمرت القرى . فتوقفت القوافل عن المجيء ، وفقدت مناطق واسعة ، وانتشر النصراني في جميع الأماكن تقريباً. وفي هذا القدر ما يكفي من تعداد الكوارث الأليم . لكن هل تقع المسؤولية برمتها على الروم ؟ ان المشهد حزين في الأقاليم الأخرى حتى لو كانت بعيدة . ف « ليس بجميع الأندلس مسجد خراب » (٧٦) ، وهي زاهية . وقد أشرنا إلى فخامة سمرقند وبخارى

(٧٤) ابن حوقل ، ١٧٦ - ١٨٤ ، ١٨٨ ، ٢١٠ ، آخر ٢١٢ - ٤١٣ ، ٢٢٣ ، آخر ٢٢٤ ، ٢٢٧ .

(٧٥) ابن حوقل ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٧ .

(٧٦) ابن حوقل ، ١٩٦ .

أو إلى روعة طبيعة جبال أذربيجان (٧٧) . مقابل ذلك ، ينتشر الخراب بكثرة من العراق إلى أفغانستان (٧٨) . إذن ما هو مصدر الشر ؟ الحكومة بلا أدنى شك . فالولاة العقلاء ، أقران سامازي خراسان ، سعداء ونادرون : فهم يرزقون جندهم وعملاءهم بانتظام ، ويجيون ضرائب عادلة ، ويسهرون على وجود الإدارة الحكومية على كافة أراضي أقاليمهم ، حرصاً على الطاعة والتضامن عند الرعية وعلى بقاء العرش (٧٩) هؤلاء الولاة سعداء وحكماء ، فما هو وضع الآخرين ؟

تنتهز السلطات المحلية الفرصة عندما تسوء أحوال الدولة في القمة . ولتفتح سجل النقد . ففي صقلية ، انهال ابن حوقل باللوم على المعلمين ، وحوالي قزوين على التجار والنساخ والجيش ، وفي أفغانستان على الجيش أيضاً (٨٠) ، وفي جميع الأماكن تقريباً على الولاة (٨١) الذين يتسببون بتدني الأخلاق العامة . وعلى هذا الأساس ، علل وضع إحدى المدن الواقعة على التخوم التركية ، وقال عنها : « قد شربت من الإختلال شربة ليست بالقوية » (٨٢) . وعليه أيضاً ، قال أيضاً في كتاب صورة الأرض ان نشأة الميل إلى الجغرافية عنده ارتبطت باضطرابه إلى التغرب في أعقاب « تواصل الشدائد على أهل

(٧٧) ابن حوقل ، ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٧٨) ابن حوقل ، آخر ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤٤ ، ٣٨٢ - ٣٨٣ ، ٤٢٥ ،

٤٥٠ .

(٧٩) ابن حوقل ، ٤٦٩ - ٤٧٢ .

(٨٠) ابن حوقل ، ١٢٦ - ١٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٨٢ ، ٤٥٠ .

(٨١) انظر صيفاً أخرى . ابن حوقل ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥١ ، ٣٨٢ ، ٤٢٥ ،

٤٩٦ (نموذج سعيد في خراسان) .

(٨٢) ابن حوقل ، ٣٨٢ .

المشرق والعدوان ، واستثناس سلاطينه بالجور بعد العدل والطغيان» (٨٣) .
وحدث كل ذلك في جو من الكوارث الطبيعية ، كما لو أن المصائب
تقترن بالأذية .

والحقيقة أن أفدح أخطاء الساطة أن تتدخل في النظام القائم .
وينطبق هذا النقد ، الجارح في الغالب ، على الحمدانيين في الشام
والجزيرة ، وعلى البويهيين في الجبال ، وأحياناً على الفاطميين أنفسهم
في القاهرة (٨٤) رغم ما يلقون فيها من تأييد . ونلح كثيراً على الحمدانيين ،
لأن الروم الذين ينازعونهم على أقليم الشام الشمالي وعلى قطاعات
كاملة من الجزيرة : لا يعللون جميع الأحداث . فقد استطاعوا أن
يتسللوا بسهولة إلى هذه المنطقة وأن يتجولوا في جميع أنحائها ، لأن
الحمدانيين اثروا بأعمالهم مباشرة أو بنتائجها الثانوية ، فافقروا
البلاد ، وجعلوا أهلها أمهزامين وخائري القوى وفاسدين . ويخص
ابن حوقل هذه الناحية (٨٥) بحوالي ٣٠ صفحة ، احصيت فيها مالا
يقل عن ٢٨ مناسبة ، أُلِّب فيها ، سواء بكلمة أو بجمل طويلة ، انحطاط
الأخلاق والتهاون العامين عند السلاطين وعند العامة .

ولنستعرض هذا الثبوت ، لنختار منه بعض الصيغ المقنعة جداً .
ونذكر التقرير أولاً :

(٨٣) ابن حوقل ، ٣ .

(٨٤) ابن حوقل ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٧٧ وما يلي ، ٣٦١ .

انظر أيضاً المرجع ذاته ، ٤٢٥ بشأن سجستان ، حول الموضوع العام : « في الماضي عندما
كانت الأمور تسير جيداً » .

(٨٥) ابن حوقل ، ١٧٦ - ١٨٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ - ٢٢٣ .

« ويجوارها من السلاطين والبوادي والقروم والملوك من قد أشغله
يومه عن غده ، وحرامه وحطامه عما أوجب الله تعالى والسياسة
والرياسة عليه. فهو يلاحظ مافي أيدي تجار بلده ، ويشتمل عليه ملك
رعيته ، ليوقع الحيلة على أخذه ، والشبكة على صيده ، والفخ على
مانصب له . . . لأن سلاطينهم أكثر ما يظهر منهم الرغبة فيها ارادة
التسمية على منابرهما ، والدعاء لهم بها ، دون مايجب لأهل الثغور
على الملوك من تقوية بالمال والكراع والرجال والعدة والعتاد . . .
لأنهم بالجمع والمنع في شغل عن صلاح الرعايا وتأمل الرزايا » (٨٦) .

وننتقل الآن إلى الرثاء : « ثم هادن الروم أهله خوفاً مما علق ببلاد
المسلمين من الخذلان وهلاك السلطان وقلة الإيمان ... وكان الناس في
وقتنا هذا في شغل باحزانهم عن ذكر سلطانهم وهلاك أديانهم . . .
غير أن للإسلام فيما عليه نفوس أهله وقلوبهم ، شأناً في انتشار الكلمة
وفساد الحال ، وكثرة العناد والخلاف والإشتغال بطلبه بعضهم لبعض ،
ما خلا به الروم سربهم ، فطالت أيديهم إلى ما كانت مغولة عنه
وأطعماعهم محسومة منه » (٨٧) .

وتتبدل اللهجة في أماكن أخرى ، ويتناول الحديث التنبؤ بأشكال
متنوعة ، أو التثبت من حدوثه عندما يتحقق : « وهلك . . . من المتاع
والجهاز . . . مافي اعادته على وجهه إرماس لمن سمعه ، ووهن على
الإسلام وأهله » [. . .] وقد أقام كثير من أهلها (اللاذقية) فيما

(٨٦) ابن حوقل ، ١٨٠ ، ٢٢٣ .

(٨٧) ابن حوقل ، آخر ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٠١ (انظر الترجمة المختلفة قليلا ،
جغرافية دار الاسلام ، ج٢ ، ٤٧٣) .

رضوا منهم فيه بالخزيرة . . . وأظنهم بأخرة صائرين إلى النصرانية
أنفة من ذلة الجزية ، ورغبة مع حذق المؤونة في العز والراحة [. . .]
وقد اختلت ، وتغيرت ، وانتقلت املاكها (الخزيرة) ، وياد رجالها
وأربابها ، وتنصر أبطالها » (٨٨) .

ويتراءى الرثاء في بعض الأحيان الأخرى في وصف لوحة طبيعية .
مثال ذلك الإشارة إلى أحد الأرياف المهجور : « والاوسل نزه ،
كثير الشجر والتمر والخضر والفواكه والكروم . . . فهو الآن كالبور
مع شرف حال هذا الاوسل ومكانه من الريح ، إذا زرع . وفي أعاليه
ساقية نسقي شيئاً من الأرض إذا زرعت بماء تافه ترب » (٨٩) .
وفيما عدا ذلك تحل اللعنة : « لولا مامنوا (أهل راس العين) به من
البحر الغالب ، والبلاء الفادح ، ممن لارحم الله منهم شعرة ، ولا
ترك من نسلهم أحداً ، ليجعلهم آية وعبرة » (٩٠) .

أخيراً يستعين ابن حوقل بالآيات القرآنية وبالشعر : فسألت
النيات ، وفتحت الأعمال ، وارتفعت البركات ، ولج المملوك في
الإستثمار بالأموال ، والعامّة في المعاصي على الإضرار . فهلك العباد
وتلاشت البلاد ، وانقطع الجهاد . وبذلك نطق وحيه تعالى إذ يقول :
وإذا أردنا أن نهلك قرية ، أمرنا مترفيها . . . فهلكت وهلكوا ،
وذهبت وذهبوا ، وكأنهم لم يقطنوها ، وعفوا وكأنهم لم يسكنوها ،
حتى لصاروا كما قال جل ذكره : هل تحس منهم من أحد أو تسمع

(٨٨) ابن حوقل ، ١٧٧ ، آخر ١٨٨ ، ٢١٠ .

(٨٩) ابن حوقل ، ٢٢٠ ، مستشهد به في جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٤٩ .

(٩٠) ابن حوقل ، ٢٢١ .

لهم ركزا . . . فلم يبق (ناصر دولة) لهم باقية وبددهم في كل قطر وزاوية . ولم يبق لهم ثاغية ولا راغية حتى أكلتهم الشدائد ، وصبت عليهم بشؤمه المصائب ، فهم كما قال بعض سكان مكة من خزاعة عند خروجهم منها :

كأن لم يكن بين الحجوين إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر (٩١)
فهل في حديثنا عن التشاؤم شيء من المغالاة ؟ فنحن نلاحظ ، في الحد الأدنى ، أن جميع عناصر هذا التشاؤم متوفرة في الوضع . فالنكش بالذات قائم . والفوضى بأسّ السلطة نفسها متفشية (٩٢) . والإنغماس بالملذات سائد مع ماينتجم عنه من لامبالاة . والردة حاصلة (٩٣) مع أنها أسوأ مايمكن أن يطرأ لأنها تقضي على الإيمان . ولاريب أن دار الإسلام ظلت تمثل كلا يحيا حياة مبنية على عقيدة مشتركة رغم تباين المذاهب ، وعلى اللغة العربية ، كلغة تفاهم من أقصى أراضيها إلى إقصاها . إلا أن ابن حوقل يرى أن زوال هذا الكل ، كهيئة سياسية موحدة ، هو الفترة الكبرى الواجب استخلاصها من التاريخ ، فقيام ثلاث خلافات في القاهرة وقرطبة وبغداد حدث

(٩١) ابن حوقل ، ١٨٢ (القرآن ١٧ / ١٧) ، ١٨٤ ، القرآن ١٩ / ٩٨ :
وارد في جغرافية دار الاسلام . ج ٢ ، ٤٧٤ .

(٩٢) يتجلى قانون الانحطاط المحتوم في جميع هذه الأحداث ، لا سيما ان التذكير بالحقب السعيدة السابقة مستر ، هو والاشارة الى السلوك الجيد في البدء لدى الحكام الذين أصبحوا اشراراً في وقت لاحق : انظر مثلاً ابن حوقل ، ١٨١ - ١٨٤ ، آخر ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٩٣) تقف ضد الاسلام عند المرتدين الذين يحملون السلاح ، ابن حوقل ، ٢١١ . ٢١٣ .

يتجاوز حدود المقبول . وسوف يقضي المغول عليها جميعاً بعد انقضاء مايزيد قليلاً عن قرنين ونصف . وقد يكون تشاؤم ابن حوقل سابقاً لأوانه ، لكنه واضح بجلاء ، أوحى له بالقدرح والدم اللذين اختتم بهما هذا الفصل : « لاغيث ولا ناصر ، ومن للمسلمين بناظر ، والملاك فيهم هامل شاغر . والمالك جماع مناع ، والعالم يسرق ولا يشبع ، ويفتي بالباطل على مايلع ، ولا يخاف معاداً ولا مرجعاً . والفقيه ذئب أدرع ، في كل بلية يشرع ، وبكل ربح يسري ويقلع ، والتاجر فاجر مسقع ، لا يعاف حراماً ولا مطعماً . والديار والأعشار بيد الأعداء متسلمة . والأملاك مغتصبة مصطلمة . والأرض من أربابها إلى الله تعالى متظلمة » (٩٤) .

* * *

(٩٤) ابن حوقل ، ٢٠٥ (وارد في جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٤٧٤) :
مناع : يمكن فهم هذا اللفظ مثلما فهمته من قبل ، في مقطع آخر : مشغول دوماً بالمحافظة على نفسه .

الفصل الثاني

دار الإسلام

المذاهب ، الشعائر ، الأماكن

لاشي يوضح التنوع في دار الإسلام مثل الإزدهار الخارق في موافقها وتصرفاتها ومعتقداتها ، في ظل قول لا إله إلا الله ومحمد رسول الله (١) . ولا بد لنا أن نبدي رأياً ملاحظتين . الملاحظة الأولى نهجية مرتبطة بعجزنا عن الدخول في هذه المتاهة ، إذ يقتضي بحثها أفراد كتاب كامل لهذه الناحية ، وتوفر اختصاصي بالدراسات الكلاسيكية (٢) . لكن يجوز لنا ، في الحد الأدنى ، أن نبرز بعض

(١) سواء ختم الوحي بالنبوي (موقف السنة) أو استمر في ذريته (آله) مدة من الزمن أو ما يزال مستمرا (موقف بعض مذاهب الشيعة) . وهناك رأي خاص لكن محدود تقول به الغرابية ، وتظن أن الملاك جبريل اخملاً بنقل الوحي الى محمد لا الى علي ، لأنهما يشبهان أحدهما الآخر كما يشبه الغراب الغراب (وفي رواية أخرى أن جبريل مرته عصا الأمر الإلهي عن سابق عمد وتصميم) : انظر . غولزيهر ، م ١ (٢) ، ج ٣ ، ١١٢٤ - ١١٢٥ .

(٢) يجب على هذا الاختصاصي أن يستعين بأسماء المذاهب والطوائف الواردة بدقة في معجم الألفاظ في مكتبة الجغرافيين العرب : انظر ماييلي الحاشية ٤٦ .

الخطوط الرئيسية التي يسهل استخلاصها أصلاً : أما الملاحظة الثانية ،
فلها علاقة بأهمية العرض الديني عند مؤلفي الجغرافية : فالمصنفون
درجوا على تناوله ، بل توسعوا به ، حتى جاء المقدسي فجعله أحد
العناصر المحتومة في وصفه دار الإسلام اقليماً اقليماً . وأضاف إليه
تدوينات متفرقة هنا وهناك وفصلاً خاصاً في مدخل كتابه احسن
التقسيم في معرفة الأقاليم (٣) .

الاعتدال في الاسلام

تعد الجغرافية في العصور الوسطى ، كالتاريخ(٤) ، في أغلب
الأحيان ، شيعية في جوهرها ، عند ممثليها الكبار (٥) : إلا أن هذا
التعريف لا يستبعد البنية السنة ، أعني السنة الحكيمة . فصحيح أن هذه
الجغرافية تعد أدياً متوسطاً من جهة اصل مؤلفيها الاجتماعي وثقافتهم ،
لكنها متوسطة أيضاً بتعقل يدفعها غريزياً إلى رفض الغلو عند السنة
والشيعية على حد سواء . ونود أن نحاول توضيح هذه الفكرة بشي من الدقة :
فالنهج العام ظاهر عند ابن حوقل والمقدسي (٦) . فابن حوقل

(٣) المقدسي ، ٣٧ - ٤٣ .

(٤) انظر شارل بيل ، اللغة والأدب العربيان ، الطبعة الثانية ، باريس ، ١٩٧٠ ، ص
١٤٧ (تاريخ في جوهره معادي للامويين) و ف . روزنتال تاريخ نتائج المؤرخين
المسلمين ، لا يذن ، ١٩٦٨ ، ص ٦٠ - ٦٥ ، واماكن أخرى .

(٥) انظر بشأن اليعتوبي ، ترجمة وايت ، ١١ روماني (وحاشية ٢ - ٣) . عن
ابن الفقيه والمقدسي ، جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ١ ، ٣٠٠ - ٣٠٢ و ٣١٦ -
٣٢٢ ، والمقدسي ، ترجمة ، ٢٠ روماني و ٢٦ . عن باقي المؤلفين ، جغرافيين
أو غيرهم ، جغرافية دار الاسلام ، ج ١ ، اماكن متفرقة .

(٦) ابن حوقل ، ٣٥٠ - ٣٥١ ، المقدسي ، ٣٨ ، ٣٩ .

يذكر في سياق حديثه عن حقوق الدميّين على جانبي الحدود مايلي :

« قال عليه السلام : المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يقوم بدمتهم ادناهم ، وهم حرب على من سواهم . فلو أن رجلاً من أفناء المسلمين ، رضيته فئة منهم ، وهم في ثغر ، وأمرته عليهم ، واختبرته ، فوجدته عالماً عدلاً ، وحكم فيه على طريق النظر والمصلحة ، لم ولن وراءهم من المسلمين ، بشروط رآها فيمن جاوره من دور الحرب ، لم يكن لأحد نقضها شطراً وبطراً وذهاباً بالإعجاب إلى ما ليس للإنسان فعله » .

أما المقدسي فيروي أن جماعة من المرجئة احتجت بخبر النبي صلعم : يفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، إثنين وسبعين في الجنة ، وواحدة في النار : وقال بقية الأئمة لأمصيب إلا من وافق الحق ، وهم صنف واحد ، واحتجوا بالخبر الآخر اثنتان وسبعون في النار ، وواحدة بالجنة . وهذا أشهر إلا أن الأول أصح اسناداً . وهذا يعني أن المسلمين بأكثرية الساقطة على الصراط المستقيم . وتدعم أحاديث أخرى هذا الرأي ، منها « ألا ترى أن أصحاب النبي صلعم قد اختلفوا ، وجعل اختلافهم رحمة . وقال بأيهم اقتديتم اهتديتم . وقال سفيان بن عيينه إن الله تعالى لا يعذب أحداً على ما اختلف عليه العلماء » (٧) .

وقبل أن نعرف من ينبغي أن نستبعد ، نبقى لحظة أخرى مع المقدسي . فهو يرى أن كل شيء مبني على الرباعيات (٨) ذات الأصل الكوني والإلهي ، لأن لها نظائر في الأصول ، وهي أن خلق الإنسان

(٧) عن سفيان ، انظر الذهبي ، ج ١ ، ٢٦٢ - ٢٦٥ ، بشأن هذا التأويل ، انظر المقدسي ، ترجمة ، ٦٥ ، ح ٣٥ .

(٨) المقدسي ، ٤٢ - ٤٣ ، بعد العدول عن السباعيات (المقدسي ، آخر ٤١) .

من أربع ، والطبائع أربع ، والفصول أربعة ، وأركان الكعبة أربعة ،
والقرآن نزل أربعة. أربع ، أخيراً الكتب. الأربعة. والأشهر الحرم
الأربعة تدل أن الأمر على هذا المنوال في كل ما يتعلق بالدين ، حتى
لو أعلن المؤلف ، بسداجة حقيقية أو متكلفة « أن الرباعيات اتفقت
وما تقصدناها » (٩) .

وهكذا نشأت بانتظام في المذاهب : أربعة في الفقه ، وأربعة في
الكلام ، وأربعة في الحكم فيهما أي في الفقه والكلام ، وأربعة في
الحديث ، وأربعة مندرسة ، وأربعة رستاقية ، وأربعة غلب عليها
أربعة ، وتشكلت رباعيات أيضاً في الألقاب التي تستعمل أحياناً
للدلالة عليها ، وهي أربعة ممتدحة ، وأربعة منكورة ، وأربعة مختلف
فيها ، وأربعة معناها واحد ، وأربعة يميزها النحارير ، وأربعة لقب
بها أهل الحديث . وأصل مذاهب المسلمين كلها متشعبة من أربع ،
وأصحاب القراءات القرآنية على أربعة أقسام (أربعة حروف ضمن
الأقسام الأربعة الكبرى) . وعدلوا في أربع ، في النقاط المختلفة
عليها في هذا المذهب أو ذاك أو فيها جميعاً بلا تمييز ، أو في نقاط
يقبلها أحد المذاهب من أقوال المذاهب الأخرى . والصفات ونواحي
الضعف أربع هنا وهناك . أخيراً الأديان الذين هم ذمة أربعة (١٠) .

يلاحظ إذن أن تصنيف المقدسي العام رباعي ، دون أن يعلن
عنه صراحة ، وحتى دون أن يشعر به ، أو ثنائي إذا شئنا ، مع مضاعفة

(٩) المقدسي ، ٤٢ .

(١٠) المقدسي ، ٣٧ - ٤١ .

كل فئة . فمن جهة يعرض الإيمان حسبما يرى في مجمل تعاليم الإسلام أو في كل مذهب . . وتعرض المذاهب ذاتها من جهة أخرى ، وتحذف الخلافات فيما بينها أو تضحّم . ويتضح بجلاء أن آخر الحالات المعروضة ، أي التمييز بين المذاهب ، تنطوي على توزيع رباعي لأنها تنظر إلى مجالات التعاليم (فقه ، كلام ، حديث) ، والأطر الجغرافية (الأرياف على أنها مقابل المدن ضمناً) ، والتاريخ (طوائف أصلية أو فرعية أو مندرسة) ، وتقويمها (بلقبها أحياناً) . ويؤول جميع ذلك إلى اعتبار شتى التعاليم نسبية مهما كانت ، وإلى إدراج نسبتها في نظام الكون الطبيعي حسب مشيئة الله .

لكن مهما كان المرء متساهلاً ، فلا بد له أن يختار في وقت من الأوقات . ويعلق المقدسي على خبر النبي المذكور سابقاً ، فيعلن : « إن صح الخبر الأول ، فالهالكة هم الباطنية ، وإن صح الثاني فالناجية السواد الأعظم » (١١) . وبذا نرى أن هذا المؤلف يتدبر أمره لكي تشمل النجاة في جميع الأحوال جميع المسلمين أو كلهم تقريباً . وقوله اللاحق أهم من تعليقه السابق : « ولم أر السواد الأعظم إلا من أربعة مذاهب أبي حنيفة في المشرق ، وأصحاب مالك بالمغرب ، وأصحاب الشافعي بالشام وأقور والرحاب (١٢) ، وبقية الأقاليم ممتزجون ، قد بينت ذلك في شرح الأقاليم من هذا الكتاب » .

وتعبر النجاة الجماعية واضح في الحالة الأولى : فمعظم المسلمين ينجون لأنهم عقلانيون ضمناً ، ولا يستثنى إلا الشيعة الباطنية ، من

(١١) المقدسي ، ٣٩ . عن الباطنيين ، انظر ما يلي .

(١٢) أقور تعني الجزيرة ، والرحاب مجمل البلاد الجبلية الواقعة بين إرمينية

وإدريجان .

أنصار الباطن . والإستنتاج حاسم أيضاً في الحالة الثانية ، والنجاة
حاصلة ، لكن بطرق غير مباشرة : تؤدي دراسة بعض البلدان وحتى
بعض الأوساط الخاصة إلى التثبت من أن النجاة محصورة بالذين يتفقون
حيثما كانوا . وقطعاً يبدو هذا الإتفاق نادراً جداً ، فيشار إل إبراز
احتمال نجاحه . وهكذا يرفض المقدسي الصيغة العامة الواردة في الحالة
الأولى ، ويحتج بالإجاءات المحلية ، ليصون الناحية الأساسية وقد
يقال ، وهذا القول حق في ظاهره ، إنه يتخذ موقفاً يبين فيه أن الأكثرية
الضرورية لنجاة المسلمين لا تتوفر دوماً في دار الإسلام . لكن يعوض
المقدسي عما يفوته على المستوى الواقعي ، بما يكسبه على مستوى
الإيمان والعظة . ويعطي أمثلة تظل قطعاً أمثلة لما ينبغي عمله . فكلام
المرء لا يتغير ، سواء جلس يكتب مؤرخاً ، أم اعتلى المنبر داعية .
وما ينبغي عمله هو : اتحدوا تنجوا . ويذهل المرء إلى حد كبير لهذا
الإستنتاج ، لأنه يصدر عن مؤلف التزم بالتشيع — دون أن يذكره
إلا ليشجب تطرفه — وأبدى تعلقاً قوياً جداً بأبي حنيفة (١٣) ولا يزعم
أنه يفرضه على أحد :

بعض اصحاب الاصاله : الصوفيون

لاريب البتة أن كل ما يحيد عن الأكثرية والإعتدال في الإسلام ،
سواء صدر عن السنة أو الشيعة ، يثير الإهتمام أحياناً ، والتحفظ حتماً .
لنستمع إلى ما يقوله ابن حوقل (١٤) : « وقد انتحل قوم من الفرس
ديانات ومذاهب ، خرجوا بها عن المذاهب المشهورة ، فدعوا إليها ،

(١٣) انظر المقدسي ، ترجمة ٢٠ روماني . سنعود اليه فيما يلي .

(١٤) ابن حوقل ، ٢٩٤ .

وانتصبوا لها ، ولو أن إهمال ذكرهم وترك وصفهم ضرب من العصبية على الدين ، وباب من التحامل عليه ، لاضربت عنه » . بالتالي صلب العلاج حياً حتى مات (١٥) باسم الموضوعية التي يتحلى بها المؤمن الحق ، والمعرفة الضرورية للتمييز بين الخير والشر تمييزاً سليماً . ووصف بلا حقد ولا مراعاة ، سيره نحو حلول روح الله فيه وصلبه . ولم يذكر العلاج وحده ، بل سميت معه وجوه شهيرة (١٦) . وتجدر الإشارة إلى أن موضوع العلاج أثار قضية انتماء الصوفية ، كاملة برمتها ، إلى الإسلام الحقيقي ، وأبان أن الفضول الذي أثارته مغالاته نفسها تتناسب في ظني مع قلق المؤمن المتوسط .

وهكذا يصبح ابن حوقل قدوة ، ولا يصاغ موقفه دوماً صياغة واضحة تماماً ، لكنه يتكرر وينقل من كتاب إلى كتاب : ويبدو الزهاد والصوفيون الآخرون المذكورون في النصوص الجغرافية ، وكأنهم أناس غريبو الأطوار . مثال ذلك طائفة جبل اللكام (أمانوس) ، شمالي انطاكية ، المؤلفة من سبعين عضواً ، بلا زيادة ولا نقصان ، يحل فيها عضو جديد محل العضو القديم المتوفى (١٧) . والمثال الآخر أيضاً ، خلق من العباد ، في جبل عظيم بين بلاد قومس ونيسابور ، يأكلون من ثماره (١٨) ، ويأوون إلى كهوف . ويشار إلى أن الجبل مع ملاحظته يمثل في الحالتين عالماً متزويماً ، هامشياً ، وسرياً (١٩) . وسوف يشعر المقدسي بهذه الناحية هو وغيره من المؤلفين .

(١٥) ولد في البيضاء ، في فارس ، انظر ابن حوقل ، ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(١٦) انظر فيما يلي عن مواقف ابن حوقل من الشيعة المتطرف .

(١٧) الشمالي ، ٩٥ .

(١٨) المسعودي (ت) ، ٧٤ .

(١٩) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٥٩ وما يليها .

وَيَسَمُّ المقدسي بالصوفية الشعبية ، ويدرسها واقعياً ، باستثناء سفيان الثوري ، الذي يعتبر أحد ممثلي التصوف ، وإن كان بالأحرى محدثاً وعالم كلام (٢٠) . ففي شيراز وجد كثيراً من الصوفية (٢١) . وكتب (٢٢) عن صوفية خوزستان مايلي : « ولما دخلت السوس ، قصدت الجامع في طلب شيخ ، اسمع منه شيئاً من الحديث ، وعليّ جبة صوف قبرصية وفوطة بصرية . فدفعت إلى مجلس الصوفية فلما قربت منهم ، لم يشكروا الا وأنا صوفي (٢٣) . فتلقوني بالترحيب والتحية ، وأجلسوني فيما بينهم . وجعلوا يسألوني ثم بعثوا رجلاً ، فأتى بطعام ، فجعلت انقبض عن الأكل . وما كنت صحبت هذه الطائفة من قبل ذلك . فجعلوا يتعجبون من انقباضي وعدولي عن رسومهم . وقد كنت أحب أن أخالط هذه الطائفة ، وأعرف طريقتهم ، وأعلم حقائقهم . فقلت في نفسي هذا وقتك ، هذا موضع أنت فيه مجهول . فانبسطت اليهم ، فكشفت ثوب الحياء عن وجهي . فمرة كنت ارسلهم ، وكرة أزعم معهم ، وتارة أقرأ لهم القصائد ، وأخرج معهم إلى الرباطات ، وأذهب إلى الدعوات ، حتى والله حلت من قلوبهم وقلوب أهل البلد بحيث لا غاية ، ووقع لي بها اسم وقصدي الزوار ، وحملت إلي الثياب ، والصرر وكنت آخذة ، وأدفعه اليهم برمته في الوقت ، لأنني كنت غنياً ، في وسطي نفقة وافرة ، وأنا كل يوم في دعوة وأي

(٢٠) المقدسي ، ١٣٠ ، ١٨٨ (حول تلامذته في الجولان ، انظر مايلي) ، ٣٩٥ ،

و هـ . لا ووست ، الانشغافات في الاسلام ، الطبعة الثانية ، باريس ، ١٩٥٧ ، ص ٨٧

(٢١) المقدسي ، ٤٣٠ .

(٢٢) المقدسي ، ٤١٥ .

(٢٣) بسبب الصوف اشارتهم المميزة التي اعطتهم اسمهم .

دعوة . وكانوا يظنون أنني أفعلاه زهداً ، وجعل الناس يتمسحون بي ،
ويذيعون خبري ، ويقولون : لم نر فقيراً قط أفضل من هذا حتى
إذا وقفت على سرائرهم (٢٤) ، وعرفت مأردت منهم ، هربت
منهم في سجو ليلة ، فاصبحت وقد قطعت أرضاً . فبينما أنا يوماً
بالبصرة ، وعليّ ثوبي ، و غلام يتبعني ، إذ رأي رجل منهم ، فوقف
ينظر إلي شبه المتعجب ، فجزت عليه شبه المتكر « .

يصف هذا النص صميم الواقع ، ويقص حكاية صغيرة وسيرة
حياة لهما أهميتهما ، لكنه يمثل وثيقة هامة مزدوجة عن النصف الثاني
من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . فنحن هنا في طور انتقالنا
بين تجارب أوائل الصوفية الفردية أو المقتصرة على فئات صغيرة من
التلامذة حول معلمهم ، وبين الحركة الكبرى التي نظمت الأخويات
الحقيقية ، بفروعها ، التي ازدهرت بدءاً من القرن السادس الهجري /
الثاني عشر الميلادي على وجه التخصيص (٢٥) . لكن أخذ تطور

(٢٤) سرائر جمع سريرة ، تلميحاً إلى الباطنية الصوفية . يمكن العثور على أسماء
أخرى : فيما تقدم ، سمي صوفيو الأمانوس الأبدال ، وهي مرتبة من مراتب الصوفية
(انظر هـ . ج . كيسلنغ ، ١م (٢) ج ١ ، ٩٧ - ٩٨) . هنا يمكن تدوين : طائفة ،
طريقة . بشأن المعنى الدقيق ، انظر ل . ماسينيون ، ١م ج ٤ ، ٧٠٠) ، حقائق
(مبادئ ، حرفياً حقائق سرية ، انظر و . مديلونف ، م (٢) ، ج ٣ ، ٧٤ و ل . غرديه ،
الرجع ذاته ، ٧٨) . زعق (وتل ، حرفياً صرخ ، انظر م ج ع ج ٤ ، ٢٥٤ صاح ،
مطبقة في الذكر عند الصوفيين ، رباط (دير ، لكن ربما كان ماوى ، دعوة (صلاة
أو مأدبة جماعية : انظر دوزي ، ج ١ ، ٤٤٥ - ٤٤٦) فقير (متعب ، حرفياً :
فقير أمام الله : ك . ١ . نظامي ، ١م (٢) ، ج ٢ ، ٧٧٦) .

(٢٥) انظر د . سورديل الاسلام في القرون الوسطى ، باريس ، ١٩٧٩ ، ص ١١٠

. ١١٤

هام يظهر في الدهنيات منذ الآن : فقد أصبح بوسع الصوفية . حتى لو تكونت من تجارب فردية ، أن تنتشر ، بشهرتها في الحد الأدنى ، بين فئات واسعة من السكان . في الوقت ذاته ، صارت الأحكام المسبقة الأولية النظرية عليها ، مدعوة إلى التلاشي ، وفي النهاية سوف توافق عليها السنة المتشددة ذاتها .

إلا أن هذه الموافقة لن تشمل مباركة تطرف التصوف . فالإسلام المتوسط ، السني وغير السني ، أي إسلام الأكثرية ، سوف يبقى في منتصف الطريق مثل المقدسي ، نعي أنه يهتم ويحبذ المثل الأعلى الصوفي في الأخلاق والطهارة ، لكنه يناوئ كل ما يجحد عن الإيمان المقبول عند الجماعة المؤمنة بكاملها . وتدعونا نصوص أخرى من المقدسي إلى الإشتراك في هذا الشعور . فقد كتب المقدسي (٢٦) في مدخل كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم مايلي ، عندما كان يذكر القارىء بالمواقف الحرجة التي مر بها ، لكي يجمع مادة كتابه ، وقال : . . . وأكلت مع الصوفية الهرائس ، ومع الخانقانيين (٢٧) الثرائد ، ومع النواقي العصائد . . . وصحبت عباد جبل لبنان » . إذن هؤلاء فئات هامشية ، لا يجتمع بها الإنسان إلا استثناءً وفي أماكن نائية ، كالبحر ، والمبنى المغلق المحجوز ، والجبل . وسوف يذكر الجبل مرة أخرى في مصنفه (٢٨) : « . . . وجبل لبنان كثير الأشجار والثمار

(٢٦) المقدسي ، ٤٤ ، وترجمة ١١١ (وحاشية ٨ - ١٠) .

(٢٧) حرنيا : أهل الخانقاه (قطعا من مذهب الكرمية) . انظر ج . شبي ، ١٣ (٢)

ج ٤ ، ١٠٥٧ ، والمقدسي ، ١٧٩ ، ١٨٢ ز ٢٣٨ ، ٣٢٣ ، ٣٦٥ ، ٣٧٩ .

(٢٨) المقدسي ، ١٨٨ و ١٨٩ (حاشية ١) .

المباحة . وفيه عيون ضعيفة ، يتعبد عندها أقوام ، قد بنوا لأنفسهم بيوتاً من القش . يأكلون من تلك المباحات ، ويرتفقون بما يحملون منها إلى المدن من القصب الفارسي (٢٩) والمرسين وغير ذلك . وقد قلوا به . أما جبل الجولان . . . وبه لقيت أبا إسحاق البلوطي (٣٠) في أربعين رجلاً ، لباسهم الصوف ، ولهم مسجد يجتمعون فيه . ورايته فقيهاً عالماً على مذهب سفيان الثوري . ورأيت تقوتهم بالبلوط ، ثمرة على مقدار التمر ، يفلق ويحلى ثم يطحن . وثم شعير بري يخلط به .

حالات خاصة جداً : الخوارج ، والمعتزلة ، والمرجئة

ظن الخوارج (٣١) بعض الوقت أنهم يمثلون طائفة ثالثة في الإسلام مع السنة والشيعة ، واسترعوا إنتباه الجغرافيين إلى حد كبير . ويلاحظ أن وجودهم يقتصر اليوم على بعض القنات المستقرة على التخوم الشمالية في الصحراء الكبرى ، أو على السواحل الشرقية في جزيرة العرب وأفريقية . أما في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، فقد كان انتشارهم أوسع بكثير ، على أرض دار الإسلام أو في الذكرى الحية من تاريخهم المضطرب . ويتحدث عنهم ابن حوقل والمقدسي ليس في الأماكن التي بقوا فيها فقط ، أعني طرابلس

(٢٩) قصب فارسي ، قصب دوفاكس المستعمل في البناء . انظر دوزي ، ج ٢ ، ٣٥٢ .

(٣٠) البلوطي ، رجل البلوط : سوف يأتي الشرح فيما بعد .

(٣١) عن وضعها واتجاهاتها (الازارقة ، الصفيرية ، الاباضية) انظر اليعقوبي ،

٣٤٣ - ٣٤٤ ، ٣٥٣ . ابن الفقيه ، ٦٩ - ٨٠ ، ابن رسته ١٧٤ وترجمة ٢٥٨ وما

يليه ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٦ ، ٢٥٢ ، المسعودي (ت) ، فقرة ١١٨ ، ابن

حوقل ، ٣٧ ، ٧١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٢٥٧ آخرها - ٢٥٨ ، ٣١٢ ، ٤٠٧ ، ٤١٩ ،

المقدسي ٣٠٥ - ٣٠٦ ، ٣٢٣ ، ٤٦٩ .

الغرب الداخلية التي انطلقوا منها وسيطروا على جنوبي تونس والجزائر ، بل أيضاً في اليمن ، وفي بعض جهات خراسان وخوزستان ، وفي كرمان وسجستان من ناحية الشرق . واشتهر الخوارج بالتدين القوي وبالشجاعة المطلقتين : فاربعون من شراتهم قتلوا نحو ألفين من الجند . وهم متطرفون بلا شك : فلا منابر في مساجدهم . لهذا السبب وربما لأسباب أخرى ، يعتبر المقدسي أن وجودهم في أحد البلدان يسبب له احراجات . ويعدهم ابن حوقل أصحاب بدعة . مع ذلك ، لما انتقضت الاضطرابات السياسية الكبرى في أوائل ثاريتهم ، بدوا موزعين هنا وهناك لكن جماعة ثابتة : فهم يملكون نصف بعض المدن ، ويتحالفون مع السلطات الرسمية ، ويبدون تماسكاً مايزال حتى الآن صفة من صفاتهم المميزة ، وقوة تعينهم على البقاء . والخوارج قلائل في مدينة بـم في كرمان ، لكنهم متضامنون وأهل يسار ، ولهم فيها مسجد جامع فيه بيت مالهم للصدقات .

والمعتزلة (٣٢) سنة ، اعترفت الخلافة العباسية بقضاياهم الكلامية مدة من الزمن . وفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، كان رسوخ عقيدتهم مايزال قوياً جداً من التبعية البربرية إلى ضواحي قابس واطراف الصحراء الكبرى ، وحتى كرمان ، مع غلبة بارزة في خوزستان . وعرف اثنان من مشاهير وجوههم ، هما واصل بن عطاء

(٣٢) انظر ابن رسته ٢٠٠ ، وترجمة ٢٥٨ وما يليها ، ابن الفقيه ، ٨٠ ، ٨٤ ، ابن حوقل ، ٧٠ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٢٨ ، آخر ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، آخر ٢٩١ - ٢٩٢ ، المقدسي ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٩٦ ، ١٢٦ ، ١٤٢ ، ١٧٩ ، ٢٠٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٣٢٣ ، ٣٦٥ ، ٣٧٩ ، ٣٩٥ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ (حاشية ١) ، ٤٦٤ ، ٤٨١ .

مؤسسههم ، والجباثي الذي قال عنه ابن حوقل انه « معلم ماهر ، وامام المعتزلة ورئيس علماء كلام زمانه » . ولا يجوز أن نغتر كثيراً بهذا الإطار ، فابن حوقل نفسه يرى في المعتزلة مروفاً من الدين ترافقه اعمال سلب في وسط البربر . أما المقدسي فيقول عنهم : « قد بغضوا أنفسهم إلى الناس بعلم الكلام ، وخالفوا بالإعتزال جميع الإسلام » ، ويقصد مخالفة مبنية على التصميم على الوقوف على الحياء في النزاعات بين جماعة المؤمنين (٣٣) .

مع ذلك يعود المقدسي إلى صيغة متنافرة جداً . ويراعي في مكان آخر حقوق الإعتزال المتوازن . فيعلن في مدخل كتابه مثلاً (٣٤) ان الممتدحة أهل السنة والجماعة وأهل العدل والتوحيد والمؤمنون وأصحاب الهدى . ، ويعني بأهل العدل والتوحيد في الواقع المعتزلة (٣٥) . من ناحية أخرى ، يتحدث مراراً عن النجارية ، ويبرز توافقها مع مذهب أبي حنيفة المفضل لديه ، لكنه يرى أن النجارية ليست سوى فرع من الإعتزال (٣٦) . ويتقيد المقدسي بموضوعة كبيرة ويدون وجود مذهب الإعتزال في جميع الأماكن في أراضي دار الإسلام ماعدا السند (٣٧) . ويذكره أيضاً في حديثه عن المدن ، وفي جملة شؤون الأقاليم فيدرجه دوماً (٣٨) في تعداد المذاهب . بتعبير آخر ، ينتشر اصحاب الإعتزال في جميع الجهات باعداد متفاوتة :

(٣٣) انظر سوردل ، مشار اليه ، آخر ٩٣ - ٩٤ .

(٣٤) المقدسي ، ٣٧ .

(٣٥) انظر سوردل ، مشار اليه آخر ٩٥ .

(٣٦) المقدسي ، ٣٧ ، ٣٨ ، ١٢٦ ، ٣٨٤ ، ٣٦٥ ، ولا ووست ، الانشقاقات ،

آخر ١٠٦ = ١٠٧ وأماكن متفرقة .

(٣٧) المقدسي ، ٤٨١ .

فهم أحياناً نادرون ، محتقرون ، مضطهدون ، كما في الشام والأندلس ، أو محدثون جليلة كبيرة ، كما في مصر أو نيسابور ، أو يشكلون أكثرية ، كما في خوزستان التي يلح ابن حوقل (٣٩) على كثرتهم فيها. وعلى وجه الإجمال ، يقدم ابن حوقل والمقدسي صورة متباينة ، أن جاز هذا القول ، تتناسب مع مذهب تناول مباشرة قضايا الإيمان الكبرى ، وأثار بلا شك نقاشاً واسعاً ، لكنه طبع بطابعه دار الإسلام في القرون الوسطى (٤٠) .

بقي أن نقول كلمة موجزة عن مذهب المرجئة . فابن حوقل يذكره مرة واحدة فقط ويعرفه على الوجه التالي : لا يجوز أن يقطع المرء على تخليد أهل الكباثر في النار (٤١) ويرى أن المرجئة ظاهرة عراقية على التخصيص ، بينما يشير إليها المقدسي في حديثه عن جبال اقليم الجبال : « وجبال الحرمينية ممتعة . وهم قوم مرجئة . . . لا يغسلون من جنابة ، ولا رأيت في قراهم مساجد . وجرى بيني وبينهم مناظرات فقلت ألا يغزوكم المسلمون ، وأنتم تعتنقون هذا المذهب قالوا: السنا موحدين قلت : كيف وقد أنكروا فرائض ربكم ، وعطلتم الشريعة قالوا إناندفع الى الساطان في كل سنة اموالا جمعة » (٤٢) . ويشتط هؤلاء الأتقياء ، فيفصلون أعمال الإيمان بعضها عن بعض ، ويواضعون الله في قبولهم الاعتراف بشيء من أعماله (٤٣) . لكن

-
- (٣٨) مقابل المرور بالنجارية أو باثارة نقطة اساسية من مذهبها ، مثل خلق القرآن : المقدسي ، ٣٦٥ ، ٣٩٥ (عن الوعد والوعيد ، انظر ابن حوقل ، ٧٠ ، آخر ٢٥٤ ، آخر (٢٩١) . عنوان مذاهب كرمان لا يذكر المعتزلة ، لكن يشار إليها في إحدى مدن الاقليم ، السرجان : المقدسي ، ٤٦٤ ، آخر ٤٦٨ - ٤٦٩ .
- (٣٩) المقدسي ، ١٧٩ ، ٢٠٢ ، ٢٣٦ ، ٣٢٣ ، ٣٧٩ ، ٤١٥ .
- (٤٠) انظر سورديل ، مشار اليه ، ١٠١ .
- (٤١) ابن حوقل ، ١٢٨ .
- (٤٢) المقدسي ، آخر ٣٩٨ - ٣٩٩ .
- (٤٣) انظر لاووست ، الانشقاقات ، آخر ٢٩ - ٣٠ واماكن متفرقة .

هل لهم هذه الأهمية الكبرى ؟ فلو استثنينا مغامرة المقدسي أوجدناه يضعهم في مقدمته حيث يعرض القضايا النظرية (٤٤) ، أي أنه ينتهز الفرصة ويصنفهم بالنسبة إلى سائر المذاهب . ولا يضيف شيئاً آخر ، ولا يعين توزيعهم المكاني ، وهذا يعني أن هذه الفئة من المؤمنين تهادن الآخرين ، وتدفع المال ليهادنوها . ولا يمثلون مذهباً منظماً ، بل اتجاهاً متعدد النواحي تتخيره أحياناً المذاهب الحقيقية (٤٥) .



جماعة من المثقفين أمام المسجد تصوير المكتبة الوطنية، باريس
(المصدر : مقامات الحريري، القرن الثالث عشر ، الكوفة)
(المكتبة الوطنية ، المخطوطات العربية ٥٨٤٧ ورقة ٤٢)

(٤٤) المقدسي ، ٣٧ - ٣٩ .
(٤٥) انظر لا. ووست ، مشار إليه ، ٤٤٨ - ٤٤٩ والفهرس ، وسورديل ،
مشار إليه ، ١٠٣ وأماكن متفرقة .

التنوع والوحدة

يستحيل إنجاز عرض جميع مذاهب الإسلام ، على أتم وجه .
بتفاصيلها المتنوعة البارزة التباين بتفاوت ظاهر . وهذا ماقلته في مطلع
هذا الفصل . فقد احصيت في مصنف ابن حوقل ، وخاصة في كتاب
المقدس الشديدا العناية بهذا الموضوع ، مالا يقل عن ثلاثة وسبعين
اسماً لشتى المذاهب والاتجاهات في الإسلام (٤٦) . فماذا نعمل بهذه
المعطيات ؟ هل نرسم لها خريطة ؟ لكن ينبغي رسم عدة خرائط ،
بل عشرات الخرائط لكل اقليم ، ولكل بلد ضمن حدوده ، وأحياناً
لكل مدينة حياً حياً . فالتنوع والتداخل هما قطعاً القاعدة من أقصى

(٤٦) بالنسبة إلى الأسماء والتعابير التالية ، احيل اجمالاً الى معجم الفاظ ج ع ،
ج ٤ ، الذي يعطي الاجالات والشروح احياناً . واذكر ثلاث تسميات عامة : الشيعة
والخوارج والصوفية ، و ١٧ لقباً : هم المؤمنون، الشراة (الأسم شراية) ، الشكاك ،
غالية ، أهل الكلام ، اصحاب الحديث ، أهل السنة والجماعة ، اصحاب الهدى ، الباطنية ،
اصحاب الراي ، أهل العدل والتوحيد ، النواصب ، الروافض ، الزنادقة ، مراق ،
المشبهة ، غير المذكورين في معجم الألفاظ ، لكن انظر المقدسي ، ١٢٦ ، الحشوية
(نفس المعنى) ، اخيراً ٥٣ تسمية خاصة يتوافق بعضها احياناً ، لا سيما انها تدل في هذا
البلد أو ذاك على مذهب معين باسم آخر أو على مذاهب فرعية كالابيضية (بيض الثياب) ،
أهلية ، عاملية ، عروسية ، اشعرية ، عطائية أو زراعية ، ازرقية (غير واردة في
الألفاظ لكن انظر ابن حوقل ، آخر ٢٥٧) برهارية ، داودية ، فضليون ، جهمية ،
غيلانية ، حميرية (لكن انظر في معجم الألفاظ هذه التسميات) ، حنفية ، حنابلة
حسنيون ، حبيبة ، خرمدينية ، خوازمية (غير مذكورة في معجم الألفاظ) لكن انظر
المقدسي ، ٣٢٠ ، مع ذلك يمكن أن يقصد به أهل خوازم (الاباضية ، الادريسية
(غير واردة في معجم الألفاظ ، انظر المقدسي ، ٢٣٨) الاسماعيلية ، الكرمية ،
الكيسانية ، الكلاية ، المالكية ، المامونية ، المجبرية (المعجم : المجبرة) ، المنذرية ،
المرجئة ، المروشييين (القراءة مشكوك فيها : انظر معجم الألفاظ) ، الموسويين ،
المعتزلة ، النجارية ، النكارية ، القدرية ، القرامطة ، القطعية ، الراهوية ، الرستاقية ،
الرافعية ، السالية ، السمكية ، السرخسية ، الصديقية ، الطاقية ، الثورية ، العشاقية ،
الوهبية ، الواقفية ، الزعفرانية ، الزيدية .

دار الإسلام الى أقصاها . ويجب مضاعفة تلك الخرائط ، مراعاة لما طرأ هنا وهناك من تغييرات في مجرى التاريخ .

أذن لنبق في بعض الخطوط الكبرى التي أبرزها بجلاء الجغرافيون أو التي تنبثق بوضوح تام من وصفهم . ففي غربي دار الإسلام ، يبدو ان المغرب ، أرض دعوة للخوارج والإعتزال والتشيع ، حفز مجيء الفاطميين تزايد نشاطها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، بينما هيمنت السنة المالكية على نطاق واسع يقارب الحصر ، في الأندلس ، والسنة الحنفية في صقلية (٤٧) . وتتركز السنة نفسها ، حسب المقدسي ، مع الاتجاه الى الشرق ، فتغلب في مصر والشام والجزيرة والسند وخوزستان بواسطة المعتزلة ، وفي كرمان بواسطة الشافعية (٤٨) . لكن حتى هذه الأرجاء ، يظل التنوع مقبولا ، إذ ان المؤلف يدقق فكرته بعد أن يجزم بوجود أكثرية معينة . مثال ذلك فارس . فقد أعلن أنها سنة لكن تبين فيما بعد احتلال الشيعة والمعتزلة نطاقاً واسعاً (٤٩) على سواحلها . أما في سائر الأقاليم ، فيتم التخلي عن هذا النوع من الانتشار ، ويدخل عنوان مذاهب الإسلام مباشرة في صميم الجدل أي إظهار الفوارق ، أو يجعل التنوع نفسه عنوان البحث (٥٠) .

(٤٧) عن الخوارج والمعتزلة ، انظر ما تقدم . عن المذاهب الأخرى ، انظر ابن حوقل ، ٩٢٩١ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، المقدسي ، ٢٣٦ - ٢٣٨ .

(٤٨) المقدسي ، ١٤٢ ، ١٧٩ ، ٢٠٢ ، آخر ٢٦٨ - ٤٦٩ ، ٤٨١ .

(٤٩) المقدسي ، ٤٣٩ .

(٥٠) انظر ما تقدم ، مدخل ذكره المقدسي : « أما الاقاليم الأخرى ، ففيها تشابك . . . يلاحظ ان وصف الاقاليم دقيق تليقاً كبيراً ما ورد في هذا المدخل . بحث بلا عنوان : جزيرة العرب وفارس : المقدسي ٩٦ ، ٤٣٩ ، عنوان معان عنه في مظهر التنوع : =

أخيراً ، أعلن المقدسي أربع مرات (٥١) أن مذاهب أحد الأقاليم مستقيمة ، مما يثير قضيتين : في تساؤلين : ماهي هذه الإستقامة ، وهل يخفي هذا التعبير الوحيد وحدة حقيقة ؟ .

نقرأ ما كتبه المؤلف عن إقليم المشرق (٥٢) للإجابة على هذين التساؤلين : « ومذاهبهم مستقيمة ، غير أن الخوارج بسجستان ونواحي هراة ، كزوخ ، واستربيان ، كثيرة . وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة . وللشيعية والكرامية بها جلبة . والغلبة في الإقليم لأصحاب أبي حنيفة ، إلا في كورة الشاش وإيلاف ، وطوس ، ونسا ، وإبيورد ، وطراز ، وصنغاج ، وسواد بخارى ، وسنج ، والدندانقان ، واسفراين ، وجويان ، فانهم شافعية كلهم . والعمل في هذه المواضع على مذهبهم . ولهم جلبة بهراة ، وسجستان ، وسرخس ، والمروين (٥٣) . ولا يكون قاضياً إلا من الفريقين (٥٤) . وخطباء المواضع التي استثنينا ، ونيسابور أيضاً شافعية ، وأحد جامعي مرو (٥٥) أيضاً . إلا أن الإقامة (٥٦) به وبنيسابور مثني . وللكرامية جلبة بهراة ، وغرج

= العراق ، الديلم ، الجبال ، وخوزستان (حيث صحح التدوين مباشرة بالإشارة الى الاكثرية المعتزلة) : المقدسي ، ١٢٦ ، ٣٦٥ ، آخر ٣٩٤ ، ٤١٥ .

(٥١) المقدسي ، ١٧٩ (الشام) ، ٢٠٢ (مصر ، شبيهة بالشام) ، ٣٢٣ (المشرق) ، آخر ٣٧٨ (الرحاب) .

(٥٢) المقدسي ، ٣٢٣ .

(٥٣) عجائب الهند : مرو الشاهجان ومرو الروذ ، كلاهما على نهر مرغاب في خراسان .

(٥٤) يشار الى المذهبيين بلفظ الفريقين : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣١٥ .

(٥٥) لا شك انها الأكبر : مرو الشاهجان .

(٥٦) إقامة : انظر ت . و . جينبول ، ١٠٨٣ (٢) ، ج ٣ ، ١٠٨٣ .

الشار . ولهم خوائق (٥٧) بفرغانة ، والختل ، وجوزجان ، وبمرو الروذ خانقة وأخرى بسمرقند. وبرساتيق هيطل أقوام يقال لهم بيض الثياب (٥٨) ، مذاهبيهم تقارب الزندقة ، وأقوام على مذهب عبد الله السرخسي ، لهم زهد وتقرب (٥٩) . وأكثر أهل ترمذ جهمية . وأهل الرقة شيعة . وأهل كندر قدرية . والشار يصلي العبدن ، على قول عبد الله بن مسعود ومذهب أبي حنيفة (٦٠) يوالون بين القرائتين ، ويكبرون أربعاً (٦١) .

وهذا المقطع نموذجي . فاولا ، نجد فيه إيضاحات عامة ، تصحح بسرعة ، تكاد تكون ممحوة ضمن الكثير من الحالات الخاصة العائدة إلى المناطق والمذاهب ، وحتى المناصب الاجتماعية ، مع القضاة . ويعثر فيه أيضاً على نتائج عملية تتعلق بالمذهب ، كالشعائر أو قراءات القرآن ، بالاستناد إلى ابن مسعود . لكن نحن هنا على وجه التخصيص أمام تصنيف أساسي ، يعطي ممتاح موقف المقدسي وابن حوقل معاً من المذاهب الإسلامية . لدينا إذن ثلاث درجات أو بالأحرى ثلاث دوائر ذات مركز واحد . فعلى محيط دار الإسلام ، على أطرافه ذاتها ، تقع الزندقة الموصوفة ، التي تسخر من شريعة الوحي ومن الدولة التي

(٥٧) خوائق : انظر مقالة ج . شبي ، ١٢ (٢) ، ج ٤ ، ١٠٥٧ .

(٥٨) البيض (ابيضية) : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٦ .

(٥٩) تقرب (انظر دوزي ، ج ٢ ، ٣٢٢) ، مرادف (حاشية ر) : تقوى .

(٦٠) من الصحابة ، محدث ، قارئ ، ومفسر : انظر ج . ش . فادية ، « ابن

مسعود » ، ١٢ ١٢ (٢) ، ج ٣ ، ٨٩٧ - ٨٩٩ . عن العلاقة بين فكرته وفكرة أبي

حنيفة ، انظر لا ووست الانشغافات ، ٨٥ .

(٦١) عن هذه الصلاة ، انظر ا . ميتوش ، ١٢ (٢) ، ج ٣ ، ١٠٣٢ و ٨ .

لاووست ، شريعة ابن قدامة ، بيروت - دمشق ، ١٩٥٠ ، ص ٤٢ .

يجب عليها أن تستلهم منها سلوكها (٦٢) . ويشار إليها كما هي أو مخففة في عدد من بلدان دار الإسلام مع معتنقي الإسلام الجدد أو غير الثابتين أو المرتدين ، المتمردين على الدوام ، والمنزويين أصلا في منعاتهم الجبلية ، كما في مكران وعمان وأفغانستان ، وعلى التخوم الجنوبية لقزوين والجبال ، معقل الحرميين أو الحرميين ، أتباع بابك ، الذين لا يدينون في الباطن بدين غير الإباحة (٦٣) .

لنعد الآن إلى الوسط ، إلى المذاهب السليمة المستقيمة التي يتحدث عنها المقدسي . فهي تفهم أولا بالنسبة إلى جميع الضلالات التي لا تهدد كيان الإسلام ، بل تمنعه أن يدرك ذاته على الوجه الأكمل ، وتقع بين النواة والمحيط : كالحوارج والمعتزلة والمرجئة وحتى الصوفية في بعض مظاهرها . إلا أن ابن حوقل والمقدسي يدينان بوضوح تام على وجه العموم التطرف العقائدي عند أكبر مذهبيين فكريين تتبعهما الجماعة . فابن حوقل يميل إلى المالكيين من أهل السنة ، في المغرب في الحد الأدنى ، لاسيما أنهم غلاة ومتطرفون وأصحاب يسار (٦٤) ومن الشيعة ، إلى قرامطة أبي سعيد الجنابي في البحرين ومحمد بن علي الشامغاني (٦٥) ، ويقسو جدا بألفاظه على هذين الأخيرين ، مع أنه هو شيعي ، ويقول : « . . . وأما الجنابي . . . لعنة الله عليه . . .

(٦٢) زندقة ، لاوست ، الانشقاقات ، ٥٢ واماكن متفرقة .

(٦٣) ابن حوقل ، آخر ٣٨ - ٣٩ ، ٣٢٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ ، ٤١٩ ،

٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٥٠ ، المقدسي ، ٢٧٥ . آخر ٣٩٨ - ٣٩٩ ، ٤٧٨ ، ٤٨٩ .

(٦٤) ابن حوقل ، ٩١ - ٩٢ .

(٦٥) ابن حوقل ، ٢٩٥ - ٢٩٧ .

فقتل رجالها (هجر) ، واستعبد الأولاد من الصبيان والبايا ، واستباح حريمهم [. . .] فكان من لعنه الله منهم ولده الأصغر (أبو طاهر سليمان) [. . .] مخرب مكة ، وأخذ الحجر ، وفاعل كل كبيرة ، ومستحل كل عظيمة . « . وأما الشلمغاني « فإنه أيضاً ممن ظاهر بأمور من العلم ، ودعا الى الفقه والزهد ، وتزين بالورع والعفة [. . .] مع ذلك يسر شقاق الأمة ، ويعتقد بكفرهم ، ويرى أن الدار دار كفر ، وأهلها وأمواهم ومناكحتهم وحجبهم وغزورهم فاسد ، وجهادهم لازم [. . .] إلى أن هلك أيضاً صلباً ، وكفى الله أمره » (٦٦) .

مرة أخرى ، يعين المقدسي النظر ويحلل . ويمتد الغلاة ، مع أنه شيعي . فاهل قم مثلاً شيعة غالية ، قد تركوا الجماعات ، وعطلوا الجامع إلى أن ألزمهم ركن الدولة عمارته ولزومه (٦٧) . إلا أنه حذر جداً من السنة ، أولاً من جهة المشبهة الذين يشبهون الله ويصفونه بصفات المخلوقين (٦٨) ، ومن جهة معاوية ، أعدى أعداء

(٦٦) بشأن تدوينات اخرى عن الطوائف والمذاهب ، انظر أيضاً ابن حوقل ، ٣٣ ، ٢٩٢ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٤٠ ، ٣٤٩ ، ٣٦١ (أكثرية قم شيعية) ، ٣٧٠ (الجبال شيعية باجمعتها : احالة لم اذكرها من قبل في المخطوط الكبرى للخريطة ، لأنها تتناقض جزئياً مع السابقة ، ومتدرجة جداً عند المقدسي ، آخر ٣٩٤ - ٣٩٥) ، ٤٣٤ ، ٤٣٩ - ٤٤٠ واماكن اخرى .

(٦٧) المقدسي ٣٩٥ انظر أيضاً ما قيل من قبل حول خبر عن النبي يجعل الشيعة الباطنية فرعاً هالكاً في الاسلام ، والمقدسي ، ٢٣٨ (عن بعض الفاطميين المتمردين على الجماعة) .

(٦٨) المقدسي ، ١٢٦ ، ٤٠٤ (حاشية ١) ، ٣٦٥ ، ٤٠٧ ، ٤١٥ . عن الحبية ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢١١ .

الشيعة (٦٩) الذين يعدونه ملكاً عادياً ، وينازعون في صحة خلافته .
ويذكر المقدسي أنه جازف بحياته مرتين لامتداحه معاوية علناً ، مع
أنه لا يتحمل افراط الوعاظ الذين يقولون إن الله يذني معاوية يوم
القيامة ، فيجلسه الى جنبه (٧٠) .

وهناك مأخذ آخر يماثل الطعن السابق : استطاع معاوية والأمويون
في النهاية أن يبسطوا سلطتهم على جميع أراضي دار الإسلام نتيجة
السنة الواقعية ، التي تفضل ، عند حدوث الأزمات ، أن تساوم على
شرعية السلطة لاعلى السلام الضروري للجماعة . فهم ، على حد قول
المقدسي ، « يقدمون طاعة المخلوق على طاعة رب السماء » (٧١) .
ويتراءى خصم وحيد وراء هذه الانتقادات ، يتمثل في غلاة الحنابلة
الذين يشبهون غلاة الشيعة ، ويعتبر وجودهم في احد الأقاليم ارباكاً
له (٧٢) .

الله مع الاكثرية

أخيراً يبرز استنتاج واحد لا يتغير من جميع ماخصصه المقدسي
لمذاهب الإسلام واتجاهاته (٧٣) من تدوينات ، وملاحظات ، وتعليقات

(٦٩) لأنه نازع علياً على الخلافة . يكره الشيعة ابنه يزيد معه لأن الحسين بن علي
قتل في عهده .

(٧٠) المقدسي ، ١٢٦ ، ٣٦٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ (حاشية ب) ، ٣٩٦ .

(٧١) المقدسي ١٥٢ ، ترجمة ١٥٤ ، حاشية ٥٣ .

(٧٢) المقدسي ، ٣٧٥ (حاشية س) ، آخر ٣٧٨ - ٣٧٩ . ٣٨٤ ، ٣٨٨ ،

٤٥٧ ، ٤٨١ (عدم وجود الحنابلة في السند اطراء له) .

(٧٣) المقدسي ، آخر ٣٧ - ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٢٦ - ١٢٨ ،

آخر ١٣٣ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٧٩ ، ١٨٠ - ٢٠٢ ، ٢٣٦ - ٢٣٨ ، آخر =

ومناقشات : هو أنه يدافع عن وحدة الإسلام . ففي حديثه عن جملة
شؤون اقليم السند ، يعدد المذاهب فيه على عادته ، ، ثم يعبر عن
رضاه (٧٤) ، ويقول : « وليس به مالكية (٧٥) ولا معتزلة ، ولا
عمل حنابلة . انهم على طريقة مستقيمة ، ومذاهب محمودة ، وصالح
وعفة . قد أراحهم الله من الغلو والعصبية والمهرج والفننة » . ويشعر
بالسعادة ذاتها في بلدان التبعية السامانية . والسامانيون ولاية سنيون يقرون
ولو اسميا بسيادة بغداد ، وتسمح سياستهم الحكيمة أن يعيش جميع
الناس بسلام (٧٦) : فلعلهم النموذج لما ينبغي عمله في جميع الأماكن ،
لإبقاء حد أدنى من تماسك الجماعة ضمن تنوعها ، ولإنقاذ رمزهم
المعرض للخطر ، أي بغداد المخربة التي أصبحت ريفية . . .

تكلمت عن دفاع وحدة الإسلام . وعلي أن أنهي بحثه بهذا
المقطع (٧٧) من المقدسي : « وكل من رجع إلى أبي حنيفة أو إلى الشافعي

= ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٣٠٥ - ٣٠٦ ، ٣١٠ ، آخر ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ،
٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٥٧ - ٣٥٩ ، ٣٦٥ - ٣٦٧ ،
٣٧١ - ٣٧٥ ، آخر ٣٧٨ - ٣٧٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ (حاشية ب) ، ٣٩١ ،
آخر ٣٩٤ - ٣٩٥ ، آخر ٣٩٨ - ٣٩٩ ، ٤٠٧ ، آخر ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ،
٤١٣ ، ٤١٥ (وحاشية ج) ٤١٧ ، ٤٣٠ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ (حاشية ١) ،
٤٦٤ ، آخر ٤٦٨ - ٤٦٩ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ .

(٧٤) المقدسي ، ٤٨١ .

(٧٥) هذا من المقاطع النادرة في المصنف حيث يظهر نقد للمالكية (انظر ما تقدم عن
ابن حوقل) . وفي مكان آخر (المقدسي ، ٤١) يصف المؤلف اصحاب مالك بالثقل
والبلادة والديانة والسنة . انظر الألفاظ المذكورة فيما بعد .

(٧٦) انظر ما تقدم . الفصل الأول ، وابن حوقل ، آخر ٤٦٣ - ٤٧٢ ، وجغرافية
دار الاسلام ج ١ ٣١٧ - ٣١٩ .

(٧٧) المقدسي ، ٣٦٥ - ٣٦٧ ، يأتي الحديث بعد دفاع عن الكرامية المتهمين
بالابتداع ، في حين يرجعون إلى أبي حنيفة ، وتعاطف المؤلف مع أبي حنيفة معروف .

أو إلى أئمة الحديث الذين لم يغفلوا فيه ، ولم يفرطوا في حب معاوية ، ولم يشبهوا الله ، ويصفوه بصفات المخلوقين ، فليس بمبتدع . وأنا عازم على أن لا أطلق لساني في أمة محمد صلعم ، ولا أشهد عليهم بالضلالة ما وجدت إلى ذلك طريقاً .. ثم يروي المقدسي أقوالاً « جميلة ونبيلة » منسوبة إلى ابن مرة (٧٨) أحد أئمة الحديث .

فقد جاءه رجل ، قال له : إني رجل دخلت في جميع هذه الأهواء . فما ادخل في هوى منها إلا القرآن أدخلني فيه . ولم أخرج من هوى إلا القرآن أخرجني منه ، حتى بقيت ليس في يدي شيء ، فاجاب ابن مرة : « رأيت هل اختلفوا في أن محمد رسول الله ، وأن ما أتى به من الله حق . قال : لا . قال : فهل اختلفوا في القرآن أنه كتاب الله . قال : لا . قال : فهل اختلفوا في دين الله أنه الإسلام ؟ قال : لا . قال : فهل اختلفوا في الكعبة أنها القبلة ؟ قال : لا . قال : فهل اختلفوا في الصلوات أنها خمس ؟ قال : لا . قال : فهل اختلفوا في رمضان أنه شهرهم الذي يصومونه ؟ قال : لا . قال : فهل اختلفوا في الحج أنه بيت الله الذي يحجونه ؟ قال : لا . قال : فهل اختلفوا في الزكاة أنها من مائتي درهم خمسة ؟ قال : لا . قال : فهل اختلفوا في الغسل من الجنابة أنه واجب ؟ قال : لا . قال : فذكر هذا واشباهه ، ثم قرأ « هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم القرى وأخرى متشابهات » (٧٩) . قال فهل تدري ما المحكم ؟ قال : لا . قال : المحكم ما اجتمعوا عليه ، والمتشابه ما اختلفوا فيه . شد نيتك

(٧٨) متوفي سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م . انظر الذهبي ، ج ١ ، ١٢١ - ١٢٢ .

(٧٩) القرآن ، ٣ ، ٧/٥ .

المحكم وإياك والخوض في المثابه . ثم يستأنف المقدسي كلامه ويقول : « فرحم الله عبداً تدبر هذه الحكاية ، ولزم أحد المذاهب الأربعة الذين هم أهل السواد الأعظم ، وكف لسانه عن تمزيق المسلمين ، والغلو في الدين ، وشهدت مجلس القاضي المختار (٨٠) يوماً ، وهو أجل إمام لقينته ، وأعقلهم وأدينهم . وقد جرى فيه ذكر اختلاف الأمة ، وتعصب أهل الفرق . فإشار بيده إلى القبلة ، ثم قال : من صلى إلى هذه القبلة ، فهم اخواننا المسلمون » (٨١) .

الايان بالاعمال وفي الاسفار

لا يمثل الفقه كل شيء . فالإسلام يحدد ، بالإجماع أو في آراء متنوعة ، جملة حركات أو مواقف أو الفاظ ، قد يثير عددها وطرقها نقاشاً يرمي إلى تحديد الأصل والفرع . ويتعلق هذا الأمر بالصلاة ، والآذان ، والوضوء ، والشهود والعدل ، وصلاة الجنائز أو التزويج . ولا يفوت المقدسي تدوين جميع هذه النواحي (٨٢) .

(٨٠) القاضي المختار المشار إليه هو بلا ريب المهدي إليه المصنف ، النجاشي أبو الحسن علي بن الحسن : المقدسي ص ٨ (حاشية ، د) ٦٦ (حاشية ك من ص ٩٤) ٢٦١ (حاشية هـ) ٤٩٨ .

(٨١) يسيي المقدسي مرجعاً آخر فيما بعد ، ويروي عنه ما يلي (المقدسي ، آخر ٣٦٦ - ٣٦٧) : « وأعلم أن هذا التعصب الذي ترى ، إنما تورثه الجهال والمشرّفون من القصاص وغيرهم . عن القصاص وقصصهم ذات المفزى التي تستعمل للدعاية لشتى المعتقدات ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ١ ، ٢١٥ (حاشية ٢) ، ٣٤٣ ، وش . بيلا ، ١٣ (٢) ج ٤ ، ٧٦٣ - ٧٦٥ .

(٨٢) اخيل بشأن صلاة الجنائز أو التزويج الى ما سوف يقال عن الحياة اليومية فيما بعد . وعن النواحي الأخرى ، انظر المقدسي ٤٠ - ٤١ ، ١٠٠ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٣٨ ، ٣٢٧ - ٣٢٨ ، ٣٢٨ ، ٣٧٦ ، ٣٩٥ ، آخر ٤١٤ - ٤١٦ ، ٤٣٩ - ٤٤١ (حاشية ١) ، ٤٦٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ .

كذلك القراءات التي يُخصص لها عنواناً مستقلاً (٨٣) في كل اقليم من الأقاليم ، لكن ينبغي ابداء بعض الملاحظات بهذا الشأن . فطرق القراءة ست عشرة مثلما جاء في تمهيدات كتابه ، في حين أن المستعمل منها أربع عشرة ، مع تفضيل واضح اسبع منها ، أو عشر إذا شئنا . ويذكر المقدسي في القراءات اختياريين ، بمعنى منحيين تجديديين . وهذا يعني أنه يدعو إلى شيء من الحرية (٨٤) ، ولو باسمه شخصياً . لكن ما هو وضع هذه القراءات في الواقع ؟ إذا نظرنا بإمعان إلى خريطة هذا التنوع في مجمل أقاليم دار الإسلام ، لاحظنا أن جميع البلدان ، ما عدا فارس (٨٥) ، تستعمل إحدى القراءات السبع المقبولة على نطاق أوسع من سواها ، وأحياناً السبع في آن واحد (٨٦) . هنا أيضاً ، نرى أن الناس يميلون في بلدانهم إلى تنسيق تسوية بين الوحدة الضرورية والتنوع المحتوم .

مع ذلك ، لا تكفي العقائد والطقوس لإتمام الدين ، أي دين كان . فجميع الأديان بحاجة إلى أماكن مفضلة ، تلتقي فيها الروحانية والطقوس .

(٨٣) المقدسي ، ٣٩ ، ٩٧ ، ١٢٨ ، ١٤٢ ، ١٤٤ - ١٨٠ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٣٦ ، ٣٩٥ ، ٤٤١ (وحاشية ١) .

(٨٤) غير خالية في هذه الحالة من التفكير المبطن الشيعي . عن هذا التصنيف ، انظر المقدسي ، ترجمة ، آخر ٩٦ - ٩٨ وحاشية ٤٠ - ٤١ ، ٤٣ (مع إحالات إلى بلاشير ، قرآن) و ر . باريه ، م (٢) ، ج ٥ ، ١٢٩ - ١٣٢ .

(٨٥) المقدسي ، ٣٩٥ : قراءة أبي عبيد (انظر هـ . ل . غوتزشالك ، م (٢) ، ١٦١ - ١٦٢) وقراءة أبي حاتم (انظر ب . ليوين ، المرجع ذاته ، ١٢٩) وكلتاهما غير داخلتين في القائمة ولو اعتبرناها ١٤ : عن دور هذين الفقيهين . انظر بلاشير ، قرآن ١ ، ٩٧ ، ١١٦ .

(٨٦) حالة العراق خاصة (المقدسي ، ١٢٨) مع الإشارة في الأيام الغابرة إلى قراءة حمزة في بغداد لما كان أحد السبعة ، يجب الادراك ان هذه القراءة زالت من العاصمة ،

وينبذ الإسلام كل ما يمتُّ بصلة إلى الأوثان (٨٧) من قريب أو بعيد ، إلا أن البلدان الداخلية في داره ، تقدم للمؤمنين في جميع أنحاء تقريباً ، أماكن خشوع وصلاة ، تنبئ في هذا القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، بتشكيل الخطوط العريضة لجغرافية الشفاعات الروحية (٨٨) وتفوقها جميعاً الأماكن المقدسة التي ترتبط مباشرة بالوحي القرآني وبحياة النبي : وهي مكة والمدينة وبيت المقدس . ولا تندرج في عدادها ويشك فيها . ولا طرافة في جميع ما يكتبه الجغرافيون في هذا الموضوع ، لأنهم يسلكون في وصفهم وتعليقاتهم طريقاً رسمت قبلهم (٨٩) . ولا يستثنى إلا المسجد لأنه مكان صلاة الجماعة ، ويتبع المدينة وسوف نتكلم عنه معها .

وتبقى جميع الأشياء الأخرى ، كالذكرى الخاصة بمعبود ، أو زاوية أو ضريح ، أو أيضاً كذكرى لا ترتبط بأثر مادي ، وتلازم الأماكن بما يروى عنها جيلاً بعد جيل . ولا يفوت أي جغرافي أن يكتب قليلاً

لكن بقيت في مناطق أخرى من العراق (والى قراءة يعقوب الحفصمي ، أحد العشرة النظر بلاشير ، القرآن ، ١ ، ١٢٢ - ١٢٩) في البصرة .

(٨٧) عن تطور الذهنيات التي سمحت بظهور أدب متخصص بالأماكن المقدسة وزيارتها ، انظر جغرافية دار الإسلام ، ج ١ ، ١٤٩ - ١٥١ ، و ج . سوردويل - تومين ، المدخل إلى ترجمة كتاب الزيارات للهروي ، دمشق ، ١٩٥٧ ص ٢٠ - ٢١ ، ٢٣ ، ٣٠ .

(٨٨) انظر ف . مونتييل ، عند ماسينيون ، الوعد ، باريس ، ١٩٦٢ ، ص ٦١ ، ٢٧ .

(٨٩) عن مكة والمدينة وأماكن جزيرة العرب الأخرى ذات الصلة بحياة النبي ، انظر ابن حوقل ، ٢٨ - ٣٠ (مع إضافات نسبة إلى نص الاصطخري ، ٢١ - ٢٣) ، ٣٢ ، المقدسي ، ٤٦ ، ٧١ - ٨٤ ، ١٧٩ (تبوك ، مذكورة في إقليم الشام) . عن مسجد بيت المقدس ، ابن حوقل ، ١٧١ ، المقدسي ، ١٦٨ - ١٧١ .

أو كثيراً عن هذه الذكريات ، لكن لا يجارى أحد منهم المقدسي في إبرازها . فقد أنجس فصلًا من مدخله يحكي فيه ادعاءات بلدان تتنازع على إحدى تلك الذكريات (٩٠) . ثم إنه أفرد عنواناً مستقلاً تحدث فيه عن المشاهد في الإقليم الموصوف (٩١) متى سنحت له الفرصة . أقول متى سنحت له الفرصة . لكن ليس الأمر محض صدفة ، أو نقصاً ملحوظاً هنا وهناك بوجود أماكن مقدسة ؟ لو تأملنا وضع المشاهد العام ، للاحظنا أن معظمها قائم في الأقاليم الغربية ، ماعدا المغرب الذي لم يزره المقدسي ، ويبدو مرة أخرى بلداً هامشياً في هذه الجغرافية الشرقية أصلاً بنشأتها وتعبيرها . فلا مشاهد (٩٢) متى تجاوزنا العراق ، ماعدا بلدان تبعية السلالة السامانية الحاضرة على الإعجاب . فجغرافية الشفاعات الروحية ، لا تتحرر ، مثلما نرى ، من تقصيل العواطف أو السياسة .

أماكن مقدسة وأماكن مكرمة

فما هي الدلالة التاريخية لهذه المشاهد ؟ يقول المقدسي عن إقليم الجبال : « ولا أعرف به مشاهد ، بل به من عجائب الأكاسرة . . . » (٩٣)

(٩٠) المقدسي ، ٤٦ .

(٩١) المقدسي ، ١٠٢ - ١٠٣ - ١٣٠ ، ١٤٦ ، ١٨٤ (تحيل إلى ١٥١) ،

٢٠٩ - ٢١٠ ، ٣٣٣ - ٣٣٤ ، آخر ٣٦٧ - ٣٦٨ ، ٣٩٩ .

(٩٢) تقع النبذة عن مشاهد الديلم (المقدسي ، آخر ٣٦٧ - ٣٦٨) في سطرين .

وتقتصر نبذة الجبال (الجبال ، المقدسي ٣٩٩) على القول بأنه لا توجد مشاهد . وتذكر

نبذة المشرق نفسها (المقدسي ، ٣٣٣ - ٣٣٤) خمسة قبور فقط . ويحيل الباقي إلى رباطات .

(٩٣) المقدسي ، ٣٩٩ .

إذن يميز الجغرافيون الذكريات الدينية عن الماضي الدنيوي الذي يشار إليه بتعبيري العجائب والخصائص ، وتعيد المشاهد عندهم إلى الأذهان التاريخ المقدس ، أي تاريخ الإسلام أو تاريخ الكتاب المقدس الذي يبشر به (٩٤) .

ولنبداً بذكرات التوراة . فتدويناتها لا تحصى ، وثبت أن إقليم الشام يحوي معظم المشاهد (٩٥) ، لكن بشيء من المزاخمة أحياناً ، لأن جزيرة العرب وحتى الهند تنازعانه على ضريح آدم ، وكرمان وخراسان على مدائن لوط ، وبلدان قزوين على بعض ذكريات موسى (صخرة موسى بشروان) (٩٦) وتقارب مصر وجزيرة العرب والجزيرة وغيرها من البلدان غرضياً جداً . واختار من هذا الحشد من الذكريات (٩٧) بعض النقاط الهامة ذات المغزى البالغ . فاولاً لا بد من ذكر قلب هذا التاريخ في فلسطين ، الذي يطيب للجغرافيين أن يمتدحوه ، لأن فيه قبور الآباء ، والأرض المقدسة (٩٨) ، والأماكن التي

(٩٤) نحيل الى الفصل الرابع بشأن الذكريات أو الأماكن المقدسة الخاصة باليهود أو النصارى وبغير المقبولة في الاسلام .

(٩٥) انظر خاصة اسحاق بن الحسين ، ٤٤٩ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٧٧ - ٨٤ ، مسعر (ب) ، ٤٤ ، المسعودي (م) ، فقرة ٥٢٠ ، ابن الفقيه ، ٩٦ ، ١٧٣ - ١٧٤ ، ٢٦٤ ، ابن حوقل ، ٢٨ وما يليها ، ٣٨ ، ١٧١ - ١٧٢ ، ١٧٤ ، المقدسي ، ٤٦ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١٠٢ ، آخر ١٢١ - ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٧٠ - ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ، ٢٠٩ ، آخر ٤٠٧ - ٤٠٨ ، ٤٣٣ .

(٩٦) المقدسي ، ٤٦ . انظر أيضاً المرجع ذاته : قوم مدائن لوط بين فلسطين والحجاز .

(٩٧) احيل أيضاً الى ما قلته عن تاريخ التوراة واشخاصها في الفصل الأول .

(٩٨) انظر صيغة المقدسي ، أحد أبناء البلد . هذا صحيح لكنه ليس الوحيد الذي يلح =

ارتادها سليمان أو داود أو المسيح ، ثم المعبد المصري ، وتشريد بني إسرائيل وهرهم ، وملاذ مريم ويسوع الطفل ، ثم إلى الجزيرة ، بلد ابراهيم ، ومسجد يونس وآثاره عند نينوى القديمة ، ويزعمون أن سبع زورات له يعدلن حجة إلى مكة .

والإسلام وريث هذا الماضي الروحي . لذلك قبل أماكنه المقدسة ، وأضاف إليها أماكنه الخاصة به . وتبرز دلائل عديدة على هذا الإستمرار على الأرض (٩٩) . فتسارة ، تتجاوز المواضيع ، كما هي الحال على حدود جزيرة العرب والشام ، وفيها مدين حيث البشر التي استسقى منها موسى لسائمة شعيب ، وذكريات النبي والصحابه الذين ماتوا في حملات الإسلام الأولى (١٠٠) . وطوراً تنتقل من جهة إلى أخرى ، مثلما حدث لأصحاب الكهف الذين كانوا في طرسوس في الامبراطورية البيزنطية ثم جعلوا في الهوية في اقليم الشام (١٠١) . وأحياناً تتطابق المواضيع كما يحصل في بيت المقدس ملتقى الطرق (١٠٢) . أخيراً يجري استبدال بسيط تام ، في دمشق

= على المميزات الروحية في فلسطين : فلو ذكرنا كل المشاهد في عنوان الاقليم ، لطال الكتاب لكن نقول ان أكثرها بألباء ثم بسافر فلسطين ، ثم بالاردن (المقدسي ، ١٨٤) .

(٩٩) انظر أيضاً الفصل الاول : الاسلام وريث قائم .

(١٠٠) ابن حوقل ، آخر ٣٢ - ٣٣ ، المقدسي ، آخر ١٧٨ - ١٧٩ .

(١٠١) المقدسي ، آخر ١٥٢ - ١٥٣ و ١٧٥ - ١٧٦ ، ترجمة ٢٠٦ وحاشية ٢٥٠

جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٤٦٠ - ٤٦١ و ر . ليسكو ، معبد أهل الكهف في الاردن ، مجلة الدراسات الاسلامية ، ٣٦ روماني (١) ، ١٩٦٨ ، ص ٣ - ٩ .

(١٠٢) انظر مثلا اسماء الأبواب والمعاريب في المسجد (المقدسي ، ١٧٠) .

تجاوز في أماكن أخرى ، كما على جبل الزيتون : الكنيسة ومسجد عمر (المقدسي ، ١٧٢) .

مثلاً ، فيحل المسجد محل الكنيسة ، ورأس الحسين محل رأس يوحنا المعمدان (١٠٣) إذن يطالب الإسلام في جميع الأماكن التي تنبأت بمجيئه ، بأن يكون هو فيها جميعاً مركز المعتقد الجديد ، على ما هو عليه في مكة مركز التاريخ الجديد ، إلى جانب بيت المقدس مركز التاريخ الأخير في نهاية الأزمنة ، والحجاز مركز بدء التاريخ ، عندما تم الخلق فيه ، وبرزت الأرض من العدم ، تلبية لنداء الله (١٠٤).

وحد هذا التطور الأقصى في مسجد الكوفة . ففي هذا البيت صلى تسعون نبياً (١٠٥) ، وفيه التنور ، وخرجت منه السفينة . وفيه عصا موسى وخاتم سليمان . فمن أين جاء كل هؤلاء الأنبياء ، ولماذا صلوا هنا حيث لم يوجد شيء في الجاهلية ؟ لأنهم كانوا يعرفون قبل الأوان أنهم سيلقون فيه الإسلام . ولا يبالغ المرء إذا قال إن هذا الوضع ينطبق نوعاً ما على جميع المشاهد الخاصة بالمعتقد الإسلامي (١٠٦) ، التي يتلقى الناس فيها البركة الإلهية في مواضع لم تكن معروفة من قبل . لكن ماذا يستخلص من قائمة هذه المشاهد الخاصة بالإسلام حصراً ؟

(١٠٣) انظر الفصل الأول ، مشار إليه (ما تقدم ، حاشية ٩٩) .

(١٠٤) المقدسي ، ٤٦ وترجمة ، ١١٧ (وحاشية ١ مكرر و ٢) حيث تتعارض هذه السرة مع الادعاء الفارسي .

(١٠٥) ابن الفقيه ، آخر ١٧٣ .

(١٠٦) عنهما ، انظر خاصة مسعر (ب) ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، المسعودي (م) ، ج ٤ ، ٤١٦ ، و ج ٦ ، ٢ . ابن الفقيه ، ١٧٣ - ١٧٤ ، ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ابن حوقل ، ٢٨ وما يليها ، ٣٥ ، آخر ٤٠ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، المقدسي ، ٤٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٠٢ - ١٠٣ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٥١ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٨ ، ٢٠٩ ، ٣٣٣ - ٣٣٤ ، آخر ٣٦٧ - ٣٦٨ .

أولا المحاولة الشيعية التي تتبندى بهذا الشأن عند ابن حوقل أكثر مما تتبندى عند المقدسي. فالمقدسي يكتفي بالإشارة إلى ضريح علي وإبنه الحسين (١٠٧). أما ابن حوقل، فيذكر منتين (١٠٨) أرض صفيين التي قضت على آمال أنصار علي. وهذا تصور مسبق لفناء الأبطال الذين يموتون في سبيل القضية: « ويرى من كان بالفترات منه عجباً. وذلك أنه يرى قبوراً في موضعين: أحدهما أعلى من الآخر، وبعد أحد الموضعين دون العشرة قبور. وفي الآخر نحو عشرين قبراً. ويصعد إلى المكان، فلا يرى لذلك أثراً، ولا يحس منه خبراً. وإني أستطيع أن أحكي هذه الحكاية ولكني بلغتني فكذبها. ثم رأيتها، فلزمني حكايتها ».

مع ذلك، لا تضير رؤية هذه المشاهد وغيرها (١٠٩) الآثار الباقية هنا وهناك من الإسلام الغالب، وهو الإيمان الأساسي. فهنا ضريح النبي، ومنبره، والأماكن التي مرّ بها، والأشياء التي لمسها. وهناك جبل أحد الذي آواه في أحد شقوقه وحماه لما جرح في معركته، وهناك بردته، وعهده المكتوب في أديم (١١٠). وبعد وفاة الرسول، جاءت مشاهد جديدة لأجلد حولها مثل قبور الصحابين والعلماء والأئقياء، المنتشرة في جميع الأقطار تقريباً، ثم قرآن الخليفة عثمان الذي لم يتهم

(١٠٧) المقدسي، ١٣٠.

(١٠٨) ابن حوقل، ٢٢٦، ٣٥.

(١٠٩) انظر خاصة ابن حوقل، ١٧٥، ٢٤٠، ٢٤٣، ٤٣٤، المقدسي،

٣٣٣.

(١١٠) ابن حوقل، ٣٠، المقدسي، ٨١ - ٨٣، ١٣٧ (يكررها جزئياً ابن

الفقيه، ٢٥)، ١٧٨.

بتعاطفه مع الشيعة (١١١). ثم ذكريات الأموي الروع عمر بن عبد العزيز : قرآن أيضاً ، ومستجد ، وقبر لم يدنسه أبداً أعداء الأمويين (١١٢). وهكذا نرى أن خريطة الشفاعات تتبع بدقة العقيدة التي يدعو إليها الجغرافيون ، وتحت مشاهير اموات الإسلام إلى أداء أعظم واجب ديني ، نعي توحيد الجماعة .

الرباطات : من التعبد العسكري إلى التعبد عامة

لن تكتمل لوحة المشاهد ، إذا لم نضيف إليها الرباطات التي يدخلها المقدسي ضمنها . ونحن نعرف المقصود بالرباطات : فهي أماكن محصنة ، متفاوتة الحجم في الكبر ، يوزع متطوعوها أوقاتهم على التعبد وحماية حدود الإسلام (١١٤) . فهكذا تبدو لنا الرباطات النشيطة في تواليها على طول السهوب التركية الفسيحة ، أو على تخوم الإمبراطورية البيزنطية . ويثني عليها - وهذا واجب - لدورها ، وعلاقتها الاجتماعية ، وعددها الذي قيل إنه يناهز الآلاف . ويشار إليها أحياناً بظاهرة واحدة : عين أو قبر ولي بنيت حوله (١١٥) .

(١١١) ابن حوقل ، ١٧٧ . عن موقف الشيعة منه ، انظر لاورست ، الانشقاقات ص. ٧ .

(١١٢) المسعودي (م) ، ج ٥ ، ١٦٤ ، ابن حوقل ، ١٧٩ ، ١٨٢ .

(١١٣) المقدسي ، ٣٣٣ ، آخر ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(١١٤) انظر ج . مارسبه ، رباط في م ج ١ ، ١٣٣٠ - ١٢٣٣ .

(١١٥) ابن حوقل ، ٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٤٤٥ (مرابطون) ، ٤٨٩ ، ٥٠٤ - ٥٠٥ انظر أيضاً ٤٦٧ - ٤٦٨ و ٥٢٥ ، دون ذكر لفظ رباط صراحة ، الا ان السياق واضح) ، المقدسي ، ٢٧٢ (سطر ٧) ، ٢٧٢ (من ٣ - ٤) ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٣٠٣ ، ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، آخر ٣٣٣ - ٣٣٤ ، آخر ٣٥٨ - ٣٥٩ ، آخر ٣٦٧ - ٣٦٨ ، آخر ٣٧٣ (عن ١٢٦ . نفس الملاحظة التي ابديناها عن ابن حوقل) .

وأنيطت بالرباطات مهمة دفاعية مماثلة على البحر ، خاصة بحر الروم الذي يتجول فيه العدو البيزنطي : فيتوزع خط من الحصون على ساحله من تونس في اقليم المغرب إلى اقليم الشام (١١٦) . لنسمع مايقوله ابن حوقل عن منستير : « بين المهديّة وسوسة رباط يسكنه أمة من الناس على مر الأيام والساعات ، يعرف بالمنستر ، ويقصده أهل افريقية (١١٧) . لوقت من السنة ، فيقيمون به أياماً معلومة ، ويحضر بفاخر الأطعمة ، ونفيس المأكّل ، وقيم جميعهم به مدة ، ثم يتفرقون إلى أوطانهم ، وهو على نحر البحر . وبينه وبين المهديّة أيضاً قصر رباط ، يعرف بشقائنص ، دونه عندهم في المنزلة ، وهو حصين منيع ، وبه أيضاً أمة مقيمة على صيد السمك . وهما قصران عظيمان على حافة البحر للرباط والعبادة (١١٨) ، عليهما أوقاف كثيرة بافريقية ، والصدقات تأتيهما من كل أرض » .

وأما على البحر باتجاه الشرق ، فيبدو أن الرباط لا يكتفي بحراسة الساحل ، بل يهتم بفداء الأسرى حسب رغبة الروم . ويكتب المقدسي عن ذلك ويقول : (١١٩) « ولهذه القصبية (كفر سلام) رباطات على

(١١٦) ابن حوقل ، ٦٩ آخر ٧٠ ، ٧٣ ، ٨١ - ٨٢ (سله ، لكن ضد البربر الذين يحددون هنا حسب المؤلف بداية العالم غير الاسلامي) ، ١٢١ ، ١٧٥ (بلا لفظ رباط) ، المقدسي ، ١٧٧ ، ٢٠٢ .

(١١٧) القسم الشرقي من المغرب . في النص التالي مباشرة ينبغي ان نفهم : ياتون تباعا .

(١١٨) الرباط والعبادة (ابن حوقل ، ٧٣ ، نفس المرجع ، آخر ٧٠ : محارم مبنية للرباط) .

(١١٩) المقدسي ، ١٧٧ (المقصود سواحل فلسطين ، اذ ان الكورة الرملة) . البرج والمنارة مؤديان بلفظ المنارة . عن الشلنديات والشناني ، انظر مج ع ، ج ، ٤ ، =

البحر ، يقع بها النفير ، وتقلع اليها شلنديات الروم وشوانبيهم ، معهم أسارى المسلمين للبيع كل ثلاثة بمائة دينار . وفي كل رباط قوم يعرفون لسانهم ، ويذهبون اليهم في الرسائل ، ويحمل اليهم أصناف الأطعمة ، وقد ضج بالنفير لما ترائت مراكبهم . فإن كان ليل . أوقدت منارة ذلك الرباط . وإن كان نهار دخنوا . ومن كل رباط إلى القصبة عدة منابر شاهقة قد رتب فيها أقوام فتوقد المنارة التي للرباط ، ثم التي تليها ، ثم الأخرى . فلا يكون ساعة إلا وقد انفر بالقصبة ، وضرب الطبل على المنارة ، وفودي إلى ذلك الرباط ، وخرج الناس بالسلح والقوة ، واجتمع أحداث الرسايق ، ثم يكون الفداء ، فرجل ، يشتري رجلا ، وآخر يطرح درهماً أو خاتماً حتى يشتري ما معهم » .

وتقوم رباطات أخرى بالحراسة داخل حدود دار الإسلام (١٢٠) ، فتشهد على وجود سلطة واعية في شكل مسلحة مثلاً واستعداد لقمع هتمل دوماً ، جهاز له رجال وسلاح وخيل . لكن يمكن أن توقف الرباطات على سابلة الطريق ليستجار بها في شدة البرد من الثلوج وفي شدة القيقظ من الحر . وهكذا نرى أن صفة الرباطات الحربية

٢٧٦ و ٢٧٩ أحداث ، عن وجود مثل هذه الجماعات حول رئيس في قرى اقليم الشام ، انظر لـ . كاهين ، الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في آسية المسلمة في القرون الوسطى مسحوب مستقل من مجلة إرايكا ، ٥ روماني ، ١٩٥٨ ، ص ٢٢٦ - ٢٥٠ ، انظر ص ٢٤٤ خاتم . جلد يميستر روماني ، ص ١٨٨٤ ، ص ١٧٠ ، حاشية ٨٦ . عن هذه الأقدية للاسرى التي اشار اليها المسعودي أيضاً انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٤٧٠ - ٤٧١ .

(١٣٠) ابن حوقل ، ١٢١ (لم نأخذ بعين الاعتبار تحفظات المؤلف الفنية أو الصريحة تجاه صقلية .

تظهر متقطعة تبعاً لوجود أعداء ، وتزول كلياً . ومتى زالت ، فليست الإستجارة بها التحول الوحيد الذي يطرأ عليها ، بل تصبح الإقامة فيها اجتماع أصدقاء بسيط ، كما كنا نقدره في منستير . وتكفي خطوة أخرى ليصل الرباط إلى مستوى محلّ له وحتى تهلك . وهذا ما يحصل على حد قول ابن حوقل (١٢١) في صقلية : « فيها رباطات كثيرة على ساحل البحر مشحونة بالرياء والنفاق والبطالين والفساق ، متمردين ، شيوخ وأحداث ، وغيثات رثاث ، قد عملوا السجادات منتصبين لأخذ الصدقات وقذف المحصنات . . . ويقصدهم من اعوزة المكان لبطالته والموضع لعبارته » .

ويشاء حسن الحظ أن نجد ماهو أرضن . ففي المدن كما في المفاوز ، تستعمل الرباطات فنادق أو مأوى للفقراء (١٢٢) . وفي بعض الأحيان ، تبدو التسمية مرادفة لخانقاه أي دير الصوفيين (١٢٣) وأجد الرباط مستعملاً بهذا المعنى في بلدان نهر سيحان ، أو مدن الصغد أو خراسان أو خوزستان . ويبقى الرباط حول قبر أو ذخيرة ، على نمط واحد أحياناً عند أبواب المسجد الأربعة ، ويحتمل أن يذكر بوظيفته الحربية ، إلا أن النصوص جافة وغير دقيقة ، لا تسمح دوماً

(١٢١) ابن حوقل ، آخر ٣٤٩ ، ٤٠١ ، ٤٢٢ ، ٤٥٤ ، المقدسي ، ٦٦ ، ٣٠٦ ، ٣٤٣ وما يليها ، ٤٠١ ، ٤٥٥ ، ٣٦٣ - ٤٩٥ .

(١٢٢) انظر م ج ع ، ٤ ج ، ٤ ج ، والمقدسي ، ٢٩١ (س ١٧) ، ٣٠٩ ، ٤٢٥ (س ١٥ في النص المترجم من قبل ، في بحث الصوفيين) ، ٤٧٨ .

(١٢٣) انظر ج . شبي ، ١٠٢ (٢) ، ج ٤ ، ٢٠٥٧ . عن الأمثلة المذكورة هنا ، انظر المقدسي ، آخر ٢٧٢ - ٢٧٣ ، ٢٨١ (مرابطون) ، ١٩١ (س ١٠ - ١١) ، ٣٣٣ ، ٤١٢ ، آخر ٤١٤ - ٤١٥ رباط مقترن بالتصوف) .

بأنخذ رأي حاسم . مع ذلك إذا حكمنا في غاية النهاية ، على مجموع
اكتاج الجغرافيين ، تبين لنا الفكرة والمصطلح قيد التطور التام، وتؤكد أن
وجود صوفية ديرية متزايدة القوة ، تفرض نفسها بشكل من اشكال
الورع الإسلامي ، وهو ورع يقره الجميع تدريجياً .

* * *

الفصل الثالث

العرب وغير العرب

تثبت كثرة المذاهب والشعائر والإتجاهات أن الإسلام كان متراضاً في الماضي وأنه ما يزال متماسكاً في الحاضر . وينبغي إضافة ناحيتين دقيقتين : الأولى اتنية تجعل العرب على صلة بلغات وثقافات مختلفة ضمن دار الإسلام ، والثانية دينية تتمثل في أن بعض الطوائف ، العربية أو غير العربية، تقطن في دار الإسلام دون أن تؤمن بإيمانها . ونخصّص هذا الفصل للناحية الأولى .

نقاش أساسي

ورث الجغرافيون في هذا المجال خلافاً صليغ بأشكال متنوعة ، تناول مكانه العرب في دار الإسلام التي أسسوها ودورهم فيها . فهل هم الأسياد فيها أم اسياد، بين اقران لهم، أم أقران بين أقرانهم ؟ هذه هي القضية المطروحة. ونعرف جيداً أنها أثارث ما لا نهاية له من مناقشات، سوف نستعرضها بإيجاز عند الجغرافيين الذين عني عملهم بما اتفق على تسميته علم البلدان . ثم نتساءل عما تبقى من هذا النقاش بعد اختبار الأحداث ، نعني من اللوحة الحسية التي تعتمد على الأسفار مثلما

مارسها الجغرافيون في أوج نشاط الجغرافية في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

ويتناول الجدل وضع البدو والحضر أولاً . ويقول المسعودي (١) إن البدو يضمون أقواماً شتى ، خاصة البربر والأكراد والأتراك ، وطبعاً قدماء العرب الذين يمثلون على أفضل وجه هذا النمط من الحياة ، ويدافعون عنه باسم الحرية والصحة ، ويرون أن « جولان أرض ، وتخزين بقاعها على الأيام أشبه بأولي العز ، واليق بدوي الأنفة ، وقالوا : لنكون محكمين في الأرض ، ونسكن حيث نشاء ، أصلح من غير ذلك » . هذا بالنسبة إلى الحرية ، أما الصحة ، فيجب فهمها بمعنيين . فحذار من المدينة ، لأنها مصدر جميع المصائب الجسدية والمعنوية . وزعموا أيضاً أن الأبنية والأطلال تحصر الغذاء ، وتمنع اتساع الهواء ، وتسد سروحته عن المرور ، وقذاه عن السلوك ، فسكنوا البر الأفيع الذي لا يخافون فيه من حصر ومنازلة ضرر ، هذا مع ارتفاع الأقداء ، وسماحة الأهواء ، واعتزال الوباء ، ومع تهذيب الأحلام في هذه المواطن ، وتقاء القرائح في التنقل في المساكن ، مع صحة الأمزجة ، وقوة الفطنة ، وصفاء الألوان ومتانة الأجسام » .

ويتناول الجدل خراسان أيضاً . فمنها انطلق التمرد على الأمويين العرب . ويصف محمد بن مسلم بن قتيبة أهلها بأنهم أنصار الدولة (٢) ، على حد قول ابن الفقيه نقلاً عنه ، ويلج على ذكائهم ، ويقول لمنهم

(١) المسعودي (م) ، فقرة ١٠٨٦ - ١١٢١ .

(٢) ابن الفقيه ، ٣١٥ . عن ابن الفقيه والجغرافية ، انظر جغرافية دار الاسلام |

انتزعوا الملك من بني أمية من أكبر ملوكهم سناً ، وأشدهم حنكة ، وأحزمهم رأياً ، ثم يمتدح المناطق الشرقية في دار الإسلام . ويستأنف ابن الفقيه كلامه ، فينقد نقداً المناطق الشرقية (٣) ، ويجعل خراسان ، على ما جاء في الحديثين (٤) ، حامية الحق ودين الله ضد الأمويين .

وينظر المسعودي إلى النقاش الأساسي من زاوية حياة الإنسان ، ويتأمل ابن قتيبة وابن الفقيه من زاوية المثالية السياسية في زمن أو بلد معينين ، أو عند أحد الأقوام ، لكن يظل هذا النقاش في الحالتين وفي التحليل الأخير نزاع الشعوبية أو « النزعة القومية الفكرية » (٥) الفارسية بالدرجة الأولى ، التي تطالب حيال التقليد العربي ، بما نسميه اليوم بالتباين . وأذكر هنا الموسوعي ابن عبد ربه (٦) الذي يلخص الجدل

(٣) يبدو الجاحظ من خلال هذا النقد عن طريق موضوع البخل ، انظر ابن الفقيه

. ٣١٦ .

(٤) فيهما ميل شيعي أو قريب من الشيعة (علي وعبد الله بن مسعود : بشأن هذا الأخير ،

انظر ج . س . فادية ، م ١ (٢) ، ج ٣ ، ٨٩٧ - ٨٩٩ ، وما تقدم ، فصل ٢ حاشية ٢) : ابن الفقيه ، ٣١٧ - ٣١٨ .

(٥) انظر ج . فون غرونباوم الإسلام في القرون الوسطى : تاريخ وحضارة ،

باريس ، ١٩٦٢ ، ص ٢٢٣ ، ومحسن عزيزي ، السيطرة العربية وازدهار الشعور القومي في فارس في القرنين الثاني والثالث ، باريس ١٩٣٨ ، اماكن متفرقة . مثال على تناول النقاش بصيغ الأدب عند التوحيدي ، الإمتاع ، ج ١ ، ٧٠ - ٨٩ ، واماكن متفرقة

(٦) العقد الفريد ، ج ٣ ، ٤٠٣ - ٤١٢ . بشأنه ، انظر جغرافية دار الإسلام ،

ج ١ ، ص ٢٧ روماني ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ .

في عرض لا يتجاوز بضعة صفحات ، ويقول : الشعوبية ، بلا تنميق ،
تعني المساواة ، وعلى وجه الدقة المطالبة بمساواة لوجود لها في الواقع (٧).
والمساواة بالدين أولاً . فجميع البشر من طينة واحدة عند الله .
ولعل التحدث عن فروق وتفوقات كان وارداً في العهود الوثنية .
أما « بعد أن نالت البشرية الإسلام ، فقد أصبح الأعجام (٨) نصفه » ثم
إن النبي أعلن في خطبة الوداع أن لأفضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .
« تلي الحجة القومية المبنية على التاريخ ، مثل موضوع ملوك العالم الذي
يشارك كسرى الإسكندر وفرعون وامبراطور الروم وملوك الهند في
أعجاد العالم . وأسوأ من ذلك الحديث عن الأنبياء ، لانطوائه على الخداع .
فقد زعم أن جميع الأنبياء الذين دعوا إلى الإله الحق ليسوا عرباً ،
ماعداء هود وصالح واسماعيل ومحمد . ويدعي غير العرب بهذا الشأن
أنهم « الجذع والعرب الغصن » . أخيراً يعطى الإثبات الحضاري :
فقيمة فارس ناشئة عن فن الحكم والعدل وتأسيس المدن وإنتاج الأعمال
الذهنية . وحتى بالشعر ، لاتتمتع جزيرة العرب بالتفوق الذي تنسبه
لنفسها : فالبعض يشيد بالروم في هذه الناحية .

ويتيح ابن عبد ربه فرصة الكلام لابن قتيبة : فيقوم هذا الأخير
بهجوم معاكس شديد ، يبدأ فيه بالدين ، ويقول : لا ريب أن
المؤمنين متساوون بالآيمان وبالْحساب الأخير . أما في الحياة الدنيا فلا .
فمستويا الحياتين يظلمان مختلفين على الدوام ، لأن الطبيعة قضت بنباينهما
اصلاً ، وجعلته مفيداً ، بل ضرورياً في المجتمعات البشرية ، المحكوم
عليها ، لو لا وجوده ، بالفناء ، مثلما يفنى الجسد لو لا تركيبه من
عناصر متميزة . ويجيب انصار الشعوبية لحسم الجدل بقولهم : إنما
(٧) الشعوبية وهم أهل التسوية . الموضوع يتعلق بالتسوية (تحقيق المساواة) وليس
(مساواة ملحوظة)

(٨) الأعجام ، بالدرجة الأولى الفرس . له أيضاً معنى آخر اندر : وثني : انظر
اليقوي ، آخر ٢٥٥ ودوزي ، ج ٢ ، ٩٨ .

الكريم من كرمته افعاله . ويشبه هذا الكلام قول مولير : لا جدوى من المجتهد الكريم بلا فضيلة . (٩) .

وترد المطالبة ذاتها ، صراحة أو ضمناً ، في النصوص الجغرافية في كثير من المواضع . ففي الجغرافية الإدارية ، يذكر البعقوبي أنهم كانوا في أحد بلدان أسية الوسطى (اسروشنه) بمنعون العرب أن يجاوروهم (١٠) . وفي جغرافية الأدب ، يعيد ابن الفقيه الكرة ، ويؤكد أن عقيدة القرآن لم تميز بين العرب والعجم ، بل ساوت بين الفريقين (١١) . وإذا استعرضنا الجغرافية في احدي الموسوعات ، وجدنا أن ابن رسته يشير إلى المساواة ذاتها بطريقة غير مباشرة ، فيعدد مهن مشاهير الرجال ، لاسيما أشرف العرب الذين يتعاطون أعمالاً يدوية متواضعة (١٢) . ويدعو قدامة إلى الأخوة الاسلامية ، ويبرز أن الفرس في الجاهلية أعطوا مثالا على الدفاع عن المملكة ضد الروم (١٣) . أخيراً لاريب أن المسعودي أصرح جميع الجغرافيين . فهو يرى ، بالنسبة إلى الماضي ، كما قلنا (١٤) ، أن الفرس يراعون من تواريخ ماسلف مالا يراعيه غيرهم ، وكانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام ، وتطوف به ، وتزعم على بثر اسماعيل (١٥) . أما

(٩) مولير ، دون جوان ، فصل ٤ ، مشهد ٤ .

(١٠) البعقوبي ، ٢٩٤ (حول علاقاته بالجغرافية الادارية ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ١ ، ١٠٢ - ١٠٤ و ٢٨٥ - ٢٩٢ .

(١١) ابن الفقيه ، ١٧ - ١٨ . صفات اخرى للشعوبية ز المرجع ذاته ، ١٩٧ ، ٣١٧ ، واماكن متفرقة .

(١٢) ابن رسته ، آخر ٢١٤ - ٢١٦ ترجمة ، ٢٥٤ ، حاشية ١) .

(١٣) قدامة ، ٢٥٢ (انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٢٧٢ و ٢٧)

(١٤) الفصل الأول : « السلطة : من الشك الى زوال الوهم » .

(١٥) المسعودي (م) ، فقرة ٥٧٣ - ٥٧٥ ، المقارنة بزمزم ميسر المستعمل في الصلوات الزرادشتية : زمزم (تتم) . انظر الاحالات في كد

بالنسبة إلى المستقبل ، فالمسعودي عربي أصيل ، يترك الكلام لفارس ،
عندما تعلم مجدداً بقيادة العالم (١٦) . وهذه تنبؤات لأساس لها ،
تتأسى بها الأمة المهزومة . فلنجر النقاش بوضوح تام دون أن نخفي
شيئاً منه .

الفرس والعرب

فهل نقول إن الجغرافيين عادوا إلى الجدل القديم ذاته في آخر
القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ؟ فقد كان يمكنهم أن يرفضوا
مثل هذا التراث أو أن يستخدموه لأغراض أخرى . في الواقع يلاحظ
أن الجدل يتخذ عند ابن حوقل والمقدسي شكل الرحلة في اختبار
الأرض والأحداث . فيجوز طبعاً أن يكال المديح لأحدى السلالات
الفارسية ، مثلاً اثني على السامانيين ، أو على النقيض أن يلام الحمدانيون
في حلب والموصل ، لكن ، كما رأينا ، لحكمة أو جهل سياسيين
صريحين ، لا باسم ماض يدعو لصالح فريق أو ضده . كذلك ،
قد يشاد بالمدن والمناطق الفارسية ، إلا أن الميزان يميل دوماً إلى التوازن
لصالح العرب . ولا يختلف الوضع في مسألة النقد .

ونقول بإيجاز إن الأمور تجري ، كما لو أن ابن حوقل والمقدسي
يتهربان من جدل المنهج العلمي والتاريخ (١٧) ، ولا يحتفظان إلا بما

= ودمية ، ترجمة ١ . ميكيل ، باريس ، ١٩٥٧ ، إعادة طبع ٨٠ - ١٩٨٠) ص ٣٢٦ ،
حاشية ١٤ . انظر أيضاً المسعودي (ت) ، ١٥٥ .

(١٦) المسعودي (ت) ، آخر ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٦ . عن اشكال اخرى لهذا
التمجيد ، المرجع ذاته ، ١٤٦ ، ١٥٠ .

(١٧) يترك التاريخ بالمقابل آثاراً كثيرة في نواحي أخرى: انظر مثلاً اليعقوبي ، ٣١٢ ،
الفقيه ، ١٢٨ ، ١٧٨ ، ابن رسته ، ٢٢٦ ، المسعودي (م) فقرة ١٥٦٤ .

بشاهدانه عياناً . وفي الحقيقة ، إذا نظرنا نظرة عامة إلى الشعبين العرب
والفارسي ، لاحظنا أن الفرس يبدوون في مصنفى ابن حوقل والمقدسي
أناساً مستقرين بعيدين جداً عن الفضول العلمي ، خلافاً لغيرهم من الأمم ،
أعني أصلاً بدو الماضي والحاضر ، وفي طليعتهم العرب الذين يناقضونهم
في مملكة الإسلام ، وهي مجال التجارة والمدن الشاسع .

إذن لدينا من جهة أولى الفرس الذين يشار إشارة عابرة إلى
ندرة وجودهم خارج بلدانهم ، وإلى تقويمهم أو إلى إنتشار لغتهم
الواسع في الغالب (١٨) . ولدينا من جهة أخرى مجال التوسع
العربي غرباً نحو واحات مصر وحتى المغرب ، وشرقاً
نحو التخوم الشرقية في العراق وخراسان وما وراء النهر وخوزستان
وحتى وادي نهرمهران (١٩) . ولابد من اضافة موطن العرب
الأصلي ، أي بادية العرب ، التي يأتون منها أحياناً ، ليتمنوا من
المدن الواقعة على الحدود ، مثل عمان (٢٠) قبل أن يرجعوا إلى حياة
الفاقة ، يتغذون غذاءً سيئاً بنوع من الخبز الرديء ولحم الأفاعي
واليرابيع ، ويحرسون القوافل أو يسلبونها ، بما فيها قوافل الحجاج (٢١) .

(١٨) المقدسي ، ٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤٤١٤١٣ - ٤٤٢ ، وما يلي الفصل ١٤ من أجل

الجغرافية اللغوية .

(١٩) ابن حوقل ، ٦٠ ، ٨٥ ، ٩٣ ، ١٥٥ ، ١٧٣ ، ز ، آخر ١٧٦ ، ٢١١ -
٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ - ٢٢٢ ، ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٤٧ ، آخر ٢٤٩ ،
المقدسي ، ١٧٥ (حاشية ى) . ٣٠٣ ، ٤١٤ ، ٤٦٢ ، آخر ٤٨٠ ، حدود العالم ،
١٠٨ .

(٢٠) المقدسي ، ١٧٥ (حاشية ى) ، انظر أيضاً ابن حوقل ، ٢١٧ (الجزيرة)

(٢١) المقدسي ، ٢٥٢ (انظر أيضاً جغرافية دار الاسلام ، ٣ ، ٧٨ - ٨٠) .

ويتحضر هؤلاء البدو متى خرجوا من حيزهم التقليدي ، كما حصل في مدينتي العراق الجديدين البصرة والكوفة ، اللتين هاجر البدو منهما في وقت لاحق إلى الموصل وإلى غيرها من مدن الجزيرة وأريافها (٢٢) . مع ذلك ، فصلوا أحياناً تطبيق نمطي حياة (٢٣) في بعض الأماكن ، أو المحافظة على تباينهم . وعملوا مرتزقة حتى في خدمة الروم ، وقطاع طرق كقبائل كاملة متى سنحت لهم الفرصة ، وأحاطوا المدن بخطر داهم دائم ، عده المقدسي أحد مزعجات البلدان التي زارها (٢٤) . وهذا الوصف قاس كما نرى ، لايعوض عنه تدوين عرضي عن صفاء اللغة أو جمال الوجوه (٢٥) .

البربر

الإهتمام بالبربر قديم قدم النصوص الأولى التي بدأت ترسم فيها معالم الجغرافية العربية . فابن خردادبه يظن أن فلسطين دار البربر ، وأن ملكهم جالوت ، الذي قتله داود ، فجلت البربر إلى المغرب ، ونزلت الجبال والرمال ، وكرهت نزول المدن ، وتركته إلى الرومية . ويرى اليعقوبي أن أهل برقة قوم من أبناء الروم القادمين الذين كانوا أهلها قديماً ، وقوم من البربر . وينسب المقدسي البربر إلى عمالقة فلسطين الذين أمعن يشوع بن نون بتفتيلهم ، وذهب الناجون منهم إلى المغرب .

(٢٢) ابن حوقل ، ٢١٥ ، ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢٣) ابن حوقل ٢٢٨ ، ٢٤٧ .

(٢٤) ابن حوقل ، آخر ١٧٦ ، ٢١١ - ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ،

المقدسي ، ١٤١ ، ٤١٤ .

(٢٥) المقدسي ، ١٤٦ .

ويعيد إبراهيم بن وصيف شاه نسبهم إلى حام ، لكنه يذكر نظرية أخرى ترجع أصلهم إلى اليمن . أخيراً يتردد المسعودي بين حام واليمن وربما قبيلة الغساسنة ، وقيس عيلان من عرب الشمال (٢٦) .

مع ذلك بلاد البربر معروفة جيداً . فهي تشمل المغرب بأجمعه من سودان نيجيرية إلى البحر المتوسط ، وإلى بحر الظلمات غرباً ، ويضاف إلى بربر المغرب جماعات منهم دخلت الأندلس (٢٧) . ويشار إلى دورهم في تجارة الصحراء الكبرى ، لاسيما تجارة الرقيق (٢٨) ، وهم حضر أحياناً ، وبدو في الغالب ، ويؤلفون قبائل تذكر أسمائهما عند الحاجة (٢٩) . ولهم عادات مستغربة أحياناً ، مثل أكل لحوم الكلاب التي تباع على الفئارات كسائر اللحوم (٣٠) . إلا أن صفتهم الرئيسة هي الغلظة مع غشامة وسوء خلق ، حتى قيل : الحدة عشرة أجزاء تسعة منها في البربر وجزء في الناس (٣١) .

هنا أيضاً يمحص جغرافيو آخر القرن ٤ هـ / ١٠ م المعرفة الموروثة ، ويكتفون بتدوين ما يعاينونه أو يثقون بصحته . ويختلف ابن حوقل

(٢٦) انظر ابن خرداذبه (ورد من قبل الفصل ١ ، الحاشيتان ٨ و ١٨ ، اليعقوبي ، ٣٤٣ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٤ ، وصيف شاه ، ١٠٠ ، ١١٠ - ١١٢ ، المسعودي (م) ، فقرة ١١٦٧ .

(٢٧) المقدسي ، ج ٤ ، ٦٤ - ٦٥ ، الاصطخري ، ٤٥١ - ٤٥٢ ، الرازي ، ٨٣ (٢٨) المقدسي ، مشار إليه .

(٢٩) الاصطخري ، ٤٥١ ، ابن الفقيه ، ٨٣ ، المسعودي (م) ، فقرة ١١٠٤ (٣٠) الاصطخري ، ٤٥٢ . انظر أيضاً المقدسي ، ٤٠ ، ٢٠٢ ، ٢٤٣ بشأن مصر ومدينتين في المغرب ، دون الإشارة إلى البربر (انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٣٦ ، حاشية (١) .

عن المقدسي اختلافاً بيناً . فالمقدسي لم يزر المغرب قط ، ويتحدث عنه سماعاً أو من خلال مطالعته ، ويقتصر على الإشارة ، عند الحاجة ، إلى وجود البربر حول قابس مثلاً : أو إلى الشبه بين طباعهم وطباع سائر الشعوب (٣٢) . ويعتبر التدوين التالي المطنّب بعض الشيء شاذاً (٣٣) : « والغالب على بوادي هذا الإقليم (إقليم المغرب) البربر ، أكثرهم بكورة السوس (٣٤) ، وهم قوم على عمل الخوارزمية ، لا يفهم لسانهم ، ولا ترضي طباعهم ، مع نخسة وشدة » .

ويتخذ وصفهم أهمية كبرى عند ابن حوقل ، أفلاّنه يعتبر البربر احتياطياً بشرياً جاهزاً تستعين به مغامرة الفاطميين الذين يتعاطف معهم ؟ (٣٥) . مهما يكن فيما يلي ما كتبه عنهم (٣٦) :

« لا يقارب (بلد الروم) أسباب المغرب وحده ، ولا يدانيه ولا يشاكله في وجه من الوجوه لأنني قد ذكرت من قبائل البربر المتبدلين في صحارى المغرب ، ما يستولي على ضعف عدد من تحوزه نواحي الروم ، وما

(٣١) المقدسي ، مشار إليه ، ابن الفقيه ، ٨٤ .

(٣٢) المقدسي ، ٢٢٤ ، ٢٨٦ ، (مقارنة مع الخوارزميين في المقطع اللاحق) .

(٣٣) المقدسي ، ٣٤٣ ، مع احالة الى أكل لحوم الكلاب غير منسوبة بصراحة لى البربر : انظر ما تقدم في العاشية . اصف عن اللغة ، ابن حوقل ، ١٤ : طبجات ولغة مشتركة .

(٣٤) المغرب الأقصى الجنوبي .

(٣٥) انظر ج . س . غرسين ، ابن حوقل والمشرق والمغرب مجلة المغرب المسلم والمتوسط ٣٥ روماني (١) ، ١٩٨٣ ، ص ٨٧ .

(٣٦) ابن حوقل ، ٢٠٠ .

عندهم من القوة والجلد ، ومحلهم في البأس والشدة ، فلأنهم بحيث إذا دخل لهم جيش من المغرب إلى أرض الروم (٣٧) أباده وأباره وأهلكه وأتى عليه . وتتسرب العدة اليسيرة في أقطاره ، فتنشفيها ، حتى أن لأهل المغرب على أهل قلورية في كل سنة جزية آلاف دنانير كثيرة تقبض منهم » .

يبدو الشعور بأن البربر رأس مال بالرجال والقدرات واضح جداً في كتاب صورة الأرض لابن حوقل ، لإتساع المساحة المشمولة أولاً . ويستغرب المرء اغفال الحوقلي الإشارة إلى وجود البربر في الأندلس ، مع أنه يتتبعهم من المغرب الأقصى أو أعماق الصحراء الكبرى إلى صقلية ومصر (٣٨) . ويسمي قبائلهم أو يعددها ، ويعلن مع ذلك أن عمله جزئي وأن عرضه كاملاً أمر مستحيل . (٣٩) . ويصف أيضاً نمط حياتهم . فهم حضر ، يستقرون بين أشجار الزيتون أو في حقول القمح والشعير والقطن ، أو يلزمون مخازنهم في المدينة ، أو ياتحقون بالجيش (٤٠) . مع ذلك ، يظلون في حالات كثيرة أنصاف بدو : فيربون عندئذ قطعان الحيوانات ، متنقلين بين السهول والجبال ، ويعملون في الزراعة متى كانت التربة صالحة لها (٤١) . أخيراً البربري

(٣٧) ايطالية الجنوبية كما سوف نرى .

(٣٨) ابن حوقل ، ٦٨ - ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٤٠١ ، آخر ٤٤٤ .

(٣٩) ابن حوقل ، ٦٩ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٣ - ٨٨ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، آخر ١٠٧ .

(٤٠) ابن حوقل ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٨ .

(٤١) ابن حوقل ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ١٠٢ - ١٠٤ .

البدوي سيد طرق القوافل ، وسلاب وطالب فدية (٤٢) . وله معرفة بأوضاع المغاور التي يسكنها . وهو فقير بائس ، لم يَرَ الحنطة ولا الشعير ، يغلب عليه الإتشاح بالكساء ، لا يعرف الطعام ، ولم يشاهد قط حاضرة ، حتى عبر الكوخ الذي يأوي اليه أحياناً . لكنه متمرس — مثل قرينه التركي أو الخوارزمي البعيدين عنه في آسية الوسطى — على معرفة أوضاع البر وأشكاله رالهداية فيه (٤٣) .

والبربر قوم أباة ، هم جلد وبسالة وذكاء وكرم على المارة يصل إلى حد الإفراط : فهم وأولادهم يبذلون أنفسهم لأضيافهم على سبيل منتهى الكرم . فهذه هي صفات البربر التي تتلخص في التناقض بين الغلظة والرقّة ، وبين الشرف والخسة ، وبين الحياء والفسق (٤٤) . ويرى تنافر مماثل في السياسة والدين : فمن جهة أولى ، يتهورون بالإتجاه إلى الاعتزال أو المشتبهة أو حتى المروق من الدين ومن جهة أخرى ، بتشيعون ، بل يعقدون الآمال على ترسيخ الإخلاص للفاطميين لكي يزدهر المغرب حيال الأندلس الأموي (٤٥) . خلاصة القول ، البربر محيرون ، لكنهم واعدون في نظر ابن حوقل المسحور بالأقوام الجديدة (٤٦)

(٤٢) ابن حوقل ، ٧٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٠٠ ، ١٠٣ .

(٤٣) ابن حوقل ، ٨٤ ، ١٠١ — ١٠٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٤٠١ .

(٤٤) ابن حوقل ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ٩٥ — ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٢ (يتلثمون وهم اطفال ، ويزعمون ان الفم سودة تستحق الستر كالعورة) ، ١٠٣ (جمال الابدان) .

(٤٥) ابن حوقل ، ٧٠ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، آخر ٩١ (غير منسوبة الى البربر : المالكيون من فظاظ الحشوية في المغرب الأقصى الجنوبي) .

(٤٦) غرسين ، ابن حوقل ، ٨٧ .

الأتراك في دار الاسلام

ويعد الأتراك من نخبة البدو أيضاً . وشخصيتهم ذات وجهين جغرافياً ودينياً ، لأن بعضهم يقطن في دار الإسلام ، وبعضهم خارجها . وقد وصفتهم في كتاب سابق (٤٧) ، فلن أكرر وصفهم هنا . وأكتفي بما ينسب اليهم من خصال فيما وراء الحدود . وهم قلائل هناك . وإذا استثنينا أتراك النخوم ، الذين اعتنقوا الإسلام (٤٨) ، ولا يختلفون عن اخوانهم في الخارج ، تجلت أمامنا صورة جندي من جنود النخبة في جيوش بغداد أو الإمارة السامانية في خراسان (٤٩) . ولا يفاجيء هذا الوصف الموجز أحداً ، لأن الأتراك لن يتدفقوا من مرتفعات آسية الوسطى ، كأقوام بقائيلهم كاملة إلا بعد القرن العاشر . مع ذلك ، نسوق كلمة موجزة عن بقعتين بدا وجودهم فيهما يثبت . البقعة الأولى المجرى الأسفل من جيحون (أكسوس ، أموداريا) ، أو خوارزم ، وهي بلاد فارسية قديمة ، تعرضت للضغط التركي ، الذي اشتد قبل ان يظفر كلياً بدءاً من القرن ٥ هـ / ١١ م (٥٠) . ففي أواخر القرن ٤ هـ / ١٠ م ، اعتبرت هذه البقعة حواراً بين السهوب والواحة الكبرى المروية بتشعبات النهر (٥١) . ولأهلها بنية ولحي تنم عن قسوة المناخ . وهم يعرفون مفازتهم معرفة جيدة مثل معرفة البربر

(٤٧) جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٢٠٣ - ٢٥٥ .

(٤٨) انظر مثلاً ابن حوقل ، ٥١١ .

(٤٩) ابن حوقل ، آخر ٣ - ٤ ، ٤٦٨ - ٤٧١ .

(٥٠) انظر س . ١ . بوسورث ، م ١ (٢) ، ج ٤ ، ١٠٩٣ - ١٠٩٥ .

(٥١) ابن حوقل ، آخر ٣٥ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ - ٤٨٠ ، المقدسي آخر .

٢٦٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ .

لمغازتهم (٥٢) . ويصطادون السمك من مصب جيحون في بحيرة خوارزم . ومحاصيل زراعتهم جيدة (٥٣) . إلا أن الأسفار هي التي تجتذب الخوارزميين : فهم يغزون الترك المجاورين لهم ، ويأسرونهم ، ويأخذونهم رقيقاً ، ولهم تجار يتوغلون بعيداً في أعماق آسية أو يصلون إلى بلدان نهراتل ، ويحصلون على الفراء والرقيق (٥٤) .

وخوارزم غريبة قطعاً . ويقال لنا أنها إقليم منقطع عن خراسان وعن ماوراء النهر ، وتحيط به المفاوز من كل جهة . مع ذلك ، لم يضم إلى سائر أصقاع التبعية السامانية (٥٥) . ولا تقضي التجارة وحدها على عزلتها . فنحن نعرف أنها كانت أحد أنشط مراكز الثقافة العربية الإسلامية . ويمتدحها المقدسي بحق لهذا السبب ويقول : « وأقل إمام في الفقه والأدب لقيته ، إلا وله تلميذ خوارزمي » (٥٦) . لكن أين نحدد بوضوح موقع هذا البلد على خريطة الأمم التي تتألف منها دار الإسلام ؟ بالفعل لدينا فارس من جهة : وابن حوقل يحكم على طرافة خوارزم في نطاق خراسان (٥٧) ، وتؤيد تسمية الأماكن وحدها معنى هذا المرسى في أحد أقنية الماء العميقة أو الخطرة ، المعروفة باللغة

(٥٢) ابن حوقل ، آخر ١٠١ - ١٠٢ ، ٤٥٣ ، المقدسي ، ٣٦ ، ٣٨٦ ، ٣٣٦ .

(٥٣) ابن حوقل ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، المقدسي ، ٢٨٦ .

(٥٤) ابن حوقل ، ٣٤٢ ، ٤٦٧ ، آخر ٤٧٧ ، ٤٨١ - ٤٨٢ ، المقدسي ، آخر ٢٨٥ - ٢٨٦ ، ٢٨٩ .

(٥٥) ابن حوقل ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٩٥ ، ٤٧٤ ، ٤٧٧ ، المقدسي ، ٣٣٧ .

(٥٦) المقدسي ، ٢٨٤ آخرها .

(٥٧) ابن حوقل ، آخر ٤٨١ .

الفارسية بـ « غاو خوار » أي لحم الثيران (٥٨) ، أو معنى خوارزم ذاتها، الشهيرة باللحم (خواره بالفارسية)، وخطب التدفئة (رزم) (٥٩) .
إلا أن الأعراف بلا ريب تشبه الخوارزمي بالتركي : فلهما زي واحد : القراطق والقلانس (٦٠) ، ويدبغون الجلود بطريقة ماثلة (٦١) ،
ولهم خيم مستديرة واحدة (٦٢) .

ونترك الكلمة الأخيرة للمقديسي . فلهذه قصة تاريخية ، تدخل خوارزم في وقت قريب ضمن عالم الأتراك ، الذي ثراءى لنا صورته بين السطور . ويقال (٦٣) ان ملك الشرق في القديم غضب على أربع مائة رجل من أهل مملكته ، فأمر بحملهم إلى موضع منقطع عن العمارات . ثم أمر أن يحمل اليهم أربع مائة جارية تركية . « فلأى اليوم ، قد بقي فيهم شبه من الترك » . وسئل أحد الخوارزميين لم رؤوسهم تخالف

(٥٨) ابن حوقل ، ٤٧٩ ، من الفارسية غاف ، ثور ، وخوار غذاء (الصحيح لحم .

(٥٩) المقدسي ، ٢٨٥ .

(٦٠) ابن حوقل ، ٤٨١ (مقارنة لم يبرزها المؤلف ، لكن انظر جغرافية دار الاسلام، ج ٢ ، ٢٣٤) .

(٦١) ابن حوقل ، ١٦٢ (هنا المقارنة بارزة) .

(٦٢) المقدسي ، ٢٨٥ : كاخاخات، دي خوية (م ج ع، ج ٤ ، ٣٣٨) يتردد ويرى فيها على سبيل الاحتمال جميع كوخ بالفارسية . اميل انا الى الظن بان الكلمة تحريف خوكاهات جمع خرجاه بالعربية أي خيمة مستديرة . انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٢٢٢ (حاشية ٤) ، ٢٢٦ (حاشية ٧ من ٢٢٥) ، ٢٦٥ (حاشية ١) ، ٢٧٦ (مصحح في المقطع سطر ١٣ : الموضوع يتعلق بمحاربين خوارزميين بلا تدقيق آخر) ، ٢٩١ (حاشية ٧) .

(٦٣) المقدسي ، ٢٨٥ - ٢٨٦ .

رؤوس الناس ، فقال : « كانوا يغزون الترك ، فيأسرونهم وفيهم شبه من الترك ، فما كانوا يعرفون . فربما وقعوا إلى الإسلام ، فبيعوا في الرقيق . فأمرؤا النساء إذا ولدن أن تربط أكياس الرمل على رؤوس الصبيان من الجانبين ، حتى ينسبط الرأس . فبعد ذلك لم يسترقوا ورداً من وقع فيهم إلى الكورة » . اذن يقال ان الفرق بسيط ، مثلما نرى ، ولم يلبث الأتراك أن تدفقوا على البلاد ، فزال الفارق .

وننتقل الآن إلى البقعة الثانية ، إلى أرض جبال الغور في وسط أفغانستان . فمياها واسعة ، تشمل أربعة أنهار تنزل منها إلى بلخ ومرو وهرات وسجستان . وهي حصينة ومنيعة وشبه مجهولة في النهاية (٦٤) . ويجمع الجغرافيون على اعتبارها دار كفر في دار الإسلام . وقد أقيم فيها خط من الرباطات والحصون ، غايتها الهجوم للدفاع : فصارت تلك الجبال ميدان حرب يؤخذ منها الرقيق (٦٥) ويحلب منها الأسلحة والأغنام (٦٦) لكن بطريقة سلمية بلا ريب .

لكن من يلوذ بجبال الغور ؟ يتحدثنا كتاب حدود العالم عن قوم بشرتهم فاتحة ، أو على النقيض داكنة نوعاً ما ، وعن ملكهم غورشاه الذي يتبع هو وجار له شمالي ، ملك الغرج ، عاهل الجوزجان شمالي

(٦٤) ابن حوقل ، ٤١١ (الخريطة) ، ٤٤٤ ، المقدسي ، ٢٣ ، ٣٠٧ ، ٣٢٩ - ٣٣٠ ، ٣٤٩ - ٣٥٠ ، حدود العالم ، ٦٣ - ٦٤ ، ٧٣ ، ١٠٤ ، آخر ١٠٥ ، ١١١ ومينورسكي ، المرجع ذاته ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٤٢ - ٣٤٤ .

(٦٥) ابن حوقل ، آخر ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٤٤ ، المقدسي ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، حدود العالم ، ١١٠ (الغور وثنيون من قبل ، لكن مسلمون على نطاق واسع اليوم : تقدير مبالغ فيه في الحد الأدنى ، انظر مينورسكي ، المرجع ذاته ، ٣٤٤) ، ١١١ .

(٦٦) ابن حوقل ، ٤٥٢ ، حدود العالم ، ١١٠ .

غربي بلخ (٦٧) . ويوضح لنا الإصطخري بعض الشيء أصل أهل الغور . ولا شك أننا هنا ، كما في خوارزم ، على أرض تخوم عالمي الفرس وطوران . فمن جهة ، يقال بأن لغة الغور تختلف عن اللغة الخراسانية إذن تجري المقارنة ، فيما يبدو ، ضمن أراضي الفرس (٦٨) . من جهة ثانية ، يقول الإصطخري ان « الخلخ صنف من الأتراك ، وقعوا في قديم الأيام إلى الأرض التي بين الهند ونواحي سجستان ، في ظهر الغور . وهم أصحاب نعم على خلق الأتراك وزعيم ولباسهم (٦٩) ولا يقبل الجدل ضغط الأتراك على الغور وعلى حدودهم . وتقترن أسماء هذه الأرجاء باسم الخلخ بانتظام (٧٠) . لكن ما لم يرد في النصوص الجغرافية القديمة جداً حتى الآن ، هو أن الوضع سوف يتطور تطوراً عكسياً بالنسبة إلى خوارزم : فالخلخ ، الأتراك أو ربما الهياطلة القدامى ، لم يسيطروا على أرض فارسية ، بل شكلوا قبيلة غلزاي الأفغانية ، وصارت لغتهم تدعى باتشو (٧١) .

الأكراد

اشترك الأكراد والبربر بشرف إثارة الجغرافيين الذين يعنون بوصف

(٦٧) حدود العالم ، ١٠٦ ، ١١٠ .

(٦٨) الإصطخري ، ١٥٧ .

(٦٩) الإصطخري ، ١٤١ ، كرره ابن حوقل ، ٤١٩ . عن تصحيح لباس بلسان () اجراها مينورسكي في ترجمته الإصطخري ، حدود العالم ، ٣٤٧ () . انظر س . ١ بوسورث ، خلخ ، ١٣ (٢) ، ج ٤ ، ٩٥٠ (٢) .

(٧٠) ابن خرداذبة ، ٣١ ، المسعودي (م) ، فقرة ١١١٩ و ٢٠ ٦٣ (عن تصحيح خلوخ (خولوخ ، قرلق) إلى خلخ ، انظر مينورسكي ، حدود العالم ، ٢٨٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٧ ، ابن حوقل ، ٤١١ (الخريطة) ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ، ٤٥٢ ، حدود العالم ، ١١١ . (٧١) انظر بوسورث ، ١٣ (٢) ، ج ٤ ، ٩٥٠ .

أرض البشر . فنطاق سكن هذا الشعب معروف جيداً . ويشار إلى بعض جماعات منهم على تخوم خراسان (٧٢) . إلا أن موطنهم الأساسي يقع في ثلاثة قطاعات : أولها لورستان وفارس وخوزستان وفي مناطق كاملة منها أحياناً (٧٣) ، ثم في غربي إقليم الجبال من أذربيجان إلى حدود العراق (٧٤) ، وأخيراً في الجزيرة بمعناها الواسع حتى الران واربينية حيث يشتد الضغط الكردي (٧٥) .

ويسترعي الانتباه لأول وهلة كثرة الاكراد الفاتكة . وتعدد أحيائهم (٧٦) ، مثلما عُدَّت قبائل البربر من قبل . لكن يُعْتَمَنُ خاصة بآماكن استيطانهم . ويعدون خمس مائة ألف بيت شعر ، وتبلغ أحيائهم الثلاثة والثلاثين ، وتجمع كلها في خمسة رموم (٧٧) .

(٧٢) ابن حوقل ، ٤٤٣ ، آخر ٤٤٦ .

(٧٣) ابن حوقل ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٢٦٩ - ٢٧١ ، آخر ٣٠١ ، المقدسي ، ٤٠٨ و م ج ع ، ج ٤ ، الفهرس الجغرافي ، لفظ ر م . عن وجود كردي غير صحيح في كرمان ، انظر ا . ك . س ، لمبتون ، م (٢) ، ج ٥ ، ١٥٤ .

(٧٤) اليعقوبي ٢٣٦ ، ابن رسته ، ١٦٥ ، مسعر (ب) ، ١٨ ، ابن حوقل ، ٢٤٧ ، ٣٥٨ (الخريطة) ، ٣٦٠ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، حدود العالم ، ١٣٨ ، ومينورسكي المرجع ذاته ، ٣٩٢ .

(٧٥) ابن الفقيه ، ٢٤٥ ، ابن حوقل : آخر ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، المقدسي ، ٣٧٧ .

(٧٦) المسعودي (م) فقرة ١١١٨ ، مسعر (ب) ، ١٨ ، ابن حوقل ، آخر ٣١٥ ، ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٢٦٩ - ٢٧١ ، ٣٣٦ ، آخر ٣٧٠ ، المقدسي ، ٤٤٦ .

(٧٧) من الفارسية رام ، رامه ، جماعة من الناس . يكتب أحياناً زم : انظر م ج ع : ج ٤ ، ٢٥٠ . عن هذه الأحياء ، انظر ابن خردادبة ، ٤٧ (٤ رموم في فارس) . ابن الفقيه ، ٢٠٣ ، ابن حوقل ، ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٢٦٩ - ٢٧١ ، آخر ٣٠١ ، المقدسي ، ٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ (حاشية ب) .

ويعني العدد والقوة ، التسوية والعنف والسلب (٧٨) . والتعمر الصامت ، والإستقلال (٧٩) . ولم تأت المقارنة بين الأكراد والعرب أو غيرهم من البدو (٨٠) وليدة الصدفة . ويكفي خطو خطوة واحدة أخرى ، لإعطاء الأكراد ، جزاء انفتهم ، محتداً بدوياً أو فارسياً أو تورانياً ، بالحاقهم باماء سليمان بن داود (٨١) . وزال كل ذلك مع مرور الزمن ، فمنهم اليعقوبية والجورقان وهم نصارى ، وفيهم من رأيهم رأي الخوارج (٨٢) . « فحاولوا عن لسانهم ، وصارت لغتهم أعجمية ، ولكل نوع من الأكراد لهجة كردية خاصة بهم » (٨٣) .

وكيف يعيش هؤلاء القوم ؟ الحقيقة أنهم مقسومون إلى فئتين ، فبعضهم يحب السهوب وأصبح متبدياً (٨٤) ، والبعض الآخر استقر في الجبال ، وامتحن الزراعة (٨٥) . مع ذلك ، يبدو أن نمط

-
- (٧٨) اليعقوبي ، ٢٣٦ ، ابن رسته ، ١٦٥ ، مسر (ب) ، ١٨ ، المسعودي (م) فقرة ١١١٠ ، ابن حوقل ، ٢٢٨ ، ٣٦٠ .
- (٧٩) ابن الفقيه ، آخر ١٢٨ ، ٢٩٣ ، مسر (ب) ، ١٨ ، ٢٥ ، ابن حوقل ، ٢٧١ ، ٣٦٩ .
- (٨٠) الجاحظ ، مناقب الترك ، ٤٥ ، ابن حوقل ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ، آخر ٣٠٩ (مقارنة بالبلوس) ، ٣٢٨ (مع الزط البادية) .
- (٨١) المسعودي ، (م) ، فقرة ١١١٣ - ١١١٥ ، ١١١٨ ، ابن حوقل ، ٢٧١ (٨٢) ابن الفقيه ، ٢٩٣ ، المسعودي (م) فقرة ١١١٨ .
- (٨٣) المسعودي (م) فقرة ١١١٣ .
- (٨٤) ابن الفقيه ، ٢٤٥ آخرها (عن حمل الملح في فارس مع لفظ الجاقدق ، أي الراعي ، من الفارسية جاف أو غاف ، ثور وبادق قطع أو راعي ، ابن حوقل ، ٢٦٥ ، ٢٧١ (مع تنقل محدود) ، ٤٤٣ ، آخر ٤٤٦ .
- (٨٥) مسر (ب) ، ١٨ ، ابن حوقل ، ٢٦٩ ، ٢٧١ (جماعات نازلة في مناطق باردة) .

الحياة تُصِف البدوي وتُصِف الحضري هو القاعدة أحياناً . هكذا يخرج من البيت الكردي الواحد الأجراء والرعاة والحوّل (٨٦) ، ويقوم الأكرد في مدن وقرى موزعة بين مراعيهم (٨٧) . ويتزاوب البدو التجمّال في البادية مع التردد على الأسواق (٨٨) . ويصيفون في مصايف بلدهم ويشتون في مشاتيها ، وينتمون إلى أحد التجمّعات البشرية (٨٩) . في النهاية ، يصبح ارتباط الكردي بالأرض قوياً حتى يمكن من فرض ضريبة عليه . من هذه الزاوية ، اعتبر الرّم أيضاً منطقة عقارية (٩٠) . خلاصة القول ان الأكرد أقوام دخلت في دار الإسلام ، وتنقلت مثل أهلها بين السهوب ومنازل المدن أو بيوت الأرياف لكنها احتفظت بلغتها وتنظيمها الخاصين . فهم يختلفون عن دار الإسلام ويشبهونها بأن واحد ، وما يزال نشاطهم مستمراً حتى الآن ، وهذا ما يبعدهم عن إمكانية الانقراض .

بعض الأقوام الأخرى

ان تتم صورة شعوب دار الإسلام ، إذا لم نستعرض مافيها من أقوام ضعيفة الشأن وإن كانت متميزة إلى حد ، أثار اهتمام الجغرافيين ، ولو بصورة عابرة . ونبدأ بأقوام ، نازلة في وادي نهر مهران ، يتبعون

(٨٦) ابن حوقل ، ٢٦٥ ، حيث تستعمل كلمة رعاء الى جانب حول ، جمع خادل أو خولي : مدير ، حارس ، خادم أو راعي ، أيضاً : موظف مسح العقارات أو مزارع أو بستاني (انظر دوزي ، ج ١ ، ٤١٣) .

(٨٧) ابن حوقل ، ٢٤٧ ، ٣٣٦ ، ٣٦٩ .

(٨٨) ابن حوقل ، ٢١٧ .

(٨٩) ابن حوقل ، آخر ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٣٣٦ .

(٩٠) ابن حوقل ، ٢٦٩ ، آخر ٣٠١ .

الهند (٩١) على أنهم كفار . ونقول أولاً كلمة عن قبائل ميز : فهم أهل لابل يربون الحمل الفالح لتتاج البخاتي البلخية الشهيرة (٩٢)، وهم كالبدهة ، واسمهم السند هند أيضاً . والبدهة كالبادية من البربر ، لهم أخصاص وآجام يأوون اليها . وبطائح مياه يعيشون بها . ومدينتهم قندايل ، يقصدونها بخواتمهم ، ويتجرون فيها . وفي رستاق ايل ، قرب قندايل ، مسلمون وكفار وثنيون من البدهة ، كلهم حضر ، ولهم غلات وزروع وكروم ومواشي واسعة وخصب ولابل وغنم وبقر (٩٣) .

والوسط البرمائي نوع من مواطن البدهة ، تزداد صفاتها الطبيعية بـروزاً عند الزط ، أسلاف الغجر البعيدين . وفي غربي نهر مهران مياه منه تشكل بطائح كبطائح العراق ، عليها طوائف الزط . فمن قارب منهم هذا الماء ، فهم في اخصاص كاختصاص البربر وطعامهم السمك ، وسموكتهم كبار جليلة . ومن بعد من الزط عن شط مهران في البوادي ، فهم كالأكراد يتغذون بالألبان والأجبان ونخب الذرة (٩٤) أخيراً متى ابتعدنا باتجاه الغرب نحو خوزستان والعراق الجنوبي وحتى لإقليم الشام

(٩١) جغرافية دار الاسلام البشرية ، ج ٢ ، ٥٣٥ ، وج ٣ ، ٤٨٨ .

(٩٢) الاصطخري ، آخر ١٠٤ - ١٠٥ ، ابن حوقل ، ٣٢٣ - ٣٢٤ ، جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٢٥ - ٣٢٧ (حاشية ١) .

(٩٣) الاصطخري ، ١٩ ، ١٠٢ ، آخر ١٠٤ - ١٠٦ ، ابن حوقل ، ١٦ ،

٥٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ - ٣٢٤ ، ٣٢٦ - ٣٢٧ ، المقدسي ، ٤٨٦ .

(٩٤) الاصطخري ، ٣١ ، ١٠٧ (وحاشية ١) ، ابن حوقل ، ٥٠ ، ٣٢٨ ،

المقدسي ، ٤٨٤ .

الشمالي ، نعتز على زط المسيرة الطويلة ، نارلين في بلدان لاهرية ولا
مائة ، يربون فيها الجاموس المفضل لديهم ، المنفي مثلهم من موطنه (٩٥).

ويتصمم الأخواش والبارز وخاصة البلوص والقفص في سهوب
كرمان وجبالها بين السند وفارس . وهم أقوام أصلهم فرس (٩٦) .
أما الأخواش أو الخواش أو الخاش فبوادي ، أصحاب لبل ، ولهم
أخصاص ينزلون فيها ، ويتنجون المراعي (٩٧) . وللبارز جبال تحمل
اسمهم ، يقع فيها الثلوج ، لكنها خصبة ، وفيها أشجار ، وبها معادن
لأسماء الحديد . وكانوا على المجوسية في أيام بني أمية ، ثم أسلموا
لما ولي بنو العباس . ولم يكونوا دوماً مسلمين : فقد أخذ يعقوب وعمر
ابنا الليث ، وأميرا الصفارية ، رؤساءهم وملوكهم ، وأخلوا الجبال
منهم (٩٨) .

ويشير البلوص (٩٩) الإهتمام أكثر من سائر الأقوام في السراء
والضراء . ويجاورون القفص ، وينزلون في سفوح جبالهم . وبقوا

(٩٥) الاصطخري ، ٦٥ ، ابن حوقل ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، المقدسي ، ٤٢٠ ، جغرافية
دار الاسلام ، ج ٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٨ ، ٢٤٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، عن حومة (الزط)
انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢١ .

(٩٦) انظر ا . ك . س . لمبتون ، كرمان ، م ١ (٢) ، ج ٥ ، ١٥٤ .

(٩٧) الاصطخري ، ٩٨ ، ابن حوقل ، ٣٠٩ . (ترجمة ، ٣٠٣ ، اقرأ : الاخواش ؛
٣١٣ ، المقدسي ، ٤٧١ (الاخواس ولمبتون ، مشار اليه ، ١٥٤ .

(٩٨) الاصطخري ، ٩٨ ، ابن حوقل ، ٣٠٩ - ٣١١ ، المقدسي ، آخر ٤٧٠ -
٤٧١ ، لمبتون ، مشار اليه ، ١٥٤ - ١٥٥ .

(٩٩) الاصطخري ، ٩٨ ، ابن حوقل ، آخر ٣٠٩ - ٣١٠ ، المقدسي ، ٤٦٩ ،
(حاشية ب) ، آخر ٤٧٠ - ٤٧٢ ، ٤٨٧ (حاشية م) ، ٤٨٩ - ٤٩٠ ، جغرافية =

مدة طويلة يقطعون الطرق ، ويخيفون السبيل وجميع من حولهم . ولا يخاف القفص إلا منهم . ويعيشون في بيوت من شعر ، ويزعمون أنهم عرب ، لكنهم صنف من الأكراد ، وحي من أحيائهم ، ويكونون على ما قاله أهل نواحيهم نحو عشرة آلاف رجل ، مستظهريين وممتنعين . وقد استأصل السلطان (عضد الدولة) شأفتهم ، وكسر شوكتهم ، وشتتهم ، والجأهم إلى خدمته في أعمال قمع القفص . وباختصار ، قضى على ضرورهم . وهؤلاء البدو رجالة (١٠٠) ، والغالب على خلقتهم النحافة والسمرة . وقد أصبحوا لا يعترضون أبناء السبيل إلا بخير . وكانوا في دعوة أهل المغرب . وتذكر طائفة تطلأ أخبارهم أن ببلادهم أموالا مجموعة وذخائر نفيسة . ويقولون إنها مدخرة لامام



رسم المتاحف الوطنية متحف لوفر، القسم الاسلامي ، ٧٥٠٢

كفن القديس جوس . قطعة حرير

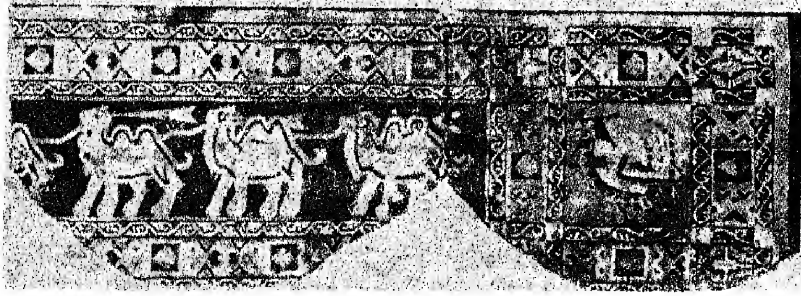
فارس الشرقية ، منتصف القرن العاشر (تصوير ا.شوزفيل)

= دار الاسلام ، ج ٣ ، ٧٦ (ح ٣٠) و ر . ن . فراى و ج . الفنيين ، بلوشستان في

١٢ (٢) ، ج ١ ، ١٠٣٦ - ١٠٣٨ .

(١٠٠) المقدسي ، ٤٨٩ ، تدقيق بهذا الشأن عندما يقول أنهم يركبون الجماز .

(الجماز ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٢٦) .



رسم المتاحف الوطنية - متحف لوفر ، القسم الاسلامي ، ٧٥٠٢

كفن القديس جوس . قطعة حرير

فارس الشرقية . منتصف القرن العاشر (تصوير ا. شوزفيل)

الزمان وصاحبه . وهذا الوصف عجيب ، إلا أن المقدسي مر في تلك
الناحية ، فعدل معطيات الإصطخري وابن حوقل ، وقال ان عند
بويه فارس أبدا أمة رهائن يذهب قوم ويرجع آخرون . والبلوص
أصبر خلق الله على الجوع والعطش ، زادهم شيء من الجوز يتخذ
من النبق (١٠١) ، يتقوتون به . يدعون الإسلام ، وهم أشد على
أخوانهم المسلمين من الروم والترك . ويقال إن عندهم أنهم لا يظفرون
إلا بأموال لا تزكى ، ويرون أن ما يأخذونه حق لهم واجب . وإذا
أسروا رجلا ، أمروه بالعدو معهم نحو عشرين فرسخاً حافي القدمين (١٠٢)
والقفص أسوأ من الجميع (١٠٣) . وهم شيعة ، ويتكلمون لهجة
فارسية . ومع أن السلطان جاس ديارهم ، وأخذهم رهائن هم أيضاً ،

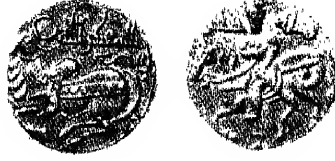
(١٠١) ثابت : انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(١٠٢) على ما يقرب من ٢٠ فرسخا اي حوالي ١١٥ كم .

(١٠٣) الإصطخري ، ٩٨ ، ابن حوقل ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ،

المقدسي ، آخر ٤٧٠ ، ٤٧١ (و. ح. ١) ، ٤٨٤ ، ٤٨٧ (و. ح. م. و. به) = -

فإنهم قطاع طرق يرتكبون أبشع الجرائم ، ويقول عنهم (١٠٤) المقدسي: « يسرون اليها من جبل كرمان . قوم لا أخلاق لهم . وجوه وحشة ، وقلوب قاسية ، وبأس ، وجلادة ، لا يبقون على أحد ، ولا ينعون بالمال حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار، كما تقتل الحيات . تراهم يمسكون رأس الرجل على بلاطة ، ويضربونه بالحجارة ، حتى ينصدع ، وسألته عن ذلك ، قالوا لا تفسد سيوفنا ، ولا يفات منهم أحد إلا ندر ، ولهم مكان ، وجبال يمتنعون بها . وكلما قطعوا في عمل ، هربوا إلى آخر » .



درهم عباسي عليه صورة جاموس (المقتدر ٨٢٩٥/٨٢٩٧ - ٨٣٢٠/٨٣٢٢م)

المحرف وتاريخ السك مجهولان

المكتبة الوطنية ، لاف ، ١٢١٩ ثالث

لنحتز الآن مفازة فارس الكبرى باتجاه الشمال الغربي ، حتى مشارق قزوین . ففي هذه النواحي التي تسمى جيل وديلم، تعيش

= ٤٨٩ - ٤٩٤ حاشية س من ٤٩٣) ، جغرافية دار الاسلام ج ٣ ، ٥٠ (ح ١٠) ،

٥٩ - ٦٤ ، و س . ١ بوسورث ، قصص ، في م ١ (٢) ، ج ٥ ، ٣٥٣ - ٣٥٤ .

(١٠٤) المقدسي ، آخر ٤٨٨ - ٤٨٩ ، مترجم في جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ،

. ٦٤

أقوام يرجح أنها من أصل فارسي قديم ، تتكلم لهجة فارسية (١٠٥) .
ومنهم انحدرت السلالة البويهية التي فرضت نفسها على خلفاء بغداد ،
بمزاياها العرقية وعبوبها الممكن اختصارها بكلمة واحدة ، هي القوة
المكبوحة أو المفرطة (١٠٦) . ويميز الإصطخري وابن حوقل السهل
المحصور بين البحر والجبل ، ويمتلكه الجبل ، وهم أهل زرع وسوائم ،
ولسانهم متفرد عن الفارسية والرائية والأرمنية . وفي بعض الجبل فئة
وطائفة تخالف لسان الجبل والديلم . أما الديلم ، أعني الديلم « المحض »
- ربما لأنهم لا يزوجون إلى غيرهم في رأي المقدسي - فسكان جبال
اعتنقوا الإسلام متأخرين ، وفيهم كفار حتى الآن . . . والغالب على
خلقهم النحافة وخفة شعر الوجه وكثافة شعر الرأس ، والطيش وقلة
المبالاة والإكتراث . فلديهم عل الدوام نشاط وحيوية عفوية تبدو
وكأنها حافز كيانه (١٠٧) .

ولنغير الوسط مرة أخرى ، وننتقل إلى مصر ، بلاد القبط (١٠٨)
الذين يتحدثون بالقبطية (١٠٩) ، ولهم تقويم خاص بهم (١١٠) .

(١٠٥) انظر ف . مينورسكي ، الديلم ، م ١ (٢) ، ج ٢ ، ١٩٦ ، و ب . سبورلر ،
جبلان ، المرجع ذاته ، ج ٢ ، ١١٣٧ - ١١٣٨ .

(١٠٦) انظر ما تقدم ، الفصل ١ .

(١٠٧) الإصطخري ، ١٢١ ، ابن حوقل ، ٣٧٦ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩ ، المقدسي ،
٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(١٠٨) عن القبط ، انظر ا . س . عطية ، م ١ (٢) ، ج ٥ ، ٩٢ - ٩٧ .

(١٠٩) المقدسي ، ٢٠٣ .

(١١٠) المسعودي (م) فقرة ٧٧٨ - ٧٧٩ ، ابن حوقل ، ١٣٦ - ١٣٧ .

المقدسي ، ٢٠٦ ، آخر ٢١١ - ٢١٢ ، وجغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١٨١ .

وهم معروفون بأنهم نصارى (١١١) . ولا احد ينازعهم في كونهم
اعمرؤا مصر قبل سواهم : ويرجع الاصطخري (١١٢) الى الاخبار
القديمة ، ليدكر اراضي العرب واليونان والعمالة والاقباط الذين
يسمىهم الكلبي علوج مصر ، على حد قول ابن الفقيه (١١٣) . لكن
هذا التاريخ القديم يندرج جيداً مع ذلك في التاريخ الذي بدأ بالإسلام ،
اذ ان القبطية يعبدون لها واحداً يسمونه ابنوذه (بتوني) (١١٤) .
ومن اولاد القبط المعروفين في الدين الحقيقي ، هاجر ام اسماعيل ،
ومارية القبطية ام ابراهيم ابن النبي (١١٥) .

ويرتبط الأقباط بطبيعة مصر ، على الأصح ، بأرضها التي
يحرثونها في جميع الأماكن تقريباً ويستغلونها استغلالاً يفيض عن
حاجتهم ، وبنظامها الضريبي والعقاري ، وبيعها المنتشرة هنا وهناك
وقد خرب منها الكثير العظيم — مما يدل على توسع الإسلام — وبذلك
القرى الكبيرة التابعة إلى الوجهاء المحليين الأثرياء والمتنفذين (١١٦) .
والقبطي متوقد الذهب ومولع بالغناء . والقبطيات رائعات الجمال في
الغالب ، كثيرات الإنجاب ، ربما ولدت إحداهن الولدين والثلاثة
والأربعة في بطن واحد في حمل واحد، ذلك أن ماءهم من النيل، أنثى
على قولهم (١١٧) . لكن لديهم عيوب أيضاً . فقد قال يحيى بن

(١١١) ابن الفقيه ، ٧٧ ، ابن حوقل ، ١٥٥ ، المقدسي ٢٠٢ .

(١١٢) الاصطخري ٢٠ . ابن حوقل ، ١٩ .

(١١٣) ابن الفقيه ، آخر ٣٥ .

(١١٤) ابن الفقيه ، ٧٨ .

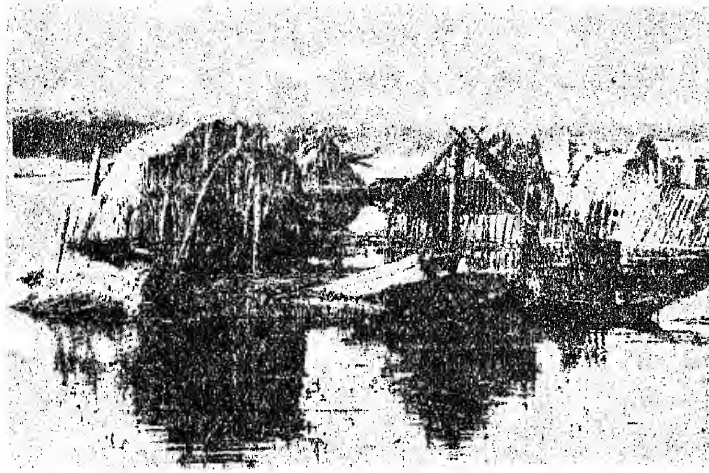
(١١٥) ابن الفقيه ، ٥٩ ، ابن حوقل ، ١٦١ .

(١١٦) ابن حوقل ، ١٥٥ - ١٥٦ ، ١٦١ ، المقدسي ، ١٩٣ ، ٢٠٢ .

(١١٧) ابن الفقيه ، ٥٩ ، ١٤٢ (شعر كشعر القبط ، بلا شرح اضافي) ، ابن

حوقل ، ١٦١ ، عن الماء الا نبيث ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١٤٥ - ١٤٧ .

محفوظ (١١٨) عنهم : خالق الله الغنى وخالق معه الذل وأسكنه مصر .
ومن يقل مصر ، يقصد بلاد القبط الذين قال عنهم كعب القرطبي :
خالق الله السرفة تسعة أجزاء ، سبعة منها في القبط . ويقول عنهم
المقدسني إن رسومهم في إقليم مصر عالية وإنهم يشكلون أكثرية سكان
تنيس (١١٩) . ولا شك أن هذه الأحكام جائرة ، تنسجم مع الأعراف
الأدبية ، ويريد أصحابها أن يظهروا أنهم يعرفون مصر . أما أنا فأبرز
قول ابن حوقل (١٢٠) إن الأقباط مندمجون ومنصهرون في مصر
المسلمة أو الأثرية ، يقيمون في قرى يتجاور فيها المسجد والبيعة ،
ويؤلفون شعباً صبوراً نشيطاً ودمناً ، لا حيال جباية الخراج والحزبة .
باختصار ثبتوا وقبلوا .



قرية قصب في بطيحة الفرات الكبرى (في العراق)

-
- (١١٨) ابن الفقيه ، آخر ٧٥ - ٧٦ (وترجمة ، ٩٢ ، حاشية ١) المسعودي
(م) فقرة ٩٨٥ .
(١١٩) المقدسي ، ١٩٣ (وحاشية ح) ، ٢٠١ .
(١٢٠) ابن حوقل ، ١٥٥ - ١٥٦ .

ونختتم هذا الفصل بكلمة موجزة جداً عن العبيد . فنصوص الجغرافيين لاتغفلهم ، بل تنسبهم إلى بلدهم الأصلي في افريقية الغربية والشرقية ، وتسميهم السودان أو الزنج . وعلى هذا الأساس درسناهم في كتاب آخر (١٢١) . أما في داخل دار الإسلام ، فإن وجودهم ، وثوراتهم (١٢٢) لم يخلفا أثراً في الجغرافية التي تتوخى وصف هذه الدار وحدها (١٢٣) . ونحن نكتشفهم من خلال باب السودان في صقلية ، أو من خلال قول ابن حوقل ، نقلا عن الكندي ، إن السودان إذا توالدوا في بلد البيضان سبعة أبطن ، عادوا في صورتهم وخلقتهم من البياض والنقاء . يضاف إلى ذلك بضعة أسطر فقط عما يجهز من المغرب من الخدم المجلوبين من بلاد السودان وعن صحتهم وخدمتهم الدائميتين . باختصار ، خلافاً لسواهم لايؤلفون قوماً في مملكة الإسلام وهم متفروقون في كل الجهات من أراضيها الشاسعة ويعدون كثيراً عن مدينتهم . وعندما تستخدمهم دار الإسلام ويندججون بها ، تصهرهم فيما يبدو . فهم يشبهون أهل الأرياف من مساكن المساكن ، ويتوزعون مثلما نعرف في جميع الأماكن ، يقومون بأعمال الحضر الأساسية ، وفي المحارف والدكاكين ، وفي المعسكر أو المنزل . لكنهم منسيون محلياً في قطاعات كاملة من الأدب ، مثل قومهم ، ومتوارون دوماً تقريباً وراء عملهم الظاهر الذي لا يحمل اسمهم .

(١٢١) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٢٧ - ٢٠٢ .

(١٢٢) عن أشهرها في العراق الجنوبي في القرن ٣ / ٨ م ، انظر ا . بوبوفيك ، ثورة الزنج في العراق في القرن ٣ / ٩ ، باريس ، ١٩٧٦ .

(١٢٣) باستثناء الفارات على بلاد الزنج التي نحيل بشأنها الى ج . دار الاسلام ، ج ٢

(١٢٤) ابن حوقل ، ٧٣ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٢٢ .

الفصل الرابع أهل الذمة

ينظر الجغرافيون العرب إلى جميع الذين لا يعتنقون الإسلام ، وتؤويهم داره أو تتساهل بوجودهم فيها ، ويقفون متسائلين . ونظن أنهم لم يكونوا أول من فعل ذلك . فعلى غرار الفصل السابق ، سوف نقول كلمة في البدء عن مصنفات مؤلفين لم يكونوا جغرافيين صراحة ، أو كانوا جغرافيين أحياناً ، لكنهم أسهموا بظهور الجغرافية بالمعنى الصحيح ، في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . ونشرع بسؤال الموسوعيين عن رأيهم الأساسي في أديان غير المسلمين (١) . ثم نتخير بعض المعلومات البعيدة عن المفهوم النظري الصرف ، عن سلوك أو موضع الأقليات المعنية . أخيراً ، نعتمد على ابن حوقل والمقدسي ، ونحاول أن نرى مصير تلك الأقليات في وصف دار الإسلام . في نهاية العام الف .

في تبعية فارس

لا يخلو الجدل ، المنوه به ، بين العرب والفرس ، من خلفية دينية أشرنا

(١) نحيل لهذا الموضوع على الأجمال إلى ما قيل عن مختلف المؤلفين في جغرافية دار الإسلام ، ج ١ ، في أماكن متفرقة .

اليها من قبل . فمئى اجتيزت الجزيرة : تحوم الشكوك دوماً حول ما بعدها من بلدان، ويتهم بممارسات آثمة، مستوحاة من الماوية والمجوسية التي تعتبر حركة اجتماعية متطرفة تدعو فيما تدعو اليه من قبائح الى شيوع النساء (٢). وتعد المجوسية ووجهها البارز زرادشت، وريثة فارس، وهذا الدين مقلق أحياناً ، وتتردد دار الإسلام بالإعتراف به معتقد وحي ، لكنها بلا ريب تسمي اتباعه « أهل كتاب » في أفضل الاحتمالات إنما من الدرجة الثانية . (٣) . وهذا ما يعبر عنه المقدسي بطريقة فيما يلي : « فالمجوس إلى هذا الوقت ، يعجزون عن حفظ كتابهم المنزل » ، فصار علماءهم وموابلهم يحفظون اسبوعاً من هذا الكتاب وأرباعاً وأثلاثاً ، ويجمعون إذا أرادوا سماعه على الكمال (٤) .

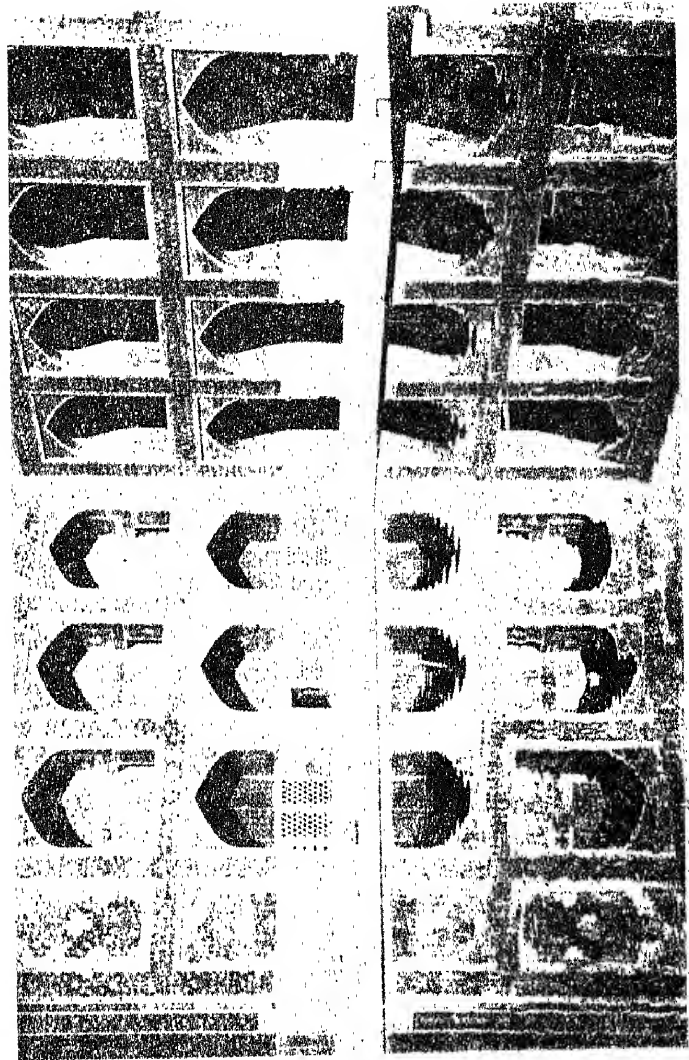
وتثير المجوسية الفضول ، بل تسحر الألباب (٥) : أولاً بشخص نبياها ، زرادشت ، الذي أتى بالمعجزات ، وأخبر عن الكائنات من الغيبات قبل حدوثها ، ثانياً بغنى لغتها المقدسة (في كتاب الزمزمة) الذي يدور معجمه على ستين حرفاً ، وليس في سائر اللغات حروف

(٢) انظر المسعودي (م) ، ٥٨٩ ، ٥٩٤ ، ٦١٧ - ٦١٨ ، المسعودي (ت) ، ١٤٤ - ١٤٥ ، المقدسي ، ج ٣ ، ١٧٠ - ١٧١ ، عن المجوسية وعلاقتها بالزردشتية والماوية ، انظر م . غيدي ، ١٢ ، ج ٣ ، ٤٩٢ - ٤٩٥ . عن الماوية ، انظر كتاب ه . ش . بويش تحاسة ، الماوية مؤسستها وعقيدتها ، باريس ، ١٩٤٩ ، و « الماوية » في تاريخ الأديان ، باريس ، ١٩٧٣ ، ص ٥٢٣ - ٦٤٥ . انظر أيضاً ، م . تارديو ، الماوية ، باريس ، ١٩٨١ .

(٣) انظر م . موروني ، « المجوس » ، ١٢ (٢) ، ج ٥ ، ١١٠٥ - ١١١٤ .

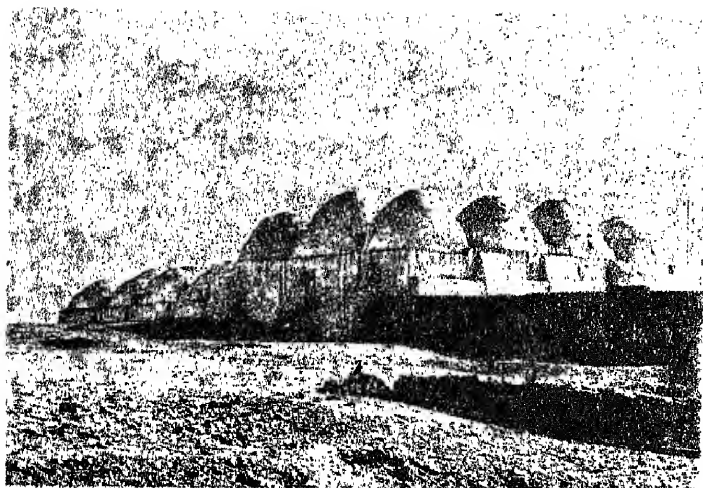
(٤) المسعودي (م) ، ٥٤٩ ، ٥٤٩

(٥) عن المعطيات التالية ، انظر المسعودي (م) ، ٥٤٧ - ٥٥٠ ، ٥٩٤ ، ١٣٩٩ - ١٤٠٦ ، ١٤١٢ ، المسعودي (ت) ، ١٣١ ، ١٣٦ .



جامع الشاد ، اصفهان ، المغرب

(تصوير مارك ريمو) الأكبر



(تصوير ش. بستين و ج . افرازد . بروكسيل)
دير قبطي مبني بالطين المضغوط ، تود ، وادي النيل ، مصر

أكثر من هذا ، وحرر بلغة يعجز عامة الناس عن إيراد مثلها ، وعمل له تفسير (الزند) ، ثم عُمِّل للتفسير تفسير (بازند) : وعمل العلماء بعد وفاة زرادشت تفسيراً لتفسير التفسير وشرحاً لجميع ما تقدم (باردة) . وكتب كتاب زرداشت بالذهب في إثني عشر ألف جلد بقر : أخيراً رمز المجوسية المنظور ، ورمز فارس ، بيوت النيران التي ازدهر بناؤها بعد مجيء زرادشت . ويبدو أن كل ملك من ملوك فارس القديمة أشاد بيت نار أو عدة بيوت في عهده ، على حد قول المسعودي . وبيوت النار كثيرة في الهند والصين وأذربيجان وخراسان . وتأتي في طليعتها بيوت نيران فارس الثلاثة الكبرى : في سابور قرب عين ماء شهيرة ، ثم في اصطخر وقد خرب الناس يذكرون أنه مسجد سليمان ابن داود الذي حبس فيه الريح التي يسمع لها فيه هبوب ودوي ، وفي دارابجرد خاصة حيث النار المعظمة .

ويستدعي نشوء دين المجوس بعض الشروح عند المسعودي (٦) . ففي البدء كان ديناً شعبياً ثم حوله ملوك فارس إلى دين دولة . ويرى المجوس أن النار من جنس الألهة النورية ، وأنها واسطة بين الله وبين خلقه . ولا يعبد النور كنور ، بل لأصله المنبثق منه الذي يحمله . وهو أدنى مرتبة من الماء.أصل كل حي، الذي يتفوق على النار باطفائه لها — وفي أصل النار صلاح العالم ونبله، خلافاً لفوضى الظلمة وشرورها . وينكب المقدسي ، مؤلف كتاب البدء والتاريخ ، هو أيضاً ، بحماس مائل ، على المجوسية ، ويتناول نواحيها التنظيمية والاجتماعية (٧) . ريدرس بعض الفاظ من مفرداتها ، ويشير إلى بعض النقاط البارزة

(٦) المسعودي (م) فقرة ١٣٩٩ .

(٧) المقدسي ، ج ١ ، ٥٧ ، ج ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٢٤ ، ٢٨ .

فيها ، مثل السماح بالزواج من الأخت أو الإبنة ، وحظر استعمال أواني الخشب والخزف في الطعام ، والإيمان بعودة أرواح الموتى ، مما يجعل منازلها تمتلئ بروائح العطور والأطعمة تكريماً لها ، في الأيام التي يتوقع فيها أنها ستأتي زائرة . وفي النهاية ، تبرز عند المقدسي المقارنة بين الإسلام والمجوسية ، وإظهار الفوارق بينهما ، كما في الصلوات اليومية التي تجري ثلاث مرات عند المجوس وهم متوجهون إلى الشمس ، أو كالطهارة الإجبارية عندهم مرة واحدة في اليوم دون أن ترتبط بأوضاع خاصة يقتضيها الإسلام (٨) . وتقارب المقايسة بوضوح في ميادين أخرى ، ويمكن الحديث عن نوع من التصورات المسبقة لموقف الإسلام : ففي كليهما يحظر أكل لحوم بعض الحيوانات ، والعطاء طوعي من الأموال الخاصة بالمزكي ، والعقوبات تدرجية وتزداد شدتها في حالة تكرار الجرم ، بالنسبة إلى قطاع الطرق واللصوص (٩) . خلاصة القول يشبه موقف المقدسي موقف المسعودي ، ويقع في منتصف الطريق بين الإهتمام المتعاطف وبين التحفظ الصريح .

ونترك فارس ، ونرجع إلى الجزيرة ، فنجد ديناً آخر ، انتشر في يوم من الأيام ، واعترض الإسلام على وضعه مثلما فعل بالمجوسية . فعلى مسافة ٤٠ كم جنوبي شرقي الرها ، تقوم حران أو كارهاي

(٨) مع ذلك تجب عند لمس أحد الموتى ، المقدسي ، ج ٤ ، ٢٦ .

(٩) تذكر ضر وب البقر المتتالية والمتشعبة قصاصاً للصوم في حالة تكرار الجريمة (المقدسي ، ج ٤ ، ٢٧) بالعقوبة المسماة «الأموات التسعة» (انظر ١ . كريستنسن ، فارس في عهد الساسانيين ، كوبنهاغن - باريس ، ١٩٣٦ ، ص ٣٠٥ ، وعلى العموم من أجل النظام القضائي في فارس في عهد الساسانيين ص ٢٩٤ وما يليها) .

الرومانية ، عماد عقيدة الصابئة (١٠) ، الشهيرة بترجمتها ، رواد الثقافة العربية الإسلامية في أوائل الخلافة العباسية . وقد قلدت الصابئة ، حسب المسعودي ، (١١) اليونانيين القدامى تقليداً خالياً من الطرافة ، فرتبت الكهنة في هياكلها مراتب على ترتيب الأفلاك التسعة . ثم وردت بعدهم النصارى ، فرتبت الكهنة في كهاناتها على ما تقدمت به الصابئة في مذهبها ، وسمتهم الطغمات ، وجعلتهم تسعاً ، هن السلط ، وأعنسط ، ويودنا ، وشماس ، وقسيس ، واسقف ، ومطران . وهذا الكلام تقليد محض لتنظيم الكنيسة الملكية ، إلا إذا رأينا فيه تأثير المانية ، وإن كان ماني رئيس هذا الدين جاء بعد عيسى بن مريم .

ويكرر المقدسي هذه الصلة (١٢) ، ويعرف الصابئة في البداية بأنهم مؤمنون صادقون ، يبحثون بإسهاب في الخلق ، وفي رسالة الأنبياء الذين كونوا عندهم صورة سامية جداً ومتشعبة جداً ، وفي القضايا الفلسفية والأخلاقية إجمالاً . وننتهز هذه الفرصة ، ونبرز في هذا السياق ميل الصابئة إلى العاسم ، الذي يعتبرونه ، كما فعل أرسطو طاليس ، أحد أنشطة الإنسان السائغة ، بل المرغوب بها . وتوحي بعض الدلائل أنهم يكادون يكونون قرييين من الإسلام ومن نمط الحياة العربية : أولاً بصلواتهم الثلاث اليومية في الفجر والظهر والعشاء ، التي يتوجهون فيها يوماً بعد يوم إلى أحد الكواكب السبعة المؤثرة ،

(١٠) خاصة عامة بقلم ب . كارادي ، فورم ١ ج ٤ ، ٢٢ - ٢٣ ، لكن انظر بخاصة المقالة الأساسية لم . تارديو في المجلة الآسيوية ، ١٢٤ روماني ، (١ - ٢) ، ١٩٦٨ ، ص ١ - ٤٤ .

(١١) المقدسي (م) ، ٢١٠ - ٢١١ ، ١٣٨٩ - ١٣٩٧ .

(١٢) المقدسي ، ج ٤ ، ٢٠ - ٢٣ .

ثم بصيامهم ومحارمهم الجنسية أو الغذائية الخاصة بالخنزير والفول والثوم ، ثم بفرض استهلاك لحوم حيوانات مذبوحة حسب الطريقة الشرعية ، وحظر استرجاع الزوجة المطلقة ، والمساواة بين الرجل والمرأة في قضايا الإرث ، وبأهمية الإبل . . .

لكن من أين جاء دين الصابئة ؟ يقارنه المقدسي بالثنوية التي يدرج فيها ، بمعنى واسع جداً ، اتباع المجوس ، والمزدقية ، ومرييون ، وابن ديسان أيضاً . ويتساءل : هل يجب أن نميز بين مواقف مختلفة : فالصابئة تدين بالثنوية الخالصة على طريقة ماني ، رتؤمن بوجود أصليين : النور الحي الخلاق العالم ، والظلمة الشريرة ، الجاهلة ، العمياء . يؤكد آخرون إيجابية الأصلين ، ويبالع آخرون أيضاً بالتقسيم العام : فالمرقونيون يدخلون بين النور والظلمة قوة ثالثة متوسطة بينهما ، ويفضل البعض تنظيم العالم حسب العناصر الأربعة الكبرى ، ويضيفون إليها جوهرًا خامسًا . ويظن على الإجمال أن هذا التردد ذاته وتنوع التصنيفات يؤيدان الحكم الضمني على تطبيق الممارسة الطقسية والاجتماعية، الذي يقع مرة أخرى على منتصف الطريق ، ويقول بوجود ناحية جيدة في دين الصابئة ، ولا شيء غير ذلك .

ويتجاوز الجحور الروحي فارس ، ويستمر ، ويدوم بعد الحدود الزمنية التي كان ينبغي أن يعينها له ظهور الإسلام . إنما يستشف دوماً هنا وهناك ، بعد الوحي القرآني ، آثار المانية . وتكمن النار المعبودة علناً في بعض بيوت النيران ، في جميع الأماكن تقريباً ، وتتحفز

للاضطرار . والخرمية أو الحرمينية (١٣) شاهد على ذلك . فهل هي دين أم مروق من الدين ؟ لا ريب أنها تماثل المزدقية مبدئياً ، ولا شك أيضاً أنها تتفق وبعض المزايا المشار إليها من قبل : مثل إجلال الأنبياء ، أيّاً كانوا ، حتى ان جميع الأديان تتساوى في وحي متصل بلا انقطاع ، ومثل الإيمان باصلي النور والظلمة ، ومثل تعميم المتعة مع شرب الخمرة وحتى الإفراط بتناولها ، وشيوع النساء بموافقتهن (١٤) . لكن تعد الخرمية في جوهرها تفجر « مختلف الطوائف الفارسية المناوئة للعرب ، التي نشأت متأثرة ببعض عقائد غلاة الشيعة » (١٥) حول بعض ابطال الحرب مثل أبو مسلم وبابك . وبالتالي ليست الخرمية مذهباً جاء قبل الإسلام الذي يتساهل معها ، بل حركة حقيقية قامت ضمن الإسلام ، وسرطاناً نما في وسط ملائم له بين جميع السرطانات التي تحتضنها دار الإسلام الواسعة . وكان هذا السرطان رهيباً (١٦) ، فتمحتم استئصال شأفته بثمان باهظ .

اليهود والنصارى

أما « أهل الكتاب » الحقيقيون ، في نظر الإسلام ، فهم اليهود والنصارى . ونود أن نقول كلمة موجزة عن الأسامرة (١٧) قبل الحديث

(١٣) اشبر إليها من قبل حول وجه بابك المركزي : انظر الفصل ١ و ٢

(١٤) المقدسي ، ج ٤ ، ٢٤ ، ٢٨ - ٢٩ .

(١٥) انظر و . مدلونف ، ١م (٢) ، ج ٥ ، ٦٥ - ٦٧ ، مع المراجع وإحالة الى المسعودي (م) ، فقرة ٢٣٩٨ - ٢٤٠٠ .

(١٦) ضمن برنامج أحد زعماء هذه الحركات ، وهو سبناذ ، القضاء على الامبراطورية العربية وتهديم الكعبة (مدلونف ، مقال مشار إليه ، ص ٦٥) .

(١٧) عرض غفيدتهم لم . غاستر ، ١م ، ج ٤ ، ١٢٨ - ١٣٤ . انظر أيضاً « الأدب السامري » ، ملحق ١م ، ج ٤ ، عامود ٢ وأماكن متفرقة .

عن اليهود . فالمسعودي (١٨) يوطنهم في بعض قرى فلسطين ، ويعرف جوهر عقيدتهم : فهم يأبون أن يكون بعد موسى نبي ، وينكرون نبوة داود ومن تلاه من الأنبياء . وللأسامرة على جبل طوريك صلوات في أوقاتها ، ولهم بوقات من فضة ينفخ فيها عند وقت الصلاة ، وهم الذين يقولون « لاساس » ، وينحدرون ، كما نزل في القرآن ، من الإنسان الذي أوجد عبادة عجل الذهب (١٩) . فهم على هامش الديانة اليهودية ، وصنف من اليهود ، على حد قول المقدسي (٢٠) ، أو نادرة من النوادر .

ويستدعي اليهود ، أعني اليهود الأقحاح ، مزيداً من التعليق حتماً . ولا يتحدث عنهم المسعودي إلا عرضاً ، عندما يقوده اليهم سياق بحثه ، لأنه مؤرخ أكثر منه فيلسوف (٢١) : ومن هنا جاء تذكيره ببعض الأحداث التاريخية ، واعطاؤه نبذة عن التوراة أو التقويم اليهودي (٢٢)

(١٨) المسعودي (م) ، فقرة ١٠٩ ، المسعودي (ت) ، ٢٨٥ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٣٢ - ٣٣ يجعلهم يرفضون عددا من الشرائع اليهودية وبعض الأنبياء الذين جاؤوا بعد يشوع بن نون .
(١٩) القرآن ، ٢٠ ، ٨٧ / ٨٥ - ٩٧ : انظر ترجمة بلاشير ز ، مشار إليها ، وتخرّيج جرى لم . حميد الله ، القرآن ، ترجمة ، باريس ، ١٩٥٩ ، ص ٣٠١ .
(٢٠) المقدسي ، ٤٢ .

(٢١) المسعودي (م) ، فقرة ١٣٩٧ : عرض العقائد بالتفصيل يؤول ، مثلما يقول ، الى الخروج عن الغرض من كتابنا الى وصف الآراء والديانات . انظر أيضاً المرجع ذاته ، فقرة ٢١٢ : لا نتناول النظريات ، الا فيما يتشعب الكلام اليه ، ويتغلغل الوصف نحوه . وصحيح ان المؤلف يحيل صراحة (المرجع ذاته ، فقرة ١٨٠٣) الى أحد كتبه المفقود في اصول الديانات .

(٢٢) انظر مثلاً المسعودي (ت) ، ١٥٩ ، ١١٥ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨ - ٢٩٢ - ٢٧٠ (التوراة ، التقويم ، تحديد الفصح) واماكن متفرقة (الفهرس) من أجل شتى المعطيات التاريخية أو اللغوية .

لكنه يبيح لنفسه التعمق في شؤونهم مرة واحدة على أقل تقدير ،
ليطعن بهم (٢٣) . فالمسعودي يبدأ باظهار التماثل بين الديانة اليهودية
والديانة المجوسية في حالة خاصة ، فيقول على لسان أحد الأقباط
لطبيب ابن طولون اليهودي : أنت يهودي ، وفي دينك أن أخيك
يتزوج ابنتك ، ، وعليك أنت أن تتزوج امرأة أخيك إذا مات :
فاذا حصل تكون قد تزوجت ابنتك . وبذا أنت مجوسي ومرتكب
محارم (٢٤) :

يلي ذلك مأخذ أخرى . منها أن الله خلق آدم على صورته .
ويرى الإسلام في هذا القول ارتكاب كبيرة هي التشبيه الذي ينتقص
من سمو الله ، ويساويه بالبشر . وهنالك أيضاً عبادة عجل الذهب ،
ورد موسى الرسالة مرتين ، واطهاره معجزات لفرعون فعلت السحرة
مثالها ، والتقرب إلى الله بدماء ذبائح الحيوان ولحومها ، والمبالغة
في العبادة ، وأخيراً تحكمهم بالعقل ومنعهم من النظر . وذكر
القبطي عن اليهود « أقاصيص ، وتحاليط كثيرة ، ومناقضات واسعة » .
وهذا حكم قطعي .

أما المقدسي ، ففيلسوف بجميع معاني هذا اللفظ . فهو يتساءل ،
بلا حماس ، ظاهر ، عن العقيدة والتقاليد (٢٥) ، فيقول إن اليهود
طوائف عديدة ، يشكلون فئتين كبيرتين تختلفان في قضايا التشبيه .
فعلى الهامش يأتي الأسامرة والأصفهانية ، نسبة إلى أبي عيسى الأصفهاني ،

١٣٥

(٢٣) المسعودي (م) ، فقرة ٨٠١ - ٨٠٣ .

(٢٤) مثال آخر بنات لوط .

(٢٥) المقدسي ، ج ٤ ، ٣٢ - ٣٩ .

وهو نبي دجال ، زعم أنه رفع إلى السماء ليمسحه الله ويلتقي بمحمد(٢٦). وينتقل المقدسي بعد اعطائه هذه الصورة العامة ، إلى شعائر العبادة . فالصلوات الثلاث تجري في الفجر والظهر والعشاء . ولا تصح إلا إذا قط قاطها ريح أو رصف أو تقيء ، وإذا كان اللباس حسب الشعائر ، وسبقها الوضوء الشرعي بدءاً من الرجل اليسرى ، دون الرأس . والحج ثلاث مرات سنوياً إذا كان الهيكل قائماً . أخيراً يذوم الصوم أربعة أيام ، منها يوم ذكرى دخول بخت نصر بيت المقدس .

وتزداد المقارنات أو المقابلات بالإسلام ، عند تناول قواعد الحياة الفردية أو المدنية . وهكذا تصبح الطهارة اجبارية ، إذا لمس الإنسان أحد الأموات ، والزامية جداً إلى المرأة في أيام الطمث . ويسمحون ببيع الأطفال ، لكن تقسو نصوص الشريعة في قضية الزواج ، الذي لا يصح إلا بحضور شهود وتحديد مهر ، ولا يجوز الطلاق أو التفريق إلا في ثلاث حالات : الزنا والسحر والمروق في الدين . إذن الحياة الجنسية مسألة خطيرة ومنظمة بدقة ، يجب مراقبة نتائجها وتقويمها : مثلاً الإتصال الجنسي بالعبد يحرقه تلقائياً .

وتسن قوانين تسهم بحماية المجتمع ، وتفرض عقوبات شرعية عددها خمس : اعدام القاتل ، ثم احراق مرتكب المحارم مع الحماية أو الكنة ، ثم رجم مرتكب الجرائم الجنسية الخطيرة كالخيانة الزوجية(٢٧) ،

(٢٦) انظر س . م . سترن ، ١٠ (٢) ، ج ١ ، ١٣٣ الذي يشير الى ان هذه الطائفة دامت حتى القرن ٤ هـ / ١٠ م . يضيف المقدسي عن اصفهان ان يهود هذه المدينة يفكرون بان المسيح الدجال يخرج منهم (انظر ما تقدم ، الفصل ١ ، حاشية ٢٥) .

(٢٧) تناقض مع ما قيل من قبل من ان الزنا يوجب الطلاق .

واللواط ، والحيوة بالنسبة للمرأة ، ثم القرع بالعصا في حال النسيمة ، وأخيراً فرض غرامة على السارق . إضافة إلى ذلك ، يحظر القيام بـ ٣٧ عملاً من الأعمال اليدوية يوم السبت وعشيتة ، وعقوبة المخالف الإعدام .

وتظهر ذهنية مماثلة ، تؤيدها تدوينات مشابهة في الحديث عن النصارى . ويستعرض المقدسي (٢٨) صيامهم خمسين يوماً ، والعشر ، والحج إلى بيت المقدس ، والعمادة ، وتطهير اليدين والوجه ، ونبد السكر ، وعدم فرض الختان أو حظر نوع الغذاء . وهناك بعض المواضيع التي أصبحت معروفة : مثل صحة الزواج بحضور القس وشهود ، ووجود مهر ، وتحرير العبد الذي تجري معه علاقات جنسية (٢٩) والطلاق المقتصر على الزنا الذي يمكن قصاصه بالرجم ، وموت القاتل ، باختصار ، هنالك أنظمة كثيرة مأخوذة من أسفار موسى الخمسة .

أخذت بعض الأنظمة ، لكن لم يؤخذ الإيمان . فجزاء القتل غير المتعمد ، النفي فقط . ويبرز المقدسي أصالة هذا الموقف ، وينسبه إلى عقيدة الصفح في النصرانية . وفي الواقع ، يعرف هذا المؤلف جيداً هذه العقيدة المسيحية ، ومراتب القسس والكهنة والأساقفة والمطارنة والبطاركة . ويعدد طوائفها كالمملكية ، واليعاقبة ، والنساطرة ، والمرقونيين والبولصيين . ويعرض الإيمان بالثالوث والنقاشات اللامتناهية حول طبيعة المسيح ، ويختم بتشتت الفكر المسيحي .

(٢٨) المقدسي ، ج ٤ ، ٤٠ - ٤٥ .

(٢٩) التحرير في أي حال الزامي بعد مرور سبعة أعوام خدمة .

ومرة أخرى ، يتحدث المسعودي أيضاً بأسهاب ، من الناحية التاريخية ، عن يسوع ، وعن نجمة الميلاد ، وأخبار الرسل في الأزمنة الأولى ، وكتاب الطقوس ، والمجامع المقدسة ، والبطريشيات ، والطوائف ، كالملكية ، وهي أهمها وعنهما يصدر كل شيء ، والنساطرة واليعاقبة ، والأقباط ، والنوبية ، والأرمنية ، والمارونية ، والكلدانية (٣٠) . فالإهتمام بالنصارى ثابت . ويظهر بصورة غير مباشرة في الكلام عن جزيرة العرب في الجاهلية (٣١) : « واللبيب منهم يقصد بصلاته الخالق ، ويقيم التماثيل من الأصنام والصور مقام القبلة . والجاهل منهم ومن لاعلم له يشرك الأصنام بالهية الخالق . . . وان عبادتهم الاصنام تقربهم إلى الله زلفى ، وأن منزلتهم في العبادة تنتص عن عبادة الباريء لجلالته وعظمته وسلطانه ، وان عبادتهم لهذه الأصنام طاعة له ووسيلة إليه » .

وقد كتبت الأسطر السابقة تمجيذاً للقرشين آل النبي ، ويمكن أن نجد امتداداً طبيعياً لها عند النصارى وصور تقواهم . وقد يقال إن هذه الناحية غير صريحة . يجوز . لكن لئرجع عندئذ إلى أحد مقاطع مروج الذهب (٣٢) . وفيه سئل عالم الأقباط المصريين عن الدليل على صحة دين النصرانية ، فقال : « دليلي على صحتها وجودي إياها متناقضة متنافية ، تدفعها العقول ، وتنفّر منها النفوس ، لتباينها

(٣٠) المسعودي (م) ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٧١٩ - ٧٢٥ ، ٧٣٦ ، ٧٤٩ - ١٢٩١ ، ١٤٠٥ ، المسعودي (ت) ، ١٩٥ - ١٩٧ ، ٢٠١ - ٢١٣ ، ٢١٧ - ٢٢١ .
أحيل من أجل تاريخ الكنيسة وتنظيمها إلى جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٤٥١ - ٤٥٦ .

(٣١) المسعودي (م) ، فقرة ٣٢٥ .

(٣٢) المسعودي (م) ، فقرة ٧٩٩ - ٨٠٠ .

وتضادها ، لانظر يقريها ، ولا جدل يصححها ، ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند التأمل لها والفحص عنها . ورأيت مع ذلك أمماً كثيرة ومالوكاً عظيمة ذوي معرفة وحسن رأي ، قد انقادوا اليها ، وتدينوا بها . فعلمت أنهم لم يقبلوها ، ولم يتدينوا بها — مع ما ذكرت من تناقضها في العقل — إلا للدلائل شاهدوها ، وآيات علموها ، ومعجزات عرفوها أوجبت انقيادهم اليها والتدين بها » .

وعدد العالم القبطي بعد ذلك ، تلبية لطاب سامعيه ، التضاد في النصرانية من الثالوث إلى الصاب ، وقال : « وهل في التشنيع أكبر وأفحش من إله صلب ، وبصق في وجهه ، ووضع على رأسه الإكليل من الشوك ، وضرب رأسه بالقضيب ، وسمرت بداه ، ونخس بالأسنة والخشب جنباه ، وطاب الماء ، فسقي الخل في بطيخ الحنظل ؟ » . وختم المسعودي بهذه الكلمات : « فامسكوا عن مناظرته ، وانقطعوا عن مجادلتها ، لما قد اعطاهم من تناقض مذهبه وفساده ووهنه » . ولا يتبع المسلم الموضوع ظاهرياً . بل يدين ويصمت بعد اصغائه حتى النهاية إلى « جنون الصلب » يقدمه واعظ فذ .

نظرة عامة إلى الجماعات الدينية

يسيطر الإسلام نفسه في وصف داره ، مثلما ارتسم بدءاً من يعقوبي حوالي ٢٧٥ هـ / ٨٩٠ م . وقد استقر في جميع الأماكن تقريباً ، وتغلب في مواضع كثيرة على أديان الشرق القديمة . ويدخل اعتناق الإسلام في التاريخ ، لكنه يندرج بعد ذلك في مشهد البشر ، فيهم الجغرافيين أحياناً على هذا الأساس . والشاهد مصر . فمن خلافة عثمان إلى خلافة معاوية ، أي على مدى جيل واحد ، انخفضت جباية

الخراج مع جزية رؤوس الرجال بنسبة ٥٠٪ ونيفاً بعد أن أسلم السكان ، وبلغت في أيام هارون الرشيد ربع ما كانت عليه قبل قرن ونصف القرن ، على حد قول اليعقوبي (٣٣) .

وهكذا ضعفت الأديان القديمة ، لكنها بقيت حية . واحتفظت دار الإسلام ، وريثتها ، برمزها وبوجودها . أما فيما يتعلق بالرمز ، فقد عثر في عهد أحمد بن طولون (٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م - ٢٧٠ هـ / ٨٨٤ م) في إحدى أهرامات مصر (٣٤) على صورتين من ذهب ، أحدهما صورة رجل بيده حية ، والأخرى صورة رجل على حمار بيده عكاز (٣٥) ، وفي الجانب الآخر صورة رجل على ناقة بيده قضيب . وقد أجمع العارفون على أن الصور لموسى وعيسى ومحمد ، الذين نالوا بركة واحدة .

ونعود إلى الجغرافيين العرب لنتحري وجود الجماعات اليهودية والنصرانية وغيرهما في أماكن متفرقة . فالرازي يقول لنا (٣٦) إن جميع حصون منطقة لاردة في الأندلس بيد أسر مسيحية تنفيذاً لاتفاق تعايش مع المسلمين عند مجيئهم . وما أكثرها في أراضي دار الإسلام . وإذا عدنا إلى مصر ، وجدنا رغم اعتناق كثير من أهلها الإسلام ، أنها بقيت أحد معاقل النصرانية في الشرق . ففي شرق نهر النيل يقع دير القديسة كاترينة بدرجة المؤلف من ٦٥٠٠ درجة ، الذي يوصل

(٣٣) اليعقوبي ، ٣٣٩ .

(٣٤) ابن حرداذبة ، ١٦٠ .

(٣٥) عن معنى عكاز ، انظر دوزي ، ج ٢ ، ١٥٦ . عن القضيب ، رمز السيادة عند النبي والخلفاء ، انظر د . سورديل ، م ١٠ (٢) ، ج ٤ ، ٣٩٤ .

(٣٦) الرازي ، ٧٤ .

إلى الكنيسة المبنية في قلة الجبل (٣٧) . وتمد مصر القبطية على مجرى النيل ، وتصل إلى النوبة (٣٨) . ويذكر ابن الفقيه بقول النبي : « إذا استفتحتم مصر ، فاستوصوا بالقبط خيراً ، فأني لهم صهر » . وقالوا : « لو عاش إبراهيم ، ما ملكت قبطية أبداً » (٣٩) . ويذكر اليعقوبي بعض الأديرة : مثل دير بوشنودة في اخميم على النيل الأعلى ، ويقال إن فيه قبر رجلين من حوارى المسيح ، والدير الكبير المعروف بيومينا ، في المنطقة الواقعة بين الإسكندرية وبرقة (٤٠) . فمصر إذن معقل ، لكنه ليس معزولاً ، بل على النقيض متصل بسائر العالم المسيحي . بلدًا من إقليم الشمال القريب (٤١) . ويجمعهما ابن الفقيه (٤٢) ويقول : والقبط والشام كلهم نصارى : يعقوبي ، وملكي ، ونسطوري ونيقولاوي ، وركوسي ، ومريقيوني ، ويدخل الصابىء والماني معهما . وللنصرانية امتداد في العراق . فصبا ، على شطّ دجلة ، في منطقة واسط ، في مدينة النعمانية ، بني دير هزقل (حزقيال) الذي بعالج فيه المجانين ، ويشرف عليه النصارى ، وهو مشهور جداً حتى أصبح تعبير « هارب من دير هزقل » يعني « مجنون » (٤٣) . ويشار في

(٣٧) ابن اسحاق ، ٤٤٨ ، مع مبالغة بعدد الدرجات : حوالي ٣٠٠٠ درجة .

(٣٨) ابن الفقيه ، ٧٧ ، عن النوبة المسيحية ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ،

١٥٦ .

(٣٩) ابن الفقيه ، ٥٨ - ٥٩ ، اشارة الى مارية القبطية (اشير اليها من قبل في

الفصل ٣) التي أنجبت للنبي ابنه ابراهيم الذي توفي حدثاً .

(٤٠) اليعقوبي ، ٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ترجمة ، ١٨٧ (وحاشية ٦) ، ٢٠١ .

(٤١) اليعقوبي ، ٣٢٨ (ترجمة ، ١٨٠ - ١٨١) يشير أيضاً إلى وجود السامرة

في جميع الأماكن في فلسطين تقريباً .

(٤٢) مع النوبة (منطقة علوا) ومدينة تكريت في العراق : ابن الفقيه ، ٧٧

(٤٣) اليعقوبي ، ٣٢١ ، ترجمة ، ١٦٤ (وحاشية ٥)

بغداد إلى الدير العتيق الذي ينزله الجاثليق رئيس النصارى النسطورية (٤٤). وفي منطقة الكوفة ، تبدو الحيرة بعليّة أهلها مركز الإستقرارية النصرانية (٤٥) ، وتوزع فيها جميع أنواع الأديرة (٤٦) . أخيراً ، صعداً ، على مقربة من دجلة ، تنتشر جماعات مسيحية في تكريت والموصل التي بنيت فيها عدة كنائس (٤٧) .

ويعطي أبو دلف مسعر (٤٨) بعض التفاصيل عن أرمينية . ففي بحث الموت ، يتحدث عن الاعتراف وعن الكاهن الذي يأخذ بيد المحتضر كلما أقر بخطيئة ، ويكرر له قوله : « آخذ خطاياك على عاتقي » . ثم يغيب لحظة ، ويعود ليقول : « رميت خطاياك في الصحراء » . ويضيف أبو دلف أن هذه الظاهرة محلية وخاصة بفئة أرمينية ، ويثني على طريقة ترتيلهم الترانيم والإنجيل ، ويراها أجمل من ترتيل سائر الكنائس ، ورقيقة ، يستعملها القلب الحزين في جزيرة العرب .

وفي جزيرة العرب ، يشير الهمداني إلى وجود جماعة يهودية قوامها مئتا شخص في منطقة المدينة ، وإلى نصارى نجران في اليمن الشمالي وكنيستهم المنقورة في الحجر (٤٩) . مع ذلك ، عندما يتحدث عن اليهود ، على غرار المجوس يقصد وضعهم في ماضٍ قديم

-
- (٤٤) اليعقوبي ، ٢٣٥ . انظر ١٠١ . دوري ، «بغداد» ، في ١م (٢) ، مجلد ١ ، ٩٢١ (٢) ، و «دير الجاثليق» المرجع ذاته ، مجلد ٢ ، ٢٠٣ .
(٤٥) اليعقوبي ، ٣٠٩ .
(٤٦) ابن الفقيه ، ١٣٥ ، ١٨٢ - ١٨٣ .
(٤٧) ابن الفقيه ، ٧٧ ، ١٢٩ (الذي يشير الى وجود يهود في الموصل أيضاً) .
(٤٨) مسعر (ب) ، ١٦ - ١٧ .
(٤٩) الهمداني ، ١٥٢ .

كانوا يعدون فيه بالآلاف في نواحي المدينة، ثم تزامن نزوح بعضهم من تلك الأرجاء إلى الحجاز مع خروجهم من مصر ، وخاصة إلى مدينة يثرب التي شكلوا فيها هذه المرة « مستعمرة أرستقراطية مسيطرة » (٥٠)

وتكثر نار المجوس وبيوت نيرانهم في أرجاء فارس . وبيت نار المدائن خرب ، إلا أن بيوت النيران الأخرى باقية ، ويرتادها المؤمنون من أقاصي الدنيا ، « والنار أيضاً باقية فيها » (١٥١) . ويتحدث ابن الفقيه عن زردشت والملك الذي يشهد له ويعود ناراً، وعن أهم بيوت النيران ، وثورة مزدق الذي قال ينبغي أن تبطل النيران كلها إلا الثلاث الأوائل ، وعن رد الناس النيران إلى أماكنها لما قتل مزدق ، واخيراً عما اتخذ من احتياطات في أثناء الفتح العربي لتلافي اطفاء جميع النيران (٥٢)

ديارات الشاشي

يمكن قراءة خريطة الطوائف المسيحية ، التي رسمنا خطوطها العريضة من قبل ، في مصنف متخصص ، نعني كتاب ديارات الشاشي ، المتوفى في أواخر القرن العاشر (٥٣) . ففي الجهة الغربية ،

(٥٠) الهمداني ، ١٤٩ ، ابن رسته ، ٦١ - ٦٢ .

(٥١) ابن رسته ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨٦ ، قدامة ، ٢٠٩ (المجوس في منطقة مرو) ، مسعر (ب) ، ٤٣ ، ٤٤ .

(٥٢) ابن الفقيه ، ٢٤٦ - ٢٤٧ ، كرر المسعودي (م) ، فقرة ١٤٠٢ بآخرها معطيات حماية النار عند مجيء الاسلام .

(٥٣) عن الشاشي ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٥ روماني ، ١٤٩ - ١٥٠ (عن كتابه ، يرجع الى التتمة الوافية والتعليقات التي اعدتها الناشر) . عن الاديرة انظر د . سورديل ، ١ . ١ . دوري و س . ١٠ . العلي م (٢) ، ٢٠٠ - ٢٠٥ .

تنتشر ديارات وادي النيل ، خاصة القاهرة وتستمر حتى مشارف مقبرة القرافة الشهيرة (٥٤) . ثم تأتي ديارات بلاد الشام من جبال بحيرة طبرية حتى الفرات ، مروراً بجبل الطور وبلاد دمشق (٥٥) . أخيراً نصل إلى ديارات الجزيرة . فمن جانب نهر دجلة ، تشاهد الأديرة الأولى في واسط ، ثم تتوزع صيباً ، لكنها تبدأ بالطهور فعلاً في بغداد وضواحيها القريبة ، بحيث أحصيت ١١ ديراً (٥٦) . وتتواصل صعوداً في منطقتي سر من رأى وتكريت اللتين تحويان اثني عشر ديراً (٥٧) ، ثم في الموصل ونيوى ، وفيهما ستة أديرة (٥٨) ، وتنتهي في أودية دجلة العليا وروافدها (٥٩) . وتتوالى الأديرة على نهر الفرات من الأنبار على حوالي ٦٠ كم غربي بغداد ، باتجاه مدينتي عانة والرقعة على شاطئيه ، أو نحو بلاد نصيبين في وادي نهر الخابور رافد الفرات (٦٠) . إلا أن كثافة الأديرة تقع صيباً في منطقة الكوفة حيث يوجد اثنا عشر ديراً ، أحدها خرب وتحول إلى أطلال (٦١) .

(٥٤) الشابشتي، ١٨٤، ١٨٧ - ١٨٨ ، ١٩١، ١٩٤، ١٩٩ (سيناء) ، ٢٠٠ - ٢٠٢

(٥٥) الشابشتي ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ٢١٧ .

(٥٦) الشابشتي ، ٣ ، ٩ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ٢١٥ .

(٥٧) الشابشتي ، ٤١ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٥٨) الشابشتي ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، .

(٥٩) الشابشتي ، ١٢٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ .

(٦٠) الشابشتي ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٦٦ .

(٦١) الشابشتي ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ (أديرة عديدة تحمل اسماً واحداً) ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٦ .

وهكذا تحدد الخريطة وحدها نطاق وجود الديارات ، التي يعين
النهر ، أو ، كما في العراق ، قناة فرعية منه ، موقعها ومباهجها .
فالماء متوفر في جميعها يسحب لها بالنواعير . كذلك البساتين والفواكه
وكروم العنب والزيتون والكباد والنخل (٦٢) . وتنوع المشاهد فيها :
مبحر دير العلي ، موضع من دجلة صعب ، ضيق المجاز ، كبير
الحجارة ، شديد الجرية ، تجتاز فيه السفن بمشقة . وإذا وافت السفينة
إلى العلي ، أرسى بها ، فلا يتهيا لها الجواز إلا بهاد من أهلها يكثره (٦٣)
وفي أغلب الأحيان تسترعي الانتباه قضايا المياه . فإذا كان الدير بعيداً عن
النهر ، تصبح العين بديلاً عنه ، ويفتح عند الحاجة صهرج . ويسحب
الماء في هذه الحالة ، ويسقي خضرة البساتين أو الأزهار البرية (٦٤) .

يقترن هذا الوصف العجيب أو الفردوسي في بعض الأماكن ،
باهتمامات دفاع تحمل أحياناً محل العجيب . عندئذ يتعد الدير عن النهر
والأرض المنبسطة المكشوفة ، التي يشرف عليها ، ويرفع حوله جدار
سور يعزله تماماً عما بجواره (٦٥) . ويمكن أن يكون دير الأعلى بالموصل
نموذج هذا الوصف من الأديرة ، فله درجة منقورة في الجبل تفضي
إلى دجلة بنحو المائة مرقاة ، أو دير القصير جنوبي القاهرة ، المبني
في أعلى جبل المقطم ، على سطح قلته ، وله بئر منقورة في الحجر (٦٦) .

-
- (٦٢) الشابشي ، ٩ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٦٠ ، ٩٦ ، ١١١ ،
١٧١ ، ١٨٧ - ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ (حاشية ٢) ، ٢١٧ .
(٦٣) الشابشي ، ٦٢ .
(٦٤) الشابشي ، ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٥٠ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٧ ، ١٩٩ .
(٦٥) الشابشي ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١٩٨ .
(٦٦) الشابشي ، ١١٢ ، ١٨٤ . بشأن هذين الديوين انظر ياقوت ، معجم البلدان ،
ج ٢ ، ٤٩٨ - ٤٩٩ و ٥٢٦ - ٥٢٨ .

ويزداد ابتعاد الدير في أماكن أخرى ، ويتوغل في أعماق أراضي الداخل ، ويفضل المرتفعات ، فيجثم على نشز منعزل أو ينقر في الصخر ذاته (٦٧) .

والدير في نظر الشابثي ، مكان مأهول ، يعيش فيه على حد قوله الرهبان والنساء المترهبات في قلايات فردية . وهو واسع جداً أحياناً ، يضم ٤٠٠ راهب في قلاي خاصة انفرادية (٦٨) . ويتبع كل دير إحدى الطوائف النصرانية ، كالكنييسة النسطورية أو الملكية أو اليقوبية . ويسمى رئيس الدير القائم أو القيم . وقد يكون الدير نفسه مقر اسقف أو مطران (٦٩) . وتقام فيه الصلوات ، ويعيش النساك منفردين في صوامع قرب الدير (٧٠) . ويصوم الرهبان (٧١) ، ويتناولون القربان لنصارى جوار الدير (٧٢) ، ويحيون الأعياد ، مثل عيد قديس الدير ، وأحد الشعانين ، والفصح ، وصعود العذراء إلى السماء (٧٣) .

وهكذا يبدو الدير مكاناً مقدساً ، بما فيه من لوازم عبادة أولا ،

-
- (٦٧) الشابثي ، ١٢١ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٧١ .
(٦٨) الشابثي ، ٦٠ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٦٦ ، ١٧١ (مع إشارة الى تباع الرهبان القلاي ، باثمان باهظة) ، ١٧٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٧ .
(٦٩) الشابثي ، ١٠٩ ، ١٧٦ (و ١٧٧ ، ح ١) ، ١٩٧ (قائم في كل دير ملكي أو يعقوبي ، لكن ليس في الدير النسطورية) ، ١٩٨ .
(٧٠) الشابثي ، ١٨٤ ، ١٩٧ (ح ٢) .
(٧١) الشابثي ، ٧٠ (و ح ٦) : صيام ثلاثة أيام قبل الصوم الكبير .
(٧٢) الشابثي ، ٩ .
(٧٣) الشابثي ، ٩ ، ٣٠ ، ١١٢ ، ١٥٥ ، ٢٠١ (و ح ٦) .

كالأنجيل ، والصلبان ، والمجامر ، وصورة مريم وفي حجرها صورة المسيح (٧٤) ، ثم باعاده إلى الذاكرة تاريخاً مقدساً مدوناً فيه ، كما في دير فيق ، الذي دعا فيه المسيح الحواريين وفيه حجر يجلس عليه ، أو في دير الطور (المسمى أيضاً دير التجلي) ، الذي يذكر بتجلي المسيح لتلاميذه بعد أن رفع ، أو دير القصير الذي يطل على قرية شهران التي ألفت منها أم موسى موسى إلى البحر في التابوت (٧٥) وأخيراً بضروب الشفاء التي تظهر فيها الحالة المقدسة ذاتها والقدرات الخارقة : فالدير نفسه أو العين القريبة منه أو البئر تبرئ الكلب من الكلب ومن الخنازير والجرب والبهق والبثور والدمايل (٧٦) . فأهل سرياقس يذكرون اعجوبة ، هي أن من كانت به خنازير ، يقصد بيعة أبي هور ليعالج به . فيأخذه رئيس الموضع ، فيضجعه ، ويأتيه بخنزير ، فيرسله على موضع الوجع ، فيأكل الخنزير الذي فيه ، لا يتعدى ذلك الموضع . فاذا تنظف الموضع ، ذر عليه من رماد خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ، ومن زيت قنديل البيعة ، فيبرأ . ثم يؤخذ ذلك الخنزير ، فيذبح ويحرق ، ويعدرماده لمثل هذه الحال (٧٧) . ولا تقتصر الاديرة على الناحية المقدسة ونتائجها ، فلديها مهام أخرى : فالدير ينزله المنحدرون والمصعدون ، كما في دير باشهرا

(٧٤) الشابشتي ، ١١٢ ، ١٥٥ ، ١٨٤ .

(٧٥) الشابشتي ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٥٧ (إشارة الى ترهب هند بنت النعمان آخر ملوك الجيرة) ، ١٨٤ ، ١٩٩ (سيناء حيث تجلى الله لموسى) .

(٧٦) الشابشتي ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٧٧) الشابشتي ، ٢٠٠ .

بين سامراء وبغداد (٧٨) : ويربي الحيوانات (٧٩) ، ويبيع غلات
بساقينه (٨٠) ، ويحمل خمور معاصره إلى الجوار (٨١) . إلا أن الخمر
تندرج في مشهد آخر لا يتوقعه إنسان ، أي العيد ومسراته : ولا بأس
أن يصبح الدير وما حوله متنزهات مقصودة كثيراً ، تسحر الناس فيها
بهجة الماء والخضرة ، وأفرح الصيد البري أو المائي ، ولطف الهواء (٨٢) .
لكن يستهلك الخمر محلياً في بعض الأماكن ، خاصة في العراق ،
في حانات ملاصقة للأديرة : ويشرب فيها النصارى والمسلمون ويغنون ،
ويرقصون ، ويسرفون في الأكل ، وما إلى ذلك . . . وتتكرر عند
الشابشتي الفاظ اللذة والخمول والفجور : فتختلط النساء والرجال ،
« فلا يرد أحد يده عن شيء ، ولا يرد أحد أحداً عن شيء » . ولا
يمنعه هذا الكلام عن الحديث عن منتهى سحر المواضع والعيد (٨٣) :

وفي كتاب الشابشتي عنوان « الديارات المعروفة بالعجائب » ،
يتيسر في صفحاته الطويلة في الكلام عن ضروب العجيب في بعض
الأديرة : وتأتي حالات الشفاء في طبيعتها ، وتم بالعلاج الطبي البسيط ،

(٧٨) الشابشتي ، ٥٢ .

(٧٩) الشابشتي ، ١٣٧ .

(٨٠) الشابشتي ، ١٧١ .

(٨١) الشابشتي ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٤٧ ، ٢١٥ .

(٨٢) الشابشتي ، ٣ ، ١٦ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٦٢ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ،

١١٢ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٩١ ، ١٩٤ ،

(٨٣) الشابشتي ، ٣ ، ٩ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٥ ، آخر ٦٠ - ٦١ ، ٩٦ ،

١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٤٧ ، ١٥٠ (دير خرب في منطقة الحيرة - الصحيح

في طليزباد بين الكوفة والقادسية) لكن يبدو انه لم يبق منه الا قباب خراب وحجر على قارعة
الطريق (١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٨٨ ، ١٩٧ .

لأبالبطرق الحارقة . فيحدثنا عن عين تشفي البثور (٨٤) والخنازير ،
المشار إليهما ، وعن دير الكلب بناحية الموصل ، حيث يعالج من
عضة كلب ، ويبرأ ، إذا لم تمض له أربعون يوماً على العضة (٨٥) .
وتعقب عجائب الحيوان عجائب حالات الشفاء . فدير الخنافس ،
تظهر فيه الخنافس عشية عيده حتى تغطي حيطانه وسقفه وأرضه ،
ثم تغيب في اليوم التالي حتى لا يرى منها شيء (٨٦) . وفي دير العجاج
بركة ، فيها سمك أسود طيب الطعم (٨٧) . وفي بيعة أتريب
تحيى حمامة بيضاء في عيدها ، فتدخل المذبح ، لا يدرون من أين
جاءت (٨٨) . أخيراً بنواحي اخميم ، في صعيد مصر ، دير قرب
جبل الكهف . وفي موضع من هذا الجبل ، شق ، إذا كان يوم عيد
هذا الدير ، تأتي جميع طيور بوقير اليه بكثرتها وصياحها . ثم لا يزال
الواحد منها يدخل رأسه في ذلك الشق بعد الواحد ، ويصيح ويخرج ،
ويحيى غيره فيفعل كفعله ، إلى أن يعلق رأس أحدهم وينشب في
الموضع ، فيضطرب حتى يموت ، حيثئذ ينصرف الباكون (٨٩) .
وتتخذ العناصر الطبيعية هي أيضاً شكل العجيب في الحيز المقدس
من الدير ومن جواره . فالماء يشفي ، أما دير القيارة ، في منطقة

(٨٤) الشابشي ، ١٩٧ .

(٨٥) الشابشي ، ١٩٦ ، وجغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٣٦ .

(٨٦) الشابشي ، ١٩٥ .

(٨٧) الشابشي ، ١٩٩ .

(٨٨) الشابشي ، ٢٠١ (و ح ٦) .

(٨٩) الشابشي ، ٢٠١ آخرها - ٢٠٢ (وجغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، آخر ٣٥٣ -
٣٥٤) . طير بوقير صنف من ابي قرين - بوسيروس ، بوكوراكس (نوع من طوقان
افريقية) .

الموصل ، فتحته عين القير ، وهي عين تفور بماء حار تصب في دجلة :
ويخرج منه القير . فما دام القير في مائه فهو لين يمتد . وهناك
قوم يجمعون هذا القير ، ويطرحونه على الأرض ، وينخل له الرمل ،
فيطرح عليه ، ويختلط بالرمل ، ويقلب على الأرض قطعاً مجمدة ،
ويحمل إلى البلدان ، ومنه تقيراً السفن والحمامات (٩٠) . وفي كنيسة
الطور نار يزعم النصارى أنهم يوفدون منها في كل عشية وهي بيضاء
ضعيفة الحر لا تحرق ، ثم تقوى إذا أوقد منها السرج (٩١) .

ويجوز أن يتصف أحد عناصر بناء الدير بسر غريب : مثلاً ،
لدير باطا حجر ، ذكر النصارى أن فتحه ميسور على يد شخص أو
اثنين وحتى سبعة ، فإن تجاوز عدد الأشخاص سبعة ، لم يقدر أحد
لنهم على فتحه (٩٢) ، وفي دير الخودي الذي استقرت عليه سفينة
نوح ، اعجوبة سطحه ، إذ لا يعطي شبره نفس المساحة أبداً (٩٣) .

أخيراً يمثل جثمان الشهيد مظهر العجب الأخير . ففي دير يحنس
بدمنهور . من أعمال مصر ، إذا كان يوم عيد ، أخرج شهيد من
الدير في تابوت ، فيسير التابوت على وجه الأرض ، لا يقدر أحد أن يمسكه ،
ولا يحبسه ، حتى يرد البحر ، فيغطس فيه ، ثم يرجع إلى مكانه (٩٤) .

(٩٠) الشابشتي ، ١٩٦ (دير القير ، أو دير القيارة : دير العين البيتمية) .

(٩١) الشابشتي ، آخر ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٩٢) الشابشتي ، ١٩٨ (ح ٤) . انظر باقوت ، ص ٢ ، ٥٠٠ .
(دير باطا) . .

(٩٣) الشابشتي ، ١٩٩ .

(٩٤) الشابشتي ، ٢٠١ .

وفي جبال أرمينية ، في دير برقوم ، يماfarقين شهيد (شاهد) في خزانة خشب ، لها أبواب ، تفتح أيام الأعياد ، فيظهر منه نصفه الأعلى ، وهو قائم وأذنه وشذته العليا مقطوعتان . وذلك أن امرأة احتالت عليه ، لأنه ممن شهد المسيح ، ومضت بهما ، فبنت عليهما ديراً في البرية في طريق تكريت (٩٥) .

قد نعجب لكثرة المواضيع ، التي يتضاءل إلى حد كبير اتفاقها مع مانتوقعه من صورة الدير . إلا أن عمل الشابثي يكاد يخلو من الطرافة : فالعجيب يندرج في صميم ثقافة عصره العامة وفي صميم الأدب . واشتهرت الحانات والخمر المصنوعة من عصير كرمة الدير والمستهلكة بجواره ، بإلهامها قطاعات كاملة من الادب العربي ، خاصة الخمریات . فهل نستغرب أن تسمي الناس خرائب دير سرجس معصرة أبي نواس ، سيد الخمریات والمجون (٩٦) : في النهاية ، نرى أن كتاب الديارات لا يكشف إلا النزر القليل جداً عن هذه المؤسسات ذاتها . لذلك لا بد أن يؤخذ على علاته ، مادامت النواحي الأخرى تنقصه : فهو شبه خريطة ، معمرة جداً ، حتى أنها تعد أدلة منظورة على وجود ما لم تقتلع جذوره من الطوائف المسيحية في المشرق .

مع اقتراب العام الف

قلنا ، وكررنا أن المؤلفين في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي رجال ميدان في المقام الأول . إلا أنهم طالعوا الكتب

(٩٥) الشابثي ، ١٩٧ .

(٩٦) الشابثي ، ١٥٠ .

أيضا ، وتأثروا بمدى تنبؤهم ، وينظرونها إلى معتنقي أديان أخرى . بالتالي ، لا يستغرب أن يرى ابن حوقل أو المقدسي أتباع بقية المعتقدات ، اليهود والنصارى خاصة ، من خلال مآتمهم : فرؤيتهم متضادة ، عداوية تارة ، أشد تنوعاً طوراً ، إن خلعت من المديح أو التفهم الحقيقيين .

ويشمل لفظ واحد غير المسلمين ، هو لفظ «الذمة» التي منحهم إياها الإسلام . ويدد المقدسي أديان الذمة ويجعلها أربعة : اليهود والنصارى والمجوس والصابئين (٩٧) : ثم يجمعهم معاً مجدداً ويشير إلى كثرة أهل الذمة في واسط ، وفي إقليم الشام ، وإقليم الديلم على مقربة من بحر قزوين (٩٨) . ويندد بهم مجتمعين في أماكن أخرى : فيعتبر وجودهم في إقليم الشام أحد مبركاتهم (٩٩) ، بينما هم في الواقع أمشركون وعبداء أوثان (١٠٠) في وادي نهر مهران (إقليم السند) : وهذا يعني ضمناً أن هؤلاء يمكن أن يكونوا مؤمنين صادقين في بلدان أخرى :

ولا يذكر إلا التزدد القليل عن الأديان التي اسميها هامشية ، أي السامرة ، وهم صنف من يهود فلسطين (١٠١) ، والصابئين ، المشار إليهم إشارة عابرة (١٠٢) . وليس بفاروس صابئة ولا سامرة (١٠٣)

(٩٧) المقدسي ، ٤١ ، ٤٢ (ح ١) .

(٩٨) المقدسي ، ١٦٢ ، ١٧٩ ، ٣٦٥ .

(٩٩) المقدسي ، ١٥٢ .

(١٠٠) المقدسي ، ٤٧٤ ، ٤٨١ .

(١٠١) المقدسي ، ٤٢ ، ١٧٩ .

(١٠٢) ابن حوقل ، ٣٢٦ ، المقدسي ، ١٤٢ (ينزلون فقط في حران والرها)

(١٠٣) ابن حوقل ، ٢٩٢ .

والسامرة موجودون في اقليم الشام (١٠٤) . أما المجوس فهم منهم .
ويضعهم ابن حوقل في فارس خاصة ، ويعتبرها قلب هذا الدين ،
وتكثر فيها بيوت نيرانهم : في أصفهان ، وجبال هرات حتى منطقة
سمرقند ، حيث اعفوا من الجزية لقاء قيامهم بحراسة الأراضي التي
تخصص غلاتها لدائرة المياه (١٠٥) . وتبرز في عرض ابن حوقل :
الثروة العقارية العائدة إلى الجماعات المحلية ، حول أصفهان (١٠٦) ،
وجود بيت نار على تل عظيم يقال ان ناره من قديم النيران الأزلية ،
وقد توكل بهذه النار سدة عليها من المجوس ، يتخذون الأشربة
فيعتقونها ، ويقصدون لجودتها عندهم ، فيبيعونها ، ويربحون فيها (١٠٧) .
وحصون فارس التي يتدارس فيها المجوس علومهم المكتوبة باللغة
البهلوية (١٠٨) ، وأخيراً نار منسريان في فارس أيضاً ، التي يقضي
دين المجوس أن المرأة ، إذا زنت في حملها أو حيضها ، لم تطهر إلا
بأن تأتي هذه النار ، فتتعري لبعض الهرايدة ، ليطهرها ببول البقر
في هذه الناحية (١٠٩) .

ويرى المقدسي أن المجوس (١١٠) ورثة التقاليد الفارسية :

(١٠٤) المقدسي ، ١٧٩ .

(١٠٥) ابن حوقل ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ - ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ (في جبال
البارز ، وفي كرمان حتى مجيء العباسيين) ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٤٣٣ ، ٤٩٣ .

(١٠٦) ابن حوقل ، ٣٦٦ .

(١٠٧) ابن حوقل ، آخر ٣٦٥ .

(١٠٨) ابن حوقل ، ٢٧٣ .

(١٠٩) ابن حوقل ، ٢٧٤ .

(١١٠) لا يعتبر دينهم دين أهل كتاب : انظر المقدسي ، ١٢٦ : (عن العراق) وبه
مجوس كثيرة وذمته نصاري وبهرد : يرى ان التمييز واضح .

والبرهان قبة كازرون التي يزعمون أنها وسط الدنيا (١١١) . بالفعل .
يعتبر المقدسي مثل ابن حوقل أن فارس قلب بلادهم . ويقول : ليس
بأقليم الشام وأقليم الجزيرة مجوس (١١٢) ، وأقليم خوزستان غير كثير
المجوس (١١٣) ، وبأقليم العراق مجوس كثيرة (١١٤) على أي حال ، يختلف
الوضع تماماً في فارس : ففيها أكثر الجماعات المجوسية عدداً ، وبكاريان
بيت نار يعظمونه ، ويحماون ناره إلى الآفاق ، وبه رسوم المجوس
ظاهرة ولا ترى على مجوسي غياراً ، لشعورهم بأنهم أقوىاء (١١٥) .

ويهتم ابن حوقل قليلاً باليهود ، ويكتفي بذكر وجودهم في
قابس ، وبالرمو ، وفارس ، وريض كابل (١١٦) ، بلا أي تعليق
ماعدنا النص التالي الذي يهاجم فيه أهل صقلية هجوماً مقزعاً ، يقول
فيه : « وليس يشبه وسخهم في دورهم أقدار اليهود » (١١٧) .
ويقدم لنا المقدسي توزيعاً مكانياً لهم رصيناً ، إذ يقول لنا ان اليهود
كثيرون في إقليم المغرب ، قلائل في مصر (١١٨) ، واليهود بجزيرة
العرب أكثر من النصارى ، ولا ذمة غيرهم فيها . وتقع قرح المسماة
وادي القرى شمالي غربي المدينة (١١٩) ، والغالب عليها اليهود .

(١١١) المقدسي ، ٤٦ ، ترجمة ، ١٧ حاشية ١ مكرر .

(١١٢) المقدسي ، ١٤٢ ، ١٧٩ .

(١١٣) المقدسي ، ٤١٤ .

(١١٤) المقدسي ، ١٢٦ ، ٣٢٣ ، ٣٩٤ .

(١١٥) المقدسي ، ٤٢١ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٩ .

(١١٦) ابن حوقل ، ٧٠ ، ١٢٢ ، ٢٩٢ ، ٤٥٠ .

(١١٧) ابن حوقل ، ١٣١ .

(١١٨) المقدسي ، ٢٠٢ ، ٢٣٦ .

(١١٩) المقدسي ، ٨٤ ، ٩٥ .

والغالب في بيت المقدس النصارى واليهود . وفي اقليم الشام ، أكثر الجهابذة والصياغين ، والصيارفة والدباغين (١٢٠) يهود . ويعثر على جماعات يهودية اخرى في العراق خاصة في حلوان ، على حدود فارس . وثم كنيس لليهود يعظمونه خارج البلد من الحصن والحجارة كنيس بيت المقدس أكبر وأجل وأعمر وأظرف ، وأكثر مشايخ وعلماء منها (١٢١) . أخيراً ، في أقصى الشرق ، إقليم خوزستان قايل النصارى، غير كثير اليهود والمجوس (١٢٢) ، على نقيض بلدان فارس الكثيرة اليهود، خاصة في أصبهان التي تذكر قصبته اليهودية باجلاء نجت نصر بني إسرائيل من الأرض المقدسة (١٢٣) .

ولا شك أن معاملة النصارى أفضل من معاملة سائر الذمة . فتوزعهم المكاني على الخريطة أدق بكثير مما ورد في خريطة التصنيف السابقة ، وإن كان الانتشاران يتطابقان: فابن حوقل والمقدسي يبرزان إقليماً إقليمياً وجود النصارى ، بقلتهم وكثرتهم . ففي الغرب ، نجدهم في الأندلس وصقلية (١٢٤) ، ثم عامة ذمة اقليم مصر نصارى يقال لهم القبط ، كما أشرنا من قبل (١٢٥) ، وللذمة في العراق مراكز متفرقة أكثر أهلها نصارى (١٢٦) . وفي اقليم الشام كثافة النصارى مرتفعة

(١٢٠) المقدسي ، ١٦٧ (في نطاق مقابلة خصائص ومثالب البلد) ، ١٨٣ .

(١٢١) المقدسي ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٦ .

(١٢٢) المقدسي ، ٤١٤ وجماعات نصارى ومجوس (.

(١٢٣) المقدسي ، ٣٢٣ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ (ح ب) ، ٣٩٤ .

(١٢٤) ابن حوقل ، ١١١ ، ١١٨ - ١١٩ ، المقدسي ، ٢٣٢ .

(١٢٥) ما تقدم الفصل ٣ ، انظر ابن حوقل ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٥٦ (مع

نوع من الانحطاط في الواحات) ، ١٦١ ، المقدسي ، ١٩٣ ، ٢٠١ - ٢٠٣ ، ٢٠٩ .

(١٢٦) ابن حوقل ، ٢٢٨ ، المقدسي ، ١٢٣ ، ١٢٦ .

أحياناً ومتصلة (١٢٧) . في كتلة الجزيرة أرمنية (١٢٨) . أخيراً
يعثر على جماعات منعزلة في جميع أراضي فارس حتى آسية الوسطى ،
أو في مفازة فارس الكبرى . (١٢٩) .

ومن البديهي أن تكون البيعة أحياناً أحد الدلائل المنظورة على
النصراني وتطوره : وهي مازال قائمة ومقصودة أو مشتركة مع
المسجد أو احتلها الجامع . ففي الحالة الأولى نشير إلى كنيسة الرها ،
إحدى الروائع العالمية ، وكنيسة بيت لحم أو جبل الزيتون (١٣٠) .
لكن لا بد من التفكير أيضاً بكنائس الأديرة الشهيرة في سينا وفي دير
الكلب في منطقة الموصل (١٣١) ، وفي دير توما في أرمنية ، وفيه
جسد قائم يزعمون أنه من الحواريين (١٣٢) ، وفي دير مريم قرب
ديبل في أرمنية أيضاً (١٣٣) أو في إقليم الشام للملكية (١٣٤) . وفي
مجال بقاء النصرانية ، لايجوز اغفال الإشارة إلى دق النواقيس الذي
يستفز المسلمين ، وإلى ضرب الصنوج التي تدعو إلى الصلاة (١٣٥) .

-
- (١٢٧) ابن حوقل ، ١٧٦ ، المقدسي ، ٤٤ (ترجمة ، ١١٢ ، ح ١٤) ، ١٥٦ ،
١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٨٢ - ١٨٣ .
(١٢٨) ابن حوقل ، ٢١٧ ، ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، المقدسي ، ١٤١ ،
١٤٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ .
(١٢٩) ابن حوقل ، ٢٥٥ (وكان أهل الكتاب يديرونه - تابوت دانيال قرب
سوسه - في مجامعهم ويتبركون به ويستسقون) .
(١٣٠) المقدسي ، ١٤١ ، ١٧٢ .
(١٣١) انظر ما تقدم عن ديارات الشابثي .
(١٣٢) المقدسي ، ١٤٦ .
(١٣٣) المقدسي ، ٣٨١ .
(١٣٤) المقدسي ، ٤٤ ، ترجمة ، ١١٢ ، ح ١٤ .
(١٣٥) المقدسي ، ٤٤ (وترجمة . ١١١ ح ١١) مع ذلك ، يمكن ان تكون
الصنوج ، حسب السياق ، جهاز الذار لوصول السفن الرومية الى السواحل الشامية (انظر
المقدسي ، ١٧٧) .

وذكرت قسمة البيعة إلى كنيسة ومسجد في حمص في اقليم الشام ، وفي ديبيل المذكورة من قبل (١٣٦) . وفي دمشق (١٣٧) ، تم احتلال الكنيسة وتحويلها إلى مسجد . وفي ميركى ، في منطقة اسبيجاب في آسية الوسطى ، كان الجامع في القديم كنيسة (١٣٨) . وعندما أراد هشام بن عبد الملك بناء جامع في الرملة في فلسطين ، طلب من النصارى أعمدة رخام مدفونة تحت الرمل ومهيأة لبناء كنيسة ، وهددهم بهدم كنيسة اللد (١٣٩) إن لم يسلموها ، ففعلوا .

فمن هم هؤلاء النصارى؟ إنهم جماعة لاتعتنق الإسلام، يمكن أن يمثل وجودهم أحد مبركات هذا البلد أو ذاك، على حد قول المقدسي (١٤٠) ويستغرب المرء أحياناً أخرى ، أن يكون أهل الطيالس سكارى ، ويلبسه المكدون والنصارى (١٤١) . إلا أن الحكم على النصارى. يتنوع في مكان آخر : فيعتبرون مؤمنين صادقين (١٤٢)، أسيئات معاملتهم تاريخياً بلا وجه حق ، مثلما حصل في أرمينية ، لإحدى أراضيهم

(١٣٦) ابن حوقل ، ١٧٦ ، ٣٤٢ . في ديبيل مسجد جامع إلى جانب البيعة ، كمسجد حمص في مشاركة البيعة) ، المقدسي ١٥٦ ، ٣٧٧ (في ديبيل البيعة والمسجد الجامع متلاصقان)

(١٣٧) ابن حوقل ، ١٧٤ - ١٧٥ (من ابنة الصابئين ، ثم صار في أيدي اليونانيين ، ثم صار لليهود ، ثم تغلبت عليه النصارى ، ثم صار للمسلمين واتخذوه مسجداً) . انظر أيضاً المقدسي ، ١٥٩ (سياسة الوليد في بناء المساجد لاشغالهم عن جمال بيع النصارى في اقليم الشام) وما تقدم الفصل الأول (الاسلام وريث مستقر) .

(١٣٨) المقدسي ٢٧٥ .

(١٣٩) المقدسي ، ١٦٥ .

(١٤٠) في مقابلة إحدى المناطق أو المدن: المقدسي، ١٦٧، ١٩٣، ٢٠١، ٣٧٤ .

(١٤١) المقدسي ، ٤٢٩ .

(١٤٢) المقدسي ، ١٢٦ ، ذكر من قبل والحاشية : تمييز بين النصارى واليهود

وبين المجوس .

المفضلة ، مع أنهم كانت بأيديهم العهود بإقرارهم على حالهم (١٤٣) .
ويلاحظ المقدسي أن إقليم الشام يستعمل شهور النصارى ، ويقدر
الفصول بأعيادهم (١٤٤) ، ويثني على المسيحيين أحسن ثناء (١٤٥) ،
ويقول : « وأقل ماترى في إقليم الشام . . . مسلماً له كتابة . . . (١٤٦)
ولنما الكتبة به وبمصر نصارى ، لأنهم اتكلوا على لسانهم ، فلم يتكلفوا
الأدب كالأعاجم . كنت إذا حضرت مجلس قاضي القضاة ببغداد ،
أحجل من كثرة مايلحن ، ولا يرون في ذلك عيباً » . هؤلاء هم النصارى ،
العرب وغير المسلمين ، الذين وضعوا على نفس مستوى الأعاجم ،
المسلمين وغير العرب ، من أجل الدفاع عن الثقافة واللغة والخدمة
العامة . وهذا تقليد ثابت في الماضي وفي الحاضر حتى أيامنا مثلما
هو معروف .

* * *

-
- (١٤٣) ابن حوقل ، ٣٤٣ .
(١٤٤) المقدسي ، آخر ١٨٢ - ١٨٣ .
(١٤٥) المقدسي ، ١٨٣ .
(١٤٦) كتابة ، فيها بعد كتيبة (كتيبة وكتاب جمع كاتب) . تلاحظ أهمية هذا
النص لا ثبات دور غير العرب أو غير المسلمين في عهد الخلافة .

الفصل الخامس

الأبنية العجيبة

يعد وصف الأبنية العجيبة من أبدع ما كتبه الجغرافيون العرب . ونحن في الحقيقة ، لانوه به لأول مرة . فقد تناول الجزء الثالث والثاني السابقان نوادر البلدان الواقعة خارج دار الإسلام ، ثم غرائب الطبيعة ضمن هذه الدار ذاتها . بقي علينا إذن أن نتأمل ملياً روائع ما ابتكره الإنسان فيها ، أي أبنيتها العجيبة ، وآثارها ، على وجه التخصيص ، فهذه الأبنية ، شأنها شأن سائر العجائب ، تقود إلى الله بوسائل جمّة : فاسرار الطبيعة تدعو إلى النظر في أعمال القدرة الإلهية ووجود الخالق في جميع الأماكن ، إلا أن آثار الأبنية التي خلفتها إحدى الحقب الغابرة تدفع إلى التفكير ببطلان الأمجاد العظمى والزروع إلى تعفية الرسوم خلال تاريخ طويل ، قد يصنعه البشر ، لكن يبقى الله فيه وحده أزلياً . ولا يفوت مؤلف أن يكتب في هذا الموضوع (١) ، موسوعياً

(١) يكتب الشابشتي نفسه في هذا الموضوع ، وهو المؤلف المتخصص في ذكر الديارات (انظر الفصل ٦) : وقد مر معنا حديثه عن الديارات ، وعن آثار القصور القديمة : الشابشتي ، ١٥٢ .

كان أم جغرافياً مختصاً . وقد برز استمرار مطلق في الكتابة في هذه الناحية ، بدأ برواد علم البلدان ، مثل الجاحظ (٢) ، ووصل إلى الاختصاصيين بوصف مملكة الإسلام كابن حوقل والمقدسي : فثقافة العصر العامة ، أي الأدب ، تفرض على المطلعين اعطاء نظرة شاملة كاملة عن الأبنية العجيبة ، أو ، في الحد الأدنى ، ذكر بعضها ، ليثبتوا أنهم يعرفون أصول التصنيف . ويبرهنون على ضلالتهم في ذلك — بصرف النظر عن الإشارة العابرة — بثلاث طرق ، وردت عند ابن الفقيه : هي استعراض نماذج الأبنية أو شرح شهرتها ، أو تعدادها حسب البلدان طبعاً .

القلاع وآثار أخرى

يدخل أدب الآثار — ولا بد من التأكيد على هذه الناحية — ضمن أحد أكبر موضوعات الأدب ، نعني معرفة الأبنية القديمة وغير القديمة . ويلج المسعودي على كلاسيكيتها ، ويستشهد بأبي معشر والخوارزمي والمدايني الذي ألف كتاباً عن أخبار الحصون (٣) . أما المقدسي ، فقد أعطى قائمة بأعظم أبنية العالم ، وذكر أسماعها ، واسماء نباتها ، والتنبؤات المتعلقة بمصيرها (٤) . ويذهب الحصري إلى أبعد من ذلك ، ويستعرض التعابير النموذجية الخاصة بوضع القلاع والقصور (٥) ،

(٢) الجاحظ (١) . أماكن متفرقة .

(٣) المسعودي (م) ، فقرة ٥٠١ ، ١٣٧٠ وما يليها .

(٤) المقدسي ، ج ٤ ، ٩٢ - ٩٩ .

(٥) زهر الاداب ٦٨٨ - ٦٨٩ .

بصورة مقتضبة أشبه بمفكرة امتحان يجري دوماً بين أناس يتمتعون
إلى دنيا واحدة ، مرفقة بتمارين لإنشاء .

ونرجى إلى وقت لاحق إعطاء التفاصيل عن الأبنية ، بلداً بلداً ،
ونكتفي هنا بذكر مجموعاتها كما جاءت عند الجغرافيين ، صراحة
أو في سياق الكلام عن الأحداث . ونبدأ بالمدن ، كمدن سليمان
ابن داود ، أي تدمر وبعليك (٦) ، ثم ننتقل إلى القناطر (٧)
فالمساجد (٨) ، وخاصة القصور ، المحصنة وغيرها ، والكنائس .
وتنفرد ببناء القصور التبعية العربية والفارسية حتى حدود العراق (٩) :
ويعدّ هذا الوضع حصيلة نزاع الشعوبية ، أي الصراع الثقافي المحتدم
بين التراثين الكبيرين في دار الإسلام . وتقع الكنائس في انطاكية وحمص
ومنجع (بمبيس ، هيرا بولس) شمالي شرقي حلب ، والرها أشهرها قاطبة :
وتقول الروم ، حسب محمد بن موسى الخوارزمي ، مامن بناء بالحجارة

(٦) المقدسي ، ١٥٦ ، ١٨٦ ، مع ادخال بناء صور وعكا في نفس قائمة العجائب .
والموضوع الموازي موضوع المدن الكبرى (الأمصار) وخصائصها : ابن خرداذبه ،
١٧١ - ١٧٢ ، ابن الفقيه ، ٥٧ - ٥٨ ، ١٩٢ .

(٧) مجموعة القناطر اقل دقة ، حول اشهرها نعني قنطرة سنجة التي ستحدث عنها
فيما بعد : انظر مع ذلك القناطر التي يعددها مسعر (ب) ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤١ ،
٤٥ - ٤٦ ، وابن الفقيه ، ٢٥٥ وقناطر فارس عند المقدسي ، آخر ٤٤٥ ٤٤٦ (ح)
(٨) نكتفي هنا بذكر المساجد (دمشق وقبة الصخرة في بيت المقدس) الواردة في
قائمة عجائب الدنيا : ابن الفقيه ، ١٠٦ ، المسعودي (ت) ، ١٩٨ ، المقدسي ، ج ٤ ،
٨٤ ، ٨٧ ، المقدسي ، ١٨٦ . انظر أيضاً المقدسي ، ج ٤ ، ٧٧ - ٨٤ (ذكر المساجد
الشهيرة : في مكة ، والمدينة ، والقاهرة ، وبيت المقدس والرملة ، ودمشق ، والبصرة
والكوفة) .

(٩) انظر ابن خرداذبة ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، اليعقوبي ، ٢٧٠ ، المسعودي (م) ،
فقرة ٥٠٥ ، ابن الفقيه ، آخر ١٥٦ - ١٥٩ ، ١٧٦ - ١٧٩ ، آخر ٢٥٥ - ٢٥٦
ابن رسته ، ١٦٤ وما يليها ، الهمداني ، ٧٦ - ٧٩ ، ٢٠٣ ، المقدسي ، ٣٩٩ .

أبهى من كنيسة الرها ، ولا بناء بالخشب أبهى من كنيسة منبج لأنها بطاقات من خشب العناب ، ولا بناء بالرخام أبهى من قسيان انطاكية ، ولا بناء بطاقات الحجارة أبهى من كنيسة حمص (١٠) .

ولهذه الأبنية مراتب ثابتة ، وإن كانت مبهمة أحياناً ، تقول أوضحها إن عجائب الدنيا أربعة قنطرة سنجة في حوض الفرات الأوسط ، ومنارة الإسكندرية ، وكنيسة الرها (١١) ، ومسجد دمشق . وتحذف كنيسة الرها من هذه القائمة أحياناً ، ويجعل المسجد الأقصى بدلها . فلما هدمته الزلزلة جعل موضعه جامع دمشق (١٢) . لكن لدمشق أهمية أخرى : فإضافة إلى مسجدها العظيم ، تعد غوطتها إحدى عروسي الدنيا ، وإحدى جنتها ، حتى إن الجغرافية تدعم التأريخ ، والعجبية تجمع عمل البشر الصرف والعمل الذي يركز على هبة طبيعة يباركها الله (١٣) .

-
- (١٠) ابن خرداذبه ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ابن الفقيه ، ١٣٤ ، ابن رسته ، ٨٣ ، ابن حوقل ، ١٨١ ، ٢٢٦ ، المقدسي ، آخر ١٤١ ، ١٤٧ .
- (١١) ابن الفقيه ، ١٠٦ (انظر أيضاً المرجع ذاته ، ٧٢ : عجائب الدنيا أربعة امرأة معلقة بمنارة الاسكندرية ، وفرس نحاس عليه راكب من نحاس بأرض الأندلس ، ومنارة من نحاس بأرض عاد ، وشجرة من نحاس بأرض رومية . انظر جغرافية دار الاسلام ، ٢ ، ٣٧٦ و ٥٣٩ و ٥٣٩ (المسعودي (ت) ، ١٩٨ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٨٤ ، الثعالبي ، ٩٤ - ٩٧ ، ابن حوقل ، ١٨١ ، المقدسي ، آخر ١٤١ .
- (١٢) المقدسي ، ١٤٧ . حول هذه الزلازل (سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م وحوالي ١٦٠ هـ / ٧٧٧ م) انظر ف . بهل ، لفظ قدس ، ١٠٢ ج ٢ ، ١١٦٢ ، س . د . غواتين و . و . غربار ، ١٠٢ (٢) ، ج ٥ ، ٣٢٥ ، ٣٤٢ .
- (١٣) حول موضوع (تبدلاته) : مدن الجنة (ومدن النار المناقضة لها) ، انظر ابن الفقيه ، ٣٧ ، ١٠٣ - ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ٢٠٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٣ ، الثعالبي ، ٩٦ . انظر أيضاً م . زغلول سلام ، ابن قتيبة ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ١٢٥ وجغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٨٨ .

ويختلط التصنيفان السابقان في المراتب الدنيا . فابن الفقيه يوسع قائمة العجائب ، ، ولا يضيف إليها قصوراً وأسواراً وتماثيل فقط ، بل التمساح بالنيل ، والرعد ، والفرس النهري ، والسقنقور (١٤) أيضاً . ويندفع بحماس في مكان آخر ، فيقول : من عجائب الشام أربعة أشياء : بحيرة طبرية ، والبحيرة المنتنة ، وأحجار بعلبك و . . ومنازة الإسكندرية (١٥) . ونود أن نحد من طموحنا ، ونكتفي بذكريات خلقها البشر . وهذا كاف لأن كثيراً من العجائب تنتظرنا ، وهي أصغر من العجائب الثلاث أو الأربع المعترف بها عالمياً . ونحن نوجزها قبل زيارتها في مواضعها ، معتبرين ذلك جائزة ثانوية تعتمد على الحاح النصوص ، نمنحها إلى الأجداد التالية : الأهرام ، والإسكندرية ، قصور اليمن ، سبأ وسد مأرب ، بعلبك وتدمر ، وفي النهاية آثار فارس الساسانية مثل طاق قطيسفون (طيسفون أو المدائن فيما بعد) ، والقصور ، وسد تستر ، وبرج بُنَيّ بحوافر حُمُر الوحش .

وقطعاً تعوز الدقة هذه الصورة الإجمالية ، لكنها تحدد بعض الرؤى (١٦) ، أولاها تولي دار الإسلام زمام زمن مستمر ، أصبحت

(١٤) ابن الفقيه ، ٥٠ - ٥١ ، ٢٥٥ (حول هذه الحيوانات ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٤٢ ، ٣٦٨ - ٣٧٤ . يلاحظ هنا أيضاً : (انظر ما تقدم ، ح ١١) توسع آخر : باتجاه عجائب الغرباء : رومية مجدداً) . خليط متنافر آخر عند الثعالبي ، ٩٧ - ١٠٢ (من أجل مصر) .
(١٥) ابن الفقيه ، ١١٨ .

(١٦) من أجل شتى قوائم العجائب أو ذكرها . انظر ابن خرداذبه ، ٤٣ ، ١٦٠ ، ١٦١ . اليقوي ، ٣٣٧ ، الهمداني ، ١٣٥ ، ابن الفقيه ، ٥٠ - ٥١ ، ٧١ - ٧٣ ، ١٧٩ (الأبنية الشهيرة) ، ١٩٩ ، ٢٤٥ - ٢٥٦ ، ابن رسته ، ٨٣ ، المسعودي (م) . فقرة ٧٩٢ وما يليها ، المقدسي ، ١٨٦ ، ٢١٠ - ٢١١ ، ٣٩٩ ، ٤٤٦ ، و (ح ١) .

هي لإنجازه الأخير على الأراضي التي استملكته . فوجود بناء تهدم بكامله تقريباً ، مثل طيسفون ، أو بقي قائماً جزئياً مثل منارة الإسكندرية ، أو يعد حديثاً نسبياً ، مثل مسجد دمشق ، تعتبر حجراته دليلاً على الإستمرار ذاته الذي كان يحيه في الأذهان إحياء ذكرى الإسكندر أو فارس أو أجداد التوراة : فالبناء بحد ذاته لا يضيف شيئاً إلى التاريخ ، لكنه يعطيه شكلاً . مثال ذلك طيسفون التي تضم أبنيتها ذكرى الساسانيين ، وذكرى الروم باسم رومية ، وذكرى المسلمين الأوائل مع سلمان الفارسي والمحدثين مع الخليفة العباسي المنصور (١٧) . وعند ابن الفقيه (١٨) مقطع ذو مغزى بين آلاف المقاطع حيث يقول : « بين بيت المقدس والرملة ١٨ ميلاً . وهي من كورة فلسطين . وكانت دار ملك داود وسليمان ورجعهم بن سليمان وولد سليمان . ولما ملك الوليد بن عبد الملك ، ولّى سليمان بن عبد الملك جند فلسطين ، فنزل اللدّ ، ثم أحدث مدينة الرملة ومصرّها » . ويلتقي سليمان التوراة وسليمان الإسلام ، مثلما نرى ، في موضع واحد ، وهكذا يُحتَجُّ بالتاريخ مرة أخرى (١٩) .

قد يقال بأن الحال لم تكن دوماً على هذا المنوال ، وأن صورة ماضٍ مصيره الفناء إلى الأبد ، تتردد كثيراً في نصوص الجغرافيين في

(١٧) اليعقوبي ، ٣٢١ .

(١٨) ابن الفقيه ، ١٠٢ .

(١٩) يمكن تكرار القول بالنسبة إلى التاريخ اليوناني القديم ، حتى خلاف أشهر مثال نحني مثال الاسكندر : قبر جالينوس اليوناني في القرما ، وقبر ارسطوطاليس في بلرم ، وبدقة خشبته (نعشه) المحفوظة في الجامع الأكبر الذي كان بيعة للروم (ابن حوقل ، ١١٨ ، ١٦٠) أصبحت مسلمين .

موضوع زوال أمجاد الدنيا (٢٠). وهذا صحيح، وصحيح أيضاً أن البناء القديم والآثار تمثل في وصف العجائب الإجمالي أكبر حيز يتفوق عظيم . لكن مع ذلك ، أموات الإنسانية أكثر من أحيائها . على أن أهم ما في ذلك ، هو أن وجود البناء الرائع ، المطمئن ، هنا أو هناك ، سواء كان قصراً أو قنطرة أو قلعة أو سوراً ، يرتق شرح السيرورة ، رغم حضور الماضي المفكك ، حتى ان المسافر يتضاءل تفكيره في مصيره الشخصي بالمقارنة باهتمامه بمصير الإنسانية . وتقترن زيارة هذه العجائب الصامتة أو الحية ، بزيارة القبور ، ويقرأ دليل الغرائب هو « جغرافية الشفاعات الروحية » . وتتألف الدنيا من كل هذه الأشياء ، تضاف إليها المدن ، والمفاوز ، والجبال ، والمسالك ، والأنهار ، تلك الدنيا التي أنعم الله علينا نحن الأحياء بمعرفتها .

المغرب الرزين ومصر الوقور

ونكرر أن هذه الجغرافية شرقية في صميمها ، نشأة ومصيماً : فالمغرب يبدو في مجال الأبنية أقل شأناً مما هو عليه في سائر الميادين . وما يحويه منها ضئيل حقاً. ففي القيروان ، ينضح بالماء عمودان كل يوم جمعة قبل شروق الشمس : وهذه العجيبة نادرة جداً ، فرفض بيعهما من عاهل الروم (٢١) بثقلهما ذهباً . ويذكر اليعقوبي أن منازل بني الأغلب على ميلين من مدينة القيروان في قصور (٢٢) . ويتحدث المسعودي عن منارة قادس (٢٣) على غرار اسطورة اعمدة هرقل (أركلش) . ويعرف أيضاً قنطرة السيف في مدينة القنطرة الواقعة على

(٢٠) انظر مثلاً القصائد الواردة عند ابن الفقيه ، ١٥٦ - ١٥٩ ، ١٦١ .

(٢١) اسحاق ، ٤٥١ .

(٢٢) اليعقوبي ، ٣٤٨ .

(٢٣) المسعودي (ت) ، ١٠١ .

هر تاجه ، وهي اجمل من قنطرة سنجه (٢٤) . ويولي الرازي - وهو أندلسي ، وقطعاً على هامش أدب الأبنية - مزيداً من الاهتمام بعجائب بلاده ، مما يدل على أنه يريد أن يعكس الميل الشرقي المفرط . ويذكر منها قنطرتي القنطرة وطليلة ، وطريقاً رومانية مازال مستعملة (٢٥) لكنه يمثل حالة استثنائية . وفي الطرف الآخر ، في مشرق جغرافي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، يغفل ذكر الأندلس في سياق الحديث عن الأبنية ، ولا يلمح إلا إلى ميان مجهولة الأسماء في اشرفال وطنجة (٢٦) ، تشير إلى ماض لا وجود له .

وببدأ أدب العجائب في مصر ، والحق يقال : ففيها أبنية كثيرة لايجوز اغفالها. وتذود شعبية حية باستمرار عن هذا الكثر ، وتجاهه ابنية سائر البلدان . وهذا القول بوجود هوية ثقافية خاصة خفي عند المسعودي الذي أقام في هذه البلاد بآخر عمره ، ويزداد وضوحاً عند ابراهيم ابن وصيف شاه مؤلف مختصر العجائب . ولا يتعذر عليه العثور على ما يغنيه على ضفاف النيل . فالمنازة أو آثارها منتصبة أمام متحف مصر القديمة: بشكل خرائب مازال جليلة، وخاصة بشكل أساطير (٢٧) .

(٢٤) المسعودي (م) ، فقرة ٣٩٩ .

(٢٥) الرازي ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩٥ .

(٢٦) ابن حوقل ، ٧٧ ، ٧٩ .

(٢٧) التومينات اللاحقة مأخوذة مما يلي : ابن خرداذبه ، ١١٤ - ١١٥ ، يعقوبي ٣٣٨ ، ابن الفقيه ٧٠ - ٧٢ ، ابن رسته ، ٧٨ ، ٨٠ ، آخر ١١٧ - ١١٨ ، المسعودي (م) ، الفقرات ٨٣٠ - ٨٣١ ، ٧٣٤ - ٨٤١ ، المسعودي (ت) آخر ٧٣ وقد انهارت ١٣٠ ذراعاً من اعلاها على طول الزمان وترادف الزلازل ثم تهدم منها في شهر رمضان سنة ٣٤٤ / ٥ كانون الثاني ٩٥٦ نحو من ثلاثين ذراعاً من اعاليها بالزلزلة ، اسحاق ، ٤٤٦ ، ابن حوقل ، ١٥١ ، المقدسي ، ٢١١ ، انظر أيضاً ف . بولينيكا ، الاسكندرية عين العالم وتختم المجهول ، منوعات المدرسة الفرنسية في رومة ، القروض الوسطى ، العصور الحديثة ، ٤٦ روماني (١) ، ١٩٨٤ ، ص ٤٢٥ - ٤٣٩ و س . ليبب (٢) ، ج ٤ ، ١٣٨ (٢) .

وعندما يقطع المسافر طريقاً طويلة، عن يمينها ويسارها النخيل والبساتين والضيايح ، يصل إلى سور الإسكندرية ، ويشاهد ، على حد قول ابن رسته ، مسناة من حجارة في البحر ، على طرفها منارة الإسكندرية التي يبلغ ارتفاعها في الهواء حوالي مائتي متر (ثلاث مائة درجة) في كل درجة كوة يُنظَر منها إلى البحر : أي ما يعادل مثلي الطول الأصلي ، وأربعة أمثال الخرائب التي كانت ماتزال قائمة حوالي منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إذا اعتمدنا على شهادة المسعودي (٢٨) . وهذه الخرائب جميلة ، لاسيما عندما تسطع من جانب الغرب بفعل الشمس المائلة إلى المغيب . وهي ضخمة لأن في المنارة ثلاث مائة بيت يصعد إلى بعضها الفارس بفرسه (٢٩) .

أما باقي وصف المنارة ، فمأخوذ من الذكريات أو الخرافات . وقد كان لهذه المنارة في الماضي عمودان من نحاس على صورتين ، إحداهما من زجاج والأخرى من نحاس . أما النحاس فعلى صورة عقرب ، والزجاج على صورة سرطان . وتروي قصة أساسات الإسكندرية في سياق الحديث عن بنائها . وكانت دواب البحر متى جن الليل ، تخرج ، وتأتي على جميع ما يشاد في النهار ، ويعجز الحراس عن منعهم من تخريبه فقلق الإسكندر ، ودعا الصناع ، فأتخذوا له تابوتاً من خشب ، وجعلت فيه جامات من زجاج ، ودخل الإسكندر في التابوت هو ورجلان من كتابه ، وانزلوا في الماء فغاص التابوت حتى انتهى إلى قرار عرض البحر . فنظروا إلى دواب البحر من ذلك

(٢٨) المسعودي (م) فقرة ٨٣٨ . انظر بولي ويسوا ، ١٩ روماني (٢) ، ١٨٦٩ .

(٢٩) أخذت هذه الصفات من المقدسي ، ٢١١ .

الزجاج الشفاف ، فإذا هم شياطين على مثال الناس ، رؤوسهم على مثال رؤوس السباع ، وفي أيدي بعضهم الفؤوس ، وفي أيدي البعض المناشير والمقارع ، يحاكون بذلك صنائع المدينة وما في أيديهم من آلات البناء . فاثبت الإسكندر ومن معه تلك الصور ، وأحكموها بالتصوير على القراطيس . فلما خرج الإسكندر من التابوت ، أمر صنائع الحديد والنحاس والحجارة ، فصنعوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صورته وصاحبه . فلما فرغوا منها ، وضعت على العمود بشاطئ البحر . فلما جن الليل ، ظهرت تلك الدواب من البحر ، فنظرت إلى صورها على العمود ، فرجعت . وعلى هذا النحو ، يعلل إرتكاز المنارة على سرطان أو أربعة سرطانات من زجاج ، تعتبر مع حيواني العمودين المجاورين طلسمات تحمي المنارة ذاتها .

وموضوع منارة الإسكندرية أحد الموضوعات المفضلة عند الجغرافيين العرب . فقد جعلت المرأة في أعلاها ، وصارت تُرى فيها المراكب البعيدة جداً حتى الأفق ووراءه ، الجارية في عرض البحر بينها وبين القسطنطينية . هنا أيضاً تكثر طلسمات الحماية . فقد جُعل في أعلاها تماثيل من نحاس وغيره ، وفيها تمثال أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك ، يدور حيث دارت . ومنها تمثال يشير بيده إلى البحر ، إذا صار العدو منه على نحو من ليلة . فإذا دنا ، وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة ، سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين أو ثلاثة . ومنها تمثال ، كلما مضى من الليل والنهار ساعة ، سمع له صوت بخلاف صوت الساعة التي قبلها ، وصوته مطرب .

وأوليه البحر حوالي المنارة عناية خاصة أيضاً ، لأنه كان فيه مغاص ، يخرج منه قطع من الجواهر تتخذ منها فصوص الخواتم . ويقال إن الجواهر من الآنية النفيسة التي كان الإسكندر اتخذها للشراب . فلما مات ، كسرتها أمه ، ورمت بها في تلك المواضع من البحر . ومنهم من رأى أن الإسكندر اتخذ ذلك النوع من الجواهر ، وغرقه حول المنارة ، لكي لا يخلو من الناس ، لأن من شأن الجواهر أن يكون مطلوباً أبداً في كل عصر في معدنه برّاً أو بحراً ، فيكون الموضع على دوام الأوقات معموراً بالناس .

وما تزال الخرائب القديمة شامخة حتى الآن ، ويمكن تصورها جيداً ، ويبعث تصور ماتوحي به من فرط إجلال ورهبة ، إلى حكاية قصة مرعبة عنها جرت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، عند وصول جيوش الفاطميين إلى المغرب . وفي رواية أخرى ، قريبة من الواقع ، وردت باختصار ، أن جماعة من الفرسان هبوا من كرسي المنارة . إلا أن المسعودي يفضل قطعاً رواية ثالثة ، ويقدمها على غيرها ويفصلها فيقول : « إلا أن من يدخل المنارة يتيه فيها ، إلا أن يكون عارفاً بالدخول والخروج فيها ، لكثرة بيوتها وطبقاتها وممراتها . وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب ، دخل جماعة منهم على خيولهم إلى المنارة . فتأهوا فيها ، وفيها طرق تؤول إلى مهاو تهوي إلى سرطان الزجاج ، وفيها غمارق آلى البحر ، فتهوروا بدوابهم ، وفقد منهم عدد كثير ، وعلم بهم بعد ذلك » . أخيراً ابن حوقل رحالة موضوعي ، وواقعي ، ودقيق الملاحظة ، ويصحح على الدوام ، ما يروى له بما يعينه ، وينفرد دون سائر الجغرافيين

بدعوته إلى قبول ما يظنه الحقيقة ، ويقول : المنارة قصيرة حالياً ، لكن ، كان سمكها في الماضي يزيد على ثلاث مائة ذراع ، أي على مائة متر ونصف ، وكانت مبنية بالحجارة المركبة المضببة بالرصاص . ويستدل بها على مملكة كانت القاهرة للملك عظيم ذي حال جسيم ، دون ذكر الإسكندر (٣٠) . وأطرف ما في الأمر أن استقصاء الحقيقة باسم جميع العامة والخاصة من أهل الدراية ، وخلافاً لما يدعي المغالون في حماقات ورقاعات مصنفة « ، آل في النهاية إلى زعم خاطيء عن الغاية من بناء المنارة : فلم يبنها مؤسسها لمراقبة المراكب في البحر ، ولم يجعلها طاسماً يمنع إغراق مصر بمياه النيل ولم يقصد بها اعطاء اشارات لايتحدث أحد عنها ، بل رصد الفلك » . لإكتشاف فضائها وسعة سمائها وقلة أبنجرة صحرائها » .

وقطعاً ترتبط المنارة بسحر الإسكندرية ، المدينة الرائعة التي أنشأتها إرادة مؤسس شبه اسطوري (٣١) . ويقال إن ست مائة الف يهودي كانوا خوّلاً لأهلها . وقد بنيت في ثلاث مائة سنة ، وخمرت نوريتها ثلاث سنين . ولايمشي أهلها في النهار ، إلا بخرق سوداء خوفاً على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ، وماأسرج فيها أحد سراجاً في الليل اشدة بياض رخامها . وكان عليها ، على ما زعم الإخباريون ،

(٣٠) ويزعم قوم ان بانيها وباني الهرمين ملك واحد ، ويروي آخرون غير ذلك . ونحن نعلم ان المهندس المعمار سوسترات الكندي بنى المنارة في عهد البطالسة .

(٣١) حول الاسكندرية ، انظر ابن خرداذبه ، ١٦٠ ، وابن الفقيه ، ٧٠ - ٧٣ ، وابن رسته ، ٨٠ ، ١١٧ - ١١٨ ، المسعودي (م) ، فقرة ٦٧٩ (بقايا قبر الاسكندر) ، ٨٢٧ - ٨٣٩ ، اسحاق ، ٤٤٦ ، ابن حوقل ، ١٥٠ - ١٥١ ، وبولينياك ، مقال مشار اليه من قبل .

سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة الوانها ، وكان بناء الإسكندرية طبقات ، وتحتها قناطر مقنطرة ، عابها طبقات ، وتحتها قناطر مقنطرة ، عابها دور المدينة ، يسير تحتها فارس ويده رمح ، وقد عمل لتلك العقود والأزاج خنازير ومتنفسات للضياء ومنافذ للهواء .

وتستريحى انتباه المسافر ببيع وآثار ما تزال قائمة كالمسال ، والعمد الكبيرة الحجارة ، المسمرة تسمى خفياً ، المصنوعة قاعدتها من صفر أو نحاس ، الموضوع فوق رؤوس أساطينها أحجار لاتقل القطعة منها إلا بالوف الناس ، المصنوعة بغرائب الألوان وبدائع الأصباغ ، الشبيهة بالجزع والزمرد . ويحاول ابن رسته ايراد بعض التفاصيل ، فيتحدث عن موضع يسمى باب فرعون ، وهو ما بقي من قبة فرعون التي كانت مرفوعة بست عشرة اسطوانة منقورة كالحجر ، فيها نقوش ، ويتكلم أيضاً عن قصر سليمان الذي تهدم ، ولم يبق منه إلا سوارى قائمة لاسقف لها ، وبقي الباب الذي كان يدخل منه ، وهو باب له مصرعان قد نقرا من حجر ، وكذلك العضادتان والأسكفة ، وهو في الملوسة والصفاء مثل المرأة ، إذا نظر في ذلك الباب ، شوهد الغيم الذي في الهواء ، وبدت خضرة البحر فيه . وعليه نقط من كل صبغ .

وينافس فسطاط مصر وضواحيه الإسكندرية . وتأتي الأهرام في الطبيعة ، وعددها عشرة لاسيما الهرمان الكبيران (٣٢) . وهما

(٣٢) من أجل ما يلي ، انظر ابن خرداذبه ، ١٥٩ - ١٦٩ ، ابن الفقيه ، ٦٨ ابن رسته ، ٨٠ ، آخر ١١٥ - ١١٦ ، اسحاق ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، المسعودي (م) ، فقرة ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٨١٤ ، ١٢٨٣ ، المسعودي (ت) ، ٢٨ وما يليها ، ابن حوقل ، ١٢٥ ، آخر ١٥١ - ١٥٢ ، المقدسي ، ٢١٠ - ٢١١ ، ابن وصيف شاه ، ٢٠٢ - ٢٢٨ .

مبنيان بحجارة كلس أو مرمر أو رخام . وسمك كل حجر منها وعرضه وطوله من العشر أذرع إلى ثمان . وهو مهندس ومهندس . وجوانب الحجارة الأربعة ملساء ، لا يصعد فوقها إلا كل شاطر وتلتقي حروفها الحادة على مرمى سهم من الأرض . وكلما ارتفع بناء الهرم ، ضاق حتى يصير أعلاه مثل مبرك جمل (٣٣) . والبناء غاية في الكمال ، ارتفاعه أربع مائة ذراع ، وعرض قاعدته كارتفاعه ، وغاية في الضخامة يرى من مسيرة يومين وثلاثة ، بذلت في أشدته جهود هائلة حتى ان خراج مصر ، بل قيل خراج الأرض ، لا يقوم بهدمه . وفي داخل كل من الهرمين الكبيرين طريق كان يسير فيه الناس رجالة إلى أعلاه . وفي ما بين الهرمين مخترق في باطن الأرض واضح إلى الآخر . وبالهرمين عقود وطروح كثيرة .

وما زال الجدل محتدماً بشأن الغاية من بناء الأهرام . فقد ذكر قوم أن ماحداً على عملها أنه قضى بالطوفان وهلك جميع ما على وجه الأرض ، إلا ما حصن في مثلها ، فحزنت فيها الذخائر والأموال . ورأى آخرون أنها أهرام يوسف التي كان يجمع فيها محاصيل مصر . وقيل إنها قبور ، ويشيرون إلى وجود صور منها صور موسى وعيسى ومحمد - وإلى وجود مومياء وقطعة من جلد ثور ، ملفوفة عليها حواشي ثياب ، نشرت ، فنقطت منها نقطة دم ، وذلك كله في جرن مسدود برصاص ، أوقد عليه حتى ذاب الرصاص ، وفتح ، فاذا فيه شيخ ميت . وقيل في تأويل آخر إن الكتابة اليونانية أو اليونانية

(٣٣) في النادر ، عشر للهرم الكبير .



جزء من مألوفة الحمامات
الخشب : كريتته (Butino Spernum)

مصر ، العصر القبطي العربي ، القرن الثامن (تصوير إيه شوزفيل)

متحف لوفر ، القسم الاسلامي ١٦٢ TT

رسم المتاحف الوطنية

والقبطية (المسند في الأصل) تملأ حيطان الأهرام ، وفيها كلّ سحر
وكلّ عجب من الطب وكلّ طلسم وكلّ خالقة طير .

ويقع في خارج المدينة السجن الذي حبس فيه يوسف . وفيه
حمام فيه مثل جارية ، ذكر أمها من جوارى فرعون ، مسخت . . .
وأن الماء الذي في ذلك الحمام قد احتيل له حتى يجري في فمها ، ويخرج
من قبلها (٣٤) . مع ذلك ليس هذا الحمام البناء الذي كنا نتوقع

(٣٤) ابن رسته ، ١١٦ .

رؤيته في هذه الأرجاء : فأبو الهول غير وارد في نصوص الجغرافيين تقريباً . ويخصه المقدسي وحده ببضعة أسطر ، ويقول : « وثم صنم ، يزعمون أن الشيطان كان يدخله ، فيكلمه حتى كسر أنفه وشفته » (٣٥) .

وماتزال ذكرى منف حية في الأذهان (٣٦) . وهي مدينة فرعون ، التي كان ينزلها . واتخذ لها سبعين باباً ، وجعل حيطانها بالحديد والصفير ، وفيها كانت الأنهار التي تجري من تحت سريريه ، وهي أربعة . ودار فرعون فيها ، كلها حجر واحد منقور أو حجارة ملاحكة بدقة بالغة ، حتى لا يستبين مجمع حجirin ولا ملتقى صخرتين . وعين شمس ومنف مسكنا فرعون . وبعين شمس اسطواناتان من بقايا أساطين كانت بها . وهما قطعة واحدة ، على رأسهما شبه حربة وطوق من نحاس ، وتسميان المسلتين . وثم أيضاً على هذا العمل دونهما ، وقيل إنهما طلسمان للتماسيح التي لاتضر مع عظمتها وكثرتها . ويقطر من إحداهما ماء من تحت الطوق إلى نصف الاسطوانة ، لا يجاوزه ، ولا ينقطع قطره في ليل ولا نهار ، فموضعه من الأسطوانة أخضر رطب . ولا يصل الماء إلى الأرض . ويتحدثون أيضاً عن تمثالين يبكي أحدهما ويضحك الثاني ، وعن تمثال ثالث يقال إنه لمزينة استحجرت كانت لزوج فرعون (٣٧) .

(٣٥) المقدسي ، ٢١٠ ، و ش . هـ . بيكر ، أبو الهول ، ١م (٢) ، ج ١ ١٢٩

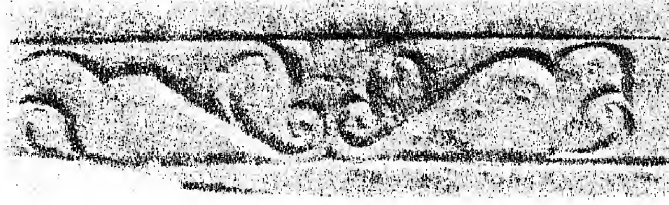
(٣٦) ابن خرداذبه ، ١٦١ ، ابن الفقيه ، ٥٨ ، ٧٣ ، ١٧٦ ، ابن حوقل .

١٦٠ .

(٣٧) ابن خرداذبه ، ١٦٠ ، اليعقوبي ، ٣٣٧ ، ابن الفقيه ، ٧١ - ٧٣ ، ابن

رسته ، ٨٠ ، اسحاق ، ٤٤٩ ، ابن حوقل ، ١٦٠ ، المقدسي ، آخر ٢١٠ - ٢١١

، و ش . هـ . بيكر ، ١م (٢) ، ج ١ ، (٢) ٨١١ .



رسم المتاحف الوطنية متحف لوفر ، القسم الاسلامي ، م ١ و ٥٣ :
قطعة من طنف (أفريز) الطيور المنمنمة
الخشب : تين فرعون (الجميز)
مصر ، القرن التاسع أو العاشر
(تصوير ا.شوزفيل)

ويستمر استعراض غرائب الفسفاط في أرض بابل مصر القديمة .
ففيها عند قصر الشمع امرأة ممسوخة ، على رأسها سفلى من حجر ،
يقال إنها كانت غسالة لآل فرعون ، وإنما أذت موسى ، فمسخت (٣٨) .
وعلى رأس جبل المقطم ، في قلبه المشرفة على الفسفاط ، بناء يقال
انه كان مطبخ فرعون ، فغيّر ذلك ، وبني فيه مسجد يجتمع الناس
فيه ليالي الجمعات (٣٩) .

ويطغى الفسفاط والإسكندرية على باقي أنحاء مصر ، التي يذكر
فيها حائط العجوز . وهذه العجوز ملكة اسطورية يقال لها دلوكة ،
بنت على بلاد مصر حائطاً يحيط بها جميعاً يمنع سباع البر والبحر ومن
جاور أرضها من الملوك من الوصول إلى وادي النيل . وجعلت عليه
المحارس والرجال متصلة أصواتهم بقرب بعضهم من بعض . ويقال

(٣٨) المقدسي ، ٢١١ ، ابن الفقيه يعطي رواية أخرى « وبالفسفاط صورة امرأة
من حجر عظيمة ، قاعدة ، على رأسها اجانة ، وعلى كل واحدة من ركبتيها درجة
الى غرفة تسمى أم يزيد الخولانية » .
(٣٩) ابن رسته ، ١١٧ ، ابن حوقل ، آخر ١٦٠ تصحيح الترجمة ص ١٥٩ .
ليس في « هذه النقطة » ، لكن في القصر الآخر » .

إن ذلك الحائط كان طليماً ، وكان فيه تماثيل كل أقليم على هيئتهم
وزيهم والدواب وال سلاح وكل أمة مصورة في الطرق التي تجيء منها .
والواقع أن هذا الحائط سور يضم مجموعة أبراج بنيت مناظر في طرف
الأودية الرافدة من جانب البرية ، لقد سقطت الحاجة إليها بالإسلام (٤٠) .

وبوسعنا سرد المزيد من الأخبار . فابن رسته (٤١) يقول إن في
قرية اسمها بدرسانة العرا من أرض مصر ، كنيسة للروم ، ينزل الناس
إليها نيفاً وعشرين مرقاة . وهناك سرير تحته رجل ميت ، مشدود
في قطع ، وفوق السرير ثور من رخام عظيم ، في جوفه باطية زجاج
تمتلئ بالزيت بطريقة مبتكرة ، وتتلأ ثور الرخام ، فيسرج به
قناديل الكنيسة . فهل تدل هذه الظاهرة على مهارة أم على سحر ؟
على أي حال ، إذا أخرج ذلك الميت من تحت السرير ، لا يفيض
الزيت . وذكر أهل القرية أن الصبي الميت ، إذا ظنت المرأة حملاً ،
فحملته في حجرها ، تحرك ولدها إن كانت حبل ، وإن لم تجد حركة ،
علمت أنه ليس بها حمل . وهذا سحر .

وتحكى قصة أخرى عن الأموات ، ترد عند ابن حوقل (٤٢)
حيث يقول : « وبتنيس تلان عظيمان ، مبنيان بالأموات منضدان

(٤٠) ابن الفقيه ، ٦٠ ، المسعودي (م) فقرة ٨٠٩ ، ابن حوقل ، ١٦٠ ،
جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ٣٤٦ ، وش . بيل ، ١٠٢ (٢) ، ج ٣ ،
٧٣ ، ٧٤ .

(٤١) ابن رسته ، ٨١ - ٨٢ والترجمة ، ٨٩ ، ج ٢ .

(٤٢) المسعودي (م) ، فقرة ٨١٣ ، الاصطخري ، ٤٢ ، ابن حوقل ، ١٦٠ ،
وترجمة ، ١٥٨ ، ج ٧٥٦ .

بعضهم على بعض . . . ويشبه أن يكون ذلك من قبل أيام موسى عليه السلام وبعثه ، لأن أهل مصر في أيام موسى كان في شريعتهم الدفن ، ثم صارت للنصارى ودينهم أيضاً الدفن ، ثم صارت للإسلام . وعليهم أكفان من خشن الخيش ، وعظامهم وجماجمهم فيها صلابة إلى يومنا هذا » .

في الختام ، بقي علينا أن نذكر أجمل ما في مصر : نعني البرابي (جمع بربا) لاسيما في اخميم وسمنود (٤٣) . والبرابي بنيان قائم عجيب ، عليه كثير من الكتابة والصور ، تساءل الباحثون عن أسرارها : هل هي طلسمات ، أو شروح قوانين الطبيعة ، أو حكم ، أو تنبؤات ، أو الواح معارف أو جداول أحكام نجوم . . . إلا أن لفظ برابي يقترن بتفصيل جميع ما يشاهد في مصر القديمة من مدافن وقبور ونواويس ، وموميات مع أثائها وطيبها وكنوزها التي يحفظها السحر أو آليات رهيبة ، تعمل بالوالب والحركات ضد كل متطفل يدخل مالا يجوز رؤيته من أماكنها . ولا ينطبق هذا الوضع في مصر على جميع الباحثين عن الكنوز (أصحاب المطالب) الذين تشرف عليهم الدولة (٤٤) وتراقبهم جهل المستطاع . على أن مصر ماتزال تحتفظ حتى الآن

(٤٣) اليقوي ، ٣٢٤ ، المسعودي (م) ، فقرة ٨١١ - ٨١٤ ، ٨٢٣ - ٨٢٦ .
المسعودي (ت) ، ٣٣ - ٣٥ ، ابن حوقل ، ١٥٩ ، المقدسي ، ٢١١ ، وج .
وايت ، ١٠٧٠ ، ج ١ ، (٢) .
(٤٤) م . لومبار ، معادن العالم القديم من القرن الخامس الى القرن الحادي عشر ،
باريس ، ١٩٧٤ ، ص ١٩٩ - ٢٠١ ، اليقوي ، ترجمة ، ١٨٩ ، ح ٩ ، المسعودي
(م) ، فقرة ٨٢٢ وما يليها .

بأسرارها - وهي أثمن وأقوى مآلديها وأشد إثارة دون سائر الأشياء -
رغم كنوزها الأسطورية المكتشفة أو المسلوقة .

جزيرة العرب والشام : المدن والقلاع

تعتز جزيرة العرب في النزاع الثقافي الشعوبي الذي تعارض به
سائر الأمم ، لاسيما فارس ، بما يعترف لها به أصلاً جميع الناس
تقريباً ، نعتي كلام الله ، خاصة ما يعبر منه عن الإيمان . وتضيف إلى
إشعاع مكة والمدينة ، وقبر النبي ، والحرمين اللذين أصبحا مركز دنيا
المسلمين ، سجل مآثر تاريخها القديم المدفون في اليمن . ولا ريب أن
أشدّها غموضاً ذكرى شعب لرم ذات العماد ومدينته التي يستمر
البحث عنها منذ وردت في القرآن (٤٥) . وعبثاً حاول المحاولون
تحديد موقعها . فالبعض يظن أنها جيرون ، الهيكل العظيم البنيان في
مدينة دمشق ، ويزعم آخرون أن موضعها في مستوى من الأرض
في أطراف اليمن الشرقية ، تراها تشرق من بعد ، فإذا قربت لم تر
شيئاً ، وماء عدن من ثم .

وتمثل القلاع وكنات عقبان لإنهدم بنيانها أو استرجعها الوجهاء
المحليون . ويستفيض الهمداني اليمني في الحديث عنها ، ويستعرض
عجائبها : مثل سلالها الطويلة ، وآبارها ، ومناهلها ، التي لا تحصى
وأشجارها العملاقة التي يستظل تحتها نحو مائة رجل ، والكنوز الموزعة

(٤٥) القرآن ، ٨٩ ، ٦ / ٧ ابن الفقيه ، ١٢٣ ، الهمداني ، ٨٠ ، المسعودي
(م) ، فقرة ٩٢٦ ، ١١٤٣ ، ١٤١٤ - ١٤١٥ ، المقدسي ، ٨٧ و . . مونثوميري
وات في ١٤م (٢) ، ج ٣ ، ١٣٠٣ . عن فارس النحاس في بلاد عاد انظر جغرافية دار
الاسلام ، ج ٢ ، ٤٩١ .

في أرجائها (٤٦) . اكن تختلف القلاع بعضها عن بعض ، وتبقى القصور أشهرها ، لاسيما غمدان ، مقر تبابعة اليمن (٤٧) ، الذي خرب ، فخلّف آثاراً عظيمة تشرف على جميع صنعاء ، وتشكل تلا كبيراً . يشير اعجاب ابن حوقل وليس باليمن بناء أرفع منه على خرابه . ويصور آخرون غمدان على ما كان عليه ، ويروون أنه كانت فيه بئر يستقى منها الماء إلى هذه الغاية، ويذكرون الكوس (الطبل) المنسوب عليه ، الذي يعلن صوته عن بدء منع التجول . ويقولون إنه قصر عجيب بني على أربعة أوجه: وجه بالجروب الأبيض، ووجه بالجروب الأصفر، ووجه بالجروب الأحمر، ووجه بالجروب الأخضر—والجروب الحجارة — . وابتُني في داخله ، على ما تقن من أساسه ، قصر على سبعة سقفوف ، بين كل سقفين أربعون ذراعاً ، وسقفه من رخامة واحدة . وجعل في كل ركن تمثال أسد من شبه ، كأعظم ما يكون من الأسد . فكانت الريح إذا هبت من ناحية تمثال ، من تلك التماثيل ، دخلت جوفه من دبره ، ثم خرجت من فيه ، فيسمع له زئير كزئير الأسد. وكان يؤمر بالمصاييح فتسرج في بيوت الرخام إلى الصبح ، فتشير إلى الخلود والوعد به (٤٨) ، وتجعل القصر يلعب من ظاهره لمعان برق شديد لانهاية له .

(٤٦) الهمداني ، ٧٦ - ٧٩ وما يليها .

(٤٧) ابن خرداذبه ، ١٣٦ ، ١٧٦ ، ٢٤٥ ، ٢٥٥ ، ٣١٦ ، ابن رسته . ١١٠ - ١١١ ، ١١٣ (مع ذكر مدينة شبام : انظر ١ . غروهمان ، ١م ، ج ٤ ، ٣٧١ - ٣٧٢) المسعودي (م) فقرة ١٠٢٦ ، ابن حوقل ، ٣٧ ، و . لوففرين ، ١م (٢) ج ٢ ، ١١٢١ - ١١٢٢ .

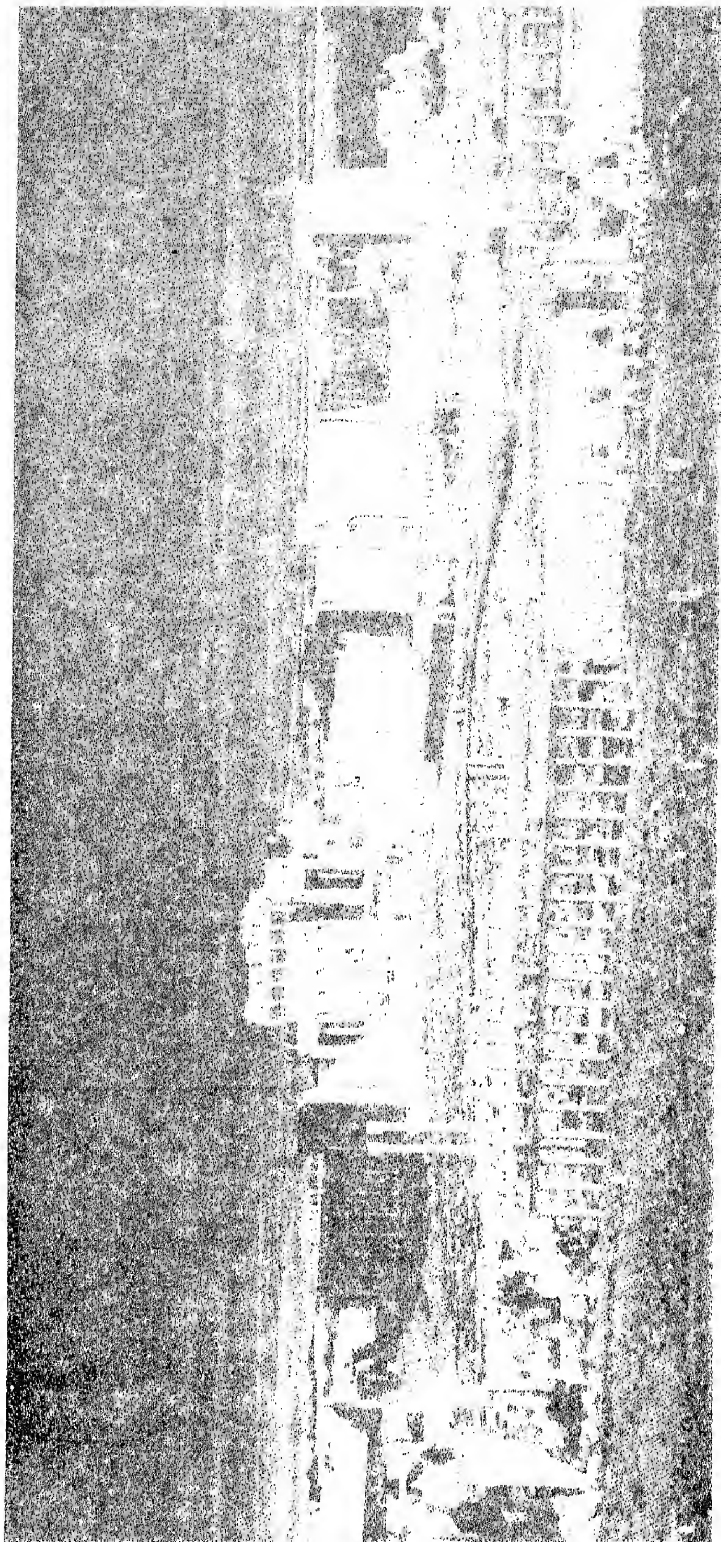
(٤٨) نماذج اخرى من القصور الفاتنه المنورة على هذا النحو ، في جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٤٨٩ (و ح ٢) .

ورثت الحضارة القديمة في جزيرة العرب الجنوبية أبنائها أثراً آخر ، هو أعمال الري الهائلة ، التي برع بها أهلها ، لاسيما السدود ، خاصة سد مأرب (٤٩) . ويقال إن هذا السد بني من جبل إلى جبل على طول فرسخ ، وكانت وراءه جبال وأنهار عظام . وكانت مياهه تظهر من مخرق من الحجر الصلد والحديد ، فيه ثلاثون نقباً مستديرة ، تخرج منها ، وتجري حتى تأتي الجنان والحقول فترويها سقياً . وتجيء النذر المشؤومة في وقت لاحق . وقد بدأت بسحابة غشيت الأرض فأحرق ما وقعت عليه ، تلتها رؤية الشجر يتكفأ من غير ريح ، والمياه تنقص الأساسات ، والجرذ يقلب برجليه صخرة مايقبلها خمسون رجلاً ، وظهور الحصباء في سعف النخل . أخيراً كفر أهل سبأ بالله (٥٠) ، فأرسل عليهم الماء (سيل العرم) من بئق ، فلم يبق لهم مال ولا ضياع ولا مواش ، وتحوات بلاد ملكة سبأ الجميلة إلى صحراء (٥١) . وكان فيها أشجار ملتفة وجنان كثيرة وكان السائر يسير بين أشجارها المثمرة ، وعلى رأسه مكمل ، فلا يمشي إلا قليلاً حتى يمتلئ المكمل من ثمار تلك الأشجار عن غير قطف ولا التقاط . وكانت بلاد سبأ من أكثر أرض اليمن جنائناً ، حتى إن الراكب المجده يسير فيها أكثر من شهر من أولها إلى أن ينتهي إلى آخرها ، لا تواجهه الشمس ، ولا تعارضه ، لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية ، واستيلائها عليها ، وإحاطتها بها .

(٤٩) ابن النقيّة ، ٣٤ ، ٣٧ ، ١٧٦ ، ابن رسته ، ٦٣ ، ١١٤ - ١١٥ ، اسحاق ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، المسعودي (م) فقرة ١٢٥٠ - ١٢٦٠ (انظر أيضاً ح ١ من الفقرة ١٢٥٣) و ١٢٦٤ - ١٢٧٨ .

(٥٠) القرآن ، ٣٤ ، ١٤ / ١٥ - ١٨ / ١٩ .

(٥١) وصف متصل بوصف مأرب : انظر أيضاً ابن رسته ، ١١٣ .



تصویر : قمار خانہ کی عمارت

(تصویر : جارج رومن / الیکٹرک)

وتحرص الشام العربية ، هي أيضاً ، على مضاهاة عجائب جارتها ،
عجينة عجينة ، فالنضارة البالغة في العربية السعيدة القديمة تماثلها
غوطة دمشق الغناء (٥٢) . ويقابل معبد دمشق القديم ، الذي نصب
رأس يحيى بن زكريا (٥٣) على بابه المسمى باب جيرون ، مسجدي
مكة والمدينة . أخيراً تباهي صروحها الفخمة القلاع اليمنية . اكن
يستغرب ألا يخلف الأمويون ، وهم البناة العظام ، أثراً يسترعي لانتباه
الجغرافيين (٥٤) . الذين يظهرون تشيعهم دفعهم إلى إغفال هذه الناحية ، شأنهم
شأن زملائهم المؤرخين ، واتخاذ هذا الموقف جواباً على موقف حكام
الشام المناوئين للعلويين . مهما يكن ، فضل الجغرافيون التحدث عن
الماضي البعيد وذكر تدمير وبعليك . وقالوا عن تدمير أنها على
مثل كرسي من مدن سليمان بن داود ، الذي كان ينزل بلعبها
المتخذ فيها . وهي بنيان عجيب من الحجر ، وكذلك الملعب الذي
فيها ، كثيرة الصور والتماثيل . وتضم دار سليمان مقاصير وأروقة
وحجرات وإيوانات . وسطح الحجرات والمقاصير حجر واحد
بقطعة واحدة (٥٥) . لكن يبدو في النهاية أن بعليك تفوق تدمير بجلالها
ورونقها ، وهي من مدن سليمان أيضاً ، مبنية على جبل ، وبها
قصور من حجارة شيدت على أساطين شاهقة . ويعرف المقدسي هيكل

(٥٢) انظر ما تقدم : القلاع وآثار أخرى .

(٥٣) انظر ما تقدم ، الفصل الأول الاسلام وريث مقيم .

(٥٤) ما عدا حالات استثنائية نادرة تقريباً ، كما في حالة قصر الخضراء في دمشق

(ابن الفقيه ، آخر ١٠٨ - ١٠٩ ، المقدسي ، ١٥٩ ، ترجمة ١٧٣ و ح ١٢٠)

وقصر القطيفة الذي ذكر اليعقوبي ، ٣١١ .

(٥٥) اليعقوبي ، ٣٢٤ ، ابن الفقيه ، ١١٠ ، ١٧٦ ، المسعودي (م) ، فقر

١٤٠٣ ، المقدسي ، ١٥٦ ، ١٨٦ .

بعل ونقوشه العجيبة ، وقد ذكر على الرغم منه قول الله أمام بيته
العظيمين اللذين يتحدى بقاؤهما الزمن : « أتدعون بعلا وتذرون أحسن
الخالقين » (٥٦) .

ولا تنتهي عجائب الشام عند هذا الحد، فيقال إن عند جامع حمص
بالسوق ، قبة ، على رأسها شبه رجل من نحاس ، واقف على سمكة
تديرها الأرياح الأربع . وفيه أقاويل لاتصح (٥٧) ، منها انه طلسم
جعل للعقارب . فمن أخذ طيناً وطبعه عليه ، نفع من لدغ العقارب .
واخبار ملعب فامية (٥٨) أو سور أنطاكية أرضن . فالمسعودي قال
بعد ابن الفقيه : بنى انطيوخس انطاكية ، وكانت دار ملكه ، وجعل
بناء سورها أحد عجائب العالم في البناء على السهل وفي الجبل . ومسافة
السور اثنا عشر ميلا . عِدَّةُ الأبراج فيه مائة وستة وثلاثون برجاً ،
وجعل عدد شرفاته أربعة وعشرين الف شرفة ، وجعل كل برج من
الأبراج ينزل فيه بطريق برجائه وخيله ، وجعل كل برج منها طبقات
إلى أعلاه . فمرابط الخيل في أسفله وأرضه ، والرجال في طبقاته ،
والبطريق في أعلاه (٥٩) . وجعل كل برج منها كالحصن ، عليه

(٥٦) ابن خردادبه ، ١٦١ ، المقدسي (م) ، فقرة ١٤١٣ (القرآن ، ٣٧ ،
١٢٥) ، الاصطخري ، ٤٦ ، ابن حوقل ، ١٧٥ ، المقدسي ، ١٦٠ ، ١٨٦ .

(٥٧) ابن الفقيه ، ١١٢ (أعل الصورة صورة انسان واسفلها صورة عقرب) ،
المقدسي ، ١٥٦ (ترجمة ، ١٦٤ ، ح ٨٧) ، ١٨٦ (ترجمة ٢٣١ ، ح ٩٣) .
انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٣٩ ، ح ٥ (يضاف الى عدد هذه الممارسات ابن
الفقيه ، ٢١٤ : ومن ٢١٤ : ومن أخذ من طين قرية كركان في فارس ، فطين به داره
أو بيته ، لم يقربها عقرب الى قابل ذلك الوقت) .

(٥٨) ابن خردادبه ، ١٦١ ، ابن الفقيه ، ١٧٦ .

(٥٩) ابن الفقيه ، آخر ٥٠ ، المسعودي (م) ، فقرة ٧٠٤ ، ابن حوقل ، ١٧٩

أبواب حديد . وآثار الأبواب ومواضع الحديد بيّنة إلى هذا الوقت .
وفي أنطاكية ذاتها ، على يمين مسجدھا الجامع ، ينتصب هيكل غريب
يعرف بالديماس ، لعلھ بیت نار قديم . وهو مبني بالآجر العادي
والحجر ، عظیم البنيان . وفي كل سنة ، يدخل القمر عند طلوعه (٦٠)
من باب من أبوابه ، ومن أعاليه في بعض الأهلة الصيفية . أخيراً يزدان
إقليم الشام بالكنايس التي بنتھا الملكة هيلانة ، على حد قول المسعودي ،
في بیت المقدس ومنبج وحمص واللد وأنطاكية ، وجميعھا فخمة ،
ولو استعملت بعض أساطينھا في بناء مساجد المسلمين (٦١) .

العراق : تاريخ طويل

تميزت بعض الأزمنة البارزة في ماضي البلدان التي استعرضناها
من قبل . أما العراق ، فلا يفرق بين العصور ، بل يجسد في النهاية
التاريخ في بناء من أبنيتھ غير المؤرخة أو الموصوفة بالقدمية ، بلا تدقيق
إضافي (٦٢) . مع ذلك ، وفي معظم الأحيان ، يتضح مرة أخرى أن
دار الإسلام ورثت جميع التواريخ . اذن ، تبدو في جهة أولى مآثر
بغداد وسامراء وقصور العباسيين ورجالات الخلافة (٦٣) ، وفي
الجهة الثانية ذكريات بابل وبراھيم . فنمرود أسس بابل ، وهي الآن

(٦٠) المسعودي (م) فقرة ١٤١٨ .

(٦١) ابن خردادبه ، ١٦١ ، ابن الفقيه ، ١١٧ ، المسعودي (م) فقرة ٧٣٤ ،
٧٣٥ ، ١٢٩٢ المسعودي (ت) ١٩٧ ، ١٩٨ ، ابن حوقل ، ١٧٦ ، المقدسي ،
١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٧٦ وما تقدم ، القلاع وآثار أخرى .

(٦٢) مسعر (ب) ، ٢١ - ٢٢ ، من أجل التخوم الفارسية العراقية .

(٦٣) الأيعقوبي ، ترجمة ١٤٥ (روح ٨) ، ابن الفقيه ، ١٨٤ ، الشافعي ،
٩٦ وما يليها . انظر أيضاً مسعر (ب) ، ٢١ - ٢٢ (ذكريات أبي نواس ، المنطقة
ذاتها) .

قرية صغيرة ، واقدم ابنة العراق عهدا . وتربط بها ذكرى بليلة
الاسن ، وبناء اسوارها بعد الطوفان قبل غيرها مع اسوار حران
ودمشق . ونمرود اول من اظهر القول باحكام النجوم وقرب فهمها
إلى قلوب الناس ، واول من اتخذ المنجنيق ، وقتل وصلب ، ومثل ،
واحرق بالنار ، وبقر البطون ، وسمل العيون (٦٤) . وبابل بلد
ابراهيم الخليل ، الذي ولد في كوثر ربا القرية منها ، وبها تلال رماد
عظيمة ، يزعمون انها رماد النار التي طرح فيها النمرود ابراهيم ،
واحمدها الله لينقذه (٦٥) .

وفي الجنوب ، تحتكر فارس واتباعها من نخمي الحيرة العرب ،
المجال التاريخي ، على مشارف نهر الفرات . ولم يبق من حاضرتهم (٦٦)
الا ذكريات في الازهان : فهي الآن قرية مفترشة البناء ، خف اهلها
بل لم يبق منهم الا القليل منذ ظهور الاسلام وتأسيس الكوفة ، جارتها
وغريماتها . لكن خلدت ذكراها . ويقال ان الحيرة اول من كتب
بالعربية ، وكان عمراتها إلى ان خربت في وقت بناء الكوفة ، خمس
مائة سنة وبضعا وثلاثين ، واشتهرت بطيب هوائها ورقة اصائلها
ولياليها . والكلمة الاخيرة عنها للمسعودي حيث يقول « وكان فيها

(٦٤) ابن الفقيه ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ابن رسته ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، المسعودي
(م) ، فقرة ٥٣٨ (بشر دانيال) ، ابن حوقل ، ٢٤٤ - ٢٤٥ (تأسيس منسوب الى
نمرود ، أو الفراعنة ز ، أو الكنعانيين ، أو ملوك فارس القدامي أو اليمن ، عن الضحاك
انظر المسعودي (م) ، فقرة ٥٣٧ ، المقدسي ، ١١٥ - ١١٦ ، ١٢١ .
(٦٥) المسعودي (م) فقرة ٧٦ (انظر قرآن ، ٢١ ، ٦٩) ابن حوقل ، ٢٤٥ ،
٢٩٧ ، المقدسي ، آخر ١٢١ - ١٢٢ ، ١٣٠ .
(٦٦) ابن الفقيه ، ١٨١ ، ٢٦٢ ، ابن رسته ، آخر ١٩١ - ١٩٢ ، المسعودي
(م) ، فقرة ١٠٧٣ - ١٠٧٤ ، ابن حوقل ، ٢٣٩ .

ديارات كثيرة فيها رهبان ، فلهقوا بغيرها من البلاد لتداعي الحراب اليها . واقفرت من كل انيس . وفي هذا الوقت ليس بها الا الصدى والبوم » .

ومن أجلّ مآثر الساسانيين طيسفون (المدائن) ، وقد عقد جسر لها على دجلة من الآجر ، وبها آثار قصر كسرى المسمى ايوان كسرى (٦٧) . فالايوان معقود ، عظيم ، جسيم ، من الآجر والجص ، وليس للاكاسرة اثر ولا بناء مثله . وقد نقلت عامة ابنية طيسفون ، واستعملت مواد بناء في تشييد بغداد الجديدة . وذكر عن الرشيد انه اراد هدم الايوان رمز المجوسية ، فشرع في هذا العمل الضخم ، ثم نظر ، فاذا ما يلزمه في هدمه يبلغ اموالا عظيمة لا تضبط كثرة ، فامسك عن ذلك .

وتمثل ابنية اخرى وقصور اخرى ايجاد فارس الساسانية واتباعها عرب الحيرة . ويذكر ابو دلف مسعر (٦٨) على الحدود الفارسية العراقية آثارا متنوعة تبين بطلان الاعمال البشرية مع بعض الغرائب في المواضع : مثل الايوان المنفرد الذي يتأثر بالثلج من جهة الجبال ، ولا يتأثر به من الجهة الاخرى . والسدير بظاهر الكوفة شمالي نهر

(٦٧) ابن خرداذبه ، ١٦٢ ، اليمقوبي ، ٢٣٥ ، ابن الفقيه ، ٥١ ، ٢١٢ -
٢١٣ ، ٢٦٧ ، ٣١٦ ، ابن رسته ، ٨٣ ، ١٨٦ ، المسعودي (م) فقرة ٦٠٩ -
٦١٠ . ابن حوقل ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، المقدسي ، ١٢٢ .

(٦٨) مسعر (ب) ، ٢٠ - ٢٢ (مع جسر خانقين في منطقة الكوفة ، وله ٢٤ قنطرة كل واحدة منها عشرون ذراعا) .



ايوان طيسفون (الملائن) العراق

(قصير رانج موراث الأكبر)

الغدير ، وهو قصر عظيم من ابنة ملوك لحم ، وما بقي الآن منه ،
فهو ديارات وبيع للنصارى (٦٩) .

ويظهر الكوفة ايضا الغريان . وهما مبنيان بالحجر ونسجت
حولهما الاساطير . ويمثلان ويشبهان طربالين أي صومعتين ، امر
المنذر بن امرئ القيس ببنائهما فوق حفرتين دفن فيهما نديمين له
رأده بعض الكلام . وقد جعل هذا الملك لهما في السنة يومين يوم بؤس
ويوم نعيم . فيذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه ، ويغزو بدمه الطربالين
ما كان من شيء آدمي او وحشي . والغري في اللغة ما يبس عليه الدم
من صنم وغيره . ومنه تسميته الطربالين الغريين . وفي يوم بؤسه قتل
عبيد بن الابرص الاسدي الشاعر . وتسبب في ترك الملك لهذين اليومين
رجل من طيء يقال له حنظلة هم المنذر بقتله ، فتكفل به شريك
ابن عمرو بن شراحيل ، على ان يرجع لاهله ، ويصلح حالهم ، ثم
يعود اليه . فانقضت السنة ، ولم يرجع حنظلة ، فهم الملك بشريك ،
ووضع السيف على عنقه ، فاذا بحنظلة قد اقبل متحنطا متكفنا . فلما
رآه المنذر عجب من وفائهما ، فعفى عنهما وابطل السنة اللثيمة (٧٠) .
والخورنق اعظم ايضا (٧١) . وينسب التاريخ بناءه إلى النعمان

(٦٩) ابن خرداذبه ، ١٦٢ ، ابن الفقيه ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ، الشاشي ،
١٥٢ ، المقدسي ، ج ٣ ، ١٦٨ ، انظر أيضاً اليعقوبي ، ٢٧٠ (دسكرة الملك) و ل .
ماسينيون ، اخيضر ، ١٠٤٧ ج ٤ .
(٧٠) ابن الفقيه ، ١٧٩ - ١٨١ .

(٧١) ابن خرداذبه ، ١٦٢ ، ابن الفقيه ، ١٧٧ - ١٧٩ ، ١٨٤ ، المقدسي
ج ٣ ، ١٦٨ ، المسعودي (م) فقرة ١٠٦٠ ، المسعودي (ت) ، ١٤٤ ، ابن حوقل ،
١٨ ، ٢٣٩ (الاصطخري ، ٢٠ ، ٢٨ : بلدة عادية) : و ل . ماسينيون . ١٠١ (٢) ،
ج ٤ ، ١١٦٥ .

بن امرئ القيس ، ويقول الكلبي بل اشاده بهرام بن يزديجرد بن سابور ذي الاكتاف . وقد بنى الخورنق للنعمان رجل رومي ، يقال له سمنار . وكان يبني السنتين والثلاثة ، ثم يغيب الخمس سنين . فلما انتهى البناء بعد ستين سنة شاء سوء الحظ ان يقول سمنار للنعمان : اني اعلم موضع آجرة ، لو زالت ، زال هذا القصر كله . فقال له النعمان ايعرفها احد غيرك ، قال لا . فامر النعمان فقذف سمنار من فوق القصر ، وذهب سره معه . لكن ما هو حد تمادي جنون البشر ؟ فقد جلس النعمان ذات يوم في مجلسه من الخورنق ، فاشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والانهار مما يلي المغرب ، ومما يلي المشرق على الفرات الذي يدور على هذا القصر في عاقول كالخندق . فاعجبه ما رأى ، وغمرته السعادة ، فقال لوزيره : هل رأيت مثل هذا المنظر ؟ قال لا ، لو كان يدوم . قال النعمان وما الذي يدوم . قال ما عند الله في الآخرة ، الذي ينال بترك الدنيا والتعب . فترك النعمان ملكه من ليلته ، ولبس مسوحه ، وخرج هاربا ، لا يعلم به احد .

نحو الشمال الغربي : ذكريات متناثرة

وتختلف الجزيرة وارمينية عن ابنة العراق . فهي تعبر عن تسلسل تاريخي منظم تنظيميا متقنا يرتبط ببغداد التي تقع على طرفه ، وتبرز وجود اسلام يثبت استمراره وسعيه وراء غايته . وهما موزعتان على شتى الاماكن ، اذا جاز هذا القول ، ولا تستمدان نفوذهما الا من ذاتهما . لذلك نتبع فيهما الخريطة لا التاريخ .

وقال ابن حوقل : حكى عن تكريت ، الواقعة بعد سامراء صعبا ، انه كان في ايام الفرس قد عقد بها على دجلة جسر من آجر ، يعبر

عليه في أيام الهياطة (٧٢). وقد ادرك أثراً من ذلك وتقع مدينة الحضر جنوبي الموصل في بركة سنجار (٧٣). وكانت آثارها الباقية تزيد كثيراً عما يرى اليوم . ويتحدث ابن الفقيه عن بنائها بالحجارة البيض وعن بيوتها وسقفها وأبوابها . وهي على تل ، ولها ستون برجا كبيرا وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار ، على رأس كل برج قصر ، وأسفله حمام ، وقد حمل إليها نهر الثرار ، وعلى حافته القرى والحنان . ويقال انه كان على حضر باب يغلقه رجل ، ولا يفتحه الا خلق كثير (٧٤) . وهذا امر عجيب . ولا يشار إلى الفرثيين الارشاقيين الذين بلغت حضر ابيهم امجادها في ايامهم ، بل يذكر خروج فرقة من قضاة العربية إلى الجزيرة ، وكان عليهم ملك يقال له الضيزن . فنزلوا مدينة الحضر (حنرا) . وكان بناؤها على طلمسين الا يهدمها الا حمامة ورقاء ، مطوقة بحوض امرأة زرقاء .

فاخرج ضيزن كل امرأة عارك . واغار على السواد ، فاصاب ماه اخت سابور . فحاصر سابور حضر سنتين ، لا يظفر منهم بشيء ، حتى عركت النضيرة بنت الضيزن . فاخرجت إلى الربض ، فنظر إليها سابور ، فعشقتها وعشقتة . وباحت له بسر حضر ، وقالت له :

(٧٢) ابن حوقل ، ٢٤٥ (حول الهون الهياطة ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٢١٠ ، ٢٢٤) . ادخلت تكريرت ضمن العراق احياناً (المقدسي ، ١١٥) وأحياناً اخرى في الجزيرة (ابن الفقيه ، ١٢٩ ، ابن حوقل ، ٢٢٨) .
(٧٣) ابن الفقيه ، ١٢٩ - ١٣١ ، المسمودي (م) ، ١٤٠٧ - ١٤١٠ و ش .
ببلا ١م (٢) ، ٥٢ - ٥٣ . موضوع شد امرأة الى الخيل (ما يلي) وارد في مخطوط مجهول المؤلف مزدان بالصور ، اسمه عجائب المخلوقات ، باريس ، المكتبة الوطنية ، ملحق فارسي ، ٣٣٢ .
(٧٤) نص مختلف لكتاب الديور وارد من قبل ، الفصل الرابع ، ديارات الشاهشي .

اعمد إلى حيض امرأة زرقاء ، فاكتب به في ورقة ، ثم اجعلها في عنق ورشان ، وسرحه ، فاذا وقع على القصر ، ارفض بإهله . ففعل فقتل من قضاة نحو مائتي الف رجل ، وافنى قبائل كثيرة . وشك سابور المنتصر باخلاصها له ، وقال لم تكافىء ابويها على حسن صنعتهما لها ، ولم تف لهما ، فكيف تفني لي . فامر بمعاقبتهما ، فشلت ذواتهما إلى ذنب فرسين جموحين ، ثم استحضرا ، فقطعاها .

وفي موضوعنا ، تعد الموصل ، في جهة الشمال ، مرادفة لنيوى بلد يوسف بن متى (يونان) ، الواقعة في الجانب الشرقي من دجلة . فاما باقي من مؤسسها نينس ، ومن ملوكها او ملكاتها الثلاثة والعشرين، وعلى راسهم سميرا ميس، وقد حكموا امبراطورية مترامية الاطراف، وخاضوا حروبا متصلة، ومن مدنها اخيرا، ماذا بقي؟ لا شيء سوى منازل موزعة بين آثار تعبت بها الريح، وبقايا تماثيل واسوار (٧٥).

وبلدان حوض الفرات اهم مما تقدم في عرف هواة الماضي . وثاقي حران (٧٦) في الطليعة . ففيها هيكل معظم للصابئة ، وهو البيت الوحيد الباقي من بيوتهم النارية المعظمة . وتحت اربعة سراديب ، متخذة لانواع صور الاصنام ، التي تتكلم ، او بالاحرى ، تمر من افواهها

(٧٥) المسعودي (م) ، ٥٢٠ - ٥٢١ (وترجمة ، ج ١ ، ص ١٩١ ، ح ١ ،

ح ١ و ١٩٢ ، ح ١ و ٢) ، ابن حوقل ، آخر ٢١٦ - ٢١٧ المقدسي ، ١٣٩ .

(٧٦) المسعودي (م) فترة ١٣٩٢ - ١٣٩٥ . ابن حوقل ، ٢٢٦ . من أجل جدر

حران ، انظر ما تقدم الحديث عن بابل ، من أجل الكتابة المشار اليها فيما يلي ، انظر م .

ترديد الصابئون في القرآن والصابئون في حران ، المجلة الاسيرية ، ٢٧٤ روماني

(١ - ٢) ، ١٩٨٦ ، ص ١ - ٤٤ .

ما تتكلم به سدننها من وراء الجدر من انواع الكلام الذي يجري في مخاريق ومنافيع ، فيظهر منها نطق . فيصطادون به العقول لاسيما عقول اطفالهم الذين يحدث لهم اصفرار في الوانهم امام تماثيل يسمعون اصواتها . وقد كتب على مدقة باب مجمع الصابئة ، ورثة اليونان في زعمهم ، بالقرب من الهيكل ، بالسريانية ، قول لافلاطون هو « من عرف ذاته تأله » وذلك حسب ترجمة مالك بن عقبة للمسعودي .

وتحوي بلدان الفرات على وجه التخصيص عجبتين واقعيتين محسوتين من عجائب الدنيا هما كنيسة الرها وقنطرة سنجة . ويقال ان كنيسة الرها اعظم كنائس النصارى بينانها المتقن ، وآراجها البديعة الملبسة بالفسيفساء ، والمنديل الذي تشف به يسوع الناصري حين خرج من ماء المعمودية (٧٧) . اما قنطرة سنجة ، فنسودج كامل على حجر مخوخ (٧٨) . وتطغى امثال هذين النموذجين على سواها مما ذكر من قبل ، او مما يرى باتجاه بحر قزوين في اذربيجان ، على جانبي نهر الرس ، على حد قول ابن حوقل ، او مما يمكن تصوره تحت رواسي الجبال ، حسب الجغرافيين الآخرين ، من آثار مدن

(٧٧) المسعودي (م) فقرة ٧٥٣ ، المقدسي ، آخر ١٤١ . أعطيت الاحالات الاخرى من قبل في مستهل الفصل .

(٧٨) . مخوخ ، تقيدت بتأويل دي خويه (م ج ع ، ج ، ٤ ، ٢٣٠) ودوزي ، ج ١ ، ٤١١ ، لجن يمنح التفكير ؛ « مقطوع مستدير » قياساً على خوخ . حول قنطرة سنجة ، انظر في مطلع الفصل وابن الفقيه آخر ٥٠ ، ٢٥٥ ، المسعودي (ت) آخر ٩٤ - ٩٥ ، الاصطخري ، ٤٦ ، المقدسي ، ١٣٩ (ح ن) ، ١٤٧ (ح أ) .

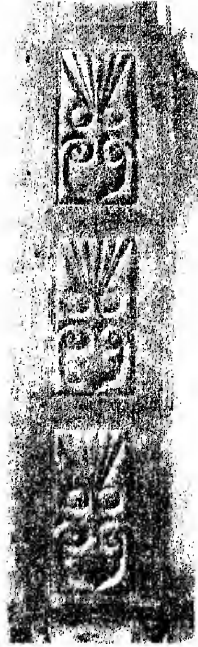
قلبت اعاليتها اسافلها وخسفت لكفرها ، تصديقا لقوله تعالى في القرآن
« وعادا وثمودا واصحاب الرس » ... (٧٩) .

هضبة فارس (اقليم الجبال) قلعة الماضي

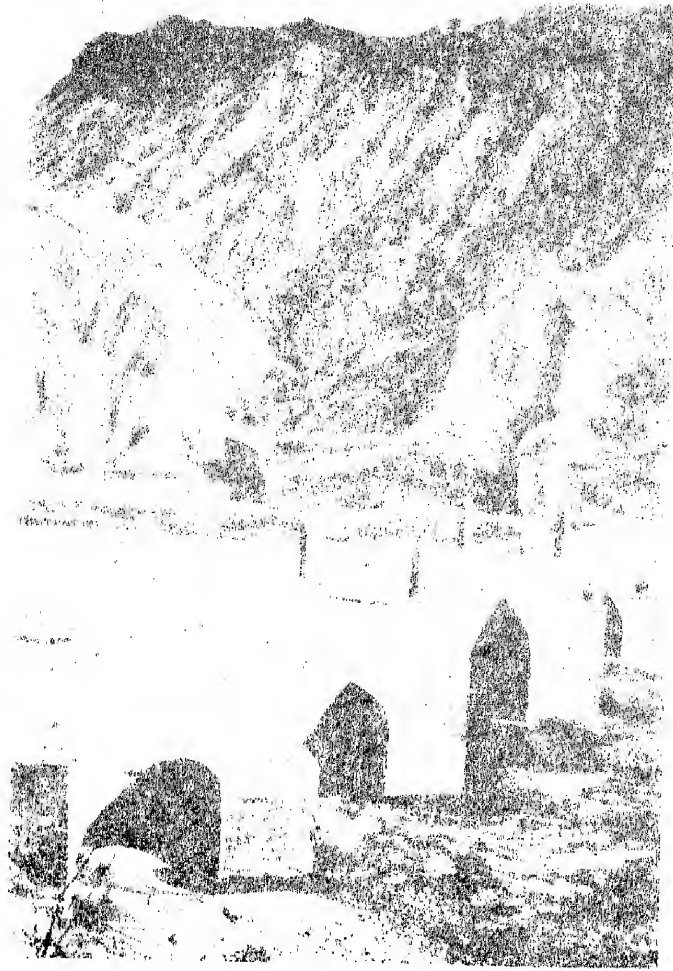
تتجاوز فارس كثيرا حدودها الحالية ، اذا اخذناها في نطاق
الشعبوية ، مثلما تسنى لنا ان ندرك ذلك . لكن يعلو شأن تاريخها وحلمها
بالخلود من خلال ابنتها ، في اراضيها بداهة ، وفي طليعتها الهضبة
القديمة في ميدية ، وهنا ايضا يقترن تأثير منظر البناء بتأثير الكلام ،
ويتفوق على ما يحصل في العراق وغيره من البلدان من تأثير مماثل .
فلا يجوز ان ننسى ان فارس موطن القصة ، وبلد عبور قصص بيدبا
من الهند إلى سائر الجهات ، ومهد الف ليلة وليلة ، اذن تعتر فارس
بما يرى وبما يقال . ويعدّ ابن الفقيه احد افضل ممثلي المسلمين الذين كتبوا
باللغة العربية . وهو لا ينكر اصله الفارسي ، ويبدو ضليعا في هذا
المجال وليس وحيدا .

ولاول وهلة ، يلفت النظر التنوع في احصاء ابنة بلدان فارس .
وتغلب التماثيل والقصور على هذه القائمة ، لكنها لا تستنفد كل ما
تحتويه . ففي المشاهد مجموعة كاملة من شتى الذكريات ، تشهد على

(٧٩) القرآن ، ٢٥ ، ٤٠ / ٣٨ ، ٥٠ ، ١٢ ، مسعر (ب) ١٣ ، ابن حوقل ،
٣٤٥ ، المقدسي ، ٣٨٠ ، جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١٨ (ح ٣) ، ٢١٤ - ٢١٥
الفهرس (الرس)



رسم المتاحف الوطنية
متحف لوفر ، القسم الاسلامي آ ٢٦٧
مصراع باب مصدره تكريت ، العراق
سأهراء (؟) ، القرن التاسع
الخشب : ساج
(تصوير ا.شوزفيل)



(تصوير ج . ب . فيلومينه / رافو)
جسر علی طریق برزجان في كازرون (فارس)

ذلك القناطر ، وعلى رأسها قنطرة الصيمرة وقنطرة النعمان (٨٠) .
وقد تأثر الملك العربي النعمان بغرق طفل على حدود فارس والعراق ،
فاستأذن كسرى ببناء جسر هناك . غرّض كسرى طلبه ، لأنه لا
يجوز ان ينجز العرب مأثرة في ارض فارس ، ولم تبني القنطرة الا في
وقت لاحق ، عندما تحالف النعمان وبهرام جوبين الذي كان يحارب
ملكه ابرويز (برفيز) .

وتذكر اعمال شهيرة اخرى ايضا ، منها في الدامغان نظام الري
الذي يجمع مياه الجبال ويوزعها على ١٢٠ كورة مجاورة . ومنها في
اصبهان بناء يقال له الساروق على مثال الحصون ، لا يعرف بانيه لقدمه ،
فقد بني قبل الطوفان . وكان زيغ الشاه الذي يعمل عليه اصحاب الحساب
مدفونا به ، فلم يصل الماء اليه ، وقد رصد في ايام المأمون (٨١) .
ويبعد الدكان ستة اميال عن فرماسين . وهو من بناء الاكاسرة ،
قد بني بالجص والآجر . والدكان مربع طول ضلعه اربع مائة ذراع ،
وقد فرش بممر ، هندم وسمر بسامير الحديد ، ومن حوله نهر جار
يسقي الزروع . وقد اجتمع عليه ملوك الارض من الصين والترك والهند
والروم وفارس (٨٢) . على ان اطرف بناء بلايا ريب هو ذات
الحوافر (٨٣) . وهي منارة عظيمة مبنية من حوافر حمر الوحش في

(٨٠) مسعر (ب) ، ٢٣ - ٢٦ .

(٨١) مسعر (ب) ، ٣٧ ، ابن رسته ، ١٦٢ .

(٨٢) ابن رسته ، ١٦٦ ، ان الفقيه ، ٥١ ، ٢١٧ ، ٢٥٥ .

(٨٣) ابن الفقيه ، ٢٤٧ - ٢٥١ ، وجغرافية دار الاسلام ، ج٣ ، ٣٣٧ .

احد رساتيق همدان . ولهذا البناء قصة ، فيها ، كما سوف نرى ،
مواضيع كلاسيكية تضم الحب الصافي ، وسرور الزمن . زوال
المجد والحكمة الملكية والذكريات .

وكان سبب تشييده ان منجمي سابور بن اردشير قالوا له ان ملكه
سيزول ، وانه يشقى اعواما كثيرة حتى يصير في حد المسكنة و ثم
الفقر ، ثم يعود ملكه اليه . وطلبوا منه ان يختار متى يريد ان يلقي
الشقاء في شبابه ام في كبره . فسألهم عن علامة رجوع ملكه اليه ،
فقالوا : « اذا اكلت خبز الذهب على مائدة حديد ، فتلك علامة
رجوع منك اليك » . فاختار ان يكون ذلك في شبابه ، واعتزل
ملكه ، واخذ تاجه ومقرعته وقميصه في جراب . ثم خرج ترفعه ارض
وتخفضه ارض إلى ان اجر نفسه الى عظيم احدى القرى ، واودعه
الجراب . فكان يحرث النهار كله ، ويطرد الوحوش اذا جن الليل
لكي لا تتلف الزروع .

فبقي على ذلك حولا كاملا . فرأى الرجل منه ثقة وامانة ، وزوجه
كبرى بناته . فلم يقربها سابور . فلما اتى لذلك شهر ، شكت إلى
امها ، فاختلعها منه ، وبقي سابور يعمل معه . ثم ان الرجل سال سابور
ان يتزوج ابنته الوسطى ، فقبل ، لكنه لم يقربها . فلما اتى لذلك شهر ،
شكت إلى امها ، فاختلعها منه ، وبقي سابور يعمل معه . ثم ان الرجل
سأل سابور ان يتزوج ابنته الصغرى ، ففعل ، لكنه لم يقربها . فلما
تم لها شهر ، سألتها امها عن حالها مع زوجها ، فاخبرتها انها باحسن
حال وأسره . وبلغ الخبر سابور ، فاستفرشها . وولدت له ابنا .

فلما اتى على سابور اربع سنين ، اتفق يوما من الايام ان عرسا كان في القرية ، ما بقي احد من اهل القرية الا حضره . وكانت امرأة سابور فيمن حضر العرس ، وسابور في الحقل لم يحمل اليه شيء من الطعام طيلة اليوم . وذكرت امرأة سابور زوجها بعد العصر ، وحملت له رغيف جاورس . وكان سابور يسقي ، وبينه وبين زوجته ساقية عريضة وعميقة ، فلم تتمكن ان تصير اليه . فمد لها المر ، ووضعت عليه الرغيف . وكسره سابور ، فوجده اصفر شديد الصفرة ، ووجده على الحديد ، وذكر ما كان المنجمون قالوه له . فلما انصرفت عنه المرأة ، قام فاغتسل في الساقية ، وصار إلى منزله ، وامر ان يخرج اليه الجراب . فاخرج منه التاج والقميص ولبس ثياب ملكه . فلما رآه ابو زوجته ، كفر له ، وسجد وحياه بتحية الملوك . فقال له علق المقرعة على باب سور القرية .

لم تكذب العلامة . فقد وردت الخيل على القرية . وكان الفارس اذا رأى المقرعة ، نزل عن دابته ، وسجد ، حتى اجتمع الوزراء وعظماء الدولة . فقال بعض الوزراء : « اسمدت ابها الملك ، وعمرك الله طويلا . اخبرنا ما الذي استعدت في طول هذه المدة » . فاخرج زوجته اليهم وقال : « هذه . فمن اراد كرامتي فليكرم هذه » . فاقبل الناس عليها من كل وجه يلقون عليها الحلل والدرهم والدنانير حتى اجتمع من ذلك ما لا يحصى عدده . ثم قال لابي المرأة : دونك هذا المال كله فخذ لابنتك » وقال لسابور وزير آخر : ما اشد شيء مر عليك . قال : طرد الوحوش عن الزروع بالليل ، فانها اتعبتني ، واسهرتني ، واباغت الي . من اراد كرامتي ، فليصعد لي

منها ما امكن لاني من حوافرها نيناذا يبقى ذكره لنا على غابر الدهر
وعلى مر الليالي والايام . فتفرق الناس في صيدها فصيد منها ما لا
يحصى كثرة . ثم امر بقطع ايديها وارجلها ، واخذ حوافرها . واحضر
البنائين ، فبنوا له منارة عظيمة ، تكون ثلاثين ذراعا في عرض عشرين
ذراعا . وبنها مصمما بالكلس والحجارة ، ثم ركب فيها الخوامر ،
وسمر بنسابر حديد . فصارت كأنها منارة من حوافر .

اما الخاتمة فمضحكة . فلما فرغ سابور من بنائها . قال للذي بناها
وهو عليها بعد : هل بنيت مثلها لاحد ؟ قال لا . قال وان امرك احد
ان تبني له مثلها ، هل كنت تقدر على ذلك . قال نعم وعلى احسن
منها . قال سابور والله لا اتركك تبني لاحد بعدي مثاها . فقال بانيتها .
ما دمت قاتلي ، فلي اليك حاجة ان اعطى خشبا لأسوئ لنفسى قبة ،
اكون فيها حتى يأتيني الموت لثلاثا تمزقي النسور والعقبان . فاجابه
سابور لطلبه . فسوئ لنفسه اجنحة من ذلك الخشب . فلما كان في
بعض الليل ، شدها على بدنه ، ثم حمل نفسه ، فوقع الى الأرض ،
ولم يصبه شيء ، فهرب على وجهه ، وطلب فلم يقدر عليه . فلما بلغ
سابور الخبر . قال : « قاتله الله ما كان احكمه واصنع كفيه » .

ولعل هذا النص يستحق التعليق عليه . فالناحية الرومانسية فيه
تبرز في قصة ، يصبح فيها الملك فلاحا ، والفلاحة ملكة ، تحت اضواء
زدوجة رصينة . وهناك حلم الطيران ، العزيز على باشلار ، ويتحقق
بخشب ضعيف الفائدة ، حتى لو كان اغصانا ، وفي هذا النوع من التمرين
تلميح محتمل إلى شخص شهير هو الشاعر عباس بن فرناس ، الذي حاول
ايضا ان يطير . اخيرا ، يشار إلى اله طيب ميال إلى الدعابة لا إلى فرض

العقاب في محاولة الاخلال بالنظام الطبيعي القائم بين الكائنات والاشياء:
ففي هذا الفيض من المواضيع، يتم، فيما يبدو، اغفال البناء الذي أصبح
ذريعة لسرد احدى القصص. ولعل هذا الوضع حد، تتجاوز فيه
القدرة على ذكر البناء، الناشئة عن طرافته ذاتها وحدها، وتثير قضية
تعليل ينفتح انفتاحا تاما على الخيال الصرف.

لنتقل الآن إلى صنع الشماثيل وإلى النقوش العائدة إلى بعض
المواضع الهامة. فههذان صخرة عظيمة، بمكان يقال له تبنابر، طاقان
مربعان، نقر في كل طاق كهيفة الالواح ثلاثة طولاً، في كل لوح
منها عشرون سطراً، قرأت على الاسكندر، وكانت: الصديق ميزان
الله الذي يدور عليه العدل. والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه
الجور (٨٤). واشهر من ذلك السمكة والثور بنهاوند، من حجر او من
ثلج لا يذوب في شتاء ولا صيف، حسب آخرين مولعين بالعجائب،
وهما قوتان جهنميتان ومائيتان، وطاسمان للماء الا يقل بها (٨٥).
ومن عجائب ههذان الاسد الذي من حجارة على باب المدينة (٨٦).
يقال انه طلسم للبرد، وهو عمل بليناس الرومي لحماية الفرسان من
الثلج. وقد انشئت فيه القصائد. وهو يشبه الطلسمات التي تبعد العقارب
والافاعي والفيضانات والبراغيث والحميات (٨٧). وقد كان المكتفي

(٨٤) ابن الفقيه ٢٤٣ - ٢٤٥.

(٨٥) ابن الفقيه، ٥١، ٢٥٥، ٢٥٩، مسعر (ب)، ٢٩، وجغرافية دار
الاسلام، ج ٣، ١٣٩.

(٨٦) ابن الفقيه، ٢٤٠ - ٢٤٣.

(٨٧) اضافة الى طلسمين في اعقاب نزار ابو لونيوس وأهل البلاد الذين كانوا
فطين وخونة ويتعاطون الحرب.

بأن الله قد همَّ بحمل الأسد إلى مدينة السلام، لكنه أمسكت عن ذلك لصعوبة تنفيذ النقل . وهذا ما يحدث لابنية او تماثيل يفكر بهلما او نقلها .

لكن يرى افضل تماثل من تماثيل الساسانيين في غرب اقليم الجبال في منطقة كرمشاه في جبل بهستون الشهير على وجه التخصيص . ويخيل للمرء احيانا ان في المشهد اشباه حجر تمثل الملوك ، وفيه صورة مكتب ومعلم صبيان من حجارة ، ومطبخ طبائخه قائم وقدره منصوبة لكن، تطفئ نعمة شَبْدِيز (شَبْدِيز) على جميع ذلك ، وتسمى اليوم طاق بستان . وهو طاق منقور في الجبل ، فيه صور انواع الطير وغيرها من الصور . وفي الصور من الطاق ، صورة رجل على حصان قد البس الدرع ، وقدامه صورة امرأة تنظر إليه ، ويقال انها صورة شيرين ، زوجة كسرى . وفي جانب من الطاق صورة انسان يخرج من تحته عين ماء مقدار مايدبر حجري طاحونة. وفي الجانب الآخر درج منقور في الصخر من اسفل الطاق إلى اعلاه ، نحو مائتين وخمسين درجة . وقد اعطى شَبْدِيز اسمه إلى الموضع ، واعطى رائعة التمثال . وكان كسرى يعتز به . فقد كان من اعظم الدواب خلقا ، واطهرها خلقا ، واصبرها على طول الركض ، مؤدبا لا يبول ولا يروث ما دام عاينه سرجه ولجامه ، وكانت استدارة حافره تزيد على ستة اشبار . وتمثاله اعجب تصوير في الجبل اغبر وراءه ، وهو احمر في الموضع الذي يحتاج إلى حمرة ، واغبر في موضع حاجته إلى الغبرة ، واسود في موضع حاجته إلى السواد ، وابيض في موضع حاجته إلى البياض .

وقد امر الملك فطرس بن سنمار الرومي بتصويره . فلما فرغ منه ، تأمله كسرى الامين ، واستتبره باكيا ، كما لو كان يندب انسانا (٨٨) .

وتكثر جدا القلاع والحصون والابنية الاخرى . فقد احصي ما يزيد على عشرة عند أبي دلف مسعر وحده «٨٩» من الحدود المتاخمة العراق الى مشارف حراسان ، ومن اشهرها قصر اللصوص ، المبني من جص وآجر ، وفيه اساطين شبيكة . وهو قائم على تل علوه عشرون ذراعا . وكان ابرويز يرتاده ويصطاد فيه لكثرة الطرائد بجواره ، ويتذوق طيب هوائه وجمال مياهه الجارية (٩٠) . وقصر شيرين قريب من قصر اللصوص ، وقد فرشت منصته الكبيرة بالرخام وبنيت قاعة الاجتماع بالجص والآجر ، وفيها ابواب تؤدي الى الحجر الملاصقة .

وقصر الملك بهرام جور فريد نوعه . فكله حجر واحد منقور ، وفيه كتابة بالفارسية من اوله الى آخره ، وفي كل ركن من اركانه

(٨٨) ابن خردادبه ، ١٦٢ (ترجمة ، ١٢٤ ، ح ٢) ، ابن رسته ، ٨٣ ، ١٦٦ ، ابن الفقيه ، ٢١٤ - ٢١٥ ، مسعر (ب) ، ٢٤ ، ٢٩ ، المسعودي (م) ، فقرة ٦٣٥ ، المقدسي ، ج ٣ ، ١٧٤ - ١٧٥ ، ابن حوقل ، ٣٥٩ ، ٣٧٢ ، المقدسي ٣٩٦ (٨٩) مسعر (ب) ، ٢٠ - ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٨ ، أنظر أيضاً اليعقوبي ، ٢٧٠ ، ابن رسته ، ١٦٧ - ١٦٨ (ومنها قصر من بناء الأوائل فيه تصاوير من خشب وسقوفه مزوقة بالوان التزاويق وفي القصر بستان وعين ماء تنبع من أصل شجرة) المقدسي ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ .

(٩٠) ابن رسته ، ١٦٧ ، ابن الفقيه ، ٢١٧ ، مسعر (ب) ، ٢٦ .

(٩١) ابن الفقيه ٥١ ، ١٥٨ - ١٥٩ ، آخر ٢١١ ، ٢٦٧ ، ابن رسته ، ١٦٤ ، مسعر (ب) ، ٢٠ - ٢١ ، اليعقوبي ، ٢٧٠ ، المقدسي ، ٣٩٩ و م . ستريك - ج . لاسنر ، ١ (٢) ، ج ٤ ، ٧٥٩ - ٧٦٠ .

صورة جارية . وعلى مقدار نصف فرسخ من هذا القصر ، يشاهد على تل مشرف ، ناووس الطيبة الذي يذكر بقصة جارية بهرام جور . ذلك ان هذا الملك خرج بتصيد ومعه جارية له . فلما فرغ من صيده ، نزل في قصره ، وجلس يشرب مع جاريتة . وأخذهما الشراب . فقالت له الجارية التي رأت طيبة ترعى على ذروة جبل هناك : اريد ان ترمي هذه الطيبة ، فتصل ظلفها باذنبا وقرنها بسهم واحد . فتعل ثم قام إلى الجارية ، فذبحها ، ودفنها مع الطيبة ، وبني عليهما ناووسا من حجارة ، وكتب عليهما بالفارسية خبرهما (٩٢) .

فارس الجنوية : حيث المياه اوفر

بداية ، لن يتغير التاريخ ، اذا اتجهنا إلى فارس وخوزستان . فماضي فارس حاضر دوما هنا ، ويتنوع تنوعا مماثلا لما سبق . واشير إلى بيوت النيران (٩٣) ، وإلى القباب ايضا ، المجهولة المغزى ، الا اذا دلت على وسط الدنيا (٩٤) حسب العرف المحلي ، وإلى وجود التماثيل والقصور على الهضبة العالية في ميلدية . فبسابور خادم من حجر اسود ، متوشح بازار ، قائم وسط الطريق ، وسطه ستة اشبار ، وطوله قامة وذراع ، ومكتوب على عضده بالفارسية كتابة منقورة في الحجر الاسود (٩٥) . وبسابور ايضا جبل قلد صور فيه كل ملك ومرزبان يعرف للعجم (٩٦) . ويقع اشهر موضع على فرسخ من النوبندجان ،

(٩٢) ابن الفقيه ، ٢٥٥ - ٢٥٧ ، وجغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٦٤ .
(٩٣) المسعودي (م) فقرة ١٤٠٤ ، ابن حوقل ، ٢٧٣ ، حدود العالم ، ١٢٨ ،
وما تقدم الفصل الرابع .
(٩٤) ابن حوقل ٢٧٨ ، المقدسي ، ٤٤٥ .
(٩٥) المقدسي ، آخر ٤٤٤ .
(٩٦) المقدسي ، ٤٤٥ ، حدود العالم ، ١٢٨ .

وفيه صورة سابور على باب كهف ، عليه تاج ، تحته ثلاث اوراق
خضراء ، مشط رجله ثلاثة عشر شبرا ، ومن رأسه إلى قدميه احلى
شجرة ذراعا ، وخلفه ماء واقف ، لا مد له ولا منفذ ، وثم ريع تخرج
شديدة (٩٧) .

وأبرز من بين القصص الوارد ذكرها عند أبي دلف مسعر ،
قصرا كان يحتذب الملك قباد كثيرا جدا حتى ان والدته استعملت طرقا
سحرية للقضاء على الطرائد بجواره ، ولارجاع نجلها إلى ادارة شؤون
الدولة (٩٨) . وتعد القلاع موضوعا مميزا آخر يهتم به ابن حوقل (٩٩) .
لكن تسترعي الانتباه آثار اصطخر دون غيرها (١٠٠) ، لأنها ترتبط
بذكر سليمان وبيت النار ، وتمثل في نظر المقدسي انقضا تشاهد فيها
اساطين سود وتمائيل ومجاريب وحمام ومشرفة كبيرة عالية ، يصعد
اليها في مدرجة حسنة من حجارة . وترى منها حتى الافق البعيد ،
حقول المزروعات بجوارها .

مع ذلك تندرج معظم ابنية فارس وخوزستان في عداد الاشياء
المرتبطة بعلاقة الانسان بالماء الواجب عبوره أو الافادة منه . فهنا ،
على حد قول المقدسي ، بنيت قناطر عجيبة محدثة وجاهلية (١٠١) .

(٩٧) المقدسي ، آخر ٤٤٤ - ٤٤٥ ، وجغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١١٠
(و ح ٣) ، ٣١١ .

(٩٨) مسعر (ب) ٤٣ - ٤٤ .

(٩٩) ابن خردادبه ، ١٦١ ، ابن حوقل ، آخر ٢٧١ - ٢٧٣ ، سنعود اليها في
الحديث عن المدن .

(١٠٠) المسعودي (م) فقرة ١٤٠٣ ، المقدسي ، ٤٤٤ ، وما تقدم الفصل ٤

(١٠١) المقدسي ، آخر ٤٤٥ .

بالفعل اعجب الجغرافيون بالماضي والحاضر على حد سواء ، لاسيما ان هذه الاعمال منتزعة من ارض متمردة غالبا ما تهتر . ومن تلك القناطر قناطر ايداج ، وخوارذ ، وسيوك ، وارجان ، وابو طالب او عضد الدولة . وكلها منشآت مبنية بالحجارة ، طوها احيانا اكثر من ثلاث مائة ذراع (على وادي ارجان) ، وطبقانها فريدة ، سعة الطاق الواحد منها ما بين عموديه على وجه الارض ثمانون خطوة . فهي ابنة جديرة بالادخال في عداد عجائب الدنيا (١٠٢) .

ويتجلى الاستمرار ذاته في تقاليد المشاريع المائية . وقد تحدثت في مكان آخر ، اعتمادا على المقدسي : عن عمل السلطان البويهبي العظيم عضد الدولة في الاهواز ، عاصمة خوزستان . فعلى نهر هذه المدينة ، دواليب عدة يديرها الماء تسمى النواعير ، ثم يجري الماء في قنى متعالية إلى حياض البلد (١٠٣) . وقد سكر عضد الدولة النهر الذي بين شيراز واصطخر بحائط عظيم ، جعل اساسه بالرصاص . فتبحر الماء خلفه ، وارتفع . فجعل عليه من الجائنين عشرة دوايب ، وتحت كل دولا ب رحي . وبني ثم مدينة ، وجر الماء في قنى ، فاسقى ثلاث مائة قرية (١٠٤) . ويتبع هذا السلطان المسلم سياسة سابقة ، ويقلد تقنيات قديمة ، كما حصل في جور حيث بنى الملك اردشير طربالا رائعا (١٠٥)

(١٠٢) ابن خردادبه ، ٤٣ ، ابن الفقيه ، ١٩٩ ، ابن رسته ، ١٨٩ ، مسعر (ب) ، ٤١ ، ٤٥ - ٤٦ ، ابن حوقل ، آخر ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩٨ ، المقدسي ، ٤٤٦ (ح) .

(١٠٣) مسعر (ب) ، ٤٢ ، المقدسي ، ٤١١ - ٤١٢ ، جغرافية دار الاسلام ، الاسلام ، ج ٣ ، ١٥٠ - ١٥١ (اقرأ شاذروان) .

(١٠٤) المقدسي ، ٤٤٤ .

(١٠٥) ابن حوقل ، آخر ٢٧٨ - ٢٧٩

او كما تم في تستر التي بنى سابور الملك على نهرها الشادروان ، وهو من اعجب البناء واحكمه ، قد رص بالحجارة ، ورصف كله على اعمدة الحديد ، واستعمل فيه ملاط الرصاص (١٠٦) . وهكذا ينظم الاستمرار الفارسي ، ويلرك ، ويعبر عنه ، بالماء الممجة والمروضة .

على تخوم فارس الشمالية : تجاوز حدود الخريطة

وتمتد فارس باتجاه الشمال ، في بعض الاماكن ، مثلما امتدت من جهة الجزيرة . ولم يكتف ملوك ساسان بترك بعض الآثار على سواحل بحر الخزر في مدينة دربند ، فبدل كسرى انوشروان مشهد باب الانواب المحصنة بين جبل القبق والبحر . ومجد الجغرافيون سورها التازل من الجبل إلى البحر ، والماد على مقدار ميل بعد الشاطئ في البحر ، وسدها المبني بالحجر والرصاص ، المغلق على الماء والمحكم وصيده بعقد ، والسلسلة الممدودة على فم المدخل ، فلا يخرج المركب ولا يدخل الا منه (١٠٧) . واذا اتجهنا إلى الجنوب ابعد من ذلك ، نحو تخوم فارس واذريجان ، نجد ان مدينة شيز تحتفظ من آثار خلفاء الاسكندر ، بابنية تصاوير تمثل السماء والنجوم ، والارض وثمارها ونباتها وحيوانها (١٠٨) . واذا صعدنا نحو بحر الخزر ، نلقى قلعة سميران ، وعليها صور رائعة لسباع من ذهب والشمس والقمر . وقد استجلب الملوك المحلبون من شتى البلدان ، باجور باهظة ، خمسة آلاف بناء

(١٠٦) ابن خردادبه ، ١٦٢ ، مسر (ب) ، ٤٥ ، ابن رسته ، ٨٣ ، المسعودي (م) ، فقرة ٦٠٦ ، ابن حوقل ، آخر ٢٥٢ - ٢٥٥ .

(١٠٧) المسعودي (م) ، فقرة ٤٤٢ ، ٥٠٥ ، ٦١٥ ، ٦١٩ ، جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٢٦٣ ، مع احالات اخرى .

(١٠٨) المسعودي (ت) ، ١٣٧ ، تلحق مدينة شيز على الحدود الفارسية الأذربيجانية بالبلدين ، لكن عملياً وفي الواقع ، بفارس في نطاق الدفاع وايضاها : انظر ابن الفقيه ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٨٦ .

اشادوا قريبا مدينة ملكية (سلاروند) ، وابقوهم بعد البناء لانجاز تلك الاعمال الفنية (١٠٩) . اخيرا ، بنى احد تابعة اليمن قصرا فحما بين طوس ونيسابور ، وهو في طريقه إلى الصين ، واخفى فيه كنوزه . وبقي كل الناس يجهلونه ، بما فيهم القوافل المارة بجواره ، إلى ان جاء ملك عربي آخر ، سمع بخبره ، فأتى واخذ تلك الكنوز (١١٠)

نظرة عامة إلى الهند المسلمة

في الختام نقول كلمة عن بلدان الهند ، وعن وادي نهر الهندوس على وجه التخصيص ، اي عن اقليم السند ، الهامشي حقا ، بموقعه وثقافته (١١١) . مع ذلك لن تكتمل ابنية دار الاسلام ، اذا لم نذكر هيكل بوذا وتمثاله (١١٢) في مدينة الملتان . ومكان هذا الصنم في قصر مبني في اعمر موضع بسوق الملتان بين سوق العاجيين وصف الصغارين . وفي وسط هذا القصر قبة ، والصنم فيها ، ومن حوالي القبة بيوت يسكنها خدام هذا الصنم ومن اعتكف عليه . وهذا الصنم صورة على خالقة الانسان ، متربع على كرسي من جص وآجر ، علوها عشرون ذراعا ، وعمرها الف سنة فيما يقال . والبس الصنم جلدا احمر ، لا يتبين منه غير عينيه ، وهما جوهرتان . وعلى رأسه إكليل ذهب ، قد مد ذراعيه على ركبتيه ، وفوق اصابع يديه . كمن يحسب اربعة . ولهذا الصنم اربعة وجوه . كأنه ينظر إلى زائريه مواجهة على

(١٠٩) مسعر (ب) ، ١١ ، المقدسي ، ٣٦٠ (و ح ي) ، لا يجوز الخلط بين هذه البلدة والبلدة المسماة باسمها في فارس .

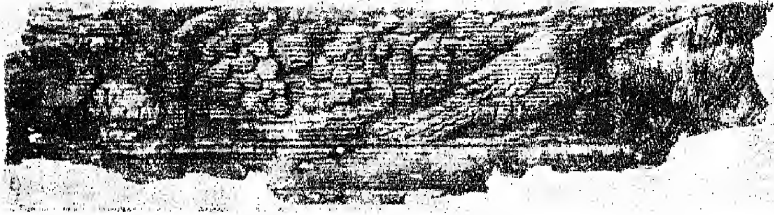
(١١٠) مسعر (ب) ، ٣٩٠ - ٤٠ . حول اكتشاف اسطوري على يد الفاتحين المسلمين ، انظر المقدسي ، ج ٤ ، ٨٨ .

(١١١) لذلك الحق ذكره بالهند : انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ (ح ٦) وأماكن اخرى .

(١١٢) انظر الاحالات في جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٧٠ .

الدوام ، او يضطربهم إلى رؤيته وجها لوجه ، كما يليق بالاله . فهذا الصنم اله نزل من السموات ، وامر بعبادته .

ولا ريب ان هيكل هذا الصنم يعج بالحياة ، على خلاف ما استعرضناه من ابناء . ويتخلد الماضي فيه بدوام حركة الكهنة والسدنة والناس . وهو غني بضياعه والهبات التي تجلب له في كل سنة اموالا طائلة . وتخرج اليه الهند من اقاصي بلدانها ، بعد سنة من المسير واكثر من سنة ، محملين بالهدايا حليقي الرأس ويطوفون حوله سبع مرات من جهة اليسار ، ويتبرغون بالتراب ، ويتقشفون ، ويبتزون احد اعضائهم ويقدمون له احدى عينيهم ، ويتحرون احيانا بعضا مدبة ييقرون بها بطنهم . وينذر كهنته وسدنته العفة ، فلا يأكلون اللحم ، ولا يقربونه - وحدهم يقربونه - الا معطرين . اما النساء اللواتي يرقصن امامه زاعمين تقديم الغذاء له ، فهن ممتهات العهر تكرما له في الغالب (١١٣) . وتشجب هذه الحياة التي كلها ثراء واسفار وتعطر وهذيان . وهي مشجوبة فعلا (١١٤) . اما الآن ، فننتقل إلى الحياة ضمن حدود دار الاسلام .



رؤسم المتاحف الوطنية متحف لوفر ، القسم الاسلامي ١٦٤
جزء من افريز الثمار والطيور . مصر . الحقبة القبطية العربية ، القرن الثامن
الخشب : صنوبر حلب . (تصوير ا . شوزفيل)

(١١٣) انظر الاحالات في المرجع ذاته ، ص ١٢٢ ، ح ١١ .

(١١٤) انظر الاحالات في المرجع ذاته ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .

القسم الثاني

دار الاسلام

عضوية كبيرة

الفصل السادس

تنظيم دار الاسلام

كان المثال الفرنسي ، المقبول حتى العقود الاخيرة في الحد الأدنى ، مأخوذاً عن نظام نابوليون . وكان تصوره ميسوراً من علامة واحدة ، هي الحاحه بشيء من الحنو على ابراز تنظيم الامبراطوريات الحقيقية ، اذا جاز هذا التعبير ، من الاخمينيين حتى امبراطورية سنة ١٨٠٤ ، مروراً بالاسكندر ورومة وغيرهما ، باستثناء الامبراطوريات التي لم يكتمل تنظيمها مثلما اكتمل في النظام المتوازن تماماً ، حسب الصيغة الشهيرة : « شرطي ، محافضي ، مطارني » . وبقيت في بعضها الاعراف والانواع المحلية ، فاعتبرت بطيبة خاطر ، رغم حجمها ، امبراطوريات من الدرجة الثانية ، مثل امبراطورية المانية القديمة ، او شارل الخامس ، او النمسة - المجر ، او العثمانيين (١) . أما مملكة الاسلام ، كما يصفها الجغرافيون في عهد العباسيين ، فتشبه

(١) انظر بهذا الشأن مفهوم الامبراطورية ، باشراف م . دوفيرجي ، باريس ، ١٩٨٠ ، السعادة بواسطة الامبراطورية أو حلم الاسكندر ، باشراف ج . ب . شرنيه ، باريس ١٩٨٢ .

المفهومين . فقد اخذت من تقاليد الشرق ومن وريثها الامبراطورية
الاموية بدمشق ، اسلوب نموذج التنظيم الاداري المطبق في ابعد الاماكن
من الاقاليم ، الا ان التاريخ فرض عليها تدريجيا ، انبثاق الاعراف
المحلية ، والعادات ، واللغات ، والثقافات الاقليمية . اذن ، تدعونا
جغرافية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، إلى رؤية صورة
متناقضة لها .

التنظيم النظري : موضوع ثقافة عامة

لا نبغي ان نحل محل المؤرخين الذين درسوا قبلنا تنظيم الاقاليم
في دار الاسلام . وتنحصر مهمتنا في تبيان ما حفظته منه فنون الادب
التي تجاري ذوق العصر اولا ، ثم جغرافية مملكة الاسلام في القرن
الرابع الهجري / العاشر الميلادي . ففي البدء ، يلاحظ وجود تردد
قوي يرتبط بالزمان او البلدان . مع ذلك ، يبدو ان الاساس هو
التمييز بين العامل (محافظ) ، المكلف قبل كل شيء بحماية الضرائب ،
وبين الامير (حاكم) المسؤول عن الادارة عامة ، وبخاصة الشرطة
والجيش (٢) . في جميع الاحوال ، يحذر بنا ان نشير إلى ان ابن الفقيه
اغفل تحديد الرقعة التابعة لسلطة الامير ، واكتفى بالتحدث عن العمل
الواسع ، بل الواسع جدا احيانا (٣) .

(٢) انظر ا . ا . دوزي ، م (٢) ، ج ١ ، ٤٤٧ - ٤٤٨ ، ٤٥١ - ٤٥٢ ،
وسورديل ، الوزارة ، الفهرس (لفظ عامل ، عمال وأمير) .

(٣) ابن الفقيه ، ١٣٣ ، ١٦١ ، آخر ١٦١ - ١٦٢ ، ٣٣٨ (انظر في نفس
الذهنية ، لوائح هؤلاء الموظفين الكبار ، هنا : ولاة ، عند اليعقوبي أماكن متفرقة) .
امثلة اخرى : ابن رسته ، ١٨٤ ، اليعقوبي ، ٣١٤ ، قدامه ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ابن
حوقل ، ٦٨ ، المقدسي ، ٥٧ ، ٣٠١ (ح ب) ، ٤١٢ .

والكورة (الجمع كور) اصغر من العمل ، وهي مشتقة من اليونانية (خورا) من جذر (خور) الذي يوحى بالاستدارة . ويقابلها فيما يبدو المقاطعة الريفية في التاريخ الفرنسي . وقد وجدت الكورة مستعملة مع اللادقية وعكا وصور ومدن اخرى (٤) . وتغفل الاقسام بين الكورة والعمل ، او لا تكون دقيقة ، او تعتبر شاذة وورد عند ابن الفقيه ان كور دمشق كثيرة ، وان دمشق وكورها جزء من الشام ، وانها مدينة الغوطة (٥) . والاستثناء خاص بالشام بدقة : الجند ، اي القسم العسكري ، الذي يعيد إلى الذاكرة - وهو اسم الجيش - معسكرات ما بعد الفتح . واجناد الشام اربعة : حمص ودمشق وفلسطين والاردن ، ثم اضيفت اليها اجناد قنسرين والشغور مقابل العدو الرومي (٦) . وفيما عدا ذلك ، صمت تام . ولم يطلق على ما عرف باقليم في المستقبل ، سوى تسمية الصقع (٧) . او علم المنطقة المبحوثة : المغرب ، مصر ، الشام ، ارمينية ، خراسان ... وعلى النقيض ، قد يرد لفظ الاقليم مرادفا عاديا لكورة (٨) .

(٤) ابن الفقيه ، ٧٣ - ٧٤ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١٩٩ ، آخر ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٤٠ ، آخر ٢٦٢ - ٢٦٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، آخر ٣٢٨ ، و د . سورديل ، ١٠٢ (٢) ، ٥٠ ، ٣٩٩ . . .
(٥) ابن الفقيه ، ١٠٥ .

(٦) انظر د . سورديل ، ١٠٢ (٢) ج ٢ ، ٦١٦ : تتفق هذه التقسيمات مع تقسيمات الامبراطورية البيزنطية ، وتحفظ بها في المصطلحات : انظر ابن الفقيه ، ١٠٩ ، ابن رسته ، ١٠٧ ، ابن حوقل ، ١٦٨ المقدسي ، ٩٤ ، ٩٤ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ٣١٢ ، ٣١٣ (ح د) .
(٧) ابن الفقيه ، ٢٠٩ .

(٨) ابن الفقيه ، ١٠٥ ، يحتفظ عن هذه النقطة بتقليد آخر مأخوذ من الجغرافية الادارية ، مثلما سوف نرى : انظر ا . ميكيل ، اقليم ، ١٠٢ (٢) ، ج ٣ ، ١١٠٣ - ١١٠٥ (مع احالات ومراجع) .

ويستعمل لفظان ، يعتبران من الابدال (مترادفين) ، ويدلان على تقسيم الكورة ، هما الرستاق والطسوج . وقد تحدد الطسوج في الاصل حسب المساحة المروية ، وقطعا تبعا لشيوعه في فارس القديمة فقد جاء من فارس مثلما اتى الرستاق من العراق (٩) . مع ذلك ، يستبهم المعنى احيانا ، ويبدو ان احد النصوص ، عند ابن الفقيه مثلاً ، يجمع في الرستاق كل اراضي ميديا القديمة (١٠) .

ويلاحظ اجمالاً وجود نواقص كثيرة ، بخاصة في التقسيمات الكبيرة . والسبب بسيط فيما اظن . بالفعل كيف نسمي احد التقسيمات الكبرى ، اي « الولايات » التي تتألف منها مملكة الاسلام ؟ اذا استثنينا كلمة « عمل » الجارية على السنة الناس ، والموجهة بدقة في هذا الاتجاه انما تعترض سبيلنا صعوبة ندركها من خلال ندرة استعمال هذا اللفظ (١١) لن نجد في جغرافية الادب الالفاظ واحدا تضعه المفردات التقنية تحت تصرفنا لنعني به قسما اوسع من الكورة ، وهو لفظ الاقليم . الا ان كلمة اقليم ترمينا بين نارين ، اذا جاز هذا التعبير ، فقد دلت في البدء ، في علم الخرائط والمصطلحات الموروثة عن اليونان ، على احد الاقسام السبعة الطولانية على الكرة الارضية : وهذا القسم كبير جدا

(٩) انظر ف . مينورسكي ، ١٠ ، ج ٤ ، ٧٢٧ ، ابن رسته ، ١٧١ ، قداده ، ٢٣٥ ، وابن الفقيه ، ١٩٩ ، آخر ٢٠١ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٦٣ ، آخر ٦٤ ، ٢٧٤ ، ٣٠٣ . ٣٠٤ . يلاحظ ان رستاق يمكن ان يعني أيضاً ارضاً ينبغي ربيها : سمر (ب) ، ٣٧ .

(١٠) ابن الفقيه ، ٢٦٥ .

(١١) مع اغفال الحديث عن وظيفة العامل الذي يحدد ارض العمل ، وعن التخصص الاداري المفرط للعمل : فهو دائرة اختصاص ، وسلطة قضائية ، وليس منطقة حقيقية بالضرورة ، لتحديد جغرافياً .

يتعذر تطبيقه على الرقعة المعنية . من جهة اخرى ، حرصت جغرافية ابن خردادبه الإدارية على الإشارة إلى مجموعات تتحدد جيداً بالتاريخ والطبيعة ، فوضعت يدها على هذا اللفظ المتميز علمياً ، ودلت به على الكورة او على قسم منها (١٢) : وبذا رمتنا في الافراط العكسي . واضيفت إلى ذلك كله جميع ابهامات التاريخ المحلي التي كانت تطرأ على حدود « الولاية » المفقودة المنشودة . فالتزمت جغرافية الادب بالا تدل على القسم الواسع الا باستعمال علمه (اسمه) او كلمات عامة مثل بلاد او منطقة (١٣) . فاذا نظرنا إلى جغرافية البلدان من هذه الزاوية ، على نحو ما ابتكره ابن الفقيه وطبقه ، وجدنا انها تمثل موقفاً يرفض احتمالات التاريخ والادارة ، ويقنع بما تتصف به المناطق الكبرى في دار الاسلام من خصائص عامة دائمة ، تحببها اياها الطبيعة ، ويسمها بها البشر كما سوف نرى .

هذا ما ورد في جغرافية الادب عند ابن الفقيه ، ودام حتى المقدسي (١٤) ، في مقاطع من كتابه ، يتحدث فيها ، حسب العرف ، عن ظواهر معروفة . ويميل الادب إلى الاشياء الغربية النادرة ، ويُعَبَّرُ عن هذا النزوع عنده بالاهتمام بالوقائع المحددة جيداً في التاريخ والجغرافية المحليين ، فيحتفظ بعدد من الالفاظ التي تشبه طبقات مترسبة متوارية بعص الشيء ، تابعة إلى طوبوغرافية معينة . والشاهد على

(١٢) انظر ا . ميكيل ، مقال مشار اليه ، وما تقدم ح ٨ .

(١٣) بما فيها أحياناً الاقليم المعنى (أو بمعنى اقليم عالمي) ، ابن الفقيه ، ٢٥١ .

(١٤) مثال كلمة طسوج في العراق : المقدسي ، آخر ١١٩ . ١٢٠ ، ١٣٣ .

انظر أيضاً هذا اللفظ بعد جعله اسم اسماً لعلماء يدل على رستاق ، عند ابن حوقل ، آخر ٢٦٦ وعند المؤلفين المذكورين عند مينورسكي ، مشار اليه .

ذلك « الربع » (جمع ارباع) الذي يعادل الطسوج في منطقة نيسابور
 لنسب بسيط بلا ريب ، هو ان هذه الطساسيج تشكل اربع رقع (١٥)
 ريفية . ويتحدث المقدسي في مكان آخر عن العراق ويستعمل لفظ
 « المدينة » ليادل عليه ، على غرار ما جرت به العادة في اللغة الآرامية (١٦)
 وفي المغرب ، يستعمل ابن حوقل « النظر » بمعنى منطقة (١٧) .
 وقد تحدثنا عن الرم (١٨) في البلدان الكردية . وفي جزيرة العرب ،
 في اليمن على التخصيص ، بقيت الوحدة الادارية القديمة المسماة
 بخلاف (١٩) . اخيراً ، تعرض المفردات الفارسية لثلاثة مصطلحات
 هي الخن المرادف للربع (٢٠) في منطقة نيسابور ، والاستن (اوستن)
 اهم منه ، يمثل تقسيماً من تقسيمات العراق الادارية الاثني عشرة

-
- (١٥) ابن رسته ، ١٧١ (ترجمة ١٩٩ ، ح ١) ، المقدسي ، ٣١٦ ، ٣١٨ .
 معنى آخر : احدى المناطق (الارباع) التي تتألف منها الولاية (الاقليم) (ابن الفقيه ، ٣٢١
 لخراسان .
 (١٦) واللغة العبرية أيضاً : المقدسي ، ١٢٦ (س ١) ، انظر أيضاً ج ٤ ، ٢٤١ ،
 ودوزي ، ج ٢ ، ٥٧٥ .
 (١٧) ذكره دي خويه ، م ج ٤ ، ج ٤ ، ٣٦٥ (انظر دوزي ، ج ٢ ، ٦٨٦) ،
 استشهاد منعزل في الحقيقة ، لم نجده في المكان المحدد ، في طبعة كرامرز .
 (١٨) ما تقدم الفصل ٣ ، يشار أيضاً في اسماء الاماكن المصرية (دون يفرح به
 الجغرافيون) باللفظ القبطي شهر (١٠٥ ، و) ، منطقة ريفية (م ج ٤ ، ج ٤) ،
 ٢٦٩) ، ابن حوقل ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٦١ ، المقدسي ، ٥٤ (ح م) .
 (١٩) امثلة عند ابن خرداذبه ، ١٣٣ ، ١٣٦ وما يليها ، قدامه ، ٢٤٨ ، يعقوبي ،
 ٣١٧ ، ابن رسته ، ١٨٤ ، ابن الفقيه ، ٣٦ ، المسعودي (م) فقرة ٤٩٠ (بمعنى قلعة) ،
 الهمداني ، ٨٠ - ٨٢ ، ٨٦ ، ٩٨ - ١٠٢ ، ١٠٤ - ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ٢٠٧ ،
 ابن حوقل ، ١٩ ، المقدسي ، ٦٧ ، ٨٨ - ٩٢ .
 (٢٠) المقدسي ، ٣٠٠ (تكرر الخانات الاربعة ذاتها فيما بعد، وتطلق على الأراضي
 ذاتها ، المرجع ذاته ، ٣١٦ - ٣١٧ ، باسم الأرباع) و م ج ٤ ، ج ٤ ، ٢٣١ .

وكل تقسيم مجزأ إلى عدد من الطساسيج (٢١) . اخيرا ، يقع لفظ ماه على الحدود بين الاسماء العادية واسماء الاماكن ، ويشكل ولاية ساسانية قديمة في فارس الغربية ، كان يعرف بأنها تؤدي ضرائبها إلى سكان مدينتين عراقيتين كبيرتين اسسهما الاسلام الفتي . وهكذا صارت منطقة نهاوند ماه البصرة ومنطقة الدينور ماه الكوفة (٢٢) .

موضوع ثقافة عامة آخر : لأئحة البلدان والمدن

اولع الادب بالنادر والغريب والطريف ، وازداف اليها نزع اخرى غدتها فارس من قبل ، في المقارنات او المقابلات او المقايسات . على هذا النحو ، يحوي كتاب البلدان على طريقة ابن الفقيه ، جنبا إلى جنب ، نبذا من تاريخها وجغرافيتها ، ولوائح بفضائلها او مثالبها ، وحسناتها . فلو فتحنا هذا الكتاب ، واحصينا ما فيه من الامثلة ، نقصد اطولها او اوضحها صياغة ، لحصلنا على ما لا يقل عن اربعة عشر مقطعا ، يقابل فيها مدينة بدمية ، او بلداً ببلد ، او كلها معا بصيغة اسئلة واجوبة ،

(٢١) ابن خرداذبه ، ٦ (و ح ١ ، كررها ابن رسته ، ١٠٧) وقدمه ، ٢٣٥ - ٢٣٦ . يلاحظ ان استان صارت في حالة واحدة اسما علما لاحد الطساسيج (مرتين عند قدمه ومنهجيا عند ابن خرداذبه) وانه يشعر بان مرادف لكورة . ويعثر على أحد هذه التقسيمات الفرعية اي استان العالي ، عند ابن الفقيه ، ١٩٩ ، والمقدسي ، ١٣٣ .

(٢٢) انظر ابن خرداذبه ، ٢٠ ، اليعقوبي ، ٢٧١ ، ابن رسته ، ١٠٦ (ترجمة ١١٨ ، ح ٧ و ٨) ، ١٦٦ ابن الفقيه ، ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٥٩ (مع اسم آخر : ماه ديناور ، لنهاوند) ، ابن حوقل ، ٣٥٧ ، ٣٧١ ، آخر ٣٧٢ ، المقدسي . ٢٥٨ ، ٣٨٥ ، آخر ٣٩٣ - ٣٩٤ . حول شتي معاني لفظ ماه ، انظر ل . لوكهارت ديناور ، ١٢ (٢) ، ج ٢ ، ٣٠٧ (٢) ، و م . مينورسكي ، ماه البصرة ، ١٢ (٢) ، ج ٥ . ١٢٠٢ .

او احاجي ، او امثال مأثورة او دفاعات مناوئة ، او نواذر او تعدادات او حكم (٢٣) . فسادا نستخلص من كل هذا " اخبارا حقيقية عن البلدان او سلمنا بذلك ، لوجب علينا عندئذ ان نعين نسبة المبالغة سلبا او ايجابا ، في تلك اللوائح ، لأن المعطيات ليست علمية ، بل سياسية . باوسع معاني السياسة ، ولا تشكل بيانا ، بل عرض جدل ، يحصل في بقعة عربية ، كالجلد بين مدينتي البصرة والكوفة المتخاصمتين ، او في بقعة فارسية ، كالجلد بشأن همدان مثلا ، او اخيرا من مكان إلى مكان .

ولا يبتعد الجغرافيون عن ميدان التقريط ولهجته ، او عن التقريع الصريح ، الا في لوائح خصائص شتى المدن او المناطق وما تنفرد به . ويقال ان الله اعطى بلطفه كل صقع نوعا من الخيرات ، لتنشيط المبادلات التجارية وتوثيق العلاقات البشرية ، وجعل لوحة الخليفة متوازنة . (٢٤) . ويتمتع هذا الموضوع هو وايضا حاته ، بخطوة خاصة منذ رواد هذا الادب من الجاحظ إلى المسعودي والثعالبي وغيرهم من الموسوعيين واصحاب المحتارات (٢٥) .

(٢٣) ابن الفقيه ، آخر ٧٥ - ٧٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٤ - ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ - ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٦٤ - ١٧٣ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٥٢ - ٢٥٥ ، آخر ٣١٩ ، ٣٢٠ - انظر في مقاطع اخرى المرجع ذاته ، ٢٧ - ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٧ ، ٨٤ ، ٧٥ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، آخر ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، آخر ٢٢٧ - ٢٢٩ ، ٢٥٧ - ٢٥٨ ، ٢٧٣ ، ٣١٥ .

(٢٤) ابن الفقيه ، ٢٣٧ ، ٢٥١ ، وجغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٦٠ - ٦٨ .
 (٢٥) انظر الجاحظ (١) اماكن متفرقة ، اليعقوبي ، ٢٣٦ ، ابن رسته ، ٨٢ - ٨٣ ، آخر ١٠١ - ١٠٣ المقدسي ، ج ٤ ، ٦٦ وما يليها ، الثعالبي ، ٩٢ ، وما يليها المسعودي فقرة ٩٨٥ ، انظر الجدول في الترجمة ، ٩٢ ، ح ١ .

وطبعا لا ننسى الجغرافيين . لكن لن نتحدث الا عن المقدسي ،
لأنه بلا ريب افضل من يمثل علما مؤرّس ميدانيا ليصف به دار الاسلام
في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . فقد رأى على حد قواه ،
كتاب ابن الفقيه (خمسة مجلدات) (٢٦) . وهذا بّين ، لأنه لا يفوته
ان ينتقد في عمله جغرافية تجاوزها الزمن ، يريد ان يحل محلها جغرافيته
هو الخاصة ، الحقيقية . كذلك لا يفوته ان يأخذ عنها عند اللزوم ،
نيثبت انه ضليع في ادبه . والدليل النص المنسوب إلى الملك الساساني
قباد بن فيروز الذي يقول فيه ما للمناطق فارس وما عليها . وقد نقل المقدسي
منه (٢٧) ما يتعلق بالهواء والتربة والمياه وتصرف البشر ، ولم ينجر عليه
الا تعديلات طفيفة جدا .

ويأتي النقل احيانا اقل وضوحا ، لكن بديها . فلو عدنا إلى ما
جاء عند ابن الفقيه (٢٨) ، لوجدناه يقول : ان الله خلق العقل وخلق معه
المكر واسكنه العراق . وخلق المكر وخلق معه الخفاء ، فاسكنه الشام .
وخلق الفقر وخلق معه القنوع واسكنه الحجاز . وخلق الغناء وخلق
معه الذل واسكنه مصر . ويقال ريف الدنيا من الثمر ما بين اليمن إلى
البصرة . وريف الدنيا من الزيتون فلسطين إلى سورية الشمالية (قنسرين)
وقالت الحكماء : احسن الارض مخلوقة الريّ ، واحسنها مصنوعة
جرجان ، واحسنها مفروقة طبرستان . والاخلاق سيئة في خوزستان .
والغدر في اهل الكوفة . ودقة النظر في اهل البصرة . والبخل في اهل

(٢٦) المقدسي ، ٥ ، ٤ (ح ١) ، ١٤ ، ٦٨ (ح ف) ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٤١ .

(٢٧) ابن الفقيه ، ٢٠٩ - ١١١ المقدسي ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٢٨) ابن الفقيه ، آخر ٧٥ - ٧٦ ، آخر ١١٤ - ١١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، آخر

٣١٩ - ٣٢٠ .

الاهواز . وسوء المعاشرة في اهل بغداد . واهل سدرقند احسن اهل خراسان ضيافة . واهل خوارزم اسوأهم طاعة . واضعفهم رأيا وتديبرا اهل نيسابور . وادقهم نظرا اهل الري

في النهاية ، تسمح هذه الاقوال وكثير غيرها (٢٩) برسم لوحة موحدة، او متضادة الالوان، او متناقضة من مقطع الى مقطع، لجميع البلدان بلدا ، بلدا او لبلد واحد منفردا . ويحلو التنهيج للمقدسي ، فلا يكتفي في توالي صفحاته بتدوين سيئات الاراضي والبشر (٣٠) وحسناتها ، بل يجمع بعضها في مدخل كتابه بشكل فصل عنوانه « ذكر الخصائص في الاقاليم » (٣١) . ونورد فيما يلي بضعة فقرات تبين ان لم يكن ما اشرت اليه من قبل من وضوح نقل المضمون بالمعنى الضيق ، فاخذ الاساليب والمواضيع ، اذ يقول المقدسي : « اطرف الاقاليم العراق ، وهو اخف على القلب ، واحد للذهن . وبها تكون النفس اطيب ، والخطر اذق ، اذ كانت كفاية . واجلها ، واوسعها فواكه ، واكثرها علما وامجاداً وبردا المشرق . واكثرها صوفا وقزا ودخلا على قدره الديلم . واجودها البانا واعسالا والذها اخبازا وامكنهاز عفرانا الجبال . واكثرها ثمارا وارخصها اسعارا ولحوما واثقلها قوما الرحاب . واسفلها قوما واشهرهم اصلا وفصلا خوزستان . واحلاها تمورا واطأها قوما كرمان . واكثرها فانيذا وارزازا ومسكا وكفارا السند . واكيسها قوما وتجارا واكثرها فسقا فارس . واشدها حرا وقحطا ونخيلا جزيرة

(٢٩) انظر الاحالات الواردة في ما تقدم ، حاشية ٢٣ .

(٣٠) انظر ما يلي الفصل الحادي عشر .

(٣١) المقدسي ، آخر ٣٢ - ٣٦ .

العرب . واكثرها بركات وصالحين وزهادا ومشاهد الشام . واكثرها عبادا وقراءاً واموالا ومتجرا وخصائص وجوبا مصر . وأجودها خيلا واوسطها قوما اقور . واجفأها واثقلها واغشها قوما واكثرها مدنا واوسعها ارضا المغرب . » .

وهكذا بدأ التمرين ، وجرت العودة إلى الاصول وإلى الثقافات من أئمة الادب ، وفي هذه الحالة إلى الجاحظ الذي سئل عن البلدان فاجاب باستعراض قائمة امصار ، وقال : « الامصار عشرة ، المروة ببغداد ، والفصاحة بالكوفة ، والصنعة بالبصرة ، والتجارة بمصر ، والغدر بالري ، والجفاء بنيسابور ، والبخل بمرو ، والصلف ببلخ ، والحرفة بسمرقند » . وخلص المقدسي إلى القول ان كلام الجاحظ صدق . واجرى عليه بعض الاضافات . فبدأت لوائح جديدة تناولت معطيات عن الامصار المذكورة عند الجاحظ وعن غيرها او عن بلدان كاملة . وشملت اسطرا كثيرة تحدثت عن الهواء والزرع والمساكن والمحاصيل ، والحرف والسلوك والاخلاق والحضارة والسياسة . وعندما شارف المقدسي على الانتهاء ، شعر بالاسف ، وباشر بعرض تصنيف جديد على اساس اللغة والجغرافية ، فقال : « واعلم ان كل بلد فيه صباد ، فاهله حمق الا بالبصرة . فان اجتمعت صباد ان مثل المصيبة (٣٢) وصرصر ، فنعوذ بالله . وكل بلد نسبت صاحبه اليه ، فلقبت الزاي الياء ، فهوداه ، مثل رازي ومروزي وسجزي (٣٣) . وكل بلد آخره « ان » ، فله خاصية او طيبة ، مثل

(٣٢) الصباد الاولى ليست مزدوجة يؤدي الاداء الناقص الى سد الحرف الساكن ، لا الى ازدواج حقيقي . من أجل الاسماء المنتهية بان (ما يلي) انظر أيضاً المقدسي ، ٤٦٧ .
(٣٣) من أجل هذه الصيغة انظر المقدسي ، ترجمة ٨٠ حاشية ١٨ .

جرجان موقان ارجان . وكل بلد شديد البرد فاهله اسمن واضخم واحسن واكبر لحى ، مثل فرغانة وخوارزم وارمينية . وكل بلد على بحر او نهر فالزنا واللواطة فيه كثير مثل سيراف وبخارى وعدن . وكل بلد يحيط به انهار ، فان اهله شغبا وخروجا ، مثل دمشق وسمرقند والصليف وكل بلد رحب رخي فان المعاش به ضيقة الا بلخ » .

هل نحن بحاجة فعلا إلى القول انه لا يجوز المبالغة في تقدير أهمية مثل هذه اللوائح ؟ فتعداد الاسماء فيها يركز على كثير من الاتهامات كالأقوان - اللغوية او الجغرافية - المشكوك بصحتها ، وعلى تقويمات تتبدل من مؤلف إلى مؤلف وأحيانا من مقطع إلى مقطع عند المؤلف الواحد ، وعلى ضغائن قديمة ضد بلد استقبال المؤلف استقبالا سيئا ، وعلى احياء ذكريات طيبة . يعرض كل ذلك في فوضى مستحبة يسعد بها الادب احيانا . كلا قطعا ، لا شيء يدفعنا هنا إلى استخلاص أي استنتاج ثابت من لوائحها فاهميتها لا تكمن في مضمونها . او عندما يتم ادخال المدن او البلدان في لائحة ذم او مدح ، يجري تشبيها على خريطة ، وتكتب جنب اسمائها اهم الاماكن التي كانت في الادب من عناصر الثقافة العامة للبلدان ، ثم صارت في جغرافية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، نقاط ارتكاز معرفة اوسع واعمق . وهذه نظرة بالية إلى العالم ، تتخذ امام اعيننا بوسائل جديدة (٣٤) .

مخطط تنظيم ارضي عام عند الاصطخري وابن حوقل

اتبع المقدسي ذوق اللائحة . فاثبت انه يعرف الاصول . بالتالي

(٣٤) كتاب ج . برونو ، دورة فرنسة من قبل ولدين ، الحلقة المتوسطة ، باريس ١٩٢٥ الطبعة ٣٩١) . الفيلم ، السفر بالمنطاد لا ليبر لا موريس (مشاهد جميلة ومفيدة) الاذاعة والتلفاز (العاب) ، الكل تحت عنوان مائل : ما ينبغي معرفته

يحق له ان بطالب بوسم مصنفه بسمه الادب ، اي الذوق الرفيع الاجتماعي والكتابي . لكن متى انتهى من هذه المرحلة ، يفتح المجال امامه واسعا لتقديم تنظيمات مكانية جديدة ، قائمة على الواقع ، والطبيعة ، والتاريخ والمعاينة المباشرة ، اي تنقيد بروح علمية غير معهودة ، مثلما سبق واعلن في مقدمة كتابه .

ونرجع قليلا إلى الوراء ، لنشير إلى ما قام به الاصطخري ، رائد جغرافية مملكة الاسلام . فقد ادخل على مقاربته تجديد اولا ، جعلها تقتصر في مصنفه على بحث الاراضي المسلمة . وقرنه بتجديد ثان ، رتب فيه وصفها حسب المقاطعات الكبرى ، التي خص كلا منها بفصل يتضمن كل ما يتعلق بها . وحذا ابن حوقل (٣٥) حذو الاصطخري ، وحافظ على نهجه وتنسيقه . ويعود إلى الاصطخري على وجه التخصيص الفضل في الاعلان بجلاء وبلا ابطاء ، بانه يتخلى عن توزيع الاقاليم اليوناني ، اي عن ترتيب البلدان حسب درجات العرض في نطاقات طولانية بدءا من خط الاستواء . وقال انه يريد ان يربط الاقاليم بالممالك ، يعني انه يثبني عرض بلدان دار الاسلام على اساس موقعها الارضي في مناطق ثابتة على تسميتها اقاليم ، فغير تغييرا كاملا معنى الاقاليم ، والغنى مدلوله اليوناني ، واستعاض عنه بمدلول جزء كبير من دار الاسلام (٣٦) . هذا ما طرحه . بوضوح . مع

(٣٥) يضاف الى هذه الفصول التي تعالج المناطق الأرضية ، فصول اخرى تبحث في صورة الأرض (المدخل) والبحار الثلاثة : الشرقي وبحر الروم وبحر الخزر ، ومفازة فارس . وتشمل تجديدات ابن حوقل مدخلا مسهبا ومقدمة مستقلة عن نوايا المؤلف . وفصلا خاصا عن صقلية .

(٣٦) الاصطخري - ١٥ .

ذلك لم يتخل الاصطخري كلياً ، لا عن التقسيم الإداري المسمى « عملاً » الذي لعب دوراً في الماضي ، في توسيع الأقاليم أو تقليصه ، ولا عن معاني الأقاليم الأخرى الطارئة . على هذا الأساس ، استعمل هذا اللفظ ، ضمن بضعة سطور بالمعنى اليوناني وبمعنى الأراضي المحيطة بأحدى المدن ، كما في بابل . أما أقاليم دار الإسلام ، فقد عنون بها الفصول ، دون أن تقترن بلفظ أقاليم ، واكتفى بذكرها بعلمها أو بتسميات عامة مثل بلاد أو أرض أو تبعية (٣٧) .

وانعكست هذه الاتهامات على تفاصيل التقسيمات الأرضية وعليها عند ابن حوقل ، وسوف نستعرضها الآن . فقد بدأ ، منذ مطلع كتاب صورة الأرض (٣٨) أن الفاظ أقاليم وعمل وناحية ابدال مترادفة ، تدل على الأقاليم الكبرى في دار الإسلام . وعندما انتقل ابن حوقل فيما بعد إلى الوحدات الأرضية الصغرى ، ذكر اصطلاحين هما الصقع والكورة ، وقال : « وقد فصلت بلاد الإسلام أقليماً أقليماً وصقعا صقعا وكورة كورة لكل عمل » (٣٩) . وتستطيل قائمة الاتهامات وتكثر في متن كتاب صورة الأرض ، بعد تحديد النهج على هذا النحو . وسوف اعطي بعض الأمثلة على ذلك . فعندما يرد الحديث عن إفريقية ، أي تونس والجزائر الشرقية على الأجمال ، لا يدقق في وضع التقسيم في داخل المغرب باجمعه (٤٠) . ويقول عن عُمان

(٣٧) بلاد أرض ديار الأصطخري ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٤٥ (ذكر خراسان) ١٦١ .
(٣٨) ابن حوقل ، ٥ .
(٣٩) ابن حوقل - آخر ٥ - ٦ .
(٤٠) ابن حوقل ، ٦٨ .

انها ناحية ذات اقاليم مستقلة باهلها ، فسحة - يستعمل مصطلح اقليم هنا بمعنى كورة عادية في جزء من اقليم جزيرة العرب (٤١) . ويقول عن الاهواز ، حاضرة خوزستان « الاهواز مدينة تعرف بهرموز شهر ، وهي الكورة العظيمة ، والناحية الجسيمة ، التي ينسب اليها سائر المدن والكور » ، مما يدل على ان كورة وناحية مترادفتان (٤٢) . باختصار ، ترد المصطلحات في متن كتاب صورة الارض في فوضى مطمئنة ، لا تكاد تتحدد فيها المراتب عامة ، حتى تخالف بعد قليل (٤٣) .

فهل يجب ان يوجه اللوم إلى ابن حوقل ؟ كلا قطعاً . فما يهمه قبل كل شيء هو ما يعاينه : فهو من هذه الزاوية ، لا يمكن الاستغناء عنه على الأرجح (٤٤) . ولنصنع اليه بالنسبة إلى ما تبقى (٤٥) « وقد كان يجوز ان تجمع بخارى وكش ونسف كلها إلى السغد ، ولكن افردت لتكون أيسر في التفصيل ، وأخف وليس في جمع هذه

(٤١) ابن حوقل ، ٣٨ .

(٤٢) ابن حوقل ، ٢٥٢ (الا اذا كان المؤلف يميز أرضاً أوسع عن ارض اقرب تبعية مباشرة للمدينة ، لكن أيهما لأيهما) .

(٤٣) ابن حوقل ، ٢٥٢ (اقليم لجزء من خوزستان) ، ٢٦٤ - ٢٦٦ (كور فارس خمس ، مقسمة الى نواحي والنواحي مقسمة الى قرى ، ورساتيق وأعمال ص ٢٦٦ آخرها اقليم يستبدل برستاق) ، ٣٠٨ كرمان ناحية ، والرساتيق مذكورة بين الاقليم والناحية (٢١٩ - ٢٣٦) اقليم السند مسمى بلاد ، الناحية تقسيم كبير ، الرستاق والعمل للتقسيمات الصغرى) ، ٤١٨ - ٤٢٠ (اقليم سجستان مسمى ناحية ، وتستعمل الناحية مع الاقليم والرساتيق للدلالة على تقسيمات هذا الاقليم) ، ٤٢٦ (العمل والكورة تقسيمات لولاية خراسان المسماة هنا اقليم) ، ٤٣٠ (عمل اطلق على خراسان وما وراء النهر . وعلى تقسيماتها ، التي تسمى كورا ونواحي مترادفة ، لكن قد تدل الكورة على وحدة الصغر مثل نيسابور) ، ٥٠٣ (اقليم ما وراء النهر ، تقسيمات هذا الاقليم) واماكن اخرى .

(٤٤) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ١ ، ٣٠٩ .

(٤٥) ابن حوقل ، ٤٧٥ (وأيضاً ٤٣١) .

الاطراف بعضها إلى بعض ، ولا في تفريقها ، كبير درك ، غير
الابانة عما في اعراضها من المدن والانهار ومواقع الكور في صفاتها .
اذن وصف البلدان هو الاساس ، لا ترتيبها على الخريطة او المخطط
او في مضمون الكتاب . فقد اعطي لنا ترتيب مناطق دار الاسلام ،
الكبرى والصغرى ، على ما هي عليه دون بيان اسباب هذا التوزيع (٤٦)
وجملة القول ان ابن حوقل أجرى محاولة — ولم تؤد محاولته إلى نتيجة ،
ولا تهمه اصلا مثلما يهمه الواقع الذي يريد وصفه — وبذا يشعرا بما
سوف ينفرد المقدسي وحده بالقيام به ، نغني رسم لوحة تصور البلدان
على حقيقتها ، وتفاوت سعتها ، وتُعنى بمستواها وبما ميّزتها به الطبيعة
وابرز تاريخ اهلها .

لوحة حقيقية معاد تصورها : المقدسي

لم يشأ المقدسي ان ينسلخ عن الماضي ، رغم اصلته ورغبته بالبقاء
اصيلا . وقد رأينا انه يشير عرضا إلى التقسيمات الارضية القديمة (٤٧)
ولاحظنا انه يتبع التقليد في عرضه العام لسيئات شتى البلدان والمدن
وحسناتها في دار الاسلام . الا ان تدوين السيئات نادر ، يضيع في

(٤٦) تعتبر بعض التدوينات شاذة ، ولا تدخل في عداد مناهج التفكير . منها
٢٢٥ (طرافة تقسيمات الجزيرة الثلاثة : ديار بكر ، ديار مضر ، ديار ربيعة) ، ٣٣١
(جمع اذربيجان واران وارمينية في وصف واحد باسم وحدة السلطة السياسية) (٣٧١)
تأمل قصير حول جبال الديلم) ، ٤٥٩ (حدود ما وراء النهر) . بالمقابل يقارن الحاق
البلدان أو فصلها عن بعضها بلا بيان سبب معين : ابن حوقل ، ١٦٨ ، ٢٤٩ ، ٣٠٨ ،
٣١٦ ، ٣٤٤ ، ٣٥٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ (بشأن الري) ٣٨٠ (قزوين موصوفة
في اقليمين ، المرجع ذاته ، ٣٦٩) ، ٤١١ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٧٥ (ترجم
من قبل) ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٩٢ ، ٥١١ .
(٤٧) انظر ما تقدم ، الحواشي ٣ ، ٦ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٢ .

تضاعيف كتابه . اما الحسنات ، فقد حشرت مع اشياء اخرى في مدخل مصنفه . وبهذه الطريقة ، اصبح المجال مفتوحا امامه ليكتب عمله الحقيقي ، وهو الجغرافية كما يتصورها ، اي وصف دار الاسلام وصفا مبنيا على تقسيم ارضها تقسيما دقيقا ، وعلى استعمال مصطلحات تقنية ملائمة .

فمملكة الاسلام تشمل اربعة عشر اقليما (٤٨)، ستة منها عربية، وثمانية عجمية . فالعربية جزيرة العرب ، والعراق ، والجزيرة ، والشام ومصر والمغرب . والعجمية المشرق (بلدان التبعية السامانية) ، والديلم والرحاب (الران وارمينية واذربيجان) ، والجلال ، وخوزستان ، وفارس ، وكرمان ، والسند . وتضم الاقاليم العربية بادية العرب ، واقاليم العجم مفازة فارس . وفي دار الاسلام بخران هما البحر الصيني وبحر الروم ، وفي كل من مجموعتي اقاليمها ، اقليم مزدوج : ففي المغرب جانبا الاندلس وافريقية، وفي المشرق (٤٩) جانبا خراسان وهبطل .

(٤٨) يستعمل لها هذا اللفظ بانتظام في متن المصنف وفي عنوان الفصل (ما عدا عنوان جزيرة العرب - ص ٦٧ - الا ان لفظ اقليم استعمل فيما بعد في عنوان الفصل الفرسي المخصص لجمل شؤون الاقليم) .

(٤٩) دون ذكر توازي لفظي المغرب والمشرق . وقسم اليمن ذاته ضمن جزيرة العرب ، الى جانبين بحر ، وجبلي . حول جميع هذه الكلمات ، انظر المقدسي ٩ - ١٠ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٦٢ - ٦٤ - آخر ٦٧ - ٧٠ ، ٨٤ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٩٠ - ٢٩١ ، ٢٨١ ، آخر ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٣٠٢ (ح د) . وهناك بعض التناقضات : فالمقدسي ، آخر ٧ - يقول في مقدمته : كلما قلنا المشرق فهي دولة آل سامان . فان قلنا الشرق اردنا أيضاً فارس وكرمان والسند ، فان قلنا المغرب فهو الاقليم ، فان قلنا الغرب تبع ذلك مصر والشام . الا ان هذا التمييز لم يطبق في متن المصنف الا عرضا : المقدسي ، ٨٥ (ح ز) ٩٢ (س ١١) - ١٩٣ (س ٧) - ٢٠١ (س ١٢) =

ويتوطد هذا الترتيب شبه الكامل بالنهج المنتظم المتبع في عرض الاقاليم ، الذي يستهل بفقرة رائعة الاسلوب ، مسجوعة ، يحاول فيها المقدسي رسم لوحة البلد المتضادة ، بما لها وعليها ، قبل ان ينتقل إلى التقسيمات الفرعية . ثم يأتي وصف المدن الواحدة تلو الاخرى . ومتى تم تدوين التفاصيل ، يجيء دور فصل عنوانه « جمل شؤون الاقليم » ، ترد فيه معطيات عامة عن الهواء ، والعملات ، والموازن والمكايل ، والضرائب ، والعادات ، والطوائف ، والمذاهب ، والقراءات ، والمحاصيل وما يفرد به كل اقليم ، والعجائب ، والمياه ، والمعادن ، والجبال ، والتقويم ، والمشاهد ، والسلطة السياسية والمسافات وقطعا ، لا تكتمل هذه اللائحة في جميع الاقاليم ، ويختلف ترتيب عناوينها ما عدا المسافات ، فانها توضع في الاخير . لكن يحافظ المنهج على ما هو اساسي في جميع الفصول ، ويستعرض الكيان الاقليمي في كل مرة ، في تقديم مماثل ، واضح تبعا لذلك . وهكذا يسود النظام ، ويتجه إلى الاعلى لتتكون من الاقاليم الاثني عشر ، مملكة اسلام متوافقة ومتوازنة ، وإلى الاسفل ايضا في تشابك الاقاليم ذاتها (٥٠) .

لكن لنتبصر في مراتب التقسيمات الارضية . فالاقاليم ينتشر حول

= وبين اقاليم العرب غير المغرب ، بادية العرب (المقدسي ، ٢٤٨) . وبين اقاليم المعجم - الا رحاب وخوزستان مفازة فارس الكبرى (المقدسي ، ٤٨٧) . وليس للمغرب والمشرق مصر واحد مثل سائر الاقاليم ، بل مصران لكل جانب مصر : فللمغرب قرطبة والقيروان ، وللمشرق نيسابور وسمرقند . ولجزيرة العرب مصران أيضاً : مكة وزيد لجانبين اليمن . أخيراً لدينا اثر آخر للتوازي المغرب المشرق « نيسابور أجل اعمال افريقية بالمغرب » (المقدسي ، ٣٠١ ، ح ب) .

(٥٠) نظام مفهل جداً اذا قورن بنهج ابن حوقل المتبدل .

مصره ، ويتقسم إلى عدة كور . وتحكم قصبه الكورة عدة مدن (٥١) .
ويبقى الرستاق والناحية على حده . فالرستاق صغير جدا لا يصح ان
يشكل كورة لوحده . مع ذلك يتمتع ضمن الكورة بمكانة خاصة :
مثال واحة الغوطة وحوران لكورة دمشق (٥٢) ، والناحية اوسع من
الرستاق ، الا ان وضعها يشبه وضعه بالنسبة إلى الكورة او الاقليم .
مثل بلد مرو في خراسان ، احد جانبي المشرق (٥٣) مثلما مر معنا .
اما الشيء الجوهرى ، اي المراتب ، فتبقى قائمة ، ويقول المقدسي :
« اعلم انا جعلنا الامصار كالمملوك ، والقصبات كالخجاف ، والمدن
كالجند ، والقرى كالرجالة » (٥٤) ويستأنف المقدسي (٥٥) كلامه
عن المصر ويقول : « وقد اختلف في الامصار . فقالت الفقهاء :
المصر كل بلد جامع يقام فيه الحدود ، ويحله امير ويقوم بنفقاته ،
ويجمع رستاقه مثل عثر ونابلس وزوزن . وعند اهل اللغة . المصر
كل ما حجز بين جهتين مثل البصرة والرقه وارجان . والمصر عند
العوام ، كل بلد كبير جليل مثل الري والموصل والرملة . واما نحن .

(٥١) المقدسي ، ٩ ، آخر ٤٧ .

(٥٢) المقدسي - ٧ - ١٥٤ واماكن اخرى .

(٥٣) المقدسي ، ٤٧ - ٨٠ آخر ١٤١ ، ٢٩٥ ، ١٤٢ واماكن اخرى . هذا التصنيف
ليس مضمونا على الدوام (البقاع معتبرة رستاق أو ناحية : المقدسي - ١٥٤ . وسجستان
جزء كبير من المشرق - يسمى مع ذلك كورة ، تابعة أحيانا لكورة نيسابور : المقدسي -
٢٩٧ - ٢٩٩) ، ويعترف المقدسي أحيانا بترده : المقدسي ، ٣٠٩ (ح ١) .

(٥٤) المقدسي - ٤٧ - انظر أيضاً ١٥٦ ، ٤٠٤ - ٤٠٥ .

(٥٥) المقدسي ، ٤٧ ، حول مصر واقليم انظر أيضاً المرجع ذاته ، ٨٤ ، ١٩٧ ،
آخر ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨٢ ، ٤٢٣ ، ٤٧٥ (هنا امصار بمعنى مدن كبيرة) .
حول تعريف آخر للمصر ، انظر ابن الفقيه ، ٥٧ (ترجمة ٧٢ ح ١) .

فجعلنا مصر كل بلد حله السلطان الاعظم ، وجمعت اليه الدواوين (٥٦) وقلدت منه الاعمال ، واضيف اليه مدن الاقليم مثل دمشق والقيروان وشيراز . »

هذا النص اساسي لتعريف مصر الاقليم . فلو رفضت الصورة التاريخية . نسبة إلى التاريخ ، بمعنى الماضي الغابر ، اي المدينة التي اسسها الفاتحون المسلمون لسيطروا على احدى البلاد ، وينطلقوا منها في حملات حربية اخرى تستهدف فتح اماكن جديدة ابعد منها ، مثلها البصرة الواقعة على تخوم الارض العربية ، وميزتها انها تقابل فارس . ومثلها وقياسا عليها ، الحواجز الموضوعة في الرقة وارجان ، بين الشام والجزيرة ، وبين خوزستان وفارس . بعد هذا الايضاح ، نقول ان المقدسي اخذ عن التعريفين الباقيين ، فاحتفظ من الاول بفكرة المركز الاداري والارضي ، ثم رفض المدن الصغيرة التي قصد من ذكرها (٥٧) رفعها إلى مستوى المدينة الكبرى المعروفة بين الناس ، ووضعها في اعلى سلم السلطة العليا ، والاقليم . لا في الرستاق .

وتفيد المدن الثلاث ، الواردة في آخر النص (دمشق ، القيروان ، شيراز) كثيرا في تعريف الاقليم . فالسلطة العليا المنوه بها لا يمكن ان يقصد بها شيراز لأنها كانت آنذاك خاضعة لاسرة البويهيين التي امتدت سيطرتها حتى بغداد، ولا دمشق التي كانت مقر الخلافة ولم تعد، مقرها ولا القيروان التابعة لحكم الفاطميين في الفسطاط . اذن يجوز الاستنتاج

(٥٦) دواوين : سجلات و ، أو ، مكاتب . انظر أيضاً المقدسي ، ٤٢٣ .

(٥٧) عشر ، نابلس وزوزن مدن من جزيرة العرب (على حدود الحجاز واليمن) وفلسطين وقوهستان (بين سجستان وخراسان) .

— الذي تؤيده قراءة احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (٥٨) ، والاحتفاظ عمليا باربعة عشر اقليما — ان الاقليم منطقة طبيعية قبض لها في فترة تاريخية ، اما ان تبسط سلطتها المطلقة على مناطق اخرى ، واما ان تمارسها على ارضها في الحد الأدنى ، وفي أسوأ الاحتمالات ، نيابة عن سلطة مركزية خولتها اياها .

ولا يكتفي المقدسي بتحديد اسس تعريف الاقليم ووجوده ، بل يحاول ان يبرز بدقة في كل اقليم ، صفات مميزة ، تؤهله لاحتلال مكانته . فكأنني به يلبس اقليمه الاربعة عشر لبوسا استعراضيا تزداد قيمته بلمسات دقيقة خاصة تشبه قليلا الاوسمة او الشعارات الرفيعة . اتعاضى عن مقاطع لا تخصي يثبت فيها المقدسي خريطته او يحدد

(٥٨) من أجل ذلك يمكن العودة الى التاريخ وفي المصنف ذاته ، الى جدول الولايات التي يحددها المؤلف لكل اقليم . جزيرة العرب : مركز الاسلام الديني ، ومركز سياسي في عهد الرسول وفي عهد خلفائه مباشرة ، حتى لو تجزأت السلطات فيهما في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (المقدسي ، ٦٧ ، ١١٤) . العراق : مركز الخلافة العباسية (المقدسي ، ١٣١ - ١٣٣) . الجزيرة (اقور) : لا عنوان عن الولايات ، لكن مقر السلاطة الحمدانية (انظر المقدسي ، ٣٧٥) . الشام : مقر الخلافة الأموية . في القرن ٤ / ١٠ م : السلطة موزعة بين الفاطميين (الفسطاط) والحمدانيين (المقدسي ، ١٨٩) . مصر : « قبة الاسلام » الخلافة الفاطمية (المقدس ، ١٩٣) المغرب : الأمويون في الأندلس سلطات متفرقة في غيرهم ، ثم الفاطميون (المقدسي آخر ٢٢٧ ، ٢٣٤ - ٢٣٥) . المشرق : قلنا إن المقدسي يعني به التسمية السامانية (المقدسي ، آخر ٧ ، ٣٣٧ - ٣٣٩) . الديلم : البويهيون (المقدسي آخر ٣٧٠) . الرحاب (ارمينية ، اران ، اذربيجان) : حالة خاصة : حدث الجمع هنا بهذا اللفظ الوحيد (رحاب : جبال) باسم هامشية مشتركة (بلدان تغور ضد العدو) لا يمكن الاجتماع بالسلطة هنا (المقدس ، ٣٧٣ ، ٣٧٥) . لكن (انظر ابن حوقل ٣٣١ : الوصف ككل باسم وحدة السلطة في هذه المناطق) الجبال : البويهيون (المقدسي ، ٣٩٩ - ٤٠٠) خوزستان : لا عنوان خاص ، لكن تخضع لسلطة البويهيين (المقدسي ، ٤٠٤ ، ٤١١) (٤١٣ ، ٤١٩) . فارس : البويهيون (المقدسي ، ٤٤٩) . كرمان : السلطات متفرقة قبل البويهيين ، التابعين للسامانيين (المقدسي ، ٤٧٢) . السند : سلطات مستقلة أو تبعية بعيدة للباسيين والبويهيين والفاطميين (المقدسي ، آخر ٤٨٤ - ٤٨٥) .

تخومه ، او يبرز الحاق هذا البلد او ذاك بهذا الاقليم او ذاك (٥٩) .
والقت النظر إلى ما فيه مزيد من الاقتناع : فالمقدسي يستهل كل فصل
ببضعة أسطر يصف فيها الاقليم كما قلت . كذلك يفعل في مطلع العرض
الموسوم « جمل شؤون الاقليم » ، وفيه تعداد الخصائص الاساسية
التي تتألف منها قسّمات البلد الاصلية .

اخيرا ، وعلى وجه التخصيص ، يتدخل الجغرافي ، باوسع مدلول
هذا اللفظ ، ويحلّق احيانا فوق الاقليم من علو شائق ، ليصف منظر
الارض الطبيعي . وهنا تتجلى اصالة المقدسي في تدويناته ، سواء اعلن
عنها بعنوان « وضع الاقليم » ، ام لم يعلن - دون غيرها على الأرجح .
وقد حللتها في دراسة اخرى (٦٠) . واوجز الآن الاقاليم المحلق
فوقها (٦١) فقط . فمثل جزيرة العرب كمثل صُفّة وضع فيها سرير ،
تتنصب جبالها على واجهاتها البحرية الثلاث كالحيطان ، وتقابل البادية

(٥٩) بشأن هذه النقاشات أو التدقيقات عن تحديد الأقاليم ، أو غيرها من البلدان
أو الأنظمة المتنوعة المتعلقة بالمدن في علاقتها بالبلدان المتسلطة عليها ، وكلها تعتمد على
كثير من الحجج التاريخية أو الجغرافية أو اللغوية أو الشرعية ، انظر المقدسي ، ١١٤ -
١١٥ - ١١٦ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، آخر ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٩ - ٢٧١ ،
آخر ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩٨ - ٣٠١ (ح ب) ٣٠٩ (و ح ١) ٣١٣ (ح د) ٣٥٣ ،
٣٧٥ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ - ٣٨٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ - ٤١٣ ، آخر ٤٢١ - ٤٢٢ ، ٤٢٣ ،
٤٧٢ - ٤٧٤ - ٤٨٤ وأماكن متفرقة .

(٦٠) الأهم في الحد الأدنى في « بعض نصوص المقدسي عن تقديم اقاليم دار الاسلام :
الجغرافية والذهنية » ، دراسات عربية . تحليل ، نظريات ، عدد خاص ١٩٧٩ (٢ / ٣)
ص ٢٧٧ - ٣٠١) .

(٦١) المقدسي ، ٩٤ - ٩٥ (جزيرة العرب) ، ١٢٤ (العراق) ، ١٨٦ (الشام)
٢١٢ (مصر) ، آخر ٣٠٦ (جزء من خراسان وسجستان) ، آخر ٣٥٣ (الديلم) .
٤٤٧ - ٤٤٨ (فارس) ، ٤٧١ - ٤٧٢ (كرمان) ٤٨٤ (الهند) .

باب الصفة من الجهة الرابعة الحرة المفتوحة .. والعراق محصور بين نهري دجلة والفرات اللذين يرويانه ، ويرنو إلى البحر الذي يصبان فيه . والشام أربعة صفوف . فالصف الاول يلي بحر الروم وهو السهل . والصف الثاني الجبل . والصف الثالث الاغوار (الارنط، البحر الميت) . والصف الرابع سيف البادية (٦٢) . ومصر قريبة من نموذج الشام . ففيها خمسة صفوف ، هي وادي النيل ، محور الصفوف ، الذي يحف به من جانبيه سلسلة جبلية تقع على تخوم الصحراء ، وتنخفض جميع الصفوف في الشمال في الدلتا المستوية الممتدة على وتيرة واحدة ، التي تؤلف ما يشبه رأس هذا الاقليم المستطيل . وتشمل البلاد الممتدة من بلخ في خراسان إلى سجستان ، مروا بغزنه في افغانستان ، اربعة صفوف متعرجة . والديلم اقليم جبال عالية تحتضن قوسها بحر الخزر . وتقسم فارس إلى ثلاثة اقسام طولانية مناخية : ففي الشمال الصرود الباردة ، وفي الجنوب الجحوم الحارة ، وبينهما الجزء المعتدل . ويشبه تقسيم كرمان تقسيم فارس ، الا ان جرومها ثلثا اقليمها . اخيرا شرقي اقليم السند بحر فارس ، وغربه كرمان ومفازة سجستان واعمالها . وشماله بقية بلاد الهند ، وجنوبه مفازة بين مكران وجبال القفص .

قلنا من قبل ان الاقليم يقسم ، بعد مصر ، إلى عدة كور ، تسيطر كل منها على عدة مراكز او مدن . ولم يطلق اسم خاص على الارض التابعة للمدينة ، لكنها تضم عدة قرى . والمهم هنا تحديد الفرق بين

(٦٢) توزيع تحققة دائرة الأرض المقدسة : انظر ما تقدم الفصل الأول و « بعض نصوص . . . » مقالة شار إليها ص ٢٧٩ - ٢٨١ .

القرية والمدينة . ويتحدث المقدسي عن بلاد بخارى ، ويقول (٦٣) :
« وههنا قرى كبار ، لا يعوزها من رسوم المدن وآلاتها (٦٤) الا
الجامع » . ويقول في مكان آخر (٦٥) : « ولم تكثر مدائن مصر ،
لأن أكثر اهل السواد قبط (٦٦) ولا مدينة في قياس علمنا هذا الا اذا
بمنبر » . وهنا جوهر الموضوع : فالمدينة لا يعترف بها مدينة الا اذا
كانت احد مراكز السلطة عن طريق مسجدتها الجامع ، ومنبرها الذي
يذكر من اعلاه في صلاة الجمعة الجماعية اسم من يتولى الحكم من
مكان بعيد او قريب .

لا شك ان هذه القاعدة تحتل بعض الاستثناءات ، كما في
فلسطين في بعض القرى — من امثال اللد ، وكفر سابا ، وعافر ،
او يَبْنَتَا، او عماوس ، او كفر سَلَّام . وهذه قرى جليلة ذات منابر
« اعمر واجل من أكثر مدن الجزيرة . وهي مذكورة . غير انه لما
لم يكن لها قوة المدن في الآثين ، ولا ضعف القرى في الحمول ، وتورد
امرها بين الرتبين، وجب ان نستظهر بذكرها، ونبين مواضعها » (٦٧) .
مع ذلك ، يعود المقدسي إلى مبادئه بعد عرضه الاستثناء السابق لصالح

(٦٣) المقدسي — ٢٨٢ .

(٦٤) الات : ربما مرتكزات المعرفة والثقافة : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٢ و
دوزي ، ج ١ — ٤٤ .

(٦٥) المقدسي ، ١٩٣ . انظر أيضاً المرجع ذاته ، ٤٠٩ (وحى آخرها)

(٦٦) ورد في النص السواد أي البلاد المزروعة ، المزارع .

(٦٧) المقدسي، ١٧٦ . انظر أيضاً ١٥٥، ٢٦٧ (ح ج : ذكر قرى أهم من المدن)
والعاشية التالية .

موطنه ، ويقول (٦٨) : « ربما نذكر مدنا هي اصغر من قرى كثيرة في اقاليم أخر . ولكنها مشهورة في المدن . وعلينا موضوع على التعارف . الا ترى ان مخا والجامعين والمنيفة مدن بلا نزاع . وكفر سلام وقصر الريح ورأس التين اكبر منهن ، وهي قرى بلا خلاف (٦٩) واعلم ان الكورة لا تجل بكثرة مدنها ، ولكن بجلالة رسائيقها (٧٠) . الا ترى جلالة نيسابور أو بخارى مع قلة مدنها ، وإلى بئس زبيد وهجر (٧١) مع كثرة مدنها » . ونذكر الآن ان العبرة واضحة . فعظمة احد البلدان ترتبط بسبين : ثروتها الناشئة من القرى والحقول المغذية ، ثم السلطة التي تعتمد على المدينة وجامعها ومنبرها .

هذه هي الجغرافية ، ذلك العلم الذي يفهمه المقدسي على هذا النحو ، ويطلبته . فمملكة الاسلام مؤسسة عامة تزهو باقاليمها الاربع عشرة ، التي يقابلها اهتمام ينصب على تفاصيل ما في كل اقليم . ونود اعطاء بعض الامثلة الاضافية في الختام . فنذكر دوما الحرص على

(٦٨) المقدسي ، ٢٢٨ ، انظر أيضاً المرجع ذاته ، ٧١ : « واكثر مدن هذه الجزيرة صغار لكنها على اثنين المدن » ١٢١ (ذكر مدن العراق الخالية من البهاء ، الشبيهة ببعض قرى فلسطين) .

(٦٩) الاسماء الثلاثة الاولى مدن الاولى لخامن جزيرة العرب والثانية الجامعين من العراق والثالثة مجهولة (يقترح دي خويه الكسيفة ، بين البحر الميت وبئر سيع الحالية : انظر المقدسي ، ١٧٣ ، ح ي ، و ٢٥٦ ، ح ب ، لكن لا يرد هذا الاسم الا في لائحة المدن الشامية المذكورة عند المقدسي ، ١٥٤ - ١٥٥ . ويذكر معجم البلدان لياقوت ج ٥ . ٢١٧ بهذا الاسم واسم المنيف منهلاً أو قلاعاً في جزيرة العرب) . والاسماء الثلاثة التالية قرى في فلسطين (ذكرت من قبل) وفي منطقة نيسابور ، والثالث مجهول أيضاً (رأس في برقة يحمل هذا الاسم حالياً) .

(٧٠) يبدو ان الرستاق وقراء أصبح تقسيماً نظامياً في الكورة .
(٧١) كور جزيرة العرب ، وزبيد (انظر ما تقدم حاشية ٤٩) أحد مصرى الاقليم حول مدن جزيرة العرب ، المعتمدة مدنا رغم حجمها ، انظر ما تقدم الحاشية ٦٨ .

تحديد الاراضي (٧٢) ، وتدقيق تبعية المدينة ، ونطاقها ، والبلد الذي يحيط بها ، فيؤلفان معا رقعة واحدة (٧٣) . واذكر ايضا الحرص الذي يميز وراء التصنيف الرسمي — والمعتبر رسميا عند المقدسي — اي مصر ، القصبة ، المدينة ، القرية ، مراتب اخرى ، لا تتفق دوما معه ، اقصد الترتيب حسب الحجم والثروة ، الذي تدل عليه تفاصيل جملة مثل المدن الامهات او الاساسية او الاولى التي يعثر عليها هنا وهناك (٧٤) .

وتعتمد مصطلحات المقدسي (٧٥) احيانا على الاعراف المحلية . ففي خراسان مثلا ، بل في بلدة نيسابور بدقة ، يبدو ان خزانة (حرفيا اهراء) تدل فعلا بالنسبة إلى المدينة الكبيرة ، على قسم اداري يؤمن لها الغذاء (٧٦) . اخيرا الاندلس (٧٧) . مثال آخر . فالمقدسي لم يزرها ، ويعترف بعجزه عن تكويرها (٧٨) . لكنه لا يعلن عن

(٧٢) انظر ما تقدم ، حاشية ٥٩ .

(٧٣) رقعة : المقدسي ، ٢٦٦ (س ٩) ، ٢٧٣ (ح بي) ، ٢٧٥ (س ٥ و ١٢) .
جمع ، جامع المقدسي ، ٩ (ح لام) ، ٤٧ ، ١٠ (س) . قام (بنفسه ، بنفقته) لمرجع ذاته و ٣٠١ (ح ب) .

(٧٤) امهات من أجل المدن والقرى والتقسيمات الادارية : المقدسي ، ٤ (س ١٢) ٢٩٨ (س ٧) ، ٣٠٦ (س ١١) . أصل : المقدسي ، ٢٧١ (س ٦) ، ٢٩٨ (س ٧) .
قائد المقدسي ، ٢٧٠ (س ١٥) .

(٧٥) انظر ما تقدم ، التنظيم الاداري . . . الحوشي .

(٧٦) المقدسي ، ٢٩٥ ، ٣٠٠ - ٣٠١ (ح ب : جعلت خزانة معادلة لخزانة) ٣١٢ ، ٣١٩ (ح ج) .

(٧٧) عن تنظيمها الاداري ، انظر ليفي بروفنسال ، تاريخ الأندلس المسلمة . باريس - ليدن . ١٩٥٠ و ١٩٦٧ - ٣ مجلدات انظر م ٣ ، ٤٧ وما يليها .
(٧٨) المقدسي ، ٥٧ - ٢٣٥ .

هزيمته تماما ويقول ان بعض الاندلسيين حدثوه ان في الاندلس (٧٩) ،
اضافة إلى بعض النواحي ، ثلاثة عشر إلى تسعة عشر رستاقا ، تعادل
بالتالي الكور ، وتقسم إلى اقاليم اي رساتيق حسب نظام المؤلف (٨٠) .

لقد اودت الاحداث بتقسيم دار الاسلام إلى اقاليم على النحو
الرائع المعروف . ولم يعد لرقعتها الواسعة عاصمة واحدة ، بل ثلاث
عواصم وثلاث خلافات متخصصة في قرطبة والفسطاط وبغداد ،
يضاف اليها التوتر بين اقطاب السلطة الثلاثة وقطب رابع هو قطب
الايما في المدينتين المقدستين مكة والمدينة . ونغفل ذكر السلالات
المحلية . فقد تجزأت دار الاسلام سياسيا ، لكنها سوف تصمد :
قطعا لا كجماعة تحكمها سلطة موحدة او تتطلع إلى الوحدة ، بل
كدنيا حية . بهذا المعنى ، يعدّ مصنف المقدسي نموذجيا . ويؤول
تركيبه الكامل إلى التغلب على الواقع ذاته ، لأن البلدان الاربعة عشر ،
المقدمة لنا ، تمثل اعلان مبادئ ، وتنبؤنا ان بقاءها يساعد التاريخ
والجغرافية ، عند اتحادهما ، على تجاوز تقلبات التاريخ بمفرده . ثم
ان هذه الاقاليم المسلمة الاربعة عشر ، ليست بلدانا منعزلة رغم
اصالتها . فمن خلالها تراءى دنيا دار الاسلام او مملكة الاسلام شبه
بهية عظيمة كلها حياة ، تضم مدنا وطرقا تنقل عليها السلع والახبار
والثقافة والنظام الاجتماعي . ويبدو ان تنظيم دار الاسلام يكمن في
النهاية في الصلات القائمة بين المسلمين على الارجح .

* * *

(٧٩) يسميها المؤلف هنا ناحية : المقدسي ، ٢٢٣ .

(٨٠) المقدسي ، ٢٢٣ - ٢٣٥ - ٢٣٦ .

الفصل السابع

الطرق البرية والمائية

ادرك موريس لومبار جيدا ان مملكة الاسلام ورثت اراضي امبراطورية الاسكندر والنصف الجنوبي من اراضي الامبراطورية الرومانية ، وربطت الشرق الاقصى بحوض البحر المتوسط (١) . ومثلت منطقة ممرات حيوية : بين الاندلس والمغرب وبين البحر المتوسط والبحر الاحمر عبر البرزخ المصري او بين بلاد ما بين النهرين التي تعتبر مفترق طرق اخرى تذهب إلى روسية الانهار الكبرى او إلى الصين : نعتي طريق الحرير الشهيرة . فمن الشمال إلى الجنوب ، ومن الغرب إلى الشرق ، تعد الامبراطورية العربية الاسلامية عالما واسعا يمتد على البر وعلى البحر ، لا كحيزين مغلقين ومنعزلين احدهما عن الآخر ، بل على النقيض ، كحيزين يحل فيهما ، عند بلوغ البندر، هنا وهناك، شق السفينة عباب الماء محل تصاعد الغبار وراء القافلة.

(١) م . لومبار ، الاسلام في عظمته الاولى ، باريس ، ١٩٧١ ، المدخل الفصول

على البحار الشرقية

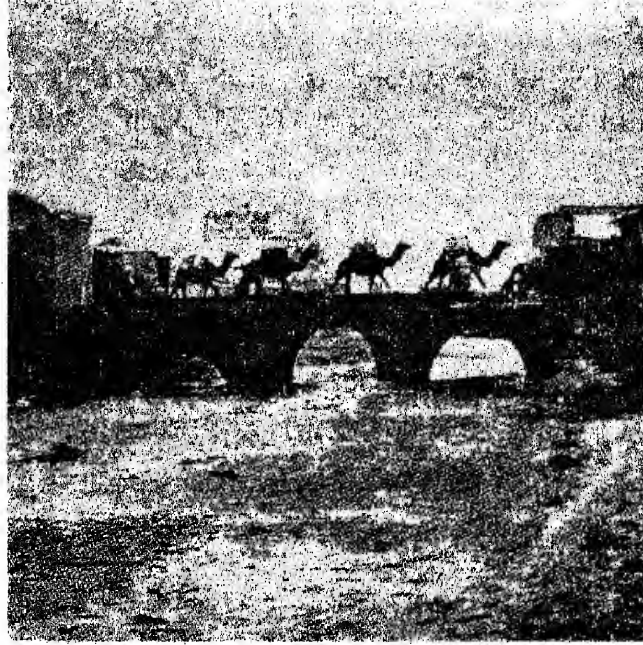
ولكل مقام مقال . فلا بد لنا ان نبدأ بحثنا بالحديث عما يمكن تسميته بالحادة الامبراطورية الزاهية من العراق الى بحار الشرق الاقصى . فقد ازدهرت تجارتها البعيدة العظيمة ، ينشطها استهلاك المدن الكبرى الواقعة في بلاد ما بين النهرين مثل بغداد وسامراء ، ثم تقهقرت قليلا في اعقاب نشوب الاضطرابات في الصين ، لكنها بقيت في نهاية الامر منتعشة تركز على البصرة « فرضة البحر ومطرح البر » (٢) ، وتحمل سلعها الى الهند وإلى شبه جزيرة ملقة وما وراءها . وقد سبق واشرت في مكان آخر إلى مراحلها وخطارها وجزرها العجيبة بعض الشيء ، وتجارها وبحارتها (٣) . لذلك اكتفي هنا بقول كلمة وجيزة عن بذخها الاسطوري الذي يظل السندباد البحري رمزا له حتى في ايامنا . ويقول المقدسي عن تجارة الشرق الاقصى : وبتجارات الصين تضرب الامثال ، ثم قولهم : جاؤوك تجرا او ملكا (٤) .

وتتم طرق فرعية المحور الحيوي السابق : اولاهها طريق البحر الاحمر التي تمون المدينة ومكة ، المركزين المدينين الكبيرين اللذين يزدهمان بالسكان ابان الحج . وتستقبل فرضتا البحار وجدة السفن القادمة من القازم وويلة في اقصى الخليجين اللذين نسميهما اليوم خليج

(٢) المقدسي ، ص ١٢٨ .

(٣) جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ص ٧١ وما يليها .

(٤) المقدسي ، ص ٩٧ ، في حديثه عن المرافئ العربية الا ان هذه الصيغة صحيحة اجمالا



(تصوير رولان وسبرينة ميشو / رافو)

طريق الحرير : قافلة على جسر تشكرغان في آسية الوسطى

السويس وخليج العقبة (٥) وتضاعف حركة سفن اخرى حركة طريق

(٥) اليعقوبي : ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣٤٠ . المقدسي : ٧٩ ، ٩٧ ، ١٧٨ ، ١٩٦ ، ٢١٥ . تسمى جدة والتجار « خزانتي مصر » ، أي انهما تقدمان اغذية مستجلبه من هذه البلاد . وتسمى ويلة « فرضة فلسطين وخزانة الحجاز والقلزم خزانة مصر وفرضة الحجاز ومغوة الحاج » . ويمكن فهم تعبير خزانة مصر في هذه الجملة بمعنى ان مصر تزود بالأغذية أو تزود غيرها بها ، وفي جميع الأحوال ، بمعنى مرور الأغذية ، لأنه ورد في مكان آخر ان القلزم بلد قديم يابس عابس (المقدسي : آخر ١٩٥ - ١٩٦) . ويعبر على نص يشير الاهتمام عند السيوافي ، ١٢٠ : جدة فرضة تنقل فيها حمولة السفن الكبيرة القادمة من سيراف الى سفن صغيرة ، يسهل عليها تحاشي الصحور والسفر بين جدة والقلزم .

البحر الاحمر او تمددها . فالملاحة الشاطئية تستمر بعد جدة مجارية جميع سواحل جزيرة العرب حتى البصرة وتتميز فيها (٦) بعض النقاط الهامة ، كالفرض التي تخدم الداخل ، وكالممرات الصعبة ايضا ، والطحال ، والاقنية الضيقة الخطرة ، والدردورات ، والصخور الناتئة ، والمضايق المعرضة لمهب الرياح ، وتتتابع كلها من المكان الذي غرق فيه فرعون إلى الخشبات القريبة من مشارف البصرة . فهنا ، في هذا المكان الخطر إلى اقصى حد ، يسافر اربعون مركبا فيرجع واحد ، فيما يقال . وفيه اغرقت احيانا مراكب مليئة بالحجارة لتخفيف الدورات الناشئة عن التقاء مياه الانهر الكبرى بمياه البحر . ونصبت احيانا اخرى جذوع عليها بيوت ، ورتب فيها قوم يوقدون النار بالليل لكي تتباعد عنهم المراكب .

وبلحزيرة العرب الجنوبية ، بحمد ذاتها ، ادوار اخرى غير دورها كموضع مراحل على الطريق الذاهبة من مصر إلى العراق . فهي تستقبل السفن التي تأتي اليها باستمرار من اثيوبية الغربية (٧) . من ناحية اخرى ، يوصف لنا بندرها الكبيران ، عدن اليمنية وصحار العمانية ، ويقال انهما « دهليزا الصين » ، « وخزانة الشرق والغرب » ، ومغوثتا العراق واليمن ، « وفرضتان عالميتان » اجمالا : اذن لهما دور دولي ، خاصة باتجاه عرض البحر الفسيح ، مقابل آسية البعيدة (٨) . الا ان

(٦) المسعودي (م) : فقرة ٢٤٢ ، ٣٦١ - ٣٦٢ . ابن حوقل : آخر ٤٥ ، ٢٣٧ ، ٢٥٧ . المقدسي : ١١ - ١٢ ، ٨٦ ، ٧٩ .

(٧) المسعودي (م) : فقرة ٨٧٧ .

(٨) البعقوبي : ٣١٩ . ابن خرداذبة : ٦١ . المقدسي : ٨٥ (والحاشية ز) ، ٩٢ ، ٩٧ (حاشية ه) . انظر أيضاً بالنسبة الى ساحل الخليج الفارسي والمرافى الواقعة بينه وبين الهند : ابن حوقل : ٣٠٩ ، ٣١١ ، المقدسي : آخر ٩٣ ، ٤٢٦ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ .

جزيرة العرب تشكل ايضا منطلقا او مرحلة لطريق اخرى تقود إلى متاجر افريقية الشرقية ، في بلاد الزنج معدن الذهب والرقيق (٩) ، التي تدفع هي ايضا إلى رؤية اجن الاحلام . ولما دخل المقدسي عدن ، تذكر ما قيل له عن هذه البلاد من ان تاجرا دخلها بمائة دينار فرجع بخمس مائة . وذهب اليها تاجر آخر بالف درهم فرجع بالف دينار . . . فيها هو يقع في هوة الضلال الذي يصبه عن طريق الورع والخلاص . وتبدو له عدن تماما مثاما وصفت له بل اشد اغراء . ويغره الشيطان ، فيقرر هو ايضا ان يذهب إلى بلاد الزنج ايجرب حظه . ويعبد نفسه ويعاقد شريكا يموت . فتزول المنشاوة عن عينيه ، وينقذه الله (١٠) .

بحار اخرى على الاجمال وبعض الانهار

قد يقال مرة اخرى ان غرب مملكة الاسلام يتحمل نتيجة هامشية في نظر جغرافية شرقية الطابع . ففيه تشير اسماء البنادر إلى الطرق البحرية ازوال روعة المسالك المستمرة التي كانت تدور بالناس حول جزيرة العرب او تقودهم إلى افريقية الشرقية او إلى الصين . والحقيقة ان حصيلة جمع المعطيات هزيلة . ففي أقصى الغرب ، تؤمن السفن ، عبر مضيق جبل طارق ، الاتصال بين واجهة المغرب الشمالي الاطلسية وبين البحر المتوسط (١١) .

ففي الاندلس ، اشتهرت مدينة اشبيلية التي تتم فيها حركة ملاحية كثيفة في نهر الوادي الكبير وفي البحر ، ومدينة طرطوشة التي يرتادها

(٩) يعقوبي : ٣٦٦ - ٣٦٧ . ابن خرداذبة : ٦١ . الهمداني : ٥٢ . وجغرافية دار الاسلام ، ج ٢ : ١٢٨ - ١٣٠ و ١٦٧ - ١٧٣ .
(١٠) المقدسي : ٩٧ - ٩٨ .
(١١) ابن حوقل : ٨٠ ، ٨١ (المراكب الاندلسية) .

ملاحو جميع البلدان وتجارها ، خاصة « الافرنج » (١٢) . وبرز شواطئ المغرب المتقابلة للاندلس نشاطها وارتباطها ببعض المدن البحرية الصغيرة — المحصنة أحيانا — التي تتعاقب أسماؤها على الخريطة : مثل طنجة ، وسبتة ، ونكور ، ومليلة ، وارجكوك ، ووهران ، وتنس ، وشرشال ، والجزائر ، ومرسى الدجاج ، ومرسى بني جناد ، ويجاية ، وجيجل ، وبونة وطبرقة (١٣) .

ويقال لنا ان الاستمرار في الاتجاه إلى الشرق يوصل إلى حيث ترتاد سفن الروم (١٤) البحر المتوسط وان المهدية التونسية تؤمن المواصلات البحرية بين جزيرة صقلية وبين مصر (١٥) . ونتوقع ان تذكر لنا الاسكندرية في مصر . لكن تسمى عوضا عنها تنس ودمياط اللتان ترسو فيهما المراكب القادمة من الروم ومن جزيرة قبرص وجزيرة اقريطس ، ومنهما يقطع البرزخ لبلوغ البحر الآخر (١٦) . اما الشام وفلسطين ، فلا يشار فيهما الا إلى المدن باسمائها وعندما تكون حصونا — بسبب تهديد الروم على الدوام — أو إلى المرافئ مثل عسقلان ،

(١٢) الرازي : ٧٢ ، ٩٣ .

(١٣) ابن حوقل : ٧٤ ، ٧٦ — ٧٩ . المقدسي : ٢٢٨ ، ٢٢٩ . اسحاق : ٤٥٢ .

(١٤) المسمودي : فقرة ٨٧٩ (م) . انظر أيضاً اليعقوبي : ٣٥٣ — ٣٥٤ : تسير السفينة في البحر مسلحة غير موعلة في ذهابها من المغرب إلى مصر (انظر أيضاً ، المرجع ذاته : ٣٤٣ : بنادر برقة .

(١٥) ابن حوقل : ٦٨ — ٧٠ (بنادر سرت وطرابلس وسفاقس) ، ٧١ ، آخر ٧٢ (بنادر سوسة) . المقدسي : ٢٢٦ . انظر أيضاً اليعقوبي : ٣٤٨ (الركوب من رأس إلى قلية) .

(١٦) اسحاق : ٤٤٦ — ٤٤٧ . المقدسي : ٢٠١ — ٢٠٢ .

ويافا ، وعكا ، وصور ، وصيدا ، وبيروت ، وطرابلس ، وطرطوس
وجبله ، واللاذقية ، والاسكندرون والتينات (١٧) .

ويمثل مجمع ماء الخزر حالة مستقلة . فهل هو بحرام بحيرة ؟
يتحدث الجغرافيون عن خصائصه وعن مصاعبه (١٨) : الا ان له
ناحية واحدة ثابتة : هي دوره في تجارة تلك الايام ، بسبب موقعه
بين دار الاسلام وبين روسية الرقيق والفراء . ولا تذكر جميع بنادره
الموزعة على سواحله ، بل يُكْتَفَى بالاشارة الى ثلاثة منها تعد اساسية
لحركة الملاحة : هي باكو وخاصة دربند (باب الابواب) في غربه ،
ثم ابسكون في زاويته الجنوبية الشرقية ، ويسمىها المقدسي « فرضة
جرجان ومطرح الرحاب » (١٩) .

ولا تكتمل صورة الملاحة بدون الحديث عن المراكب النهرية :
وهذه المراكب عادية جدا ، لا ينوه بذكرها الا عرضا ، كما يجري
في مصر ، متى كانت واردة في التاريخ منذ زمن بعيد : والحاجة اليها
ماسة جدا ، حتى ليشار اليها فورا اذا كان وضعها غير مستقر او
كانت غير موجودة ، كما هي الحال في سجستان او اشروسانة ،
شرقي سمرقند (٢٠) . وتهيمن على المشهد الطبيعي ثلاث شبكات

(١٧) اليعقوبي : ٣٢٤ - ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٨ . ابن حوقل : ١٧٤ - ١٧٦ ،
١٨٢ ، ١٨٨ . المقدسي : ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٤ . يبرز نص ابن حوقل ضمن
الروم على الثغور البحرية (غارات بحرية ، حملة فقنور فوكاس) .
(١٨) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ : ٢٤٣ - ٢٤٤ .
(١٩) المسعودي (م) : فقرة ٤٦٣ . المسعودي (ت) : ٩٣ (فراء تنقل على نهر
اقل وتصدر حتى المغرب) . ابن حوقل : ٣٣٩ - ٣٤٠ ، آخر ٣٨٢ - ٣٨٣ ، ٣٨٨ ،
٣٩٨ . المقدسي : ٣٥٨ - ٣٧٦ .
(٢٠) ابن حوقل : آخر ٤١٧ - ٤١٨ - ٥٠٥ .

نهرية، عدا الانظمة الصغيرة او المنعزلة وهي النيل ، وانهار بلاد ما بين النهرين (خوزستان) ، وجيخون وسيحون في آسية الوسطى (اموداريا وسيرداريا)(٢١) . وتبرز المراكب النهرية بهجة المياه الجارية، تصحبها الحقول المقسمة إلى مربعات باقنية الري ، والطواحين ، وارواء العطش على الدوام : وتظهر مسرات الحياة متشابهة في جميع الاماكن .

ويعبر عنها المقدسي في حديثه عن الاهواز في خوزستان او عن بغداد ، ويقول : « والناس في بغداد يذهبون ويحيثون ويعبرون في السفن، وترى لهم جلبة وضوضاء : وثلاثا طيب بغداد في ذلك الشط»(٢٢)

طرق افريقية

لابد لنا ان نسلم بان الطريق ، نقصد طريق القوافل ، عنصر حيوي في الدولة الواسعة التي تشكل مملكة الاسلام : وحجتنا الصفحات الطوال التي افردتها لها المؤلفون المختصون في وصف دار الاسلام في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، ثم المسالك ، الرئيسة والثانوية ، والمنازل التي يتكرر شرحها في الاقاليم اقليما اقليما (٢٣) : وينبغي ان

(٢١) احيل بشأن هذا البحث الى العرض الكامل لانهار دار الاسلام في حواشي جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ : ١٣٧ وما يليها ، ١٧٣ - ٢٢٥ .
(٢٢) المقدسي : ١٣٤ (مشار اليه في جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ : ١٣٧) ، آخر ٤١١ - ٤١٢ .

(٢٣) عرض منهج عند المقدسي بعنوان خاص : المسافات . يلاحظ ان المسالك يمكن ان تندرج في الأدب بشكل مقاطع : انظر ابن الفقيه : ٢٢ ، ٣٠ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٧ - ١٠٢ ، ١١٦ ، آخر ١٣٣ ، آخر ٢٠١ - ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ، آخر ٣٠٢ - ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ - ٣٢٩ .

يرسم اطللس كامل لجميع هذه الظاهرات ، وان كان عمله لا يجدي وتنخلله صعب مردها في الغالب إلى نقص في دقة التسميات ، وتبديل محال المنازل او زوالها منذ ذلك الزمن البعيد وحتى ايامنا الحاضرة (٢٤). ويسلك هذه الطرق خليط من الناس يشمل اصحاب البريد ، وعلماء يفتشون عن مستمعين او عمن يرعاهم ، وطلابا يسعون إلى ايجاد استاذ يتعلمون عليه ، ومتطوعين يريدون الاشتراك في حرب الثغور ، وجنودا وحجبا (٢٥) ، وتجارا ايضا يضعهم المقدسي في طليعة قرائه ويذكرهم في عداد الجماعات التي انتسب اليها هنا وهناك لكي يؤمن اسباب عيشه (٢٦) .

وتنتشر طرق الصحراء الكبرى في المغرب (٢٧) ، وتفرض الحديث عن نفسها قبل غيرها : ويتقل التجار عليها الذهب والريق والتمور ومنتجات اخرى ، من بلدان السودان النيجيري والواحات ، إلى مراكز تجمع القوافل ، لاسيما سجلماسة القصبة الكبيرة في المغرب الجنوبي ، ويرتادها التجار من سائر البلدان . وفي الشرق ، تقع القيروان وطرابلس وبرقة المعروفة بنشاطها الكبير (٢٨) . ويتلقى

-
- (٢٤) حدد ج . كورنو الطرق الرئيسة : اطللس العالم العربي الاسلامي في العهد الكلاسيكي : القرن ٩ - ١٠ ، ليدن ، ١٩٨٣ - ١٩٨٥ .
- (٢٥) مثال عند ابن حوقل : ٣٥٣ ، آخر ٣٥٣ ، آخر ٣٥٩ - ٣٦٠ ، ٣٧١ . المقدسي : ٢٤٨ وما يليها ، ٤١٢ ، ٤٦٣ .
- (٢٦) المقدسي : ٢ ، ٤٣ (من خلال بعض الألقاب المطلقة على المؤلف (وراق ، مجلد ، تاجر) - ٤٥ ، واماكن متفرقة (انظر الطرفة الواردة سابقاً عن عدن) .
- (٢٧) بشأن طرق الأندلس ، الواقعة على هامش المخطط العام نوعاً ما ، انظر ابن حوقل : ١١٥ - ١١٧ المقدسي : ٢٤٧ - ٢٤٨ .
- (٢٨) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ : ١٣٠ و ١٤٧ - ١٥٣ . اليعقوبي : ٣٤٥ . المسعودي (م) : فقرة ١٤٢٠ . ابن حوقل : ٦٧ ، ٦٩ ، ٩٩ ، ١٠٢ . المقدسي : ٢٣١ ، ٢٤٦ .

المغرب تجارات الاندلس من البنادر التي ذكرناها . وتجازي تلك الطريق الساحل تقريبا على طول امتداده ، وتوازيها طريقان اخريان ، تذهب احدهما من المغرب الجنوبي مباشرة إلى تونس ، وتتبع نخوم الصحراء وتندس الطريق الثانية بين الطريقين السابقتين وتتجه من فاس الى تونس ذاتها وتمر بتاهرت ومسيله . وتتصل الطرق الثلاث بعضها ببعض بشبكة من الطرق العرضانية ، وتلتقي ثلاثها في القيروان التي ينطلق منها المسافرون الى طرابلس وساحل سرت وبرقة (٢٩) واخيرا مصر .

وتشكل مصر ملتقى طرق فريدا ، يضم البحر والنهر والبر . فالبحر ، كما قلنا ، يفتح على مغرب دار الاسلام والجزر والروم والشام . ويوصل النيل إلى اعماق افريقية في النوبة والحبشة ، وهو شريان حيوي بالنسبة الى المراكب النهرية وإلى الطريق البرية التي تصاقبه . وتصله دروب الصحراء بينادر البحر الاحمر ، لاسيما درب أسوان عيذاب ، ودرب القاهرة القلزم (٣٠) . اما باقي الطرق البرية فتأتي من المغرب عبر برقة ، ومن بلاد الشام انطلاقا من غزة ، ومن جزيرة العرب مرورا بسيناء (٣١) . وتعد دلتا النيل قلب هذه الشبكة من

-
- (٢٩) ابن حوقل : ٦٦ وما يليها ، ٨٤ - ٩٣ . المقدسي : ٢٢٤ ، ٢٤٤ - ٢٤٧ كورنو ، مشار اليه من قبل خريطة ١٢ .
- (٣٠) اليعقوبي : ٣٣٥ . المسعودي (م) : فقرة ٨٩٣ آخرها . الأسواني : ٢٥٤ - ٢٥٧ . ابن حوقل : آخر ١٤٤ - ١٤٥ . المقدسي : ٢١٤ آخرها - ٢١٥ ، وجغرافية دار الاسلام ، ج ٢ : ١٦١ - ١٦٧ .
- (٣١) ابن حوقل : آخر ١٤٣ - ١٤٤ . المقدسي : ٢٠٠ ، آخر ٢٠٦ ، آخر ٢١٣ - ٢١٥ .

الطرق ، يضاف اليها دمياط وتينيس التي تسمى « متجر الشرق »
والغرب » (٣٢) ، وبداهة الفسطاط (٣٣) « متجر الانام ... الذي
تجيء ابدا اليه ثمرات الشام والمغرب ، ويسير الرفاق (٣٤) اليه من
العراق والمشرق ، وتقطع اليه مراكب الجزيرة (٣٥) والروم » .

نحو مفترق طرق بلاد ما بين النهرين

وتقارن مصر والعراق ، لكن لا يذهب احد الى حد انكار اصالتيهما .
فالانهار ، وهندسة المياه، والفلاحون، والقدرة على اقامة الدول في هذا
الوسط الطبيعي والبشري - وهذه ناحية يؤيدها ، في القرن ٤ هـ / ١٠ م ،
وجود خلافتين في القاهرة وبغداد - كل هذه الخصائص تحت على
اجراء المقارنة ، التي لا تكتمل اذا لم يضاف اليها الترتيب الرائع في
كل من المفترقين : بالفعل ، يشعر الانسان في العراق ، كما يحس
على ضفاف النيل ، ان بعض الطرق العالمية تتلاقى في بغداد ، وبدقة
عند ملتقى نهري دجلة والفرات اللذين ترتادهما السفن ويمرسان
القوافل ، وتقرب مياههما بعضهما من بعض الى ادنى حد ، قبل ان
يستمر جريانهما الى بحر الآفاق الواسعة .

لننتقل الآن الى الوضع في الجنوب والغرب . فجزيرة العرب (٣٦)
ترينا ثلاثة مشاهد: اولها البنادر المشار اليها من قبل، ثم الداخل الذي تذهب

(٣٢) المقدسي : ٢٠١ .

(٣٣) المسعودي (ت) : ٣٣ . المقدسي : ١٩٧١ ، آخر ١٩٩ .

(٣٤) رفاق : لعلها رفاق جميع رقيق : العبيد الذين يمرون مروراً بالمشرق والعراق .

(٣٥) قراءة اخرى في المقدسي : ١٩٩ (حاشية بـ) : من الشرق الأقصى (الصين)

(٣٦) الهمداني : ١٨٣ - ١٨٥ . ابن حوقل : ٣٩ - ٤١ . المقدسي : آخر

٨٣ - ٩٧ ، ١٠٦ - ١١٣ ، ١٥٢ ، ٢٤٩ - ٢٥١ - ٢٥٢ .

طرقه بالدرجة الاولى إلى مكة والمدينة، مركزي الايمان والحج، واخيرا
الواجهة الشمالية التي تقوم فيها دروب اخرى بوظيفة دينية مماثلة وتحمل
عليها ايضا السلع التي تجلب من البلدان المجاورة او تستهلك فيها. وعلى
هذا الاساس ، تؤدي طريقان رئيسان ، عبر الصحراء وآبارها المحتمل
وجودها إلى المدينتين العراقيتين البصرة والكوفة . الا ان وادي القرى هو
المنطلق الاساسي ، ويمثل منخفضا طويلا يمتد من المدينة إلى خليج
العقبة (٣٧) الذي تتفرع منه ثلاث طرق تذهب إلى مصر مروراً
بويلة ، وإلى الشام عبر واحة تيماء ، وإلى العراق من جديد .

وتخترق الشام طريقان رئيسان ، تصل اولاهما المدن الساحلية ،
وتبدأ الثانية من حلب وتنتجه الى حماه وحمص وبلبك ودمشق وعمان
وجزيرة العرب عبر تيماء . ويرتبط هذان المحوران بمجموعة من
الطرق العرضانية التي تذهب من انطاكية إلى حلب ، ومن طرابلس
او بيروت او صور إلى دمشق ، ومن غزة ومرافئ فلسطين إلى الرملة
وطبرية ودمشق ايضا ، ومن ويلة إلى الرملة او إلى عمان . وهكذا
ترسم ثلاث عقد تجارية اساسية : هي عقدة دمشق عاصمة البلاد ،
وعقدة الرملة التي يسميها المقدسي « مطرح البحرين » ، وعقدة ويلة
مفترق طرق جزيرة العرب ومصر والشام . بقي ، لاتمام الخريطة ،
ان نصل مجموعة مدن الفرات بالدروب الآتية من حلب او حمص
او الشام (٣٨) .

(٣٧) انظر الاحالات فن جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١٩٠ ، حاشية ٨ .

(٣٨) انظر ابن حوقل : ١٦٧ (خريطة) ، ١٨٠ ، ١٨٥ - ١٨٨ . المقدسي :

٣٦ ، ١٥٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ٢٤٩ - ٢٥٠ .

باتجاه الشمال والشرق

اذن نحن في بلاد ما بين النهرين ، مفترق طرق مفترقات الطرق ، الذي « تجيئك فيه الميرة في السفن الفراتية ، والقوافل من مصر والشام في البادية . وتجيئك آلات من الصين في البحر ، ومن الروم والموصل في دجلة » (٣٩) . وقد جمعناها ، عليا ودنيا (٤٠) ، في رؤية واحدة واصبحنا نعرف ثلاثا من واجهاتها : الواجهات الشامية والعربية والبحرية . وبقي علينا ان نتعرف على ثلاث اخرى ، لا اقل من ثلاث فمن ناحية الشمال ، وراء بلاد الموصل ، نصل إلى ارمينية ، وبعدها إلى امبراطورية الروم ، عن طريق البر أو البحر الاسود ، انطلاقا من بندر طرابزonde الكبير (٤١) . وتقع طريقان اساسيتان في الشمال ، وتمران بالهضبة الفارسية العالية وبالري « باب التجار » واحد « ابواب الارض » (٤٢) . وتذهب الطريق الاولى إلى شواطئ بحر الخزر الغربية التي تتلقى تجارة روسية الجنوبية وتجارة قبائل الخزر القاطنين على ضفاف نهر اتل الاسفل . وتأخذ الطريق الثانية من الجهة المقابلة لبحر الخزر اياه إلى

(٣٩) المقدسي : ١٢٠ .

(٤٠) بشأن المسالك الداخلية في العراق ، انظر ابن حوقل : ٢٣٥ ، المقدسي :

١٣٤ - ١٣٥ .

(٤١) المسعودي (م) : فقرة ٤٤٣ آخرها - ٤٨١ . ابن حوقل : ٣٤٤ ، ٣٥٣ ،

المقدسي : ١٤٩ - ١٥١ ، آخر ٣٨٣ - ٣٨٤ . بشأن المسالك في منطقة ارمينية - اران -

اذريجان (الرحاب) ، انظر ابن حوقل : ٣٥٠ - ٣٥٤ . المقدسي : ٣٨١ - ٣٨٤ .

(٤٢) ابن الفقيه : ٢٧٠ - ٢٧١ .

خراسان و خوارزم التي تتاجر ، على حد قول ابن حوقل ، مع الصقالبة و اترك آسية الوسطى (٤٣) .

وهناك واجهة اخرى واقعة في الجهة الشمالية الشرقية . وفيها تلتقي الطرق الآتية من العراق عبر سواحل بحر الخزر او التخموم الشمالية لصحراء فارس الكبرى ، في نيسابور التي تعد مركزا كبيرا للتجارة والقوافل في خراسان ، وتعتبر بابا مفتوحا على خوارزم وما وراء النهر ، وعلى سهوب آسية الوسطى وصين الحرير (٤٤) . اخيرا ، تقع الواجهة الاخيرة في الجهة الجنوبية الشرقية ، من ناحية خوزستان ، وهي ممر عبور يؤدي إلى فارس ، ثم كرمان ووادي نهر السند ، (مهران) (٤٥) .

وتظل اللوحة ناقصة ، اذا لم تُصَفَّ اليها الدروب العرضانية التي تصل المسلكين الناهبين من بغداد إلى الصين والهند . وهكذا اشيرا ولا ، من الغرب إلى الشرق ، إلى الطرق التي تتجه من همدان والري على هضبة فارس العليا ، إلى خوزستان واصفهان وفارس ، عبر لورستان ،

(٤٣) ابن حوقل : ٣٧٨ ، آخر ٣٧٩ - ٣٨٠ ، آخر ٣٨٣ - ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٨ ، آخر ٤٧٧ ، المقدسي : ٢٨٦ ، ٣٥٦ ، ٣٧٢ - ٣٧٣ . انظر أيضاً على الاجمال بشأن المناطق المقصودة مسالك ابن حوقل : ٣٥٠ - ٣٥٤ ، ٣٥٨ - ٣٦١ ، ٣٨٣ - ٣٨٤ . المقدسي : آخر ٣٧١ - ٣٧٣ ، ٣٨١ - ٣٨٤ ، آخر ٤٠٠ - ٤٠٢ .

(٤٤) انظر المسعودي (م) : فقرة ٣٨٣ - ٣٨٥ . اليعقوبي : ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ابن حوقل : ٤٦٥ ، ٤٧٦ ، المقدسي : ٣١٥ ، ٣١٨ - ٣١٩ (وحاشيته) وبالنسبة الى المسالك ، ابن حوقل : ٤٥٣ وما يليها ، ٥١٥ وما يليها ، المقدسي : ٣٤١ وما يليها .

(٤٥) المسالك : عند ابن حوقل : ٢٥٨ - ٢٥٩ ، ٢٨٢ - ٢٨٧ ، ٣١٣ - ٣١٥ ، ٣٢٦ - ٣٢٧ . المقدسي : ٤١٤ - ٤٢٠ ، ٤٥٣ - ٤٥٩ ، ٤٧٣ ، ٤٨٥ - ٤٨٦ . انظر أيضاً المقدسي : ٤٧٨ .

وتخوم زغروس ، واطراف صحراء فارس الكبرى (٤٦) . ومتى ابتعدنا إلى الشرق ، نلاقي نيسابور التي لا بدليل لها قطعاً : فهي تتحكم بالطرق العابرة الصحراء او القائمة على اطرافها ، المتجهة إلى اصفهان وخوزستان وفارس وكرمان (٤٧) . وتصل طريق تدعى بحق طريق التمر ، كرمان بخراسان ، ويحمل الجمالون عليها التمر إلى خراسان منصفته ويقصدها كل سنة نحو مائة الف جمل ، ويدخاونها في وقت واحد ، ويكثر فيها الزنا والفساد (٤٨) . اخيراً اذا واصلنا الاتجاه نحو الشرق ، وجدنا بلخ على طرف خراسان الشرقي ، وهي مركز تجاري كبير آخر ، تشرف على حركة التجارة عند ملتقى طرق التبت والصين من جهة بطرق الهند عبر كابل من جهة ثانية ، بتواتر مستمر على حد قول المسعودي (٤٩) .

ويشير نص شهير لابن خردادبه (٥٠) إلى التجار اليهود الراذانية (٥١) الذين تثير مسالكهم الاعجاب . وقد جاء فيه أنهم « يتكلمون بالعربية

(٤٦) ابن حوقل : ٣٦٠ - ٣٦١ . المقدسي : ٣٨٩ (ح ب) ، ٤٥٦ ، آخر ٤٥٧ - ٤٥٩ ، ٤٩٠ (ح ي) ، ٤٩١ (ح ي من ٤٩٠) .
(٤٧) ابن حوقل آخر ٤٠٤ - ٤٠٩ . المقدسي : ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٨٩ (ح ب) ، ٤٠٩ (ح ي) ، ٤٣٧ ، ٤٦٣ ، آخر ٤٦٦ ، ٤٩١ - ٤٩٢ (ح ي من ٤٩٠) .

(٤٨) المقدسي : آخر ٤٦٦ - ٤٦٩ .
(٤٩) المسعودي (م) : فقرة ٢١٨ ، ٣٨٦ . ابن حوقل : ٤٤٩ - ٤٥٠ . المقدسي : ٣٠٢ (و ح د) ، ٣٠٤ .
(٥٠) ابن خردادبه : ١٥٣ - ١٥٥ ، ملخصة مع بعض الفروق عند ابن الفقيه : ٢٧٠ .

(٥١) انظر م . جيل ، « التجار الراذانية وارض راذان » ، مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الشرق ، ١٧ (٣) ايلول ١٩٧٤ ، ص ٢٩٩ - ٣٢٨ ، الذي يعطي آخر المعلومات عن القضية . احيل الى نصه ومراجعة من أجل ما يأتي .



تصوير المكتبة الوطنية باريس المكتبة الوطنية ، القسم العربي ٦٠٩٤ ، ورقة ٦٨
السفر بالمركب على النهر (صورة الغرات)
(المصدر : مقامات الحريري ، القرن ١٣ ، الكوفة)

والفارسية والرومية والافرنجية والاندلسية والصقلبية وأنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق ، برا وبحرا ، يجلبون من المغرب الخلد والجواري والغلمان والديباچ وجلود الخنز والفراء والسمور والسيوف ، ويركبون من فرنجة (٥٢) في البحر الغربي ، فيخرجون بالفرما ، ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ، ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجار وجدة ، ثم يمضون إلى السند والهند والصين ، فيحملون من الصين المسك والعود (٥٣) والكافور والدار صيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا إلى القلزم ، ثم يحملونه إلى الفرما ، ثم يركبون في البحر الغربي . فرما عدلوا بتجاراتهم إلى القسطنطينية ، فباعوها من الروم . وربما صاروا بها إلى ملك فرنجة ، فيبيعونها هنالك . وإن شأؤوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي ، فيخرجون بانطاكية . ويسيرون على الأرض ثلث مراحل إلى الجاية ، ثم يركبون في الفرات إلى بغداد ، ثم يركبون في دجلة إلى الابلّة (٥٤) ، ومن الابلّة إلى عمان والسند والهند والصين . كل ذلك متصل ببعضه ببعض ... فاما مسلكهم في البر ، فإن الخارج منهم يخرج من الاندلس أو من فرنجة ، فيعبر إلى السوس الأقصى (٥٥) ، فيصير إلى طنجة ثم إلى

(٥٢) تدل هذه التسمية على إيطالية على الأرجح : انظر جيل ، مشار إليه ، ٣١٠ - ٣١١ ، وجغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ٣٦٢ وما يليها .

(٥٣) عود : انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٩٨ .

(٥٤) ميناء على خليج دجلة ، عند مصب القناة الآتية من البصرة .

(٥٥) المغرب الأقصى الجنوبي . بشأن شرح هذا المقطع ، انظر جيل ، مقال مشار إليه ، ٣٠٩ .

افريقية (٥٦) ، ثم إلى مصر ثم إلى الرملة ثم إلى دمشق ثم إلى الكوفة
ثم إلى بغداد ثم إلى البصرة ثم إلى الاهواز ثم إلى فارس ثم إلى كرمان
ثم إلى السند ثم إلى الصين . وربما اخذوا خلف رومية في بلاد البصقالبة
ثم إلى خليج ، مدينة الخزر (٥٧) ثم في بحر جرجان ثم إلى بلخ وما
وراء النهر ثم إلى ورب (٥٨) تغرغر ، ثم إلى الصين . » .

وقد علق الباحثون كثيرا على هذا النص الذي يحافظ على قيمته
في الحد الأدنى بالنسبة إلى أيام كتابة ابن خرداذبة له ، اي منتصف
القرن ٣ هـ / ٩ م (٥٩) . وهو موثوق ، ويصف لنا تجارا لا يكلون ،
يهودا بالتأكيد . الا ان اصلهم اثار جدلا واسعا . فهل جاؤوا من
اوربة الغربية من وادي نهر الرون (رودانس) ؟ ام من الري في
بلاد فارس ؟ ام ان اسمهم مأخوذ من الكلمة الفارسية راهدان (عابر
طريق ، دليل) ؟ ويرجع التفكير بمنطقة قريبة من بغداد اسمها راذان
يكثُر فيها اليهود ، فيحتمل ان يكونوا قد خرجوا منها فرادى او
مجتمعين (٦٠) ساعين إلى الحصول على ثروات العالم .

(٥٦) تونس والجزائر الغربية .

(٥٧) على نهر اتل الأدنى : انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٢٨٦ وما يليها .
اسم المدينة الصحيح خمليج .

(٥٨) ورت (قبيلة) أو يورت (بلاد ، منزل ، يورت) . : ابن خرداذبة : ١٥٥
(وحاشية ز) . بالنسبة الى التغرغر انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٢٠٥ - ٢٠٨ .
(٥٩) دي خويه (ابن خرداذبة ، المدخل ، ص ٢٠ روماني) يشير الى ان النص
الخاص بالتجار اليهود والروس (فيما يلي) عائد الى النسخة الاولى من المصنف ، وتاريخها
حوالي ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م .

(٦٠) يقول جيل ، مقال مشار اليه ، ٣٢٣ : « لم يمثلوا اتحادا ، ولا تنظيما ،
ولا فئة ، والشئ الوحيد المشترك بينهم هو بلدهم الأصلي » . وهذا كلام قاطع ، وكل
ما يمكن قوله ان ابن خرداذبة لم يتطرق الى هذه الناحية .

والروس (٦١) تُجار جسر ايضاً. فهم « يحملون، فيما يقال، جلود الخنز وجلود الثعالب السود والسيوف من اقصى بلاد الصقالبة إلى البحر الرومي ، فيعشرهم صاحب الروم (٦٢) . ثم يجيوؤن في البحر إلى سمكوش اليهود (٦٣) . وان ساروا في تنيس (٦٤) نهر الصقالبة ، مروا بخليج مدينة الخنز (٦٥) . فيعشرهم صاحبها ثم يصيرون إلى بحر جرجان ، فيخرجون في اي سواحله احبوا . وقطر هذا البحر خمس مائة فرسخ . وربما حملوا تجارتهم من جرجان على الابل إلى بغداد ، ويترجم لهم الخدم الصقالبة ، ويدعون انهم نصارى ، فيؤدون الجزية » .

ذكرنا الروس واليهود وغيرهم ... مع ذلك ، لم نبحث الا عرضاً مشهد الطرق ، ولم نرسم لها سوى خريطة موجزة تشير الى المسارات الكبرى . وكما قلنا من قبل ، لا بد لنا ان نغوص في العناوين — او بالاحرى ان نستنطقها ، — وان نجهد أنفسنا لكي نحصل منها على اسماء الاماكن الدارسة ، ونحدد تبدل الاوضاع او ثباتها بين عصر ابن خردادبه وبين آخر القرن الثاني الذي عاش فيه ابن حوقل

(٦١) بشأنهم ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٣٣١ وما يليها . ترجم المقطع نقلاً عن ابن خردادبه : ١٥٤ وابن الفقيه آخر ٢٧٠ - ٢٧١ (يتحدث عن الصقالبة فقط) . ويشير على اشارة مبهمه الى تجارة الروس عند المسعودي (م) : فقرة ٤٥٨ .
(٦٢) في القسطنطينية طبعاً .
(٦٣) ظاهرياً مدينة في شبه جزيرة تمان التي تغلق بحر آزوف في القرم : انظر ابن الفقيه : ٢٧١ - ١ .
(٦٤) نهر الدون .
(٦٥) يغفل المؤلف المسار الذي ينبغي على هؤلاء التجار ان يقطعوه بين نهر الدون ونهر اتل الأسفل : انظر ابن خردادبه ، الترجمة ١١٥ ، حاشية ٣ .

والمقدسي . وعلى الرغم من هذا النهج ، تظل النواحي الاساسية في مجمل النصوص محصورة في المسارات الكبرى ومفترقات الطرق ، وحوار البحر والبر ، والنهر متى تيسر . مهما يكن ، يجب ان نلاحظ ان الطريق ليست خطأ مرسوماً على احدى الخرائط فقط : فقد شوهدت على السفينة والدرب وفي المنزلة قبل ان يهتم بها العالم . فهي مغامرة وتبصر .

المعارض والأسواق

ولنبداً بالاماكن التي تتحكم بها ، وتمر بها ، وتنتهي اليها . وتردد اقلام مؤلفينا كثيراً الفاظ متجر (مركز تجارة) ومطرح (مستودع ، مركز تجارة) وفرضة (ميناء بحري ، مجمع قوافل) ، ونقصد بها الاماكن المتميزة التي تحمل فيها السلع وتنزل ، ويتم فيها الشراء والمبيع والاستهلاك . وقد تضمنها الادب في البدء ، هنا وهناك ، في جزيرة العرب على وجه الدقة . وتحسن ، فيما يبدو ، معرفة المعارض والأسواق ، المحلية او الهامة ، في شبه جزيرة العرب . وقد تناولها الهمداني ، ابن جزيرة العرب ، والمؤرخون ايضاً ، والجغرافيون (٦٦) بالتأكيد .

مع ذلك ، ينبغي ان تؤخذ المعطيات الاساسية من كتب المؤلفين الميدانيين ، نعني ابن حوقل والمقدسي . وانا اهمل اعتبار السوق عنصراً

(٦٦) الهمداني : ٦٩ ، ١١٣ ، ١٧٩ - ١٨٠ . اليعقوبي : التاريخ : ج ١ ، ٢٧٠ - ٢٧١ . ابن حوقل : ٣٤ ، ٣٦ . انظر أيضاً بشأن الأماكن الأكثر تخصصاً ، المسعودي (م) ج ٤ ، ٢٥٣ (فندق في البصرة يقيم فيه التجار واصحاب الأموال) .

من المشهد المدني الكلاسيكي (٦٧) ، أقصد حي الاسواق او ،
القيسارية (٦٨) ، واتصدى لثلاث مطالب او حالات . ففي الحالة
الاولى ، تشترك السوق في حياة المدينة اشتراكا متقطعا ، حده الاقصى
المعرض السنوي . وفي الحالة الثانية التي تمثل الوضع العكسي ، تلخص
السوق المدينة او البلدة التي نشأت منها او استمدت وجودها منها ،
واحيانا اسمها ذاته ، وتصنفها . اخيرا في الحالة الثالثة ، تتبع السوق
المدينة على الدوام ، لكن تبقى معزولة عنها وتقع خارج اسوارها
او تشكل مدينة اخرى ضمن المدينة .

وللفتة الاولى اسواق موزعة جيدا على اسامي ايام الجمعة ، حتى
ان لكل يوم منها سوقاً (٦٩) في هذه القرية او تلك ، كما هي الحال
في خوزستان . وبمحال اخرى ، يجتمع السوق في رأس كل شهر
مرة (٧٠) . وفي غيرها ايضا ، في برذعة ، « ام الران وعين تلك
الديار » ، يقوم يوم الاحد سوق يسمى الكركي يجتمع اليه اهل الكورة
والنواحي حتى ان احدهم يقول في تعداد ايام الاسبوع يوم السبت
ويوم الكركي ويوم الاثنين (٧١) ... اما المعارض التي تقوم كل سنة ،
فاذكر منها سوق الطواويس في ما وراء النهر ، وينتابها الناس من
اقطار ارض خراسان (٧٢) . واشهرها سوق كرينه الواقعة على مقربة

(٦٧) سوف نتحدث عنه فيما بعد في بحث المدن (الفصل ٩ و ١٠) .

(٦٨) قيسارية : سنعود اليها فيما يلي (الفصل ١٠ ، حاشية ٢٢١) .

(٦٩) المقدسي : ٣٦٩ ، آخر ٤٠٥ - ٤٠٦ ٤٠٨ ، ٤١٢ .

(٧٠) ابن حوقل : آخر ٥٠٦ - ٥٠٧ .

(٧١) الاصلطخري : ١٠٩ . ابن حوقل : آخر ٣٣٨ . المقدسي : ٣٨٠ .

(٧٢) ابن حوقل : ٥٤٨٩ . المقدسي : ٢٨١ .

من اصفهان (٧٣) : « ويجتمع فيه الناس كالموسم للشرب والقصف والعزف ابان النبروز (٧٤) سبعة ايام بانواع الملاذ وغرائب الزينة . قد تأثق حاضروه في الاستعداد لماكلهم ومشاربهم . وادخر اهل البلد ومن قصده من البعد واطراف نواحيهم ، والنفقات الواسعة والزينة الرائعة والملابس الحسنة والاحتفال باللعب والطرب فيعتكفون على لذاتهم ويتبارون في مجالسهم ونشواتهم بحذاق المسمعين والمسمعات على شاطئ (٧٥) الوادي ، وفي القصور قد ركبوا السطوح وغصوا الاسواق بنهاية الاحتفال في المآكل والمشارب والانتقال ، موصولاً ليلهم بنهارهم لا يفترون ولا يعارضون ولا يمنعون قد اوسعهم ، سلاطينهم ذلك . واتصلت العادة على مر الاوقات واختلاف السنين والساعات بترك العرض لهم والاخذ على ايديهم . ويقال ان نفقاتهم في هذه السوق عند حلول الشمس الحمل ، يبلغ مائتي الف درهم . »

وفي بعض الاحيان ، تتوحد السوق والمدينة ، مثلما قلنا ، او بالاحرى ، لا يمكن تصور المدينة دون السوق التي تدعمها ، دائماً كانت ام مؤقتة . وينطبق هذا الوضع على باب الاتراك : في صبران وطراز واوزكند (٧٦) ... وفي الحالة القصوى ، تأخذ المدينة اسم السوق . على هذا النحو ، يمكن الاشارة ، عند ابن حوقل والمقدسي ، إلى عدة اسواق واقعة في طخارستان ، في منطقة تاهرت ، وفي اخريجان

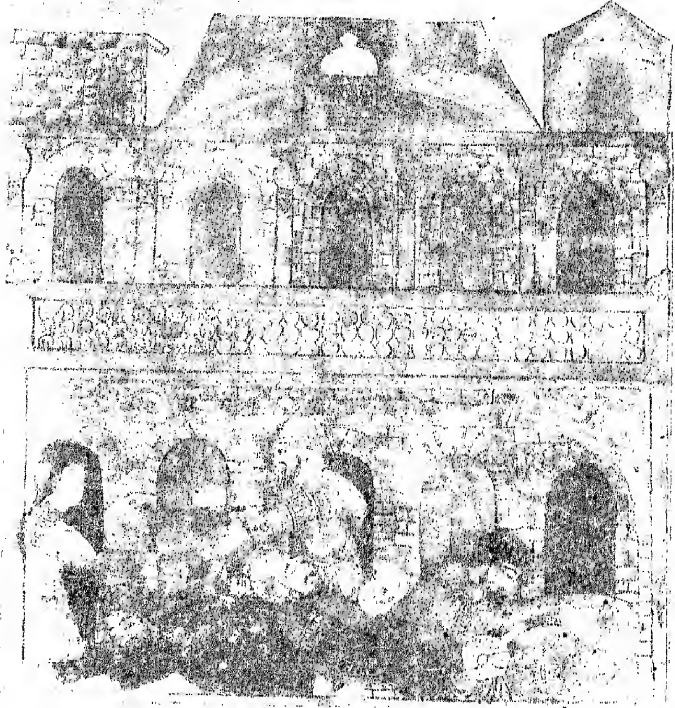
(٧٣) ابن حوقل : ٣٦٤ .

(٧٤) النبروز م . بد الربيع مثلما يستدل فيما بعد من برج الحمل .

(٧٥) زرنروز ، نهر اصفهان .

(٧٦) ابن حوقل : ٥١١ ، ٥١٣ .

من ذراعه وبسرة الشجر على الإنسان. ليس الصنم، وإنما الله، فله قوة وحكمة
 الشاغبة إلى العظمة لا إلى الكثرة. فافهم الذي جعله نبياً، كما أنما كان معجزة.



تصوير المكتبة الوطنية باريس المكتبة الوطنية ، القسم العربي ٥٨٤٧ ، ورقة ٨٩

الحسان

(المصدر : مقامات الحريري ، القرن ١٣ ، الكوفة)

وفي خوزستان (٧٧) . فسوق الاربعاء وسوق الاحد تقامان في الجزيرة (٧٨) . ويقترن لفظ سوق ذاته باسم احد ايام الاسبوع السبعة في خوزستان (٧٩) . اخيرا يلي اسم علم (٨٠) كلمة سوق في ست اسواق مغربية .

وتتسع السوق احيانا إلى حد كبير ، ويندرج نشاطها في حياة المدنيين او الزوار حتى تصبح مدينة ضمن المدينة او مدينة جديدة على مقربة منها . ووضح الامثلة على هذه الاوضاع المدن الكبرى بخارى والري ونيسابور . ففي بخارى (٨١) ، داخل الحائط وخارجه ، اسواق متصلة معلومة في اوقات من الشهر ، دائرة المواعيد تجري فيها للشرا والبيع في المواشي والثياب والرقيق . وتبدو الري (٨٢) مدينة عظيمة امام ناظرينا . ولها اسواق مشهورة ، منها روزه وبايسان ، ودهلك بر . ونصرا باذ ، وساربانان ، وباب الجبل ، وباب هشام ، وباب سين ، واعظمها الروذه وبها معظم التجارات والخانات . « وهو شارع عريض مشتبك الابنية والعقارات والمساكن » .

-
- (٧٧) المقدسي : ٢٩ (مدن طخارستان المسماة سوق دون اي تدقيق آخر) ابن حوقل : ٩٠ . المقدسي : ٢٩ ، ٥٦ ، ٢١٩ (سوق كرا أو كران) . ابن حوقل : آخر ٣٣٨ ، ٣٥١ - ٣٥٢ (سوق كورساره بلا وصف) ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٨٦ (سوق سنبل) .
- (٧٨) ابن حوقل : ٢١٧ (اضافة اسواق اخرى نظامية ، اكثر تباعدا) . المقدسي : ١٣٨ .
- (٧٩) ابن حوقل : ٢٥٢ ، ٢٥٩ . المقدسي : ٥٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٢ ، ٤١٩ .
- (٨٠) المقدسي : ٢٩ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، آخر ٢٢٧ .
- (٨١) ابن حوقل : ٤٩٠ .
- (٨٢) ابن حوقل : ٣٧٨ .

اخيرا نأخذ عن ابن حوقل (٨٣) وصفه اسواق نيسابور . « فاما اسواقها فانها خارج المدينة والقهندز في الربض . وخيرة اسواقها : سوقان : احدها تعرف بالمربعة الكبيرة ، والاخرى بالمربعة الصغيرة . فاذا اخذت من المربعة نحو الغرب ، فالسوق ممتدة إلى مقابر الحسينيين . وفي خلال هذه الاسواق خانات وفنادق يسكنها التجار بالتجارات ، وفيها الخانات للبيع والشرا . فيقصد كل فندق بما يعلم انه يغلب على اهله من انواع التجارة ، وقل فندق منها لا يضاهي اكابر اسواق ذوي جنسه . ويسكن هذه الفنادق اهل اليسار ممن في ذلك الطريق من التجارة ، واهل البضائع الكبار والاموال الغزار . ولغير الميسرين فنادق وخانات يسكنها اهل المهن وارباب الصنائع (٨٤) بالدكاكين المعمورة والحجر المسكونة والحوانيت المشحونة بالصنائع ، كالفلانسيين في سوقهم غير فندق فيه الحوانيت والحجر المماوئة بهم ، وكذلك الاساكفة والخرازون والحبالون إلى غير ذلك في اضعاف اسواقهم الفنادق المماوئة بذوي الصنائع منهم . واما فنادق البزازين وخاناتهم بها ويبيعهم فيها وشراهم ، فأكثر البلدان يشركهم في ذلك ولا يقصرون عنهم » .

الاسفار المائية

تحمّل المياه ، في البحار والأنهار ، سفنا كبيرة وصغيرة ، متى تسنى لها . وقد ورد ذكر ما يقرب من خمسين نوعا من السفن واسماؤها في كتاب عجائب الهند وفي مؤلفات المسعودي وابن حوقل

(٨٣) ابن حوقل : ٤٣٢ (الاصطخري : ١٤٦) .

(٨٤) ارباب الصنائع ، المختلفون عن أهل المهن والصنائع (فيما يلي) : انظر مكتبة الجغرافيين العرب ، ج ٤ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ و ٣٥٧ .

والمقدسي (٨٥) . وجاءت تلك التسميات عامة جداً : مثل سفينة وسنبوك وزورق ... او مبهمة في معظمها ، الا اذا اريد تحديد اصلها : مثل جبلة في بلاد الشام الشمالية وواسط والرقعة (٨٦) في العراق ، او تعيين وظيفتها : مثل المكينة لنقل الحجاج والخاصوس والعبارة والمساحلة (٨٧) ، او بيان حجمها خاصة الصغيرة منها مثل الحمامة والطيارة ، او دفعها ضريبة مالية كالعشري اي الخاضع إلى دفع العشر ، او تقريب اسمها مثل بركة اللاتينية وشنكول (قاطع طريق) الفارسية وشلندي الرومية (٨٨) .

لكن شاء حسن الحظ ان نعثر على معطيات اضافية عن تقنيات بناء السفن ، او بالاحرى ، في الحلد الأدنى ، عن بناء نوعين من السفن التي اسميها كلاسيكية وخاصة بالاسفار البحرية البعيدة . وثل

(٨٥) عجائب الهند : فقرة ١٤ و ١٧ : فلو ومطيل . المسعودي (م) : فقرة ٣٥٨ و ٨٧٩ : التيرماهيية ، البوارج (هندية) ، الشواني (رومية) . ابن حوقل : ١٥١ و ١٩٧ (عند الروم : درمون حامل جنود ، شرندي أو شلندي مسلح للقتال م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٤ و ٢٧٦) ، مراكب حربية وصينية : انظر شانية و م ج ع ، ج ٤ ، ج ٤ ، ٢٧٩) ، ٢٣٦ : السميريات . المقدسي : آخر ٣١ - ٣٢ و م ج ع ، ج ٤ ، حسب الاسم : عرداس ، برعاني ، بركة ، برمة ، بيرجة ، براكية ، دونيج ، جبليية جلبة ، جاسوس ، حمامة ، خيطية ، كروانية ، مكينة ملقوطة مركب مسيحية معبر مثلفة ، قارب ، رقية ، شابوق ، شذن ، سفينة ، شلندي شموط ، شنكولية ، صيني ، سمارية (انظر سمارية ربما عوضا عن سلاويون) ، سوقية ، تلوي ، طيرة ، طيارة ، عشري ولجية ، واسطية ، زبرباذية ، زبذب ، زورق ، نضيف اسماء الأدقال (دقل ، دولي ، صاري : المسعودي (م) فقرة ٣٨٠ و ١٣٥٥ ، والمسافة البحرية : زام (عجائب الهند ٣٠١ ، ٣٠٣) .

(٨٦) رقية ، لعلها أيضاً رقية بكسر الراء : بمعنى رقة الماء : م ج ع ، ج ٤ ، ٢٤٩

(٨٧) ولجية : م ج ع ، ج ٤ ، ٣٧٩ .

(٨٨) شلندي ، خلنديون : م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٤ (شرندي) و ٢٧٦ نسب ابن حوقل هذه السفينة الحربية الى الروم ، الا ان المقدسي يذكرها ، ٣٢ مع سائر السفن بلا اضافة اخرى .

هذه الاسفار هوية نبيلة : فقد قيل لنا (٨٩) ان الحجاج بن يوسف ، والي العراق الشهير ، « اول من اجرى في البحر السفن المقيّرة المسمّرة غير المخروزة المدهونة والمسطحة (٩٠) غير ذوات الجأجاء » . اذن لدينا المسمار من جهة ، ومن جهة اخرى اللواح المجمعة حرفا إلى حرف ، المثقوبة بثقوب تمرر فيها الياف الخياطة . وفي الحاليتين يستعمل القار لسدّ الشقوق .

ويذكر الجغرافيون هذين النوعين من السفن . فيتحدث المقدسي ، وهو اقلهم تبسطا في الموضوع ، عن مراكب مقيّرة كبار مسمّرة تجري في بحر الخزر (٩١) . ويشير اليعقوبي في المغرب إلى رسو مراكب في بنادره تشبه المراكب التي تعمل بالأبلّة ، ميناء البصرة ، ويركب فيها إلى الصين (٩٢) . وينفرد ابو زيد السيرافي بدقته ، ويميز السفن المخيطة التي يختص ميناء سيراف بعمالها ، على حد قوله ، والسفن المسمّرة المصنوعة في بلاد الشام او عند الروم . ويسمي نوعا آخر سيرافيا ايضا ، تسد شقوقه بشحوم الحيتان (٩٣) وتختّم لوحة السفينة

(٨٩) الجاحظ (ح) ، ج ١ ، ٨٢ ، يكرره ابن رسته : آخر ١٩٥ - ١٩٦ (ترجمة ٢٢٧) .

(٩٠) مسطح ، حرفيا : مستوى ، افطس خاصة في الأنف : انظر ريغ ، المعجم ، ٢٥٥١ .

(٩١) المقدسي : ٣٦٢ .

(٩٢) اليعقوبي : ٣٦٠ . اضيف الى النص مماثلة ، وان كان يرد فيه مصممة ، مصنوعة .

(٩٣) السيرافي : ٩٣ ، ١٣٣ . انظر أيضاً المسعودي (م) : فقرة ٤٠٥ . وصيف شاه : ٦١ وموضوع السفينة المصنوعة كلها من النارجيل بما فيها حمولتها : انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٠٠ . اخيراً نلاحظ ان كتاب رحلة الى لابونية تأليف رينيار يحوي عدة مقاطع تستعرض هذه المواضع ذاتها .

بالمرساة التي يقتل بربر (بردى) قبرص (٩٩) احيانا حبالا لها ،
وبالسكّان : وهو محور مثبت في مؤخرة السفينة على طرف غاطسها
ومؤلف من لوح جانبي يحرك بحبلين إلى ميمنة السفينة وميسرتها (٩٥) .
والحقيقة ان هذا الوصف للسفينة ناقص ، يعوزه الحديث عن الشراع (٩٦)
الهام جدا .

كذلك يُعْنَى الجغرافيون بأنواع الملاحة ، فيتحدثون باهتمام
متزايد عن المراكب النهرية وعن الملاحة الساحلية والملاحة البحرية
في الباحة . لكنهم لا يذكرون الملاحة النهرية الا عند الاضطرار إلى
نقل حمل احدى السفن إلى سفينة اخرى قرب الحواجز ، كما هي
الحال على نهر النيل الاعلى عند الجنادل او في احدى الاقنية العراقية (٩٧) .
وتلهم الملاحة الشاطئية المقدسي مقطعاً بطوليا ، يصف فيه الطواف
حول جزيرة العرب المنوه به في مطلع هذا الفصل . والحقيقة ان ملاحة
الباحة استقطبت جلّ الاهتمام ، فذكرت مسافات هائلة ومضخمة :
٤٥٠٠ فرسخ اي ٢٥٠٠٠ كم من السويس إلى الشرق الاقصى (٩٨) ،
و ٢٥٠٠ فرسخ اي حوالي ١٤٠٠٠ كم من انطاكية إلى جزائر السعادة

(٩٤) ابن حوقل : ١٢٣ .

(٩٥) المقدسي : ١٢ ، والترجمة : ٣٣ ، حاشية ١٢ (مع المراجع) .

(٩٦) سوف نتحدث عنه فيما يلي في بحث الحياة البحرية ، لكنها لم توصف ابداً ،
ولم يذكر صنعها الا بالنسبة للسفينة المبنية من النارجيل : الاوراق للاشعة . انظر ما تقدم ،
حاشية ٩٣) ، ولا شكله ، المثلي بصورة رئيسة (انظر ف . بروديل ، المدنية المادية
والاقتصادية والرأسمالية ، القرن ١٥ - القرن ١٨ ، ج ١ : بنيات الحياة اليومية .
الممكن والمستحيل ، باريس ، ١٩٧٩ ، ص ٣٥٣ - ٣٥٥) .

(٩٧) ابن حوقل : ١٤٥ ، آخر ٢٤٢ . انظر أيضاً ابن رسته : ١٨٥ (بطائع
العراق ، المرجع ذاته . أيضاً : سد مراقبة على نهر دجلة) .

(٩٨) ابن خرداذبة : ٧١ .

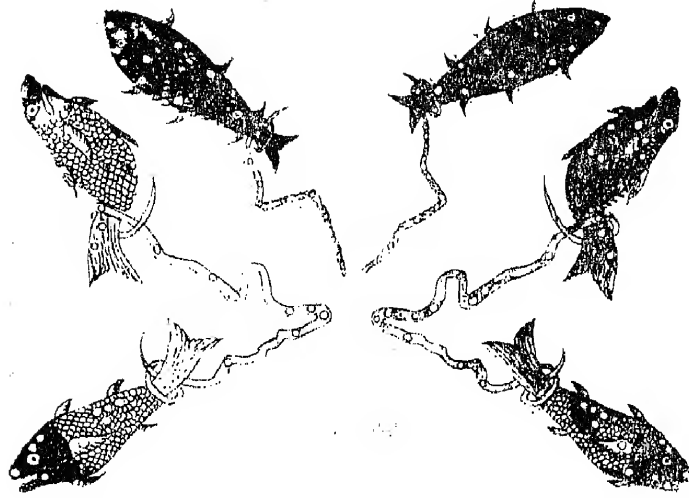
في المحيط الاطلسي (٩٩) . اما تقدير المسافات بايام الملاحة ، فأدقّ بلاشك ، لكن ليس على الدوام : ثمانية ايام لقطع بحر الخزر من الجنوب إلى الشمال ، ٤٨ يوما من شبه جزيرة ملقة إلى عمان ، و ١٠ — ٢٠ يوما من جاوة إلى كمبسة ، وشهران (١٠٠) من عمان إلى جهة الزنج .

وحقّ ولو تخلّلت الملاحة الشاطئية الاسنار الطويلة السابقة — قد تعلل شيئا من تضخيم بعض المسافات — تظل الرحلات البحرية إلى البلدان القاصية مرتبطة بملاحة الباحة التي تقتضي معرفة الرياح (١٠١) والكواكب (١٠٢) بدقة ، وتعتمد على الخرائط (١٠٣) والآلات الضرورية لقياس الوقت وسرعة السفينة (١٠٤) . ويظهر طقس رديء على طريق الهند العراق : فيمتنع سفر السفن الثقيلة الحمل عليه في شهر جزيران . ومهما كان الطقس ، يتوقف السفر في سيراف او قبلها ، بالنسبة إلى السفن الصينية او غيرها من السفن الكبيرة ، التي

(٩٩) ابن الفقيه : ٧ . تقديرات اخرى في اخبار الصين والهند : فقرة ٤ ، ١٣ (١٠٠) انظر على التوالي ابن الفقيه : ٢٩٨ ، عجائب الهند : فقرة ٨٣ ، ابن سيرابيون : ٩٨ وابن الفقيه : ٢٩٦ .
(١٠١) اخبار الصين والهند : فقرة ١٠ — ١١ . المسعودي (م) : فقرة ٢٥٨ . المقدسي : ١١ آخرها (البحر الأحمر) بشأن هذه الملاحة عامة ، انظر الكتاب الاساسي لج . ف . حوراني ، الملاحة العربية في المحيط الهندي في العصور الوسطى القديمة والاولى ، برنستون ، ١٩٥١ .

(١٠٢) عجائب الهند : فقرة ٤٦ مكرره .
(١٠٣) عجائب الهند ، مشار اليه . المقدسي : ١٠ — ١١ (ترجمة ٣١ حاشية ٥) وجغرافية دار الاسلام ، ج ١ ، ١١٦ ، حاشية ٢ .
(١٠٤) انظر مناقشة ابن الفقيه : آخر ٢٩٦ — ٢٩٧ لدي خوية ، المرجع ذاته ، معجم الألفاظ ص ٤٣ — ٤٤ روماني ، تحت لفظ كنب .

تنقل احمالها بسفن صغيرة حتى نهاية الخليج العربي او حتى جزيرة
العرب (٥٠١)



المتحف البريطاني ، لندن ، القسم الشرقي ، ١٤٠٧ ، ورقة ٧٨ ظ ٧٩-
كوكبة السمكتين

(المصدر : عبد الرحمن الصوفي ، صور الكواكب ، تاريخ النسخ ؛ ١٠٩٤ هـ)

ويكثر رواد هذه البحار او البنادر : مثل « الرؤساء » بجميع
معاني هذا اللفظ ، كالربانيين ، ومراقبي حمولات السفن ،
والاختصاصيين بالخرائط البحرية ، ووكلاء البيع والشراء ،
والنوتين (١٠٦) . فهؤلاء المحترفون مشهورون جدا ، بقيت اسمائهم

(١٠٥) أخبار الصين والهند : فقرة ١٣ (ح ٢) . ابن الفقيه : ١١ . المسعودي
(م) : فقرة ٣٥٨ .

(١٠٦) المسعودي (م) : فقرة ٢٤٦ . عجائب الهند : فقرة ٩ ، ١٥ ، وص ٢٠٤
آخرها . المقدسي : ١٠ (الترجمة ، حاشية ٤ : رياضي ترجم محاسب حرفيا عالم رياضيات ،
والأصح فلكي - كرتوغرافي يرسم البورتولانات : خبر شفهي من ر . بلاشير ، في كانون
الاول ١٩٦٣ . انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ١ ، مشار إليها) : ٣١ .

شائعة بين الناس ، منهم ابو علي بن حازم ، تاجر الاسفار البعيدة في عدن ، ومحمد بن زليدون ، وجوهر بن احمد ، واحمد بن جعفر واخوه عبد الصمد اللذان غرقا (١٠٧) . وينتمي كل هؤلاء إلى عالم واحد (١٠٨) . ولهم تعايرهم الخاصة (١٠٩) واهازيجهم (١١٠) ، ومبادئهم الاخلاقية (١١١) ، وتنظيمات عائلية في الغالب (١١٢) ونفوذ (١١٣) . وتعرض السفينة إلى ثلاثة اخطار . الخطر الاول العاصفة التي تقضي بتضييق بسط الشراع او تخفيف الحمل برمي بعضه (١١٤) ، واسوأ ما ينجم عنها غرق السفينة والسفار او ويلات البقاء على قيد الحياة المضمنة في مختارات شعرية (١١٥) . ويشمل الخطر الثاني في الحيتان التي تنفر باصطناع الضجيج (١١٦) ، والا وجب النزول ، بعد صدمها السفينة ، إلى قعرها لرؤية الاضرار

-
- (١٠٧) المسعودي (م) : فقرة ٢٤٦ ، ٣٠٦ . المقدسي : ١١ .
(١٠٨) على البحر ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ٢٥١ - ٢٦٩ .
(١٠٩) مثال عند المسعودي (م) : فقرة ٣٧٤ ، ٣٧٩ وما سبق حاشية ٨٥ آخرها .
(١١٠) المسعودي (م) : ٢٤٥ مذكور في جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٦٩ .
(١١١) عجائب الهند : فقرة ١٤ .
(١١٢) المسعودي (م) : فقرة ٢٤٦ عجائب الهند : فقرة ٤٩ .
(١١٣) عجائب الهند : فقرة : ٥١ ، ١١٢ .
(١١٤) اخبار الصين والهند : فقرة ٩ ، عجائب الهند : فقرة ٢٧ ، ٤٦ ، ٤٨ . وصيف شاه : ٦٠ .
(١١٥) اخبار الصين والهند : فقرة ١١ . عجائب الهند : فقرة ١١٢ ، ص ٢٩٥ وغيرها .
(١١٦) بضرب النواقيس : اخبار الصين والهند : فقرة ١ (ح ٣) . ابن خرداذبه : ٦١ . عجائب الهند : فقرة ٩ .

واصلاحها ان امكن (١١٧) . والخطر الثالث والاخير والاهم القراصنة المنتشرون في جميع الاماكن تقريبا في بحار الهند والصين ، وعلى مقربة من جزيرة سقطرة في الجهة الجنوبية ، او في الغرب في البحر المتوسط الذي يعيث فيه الروم فساداً (١١٨) .

وفيما عدا الاخطار ، تنتظم الحياة على ظهر السفينة . ففي الليل ترسو السفينة (١١٩) ، وتتوقف في احدى المراحل، ويُرْمَى الانجر لاجراء الاصلاحات اللازمة او الاستعداد : وفي هذه الحالة تبقى السفينة بعيدة عن البر عرضة لمخاطر — منها خطر ان جديدان — الصخور الناتئة والحبال الرملية ، والاقوام غير المعروفة او على النقيض المعروفة بانها من اكلة اللحوم البشرية ، وترسل بعض السناييق في الواحد منها بحوالي خمسة عشر ملاحا بلحب الماء (١٢٠) . لكن اسعد ما في البحر ، واضمن واسلم ما فيه ، هو وقت مغادرته والعودة إلى

(١١٧) عجائب الهند : فقرة ١١ حيث لاحظ السفار ان سمكة تطلعت المركب . فلم يجدوا الماء قد زاد على رسمه « ، ونبرز اللفظ الأخير الذي يدل على عدم ثبات شديد .
(١١٨) اخبار الصين والهند : فقرة ١١ . المسعودي (م) : ٨٧٩ ، المسعودي (ت) : ٨٢ ، ٤٥٥ . عجائب الهند : فقرة ٦٣ ، ٨١ ب . وصيف شاه : ٦١ - ٦٢ وجغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٧٢ . انظر أيضاً ، مذكرة عن هجرات العجم الى أنحاء العالم ، لا يدين ، ١٩٠٣ ص ١٢ - ١٣ (انظر الجاحظ ، البخله ، ترجمة ص ٧٠ و ٣٤٥) .

(١١٩) المسعودي (م) : ٨٩٨ .

(١٢٠) اخبار الصين والهند : فقرة ١١ ، ١٣ - ١٦ . عجائب الهند : فقرة ١٨ ، ٤٠ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ . المسعودي (م) : فقرة ٨٩٨ ، ٨٧٨ .

الوطن . ويشعر بهذا الشعور جميع البحارة من سابقي السندباد (١٢١) ومنافسيه او تلامدته .

الأسفار البرية

يسير المرء في البر يوما بعد يوم حتى يصل إلى المنزل التالي . ويعدّ يوم مسيره ذاته وحدة اساسية في قياس المسافات . مع ذلك ، لا يتخلى العلم عن قول كلمته . فالمسعودي يرى ان جميع القياسات تعتمد على قياس غلط الارض (قطرها) البالغ ٧٦٦٧ ميلا (١٢٢) باعتبار الميل ٤٠٠٠ ذراع بالسواء ، والذراع ٢٤ اصبعاً ، والاصبع ست شعيرات . الا ان الميل ثلث الفرسخ (١٢٣) ايضا ويمثل الفرسخ الوحدة الحقيقية في قياس المسافات الطويلة . ويساوي ٥,٧ كم ونيفا . ويعادل الميل سقسا (١٢٤) في الوجه البحري في مصر . ولدينا البريد المشار اليه هنا وهناك في بعض الكتب (١٢٥) ، ويعرف بانه المسافة الفاصلة بين منزلين . وفيه خلاف حسب البلدان : فيبلغ فرسخا في آسية الصغرى الرومية ، واربعة فراسخ في العراق وفي بادية جزيرة العرب ، وفرسخين في اغلب الاحيان (١٢٦) ، وبهذا الرقم اخذ

(١٢١) عجائب الهند : آخر ٢٠٥ ، ٢٣٧ .

(١٢٢) المسعودي (ت) : ٤٤ - ٤٥ (مع اختلافات عن الدرجة : من ٥٦ و

٣/٢ الى ٨٧ ميلا) انظر أيضاً المسعودي (م) : فقرة ١٣٢٦ .

(١٢٣) بشأن وحدات قياس داخلية في النظام ذاته ، انظر جغرافية دار الاسلام ،

ج ٢ ، ١٧ - ١٨ ، (مع احالات أخرى) تصاف صيحة (انظر م ج ع ، ج ٤ ، حرف صاد .

يلاحظ بشأن الفرسخ امكانية وجود تقديرات : انظر مثلاً المقدسي ، ٤٨٧ (فراسخ قريبة

اقصر من المتوسطة) .

(١٣٤) ابن حوقل : ١٣٨ وما يليها (ترجمة : ١٣٦ ، حاشية ٦٣٨ ، تصحيح

احالة الحاشية) . م ج ع ٤ ، ٢٦١ .

(١٢٥) ابن حوقل : آخر ١٤٤ . المقدسي : ١٣٤ - ١٣٥ ، ١٩٥ .

(١٢٦) ابن حوقل : ١٩٥ .

المقدسي . اما الهمداني ، فيعتمد القيمة اولى (١٢٨) ، ويتحدث
ايضا عن بريد جلدان ، اي عن بريد ونصف او ستة فراسخ (١٢٩) .



رسم المتاحف الوطنية
متحف لوفر . القسم الاسلامي او ٤٠٨٧
صوة ميلية . فلسطين . القرن الثامن . حجر كلبي أبيض

حجر منقوش عليه : «أمر يشق هذه الطريق وصنع الحجارة عبدالله عبد الملك أمير المؤمنين رحمة
الله عليه . من اورسليم إلى هذا بالميل ثمانية أميال» تنتشر صوات مائلة ، صنعت في عهد الخليفة
الأموي . عبد الملك (٦٨٥-٧٠٥) على طريق دمشق بيت المقدس (تصوير أ . شوزيفيل) .

وترد تعابير أخرى تسم الرحلة وتعداد ارقامها ذاته بمزيد من
الواقعية : مثال ذلك لفظ منزل (او منزلة) اي مسير يوم ، او بدقة
المسافة بين استراحتين (١٣٠) . ويضيف انفظ منهل (منهلة) فكرة

-
- (١٢٧) المقدسي : ٦٦ . انظر أيضاً الخوارزمي (م) : آخر ٦٣ .
(١٢٨) كما يستخرج من الأرقام الواردة عند الهمداني : ١٨٥ و ١٨٧ .
(١٢٩) الهمداني : ١٨٧ .
(١٣٠) ابن حوقل ، ٤٢٢ و م ج ع ، ج ٤ ٣٦٣ .

وجود الماء الذي ينتظره البشر والحيوان (١٣١) . الا ان المرحلة هي اللفظ الحقيقي والاساسي وحتى المقلق اي مدة السير ومسافته (١٣٢) . ولا تذكر تفاصيل عن المرحلة ، بل توصف بأنها كبيرة او صعبة او خفيفة (١٣٣) ، وتبقى كما هي في الطبيعة . وتقوم احيانا حسب نظام اساسي . فعند الهمداني (١٣٤) .:

٢٢ مرحلة = ٣٥ بريدا = ٤٢٠ ميلا

اي ان المرحلة ١٩ ميلا تقريبا او حوالي ٣٦ كم . وجعل المقدسي (١٣٥) المرحلة ستة فراسخ اوسبعة ، اي بين ٣٤ و ٤٠ كم ، فان زادت نقط على الهاء نقطتين ، وان جاوزت العشرة - ٥٧ كم تقريبا - نقط تحت اللام نقطتين . فان نقصت عن الستة ، نقط فوق الهاء نقطة . . ويلاحظ ان جمع المكان والزمان الذي يحدد المرحلة ، قد يميل ، مثلما نرى ، لصالح الحد الاول : فالمسافة هي الاولى في حكمها ، وتنتلشي احوالها المبدئية إلى مسيرة اليوم . الا ان الحالة العكسية واردة : عندئذ . يحتل الزمن المقام الاول ، ويكفي اليوم وحده للدلالة على المرحلة (١٣٦) كذلك الشهر (١٣٧) في الرحلات الطويلة .

(١٣١) المقدسي ، ٢٥٠ (و ح ١) .

(١٣٢) احيانا أيضاً رحلة : م ج ع ، ج ، ٤ ، ٢٤٥ .

(١٣٣) ان حوقل ، آخر ٣١٣ - ٣١٤ ، ٣٨٤ - ٣٨٥ ، ٤٥٦ - ٤٥٧ ،

٥١٦ ، ٥٢٤ ، المقي ، ٣٨٣ ، م ج ع ، ج ، ٤ ، ٢٠٠ ، ٢٢٨ .

(١٣٤) الهمداني ، ١٨٥ .

(١٣٥) المقدسي ، ١٠٦ (انظر أيضاً المرجع ذاته ، ٦٤ ، ح ج ، ترجمة ، ١٣٩ ،

٦ ح) .

(١٣٦) نهار ويوم : ابن حوقل ، ٤٥٥ - ٤٥٧ ، المقدسي ، ٢٥٠ ، وم ج ع ،

ج ، ٤ ، ٢٢٨ (لفظ خفيف) .

(١٣٧) يمكن حساب الشهر اعتمادا على المقدسي ، ٦٤ (ح ج) : حوالي ١٠ اشهر =

٢٧٣ جغرافية دار الاسلام - ١٨

وعليه ، تتنوع الاسفار ، وتنفذ اهمية المسالك . وقد اشرنا من قبل إلى الطرق الكبرى ، التي تسلكها التجارة المسالمة الدولية ، وتسميها جادات ، وهي كلمة توحى بصورة درب شق وطرق منذ العصور القديمة (١٣٨) ، او محجات ، اكثرة الاختلاف اليها لأن موضع المثاني والمروور من الاشياء محجوج اي يتردد اليه الناس حجاجا كانوا او غير حجاج (١٣٩) . وينبغي ان نفكر ايضا ، بالنسبة إلى هذه المسارات الاساسية ، في طريق البريد ومراحلها ، وهي تتقاطع معها ، وفي وهسات الدواب نقصد دواب القوافل (١٤٠) . لكن تبرز على وجه التخصيص امهات الطرق وبنياتها (١٤١) ، وتشكل كلها شبكة كثيفة إلى اقصى حد ، ومعقدة . فيشعر المقدسي بالحاجة إلى شرح معنى

لقطع ٢٦٠٠ فرسخ ، أي ١٥٠٠ فرسخ في الشهر ، و ٥٠ كم في اليوم . وهذا التقدير كبير كما نرى بالنسبة إلى المرحلة المتوسطة المشار اليها لكن صحيح ان المقصود هنا قياس مجمل ملكة الاسلام حسب خطوط الطول من المغرب الأقصى حتى طرف اقليم المشرق . وتقابل ١٥٠٠٠ كم ٢٦٠٠ فرسخ وهي مبالغ فيها إلى حد كبير ، اذ ان المسافة جوا هي في الواقع حوالي ٧٠٠٠ أو ٧٥٠٠ كم . واذا ارتكزنا إلى مسافة حقيقية (حسب المسالك) تساوي ١٠٠٠٠ كم ، فصل إلى ١٠٠٠ كم في الشهر ، وإلى مراحل أكثر موافقة للمتوسط . ونشير إلى لفظ آخر يدل على شهر السفر ، نعني الهلال (الجمع اهله) ، القمر (الاسواني ، ٢٦٥) .

(١٣٨) تبرز تعبير طريق الجادة وجادة الطريق : م ج ع ، ج ٤ ، ٢٠٢ ، ج ٤ ، جاد أيضاً بمعنى مطروق أو نشيط .

(١٣٩) الهمداني ، ١٨٣ ، مع الفاظ اخرى لا ترتبط بالجغرافية بقدر ما ترتبط بالمعجمية الخاصة في الاطار العربي الصرف (ما عدا المدخل) وهو نطق الكتاب . (١٤٠) انظر المقدسي ، ٤٢٠ ، وما تقدم بالنسبة إلى البريد : يدل لفظ سكة بان واحد على الطريق والمراحل والمسافة بينها : انظر ابن خردا به ، ٩٩ ، ١١٧ ، ابن الفقيه ٢٨٦ ، الخوارزمي (م) ، ٦٣ - ٦٤ ، ياقوت ، ترجمة جويده ، ٥٩ ، ودوزي ، ج ١ ، ٦٦٦ .

(١٤١) المقدسي ، ٢٥٢ ، ٤٨٨ ، (حاشية ق) ، ٤٩٠ ، (ح) ، ٤٩٥ .

الالفاظ الدقيق . وإلى التمييز بين المسالك وشتى انواعها (١٤٢) .

وتبقى المسالك حية ، يمر عليها الناس : فالرازي (١٤٣) يعتبر ان حياتها تدوم إلى الابد تقريبا ، ويحدثنا عن طريق اغسطس (فيا اوغستا) القديمة التي تحترق كل الاندلس من قادم إلى نربونه . ويخبرنا ان المسافرين يستطيع « اذا رغب الا يحنين عنها » ، « فهي طريق عريضة مرصوفة بالحجارة لكي يتمكن البشر من السير عليها في الشتاء عندما تبلى الارض » . وتموت المسالك احيانا . فلنسمع ما يقوله ابن حوقل عن طريق مهجورة لاسباب امنية ، تصل همدان باذريجان (١٤٤) او عن الدرب الذي كان يمر بالواحات المصرية (١٤٥) ، « وكان يسلك من ظهرها إلى بلاد السودان بالمغرب ، على الطريق الذي كان يؤخذ ويسلك قديما من مصر إلى غانة ، فانقطع . ولا يخلو هذا الطريق من جزائر النخيل (١٤٦) ، وآثار النامس . وبها (اي الواحات) إلى يومنا هذا ، ثمار كثيرة ، وغنم وجمال قد توحشت ، فهي تنوارى » .

لكن لنعد إلى الحديث عن الحياة . فالانسان لا يمر على الطريق فقط ، بل يخلقها من العدم ، بخطوه وبوهس القوافل وطرقها الارض . وهو الذي يشقها ، ويراقبها ، ويصونها . وتعدد مسالك الجغرافيين المعابر ، والسدود المبنية في المستنقعات ، وقناطر الحجر والماصر ،

(١٤٢) المقدسي ، ١٠٦ .

(١٤٣) الرازي ، ٩٥ (ح ٥) .

(١٤٤) ابن حوقل ، ٣٦٠ .

(١٤٥) ابن حوقل ، ١٥٣ (مشار اليه في جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٧٧) .

(١٤٦) دي خويه (م ج ع ، ج ٤ ، ٢٠٥) ادى بواحة جزائر النخيل ، واحتفظت لها أفا بمعناها الحرفي ، الذي يلائم النص فيما يبدو لي .

ومراحل البريد ، والمنازل والفنادق ، والرباطات ، والتجار المتجولين
والاسواق المنعزلة ، والآبار والاحواض ، والمساجد ، والمراصد ،
والرسوم وغيرها من المراقبات (١٤٧) . اذن تنتزع الحياة احيانا بلا
تواني من الطبيعة الصعبة ، بل العدوانية صراحة ، اضافة إلى اناس
آخرين متربصين بالمسافرين ، نعي بهم الصعاليك (١٤٨) .

بعض الذكريات

وقطعا تبدو بعض الطرقات ممتازة . ففي فارس ، في كورة
سابور ، « ترى الانهار جارية ، والثمار دائية ، والقرى ممتدة ، تمشي
الفراسخ تحت ظل الاشجار ، مثل السعد ، وعلى كل فرسخ خيبار
وبقال » (١٤٩) . وبعض الطرق كلاسيكية ، اذا جاز هذا التعبير ،
لأن المشقة تقترن فيها بالمتعة ، كما في طريق « واد لقريه حسنة » (١٥٠)
ولنتبع خطى ابن رسته على الطريق الناهبة من مدينة السلام إلى
همدان (١٥١) . في البدء يرى النخيل والمزارع المتصلة والانهار ،

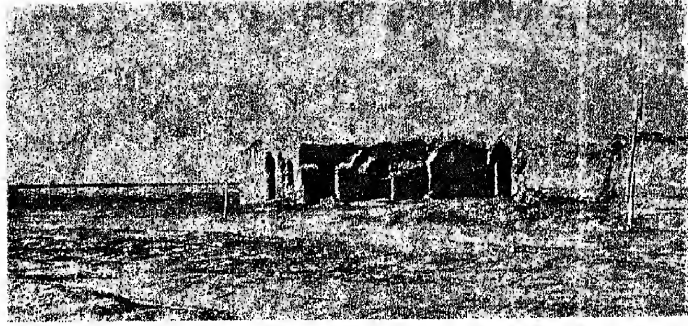
(١٤٧) هذه التدوينات منهجية عند الجغرافيين ، ويستحيل ذكر جميع الاحالات .
فعلى سبيل المثال ، انظر لنظرة شاملة شبه كاملة : ابن رسته ، ١٦٤ - ١٧٠ ، ١٧٢ ،
١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٧ . امثلة اخرى بين الف عند قدامة ، ١٨٨ ، ٢٢٥ ، وما يليها ،
وابن حوقل ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٦٠ ، آخر ٣٨٤ - ٣٨٥ ، ٤٢٢ -
٤٢٣ ، ٤٥٤ - ٤٥٥ ، آخر ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٩٧ ، ٥١٦ ، وما يليها ، ٥١٩ ،
المقدسي ، ٦٦ ، ١٩٥ وح ز) ٤١٦ ، ٤٢٤ ، ٤٩١ وما يليها .

(١٤٨) ابن رسته ، ١٦٧ ، ابن حوقل ، ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣٦٠ ، وما تقدم
الانصل ٣ ، بشأن القفص والبلوص .

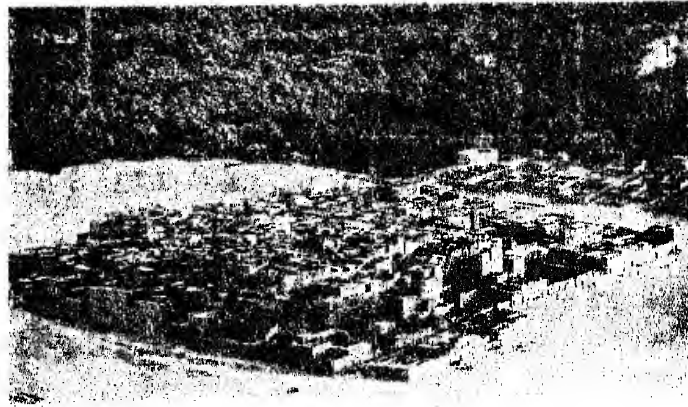
(١٤٩) المقدسي ، ٤٢٤ .

(١٥٠) ابن حوقل ، ٣٨٥ .

(١٥١) ابن رسته ، ١٦٣ - ١٦٧ .



خان في إقليم الجبال
(تصوير انج موراث الأكبر)



بندر قوافل امزرو قرب زاغورا في الصحراء الكبرى الشمالية
(تصوير جان ديتيه ، باريس)

باختصار العراق . ثم ارض مستوية وقرى يمنة ويسرة وقد خربت ،
ونحلا عنها اهلها خوفا من الاعراب . وتستطيل المرحلة سبعة او
ثمانية فراسخ مدة ثلاثة ايام ، ثم تظهر طلائع الجبال ، وتوالي القناطر .
وتشاهد هنا آثار الساسانيين ، وهناك وادي على جانبيه اشجار الدفلى ،
ثم شعب وقنطرة جديدة . بعد ذلك ، في اليوم التالي ، تنظر قنطرة
ايضا ، وهناك طاق ميني بحجارة مفروش بمرمر ، في وجهه شجرتا
فستق ، وشعب وفج والاكراد . ثم تأتي قرى متصلة ، وبيت نار
مخوسي ، وشعب آخر ، وفج بين جبلين ، ومشارف جبل بهستون ،
وعين ماء مقدار ما يدير خمسة احجار طاحونة . ثم يسير المرء على
محجة متخذة من الحجارة ، تمر بابنية فارس القديمة (الاكاسرة) .
وتصعد الطريق وتهبط ، وتجتاز الفجاج والشعاب واماكن مخوفة من
الصعاليك ، ومزارع ايضا . وهناك قوم يبيعون التمر والجن ، وقلة
عقبة فيها رباط ، ثم انحدار إلى اسفل العقبة فالقرى والمزارع فمدينة
همدان .

لا يتوازن دليل السفر دوما على النحو السابق . ويميل الميزان إلى
الصعوبة والخطورة احيانا ، مما ينتظر المرء في بادية العرب مثلا ،
يجعله يتردد ويرتعث خوفا . فسوف يتوقف في بعض المراحل الملائمة
تقريبا اذا ما قورنت بما يلقاه في طريقه من مياه مالحة ، وآبار معطلة ،
وصدف سيئة ، واعراب قطاع الطرق وغيرهم ، ودروب خفية (١٥٢)

(١٥٢) المقدسي ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ - ٢٥٦ وجغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٧٩ -

ويتهاظم الرعب في الشرق خاصة ، في مفازة فارس الكبرى ، التي تنفر كل الناس بلا ريب لو لم تكن مفترق بعض المواصلات الاساسية بين اقاليم المشرق في دار الاسلام . فليس يستدرك من مفازة فارس وخراسان ، متى تجاوزت تحومها ، على حد قول ابن حوقل (١٥٣) ، غير ما يعرض في اضعاف طرقها . من المنازل والرباطات الموقوفة على سابلة الطريق ، ليستجار بها في شدة البرد من الثلوج . وفي شدة القيظ من الحر ، وليس فيما عدا اطرافها كثير عمارة ولا سكان . وهذه المفازة من اكثر المناور لصوصا وفسادا (١٥٤) . ويصعب سلوكها الا على طرق معروفة ، ان تجاوزها متجاوز هلك . والمسلك في بعضها على الست والقصد بالنجم ، ويحمل الزاد فلا ثبات فيها : فالماء مشكوك بوجوده ، ونادر او مالح ، والمساكن اطلال ، هجرها اهلها تحت ضغط طبيعة ظالمة او هربا من اللصوص . وما يرى على الطريق من مأوى او مزارع او قرى ، لا يوازي تكرار ابن حوقل لفظ مفازة الرهيب المتسلط على الازهان

وقد اجتاز المقدسي تلك الارحاء الموحشة (١٥٥) . وخاطر بان يضل الطريق ، وخاصة ان يتعرض الى القتل على يد القفص . وألح ، لصالح المسافر ، على منازلها الامينة الممتعة ، وعلى الخياض والقباب (١٥٦) الكثيرة في طرفها ، القريبة الفراسخ . مع ذلك ينصح باصطحاب زاد لمدة ستة ايام . وجملة القول ان مفازة فارس لا يقطعها الا من قتل اباه

(١٥٣) ابن حوقل ، ٣٩٩ - ٤٠٠ ، وجغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٨١ - ٨٤ .

(١٥٤) القفص والبلوص في الطليعة ، ما تقدم ، الفصل ٣ .

(١٥٥) المقدسي ، ٤٨٧ وما يليها (الحواشي) .

(١٥٦) قبة : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣١٩ .

وامه ، الا اذا كان مكرها مثل حراس الحصون والرباطات ،^١ او من يشبه ذلك الرجل المعتوه - نعله عاقل - الوحيد الذي كان سعيدا يزرع حقلا انتزعه من الصحراء ، لاسيما بعد ان ذهب إلى نيسابور ، وضاق صدره فيها . واستوحش من اهلها (١٥٧) .

حركات المبادلات التجارية : بعض صفاتها العامة

تعتمد التجارة بداهة على العملة ، سواء جرت على الطريق او في السوق او في المدينة او في الخان . اما المقايضة (١٥٨) فشاذة ومتبعة ، حسب النصوص الجغرافية ، في البلدان الغربية . ويندر ايضا وجود الاتجار المتقطع الخاضع لمتقلبات مناخ يعطل المواصلات ، ووجود اقتصاد مغلق يخلو من المبادلات التي يمكن تصورها بسهولة كبيرة من خلال ذكر كورة المستنقعات او الجبال المنفردة في عزلتها (١٦٠) .

والقاعدة هي الحركة فيما عدا ذلك وفي جميع الاماكن . لكن في اي الاتجاهات وحسب اي المحاور ؟ اتبحت لي الفرصة في حديثي عن التجارة مع الغرباء ، ان لاحظ انها كانت تتم وبالاخرى ينظر اليها - في اتجاه واحد او تكاد ، نحو بلدان دار الاسلام ، لا العكس . فما هو الوضع ؟ في داخلها ؟ لا ريب اننا نعثر هنا وهناك على تدوينات

(١٥٧) المقدسي ، ٤٩٤ (ح س من ٤٦٣) مترجم في جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ،

٨٥ .

(١٥٨) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٠٥ (اصف ح ٤ : أخبار الصين

والهند فقرة ٧) ، ١٧٥ ، ٢٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣١٨ .

(٥٩ج) المسعودي (ت) ٦٥ - ٦٦ .

(١٦٠) مثلا جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٥٩ وما يليها ، ٢٠٣ - ٢٠٤ .

تحدد منشأ السلعة والمكان المرسله اليه . الا ان عدد مقاطع هذه التدوينات نادر جدا اذا ما قيس بجميع المقاطع التي تشير إلى المصدر وحده . واذكر مثالا واحدا يعد نموذجا لعمل ابن حوقل والمقدسي باجمعه ، بل لجميع الجغرافية . فتحت عنوان « التجارة » في العرض العام لاقليم المشرق ، عند المقدسي (١٦١) ، احصيت حوالي مائتي صنف مرتبطة ببلد منشأ ، وثلاثة اصناف فقط تحدد قصدها (١٦٢) .

اذن ، اين تذهب هذه الاصناف وغيرها ؟ إلى المدن بلا ريب في المقام الاول . لكن بلا تسميتها فهل تحمل إلى اقربها إلى اماكن الانتاج ؟ ربما ، انما جزئيا . وهنا تتاح لنا فرصة التذكير مرة اخرى باصول هذه الجغرافية . فقد فرضت ثقافة العصر العامة ، اي الادب ، منذ نشأتها ، ان تعرف في الحد الأدنى بعض الاصناف المشهورة ، المطلوبة ، التي تتجه إلى المستهلكين الكبار في سر من رأى وبخاصة بغداد (١٦٣) ، مقر الخلافة وقطب المعرفة . فالتبصر بالتجارة والجاحظ نفسه (١٦٤) ، وابن خرداذبه والمسعودي وابن الفقيه وسائر

(١٦١) المقدسي ، آخر ٣٢٣ - ٣٢٥ (مع بلدان البلغار والترك) .

(١٦٢) المقدسي ، ٣٢٤ (س ١٩ - ٢٠ بصورة غير مباشرة) و ٣٢٥ (س ١٢ و ١٣) . يلاحظ ان الاستثناء الأول يتعلق ببغداد في ذهنية ما سوف يقال . وردت تدوينات القصد في النص أو في حاشية في الفصل التالي .

(١٦٣) انظر سوفاجيه ، أخبار الصين والهند ، ص ٣٧ روماني اليعقوبي ، ٢٣٣ - ٢٣٤ ، ابن الفقيه ، ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(١٦٤) في كتاب الامصار وعجائب البلدان مثلا .

الجغرافيين (١٦٥) درجوا على هذه العادة. وتحدث كراتشكوفسكي (١٦٦) عن هذا الادب . فرأى بثاقب علمه ان الجغرافية الاقتصادية في تلك الايام كانت في الواقع جغرافية استيراد . يعني بذلك ان اكثريّة الاصناف ، او كلها تقريبا ، يقال ان مصدرها من هذا البلد او ذاك ، وانها تقصد - او قصدت (١٦٧) - الوصول إلى سوق بغداد العظيمة المركزية المثالية .

* * *

(١٦٥) انظر ابن خرداذبه ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٦١ وما يليها واماكن متفرقة ، المسعودي (م) ، فقرة ٩٠ ، ١٧٨ ، ٢٥٢ - ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٣٦٣ - ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، واماكن متفرقة . ابن الفقيه ، آخر ٢٩ - ٣٠ ، ٣٦ ، ٥٠ ، ٦٦ - ٦٧ ، ٨٤ ، واماكن متفرقة .

(١٦٦) مشار اليه ، ١٢٦ (١٣٠) .

(١٦٧) هذا التقييد لاختذ انحطاط العراق ومدنه بعين الاعتبار (انظر سوفاجيه ، اخبار الصين والهند) لكن هذا لم يمنع النموذج الثقافي من التدخل ، ولم يتوقف الكتاب عن مدح بغداد مع ادراكهم انحطاطها (المقدسي ، ١١٣ ، ١١٩ - ١٢٠) .

الفصل السادس

أصناف المبادلات التجارية وركائزها

تَحْمِلُ اصناف المبادلات على الطرقات البرية والمائية ، وتدخل في ما نسميه الجغرافية البشرية ويطبع اروعها في الحد الادنى بطابع الادب ، زمنيا واصوليا . ويتهج الاختصاصيون في هذا الفن ، من امثال ابن الفقيه والتهالبي (١) بكتابة لوائحها التي تتوالى فيها اسماء البلدان مرفقة بتعداد ما تنفرد بانتاجه . الا ان هذه الثقافة العامة لا تقتضي المعرفة الخالصة وحدها ، لأن معرفة المحاصيل الرئيسة الشهيرة والمطالوبة في شتى الاقطار تعد من نوع موضوع الاغتراب الكبير ، الذي يحث البشر على السفر على الطرقات ليثروا - ويعلموا ايضا اصلا - على ان يتوازي هذا التحرك مع خلعجات الحنين إلى الاوطان . وقد شاع الموضوع هذا بلا انقطاع من الجاحظ إلى سندباد الف ليلة وليلة وكثير غيرهما (٢) ، واقترن بموضوع المخزن العالمي .

(١) ابن الفقيه ، ٥٠ ، ٢٥١ - ٢٥٥ ، التهالبي ، ١٣٢ - ١٣٣ .
(٢) انظر مثلا الحصري ، زهر الأدب ، ٣٨٥ - ٣٨٦ ، البيهقي ، محاسن ، ٢٨٤ - ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٣٠١ - ٣١٨ .

ونستبعد هنا الرقيق الذين يجلب معظمهم من اوروبا الصقلية والسهوب التركية وافريقية السوداء الغربية او الشرقية . وقد اشرنا إلى تجارتهم في مكان آخر ، ولن نذكرهم الا في مفرقات طرق مرور يعبرونها إلى داخل مملكة الاسلام ، خاصة الافدلس والمغرب وخوارزم والسغد (٣) . وينطبق هذا التحفظ على جميع ما يحملونه معهم من خارج دار الاسلام . وسوف نهتم بداهة بما تبقى ، اي باصناف سلع دار الاسلام ، المجدولة على اساس البلدان المنتجة ، والمفروض ان تأخذ طريقها إلى بغداد او يجدر بها ان تفعل ذلك .

فهذا هو نهجنا . ولن نخذو حذو المؤرخين ، من امثال لومبار ، وكاهين واشتور وغيرهم . وسوف نحاول تقديم عرض ، بمعناه التجاري والاعلاي ، ونستهدي بقائمة الادب ، فنزور دار الاسلام بلدا بلدا ، ومنصاتها والاصناف الرئيسة التي توفرها لنا (٤) . هذا في الفترة التي تنتهي في منتصف القرن ٤ هـ / ١٠ م . بعد ذلك ، ننتقل إلى الجغرافيين الميدانيين ابن حوقل والمقدسي لتقدر الاختلافات بينهما وبين اسلافهما .

(٣) انظر ابن خرداذبه ، ٩٢ ، يعقوبي ، ٣٤٥ ، ابن الفقيه ٨٤ ، ٢٥٢ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٥ ، عجائب الهند ، فقرة ١٥ ، ٣٢ ، الاسواني ، ٢٥٤ ، ٢٨٩ وما يليها ، ابن حوقل ، ٦٩ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ٣٤٠ ، ٤٥٢ ، ٤٦٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨٢ ، آخر ٤٩٤ ، المقدسي ، ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ٢٤٣ ، ٢٧٨ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٨٠ ، ٤٨٥ وجغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، الفهري ، ٦٥٠ - ٦٥١ (لفظ رقيق وخصيان) .

(٤) يحدد القصد في الحالات النادرة التي يعينها المؤلفون . نحيل أيضاً بشأن الأصناف التي ستحدث عنها ، الى جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، فصل ٣ ، ٩٥ - ٩٧ وفصل ٥ - ٦ واماكن متفرقة .

الاندلس والمغرب

تقع الاندلس على الهامش ، فلا تظهر الا نادرا في الادب .
واذكر اصنافا تعد استثناءات ، منها عنبر السواحل الغربية ، الذي
يحمل من قرطبة عن طريق شتيرين وشلونة ، ويصدر إلى مصر بصورة
رئيسية (٥) والمرجان المجلوب من الهند والصين (٦) إلى جزيرة
العرب ، وزيت الزيتون ، والقطن والكتان والحلل (٧) ، والزعفران ،
والتوابل او العطور (٨) ، واخيرا المعادن كالذهب والفضة والزئبق
الاندلسي (٩) . ولحسن الحظ ، تمتلك الاندلس ، او بالاحرى شبه
جزيرة ايبيرية ، اصنافا خاصة بها : فمؤلف تقويم قرطبة المجهول
يتحدث عن ازدهار بساطينها ، وكذلك الرازي المتوفى حوالي منتصف
القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . وسواء كان ذلك حرصا على
الوصف الصرف ، او تنافسا في اطار ذهنية الادب من خلال نوع من
الوطنية المحلية التي تريد ادراج ايجاد الاندلس في لائحة الخصائص
المعروضة لبلدان دار الاسلام ، فالرازي يخبرنا (١٠) في الحد الأدنى
بما يحدث تقريبا .

(٥) المسعودي (م) فقرة ٤٠٦ .

(٦) وصيف ٤١٠ يضاف مرجان البلدان الشمالية المعاد تصديره : ابن خرداذبة ، ٩٢

(ابن الفقيه (٨٤) .

(٧) ابن الفقيه ، ٥٠ (حلل : ثياب الزينة) ، ٨٨ (بدقة : ذكر قلة النخيل) .

(٨) المسعودي (م) ، فقرة ٤٠٧ .

(٩) المسعودي (م) ، ٤٠٧ ، ابن الفقيه ، ٨٧ (مع تحديد الموضع) .

(١٠) أكثر من التقويم المعنى بالزراعة على التخصيص (عنه ، انظر جغرافية دار

الاسلام ، ج ١ ، ٣٠ - ٣١ روماني ، ٢٥٧ - ٢٥٨ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩) . بشأن

المعطيات التالية ، انظر الرازي ٦١ - ٦٣ ، ٦٦ - ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ،

٨٢ - ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ - ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ (يتفق لكل تدوين خاص) .

وتأتي في الطليعة المزارع والحقول . وتذكر الحبوب ، بلا تمييز كبير بينها ، وثمار الجنان او البرية ، كالموز والجوز والكرز والكستناء والبندق والتين (١١) والاعناب خاصة - زبيب ملقة الشهير افضل زبيب في الدنيا (١٢) - والزيتون في سهل الجرف في منطقة اشبيلية ، الذي تكثر فيه ، في مربع ضلعه خمسة واربعون ميلا او ستة وثمانون كم تقريبا ، ثمار يعصر منها الزيت الذي يصدر إلى المشرق (١٣) . وتلي كميات كبيرة من سكر القصب ، وعسل النحل وشمعه ، خاصة عسل لشبونه الابيض الناصع والسمياك (١٤) وشمعه ، ثم نباتات التوابل او الصمغ او النسيج ، كالكمون والزعفران والعصفر والكتان وتوت القز والقطن (١٥) ، ثم الانخشاب ، وهي كثيرة ودخلها عالي ، كالصنوبر والبلوط والبقس من طرطوشه (١٦) خاصة . ويذكر أيضا القنص والصيد البحري وجمع العنبر واخيرا المواشي والبانها ، وترعى في مروج رائعة تبور وتزرع فيها الحبوب (١٧) وهكذا تتنوع اصناف الحضرة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، ويقابلها تنوع موارد الارض ، كالرخام الابيض

(١١) الزبيب خاصة : الرازي ، ٩٣ .

(١٢) الرازي ، ٩٨ .

(١٣) الرازي ، ٩٣ .

(١٤) الرازي ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٣ .

(١٥) خاصة قطن منطقة اشبيلية ، المصدر « الى جميع البلدان والى الجانِب الآخر من

البحر » : الرازي ، ٩٣ .

(١٦) الرازي ، ٧٢ . يشار أيضا بالنسبة الى البلوط الى فحص البلوط (انظر جغرافية

دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٤ ، ح ٢) الذي ينتج احلى ثمر في الاندلس : الرازي ، ٨٣ .

خشبنة عماد المنشآت البحرية في المرية : الرازي ، ٦٧ .

(١٧) الرازي ، ٧٦ ، ٨٢ - ٨٣ ، ٩٣ ، ٩٧ .

والاسود ، والملح الصخري والبحري ، والمغرة والشب ، والبحرمان والاسمانجوني والسفير والصفير ، والحلقيدونية ، والزجاج
فغنى الارض الاندلسية ، لا مثيل له ، ومناجمها اعظم مناجم العصر انتاجا للذهب (١٨) والفضة والزئبق — وقد ذكرت من قبل — والحديد والقصدير والرصاص والزئبق . ونهني النشاط الاقتصادي الاندلسي بثلاثة اصناف اساسية في العمل الحرفي : هي البسط والجلود والمنسوجات وبعضها مشهور في العالم اجمع (١٩) .

والمغرب هامشي ايضا ، وليس له ادب متخصص خلافا للاندلس . ولا يذكر له الا الاعناب والتين والزيتون في تونس ، وايضا في طرابلس الغرب وواحات ليبية (٢٠) اللتين تنتجان التمور والجلود والحبوب والاسلحة (٢١) . نشير ايضا إلى كذاّن اتنا (٢٢) ، والآنم والمعادن من فضة وحديد ورصاص (٢٣) ، ونحّم بالبغال البربرية (٢٤)

(١٨) الى جانب المناجم ، يذكر تبر الرمال في نهر دارو حوالي غرناطة ، وسيهر رافد الابره : الرازي ، ٦٧ ، ٧٤ .

(١٩) بشأن ساراغوسه : الرازي : ٧٨ .

(٢٠) اليعقوبي ، ٣٥٠ ، المسعودي (ت) ، ٣٥ ، اسحاق ، ٤٤٩ .

(٢١) ابن الفقيه ، ٥٠ ، اليعقوبي ، ٣٤٥ ، الترجمة ، ٢٠٤ - ٢٠٦ ، مع الذرة البيضاء بلا شك . انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٨٧ ، ح ٢ (عن بداية الذرة في بحر الروم ، انظر ج . ج . هيماردنكر ، في منوعات على شرف فرنان برودل ، باريس ، ١٩٧٣ ، ج ١ ، ص ٢٢٧ - ٢٣٣) .

(٢٢) وصيف ، ٦٨ .

(٢٣) اليعقوبي ، ٣٤٩ .

(٢٤) ابن الفقيه ، ٢٥٢ (في لائحة خصائص) . قد يذكر المرء حقاً في بلد بربره في افر يقية الشمالية الشرقية ، اذ ان النص لا يهتم بالدقة الجغرافية ، يدخل في الخصائص المغربية نمور بلاد الزنج (عن الالتباس بين بربره وبلاد البربر ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٧٠) . لكنني لم اعثر على احالة اخرى الى بغل بربره في مكان آخر (انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، الفهرس ، ٥٩٠ - ٥٩١) .

مصر وجزيرة العرب والشام

وتبدو مصر ، بنت النيل ، في حلتها الخضراء اولا ، وفي خصب تربتها العام في جميع الاماكن. وخصصها ، حسب المسعودي ، اسوان ، الكثيرة النخل ، الكثيرة الخير ، التي توضع النواة في ارضها ، فتنبت النخلة ، ويؤكل ثمرها بعد سنتين (٢٥) . ويرى المسعودي ايضا (٢٦) ان انواع النخيل الكبير والاراك والدوم والقرظ والهلبلج والفلفل والخيار شبر تنبت في صعيدها وهوائها ، وان الكروم واللوز والجوز وسائر الفواكه والبقول والرياحين تنمو في اسفلها ، والزيتون ايضا ، لأن الزيت والقند والقمح — خاصة اليوسفي — هامة في قائمة الاصناف المصرية (٢٧) لكن ارض مصر غنية ايضا بمعادنها كالزاج والشب والتبر والحجارة الكريمة من زمرد وياقوت (٢٨) .

ويشمل نشاط الحرف الاواني الخزفية والجلود والبسط (٢٩) والبطانة المصنوعة من ريش البجع (٣٠) ، وخاصة الثياب الرقاق

(٢٥) المسعودي (م) ، فقرة ٤٨٤ .

(٢٦) المسعودي (م) فقرة ٨٩٥ (الراحات) ، المسعودي (ت) ، ٣٥ جلبت أشجار البرتقال والليمون من الهند عن طريق عمان بعد ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م لكنها تفقد نكهتها هنا : المسعودي (م) ٨٤٠ .

(٢٧) اليعقوبي ، ٣٣١ ، المسعودي (ت) ، ٣٥ - ٣٦ ، اسحاق ، ٤٤٨ . انظر أيضاً العسل (ابن الفقيه ، ٦٩) .

(٢٨) اليعقوبي ، ٣٣٣ ، المسعودي (م) ، فقرة ٨٩٤ - ٨٩٥ (الراحات) ، المسعودي (ت) ، ٣٥ - ٣٦ ، الثعالبي ، ١١٥ - ١١٦ ، مسعر (ب) ، ١٠٠ ، ١٢

(٢٩) اليعقوبي ، ٣٣١ - ٣٣٢ ، ٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٣٠) الثعالبي ، ١١٩ .

والشروب والصفاق في تنيس وشطا (٣١) ودمياط ودبيق . يضاف اليها القراطيس في الطليعة (٣٢) . وتشتهر مصر ايضا بتربية الحيوانات كالخيل والبغال وخاصة الحمير ، الدواب المفضلة لركوب الخلفاء في بساتين قصورهم ، والمقصود بها الحمر المرسية او حمر الجنوب (٣٣) ويشاء حسن حظ جزيرة العرب ان يخصصها الادب بمكانة رفيعة ، وان ينفرد بالحديث عنها الحمداني ، الخبير بها ، كالرازي بالاندلس . لذلك لدينا معطيات وافرة عنها (٣٤) . والواقع ان جزيرة العرب قسمان : اليمن الممجد كثيرا ، ثم الباقي كله . ونبدأ بما ليس بمنيا . ويقال ان الحمر تنقل إلى سرنديب من بلاد العرب (٣٥) ، وان حنطة

-
- (٣١) اليعقوبي ، ٣٣١ - ٣٣٧ - ٣٣٨ ، ابن الفقيه ، ٥٠ ، ٦٩ والقلطن) ، ٢٥٢ ، المسعودي (ت) ، ٣٥ - ٣٦ ، اسحاق ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، الثعالبي ، ٩٧ ، استشهاد الجاحظ) ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٦ ، ٢٥٤ .
- (٣٢) اليعقوبي ، ٣٣٨ ، ابن الفقيه ، ٦٦ ، ٢٥١ ، الثعالبي ، ٩٧ (استشهاد الجاحظ : القراطيس المصرية بالنسبة للغرب كورق سمرقند بالنسبة الى المشرق) ، ١٢٦ ، ورق الصين ينازع تفوقه وهو مصنوع في سمرقند ومستورد منها .
- (٣٣) اليعقوبي ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ابن الفقيه ، ٥٠ ، ٦٩ ، آخر ٧٤ (عن موقع بلاد مريس) ، ٢٥٢ ، الثعالبي ، ٩٧ - ٩٨ (استشهاد الجاحظ) ، ١٢٧ ، المسعودي (ت) ٣٥ - ٣٦ .
- (٣٤) المعطيات التالية مأخوذة من ابن خردادبة ، ٧١ ، ١٣٦ ، اليعقوبي ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ابن سيرايبون ، ٩٣ - ٩٤ ابن الفقيه ، ١٦ ، ٢٩ - ٣٠ ، ٣٦ ، ٥٠ ، آخر ١٢٤ - ١٢٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ابن رسته ، ١٠٩ - ١١٢ ، ١٣٢ ، ١٧٦ ، المسعودي (م) فقرة ٢٥٦ ، ٣٦٣ - ٣٦٥ ، ٨٩٨ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٦٧ ، مسعر (ب) ، ١٢ ، اسحاق ، ٤٣٥ ، الثعالبي ، ١١٥ - ١١٦ ، عجائب الهند ، فقرة ١١٥ ، وصيف شاه ، ٦٥ ، الحمداني ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٧ ، ٨٦ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ - ١٠٨ ، ١٢٠ - ١٢٣ ، ١٤٩ ، ١٥٣ - ١٥٤ ، ١٩٦ - ٢٠٣ . عند اللزوم يدقق التلوين الخاص .
- (٣٥) ابن رسته ، ١٣٢ (دون تحديد منشأ دقيق) .

اليمامة تحمل منها إلى الخلفاء (٣٦) . وتذكر اعناب الطائف ، وقصب
سكر عمان ، الا ان التمر ثمرة الاقليم بلا نزاع ، منه تمر عمان ،
والمدينة ، وخيبر ، والبحرين ، واليمامة (٣٧) . وتربية الابقار والاغنام
والابل المهرية الشهيرة . ونشير في الختام إلى الطين الابيض الذي
يحمل إلى بغداد للغسول (٣٨) ، والنحاس وانواع اللؤلؤ في عمان ،
والذهب في اليمامة او في منطقة المدينة ومكة مع الفضة والنحاس (٣٩) .

وتشهر اليمن بالمعنى الضيق ، في جنوبي غربي جزيرة العرب ،
بغناها العظيم : وتذكر عندهم الحنطة دفعتين ، والشعير والارز ثلاث
دفعات واربعاً ، ومن ثمارهم وعنبهم ما يدرك دفعتين ايضاً ، على
حد قول ابن رسته (٤٠) . ونضيف إلى قصب السكر الحبوب ،
خاصة الحنطة والشعير والارز ، وانواع الخيار ، والفول والبقول
الاخرى ، والسسم والكمون ، والازهار ، وفيضا من الثمار ،
كالاعناب وانواع التفاح ، والدراق ، والاجاص والخوخ والبرقوق
(المشمش) والتمر والموز والجوز واللوز والفسق والرمان والتين ،
والانرج والسفرجل والبطيخ . والشهد الحضوري فريد يهذى إلى
سائر البلدان خاصة العراق (٤١) . وتعنى الزراعة ايضاً بنباتات
الاصبغة كالنيل والورس ، ونباتات العطور كالبخور خاصة . ونزيد

(٣٦) ابن الفقيه ، ٢٩ .

(٣٧) لاحظ من بين الاحالات ، ابن الفقيه ، ٢٩-٣٠ (شرح الفاظ خصائص متفرقة) .

(٣٨) ابن رسته ، ١٠٩ .

(٣٩) اليعقوبي ، ٣١٥ ، المسعودي (م) ، فقرة ٢٥٦ ، الثعالبي ، ١١٥ ، الهمداني ،

١٤٩ - ١٥٤ (تعداد مناجم اليمامة) .

(٤٠) ابن رسته ، ١٠٩ .

(٤١) الهمداني ، ١٩٨ - ١٩٩ .

ايضا الكافور والعنبر والشب (٤٢) . وتشمل تربية الحيوانات السلوقية الشهيرة ، والبعال والحمير والخيول والابل وخاصة الابقار (٤٣) العراب التي تزود بالجلود احد الانشطة الحرفية الرئيسة . وتضم الحرف الدباغة والاواني الخزفية وبرود سعيد وعدن (٤٤) ، والنعال المشعرة والمزامير (٤٥) والسيوف (٤٦) اليمانية الشهيرة ، وصياغة المعادن الثمينة وقطع الحجارة الكريمة وصقلها ، كالذهب والفضة ، والعقيق الاحمر ، والجزع ، والعقيق الاسمر والبلور ... وتبدو لوحة الشام (٤٧) ابسط، وتقتصر على بضعة اصناف لها شهرة



رؤس المتاحف الوطنية متحف لوفر ، القسم الاسلامي ١٦٥٢٢
جزء من (فريز وطنف) حيوانات تعدو (ارنب بري وكلاب سلوقيه)
(مصر ، قرن ٩ ، الخشب صنوبر حلب)
(تصوير ا . شوزفيل)

-
- (٤٢) موصوف على انه من نوع خاص، يباع الى التجار المارين: ابن خرداذبه، ٧١، ابن سيرايبون، ٩٣ - ٩٤، المسعودي (م) فقرة آخر ٣٦٣ - ٣٦٥، وصيف شاه، ٦٥ .
(٤٣) انظر خاصة الهمداني ، ٢٠١ (تعداد انواع الخيول والابل والحمير والابقار)
(٤٤) ابن رسته ، ١١٢ ثياب تباع بـ ٥٠٠ دينار .
(٤٥) ابن رسته ، ١١٢ .
(٤٦) حديد ذكره الهمداني ، ٢٠٢ .
(٤٧) ابن خرداذبه، ٧٩، اليعقوبي، ٣٦٥ ، ٣٧٠، المسعودي (م) فقرة ١٠٨ ، ٤٥٥، المسعودي (ت) ٩٠، ابن الفقيه ، ١١٧ ، آخر ١٢٢ - ١٢٣ ، الثعالبي ، ٦٥ .

عالمية . وتأتي في طليعتها ثلاث ثمار هي الزبيب والعنب والزيتون،
والشام اول منتج بالزيت في دار الاسلام، وتصدره على ظهور الابل،
ثم التفاح في لبنان ويتميز كمّاً وكيفاً . ويصل إلى العراق منه سنوياً
ثلاثون ألفاً ، ويستخرج منه مادة عطرية تسمى « ماء التفاح » (٤٨) .
ويُربى فيها من بين الحيوانات جاموس الشام الشمالية الذي تحكى
هجرته الطويلة من الهند مروراً ببطائح العراق (٤٩) . ويفتخر اهل
الشام بالقار وبالبورق المطلوب في الصياغة . اخيراً تبلغ الحرف
اوجها بانتاج الزجاج الممتاز المشهور في جميع الاماكن .

بلاد ما بين النهرين والاراضي العالية صعدا

يعدّ العراق (٥٠) احدى الاراضي المفضلة للنخل. وتتفوق فيه النخلة
على الكرم (٥١) ، والحمضيات (٥٢) ، والزيتون (٥٣) وباقي
الاشجار المثمرة ، وعلى قصب السكر ذاته — الذي يرفعه إلى مرتبة
احد المنتجين الكبار الاربعة في دار الاسلام ، مع الهند وخوزستان
وجرجان (٥٤) . ويحتل العراق بتمره — خاصة تمر البصرة — المرتبة

(٤٨) بالنسبة الى الحمضيات حاشية مصر ذاتها : ما تقدم ، ٢٦ .

(٤٩) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٥٠) ابن خرداذبه ، ٦٧ ، اليعقوبي ، ٣٢٢ ، ابن رسته ، ١٥٣ ، ١٨٦ :
ابن الفقيه ، ٥٠ ، ١٢١ ، ٢٥٢ - ٢٥٣ ، المسعودي (م) فقرة ٩٠٩ ، مسعر (ب)
١٢ ، عجائب الهند ، فقرة ٩٣ ، ابن عدي ، العقد ، ج ٦ ، ٢٥٣ ، الثعالبي ، ١٠٧ .
عن الجاموس ، انظر ما تقدم ح ٤٩ .

(٥١) خمر مصدر الى سرنديب : ابن خرداذبه ، ٦٧ . انظر ما تقدم ، الاشارة
ذاتها لجزيرة العرب .

(٥٢) عنها . انظر ما تقدم الحاشيتين ٢٦ و ٤٨ .

(٥٣) ادخله الروم في عهد سابور : المسعودي (م) فقرة ٦٠٦ .

(٥٤) الثعالبي ١٠٧ .

الاولى . واستمر تفوقه به حتى اصبحت النخلة شجرة العرب (٥٥)
دون سائر الاشجار . ونشّطت حرف العراق في المراهم ، والجلود
والطلاء والزجاج والاواني البيتية ، والمنسوجات ، والقطن ، والخز
والحرائر الموشومة ، وخاصة الستور والبسط في واسط (٥٦) والخيرة وميسان.

ومتى اتجهنا إلى الشمال ، يظهر خمر الديارات ، ويتاجر به محليا ، والملح
ويحمل إلى العراق مع الكمثرى والعنب وعسل الموصل وستورها (٥٧).
واذا استمر توغلنا شمالا ، ووصلنا إلى الاراضي المرتفعة في الران
واذريجان ، عثرنا على النفط الابيض في باكة ، والبغال الشهيرة في
برذعة ، واللفاح والذهب والرصاص والزاج والشب (٥٨) . وتأني
ارمينية في الطليعة ببسطها (٥٩) واعشابها واخشابها - الخزامى والافستين
والبلوط والخلنج الذي تصنع منه اواني المطبخ (٦٠) - والشاهبلوط (٦١)
والابقار والخيول ، والبغال ، والحملان (٦٢) والملح (٦٣) ، والمن (٦٤)

-
- (٥٥) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٦٤ - ٤٦٥ .
(٥٦) ابن رسته ، ١٥٣ ، اليعقوبي ، ٣٢٢ ، بهذه المدينة يصنع الفرش الذي يعمل
منه الارمني (البساط) ، الواقع انه يحمل الى ارمينية فيفزل وينسج .
(٥٧) قدامة ، ٢٤٥ ، ابن رسته ، ١٥٣ ، ابن الفقيه ، ١٣٢ ، الشافعي ،
١٢١ ، ١٢٧ ، الثعالبي ، ١١١ .
(٥٨) المسعودي (م) فقرة ٤٦٣ ، مسعر (ب) ، ١٠ ، ١٢ (شب يحمل الى
اليمن وواسط لمعالجة الأصواف) ، الثعالبي ، ١٢٧ .
(٥٩) اليعقوبي ، ٣٢٢ ، ابن رسته ، ١٥٣ ، الثعالبي ، ١١١ .
(٦٠) مسعر (ب) ، ١٥ ، ابن الفقيه ، ٢٩٧ ، عن خشب الخلنج ، انظر
جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، الفهرس ، ٥٧٩ ، ج ٣ ، ٥٤ (ح) ٤٧٥ ، (ح) ١ .
(٦١) ابن الفقيه ، ٢٩٧ .
(٦٢) ابن الفقيه ٥٠ ، ٢٩٧ ، مسعر (ب) ١٧ .
(٦٣) مسعر (ب) ، ١٤ ، ١٥ .
(٦٤) ابن الفقيه ، ٢٩٧ ، جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٢٣ (ح) ١ . ابن
الفقيه نفس الاحالة .

واصبغة القرمز او الفوة (٦٥) والديباج (٦٦) ، اخيرا الحجارة ،
والمعادن كالمركشيت ، والزئبق والنحاس والقلقطار والاسرب (الرصاص)
والبورق والمغنيزية والكبريت والزنك والاثمد والشب الاسود (٦٧) .

الجمال والمضاب في فارس

تشبث فارس هويتها في هذا الميدان كسائر الميادين . وما دامت
خصائص الارض او اعمال البشر عناصر في معارف الادب ومحتويات
خزائنه ، فإن مطلب الهوية (الشعبية) سوف يزدان ، بالنسبة إلى
فارس قبل غيرها على الأرجح ، بأسماء ما نسميه اليوم الاقتصاد .
وانيط الدفاع الاساسي عن فارس وتوضيح وضعها بثلاثة محامين منها
او تبنا قضيتها ، وهم ابن الفقيه ، وابو دلف مسعر والثعالبي (٦٨) ،
الذين لا يتركون شيئا للصدف ، ولا يهملون اي منطقة من مناطق
التبعية الفارسية الواضحة جدا .

ففي الشمال تقع بلدان بحر الخزر : جيلان والديلم وطبرستان
وجرجان وقومس التي ينتقل منها إلى خراسان (٦٩) . فالشريط
الساحلي والجبل والسفح الجنوبي موطن القنص والسملك وتربية الحيوان
التي تؤمن مقادير كبيرة من الالبان . وفيها ايضا الغابة ، وفي اماكن

(٦٥) ابن الفقيه المراجع ذاته .

(٦٦) مسعر (ب) ، ١٧ ، .

(٦٧) مسعر (ب) ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ابن الفقيه ، ٢٩٧ .

(٦٨) ابن الفقيه الهمداني من همدان حسب اسمه ، والثعالبي من نيسابور ، عن ابي

دنف مسعر انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ١ ، ١٣٩ ، ٣٣٥ .

(٦٩) عن المعطيات التالية ، انظر ابن الفقيه ، ٥٠ ، ٢٥٤ ، ٣٠٤ ، مسعر (ب)

١٠٤٧ ، ٣٥٤ ، ٣٩٠ ، الثعالبي ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٩ ، اليعقوبي ، ٢٧٦

٢٧٧ ، اسحاق ، ٤٤٢ (عن خشب الخلنج ، انظر ما تقدم ، حاشية ٦٠) ، ابن عبد

ربه ، العقد ، ج ٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

اخرى منها بساتين وجنان وافرة الزروع يضرب بها المثل ، وتنمو فيها انواع البقول والازهار والثمار والنخيل والحوز والزيتون او الرمان . ويأتي قصب السكر (٧٠) على راس قائمة الاصناف ، وتفاخ بسطام او قوس المصدّر إلى العراق والاترج (٧١) الذي يستخرج منه ماء الزعفران وتشبه رائحته رائحة ماء الورد . ومن ثروات هذه البلدان المعادن ، من ذهب (٧٢) وفضة، تسعر بسعر الفحم (٧٣) وزئبق ورمصاص وبورق ، وجمشت وجاز ومغنيزية ، وشب وزرنيخ (٧٤) . ولا ريب ان النسيج افضل ما في تلك البلدان : فالقومي ، والطبري ، والقزويني ، والروياي والعاملي انتاج ممتاز ، اشتق اسمه من النسبة إلى المدن او إلى البلدان التي تنتج الاصناف ، وتصدرها إلى جميع الجهات ومنها الثياب السود والمزركشة او الحمراء كشقائق النعمان ، والحراير ، واقمشة الكتان او الصوف او القطن او الديباج ، والستور ، والقلائس ، والبراقيع ، والبسط والستائر ، والمناديل الناعمة جدا التي تعمى في صنعها عيون العاملات (٧٥) .

(٧٠) انظر ما تقدم عن العراق .

(٧١) حول معاني الأترج المحتملة ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٤٦ وما يليها .

(٧٢) ثلاثة انواع حسب سعر (ب) ، ٧ .

(٧٣) الاحالة ذاتها .

(٧٤) يصدر إلى اصبهان حيث يصنع منه فصوص خواتم : انظر الاحالة ذاتها .

يضاف الملح « وحجر يحل محل البادهر » : سعر (ب) ١١ .

(٧٥) هذه التبعة من سعر (ب) ، ٣٧ ، الذي يعطي اسعار امثال هذه الأعمال :

٥٠ الى ٢٠٠ دينار القطعة . حول لفظ سبئية انظر ابن حوقل ، ترجمة ، ٣٣٨ ، ح ٦٥٥ و دوزي ، اللفظ . عن الخيش المذكور عند الثعالبي ، ١١٢ ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٣١ (ح ٢) . تصانف أيضاً البطانة بريش البجع : الثعالبي ، ١١٩ .

واذا اتجهنا إلى الجنوب نحو هضباب فارس العالية (٧٦) ، نصل إلى بلاد الازهار ، كالزنبق والورد (٧٧) ، والكشمش الذي يصلر إلى العراق ، والزعفران والقطن وثمار الشتاء والاجبان . وتتميز اربع مدن بمزايا خاصة هي اورستاقها : وهي قم بالزعفران وصنع الكراسي ، ونهاوند بالعكاكيز والبيازر المصنوعة من خشب الصفصاف (٧٨) ، وهمذان بالملح والسبازج ، والذهب والمرايا والملاعق ، والمجامر والطبول المذهبة ، والري بورودها التي تدوم اربعة اشهر ، والرجس والبنفسج ، والمشمش والاجاص والرمان والدراق المقطع شرائح والجفف (٧٩) ، والمقصات والاطباق المدهنة ، والامشاط والاواني الخشبية ، والممالح والمغارف ، والذهب والفضة (٨٠) والرصاص والزاج والاثمد ، والاكسية الرازية ، البيض الطرازية والطيايسة البيض السرية والثياب المنيرة .

من فارس الجنوبية إلى الهند

يمدح ابن رسته اصبهان الواقعة في جنوبي فارس ، لأنه من اهلها ويفتخر باصله (٨١). ويشيد هو وغيره (٨٢) بمنتجاتها التي تحمل إلى جميع

-
- (٧٦) ابن الفقيه ، ٥٠ ، ٣٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣ - ٢٥٤ ، مسر (ب) ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ - ٣٥ ، الثعالبى ، ١١١ ، ابن عيدوبه ، العقد ، ج ٦ ، ٢٥٤ .
 (٧٧) بشأن اسماء المدن المذكورة عند ابن الفقيه ، ٢٣٥ ، احيل الى معجم الكتاب ، ص ١٨ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٨ ، رومانى .
 (٧٨) وبالنسبة الى الاجاص : ابن الفقيه ، آخر ٢٣٥ .
 (٧٩) انتاج كمالي مخصص للرجال العظام (السلاطين : الثعالبى ، ١١١) .
 (٨٠) رغم نقص الانتاج : مسر (ب) ، ٣١ .
 (٨١) ابن رسته ، ١٥١ .
 (٨٢) ابن رسته ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ابن الفقيه ، ٥٠ ، ٢٥٤ ، الثعالبى ، ١١١ .

الجهات تقريبا . فيها تبقى الثمار سنة كاملة مثل العنب ، والصيني (الاجاص) والتفاح والسفرجل والرمان . ويقال انه اذا بلغ ما يجلب من تفاحها وسفرجلها إلى بغداد النهروان ، اشم رائحتها في القسبة ، واستقبل ، وابتيع . وبها الملح المفاس الذي لا يوجد في شيء من البلدان في طعمه ، والعسل المادي الخالص النقي الذهبي ومنه يجلب إلى الخلفاء . ونضيف النباتات الطبية كالزعفران والاشنان والنشادر والاثمد والقار وملح البارود والراتنج ، وجميع المعادن تقريبا : كالذهب والفضة (٨٣) والصفر ، والحديد والرصاص والتوتياء ، اخيرا هنا ايضا السور والبسط ، وبسط رويدشت التي تضاهي بسط ارمينية ، والثباب والاطلس او الحرير المقلّم .

وتبدو فارس وخوزستان متميزتين ومتكاملتين (٨٤) . ففي فارس ، غصار سيرا ف ، والقطران ، والثمار المجففة (٨٥) ، والمراهم . وتنفرد بماء الورد الجوري ، الذي يحمل إلى جميع انحاء العالم (٨٦) ، وبشغل المعادن وتحويلها إلى اطر مرايا ودروع وسيوف وزرد وصناديق واقفال وقدرور وغيرها من الاصناف حتى قيل عن

(٨٣) معظمها مناجم فضة مهجوره ابن رسته ، ترجمة ، ١٨١ ، ١٨٢ (ح ٥) .
(٨٤) عن المعطيات التالية ، انظر ابن خرداذبه ، ٦٢ ، المسعودي (م) ، فقرة ٢٥٣ ، ١٤٠٤ ، ابن الفقيه ، ٥٠ ، ٢٠٤ ٢٠٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، مسعر (ب) ، ٣٦ ، ٤١ - ٤٣ ، الثعالبي ، ١٠٧ ، ١٠٩ - ١١١ ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٦ ، ٢٥٣ .

(٨٥) انبجات : انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٤٨ ، ح ٦ . ذكر الثعالبي ١١٠ ان جميع هذه الاصناف تحمل الى بغداد لتتم الخراج .

(٨٦) من جور وكوار ، المسعودي (م) فقرة ١٤٠٤ ، يقول ان الهواء والترية يجعلانها أفضل ما في الدنيا .

اهل فارس : « لقد ألان الله لهؤلاء القوم الحديد ، وسخره لهم حتى عملوا منه ما ارادوا » (٨٧) . وفي خوزستان النباتات الطبية (٨٨) والملح والكبريت والتمور ، وفي المقام الاول سكر القصب (٨٩) . وفي فارس وخوزستان معا ، الاعناب وخاصة الزبيب (٩٠) وآلآء البحر (٩١) والثياب التي تجعل من التبعية الفارسية احد اعظم مراكز النسيج في مملكة الاسلام ، لاسيما الحرير والديباج في السوس ، وتستر، وجند يسابور وجيا وسينيز وفسا وكازرون وعسكر مكرم .

واذا سرنا بعيدا باتجاه الشرق نحو التخوم المسالمة ، يتضاءل عدد الاصناف . فكرمان (٩٢) بلاد النوشادر والزاج ، والذهب والفضة والحديد والنحاس ، لكنها من افضل اراضي النخيل (٩٣) . ولاهل سجستان (٩٤) عمل المشارب والكيزان ، والطبول ، والكنانات ، وآلات كثيرة من الشبه والصفر ، وتربية الطيور للمصيد ونتاج التمور

(٨٧) ابن الفقيه ، ٢٥٤ .

(٨٨) مسعر (ب) ، ٤١ ، يشير الى نوع من الهيل يعثر عليه بين اصبهان والاهواز ، يستعمل في معالجة النقرس .

(٨٩) خوزستان واحدة من المنتجين الكبار الأربعة في العالم : انظر ما تقدم عن العراق . نشير الى الثعالي ، ١٠٧ : يسلم الى السلطان تمنة للخراج : الثعالي ، ١١٠

(٩٠) العنب الأسود يحمل الى العراق تمنة للخراج : الثعالي ، ١١٠ .

(٩١) عن اللؤلؤ وصيدة ، انظر جغرافية دار الاسلام ' ج ٣ ، ٣٨٢ - ٣٨٤ .

(٩٢) المسعودي (م) ، فقرة ٢٥٦ ، ابن الفقيه ، ٢٠٦ ، ٢٥٣ ، مسعر (ب) ، ١٠ ، انظر أيضاً ابن الفقيه ، ٥٠ (الرماح البلوصية) .

(٩٣) حول هذه الثروة التي يضرب بها المثل ' انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ - ٤٦٩ .

(٩٤) المسعودي (م) ، فقرة ٥١٠ ، ابن الفقيه ، ٥٠ ، ٢٥٤ ، الثعالي ، ١٢١ ، ١٢٤ .

والدراق والتين الذي يصدر من بست إلى خراسان ، أخيراً ، نمتي
وصلنا إلى السند ، ندخل عالم آخر ، هو عالم الهند ، عالم الحجارة
الثمينة والنباتات العطرية . والاعواد وجوز الهند والفلفل (٩٥) .

فارس ايضا في الاتجاه الشمالي الشرقي

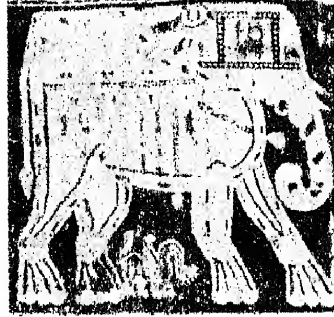
لنصعد الان نحو الشمال الشرقي إلى أفغانستان . فهنا تعود التدوينات
فتزداد عددا ودقة (٩٦) . ويشمل جدول الاصناف الشهيرة البطانات
المصنوعة من ريش البجع ، واهليج كابل ، والكشمش ، والتفاح ،
والمشمش ، والزبيب ، وهرات هراة ، وأخيرا المعادن حول
باميان وبنجهير ، كالرصاص والنحاس والزئبق وبخاصة الذهب (٩٧)
والفضة .

والاصناف اوفر بكثير في خراسان التي يعتبرها الفرس من البلدان
الهامة في مطلب هويتهم الثقافية (الشعبية) . فتحت عنوان الاغذية ،
تصدر مرو الزبيب ، وتنتج نيسابور الكشمش والسفرجل الكبير
الحجم والكليكان الضخم ، والبطيخ الذي يحمل إلى الخلفاء لشدة

(٩٥) ابن الفقيه ، ٢٥١ ، عمليا ، يتبع وصف السند وصف الهند : انظر جغرافية
دار الاسلام ، ج ٢ ، فصل ٣ ، واماكن اخرى .
(٩٦) ابن خردادبه ٢٨ ، يعقوبي ، ٥٠ ، ٢٥٥ ، ٣٢٥ ، المقدسي ، ج ٤ ،
٧٣ ، مسعر (ب) ، ٤١ ، الثعالبی ' ١١٩ ، ١٢٣ ، ابن عبدربه العقدي ، ج ٦ ،
٢٥٤ .

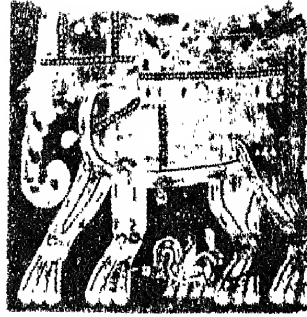
(٩٧) عن الذهب ، انظر المقدسي ، مشار اليه اضافة تحيل الى الأعوام الف) وابن
الفقيه ، ٣٢٥ : فيما بين خراسان وارض الهند نمل مثل الكلاب السلوقية وارضهم ارض
ذهب فيجي . الناس لأخذ الذهب فاذا خافوا ان يدركهم النمل ، طرحوا له اللحم فيشتغلون
به ، ويخرجون من الذهب ما يمكنهم . انظر بشأن الموضوع ذاقه لكن مع الماس والافاعي
جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، آخر ٨٩ - ٩٠ (ح ١) .

حلاوته ولذته وطيبه (٩٨). والتوابل اطرف من ذلك: منها جذور الأشرغاز - وهو نوع من الحلتيت المسمى ازافوتيدا ، او فطر غوشنه (٩٩) . والالبان (١٠٠) . اخيرا تنفرد نيسابور بطين المصغ ، المرغوب به عند عظماء العالم ، وتباع ليبرته بدينار (١٠١) . اما التريية ، فتفخر بخيولها واغنامها ، ودوابها او براذيتها ، وبإبلها ذات السنامين (فالج) في بلخ (١٠٢) .



رسم المتاحف الوطنية
متحف لوفر . القسم الاسلامي ٧٥٠٢
كفن القديس جوس . قطعة حرير . فارس الشرقية
منتصف القرن العاشر
(تصوير ا. شوزفيل)

(٩٨) اليعقوبي، ٢٨٠، ابن الفقيه ، ٢٥٤ - ٢٥٥ (حول كيلكان ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٢١ ، ح ١) ، ٣٢٠ ، مسعر (ب) ، ٤٠ ، ٤١ .
(٩٩) ابن الفقيه ، ٢٥٥ عن اشترغاز ، انجذان وغوشنة ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤١٨ ، ح ١٠ و ١١ (٤٢٢ ح ٥) .
(١٠٠) ابن الفقيه ، ٢٥٥ عن الرخبين ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣١٩ ، ح ٢ .
(١٠١) الثعالبي، ١١٤ - ١١٥ ، عن هذا الطين ، انظر جغرافية دار الاسلام ج ٣ ، ٩٧٣ .
(١٠٢) ابن خرداذيه ، ٣٩ ، ابن الفقيه ، ٢٥٥ ، الثعالبي ، ١٢٦ (عن البرذون انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٢٧ ، ح ١) .



رسم المتاحف الوطنية
متحف لوفر ، القسم الإسلامي ٧٥٠٢
كفن القديس جوس . قطعة حرير . فارس الشرقية
منتصف القرن العاشر

وخراسان بلاد الحجارة الكريمة كالفيروز واللازورد ، والسج والياقوت (١٠٣) . وبها الخرف الابيض المصنوع من مادة سهلة المعالجة إلى حد جعلها تنافس الزجاج (١٠٤) . ونذكر ايضا الرُكْبَ المروية ، والصابون ومناطق الغرج والفراء (١٠٥) . الا ان افخر ما لديها نسج الحرير ، وخاصة القطن الذي يقال انه من خراسان في حين الكتان من مصر (١٠٦) . ولأهل مرو ونيسابور الثياب الجميلة الملحمة ، الثقيلة ، او على النقيض الناعمة والخفيفة التي تحمل اسم البلد الذي حيكت فيه دلالة عليها وعلى جودتها (١٠٧) .

(١٠٣) ابن الفقيه ، ٢٢٥ ، الثعالبي ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٦ ، ٢٥٣ (٢) . عن بجاذه التي تذكر بالصفير ، انظر م ج م ، ج ٤ ، ١٨٤ .

(١٠٤) الثعالبي ، ١١٨ .

(١٠٥) اليعقوبي ، ٢٧٨ ، ابن الفقيه ، ٢٢٥ ، ٥٠ ، الثعالبي ، ١٢١ (الذي يذكر النيلوفر في مقطع خاص ببلخ) . انظر أيضاً مسعر (ب) ، ٤٠ : نحاس نيسابور

(١٠٦) اليعقوبي ، ٢٧٨ ، ابن الفقيه ، ٣٢٠ ، الثعالبي ، ٩٧ (استشهاد بالجاحظ)

(١٠٧) ابن خردادبه ، ٣٩ ، اليعقوبي ، ٢٧٩ ، ابن الفقيه ، ٥٠ ، ٢٥٤ ،

الثعالبي ، ١١٤ ، ١١٩ - ١٢٠ .

ونختم حديثنا بالكلام عن ما وراء النهر ، ويضم السغد وخوارزم وشاس وغيرها ، وكلها مفترق طرق تجارية مع الصين والسهوب التركية وروسية الجنوبية . وفيها يمر عدد كبير من الرقيق ، وكميات من الاخشاب والفراء يضاف إلى ذلك محاصيل الارض ، من بطيخ يحمل إلى الخلفاء في اوعية مختومة وموضوعة في الثلج ، بسعر افرادي قدره ٧٠٠ درهم. وفيها ايضا الملح والنشادر ، واليواقيت ومن الحيوانات الاغنام والشهاري (١١٠) ، والثعالب الحمر وغيرها من حيوانات الفراء ، والسملك المقدد (١١١) . ويتساعل المرء اذا كان ما وراء النهر يتأثر بقرب الحدود التركية المضطربة ، ليعمل في حرفة الاقواس والخنجر والمقامع (١١٢) . وتخفف هذا التصور ثياب سمرقند على الاطلاق ، وخاصة ورقها ، وهو اختراع صيني ، على ما يقول الرواة ، ويقابل في الشرق قراطيس مصر في الغرب وقد تفوق على البردي تدريجيا (١١٣) .

(١٠٨) من أجل مايلي : انظر ان خرداذبه ، ٣٨ ، ٣٩ ، ان الفقيه ، ٥٠ ، ٢٥٥ ، الثعالي ، ٩٧ (استشهاد الجاحظ ١١٦ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٦ ، ٣٥٤ .

(١٠٩) الثعالي ، ١٢٩ .

(١١٠) شهرية ، شهاري (ابن الفقيه ، ٥٠ ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(١١١) ثعالي ، ١٢٩ . عن خوارزم : الذي يصدر الرحقين ، كما تصدر مرو المري (انظر بهذا الخصوص م ج ع ، ج ٤ ، ٣٥٣) .

(١١٢) ابن الفقيه ، ٢٢٥ يتحدث عن اشقان الذي يقترح دي خويه (مشار اليه ، ج ٥ ، ومعجم الالفاظ ، ص ٣٢ روماني) قراءتها اشكوز : احزمة .

(١١٣) الثعالي ، ٩٧ ، ١٢٦ (ذكر في ما تقدم ، ح ٣٢) .

المزارع الكبرى كما يراها ابن حوقل والمقدسي

في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، توسع الجغرافيان الميدانيان ، ابن حوقل (١١٤) والمقدسي بإحاديث اسلافهما . ولا ريب انهما لم يتجاهلا قوائم الاصناف الشهيرة التي جعلها الادب احد موضوعاته . لكنهما ادرجاها في جدول مفصل شمل جميع مادّونه . ومن هنا جاء كثر المعطيات الذي قدماه للمؤرخ . فما اسعد من يستطيع ان ياخذها كلها ، كما هي ، حسب حقول ابائهم . اما نحن فكيف نعمل وكيف نختار منها اهمها لكي نتوصل إلى تكوين صورة عامة عن موارد البلدان الكبرى في دار الاسلام ، وعلى ما هو افضل ، من الغنى الشامل ، مصدر المبادلات التجارية ، وحيوية الارياض والمدن .

نبدأ بمرحلة اولى نشير فيها إلى ما عند جغرافي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي من مقاطع تبرز خصب الحقول (١١٥) بوضوح ، وفي نصوص صريحة . وقد قلنا وكررنا القول ان الاندلس كانت مغفلة ، الا نادرا ، لكنها الآن وفي هذه الحالة تفرض نفسها برؤية غناها الشامل في مزارع تجمع ما يقرب من الف شخص ، وفي جيان « جنة الاندلس » (١١٦) خاصة . ويشيد ابن حوقل في اقليم المغرب على وجه التخصيص بالمغرب الاقصى الجنوبي ، وتونس الساحلية ، وصقلية ، وطرابلس الداخلية (١١٧) . اما المقدسي ،

(١١٤) يتم الاصطخري ويتوسع بابائهم هنا وفي اماكن اخرى .

(١١٥) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٨٧ - ٩٤ .

(١١٦) ابن حوقل ، ١١١ ، المقدسي ، ٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٥٩ .

(١١٧) ابن حوقل ، ٣٧ ، ٧٢ - ٧٤ ، ٩١ ، ١١٨ .

فلا يضيع بالتفاصيل ، ويقول : ولا شك ان « المغرب بعيد جدا وموضوع في زاوية دار الاسلام ، قد غابت في الزيتون مدنه ، وبالتين والكرمات ارضه ، التي يجري خلالها الانهار ، ويملاً غيضانها الاشجار » (١١٨)

ولمصر ، بداهة ، مكانة فريدة في هذه النظرة الشاملة . فهي حقول وبساتين واجنة متصلة تمتد من اسوان إلى الاسكندرية ، في املاك واسعة احيانا (١١٩) . وتتناقض بوضوح مع البلد المجاور لها الذي يبدأ بجوار السويس ، « الجاف الشاق ، الخالي من العشب والزرع والقطعان والخشب والشجر والعنب والثمار . ويحمل اليه الماء بالمراكب او على ظهور الابل ، فكأنني به ممر يتقل منه إلى ديار العرب بقيظها وفقرها ، ما عدا اليمن وعمان وبعض الارحاء مثل وادي القري (١٢٠) ولا بد من الوصول إلى فلسطين للعثور على الثروة الحقيقية : فستة وثلاثون شيا تجتمع بكورتها ، ولا تجتمع في غيرها (١٢١) ، او ينبغي الذهاب إلى غوطة دمشق ، الواحة التي تعد احدى « عرائس الدنيا » اي جناتها (١٢٢) .

وتشترك دمشق بهذه الصفة ، هي ومنطقة البصرة ، بل وجارتها القريبة منها الابل على وجه التدقيق : ففي سواد البصرة وبطائحها

(١١٨) المقدسي ، ٢١٦ (عن غيطان ، جمع غيط أو غائط ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣١٢ ودوزي ، بهذا اللفظ) . تدوين مماثل بالنسبة الى تاهرت : المقدسي : ٢٢٨ . عن موقع المغرب القصبي انظر أيضاً ابن حوقل ، ١٧ : المغرب « كم الثوب » في دار الاسلام .
(١١٩) ابن حوقل ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٧ .
(١٢٠) ابن حوقل ، ٣٧ ، المقدسي ، ٨٣ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٩٦ .
(١٢١) المقدسي ، ١٨١ سترد اللائحة فيما يلي .
(١٢٢) ابن حوقل ، ٤٧٢ ، المقدسي ، ٣٥ ، آخر ١٥١ ، آخر ٣٨٥ ، وما تقدم الفصل ٥ ، الحصون والآثار الأخرى .

نخيل متصل وبساتين متصلة تسقيها مياه لا تنضب (١٢٣) . وإذا
سرنا صعدا إلى الشمال وإلى الجزيرة ، استرعت انتباهنا الرقة ثم نصيين
بسعة مزارعها ، ووفرة مياهها في جميع الاماكن ، وكثرة سائماتها
وكراعها ، وبساتينها وكرومها وغلاتها من الحبوب (١٢٤) . ثم تأتي
جبال ارمينية والران واذربيجان التي يستفيض في الحديث عنها ،
المقدسي وابن حوقل اكثر منه : ففيها المزارع ، والثمار جميعها ،
ومناطق جميلة مفروشة بالازهار ، واسواق يستطيع سيد تجارها ان
يبيع ويشترى مائة الف راس من الماشية ، بل الف الف شاة (١٢٥) .

ومن هنا إلى الهند ، تعني المزارع الواحات . وهذا الكلام صحيح
في الري (١٢٦) او اصبهان ، بضياها الكثيرة الكبيرة جدا احيانا
والمشهوره (١٢٧) . وتعرض خوزستان وفارس رساتيق سابور وتستر
وجور (١٢٨) ، وخاصة شعب بوان ، وهو وادي عريض جدا وجنة
من جنات الدنيا ، بقراه ومياهه المتصلة ، وقد غطت الاشجار القرى
حتى لا يكاد يراها الانسان إلى ان يدخلها (١٢٩) . وإذا اتجهنا شرقا
إلى ابعد من ذلك نصل إلى كرمان ومكران والسند ، بحزارتها الشديدة ،

(١٢٣) ابن حوقل ، ٢٣٦ ، ٤٧٢ ، المقدسي ، ٣٥ ، ١١٣ ، آخر ١٥٩ .

(١٢٤) ابن حوقل ، ٢١١ ، المقدسي ، ٣٨٥ .

(١٢٥) ابن حوقل ، ٣٣٨ ، ٣٥٢ ، المقدسي ، ٣٧٣ وما يليها ، ٣٧٨ .

(١٢٦) المقدسي ، ٣٨٥ .

(١٢٧) ابن حوقل ، ٣٦٢ - ٣٦٦ .

(١٢٨) ابن حوقل ، ٢٧٩ ، ٤٧٢ ، المقدسي ، ٤٠٩ (ح اي) ، ٤٢٤ (مترجم

في ما تقدم ، الفصل ٧ ذكريات) .

(١٢٩) المسعودي . م) فقرة ٥٦٤ ، ابن حوقل ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٤٧٢ ، المقدسي

٣٥ ، ٢٥٩ ، ٤٣٤ ، ٤٥٥ ، وجغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٤ ، ٨٨ .

وقفارها ، حيث يقل وجود الاودية الظليلة او الواحات ، ما عدا
جيرفت التي يضرب المثل بغناها (١٣٠) . وخضرة سجستان اعظم
بكثير لوفرة امطارها واروائها ، وفيها مزارع كبيرة يملكها اسباد
او الدولة (١٣١) .

ومع استمرار الصعود إلى الشمال ، لابد من افراد مكانة مميزة
لاودية افغانستان والمدن الكبرى في واحات خراسان ، التي تعد بلخ
نموذجاً لها ، « وهي بستان مظلّل بالأشجار » (١٣٢) . مع ذلك يبرز
تفوق اقليم ما وراء النهر (١٣٣) جملة وتفصيلاً (١٣٤) . ففيه تأتي
في الطليعة ، بلا نزارع ، سمرقند وبخارى ، والسغد احدى جنات
الدنيا (١٣٥) . وقد وردت في مكان آخر (١٣٦) الاشارة إلى الاطراء
الطويل الذي اثنى فيه ابن حوقل المولع بهذا الاقليم عليه ، وجمع فيه
المروج ، والحقول الزاهية ، والبساتين ، والحدائق ، والفواكه الكثيرة
التي ترعاها الدواب ، والمياه الجارية في جميع الارحاء ، وخصه
بصفحات عديدة طغت على وصف المزارع الاخرى رغم جمالها
وخصبها مثل الشاش ، وايلاق ، وخوارزم ، واشرسونة وفرغانة (١٣٧)

-
- (١٣٠) المقدسي ، ٤٥٩ ، ٤٦٦ ، آخر ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٨٤ . باقي ١٣١ -
(١٣١) ابن حوقل ٤١٨ ، ٤٢٣ . حول لفظ صواني ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ص ٢٨١
(١٣٢) ابن حوقل ٤٣٩ . المقدسي ، ٣٠١ ، ٣٠٢ (ح . د)
(١٣٣) أخذت هذه الكلمة (انظر ج ١٥ ، ج ٣ ، ص ٤٨٩) عن بوريس فبان
(١٣٤) ابن حوقل آخر ٤٦٣ - ٤٦٥
(١٣٥) من أجل ذكره ، انظر ابن حوقل ، ٤٦٤ - ٤٦٥ ، ٤٧٢ - ٤٧٣ ، ٤٨٥ ،
٤٨٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، المقدسي ، ٣٥ ، آخر ١٥٩ ، ٣٨٥
(١٣٦) انظر جغرافية دار الاسلام ، ٣٤ ، ٨٩ ، ٩١
(١٣٧) ابن حوقل ٤٧٤ ، ٤٨١ ، ٥٠٧ ، آخر ٥٠٩ ، المقدسي ٢٨٩

مبادئ تعداد اصناف معاد النظر به ومصحيح

يلاحظ ان عمل ابن حوقل والمقدسي ينصب على نظرة شاملة تضم في الحد الأدنى بعض افضل المزارع في دار الاسلام . ولا ريب ان هذه اللائحة ناقصة ، لكنها في الحقيقة تفضل إلى اقصى حد قائمة الادب : « جنان الدنيا » العزيزة عليه « واردة على الدوام . الا ان الجغرافي لا يقتصر على ذكرها وحدها . ويظهر الحرص ذاته عند تدوين واقع الانتاج الزراعي او المنجمي او الحرفي . فالادب يشير إلى شهرها واشرفها . اما ابن حوقل والمقدسي ، فيتناولان ما يمثل فعلا الحياة الاقتصادية في دار الاسلام . واذا توافقت الفئتان احيانا ، فالثانية تسيطر في جميع الاحوال . اذن تبقى القضية المثارة من قبل : كيف نميز ما يتعلق بالجواهر من بين هذه المعطيات المتراكمة ؟

ويتحدث ابن حوقل عن بعض مناطق ارمينية والران واذرييجان ، ويقول (١٣٨) بعد استعراض مواردها المتنوعة : « وغير ذلك ما يستغني بشهرته عن وصفه وذكره » . فماذا يعني هذا الكلام ؟ ايراد به ان المؤلف يدون اندر الاشياء ، فيفسد صورة النشاط الاقتصادي الواقعي . الحقيقة اننا نستخلص من قراءة ابن حوقل واقعا متنوعا إلى اقصى حد : فهو يرسم صورته بدقة زائدة ، دون ان يلح على بعدها وعمقها ، لكي يبرز ما يبدو له رائعا كما او كيفا . في النهاية ، الصورة المعروضة صورة حقيقية في الظاهر ، لكن نجح ابن حوقل في تحسينها باعطاء صفات اساسية يمكن التعرف عليها بسهولة اعتمادا

(١٣٨) ابن حوقل ، ٢٤٦ .

على علامات تسمح بإبراز أهمية هذا الصنف أو ذلك ، وتشمل حسب الحالات طول العنوان ، أو تفصيلاً خاصاً ، أو رقماً ، أو الإشارة إلى التصدير ، أو أي عنوان آخر عن الكمية أو النوعية أو أيضاً الاحتكار ووضعه .

وننتقل الآن إلى المقدسي . فهو يقول (١٣٩) في آخر تعداده تجارات جزيرة العرب : « وما لو استقصيناه ، لطال الكتاب » . ويقول في مكان آخر في مقدمة كتابه (١٤٠) : « وفي كتابنا هذا اختصار لفظ يدل على معان مثل قولنا « لا نظير له » ، نريد أن ليس مثله بثة مثل معنقة بيت المقدس . ونيدة (١٤١) مصر ، وليمون البصرة . وهذه أشياء لا يرى مثلاً ، وإن كانت اجناساً . فإن قلنا « غاية » ، فأنها تعني في الجوده (١٤٢) من الاجناس ، مثل الاجاص العمرى بشيراز ، والتين الدمشقي بالرملة ، والمشمش العصلوني (١٤٣) ، والرياس بنيسابور فإن قلنا « جيد » ، فقد يكون اجود منه الطائفي . ونيل اريحا (١٤٤) خير منه الزبيدي ، وخوخ مكة أسرى منه ، الدارقي (١٤٥) .

(١٣٩) المقدسي ، ٩٧ .

(١٤٠) المقدسي ، آخر ٦ - ٧ .

(١٤١) نوع من المعجينة من حب الحنطة ، سكاكر مصرية : انظر المقدسي ، ٢٠٣ .

٢٠٤ ، ٢٠٦ ، و م ج ع ، ج ٤ ، ٣٦٩ .

(١٤٢) لكن ليست وحيدة . . . ويمكن أن تكون ، خلافاً لذلك ، لا مثيل لها .

(١٤٣) لعله من عسقلان : انظر المقدسي ، ترجمة ، ٢١ ، ح ٣٦ .

(١٤٤) قبل هذا المثل ، مثل آخر (اسقاط) : زبيب . . . أقل جودة من زبيب

الطائف ، المشهور : المقدسي ، ٧ . ح (ف) ، ٧٩ .

(١٤٥) حول التفاسير المحتملة ، انظر المقدسي ، ترجمة ، ٢١ ، ح ٣٨ . (يضاف

إلى الحالات دوزي ، ج ١ ، ٤٣٥ ، ديميزون ، معجم لفظ داركان ، ابن البيطار ، ج ٢

٨٦ ، لفظ دواقين) . أميل قطعاً إلى نقل دريكس . داريوس .

اذن الفاظ المقدسي السابقة واضحة ، ومشروحة ، ومعلق عليها ،
ومحددة المعنى . يضاف اليها مفردات جديدة موزعة في متن كتابه ،
مثل فائق ورفيع ونفيس . . . مع ذلك تنطوي على صعوبة :
فكلها ادلة على النوعية . لكن يشاء حسن الحظ ان يبادر المصنف إلى
نجدتنا مرة اخرى ، بما يحتوي من تعابير تقوم المعنى المقصود : ففي
الحديث عن احدى المناطق ، يقال ، عند الحاجة ، انها بلد هذا الصنف
او ذاك ، او معدن (١٤٦) وبذا نلقى تدوين الكمية التي ظننا انها
اغفلت . بالتالي ، يشبه نهج المقدسي نهج ابن حوقل ، ويؤيده ، لكنه
يستعمل علامات بارزة ، ويضمن الجدول العام جميع الاصناف غير
التميزة او المتميزة بنعت « جيد » ، ويستخدم الصفات المعبرة بقراء
خاصة تدل على الكمية (بلد ، معدن) او على النوعية (جميع الالفاظ
المحصاة ما عدا جيد) (١٤٧) . وبهذا اصبحت طريقنا واضحة .
ويسعدنا ان نقلد مؤلفينا في رؤية ما يرتسم امام ناظرينا من الحياة الاقتصادية
في دار الاسلام : وما علينا الا ان نفتي اثرهما .

الحقل والمحرف

وفي دار الاسلام ، يبدو المغرب بلد الزيت — معاصر الزيت
ومواجهته منظر مألوف فيه (١٤٨) — والمرجان ايضا (١٤٩) . وفي
الاندلس وميرقه البغال . وتنفرد برقه بتجارة القطران . وفي صقلية
ثياب الكتان التي لا نظير لها جودة ورخصا ، وفيها بربر يضاهي
البردى في مصر ، ويفتل جبالا للمراسي المراكب ، ويعمل منه طوامير

(١٤٦) انظر : موضع . (مثال المقدسي ، ٧٩) .

(١٤٧) أيضا واحتمالا ، صفات أو تعابير ذات مغزى خاص في هذا العنوان
أو ذلك .

(١٤٨) ابن حوقل ، ٧٠ ، المقدسي ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ .

(١٤٩) المقدسي ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ وجغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٨٢ - ٤٨٣ .

القرطيس . وفي طرابلس وما وراءها الاكسية الفاخرة الزرق والسود .
وفي الاندلس المخمل واللباد وخيوط الحرير ، والكتان (١٥٠) . اما مصر ،
فتختص بدهن البلسان ، وبطيخ الدلتا ، ومزارع ارز الفيوم ، وبها
الحل والاوز والموز والقند والحصى والترمس والقرطم والقاقاس ،
والبغال والحمير والابقار والالبان (١٥١) . وتعد ايضا مركزا من اهم
مراكز الحرف في دار الاسلام (١٥٢) . وفيها السلال والحبال والامساد
والبطائن . وزخارف الريش . والزاج لاسيما المستعمل في الحبر ، والرخام ،
والجلود ، والاحذية والمناطق . والشمع والاشنان ، والاصبغة والقار .
واهم من ذلك كله اقمشة الكتان والحرير او الصوف ، العادية او
الرفيعة في دقيق او جهنسا .

وتنتج جزيرة العرب ، لاسيما في جبال ساحلها الغربي واليمن ،
المان والعنب والتمر والحبوب والعسل . ويتميز جنوبها بثلاثة اصناف
هي التمر ايضا والموز والزيتون (١٥٣) . وتنبغ الحرف الجلود في
اليمن ، وتصنع حجارة المسن في جبل رضوى (١٥٤) . ويعلي المقدسي ،

(١٥٠) ابن حوقل ، ٦٧ ، ٦٩ ، ١١٠ ، ١١٤ - ١١٥ ، ١٢٢ - ١٢٣ ،
١٣١ ، ٤٦٥ .

(١٥١) ابن حوقل ، ١٦١ - ١٦٣ ، ٢٢٦ ، المقدسي ، ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣
(روح . اغرك) - ٢٠٤ ، عن الحالوم ، وهو جبل خاص بمصر انظر م. ج ع ، ج ٤
٢١٨ .

(١٥٢) ابن حوقل ، ١٥٢ ، ١٥٩ ، المقدسي ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٠٩ .

(١٥٣) المقدسي ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٥ آخرها - ٨٧ ، ٤٧٠ .

(١٥٤) ابن حوقل ، ٣٣ ، المقدسي ، ٨٧ .

ابن بيت المقدس (١٥٥) شأن الشام : ففي بعلبك العنب ، وفي حوران الحنطة وسائر الحبوب ، والقطن والازهار في وادي الاردن الاعلى . وتذكر في اماكن عديدة من فلسطين الاعناب ايضا ، وقصب السكر ، والحميز ، والتيل والنخيل والتين والتفاح والصنوبر . ويجمع المقدسي كل اصناف فلسطين كما قلنا ، في قائمة واحدة تتضمن ستة وثلاثين صنفاً مبينة على الوجه التالي : قضم قريش . المعنقة ، العنب العيوني ، العنب الدوري ، العنب العاصمي (١٥٦) والنجاص الكافوري (١٥٧) والطري ؟ (١٥٧) ، وتين السباعي والتين الدمشقي . والتين التمري (١٥٨) والقلقاس ، والحميز ، والخرنوب ، والعكوب (١٥٩) والعناب وقصب السكر ، والتفاح الشامي ، والرطب ، والزيتون والاترج . والنيل ، والراسن ، والنارنج واللفاح ، والتبق (١٦٠) . والجوز واللوز والهلبيون والموز والسماق والكرنب والكمأة (١٦١) والبرمس .

(١٥٥) بشأن ماييلي ، انظر المقدسي ، ١٦٠ ، ١٦٢ (مع اشارة الى « طبخ السكر) ، ١٧٤ - ١٧٦ ، ١٨٠ (و ح م) - ٨١ ، ٤٧٠ . انظر أيضاً ابن حوقل ، آخر ١٨٤ - ١٨٥ (عن النيل) .

(١٥٦) نسبة الى قريتي بيت عينون ودورا في منطقة حبرون . أما العاصمي فغامض : لعله نسبة الى عاصم أحد قراء القرآن تخليداً لذكراه .

(١٥٧) الكافوري (لعله تخليد الذكرى الأخشيد كافور) انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٩٠ ودوزي ، ج ٢ ، ٤٣ .

(١٥٨) « سباعي » مشكوك بتشكيله (ضخم هائل عن الجمل أو الإنسان) عن تمري (نعت لبعض الفواكة) ، انظر المقدسي ، ترجمة ، ٢٢١ ، ح ٣٦ .

(١٥٩) عكوب ، انظر ج دا ، ج ٣ ، ٤١٦ ح ١ .

(١٦٠) ثمر السدر : انظر ج دا ج ٣ ، ٤٤٢ .

(١٦١) الكمأة : انظر ج دا ج ٣ ، ٤١١ .

ولين الجواميس والشهد والتلج (١٦٢) . ويدل هذا التعداد على وفرة
الزروع في بستان فلسطين ، ويبرز بالتالي الطابع الزراعي لاقليم الشام
باجمعه ، ويخلف وراءه بعيدا جدا قار البحر الميت ، وخز عسقلان ،
وحواري الرملة وميازرها . وترياق بيت المقدس او مسابجها (١٦٣) .

وتتوازن اللوحة من جديد في العراق . ففيه الكرمة والسسم
والارز والتين والتمور والقرنفل والبنفسج والقط (١٦٤) . وفي بغداد
وعبادان ، (١٦٥) ، صناع الحصر من الخلفاء والخيزران (٦٦) ،
وفي تكريت الصوف ، وفي الابلّة الكتان ، وبالكوفة عمائم الخز (١٦٧)
وبصرة معدن اللاليء والجواهر . ويذكر ابن حوقل والمقدسي من
اصناف الجزيرة والبلدان الممتدة من ارمينية إلى اذربيجان ، العسل
والشمع والزعفران والقرمز ، والقوة والاصبغة الاخرى والشاهبلوط
والزوقال والزيتون والسفرجل واللوز والجوز ، وتين برذعة الذي
يفضل على ما كان من جنسه ، فيما يبدو ، والبطيخ الاردهرى في
منطقة المراغة المستطيل الخلق ، القبيح المنظر ، غاية في الخلاوة وطيب

(١٦٢) مقترن بالاصناف الزراعية الصرفة عن انتاج الطبيعية أو الصناعية ، انظر
ابن رسته ، ١٦٧ ، ١٩٨ .

(١٦٣) ابن حوقل ، ١٨٤ ، المقدسي ، ١٧٤ ، ١٨١ .

(١٦٤) ابن حوقل ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٩٩ ، المقدسي
١١٣ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ٤٧٠ . عن الرطاب (رطبة جمعها رطاب) والقط ، انظر
ج دا ، ٣ ، ٤٧١ ، ح ١ .

(١٦٥) المقدسي ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٨ .

(١٦٦) عبادان تابعة لبصرة حسب الجغرافيين العرب . (١٦٧) ذكر في مكان
آخر (المقدسي ، آخر ٤١٧) سكب الكوفة لا نغير له .

الطعم (١٦٨) . ويصطادون نوعين من السمك : الاول القشوبة ،
والثاني الطريخ من بحيرة خلط ، وهو يملح ويصدر (١٦٩) . ويربون
الاغنام والدواب خاصة البغال التي تصدر إلى الشام والهند ، والشهاري
الموصوفة بالجمال والفراة (١٧٠) . ويجبل ماردين جوهر للزجاج
جيد ومشهور يحمل منه إلى سائر البلدان (١٧١) . وتعمل ارمينية البسط
من جميع الانواع والقياسات (الانخاع ، الانماط) ، والستور ،
والوسائد ، والمناطق التي لا نظير لها في دار الاسلام (١٧٢) . ويعبر
على شواطئ البحيرات وبحوارها على ملح البورق ، ويحمل للمخبزين ،
وعلى بورق الصباغة ، وعلى مقالع الزرنينخ المجلوب إلى سائر
الارض (١٧٣) . والرقعة على الفرات معدن الصابون (١٧٤) . واشجار
التوت في الران (برذعة) مباحة لكثرتها ، لا مالك لها ، يربى عليها
دود القز ، ويجهز عنهم إلى فارس وخوزستان منه جهاز (١٧٥) .
وتحاك الثياب من الحرير وسائر المواد النسيجية ، منها السبنيات والمقارم

(١٦٨) ابن حوقل ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٨٨ ، المقدسي
١٤١ ، ١٤٥ ، ٣٨٠ . عن زوقال ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، آخر ٤٤٠ -
٤٤١ . ابن حوقل ، آخر ٢٩٨ - ٢٩٩ ، يذكر دهن الخلاف المراغي الذي لا يدانيه دهن
في الأرض .

(١٦٩) ابن حوقل ، ٣٤٦ ، المقدسي ، ١٤٥ (الطريخ يرتفع من الموصل) ،
٣٨٠ : عن هذين النوعين من السمك ، انظر ج دا ، ج ٣ ، ٣٦٧ ، ح ٣ و ٤ .
(١٧٠) ابن حوقل ، ٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، المقدسي ، ١٣٦ .
(١٧١) ابن حوقل ، ٢١٤ .
(١٧٢) ابن حوقل ، ٢٥٧ ، ٣٤٣ - ٣٤٥ ، المقدسي ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ .
(١٧٣) ابن حوقل ، ٣٤٦ .
(١٧٤) المقدسي ، ١٤١ .
(١٧٥) ابن حوقل ، ٣٣٨ .

والفرش والمناديل ، وتكك السراويل التي تباع التكة من دينار إلى عشرة دنانير ، ولا نظير لها في سائر الارض (١٧٦) .

ويحمل إلى العراق الكثير من فواكه البلدان القريبة من بحر ، الخزر (١٧٧) . ويربون الابل والاغنام (١٧٨) ، ويصنعون الخزف . وعندهم خشب الخلنج ، والشمشاد ، والكرم الملون ، المجزع خشبه بسواد وحمرة (١٧٩) . الا ان النسيج اهم ما لديهم : فالابريس من انحاءهم إلى جميع الآفاق ، وقطنهم متين جدا ، تحاك منه مناديل متنوعة ، ودساتك ساذجة ومذهبة ليس لذهبها نظير ، ولقطنها صفرة . اخيرا يصنع من الصوف اكسية ثمينة مذهبة ايضا (١٨٠) . وتجهز ثياب القطن والابريس من الري واصبهان في اقليم الجبال ، إلى البلدان المجاورة (العراق وفارس) (١٨١) . ومن اصبهان يأتي الخزف والبسط (١٨٢) ، وبقرها معدن الكحل (١٨٣) . وباقي خيراتها زراعية في طابعتها الزعفران المشهور المقدار ، الذي ليس بجميع الارض شبه له (١٨٤) . ثم الاغنام التي تعتبر قوتها اوسع نشاط ، حسب ابن حوقل ،

(١٧٦) ابن حوقل ، آخر ٣٤٢ - ٣٤٥ .

(١٧٧) ابن حوقل ، ٣٨٠ .

(١٧٨) المقدسي ، ٣٥٦ .

(١٧٩) ابن حوقل ، ٣٨١ ، المقدسي ، ٣٦٧ ، عن خشب الخلنج ، انظر الاحالة

السابقة ، حاشية ٦٠ .

(١٨٠) ابن حوقل ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، المقدسي ، ٣٦٧ .

(١٨١) ابن حوقل ، ٣٦٣ ، آخر ٣٧٩ - ٣٨٠ يذكر المقدسي ، ٣٩٢ (ح ١ :

انظر م ج ع ، ٤ ، ١٨٥ ، لفظ بخس) مركز سر ، ٣٩٦ .

(١٨٢) ابن حوقل ، آخر ٣٦٣ ، ٣٦٦ .

(١٨٣) ابن حوقل ، آخر ٣٧٢ .

(١٨٤) ابن حوقل ، ٣٥٨ ، آخر ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ .

والعسل والسمن والحبوب (١٨٥) ، والثمار الطازجة او المجففة في
اصبهان وغيرها ، والتفاح الكلماني ، والدراق والكمثرى ، والسفرجل ،
والرمان ، والعنب والتين واللوز والبندق والفسق والتمر (١٨٦) .



تصوير المكتبة الوطنية ، باريس المكتبة الوطنية ، القسم العربي ، ٥٨٤٧ ، ورقة ١٣ ظ
دولاب الفزل

(المصدر: مقامات الحريري ، القرن ١٣ ، الكوفة)

-
- (١٨٥) ابن حوقل ، ٣٦٥ ، آخر ٣٧٢ .
(١٨٦) الفستق والتمر نادرا ن لكتهما متنازان على تخوم العراق وبسبب القرب ذاته:
انظر ابن حوقل ٣٦٣ - ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، المقدسي ، ٣٨٩ (ح ب)
٣٩٠ ، ٣٩٣ .

وننزل الآن إلى خوزستان، فنجد فيها اصنافا بارزة جدا : كالعسل الممتاز الذي يحمل إلى العراق ورطب المرقان التي تعرف برطب الطن ، ويقال انه اذا اكله الانسان وشرب عليه ماء المسرقان ، لم يخطئه رائحة فيه من رائحة الخمر العتيق . وبها (في تستر) صنف من الاترج شممامات ذكية . ويكثر عندهم الارز حتى انهم يطحنونه ويأكلونه ، وهو لهم قوت . اخيرا يزرع قصب السكر في جميع كور خوزستان ، وتصنع منه حلواء الاقليم ، ويحمل منها كل سكر بلدان الاعاجم والعراق واليمن (١٨٧) . وينحصر جميع انتاج الحرف في ما يحاك من القطن او الصوف او الحرير او الكتان ، من اقمشة خشنة او ثميّة (ناعمة) ، ينسجها الصناع او محارف الدولة كالالبسة والخزوز ، والدبياج الذي كانت تعمل منه كسوة الكعبة ، والبسط اليدوية التي تشتهر في جميع انحاء دار الاسلام ، وتنسجها مدن تحارب تقليد اعمالها واستغلال اسمها ، مثل تستر ، وسوسة ، ورام هرمز ، وقرقوب ونهر تيرى ، وبصنا (١٨٨) .

ويبدو ان فارس انشط ايضا . فمن محاصيلها — قصب السكر والحبوب ، والتين ، والزيتون ، والعنب ، والاترج ، والجوز والاجاص ، والتمر ، وثمار اخرى تصنع منها الاشربة (١٨٩) .

(١٨٧) ابن حوقل ، ٢٥٣ - ٢٥٤ ، ٢٥٦ - ٢٥٨ ، المقدسي ٤٠٢ ، ٤٠٩ (ج ي : اجاص) ، ٤١٦ - ٤١٧ (مع سكر عنب ومرّى : انظر م ج ع ج ٤ ، ٣٥٣) . (١٨٨) ابن حوقل ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ . (مع ذكر المناطق البركانات أيضاً) ٣٩٩ ، المقدسي ، ٤٠٢ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٦ .

(١٨٩) المقدسي ، ٤٢٠ ، ٤٢٥ ، ٤٣٢ - ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢ ، ٤١٣ . خوخ عمري ذكر من قبل نسبة الى عمر) .



تصوير المكتبة الوطنية ، باريس المكتبة الوطنية ، القسم العربي ٥٨٤٧ ، ورقة ١١
استراحة قافلة في دمياط
(المصدر : مقامات الحريري ، القرن ١٣ ، الكوفة)

وفي جباله غنم البازهر ، الذي يؤخذ منه الباذهر ، الترياق ضد السموم (١٩٠) . لكن اهم منه الزهور ودهونها ، واصناف الماء والعضور والمراهم : ماء الورد ، ماء الزعفران ، ماء القيسوم ، القرنفل ، البنفسج ، ماء الخلاف ، ماء الطلع (١٩١) . هذا عن الثبات والحيوان ، وليس كل ما لديها ، لأنها بلاد عيون القار ، وبها مداد اسود لدوي الكتاب واصباغ التزاويق وهي مفضلة على ما سواها (١٩٢) . ولديها ايضا احتياطي هائل في المناجم والمقالع : من الطين الابيض والاسود والاصفر والاحمر والاخضر وغيره ، يتخذ منه اواني وصحون . وعندهم الفضة وان كانت نادرة ، على خلاف الرصاص والحديد والكبريت والنحاس والذهب والزئبق ، وكلها مستخرجة في الغالب بمقادير كبيرة تتجاوز حاجة الاستهلاك المحلي ، فتحمل الى البلدان المجاورة (١٩٣) .

مع ذلك ، في النهاية لابد من الحديث عن النسيج (١٩٤) : فعدد مراكز النسيج يساوي عدد المدن التي يعتبر اسمها علامة صنع وعلامة صنع الدولة في اغلب الاحيان . فسابور بها طراز للكتان . ويرتفع من جهرم من ثياب الوشي الرفيع والمصليات الجهرمية . وبسينيز الثياب الكتان التي وقع الاجماع ان الطيب لا يعلق ويعبق بشيء من الثياب

(١٩٠) المقدسي ، ٤٢٠ ، جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٢٣ (وح ٥) .

(١٩١) ابن حوقل ، ٢٩٨ - ٢٩٩ المقدسي ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٤٣ .

(١٩٢) ابن حوقل ٣٠٠ ، المقدسي ، ٤٢٠ ، ٤٢٨ .

(١٩٣) ابن حوقل ، ٢٨٠ ، ٣٠٠ .

(١٩٤) ابن حوقل ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ المقدسي ، ٤٢٠ ،

آخر ٤٣٣ - ٤٣٥ ، ٤٤٢ - ٤٤٣ .

كعلقه وعبقه بها . وبجنازة المناديل الجنازية . وبتواز ثياب التوازي ، ولا يشبهها شيء من ثياب الارض في جنسها ، وبفسا ثياب القز والمنيرات والصوف والبسط اليدوية . ويحمل من يزد وابرقوقه ثياب القطن إلى كثير من النواحي . ويرتفع من غندجان الستور والبسط والمقاعد واشباه ذلك . وتشتهر شيراز بالاكسية البركانات . ويسمي المقدسي كازرون دمياط الاعاجم ، وذلك ان ثياب الكتان التي على عمل القصب ، شبه الشطوى ، وان كانت من عطب تعمل به . فالاستنتاج الحاسم ، استخلصه ابن حوقل : تحتل فارس المرتبة الاولى في العالم بالمواد المستخرجة من الزهور وبالنسيج .

ونستأنف الاتجاه إلى الشرق ، ونصل إلى كرمان . ويشير ابن حوقل والمقدسي إلى ما فيهما من حرير او قطن ، وعمائم وبراقع ومناديل وطبالس مقورة وغيرها من الثياب . وقد اكتسبت سمعة وشهرة متينتين لما لها من بقاء طويل يدوم خمس سنوات إلى عشر . ويزرند البطائن المعروفة بالزرندية ، وتحمل حتى تصل إلى افاصي المغرب . ويجبال البارز معدنا الحديد والفضة ، وسمي احد جبالها بجبل الفضة (١٩٦) . ومن محاصيل كرمان الزراعية النرة (البيضاء) والحبوب واربعة اصناف اساسية هي التمور الوافرة التي تقتضي سنة لهم بالامتناع عن رفع ما تسقطه الرياح منها وتركه للضعفاء والمساكين ،

(١٩٥) ابن حوقل ، ٢٩٨ .

(١٩٦) ابن حوقل ، آخر ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٤ ، المقدسي ، ٤٦٣ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ - ٤٧٢ .

ثم النيل والكمون وقصب سكر القصب المكرر والمجمول إلى سائر
الآفاق (١٩٧) .



متحف متروبوليتان للفنون ، نيويورك ، رقم ٣٨٤٠٢٩٠
صورة قدح مثلث عليه صور بشر وحيوانات ، نيسابور ، فارس ، القرن العاشر

وينتج سكر القصب بكميات كبيرة في السند اقصى اقاليم دار
الاسلام . وبها الليمون الحامض ، والانيج وجوز الهند ، والغالب
على زروعهم الارز ، ولهم العسل الكثير . وهم اهل ابل يربون الفالج .
وعندهم ثياب لم يدقق نوعها ، ونعال كنباياتية تقيسة مصنوعة من
جلد الجواميس (١٩٨) . ويحمل منها العاج . وسجستان كثيرة الثمر
والاعتاب ، وبها غلة عظيمة من الحلث حتى انه قد غلب على طعامهم
وجعلوه في عامة اطعمتهم . وتعمل حرفهم الزنايل ، وتفتل الحبال
من الليف وتنسج الحصر (١٩٩) . وتقع افغانستان في نهاية الترخوم

-
- (١٩٧) ابن حوقل ، ٣١١ - ٣١٣ ، المقدسي ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠ .
(١٩٨) ابن حوقل ، ٣٢٠ ، آخر ٣٢٣ - ٣٢٤ ، ٣٢٥ (مكران بين كرمان
والسند) ، المقدسي ، ٤٧٩ (ح لام) ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، وم ج ع ،
ج ٤ ، ٣٤٢ - ٣٤٣ .
(١٩٩) ابن حوقل ، ٤١٨ ، ٤٢١ ، المقدسي ، ٣٢٤ .

الشرقية . وفيها الاغنام في الغور ، والاعناب في هراة ، والاهليلج الشهير في كابل ، والنيل ومناديل القطن والنوشادر والحجارة الكريمة ، واخيرا من المعادن الحديد والذهب والزئبق وخاصة الفضة في جبل بنجهير (٢٠٠) .

وتعد خراسان بلادا رئيسة، اشاد بها اسلاف ابن حوقل والمقدسي قبلهما . ففي تربي السوائم والدواب وفي طليعتها الابل ذات السنامين (الفالج) في بلخ وسرخس . ولا نظير لبطيخ مرو الذي يقدد ويحمل إلى كثير من الآفاق . وزبيب نيسابور وسفرجلها وكشمشها . يضاف إلى ما تقدم الحبوب ، خاصة الارز، والكماة والباذنجان والاشترغاز وطين الاكل (٢٠٢) . وفيما يلي ما كنا نتوقعه عن الانتاج الحرفي : المنسوجات : الديباج ، الثياب النخمة من قطن او حرير من نيسابور او مرو (٢٠٣) ، وإلى جانبها الحلود المدبوغة والابر (السكاكين) (٢٠٤)

(٢٠٠) ابن حوقل : ٤٣٩ (عنب الكشمش : انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ : ٤٥٧ ، ج ٦ ، ٤٥٩ ، ح ٥ وما ي، حاشية ٢٨٣) ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، آخر ٤٦٤ - ٤٦٥ ، المقدسي ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، آخر ٣٠٦ - ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٦ .

(٢٠١) ابن حوقل ، ٤٤٩ ، آخر ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، المقدسي ، ٣٢٦ (البان ، بالاحرى ، البان معدة ومحلة ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٤٧ ، لفظ ملين) .

(٢٠٢) ابن حوقل ، ٣٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٤ (رز النرج ، على تخوم خراسان وافغانستان ، يحمل الى بلخ ومدن اخرى) المقدسي، آخر ٣١٦ - ٣١٨ ، آخر ٣٢٥ (وح نون وميم ، اقرأ رغبين . انظر ما تقدم حاشية ، ١٠٠) (وح و : طين الاكل المحمول الى مصر والى تركستان) .

(٢٠٣) ابن حوقل ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ قوهستان بين خراسان وسجستان) ، ٤٥٢ ، المقدسي ، آخر ٣٢٣ - ٣٢٤ ، آخر ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٢٠٤) ابن حوقل ٤٤٣ ، المقدسي آخر ٣٢٥ .

واخيراً المعادن كالمالح والنحاس والحديد والذهب ، ومن الحجارة
الكريمة ، البرام معدن القدور ، والفيروز ، والخماهن ، والدهنج ،
والبلور (٢٠٥) .

ويستدعي ما وراء النهر (٢٠٦) انتباهها خاصاً من ابن حوقل والمقدسي ،
لأن هذا الاقليم يقع تحت سلطة السامانيين ، وهم امراء كاملون ،
ولأنه يضم عدة بلدان اشير اليها من قبل هي السغد ، وخوارزم ،
والشاش ، وايلاق ، وفرغانة ، واشروسنه ... ومن هنا غنى البساتين
والجنان ، افراديا او اجمالاً . وبه البطيخ والاعناب والطرخون ،
والكرات « العملاق » الذي نعرفه . ومن الابواب المفضلة فيه ،
الزعفران والقوة ، وصيد السمك والخشب والمن (٢٠٧) ، والفراء ، وتربية
الحيوانات ، كالخيل ، والبغال والابل وكلها من الاجناس الممتازة ،
والبزة البيض بجميع درجات البياض .

وقطعا تتناسب جودة انتاج الحرف مع المرافق الاخرى ، وتضم
قسيّ خوارزم ، وعضائر الشاش وكاغد سمرقند (٢٠٨) ، وارضه
غنية ايضاً بالحجارة الكريمة ، كالبجاذى والبازهر واللازورد

(٢٠٥) ابن حوقل ٤٣٤ (يلاحظ بالنسبة الى الذهب ، ان ربح المنجم قليل) ،
آخر ٤٤٠ - ٤٤١ (صرف النظر عن استغلال الفضة لنقص الخشب) ، المقدسي ، ٣٢٤
(عن برام ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٨) ، ٣٢٦ (ح ٥) : محاليل مالحة مستعملة
في الطب) .

(٢٠٦) من أجل ما يلي ، انظر ابن حوقل ، ٤٤٩ - آخر ٤٥٠ ، ٤٦٥ ، ٤٧٧ ،
٤٦٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥١٥ (ترجمة ، ٤٩٢ ، ح ٩ ، ١٧٠ : انظر ج ١ ، ج ٣ ،
٤٢١ ، ح ١) ، المقدسي ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣٢٦ .

(٢٠٧) ما تقدم حاشية ٦٤ .

(٢٠٨) المقدسي ، ٣٢٦ ، العضائر ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٠٩ .

والبلور (٢٠٩) ، وبالمعادن ، كالنوشادر ، والزاج ، والاميات ،
والقير ، « وهي الحجارة التي تحرق عوضاً عن الفحم » ، والملح ،
المتاجر به على نطاق واسع ، والحديد ، والنحاس والرصاص ، والزيبق
والفضة وذهب المناجم او الرمال (٢١٠) . اخيراً ، يشتهر النسيج
مرة اخرى في ما وراء النهر (٢١١) . ويُشْتَنَى على العموم على ثياب
القطن او الحرير او الصوف فيه ، ويشار بالتفصيل إلى مراكز حرفها .
في خوارزم ، يرتفع من بخارى ونواحيها ، ثياب تعرف بالبخرية ،
كرايس ثقال الاوزان ، والبسط ومصليات المحاريب (٢١٢) ، وثياب من
الصوف للفرش . وفي سمرقند او بالاحرى في جارتها مدينة ويزار ،
تعمل الثياب الويزارية القطنية ، وهي ثياب تلبس خاماً غير مقصورة ،
وفيها قليل صفرة وكأنها للينها خز ، وتجلب إلى فارس والعراق وسائر
الاقطار ، ويبلغ الثوب منها من عشرين ديناراً إلى دينارين . والثياب
الويزارية ظاهرة على ما يلبسه الامراء والاغنياء بخراسان ، لذلك تسمى
ديباج خراسان في بغداد (٢١٣) .

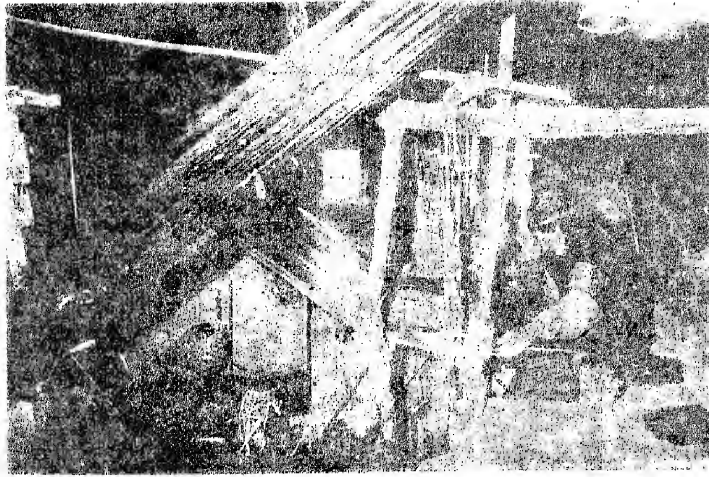
نتساءل ماذا تعلمنا من دليلينا ابن حوقل والمقدسي في هذه النزهة
معهما . فهما يطبقان مثل اسلافهما منهج الكشف ، ويجدون هنا

(٢٠٩) ابن حوقل ، ٤٤٤ ، البجاذي ، انظر ما تقدم ، ح ١٠٣ ، ٤٨٨ ،
المقدسي ، ٣٠٣ (مع حجر البازهر أيضاً : ما تقدم ، الحاشيتان ٧٤ ، ١٩٠) .
(٢١٠) ابن حوقل ، ٤٧٦ ، ٤٨٨ ، ٤٩٥ ، ٥٠٢ ، آخر ٥٠٥ ، آخر ٥٠٦ .
٥١٠ ، ٥١٥ ، المقدسي ، ٣٠٣ .

(٢١١) ابن حوقل ، ٤٦٤ ، ٤٨١ ، ٤٩٠ ، ٥٢٠ - ٥٢١ ، المقدسي ، ٣١٤

(٢١٢) « مصليات محاريب » : ابن حوقل ٤٩٠ .

(٢١٣) لفظ خراسان مأخوذ بمعنى جغرافي واسع جداً مثلما ترى .



حياكة الحرير في تركستان الافغانستانية
(تصوير رولان وسبرينه ميشو / رافو)

وهناك في لوائهمها اصنافا اشيد باشتهارها قبلهما مع بعض الفوارق الاساسية ، فقوائهمها تركز على الكم والنوع بأن واحد ، مما يثبت انها نتيجة الملاحظة المباشرة ، لا تكرار مواضيع ينقلها الادب من كاتب إلى كاتب ، اشبه بعناصر معرفة مفروضة . وعلى وجه التخصيص لا يمثل كشاف ابن حوقل والمقدسي غاية بحد ذاتها تستبعد كل ما سواها . فهذا الكشاف لا يلقي بظله على هذا الكل ويحجبه ، أعني بالكل الاصناف التي تتكون منها الحياة اليومية الخاصة بسكان دار الاسلام وبلدانها — بل يعتمد عليه بدقة ، ويدونه حسب وروده في المناطق وعلى توالي الصفحات ، ويعد فيضاً منه ، ويرينا ، على اساس هذه المعطيات المتنوعة والمتألثة إلى النهاية القصوى ما يستحق الابرار منها بوفرة عدده او اصالته .

اذن رؤية ابن حوقل والمقدسي اصطفائية ، لكن ليس وفق قبلية مبهمة ، بل انطلاقاً من فرز أُجري بعناية بعد فتح جميع اوراق اللعبة باختلاص . فماذا يقولان ؟ يقولان اولاً ، اذا تقيدنا هنا بكشاف الكشاف وجدنا، ان مشرق دار الاسلام اوزن إلى اقصى حد من مغربها: وهذا تأكيد على نزوع اشير اليه مرارا . ثم يقول ان المنجم والعمل الحرفي قطاعا اهم من الزراعة ، التي يجب ان نستبقي منها ان المغرب بلد الزيت ، وان التنوع الزراعي خاص بمصر او الشام او العراق . وان الارز وقصب السكر محصولا خوزستان حول اصبهان ، وفي فارس ، وخراسان ، وما وراء النهر . اما تربية الحيوانات ، فالبلدان الهامة بها في دار الاسلام ، الاندلس بالبغال ، ومصر بالحمير والابقار .

وارمينية واذريبيجان بالاغنام والبغال والحيل ، واقليم الجبال بالاغنام ،
واخيرا البلدان الشمالية الشرقية بالفالج .

وفيما عدا الزراعة ، كان نشاط سكان دار الاسلام يتوزع على
بعض المرافق الاساسية حسب ابن حوقل والمقدسي ، اولها المعادن في
بلدان النعيم اي فارس وكرمان وافغانستان وخراسان وما وراء النهر .
ثم مجموعة معادن متنوعة في شتى الاماكن : كالزجاج والزرنيخ والقيصر
والنوشادر والبورق والاميات ... لكن برزت افضلية اخرى في
الانتاج الحرفي الكمالي ، اذ تم الاهتمام بالحجارة الكريمة والعطور -
هذه الاخيرة في فارس مركزها المفضل على الاطلاق - وخاصة النسيج .
ولا شك ان الحرفيين لم يعملوا للاغتناء فقط والبيع بأسعار باهظة .
فقد اعجب ابن حوقل والمقدسي اولا بالاقمشة والثياب الفخمة . مهما
يكن تركزت شهرة فارس على النسيج وجاء خلفها كثير من البلدان ،
منهم مصر وارمينية والبلدان المشرفة على بحر قزوين ، وخوزستان
وخراسان وما وراء النهر . ويظن في النهاية ان دار الاسلام لم تكن
تحلم حوالي العام الف ، الا بالنسيج وبه بالدرجة الاولى ، فهمتها ان
تحوكم القطن والصوف والكتان والحرير ، وان تحوكم بجميع الاشكال :
ثيابا وخبوطا وقطع قماش وثياب اثاث ، وبسطا ، وستورا ، ومناديل ، وملاطق ،
وبراقع ، وعمائم ، واغلفة مساند او مخاد ، وان تحوكم بجميع الطرائق ،
قماشا خاما او ملونا ، او موحدا ، او مقلما ، او متعدد الالوان ، او لينا
او ثقिला او بسيطا او مقصبا او مخملا او ديباجا ، باختصار ان تحوكم
وتحوكم وتحوكم على الدوام .

العملات والآليات الاقتصادية

يحدث تبادل جميع هذه الاصناف تداولاً نقدياً كثيفاً (٢١٤) .
ونحن نعلم ان النظام النقدي يعتمد على وحدتي ذهب وفضة ، هما الدينار والدرهم ، الموروثان عن دينار يوم (سوليدس) الرومي والدرهم الساساني ، وقد قبلهما الاسلام وعربا في عهد الخليفة الاموي عبد الملك (٢١٥) . وطبعاً تنوع عيارهما (٢١٦) . ونشير إلى جملة مثيرة من كلام الرازي عن قرطبة (٢١٧) : « تسك فيها دراهم من الذهب الصافي وقطع فضة ممتازة » ، مما يستلزم بسهولة بان الوضع لم يكن دوماً على هذه الحال . كذلك تنوعت نسبة الدينار إلى الدرهم : ويعطي المقدسي مثالا عن بلاد الشام (٢١٨) .

وتندرج دراسة هذه العملات في تاريخ دار الاسلام الاقتصادي . ولا استبقي هنا الا حدثاً رئيساً : وتعد تبدلاتها ذاتها جزءاً من التجارة والرحلة في رأي ابن حوقل والمقدسي اللذين يعتبرانها كما هي في وصفها ، وقائع يجب معرفتها وتعريف مستعمليهما بها ، اي التجار ،

(٢١٤) انظر م . لومبار ، العملة والتاريخ من الاسكندر الى محمد ، باريس لا هاي ، ١٩٧١ ، ص ١٤٥ وما يليها .. عن العملات ، انظر أيضاً المراجع ، المذكورة في ترجمة المقدسي ، ٢٢١ ، ح ٣٨ ، و ر . برونسويغ ، المفاهيم النقدية عند الفقهاء المسلمين ، مجلة ارايكا ، ١٤ روماني ، ١٩٦٧ ، ص ٢١٣ - ١٤٣ .
(٢١٥) ابن رسته ، ١٩٢ ، ١٩٨ (عن الوالي الحجاج بن يوسف اول من نقش على الدرهم سورة الاخلاص) .

(٢١٦) انظر ج . ش . مايلز ، م ١٠ (٢) ، ج ٢ ، ٣٠٥ - ٣٠٧ و ٣٢٨ - ٣٢٩ .

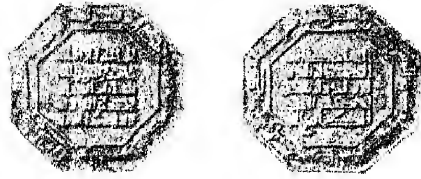
(٢١٧) الرازي ، ٦٥ . انظر أيضاً على سبيل المثال ، ابن حوقل ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ،

٥١٠ .

(٢١٨) المقدسي ، ١٨٢ ، انظر أيضاً ابن رسته ، آخر ١١٢ .

وهم من افضل قرائهما (٢١٩) بالتالي ، يدونان بدقة خالية من كل هوى ، ليس هذه التبدلات ، بل تبدلات التسميات بالنسبة إلى الدرهم او الدينار ، ووحداتهما الكبرى والصغرى ، وبالنسبة إلى العملات المحلية . ويحسون قطع العملات المتداولة في مملكة الاسلام بمقاطع او عناوين لا تخصي . وقد عدت عند ابن حوقل والمقدسي ما لا يقل عن ثلاثين اسما (٢٢٠) .

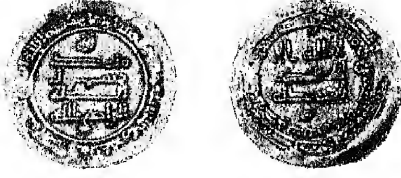
وتسمح المعلومات المعطاة عن سك العملات بتوضيح ظاهرتين رئيسيتين . اولا النظام الذي يحدد محارف السك (٢٢١) ويراقبها ،



تصوير المتحف الوطني ، باريس المتحف الوطني . انف ، م . ٥٨٦
عملة بويهية : درهم مسكوك سنة ٣٨٠ هـ ، ٩٩٠ م
بأمر أبي القاسم كافي الدولة ، وزير فخر الدولة البويهية

(٢١٩) المقدسي ، ٢ .

(٢٢٠) افطر المقدسي ، ١٨٢ واماكن متفرقة ، - ج ع ، ج ٤ ، لفظ : عدلي ، اختمي ، علوية ، عشرية ، بغوي ، غطريفي ، حبة ، خروبة ، اسماعيلي ، مثقال ، محمدي (مكّي) ، محمدي (ما وراء النهر) ، مقطع ، مسبي ، مطوق ، مزبق ، قاهرية قند هارية ، قطارى ، قطار ، قيراط ، قرض ، قطاع (أو قطع) ، راضن ، رباعي ، شعيرة ، طسوح (طسوج) ، طاطره (طاطري) ثلاثي ، ثمن ، اوقية ، زكاوي . يضاف إليها دائق (غير وارد في ج ع ، ج ٤) . قروي (؟) المقدسي ، ٨٢ ، ٤٧ . وجد أيضاً درهما سمرقنديا (الى جانب الغطريفي في بخارى) عند ابن الفقيه ، ٧٩ ، ٨٢ (ترجمة ، ٤٧ ح ٦١ سديسي (اليمن ، ابن رسته ، آخر ١١٢) طلي (الاندلس : ابن الفقيه ، ٨٨) . (٢٢١) ابن الفقيه ، ٨٨ المسعودي (م) ، فقرة ١٤٢٠ ، ابن حوقل ، ٢٤ ، ٣٠٣ ، ٥١٠ ، وصيف شاه ، ١٥٤ .



تصوير المكتبة الوطنية ، باريس المكتبة الوطنية ، لاف ، ١٢٣٣
دينار عباسي (الراضي) مسكوك في مكة سنة ٥٣٢٥/٩٢٧م

ثم الوضع الخاص في بلدان فارس ، للمعامل القديمة لاحادية معدن الفضة . وقد يحدث هنا ان تتوزع الادوار بين الفضة والذهب ، فيعتبر الدينار عملة حساب فقط ، في حين تجري الصفقات التجارية بالدراهم ، او بقطع النحاس (٢٢٢) في اصغر الصفقات . اما التنظيم المصرفي ، فاذا ذكر بشأنه حديثين . فقد رأى ابن حوقل باودغست صكاً فيه ذكر حق لمعضهم على رجل من تجار اودغست ، وهو من اهل سجلماسة باثنين واربعين الف دينار . واودغست محطة كبرى لقوافل التجارة في افريقية الغربية ، وسجلماسة محطة اخرى لها (٢٢٣) . ويتحدث المقدسي (٢٢٤) عن كازرون في فارس ، وعن قصور التجار الحصينة فيها ، وعما قام به عضد الدولة السلطان البويهبي العظيم من بناء دار جمع فيها السماسرة ، دخلها على السلطان كل يوم عشرة الاف درهم . واذا علمنا ان تلك الدار كانت سوفاً للنسيج ، امكننا ، اعتماداً على تعبير مصرفي ، ان نقيس في الحلد الأدنى قوة بعض القطاعات الاقتصادية في دار الاسلام .

(٢٢٢) ابن حوقل ، ٣٩٠، ٣١٣ ، قارن بنقلية معدنية ثنائية حقيقية حتى في بعض بلدان فارس : ابن حوقل ، ٣٢١ ، ٣٤٩ ، آخر ٣٧٢ ، ٣٧٩ ، آخر ٢٨٢) .
(٢٢٣) ابن حوقل ، ٩٩ ، عن هذا المقطع ، انظر ج دا ، ج ١ ، الطبعة الثانية ، آخر ٤٥٥ - ٤٠٦ .
(٢٢٤) المقدسي ، ٤٣٤ (و ح ا غ) .

وتعد الاسعار (٢٢٥) قضية اساسية اخرى في نظر التجار . فمتى استطاع ابن حوقل والمقدسي يعطيان بدقة المبالغ الضرورية لصفقات الجملة (٢٢٦) او صفقات المفرق في اغلب الاحيان (٢٢٧) . وتدون تبدلات الاسعار (٢٢٨) ، وخاصة التقدير العام لرخصتها او على النقيض لغلاء الاصناف (٢٢٩) . وقد يعلل رغد العيش او عكسه بظروف محلية او خاصة ، كما هي الحال في ناحية بنجهير في افغانستان حيث تعتمد سهولة الحياة على مناجم الفضة والحجارة الكريمة (٢٣٠) . الا ان تقويم رغد العيش يرتبط في معظم الاحيان بعلاقة السلع باثمانها ، المبنية على قانون العرض والطلب حسب صيغ متنوعة . فاحيانا يبرر قصر مسافة التموين انخفاض سعر الصنف (٢٣١) . وتعلل قلة السكان ضعف الطلب نسبيا بالتالي تفاهة السعر ، وهذا ما يحصل في القسقاط ... فالمقدسي يتعجب ويقول : (٢٣٢) « ومع هذه الكثرة اشترت به

(٢٢٥) انظر ا . اشتور ، تاريخ الاسعار والاجور في الشرق في القرون الوسطى ، باريس ، ١٩٦٩ . كذلك للاندلس ، الاسعار والاجور في الاندلس المسلمة في القرنين ٩ و ١٠ ، حوليات ا ع ت ، ٢٠ روماني (٤) ، ص ٦٦٤ - ٦٧٩ .
(٢٢٦) مثال ابن حوقل ، ٤٥٠ (نيل كابل) .
(٢٢٧) مثال ابن رسته ، ١٠٥ ، ١١٢ ، الثعالبى ، ١١٤ - ١١٦ ، ابن حوقل ٣٣٥ ، ٣٦٤ ، المقدسي ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ، ٣٨٩ (ح ب) ، ٣٩٠ ، ٤٣٧ ، ٤٦٩ ، اخر ٤٧٩ - ٤٨٠ .
(٢٢٨) مثال ابن حوقل ، ٧٠ .
(٢٢٩) مثال مسعر (ب) ، ١٧ ، ابن حوقل ، ٣٣٥ ، المقدسي ، ٨٤ - ٨٦ ، ١٥٧ ، ١٩٦ ، ٢٨٣ ، اخر ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ٣١٤ ، ٣٧٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٦٤ ، آخر ٤٦٦ ، ٤٧٤ ، ٣٧٠ ، آخر ٤٧٦ - ٤٨٠ ، ٤٨٤

(٢٣٠) ابن حوقل ، ٤٤٦
(٢٣١) ابن حوقل ، آخر ٩٧ - ٩٨ ، اسعار منخفضة رغم طول مسافة التموين .
(٢٣٢) المقدسي ، ١٩٩ (وح اش «على الرغم» نحن ابرزناها)

(الفسطاط) الحيز الحوارى (٢٣٣) ، ولا ينجزون غيره ، ثلاثين رطلا بدرهم ، والبيض ثمانية بدائق (٢٣٤) ... والسفرجل سبعين بدرهم «
اخيرا في اماكن اخرى وفي اغلب الاحيان . تتناسب تكاليف الحياة طردا مع وفرة الاصناف او ندرتها (٢٣٥) .

وليست هذه الامثلة ، المأخوذة من الصميم ، سوى توضيح لنظرية اقتصادية وصفها من قبل رواد الجغرافية من امثال الجاحظ (٢٣٦) وخاصة قدامة (٢٣٧) ، الذي يرى ان الامور تنطلق من حقيقة بدئية في كل محيط بشري : هي ان توزع المهام الحتمي بين شتى اعضائه يؤدي إلى فرض ضرورة وجود مبادلات تجارية ، تقتضي حداً أدنى من الاتفاق على أسعار الاصناف افراديا . لكن لا تتحدد هذه الاسعار — لاسباب سهولة او تبسيط — الا قياسا على معيار لا يتغير . ويسهل سبكه . واستعين اضافة اليه بالفضة والنحاس . وحتى بالورق العادي (٢٣٨) حسب صفات متناقضة المستوى .

الضرائب

تبادو الضريبة وسيلة اعالة الدولة ، وعاملا من عوامل الحياة

-
- (٢٣٣) حوارى انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٠
(٢٣٤) أجزاء الدرهم الصغرى : مثال المقدسي ، ١٨٢ (الشام : الدائق = سدس درهم)
(٢٣٥) ابن حوقل ، ٧٦ ، ١١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٩ ، آخر ٤١٨ - ، ٤٩٩ وأماكن متفرقة ، المقدسي ، ٨٦ ، آخر ١٣٩ ، آخر ١٤١ - ١٤٢ ، ١٥٧ ، ٤٦٩ وأماكن متفرقة
(٢٣٦) الجاحظ (١) ورقة ٣٠ - ٣٢ (وترجمة بيلا لشرح مختلف الألفاظ مثل عزيز ويمكن .
(٢٣٧) عن علم المجتمع عند قدامة ، انظر جغرافية ، ج ١ ، ٩٨ .
(٢٣٨) قدامة ، م ١٢٩ - ١٣١ .

الاقتصادية ، ولازمة مفروضة على المكلفين وفي طليعتهم التجار ، بطريقة تتناوب فيها الشكوى والتقريع . على هذا النحو رآها الجغرافيون العرب قبلنا بكثير . لكن في البدء ، ما هي الضريبة ؟ فالجزية على حدة ، تفرض على المواطنين غير المسلمين ، وقلما تلاحظ في الحقيقة ، لأنها بديهيّة (٢٣٩) ، ما عدا ذكر الاعفاءات : كما هي حال حفظة من المجوس في نظام مياه نهر سمرقند ، ولا يؤخذ منهم الجزية لبيت المال لهذا السبب (٢٤٠) . اما الضريبة الحقيقية فهي الخراج ، وهو موضوع شائع في ثقافة العصر .

والبرهان على ذلك قوائم ارقام يأخذها ابن الفقيه بلا تردد عن ابن خردادبه ، الذي صنف كتابه قبله بثمانى عشرة سنة (٢٤١) ، او الثعالبى الذي يستشهد بالجاحظ (٢٤٢) . والاثبات الآخر اهمية او تواتر العناوين (٢٤٣) التي يخصصها المؤلفون لهذا العنصر الجوهري في الحياة الادارية . والضريبة نقدية (٢٤٤) او عينية (٢٤٥) او نقدية

(٢٣٩) ابن حوقل ز ، ٧٠ (يهود قابس) ، ٢١٤ (ترجمة ٢٠٧ ، منطقة نصيبين) .

(٢٤٠) ابن حوقل ، ٤٩٣ .

(٢٤١) عن هذا النقل ، انظر جغرافية ، ج ١ ، ح ٦ .

(٢٤٢) الثعالبى ، ٩٧ .

(٢٤٣) شبه منهجية عند المقدسي في كل اقليم .

(٢٤٤) انظر مثلا ابن خردادبه ، ترجمة ، ١١ ، المسعودي (م) فقرة ٦٢٧ ،

المسعودي (ت) ، ٦٢ ، ١٤٥ - ١٤٦ ، قدامه ، ٢٣٧ - ٢٣٩ ، ابن رسته ، آخر

١١٨ ، ابن حوقل ، ٢٥ - ٢٦ ، ٣٠٢ - ٣٠٣ ، ٣٦٧ ، ٤٦٩ ، المقدسي ، ٦٤ ،

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٣٣ ، ١٨٩ (و ح ب) ، ٣٣٩ - ٣٤٠ (و ح د) ، ٣٧١ ،

٤٠٠ ، ٤١٨ ، ٤٥١ ، ٤٧٣ .

(٢٤٥) قدامه ، ٢٤١ - ٢٤٢ (لصالح مكة والمدينة) ، الثعالبى ، ١٢٩ .

وعينية معا (٢٤٦) او مصحوبة برسوم اخرى (٢٤٧) او مفروضة على الاراضي الاميرية (٢٤٨) . وهنا ايضا نجد الاعفاءات وانظمة خاصة . ففي منطقة الثغور بين دار الاسلام والامبراطورية البيزنطية ، يعاد توظيف حصيلة الضرائب محليا في شتى حاجات الدفاع (٢٤٩) . وفي رساتيق ما وراء النهر ، يعفى من الضرائب المشرفون على صيانة اقنية الري (٢٥٠) . وتخضع مصر منذ الازل إلى نظام خاص يأخذ بعين الاعتبار فيضان النيل وتبدلاته (٢٥١) . وتعامل معاملة فئوية بامدان التعشير القديمة اي جزيرة العرب والبصرة والكوفة (٢٥٢) .

وتضاف رسوم عديدة إلى جمع الخراج . فالدولة تبذل كل ما في وسعها للنجاح ، وتكثر من المكوس ، وتفرضها على القوافل ، بما فيها قوافل الحجاج ، والمراكب النهرية ، والاتحادات ، والمناجم ، والبنادق ، والمطاحن ، وتجارة الرقيق ، والاقمشة ، والمنازل ، والفنادق

(٢٤٦) الثعالبي ، ١٠٧ ، ١٠٩ - ١١١ .

(٢٤٧) دامة ، ٢٤٦ .

(٢٤٨) قدامه ، ٢٣٦ ، ٢٤١ .

(٢٤٩) قدامه ، م ج ع ، ٦٤ ، ٦٥ .

(٢٥٠) ابن حوقل ، ٢٩٧ ، ٥١٠ (اقل وضوحا : لعله لحاجات الدفاع ضد القبائل التركية) .

(٢٥١) ابن رسته ، ١١٦ ، المسعود (م) فقرة ٧٧٨ ، المسعودي (ت) ، ٣٦ المقدسي ، ١٣٦ ، المقدسي ، ٦٤ (ح ك) ، ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢٥٢) ابن حوقل ، ٢٣٦ (البصرة وليس الكوفة : المرجع ذاته ، ٢٣٩) . المقدسي ، ١٠٥ ، ١٣٣ . يلاحظ تعشير محاصيل البساتين والجنان هنا وهناك في المغرب : ابن حوقل ، ٦٧ ، ٧٧ ، ٩٧ . اخيرا دوماً في فصل الأوضاع الخاصة . انظر مسعر (ب) ، ٤٢ (سنة الضريبة مفتوحة قبل شهر من باقي البلدان ، لمنطقة الاهواز) .

والقطعان ، والمراعي ، والاستيراد والتصدير (٢٥٣) . وتعد مصر
جنة استيفاء الضرائب . مثال الثياب وبدقة زائدة الثياب الشطوية المقدرة
جدا (٢٥٤) . ويقول عنها المقدسي : « واما الثياب الشطوية ، فلا
يمكن القبطي ان ينسج شيا منها الا بعد ما يختم عليها بختم السلطان ،
ولا ان تباع الا على يد سماسرة قد عقدت عليهم . وصاحب السلطان
يثبت ما يباع في جريدته ، ثم تحمل إلى من يطويها ، ثم إلى من يشدها
بالقش ، ثم إلى من يشدها بالسفط ، وإلى من يحزمها . وكل واحد
منهم له رسم يأخذه . ثم على باب الفرضة ، يؤخذ ايضا شيء . وكل
واحد يكتب على السفط علامته ، ثم تفتش المراكب عند اقلعها » .

وكان المقدسي رحالة واحيانا تاجرا ، فلا غرو ان يهتم إلى اقصى
حد بهذا النوع من الاوضاع التي يجتمع فيها الازعاج الاداري وابتزاز
الدخل الرسمي . وتعتبر بعض المكوس هيئة ، واخف الشرور ،
الا ان الضرائب كثيرة وثقيلة في اماكن اخرى ، ومحدثة وشوكات
منكرة (٢٥٥) . والواقع ان سمعة الضريبة سيئة ، يخاف الناس منها ،
ويهربون . والشاهد هذه الجملة الواردة على لسان اليعقوبي (٢٥٦) :
« فاذا قربت (مراكب تجار اليمن) من بلد الابله ، ارتفعت رائحة

(٢٥٣) ابن رسته ، ١٥٦ ، ١٦٨ ، ١٨٥ ، ابن الفقيه ، ٢٠٧ ، عجائب الهند
فقرة ٦٠ ، ٨١ ب ، ٨٣ و ص ٢٥٧ - ٢٥٩ ، ابن حوقل ، ٢٤ ، ٢٥ (اشارة
كثيرة) ، ٦٩ ، ٩٦ - ٩٧ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٨٥ ، ٣٥٣ ، ٢٨٥ ، المقدسي ،
١٠٤ - ١٠٥ ، ١٣٣ - ١٣٤ ، ١٨٩ ، ٢١٣ ، ٣٤٠ ، ٤٠٠ ، ٤٥١ (ح ب من
٤٥٠) ، ٤٧٣ ، ٤٨٥ .

(٢٥٤) المقدسي ، ٢١٣ (و ح ج) .

(٢٥٥) المقدسي ، احالات في ما تقدم ح ٢٥٣ .

(٢٥٦) اليعقوبي ، ٣٦٥ .

المسك ، فلا يمكن التجار ان يستروه من العشارين » ، وهم « نار
محروقة » (٢٥٧) ، كما يعلم كل الناس . وفي الاصل ، ألم يلعن الرسول
رجال المكوس ، ولا نريد ان نتحدث عن سواهم . (٢٥٨) .

والضريبة الوحيدة التي يرضى بها الجغرافيون هي الخراج .
ويستدل على رضاهم بالندراج ضمن مواضيع الادب ، اذ يجب ان
نضمن للدولة اسباب معيشتها . ويزعم قدامه ، وهو احد موظفي
الخلافة ، بان فعالية الادارة وحكمتها (٢٥٩) تقاسان بالخراج ومردوده .
ويذهب ابن حوقل إلى ابعده منه ، ويكتب مثلاً عن ارمينية واران
واذربيجان ، ويقول : « واما حالها التي كانت بها ، فان جباياتها
وضرائبها على ملوك (٢٦٠) اطرافها ، تعرب عن حالها ، وتدل على
حقيقة وصفها » . ويقول في مكان آخر (٢٦١) : « وفي ذكر تقدير
البلد ما يدل على ما كان عليه من العتاد والعدد ووصف ارتفاعه ما
يعرب عن حاله واصبغاه ومكانه واوضاعه » والواقع ان اهتمام ابن
حوقل بانشطة جباية الضرائب شبه نموذجي : فهنا يجعل الخراج صراحة
مقياساً مثالياً للوضع الاقتصادي . فيكثر من التدوين ومن العناوين

(٢٥٧) عجائب الهند ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ، انظر أيضاً المرجع ذاته فقرة ٨١ ب
(٢٥٨) احالة الى م. كانار ، العلاقات السياسية والاجتماعية بين بيزنطية والعرب ، اوراق
دمبرتون اوكرز ، ١٨ روماني ، ١٩٦٤ ، ص ٤٩ . عن الجبارك ولفترة لاحقة ،
مع احالات اعم ، انظر كاهين ، المكوس والتجارة في المرافئ المتوسطية في مصر القرون
الوسطى ، حسب منهاج المخزومي ، لا يدن ، ١٩٦٥ .

(٢٥٩) قدامه ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ .

(٢٦٠) ابن حوقل ، ٣٥٤ .

(٢٦١) ابن حوقل ، ٢١٦ .

بهذه الذهبية ، ويقوم الغنى العام بواردات بيت المال (٢٦٢) ، ويبرز بالمقابل وفي الاتجاه المعاكس الاثارة الضاربة بصحة البلد من جراء جباية الضرائب الشاذة (٢٦٣) . بهذا وبكثير غيره ، يثبت ابن حوقل مركزه الفريد في الجغرافية العربية . فهو يراقب مراقبة رائعة الظاهرة الاقتصادية ، كما ترى في البعد اليومي وفي واقع تصرفات الفرد او المجتمع او الدولة .

الموازن والمكايل

تفترض المبادلات التجارية بداهة وجود نظام مقاييس ملائم (٢٦٤) واحد او عدة انظمة . والواقع ان التنوع مرغوب به ، كما هي الحال بالنسبة إلى العملات . ولنسمع إلى ما يقوله المقدسي بهذا الشأن مثلاً : « ولا يرى في الاسلام اصح من موازين العسكر ثم الكوفة » (٢٦٥) . لكن كيف يفهم لفظ « اصح » هل يعني عدالة وامانة ؟ الارجح في الحقيقة انه يعبر عن معدل متوسط صحيح ، وعن نوع من المحور المثالي ، من التعريف الدائم المحافظ عليه بين انظمة لا نهاية لها ، يكاد

(٢٦٢) ابن حوقل ، آخر ٩٦ - ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٣٠ ، ٢١٤ ، ٢١٧ - ١٩ ، ٢٣٩ ، آخر ٣٠١ - ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ واماكن متفرقة .

(٢٦٣) ابن حوقل ، ١٥٣ ، ٢١١ ، ٢١٣ (مع سياسة الحمدانيين : استبدال زراعة الأشجار المثمرة بزراعة القمح والارز والقطن) ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، آخر ٢٥ - ٢٢٦ واماكن متفرقة .

(٢٦٤) المقدسي ، الترجمة : ٢٢١ ، رقم ١٠٣٨ . اشتور : مكايل في ١م (٢) ، ٦م ، ١١٥ - ١١٩ .

(٢٦٥) المقدسي : ٤١٦ . انظر أيضاً المرجع ذاته : ٣٤ : العسكر أو عسكر مكرم : مدينة في خوزستان .

المرء يضيع فيها ، وعليه قطعاً ان يتدبر امره بها . اما المقدسي ، فيهم اهتماماً بالغاً لا يهن البتة بالموازين والمكايل والضرائب ايضاً . وهو يعد هذه الناحية عنصراً ثابتاً في وصفه الاقاليم (٢٦٦) .

واختار من كتابه نصاً لا على التعيين يتعلق بالمقاييس في جزيرة العرب (٢٦٧) : « ومكايل هذا الاقليم الصاع والمد والمكوك . فالمد ربع الصاع . والصاع ثلث المكوك . هذا بالحجاز وهي مختلفة المستعمل منها يزن خمسة ارطال وثلثا » . وهنا يقطع المقدسي حديثه ليقول ان عمر رفع هذه القيمة إلى ثمانية ارطال ، ثم يستأنف كلامه : « ولهم بالمراكب صاعان ، يعطون باحدهما جرايات الملاحين ، ويتعاملون بالكبير . وارطالهم بمكة هو المن المعروف في جميع بلاد الاسلام . غير انهم يسمونه رطلا . ورطل يثرب إلى (٢٦٨) قرح مائتا (٢٦٩) درهم . ورطل اليمن بغدادي . ولعمان المن . وبقية الاقاليم بغدادي . (٢٧٠) ولهم البهار وهو ثلاث مائة رطل » .

(٢٦٦) المقدسي : ٩٨ - ٩٩ ، ١٢٩ ، آخر ١٤٥ - ١٤٦ ، ١٨١ - ١٨٢ ، ٢٠٤ ، ٢٤٠ ، ٣٨١ ، آخر ٣٩٧ - ٣٩٨ ، ٤١٧ - ٤١٨ ، ٤٥٢ - ٥٣ ، ٤٧٠ ، آخر ٤٨١ - ٤٨٢ (المشرق والديلم ناقصان) لكي نصف منهجيتنا الى حد كبير نقول ان هذا الاهتمام موجود مع ذلك عند مؤلفين آخرين : انظر مثلاً الخوارزمي (م) ، ١٤ - ١٥ - ٦٦ - ٦٨ ، ٧٠ . ابن حوقل : ٢١٧ ، آخر ٢٥٤ - ٢٥٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، آخر ٣٧٢ ، آخر ٣٨٢ ، ٤٩٩ .

(٢٦٧) المقدسي : ٩٨ - ١٩٩ عن ابن حوقل مثلاً : ٣٠١ .

(٢٦٨) المدينة .

(٢٦٩) منطقة في وادي القرى (المقدسي : ٨٣) شمالي غربي المدينة تقريباً .

(٢٧٠) يفهم على الوجه التالي : تستعمل جميع بلدان جزيرة العرب ومدنها التي لم تسم ، النظام المطبق في بغداد بالنسبة الى مجمل المكايل والموازين ، وليس بالنسبة الى الرطل وحده .

وينبغي ان نسلم ، مثلما سبق وقلنا ، ان الاختصاصيين — ومنهم الجغرافيون — يتدبرون امرهم بهذه المقاييس من بلد إلى آخر ... ولا يحتاجون عليها كما كانوا يفعلون بشأن الضرائب ، بل يتعلمونها بالاستعمال . ويحفظون في الذاكرة اسماء شتى المقاييس وعددها اربعون (٢٧١) . ثم اوضحا تبدلاتها : زمانيا (٢٧٢) ، وخاصة مكانيا ، اما لأن احد المقاييس خاص ببلد معين (٢٧٣) ، واما لأنه يتغير من بلد إلى آخر (٢٧٤) ، وحتى ضمن البلد الواحد من مدينة إلى مدينة (٢٧٥) ، او يتبدل اسمه هنا وهناك (٢٧٦) . اضيف إلى ما تقدم ان اختلاف الاعراف يسهم هو ايضا باحداث التباين : ففي اقليم الشام ، لا يستعمل المكوك الا في كيل السلطان (٢٧٧) . كذلك

(٢٧١) انظر م ج ج ، ج ٤ ، المقدسي : ٦٤ ، ١٧١ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٠٤ ، ٣٩٨ ، آخر ٤٥٢ وغيرها من أجل المقاييس التالية : الأردن ، ارزة ، بهار ، دائق ، دوار ، فنيق ، فرق ، فلغلي (رطل) جريب ، غرارة ، حبة ، كف ، كاره ، كيل ، كيلجة ، كيجي ، كر ، مختوم ، مكوك ، من ، مطل ، مدى ، ملجم ، قب ، القغيز ، قنطار ، قيراط ، قسط ، رطل ، ربع ، صاع ، سنجة (لتقدير وزن العملات) ، تموفة ، تليس ، ثمن ، اوقية ، وية . اشرنا إلى وحدات قياس الأطوال من قبل في فصل السابع (الأسفار البرية) . أخيراً لا يجوز اغفال وحدات قياس المساحة من أجل السجل العقاري وتقدير الضريبة العقارية : جريب (كبير وصغير وهو وحدة وزن : انظر ما تقدم) الفدان ، الحبل (انظر ابن حوقل ٢٤٢ ، ٦٩ وغيرها . المقدسي : ١٣٣ ، ٤٥١ وغيرها (٢٧٢) مثلاً المقدسي ، آخر ٩٨ — ٩٩ (ذكر من قبل لعهد الخليفة عمر) . (٣٧٣) مثلاً كيجي بالسند (المقدسي ٤٨٢) أو البهار في جزيرة العرب (ذكر من قبل) .

(٢٧٤) انظر النص المترجم اغلاه بالنسبة الى الرطل والمن .
(٢٧٥) المقدسي . ٤٥٢ (اقليم فارس) ترجم فيما يلي .
(٢٧٦) انظر هنا أيضاً نص جزيرة العرب المترجم من قبل أو المقدسي ٤٨٢ : اسم كيل ملتان مطل .
(٢٧٧) المقدسي : ١٨١ .

تختلف بعض المقاييس المستعملة حصراً في هذا الصنف أو ذاك من المحاصيل ، حسب البلدان .

ولنرجع إلى المقدسي ليحدثنا عن إقليم فارس (٢٧٨) . ففيما يتعلق بالموازين ، « رطل شيراز الكبير ثمانية ارطال بغدادي . به يوزن الخل واللين ونحوهما . ولهم من مكّي . وبالرطل البغدادي يزنون اللحوم والخبز وما يجري مجراهما . ومنّ الخبز بفسا ثلاثمائة (٢٧٩) . وبه يوزن القطن والحبوب وآلة الصيادلة ويزيد عليه من القديد واللحوم ونحوها خمسة وعشرين (٢٨٠) . منّ درابجود المعروف منه في جميع الاشياء غير آلة الصيادلة ، اربع مائة واربعون درهما . والغزل والخبز والعصفر والشعر والمرعزي (٢٨١) والصوف اربع مائة وثمانون درهما . منّ نيريز في كل الاشياء غير آلة الصيادلة ثلاثة مائة وعشرون . ومنّ الغزل ثلاث مائة واربعون . ومكاييلهم : قفيز فسا ستة امّناء بالثلاث مائة في الحبوب . وما كان من لوز وشعير فقيزة ستة امّناء بمنّ مكة (٢٨٢) وقفيز الارز والحمص والعدس ثمانية امّناء . فقفيز نيريز ثلاثة ارطال بغدادي في الشعير والزبيب والقشمش (٢٨٣) والذرة . وقفيز الحنطة

(٢٧٨) المقدسي ٤٥٣ (انظر أيضاً المقدسي : آخر ١٨١ ، آخر ٢٩٧ وغيرهما) .
(٢٨٩) اضيف لفظ درهم في الترجمة : انظر فيما يلي حيث يبدو واضحاً في النص العربي مع لفظ المن مجدداً . (تؤيد هذه الجملة ، في نسخة ج من المخطوط : انظر الحاشية هـ في النص العربي) .

(٢٨٠) انظر الحاشية السابقة .

(٢٨١) مرعزي : انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٢٣ .

(٢٨٢) اضافة من مكة من النسخة ج (ح م في النص العربي) .

(٢٨٣) بشأنه ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٥٧ (ح ٦) و ٤٥٩ (ح ٥) .

يزيد عليه . من ارجان ثلاثة ارطال غير السكر . وقفيزهم عشرة
امتساء بالكبير . (٢٨٤) والمكوك نصف القفيز ، والجريب عشرة
اقفزة » .

وتعوز الدقة احيانا التمييز بين الموازين والمكاييل ، وبين الموازين
والعملات لأن الدرهم وحدة وزن ووحدة نقد ، وبين الموازين
والعملات من جهة والمساحة من جهة ثانية كما يستدل من الجريب (٢٨٥)
مع ذلك ، تشكل هذه الوحدات نظاما متماسكا ومطبقا لابد ان نعرفه
جيذا وان ندرك انه ليس بسيطا ودقيقا مثل الانظمة الشائعة في عصرنا ،
انما ليس على الدوام ولا منذ مدة طويلة في الاعتبار الصحيح (٢٨٦) .
مهما يكن ينفرد هذا النظام باعطائه صورة عن التبادل الواسع الغني
والمتنوع الذي يعد احدى الظاهرات الكبرى في المجتمع الذي نشأ
فيه . وترسوم هذه العناصر ما يشبه صورة عن المدينة اي عن المكان
المفضل الذي تجري فيه المبادلات .

* * *

(٢٨٤) ورد في النسخة ج (ح يز من النص العربي) : « بهذا المن حسب قياس هذا
المن » اي من الثلاثة ارطال . انظر ما تقدم (وليس من رطلي الوزن العادي) انظر مرجع ،
ج ٤ ، ٣٥٦ .

(٢٨٥) انظر ما تقدم حاشية ٢٧١ بآخرها .

(٢٨٦) انظر مثلا في فرنسة . بروديل ، هوية فرنسة ، ١ روماني : المساحة والتاريخ ،
باريس ، ١٩٨٦ ، ص ٢٨ - ٢٩ .

الفهارس

3	أولاً — فهرس أعلام الأماكن والمياه بأنواعها
	ثانياً — فهرس أعلام الرجال والنساء والأمم والقبائل والسلالات ونحوها
19	
29	ثالثاً — فهرس المصطلحات التقنية
39	رابعاً — فهرس الأشكال
41	خامساً — تصحيح الأخطاء وتعويض الاسقاطات
47	فهرس المواد

أولا : اعلام الأماكن والمياه بأنواعها

أبسكون ٢٤٥	أرض صفين ٨٨
آسية ٨٠٨ ، ٢٤٢	أرض القيامة البيضاء ٣٣
آسية الصغرى ٩٩ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٢٧١	الأرض المقدسة ٣٣ ، ٨٥ ، ١٥٥
آسية الوسطى ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٥٢ ، ٢٤٦	أرم ذات العماد ١٧٨ .
آموداريا ١٠٧ ، ٢٤٦	أرمينية ٣١ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٧ ،
أيرقويه ٣١٩	١١٢ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
الابلة ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٣٤	١٨٩ ، ٢١٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ،
أبواب الاندلس ٣٠	٢٥١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣١٢ ، ٣٠٧ ،
أبيورد ٧٤	٣١٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ .
أتل الاسفل ٢٥٢	الارنط ٢٣٣
أتنا ٢٨٧	أريحا ٢٦ ، ٣٠٨ .
أثيوبية ٢٤٢	أسيحجاب ١٥٧
أخميم ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٧٧	استان العالي ٢١٧ (٢١)
أذربيجان ٣٥ ، ٤١ ، ٤٧ ، ١١٢ ،	استربيان ٧٤
١٢٩ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٧ ، ٢٦٠ ،	اسفراين ٧٤
٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣٢٦ ،	الاسكندرون ٢٤٥
٣٣٥	الاسكندرية ١٤١ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ،
اران ١١٤ ، ٢٢٦ (٤٦) ، ٢٢٧ ،	١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ٣٠٤ .
٢٣١ (٥٨) ، ٢٥١ (٤١) ،	اسوان ٢٤٨ ، ٢٨٨ ، ٣٠٤ .
٢٥٩ ، ٢٩٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٣ ،	أشيبيلة ٢٤٣ ، ٢٨٦
٣٣٥ .	أشرشال ١٦٦
أرجان ٢٧ ، ٣٢ (٢٢) ، ٢٠٥ ،	أشروشة ٢٤٥ ، ٣٠٦ ، ٣٢٢
٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٣٤٠ .	أصبهان ٢٩ ، ٣٠ ، ١٥٥ ، ١٩٦ ،
الأردن ٢٥ ، ٢١٣ .	٢٩٦ ، ٣٠٥ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٥
أرجكول ٢٤٤	أصطخر (برسيبولس) ٢٧ ، ١٢٩ ،
أرض الروم ١٠٥	٢٠٤ ، ٢٠٥ .

الامارة السامانية ١٠٧	اصفهان ١٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠
الاماكن المقدسي ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦	اعمدة هرقل ١٦٥
امباطورية الاسكندر ٢٣٩	افريقية ٦٧ ، ٩٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ،
امباطورية المانية ٢١١	٢٤٨ ، ٢٥٦ .
الامباطورية. الاموية ١١٢	افريقية السوداء ٢٨٤
امباطورية بندا ٤٦	افريقية الشرقية ١٢٣ ، ٢٤٣ .
الامباطورية البيزنطية ٨٦ ، ٨٩ ، ٣٣٣	افريقية الشمالية (المغرب) ٣٠
امباطورية الروم ٢٥١	افريقية الغربية ١٢٣ ، ٣٢٩
الامباطورية الرومانية ٢٣٩	افغانستان ٤٠ ، ٥٠ ، ٧٦ ، ١١٠ ،
الامباطورية العربية الاسلامية ٢٣٩	٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣٠ ،
الامايس انظر الحكم	اقريطش ٢٤٤ .
أم القرى ٨٠	الاقليم العربية ٨٤
الانبار ١٤٤	اقليم الجبال ٨٤ ، ١١٢ ، ٢٠١ ،
الاندلس ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٧٠ ،	٣١٤ ، ٣٣٦ .
٧٣ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،	اقليم الجزيرة ١٥٤
٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،	اقليم جزيرة العرب ٢٢٥
٢٨٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ،	اقليم خوزستان ١٥٤ ، ١٥٥
١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٩	اقليم السند ٧٩ ، ١٥٢ ، ٢٠٧ ، ٢٣٣
٢٤٣ ، ٢٤٤	اقليم الشام ٢٥ ، ٣٢ ، ٤٨ ، ٨٥ ،
انطاكية ٦٣ ، ١٦١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،	٨٦ (٩) ، ١١٥ ، ١٤١ ، ١٥٢ ،
٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦٦	١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧
اهرامات مصر ١٤٠	١٥٨ ، ١٨٤ ، ٣١٢ ، ٣٣٨ .
الاهرام ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣	اقليم الشام والجزيرة ٤٩ .
الاهواز ٢٠٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٤٦ ،	اقليم الشام الجنوبي ٣٦
٢٥٦	اقليم الشام الشمالي ٥١
أودغست ٣٢٩	اقليم الديلم ١٥٢
أوربة الصقالبة ٢٨٤	اقليم العراق ١٥٤ .
اوربة الغربية ٢٥٦	اقليم فارس ٣٣٩
اورشليم انظر ايلياء ويبيت المقدس	اقليم المشرق ٧٤ ، ٢٨١ .
اوزكند ٢٦٠	اقليم مصر ١٢٢ ، ١٥٥
الاولسل ٥٣	اقور ٦١ ، ٢٢١
اوكسوس ١٠٧	المانية ٢١١

البحر الشرقي ٢٥٥	ايداج ٢٠٥
البحر الصيني ٢٢٧	ايران انظر فارس
بحر الظلمات ١٠٣	ايلاق ٧٤ ، ٣٠٦ ، ٣٢٢
البحر الغربي ٢٥٥	ايلة ٣١ ، ٢٥٥
بحر الغربي ٢٥٥	ايوان كسرى ٢٧ ، ١٨٦
بحر فارس ٢٣٣	باب الأبواب ٢٠٦ ، ٢٤٥
بحر قزوين ٢٦ (٦) ، ٣٩ ، ٤١ ،	باب الأتراك ٢٦٠
١٥٢ ، ١٩٢ ، ٣٢٦ .	
بحر القلزم ٣١	باب جيرون ٣١ ، ١٨٢
البحر المتوسط ١٠٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ،	باب السودان ١٢٣
٢٤٤ ، ٢٧٠ .	باب فرعون ١٧٠
البحر الميت ٢٣٣ ، ٣١٢	بابل ٢٨ : ٤٥ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٢٤
بحيرة خلاط ٣١٣	بابل مصر ١٧٥
بحيرة خوارزم ١٠٨	باب هشام ١٦٢
بحيرة صغر ٢٦	البادية ٣٣ ، ٢٣٣ ، ٢٥١
بحيرة طبرية ١٤٤ ، ١٦٣	بادية جزيرة العرب ٢٧١
البحيرة المتنتنة ١٦٣	بادية الشام ٢٢٧
البحرين ٣٥ ، ٧٦ ، ٢٩٠	بادية العرب ١٠١ ، ٢٧٨
بخارى ٤٠ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٧٤ ، ٢٢٢	البارز انظر جبال البارز
٢٢٥ ، ٢٦٢ ، ٣٠٦ ، ٣٢٣	باكو ٢٤٥ ، ٢٩٣
بدرسانة العرا ١٧٦	بالرمو ١٥٤
برذعة ٢٥٩ ، ٢٩٣ ، ٣١٢ ، ٣١٣	الباميان ٤٢ ، ٤٣ ، ٢٩٩
برقة ١٠٢ ، ١٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٠٩	بجاية ٢٤٤
برية سنجار ١٩٠	بحار الشرق الأقصى ٢٤٠
بست ٢٩٩	بحر آرال (بحيرة خوارزم) ١٠٨
بسطام ٢٩٥	بحر آزوف ٢٥٧ (٦٣)
البصرة ٣٤ ، ٤٦ ، ٦٥ ، ١٠٢ ،	البحر الأحمر ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ،
٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،	٢٤٨
٢٤٢ ، ٢٥٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٢٦٥ ،	
٢٩٢ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣٢٣	بحر جرجان ٢٥٦ ، ٢٥٧
بصنا ٣١٦	بحر الخزر ٢٠٦ ، ٢٣٣ ، ٣٥١ ،
بطائح العراق ١١٥ ، ٢٩٢	٢٥٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٥ ، ٢٩٤ ، ٣١٤
بعلبك ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٢ ، ٢٥٠ ، ٣١١	بحر الروم ٩٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣
	البحر الرومي ٢٥٧

٣٣٣ ، ٣٥٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٢١	بغداد ٢١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧
بلد الروم ١٠٤	٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨
بليسان ٢٦٢	٤٨ ، ٥٤ ، ٧٩ ، ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٤٢
يم ٦٨	١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ٢٣٧
بمبيس ١٦١	١٨٤ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦
بنجهير ٢٩٩ ، ٣٣٠	٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٤٠
بهستون انظر جبل بهستون	٢٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧
بهنسا ٣١٠	٢٩٧ ، ٣١٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩
بوشنود (دير) ١٤١	البقاع (٥٣)
بومينا (دير) ١٤١	بلاد الاسلام ٣٣٧
بونة ٢٤٤	بلاد بخارى ٢٣٤
البيت الحرام ٩٩	بلاد البربر ١٠٣
بيت عينون ٣١١ (١٥٦)	بلاد بلخ أنظر بلخ
بيت لحم ١٥٤	بلاد البلغار ٢٥١ (١٦١)
بيت الله ٨٠	بلاد تونس انظر تونس
بيت المقدس ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٨٣ ، ٨٦	بلاد دمشق ١٤٤
٨٦ ، ٨٧ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٥ ، ١٦٤	بلاد الزنج ٢٤٣
١٦٤ ، ١٨٤ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٠٨	بلاد سبأ ١٨٠
بيت النار ١٥٤ ، ١٨٤ ، ٢٠٤ ، ٢٧٨	بلاد السودان ١٢٣ ، ٢٧٥
بيروت ٢٤٥ ، ٢٥٠	بلاد الشام ٢٦٥ ، ٢٤٩ ، ٣٢٧
بيزنطة ٣٠ ، ٣١ ، ٤٨	بلاد الشام الشمالية ٢٦٤
البيضاء ٦٣ (١٥)	بلاد الصقالية ٢٥٦ ، ٢٥٧
بيعة أبي هور ١٤٧	بلاد العرب ٢٨٩
بيعة اقريب ١٤٩ .	بلاد فارس ٢٥٦
بيوت النار ٢٧ ، ١٢٩ ، ١٤٣ ، ١٥٣	بلاد القبط ١٢٠ ، ١٢٢
٢٠٣ .	بلاد ما بين النهرين ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥١
تاجة ١٦٦	٢٥١ ، ٢٤٦
تاجو (نهر) انظر تاجه	بلاد المسلمين ٥٢
تاهرت ٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٦٠	بلاد مصر ١٧٥
التبت ٢٥٣	بلاد الهند ٤١ ، ٢٣٣
تينابري ٢٠٠	بلاد النوبة ١٤١ (٣٨) ، ٢٤٨
تدمر ٢٥ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٢	بلاد النوبة ١٤١ (٣٨) ، ٢٤٨
ترمذ ٧٥	بلاد النوبة ١٤١ (٣٨) ، ٢٤٨

جبل الجولان ٦٧	تستر ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٣٠٥ ، ٣١٦
جبل جيلان ٤١	تتاييس (نهر دون) ٢٥٧
جبل رضوى ٣١٠	تنس ٢٤٤
جبل زيتا ٣٢	تنيس ١٢٢ ، ١٧٦ ، ٢٤٩ ، ٢٨٩
جبل الزيتون ٣٢ ، ١٥٦	توز ٣١٩
جبل الطور ١٤٤	تونس ٣٨ ، ٦٨ ، ٩٠ ، ٢٢٤ ، ٢٤٨
جبل طوريق ١٣٤	٢٨٧ ، ٣٠٣
جبل الفضة ٣١٩	تيما ٢٥٠
جبل القيق ٤١ ، ٢٠٦	التينات ٢٤٥
جبل كرمات ١١٩	الثغور ٥٢ ، ٣٣٣
جبل الكهف ١٤٩	الجابية ٢٥٥
جبل لبنان ٦٦	المجادة الامبراطورية ٢٤٠
جبل اللكام ٦٣	المجار ٢٥٥ ، ٢٤٠
جبل ماردين ٣١٣	جامع حمص ١٨٣
جبل المقطم ١٤٥ ، ١٧٥	جامع دمشق ١٦٢
جدة ٢٤٢ ، ٢٤٠ ، ٢٥٥	الجامعان ٢٣٥
جرجان ٤١ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٤٥	جاره ٢٦٧
٢٥٧ ، ٢٩٤ .	الجبال ٣٩ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٧٦ ، ٢٢٠
الجروم ٢٣٣	٢٢٧ .
الجزائر ٦٨ ، ٢٤٤	جبال، أذربيجان ٥٠
جزائر السعادة ٢٦٦	جبال ارمينية ١٥١ ، ٣٠٧
الجزائر الشرقية ٢٢٤	جبال اقليم الجبال ٧٠
الجزيرة ٣٨ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٧٣ ،	جبال البارز ٣١٩
٧٥ ، ٨٦ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١٢٦ ،	جبال الخرمدينية ٧٠
١٣٠ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٦ ، ٢٢٧ ،	جبال الفور ١١٠
٢٤٩ ، ٢٦٢ ، ٢٣٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٢	جبال القفص ٢٣٣
الجزيرة - ارمينية ١٥٦	جبال هراة ١٥٣
جزيرة العرب ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٦ ،	جبة ٢٩٨
٤٠ ، ٦٧ ، ٥٥ ، ٨٦ ، ٩٨ ، ١٣٨ ،	جبل أحد ٨٨
١٤٢ ، ١٥٤ ، ١٧٨ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ،	جبل بنجهير ٣٢١
٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٣٤٩ ،	جبل بهستون ٢٠١
٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٥٠	جبله ٢٤٥ ، ٢٦٤

حماء ٢٥٠	٣٣٧ ، ٣٣٣ ، ٣٠٨ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٥
حمص ١٦١ ، ١٨٤ ، ٢١٣ ، ٢٥٠	جزيرة العرب الجنوبية ١٨٠
حوران ٢٢٩ ، ٣١١	جسر أبي طالب ٢٠٥
الحيرة ١٤٢ ، ١٨٥ ، ٢٩٣	جسر أيداج ٢٠٥
خابور ١٤٤	جسر خوراذ ٢٠٥
خاقلين (جسر) ١٨٦ (٦٨)	جناية ٣١٩
الختل ٧٥	الحنادل ٢٦٦
خراسان ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،	جنديسابور ٢٩٨
٤٣ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٨٥ ، ٩٢ ، ٩٦ ،	جهرم ٣١٨
٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ،	جويان ٧٤
١٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٠ ، ٢١٣ ، ٢٢٩ ،	جور ٢٧ ، ٢٠٥ ، ٣٠٥
٢٣٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٩٤ ،	الجوزجان ٤٢ ، ٧٥
٣٠١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ،	الجوزجان الشمالي ١١١
٣٢٥	الجولان ٦٤ (٤٠) ، ٦٧
خزائن نيسابور ٦١	الجويان ٧٤
الخضراء ١٨٢ (٥٤)	جييجل ٢٤٤
خليج السويس ٢٤١	جييجون (اوكسوس) ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٤٦
خليج العقبة ٢٤١ ، ٢٥٠	جيرفت ٣٠٦
الخليج العربي ٢٦٨	جيرون ١٧٨
خمليج أو خمليج ٢٥٦ ، ٢٥٧	جيل ١١٩
خوارزم ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،	جيلان ٤١ ، ٢٩٤
١١١ ، ٢٢٠ ، ٢٥٢ ، ٢٨٤ ، ٣٠٢ ،	حائط العجوز ١٧٥
٣٠٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣	جبرون ٤٠ ، ٤٣
خوراذ ٢٠٥	حقرا ١٩٠
خوزستان ٤٩ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٠ ،	الحجاز ٨٧ ، ١٤٣ ، ٢١٩ ، ٣٣٣
٧٣ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١١٢ ، ١١٥ ،	الحجر الاسود ٧٧
٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،	الحجوان ٥٤
٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،	حران (كارهاي) ١٣٠ ، ١٩١
٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ،	الحرمان ١٧٨
٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣١٦ ، ٣١٣ ، ٣٢٥ ،	الحضر ١٩٠
٣٢١	حضر موت ٢٨
الخورنق ١٨٩	حلب ٣٨ ، ١٠٠ ، ١٦١ ، ٢٥٠
خيبر ٢٩٠	حلوان ٤٧ ، ١٥٥

الدندانقان ٧٤	داراجرد ٢٧ ، ١٢٩ ، ٣٣٩
دشك بر ٢٦٢	دار الاسلام ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٥ ،
النورا ٣٠١ (١٥٦)	٣٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٤ ،
الديارات ١٤٥	٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ،
ديار الاسلام ٢٩	٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩٥ ،
ديار بكر ٢٢٦ (٤٦)	٩٧ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٤ ،
ديارات بلاد الشام ١٤٤	١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ،
ديارات الجزيرة ١٤٤	١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٤ ، ٢١٢ ،
ديار ربيعة ٢٢٦ (٤٦)	٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٦ ،
ديار العرب ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٠٤	٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ،
ديار مضر ٢٢٦ (٤٦)	٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ،
ديارات وادي النيل ١٤٤	٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ،
دير الاعلى ١٤٥	٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ،
دير باشهرا ١٤٧	٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،
دير باطا ١٥٠	٣٣٣ .
دير برقوما ١٥٠	دار السلام ٢٠٧ ، ٢٠٨
دير بوشنوده ١٤١	دار كفر ١١٠
دير يومينا ١٤٠	الدماغان ١٩٦
دير التحلي ١٤٧	ديبق ٢٨٩ ، ٣١٠
دير توما ١٥٦	ديبل ١٥٧
دير الجودي ١٥٠	دجلة ٢٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ،
دير حزقيال ١٤١	١٥٠ ، ١٧٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ،
دير الخنافس ١٤٩	٢٥٥ ، ١٩١ ، ١٨٩
دير سرجس ١٥١	دجلة العليا ١٤٤
دير الصوفيين ٩٢	دريند (باب الابواب) ٢٤٥ ، ٢٠٦
دير الطور ١٤٧	الدكان ١٩٦
الدير العتيق ١٤٢	الدلتا ٢٣٣
دير العجاج ١٤٩	دائتا النيل ٢٤٨
دير العلت ١٤٥	دمشق ٢٥ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٨٦ ،
دير فيق ١٤٧	١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٨٥ ، ٢١٣ ، ٢٢٢ ،
دير القديسة كاترينه ١٤٠	٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٠ ، ٣٠٤ ،
دير القصير ١٤٥	دمنهور ١٥٠
دير القيارة ١٤٩	دمياط ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٨٩ ، ٣١٩

رومية ٢٥٦	دير القير ١٤٩
الرون ٢٥٦	دير الكلب ١٤٩ ، ١٥٦
رويد شت ٢٩٧	دير مريم ١٥٦
الري ٤٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٩	دير مينا
٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٩٦ ، ٣١٤	دير حزقل ١٤١
زبيد ٢٣٥	دير يحنس ١٥٠
زرينوز ٢٦٠ (٧٥)	الدليم ٣٩ ، ١١٩ ، ٢٢٧ ، ٣٣٣ ، ٢٩٤
زغروس ٢٥٣	الديماس ١٨٤
زمزم ٣٢	الدينور ٢١٧
زرنذ ٣١٩	ذات الحوافر ١٩٦
الزوراء ٤٧	راذان ٢٥٦
زوزن ٢٢٩	رام هرمز ٣١٦
سابور ٢٧ ، ١٢٩ ، ٢٠٣ ، ٢٧٦ ،	الران ١١٢ ، ٢٢٧ ، ٢٥٩ ، ٢٩٣ ،
٣١٨ ، ٣٠٥	٣٣٥ ، ٣١٣ ، ٣٠٧ ،
ساربانان ٢٦٢	رأس التين ٥٣
الساروق ١٩٦	رأس العين ٥٣
سامراء ٣٤ ، ٤٨ ، ١٤٨ ، ١٨٤ ،	ربض كابل ١٥٤
١٨٩ ، ٢٤٠	ربوة عيسى ٣٣
الساهرة ٣٣	الرحاب ٢٥ ، ٢٩ ، ٦١ ، ١٣٠ ،
سبأ ٢٧ ، ١٦٣ ، ١٨٠	١٦١ ، ٢٢٧ ، ٢٤٥
سبته ٣٦ ، ٢٤٤	الرقعة ٧٥ ، ١٤٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٦٤
سيراف ٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٤١ (٥) ،	٣١٣ ، ٣٠٥
٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٩٧	الرم ١١٤
سجستان ٣٥ ، ٣٩ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ١١٠ ،	الرملة ١٥٧ ، ١٦٤ ، ٢٢٩ ، ٢٥٠ ،
١١١ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ، ٣٢٠ ، ٣٠٦ ،	٢٥٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٢
٢٩٨	الرس (اراكس) ١٩٢
سجلماسة ٢٤٧ ، ٣٢٩	رستاق ايل ١١٥
سد الشاذروان ٢٧	رودانس ٢٥٦
سد مأرب ١٦٣ ، ١٨٠	روذه ٢٦٢
الساير ١٨٦	روسية ٢٤٥
سرت ٢٤٨	روسية الانهار الكبرى ٢٣٨
سرخس ٧٤ ، ٣٢١	روسية الجنوبية ٢٥٢ ، ٣٠٢
سر من رأى ٢٤٤	رومة ٢١١

سوق سنبل ٢٦٢ (٧٧)	سرنديب ٢٨٩
سوق الطواويس ٢٥٩	سرياقس ١٤٧
سوق كرا ٢٦٢ (٧٧)	سعيد ٢٩١
سوق كران ٢٦٢ (٧٧)	سفاقس ٢٤٤ (١٥)
سوق كرينة ٢٥٩	سقطرة ٢٧٠
سوق كورسره ٢٦٢ (٧٧)	سلاروند ٢٠٧
السويس ٢٦٦	سله ٩٠ (١١٦)
سيحون (سرداريا) ٤٢ ، ٩٢ ، ٣٤٦	سلوان (عين) ٣٢
سيراف ٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٤١ (٥) ، ٢٦٥٠	سمرقند ٢٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٧٥ ، ١٥٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢٤٥ ، ٣٠٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٢
٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٩٧	سمكوش ٢٥٧
السيرجان ٧٠ (٣٨)	سمنود ١٧٧
سرداريا ٢٤٦	سميران ٢٠٦
سيف البادية ٢٣٣	سنباذ ١٣٣ (١٦)
سيل العرم ١٨٠	سنج ٧٤
سيثاء ١٤٤ (٥٤) ، ١٤٧٠ (٧٥) - ١٥٦	السند ٦٩ ، ٧٣ ، ١١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٣٠٥ ، ٢٩٩ ، ٣٢٠
٢٤٨٣	سهل الجرف ٢٨٦
سينيز ٢٩٨ ، ٣١٨	السهول التركية ٨٩ ، ٢٨٤ ، ٣٠٢
سيولك ٢٠٥	سهوب كرمان ١١٩
الشاذروان ٢٠٦	سهوب مكران ٤١
الشاش ٦١ ، ٧٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٢ ، ٣٢٢	سواد البصرة ٣٠٤
الشام ٤٦ ، ٥١ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٨٦	السودان النيجيري ٢٤٧
١٤١ ، ١٦٣ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٣	سودان نيجيرية ١٠٣
٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤	سورية الشمالية ٢١٩
٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٩١	السوس ٦٤ ، ١٠٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤
٢٩٢ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣٢٥	السوس الأقصى ٢٥٥
شيام ١٧٩ (٤٧)	سوسة ٩١ ، ٣١٦
شيديز ٢٠١	سوق الأحد ٢٦٢
شبه جزيرة اييرية ٢٨٥	سوق الأربعاء ٢٦٢
شبه جزيرة العرب ٢٥٨	سوق بغداد ٢٨٢
شبه جزيرة ملقة ٢٤٠ ، ٢٦٧	
الشحر ٢٨	
شئون ٢٨٥	

الصحرة ١٩٦	شرشال ٢٤٤
الصين ٣٨ ، ٤٧ ، ١٣٩ ، ١٩٦ ،	شرق ٢٢٧ (٤٩)
٢٠٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٣ ،	الشرق الأقصى ٢٤٠ ، ٢٦٦ ، ٢٣٩
٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ،	شروان ٨٥
٢٨٥ ، ٣٠٢	شطا ٢٨٩
ضريح النبي ٨٨	شعب بوان ٣٠٥
الطائف ٢٩٠	شقانص ٩٠
طاق بستان ٢٠١	شنترين ٢٨٥
طاق طيسفون ١٦٣	شهران ١٤٧
طبرستان ٤١ ، ٢١٩ ، ٢٩٤	شهرستان ٢٩
طبرقة ٢٤٤	شيراز ٢٧ ، ٣١ ، ٦٤ ، ٢٠٥ ، ٢٣٠ ،
طبرية ٢٥ ، ٢٥٠	٣٣٩ ، ٣١٩ ، ٣٠٨
طخارستان ٢٦٠	شين ٢٠٦
طرابزنده ٢٥١	صبران ٢٦٠
طرابلس ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ،	صحار ٢٤٢
٣٠٣ ، ٣١٠	صحراء فارس الكبرى ٢٥٢ ، ٢٥٣
طرابلس الغرب ٦٧ ، ٦٨ ، ٢٨٧	الصحراء الكبرى ٦٧ ، ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ،
طراز ٧٤ ، ٢٦٠	٢٤٧
طريان اردشير ٢٧	صخرة موسى ٣٣ ، ٨٥
طرسوس ٨٦	صرصر ٢٢١
طرطوس ٢٤٥	الصرود ٢٣٣
طرطوشة ٢٤٣ ، ٢٥٦	صعيد مصر ١٤٩
طريق اغسطس ٢٧٥	صغر ٢٦
طليطلة ١٦٦	الصفاء ٥٤
طنجة ١٦٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥	الصفاء المقدسة ٣٣
طواويس ٢٥٩	صفين ٨٨
الطور ١٤٤ ، ١٥٠	صقلية ٥٠ ، ٧١ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٢٣ ،
طوران ١١١	١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٤٤ ، ٣٠٩
الطوس ٧٤ ، ٢٠٧	الصليق ٢٢٢
طيسفون ١٦٤ ، ١٧٦	صلعاء ٢٨ ، ١٧٩
عافر ٢٣٤	صنجاج ٧٤
عانة ١٤٤	صور ٢١٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠
عبادان ٣١٢	صيدا ٢٤٥

عُر ٢٢٩	غرج الشار ٤٣ ، ٧٤ ، ٧٥
المشانية ١٤١	غرناطة ٢٨٧ (١٨)
المعجم ٩٨	الغريان ١٨٨
عدن ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٢٢ ، ٢٩١	غزة ٢٤٨ ، ٢٥٠
العراق ٢٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٨٤	غزة ٤٣
١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١٤١ ، ١٤٥	غمدان ١٧٩
١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٨٤ ، ١٨٥	غندجان ٣١٩
١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢١٦	الغوريان ٤٣ ، ١١١ ، ٣٢١
٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠	الغوطه ٣٠ ، ١٦٢ ، ٢١٣
٢٤٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٥٥	غوطة دمشق ١٨٢ ، ٣٠٤
٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٩٢ ، ٢٧٨ ، ٢٩٣	فارس ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٤
٢٩٥ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٥ ، ٣٢٣	٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٧٣
العراق الجنوبي ١١٥	٨٢ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٢
العربية السعيدة ١٨٢	١١٦ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢
عسقلان ٢٤٤ ، ٣١٢	١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥
العسكر ٣٣٦	١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٨ ، ١٨٥
عسكر مكرم ٢٩٨	١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦
الحقبة ٢٤١ ، ٢٥٠	٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧
عكا ٢١٣ ، ٢٤٩	٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦
الملث (دير) ١٤٥	٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧
علوا ١٤١ (٤٢)	٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣١٩ ، ٣١٣ ، ٣١٤
عمان ٢٦ ، ٧٦ ، ١٠١ ، ٢٢٤ ، ٢٥٠	٣١٦ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٢٦
٢٥٥ ، ٢٦٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠٤ ، ٣٣٧	فانس ٣٦ ، ٣٨ ، ١٥٤ ، ٢٤٨
عماوس ٢٣٣	قامية ١٨٣
عيزاب ٢٤٨	فحص البلوط ٢٨٦ (١٦)
عين شمس ١٧٤	القرات ٨٨ ، ١٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥
عين القير ١٥٠	١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٣٣ ، ٣١٣
غانة ٢٥٧	٢٥٠
غاوخوار ١٠٩	فرغانة ٤٢ ، ٧٥ ، ٢٢٢ ، ٣٠٦
الغرب ٢٢٧ (٤٩)	٣٢٢
الغرج ٤٣	الفرما (بيلوز) ٢٥٥
غرجستان ٤٣	فرنجة ٢٥٥
	فسا ٢٩٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٩

القطيفة (قصر) ١٨٢ (٥٤)	الفسطاط ١٧٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩ ،
اللزوم ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥	٣٣١ ، ٣٣٠
قلورية ١٠٥	فسطاط مصر ١٧١
قم ٧٧ ، ٢٩٦	فلسطين ٣٢ ، ٨٥ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ،
قنابيل ١١٥	١٦٤ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤ ، ٣١١ ، ٣٠٤
قنسرين ٢١٣ ، ٢١٩	الفيوم ٢٦ ، ٣١٠
القنطرة ١٦٥ ، ١٦٦	قايس ٦٨ ، ١٠٤
قنطرة أبي طالب ١٩٦	قادس ٢٧٥
قنطرة سنجة ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٩٢	قاشان ٣١
قنطرة السيف ١٦٥	القاهرة (الفسطاط) ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
قنطرة الصيمرة ١٩٦	٣٨ ، ٥١ ، ٥٤ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،
قنطرة عضد الدولة ٢٠٥	٢٤٩ ، ٢٤٨
قنطرة النعمان ١٩٦	قبة فرعون ١٧١
قويس ٢٩٤ ، ٢٩٥	قبة كازرون ١٥٤
قوهستان ٢٣٠ (٥٧) ، ٣٢١ (٢٠٣)	قبة محمد ٣٣
القيروان ١٦٥ ، ٢٣٠ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨	قبرص ٢٤٤
كابل ٤٣ ، ٣٢١	قبر النبي ١٧٨
كاوزين ٢٩٩	القدس ٣٣
كارهاي (حران) ١٣٠	القرافة ١٤٤
كاريان ١٥٤	قرح ١٥٤ ، ٣٣٧
كازرون ٢٩٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٩	قرطاجنة ٣٠ (١٨)
كركان ١٨٣ (٥٧)	قرطبة ٣٠ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ٢٣٧ ، ٢٨٥ ،
الكركي ٢٥٩	٣٢٧
كرمان ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٨ ، ٧٣ ،	قرقوب ٣١٦
٨٥ ، ٢٢٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٣ ، ٢٢٧ ،	قوماسين ١٩٦
٢٣٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٦	قزوين ٣٥ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٧٦ ، ٨٥ ،
كرمنشاه ٢٠١	١١٩
كروخ ٧٤	القسطنطينية ٢٥ (٦) ، ١٦٨ ، ٢٥٥
كرينة ٢٥٩	قصر الريح ٢٣٥
الكسيفة ٢٣٥ (٦٩)	قصر شيرين ٢٠٢
كش ٢٢٥	قصر غمدان ١٧٩
الكعبة ٣٣ ، ٦٠ ، ٨٠	قصر الصوص ٢٠٢
	٣ القصير ١٤٥

٣٢٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥	كفر سابا ٢٣٤
مجمع ماء الخمر ٢٤٥	كفر سلام ٩٠ ، ٢٣٤
المحيط الأطلسي ٢٦٧	كنيسة ٢٦٧
مخا ٢٣٥	كندر ٧٥
الدائن (طيسفون) ٢٧ ، ١٦٣ ، ١٨٦	كنيسة بيت لحم ١٥٦
مدائن لوط ٣٣ ، ٨٥	كنيسة حمص ١٦٢
مدائن ٢٦ ، ٨٦	كنيسة الرها ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٩٢
المدينة ٤٦ ، ٨٣ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،	كنيسة الروم ١٧٦
١٥٤ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢١٦ ، ٢٦٠ ،	كنيسة الطور ١٥٠
٢٢٣ ، ٢٥٠ ، ٢٩٠	كنيسة الله ٣٣ ، ١٥٧
مدينة السلام ٢٠١ ، ٢٧٦	كنيسة متيج ١٦٢
المراغة ٣١٢	كهف الظلمات ٢٩
المربعة الصغيرة ٢٦٣	كوار ٢٩٧ (٨٦)
المربعة الكبيرة ٢٦٣	كوث ربا ١٨٥
مرسى بني جناد ٢٤٤	الكوفة ٢٥ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ١٠٢ ، ١٤٢ ،
مرسى الدجاج ٢٤٤	١٤٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢١٨ ،
مرغاب ٧٤ (٥٣)	٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٣٣٣ ،
مرو ٢٨ ، ٣١ ، ٤٣ ، ٧٤ ، ١١٠ ،	٣٣٦ .
٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٣٠١ ، ٣٢١	اللاذقية ٥٢ ، ٢١٣ ، ٢٤٥
مرو الروذ ٧٥	لاردة ١٤٠
مرو الشامهجان ٧٤ (٥٣ ، ٥٥)	ليزان ٢٩٢
المروان ٧٤	الله ١٦٤ ، ١٨٣ ، ٢٣٤
مريس ٢٨٩ (٣٣)	لشونة ٢٨٦
المسجد الأقصى ٣٢ ، ١٦٢	اللكام (امانوس) ٦٣
مسجد دمشق ١٦٢ ، ١٦٤	لورستان ١١٢ ، ٢٥٢
المسرقان ٣١٦	ليبة ٢٨٣
مسيلة ٢٤٨	مأرب ١٦٣ ، ١٨٠
المشرق ٤٠ ، ٥١ ، ٦١ ، ٢٢٠ ،	ماردين ٣١٣
٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٨٦	ماء البصرة ٢١٧
مشرق دار الاسلام ٣٢٥	ماء الدينار ٢١٧ (٢٢)
مصر ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٦ ،	ماء الكوفة ٢١٧
٧٠ ، ٧٣ ، ٨٥ ، ١٠٥ ، ١٢٠ ،	ماوراء النهر ١٠١ ، ١٠٨ ، ٢٥٢ ،
١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ،	٢٥٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣٣٦ ،

المقطم ١٧٥	١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ،
مكة ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٧٧ ، ٨٣ ،	١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ،
٨٦ ، ٨٧ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٣٧ ،	٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٢٩٠ ، ٣٠٨ ، ٣٣٧ ،	٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
٣٣٩	٢٥٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،
مكران ٣٦ ، ٧٦ ، ٣٠٥	٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣٢٠ ،
الملتان ٢٠٧	٣٢٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣
ملب فامية ١٨٣	مصر سليمان ١٧٠
ممالك التصاري ٣٦	مصر القبطنة ١٤١
مملكة الاسلام ٢٢ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٩ ،	المصيصة ٢٢١
١٠١ ، ١٢٣ ، ١٦٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،	معصرة أبي نواس ١٥١
٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ،	معبد اخمين ١٧٧
٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٩٨ ،	معبد دمشق القديم ١٨٢
٢٨٤ ، ٣٢٨	المعبد المصري ٨٥
ملقة ٢٨٦	المغرب ٣٠ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٦١ ،
مليلة ٢٤٤	٧٣ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
منايع دجلة ٢٩	١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٧ ،
منارة الاسكندرية ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،	١٤٢ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ،
١٦٨	٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ ،
منارة قادس ١٦٥	٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٦٥ ،
منج ١٦١ ، ١٨٤	٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ ،
منستير ٩٠ ، ٩٢	٣٢٥ .
منسريان ١٥٣	المغرب الأقصى ١٥٠ ، ٢٧٤ ، (١٣٧)
منف ١٧٤	المغرب الأقصى الجنوبي ٣٠٣
المنيف (ماء) ٢٣٥ (٦٩)	مغرب دار الاسلام ٣٢٥
المنيفة ٢٣٥	المغرب الجنوبي ٢٤٧ ، ٢٤٨
المهدية ٩٠ ، ٢٤٤	المغرب الشمالي ٢٤٣
مهران ٣٦ ، ١١٥ ، ٢٥٢	مفازة سجستان ٢٣٣
الموصل ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ،	مفازة فارس الكبرى ١١٩ ، ١٥٦ ،
١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٩٠ ،	٢٧٩
١٩١ ، ٢٢٩ ، ٢٥١ ، ٢٩٣	مفازة فارس وخراسان ٢٧٩
موقان ٢٢٣	مقابر الحسينيين ٢٦٣
ميدية ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢١٤	مقبرة القرافة ١٤٤

نهر الغدير ١٨٨	ميافارقين ١٥١
نهر الفرات ١٤٤ ، ١٨٥ ، ١٥٢ ؛	ميركي ١٥٧
نهر مهران ٤١ ، ١٠١ ، ١١٤ ، ١١٥	ميسان ٢٩٣
نهر النيل ١٤٠	ميناء (جبل النفقة) ٣١٩
نهر النيل الأعلى ٢٦٦	ميورقة ٣٠٩
نهر الهندوس ٢٠٧	نايلس ٢٢٩
نهر الوادي الكبير ٢٤٣	ناكور ٢٤٤
النهر وان ٢٩٧	ناووس الظبية ٢٠٣
نهر وند ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢٩٦	نجران ١٤٢
النوبة ١٤١	النحيف ١٨٩
نيزيز ٣٣٩	نربوغة ٢٧٠
نيسابور ٣٤ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٧٤ ،	نسا ٧٤
٢٠٧ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٥ ،	نسف ٢٢٥
٢٣٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،	نصراياذ ٢٦٢٠
٢٨٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٨ ، ٣٢١ ،	نصيين ١٤٤ ، ٣٠٧
النيل ٢٦ ، ١٢١ ، ١٤١ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ،	النمسة - المجر ٢١١
١٧٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٨٨ ، ٣٣٣	نهر اتل ١٠٨
النيل الأعلى ١٤١	نهر تاجة ١٦٦
نيلوى ٢٥ ، ٨٦ ، ١٤٤ ، ١٩١	نهر تنايس (دون) ٢٥٧٠
نيرا (الخضر) ١٩٠	نهر تيرى ٣١٦
نجر ٧٧ ، ٢٣٥	نهر تستر ٢٧
نراة ٧٤ ، ١١٠ ، ٣٢١	نهر الثرثار ١٩٠
النهرمان الكبيران ١٧١ ، ١٧٢	نهر الخابور ١٤٤
نرموز شهر ٢٢٥	نهر دارو ٢٨٧ (٨)
الهضبة الفارسية ١٥١ ، ٢٥٢	نهر دجلة ١٤٤
هضبة ميدية انظر ميدية	نهر الرس ١٩٢
الهلال الخصيب ٢٤	نهر الرون ٢٥٦
همدان ٢٧ ، ١٩٧ ، ٣٠٠ ، ٢١٨	نهر سمرقند ٣٣٢
٢٥٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨	نهر السند ١٢٥ ، ٢٥٢
الهند ٣٩ ، ٤٣ ، ٨٥ ، ١١١ ، ١١٥ ،	نهر السوس ٢٥
١٢٩ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،	نهر سيحان ٩٢
٢٤٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٧ ،	نهر سيحون (سيرادريا) ٤٢
٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٥ ، ٣١٣ ، ٢٩٩	نهر الصقالبة ٢٥٧

الهندوس (مهران) ٢٠٧	واسط ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ٢٦٤ ،
هيطل ٧٥ ، ٢٢٧	٢٩٣
الهيكل ١٣٦	ورب ٢٥٦
هيكل يعمل ١٨٢ ، ١٨٣	وليلة ٣٧
هيكل بوذا ٢٠٧	وهراڻ ٢٤٤
هيلوبولس انظر عين شمس	ويذار ٣٢٣
هيرا بولس ١٦١	ويلة ٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠
الواحات ٢٤٧ ، ٢٧٥	يافا ٢٤٥
واحات كزمان ٤٢	يينا ٢٣٤
واحات مصر ١٠١	يُرب ١٤٣ ، ٣٣٧
الواحات المصرية ٢٧٥	يزد ٣١٩
واحة تيماء ٢٥٠	اليمامة ٢٩٠
واحة القوطة ٢٢٩	اليمن ٢٧ ، ٣٩ ، ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٦٣ ،
وادي ارجان ٢٠٥	١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ،
وادي الأردن الأعلى ٣١١	٢٤٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ ،
وادي جهنم ٣٢	٣١٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧
وادي القرى ١٥٤ ، ٢٥٠ ، ٣٠٤	اليمن الشمالية ١٤٢
الوادي الكبير ٢٤٣	اليمن الشرقية ١٧٨
وادي كنعان ٢٥ ، ٣٣	اليهودية ٢٩ ، ١٥٥
وادي مهران ٣٦	اليوفان ٣١٤
وادي النيل ١٧٥ ، ٢٣٣	

ثانياً : فهرس اعلام الرجال والنساء والأمم والقبائل
والسلالات ونحوها

٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣	آدم ٨٥ ، ١٣٥
٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠	آل افرغون ٤٢
٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦	آل طاهر ٤٦
ابن خراذبه ١٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦	آل طولون ٤٦
٢٨١ ، ٢٥٧ ، ٣٣٢	آل فرعون ٢٧٥
ابن ديسان ١٣٢	ابراهيم ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٨٦ ، ١٨٤ ، ١٨٥
ابن رسته ٩٩ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ٢٧٦	ابراهيم (ابن ماري القبطية) ١١٤ ، ١٢١
٢٩١ ، ٢٩٦	ابراهيم الخليل ٢٥
ابن عبد ربه ٩٧ ، ٩٨	ابراهيم بن وصيف شاه ١٠٣ ، ١٦٦
ابن طولون ١٣٥	ابن الازهم ٣١
ابن الفقيه ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٢١ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٠ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٣٣٨	ابن حوقل ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩
أبنوذه (بتوني) ١٢١	
أبو اسحاق البلوطي ٦٧	
أبو حاتم ٨٢ (٨٥)	
أبو الحسن علي بن الحسن ٨١ (٨٠)	
أبو حنيفة ٦١ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٣٩	
أبو دلف ١٤٢	
أبو دلف مسعر ١٤٢ ، ٢٨٦ ، ٢٠٢ ، ٢٩٤ ، ٢٠٤	

أبو زيد السيرافي ٢٦٥	اسباط اسرائيل ٢٦ (٩)
أبو سعيد الجثافي ٧٦	الاسبان ٣٠
أبو طاهر سليمان ٧٧	اسحاق ٣٣ ، ٣٧
أبو عبيد ٨٢ (٨٥)	اسحاق بن محمد بن عبد الحميد ٣٧
أبو علي بن حازم ٢٦٩	اسرائيل ٣٣
أبو عيسى الاصفهاني ١٣٥	أسرة البويهيين ٢٣٠
أبو مسلم ١٣٣	الاسكندر ٢٩٠، ٢٨٠، ٢٤٠ ، ١٦٤، ٩٨ ،
أبو معشر ١٦٠	١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ٢٠٠ ، ٣١١
أبو موسى الأشعري ٢٤ (٢٩) ، ٣١١	اسكندر بن فيليبس المقدوني ٤٧
أبو نواس ١٥١ ، ١٨٤ (٦٣)	اسلاف الفرس ٩٩
أبو الهول ١٧٤	اسماعيل ٩٨ ، ٩٩ ، ١٢١
الاتراك ٤٢ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ،	اشتور ٢٨٤
١١٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠	الاصهباذ ٤١
الأحباش أنظر الحبشة ٤٦	أصحاب الرس ٣١ ، ١٩٣
أحمد بن جعفر ٢٦٩	أصحاب الكهف ٨٦
أحمد بن طولون ١٤٠	أصحاب المطالب ١٧٧
الاخباريون ١٧٠	الاصطخري ٢٢ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٢٠
الاخشيديون ٣١١ (١٥٧)	١٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
الاخمينيون ٢٧ ، ٢١١	الاصفهانية ١٣٥
الاخواش ١١٦	الاعتزال ٦٩ ، ٧٣
الاخوان ٢٤	الاعراب ٢٧٨
اخوان الصفاء ٢٤ ، ٤٤	الاغالبة ٣٨
الاخويات ٦٥	الافرنج ٢٤٤
الادارة أنظر الادريسين ٣٨	افريدون ٢٤
ادارة المغرب ٤٦	الافغان ٤٢
الادريسيون ٣٨	افلاطون ١٩٢
اردشير ٢٠٥	الاقباط ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٣٨
اردشير بن بابك ٢٤	الاكاسرة ٨٤ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٧٨
ارسطوطاليس ١٣١	الاکراد ٩٦ ، ١١١ ، ١١٢ ، ٢٧٨
اركلش ١٦٥	الپاس (محمد) ٤٢
الارمنية ١٣٨	امبراطور الروم ٩٨
ارميا ٣٣	امة محمد ٨٠
الاسامرة ١٣٣ ، ٩٣٤ ، ١٣٥	الامويون ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٧٨ ،

بنو الاغلب ١٦٥	٨٩ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٨٢
بنو أمية ٣٦ ، ٩٧ ، ١١٦	أم زيد الخولانية ١٧٥ (٣٨)
بنو الابس ١١٦	انبوذه (يتوني) ١٣١
بهرام جوبين ١٩٦	الاندلسيون ٢٣٧
بهرام جور ٢٠٢ ، ٢٠٣	أنصار الدولة ٩٦ (٢)
بهرام بن يزدجرد بن سابور ذي الاكتاف	انصاف البدو ١٠٥
٢٨٩	انطيوخس ١٨١
البولميون ١٣٨	أهل الحديث ٦٠
البيري ٤٢	أهل المدن ٦٩
البويهيون ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٥١	اوريا ٢٦ ، ٣٣
بويهيو قاوس ١١٨	الايرانيون انظر الفرس
بيديا ١٩٣	أيوب ٢٥ ، ٣٣
البيزنطيون انظر الروم	بابل ٣٥ ، ٧٦ ، ١٣٣
بيض الثياب ٧٥	البارز (شعب) ١١٦
التباينة ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩	باشلار (غستون) ١٩٩
تباينة اليمن ١٧٩ ، ٢٠٧	الباطن ٦٢
تبع ١٤ ، ١٨	الباطنية ٦١
الترك ٢٩ ، ٤٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٨	بختنصر ١٣٦ ، ١٥٥
١١٨ ، ١٩٦	البدو ٤٩ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٣
التركي ١٠٦ ، ١٠٩	١١٣ ، ١١٧
التشيع ٦٢ ، ٧٣	بربارة ٢٨٧ (٢٤)
التغزغز ٢٥٦	البربر ٣٠ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٥
النجدي ٩٧ (٥)	البدهة (السند هند) ١١٥
الغالي ٣١٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٤ ، ٣٣٢	البرامكة ٣٥
ثمود ٢٧ ، ١٩٣	بربر المغرب ١٠٣
الثوية ١٣٢	البربري ١٠٥
الجاحظ ١٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٢١ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣١	البطالسة ١٧٠ (٣٠)
الجاحظ الزائف ٢٨١	البلويس أو البلوش أو البلوتش ١١٣ (٨٢)
جلوت ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ١٠٢	١١٦ ، ١١٨ ، ٢٧٦ ، ١٤٨ (٢٣٩)
جالينوس ١٦٤ (١٩)	(١٥٤) ، ٢٩٨ (٩٢)
الجبائي ٦٩ ، ٧٦	بنو اسرائيل ٢٦ ، ٨٦ ، ١٥٥
جبريل ٥٧ (١)	

٢٣١ (٥٨)	جبله بن الأيهم الفسافي ٣٠
الخلج ١١١	الجهمية ٧٥
الخوارج ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ،	الجورقان ١١٣
٧٦ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٣ .	جوهر بن أحمد ٢٦٩
الخوارزمي ١٦٠	الجيل ١٢٠
الخوارزمي محمد بن موسى ١٦١	حام ٢٠٣
الخوارزميون ١٠٨ ، ١٠٩	الحبشة ٤٦
الخواتن ١١٦	الحجاج ٣١ ، ٣٥
دارا بن دارا (= داريوس) ٤٧ .	الحجاج بن يوسف ٢٦٥
داريوس ٣٠٨ (١٤٥)	الحسين ٨٧٠ ، ٨٨
دانيال ٢٥	الحسين بن علي ٣١
داود ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٨٦ ، ١٠٢ ،	الحصري ١٦٠
١٣٣ ، ١٦٤	الحضر ٩٦
دلوقه ١٧٥	الحلاج ٦٣
دمشق بن قاني بن مارك بن ارفخشذ بن	الحمدانيون ٣٨ ، ٥١ ، ١٠٠
سام ٢٥ .	حمزة ٨٢ (٨٦)
الدلم ٢٩ ، ١٢٠	الحنابلة ٧٩
الدليمية ٤٦	حنظلة ١٨٨
الذمة ٦٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥	الحنفيون ٦١
الذميون ٥٩	حواء ٢٦ (٨)
ذو القرنين ٢٨ ، ٢٩	الحواريون ٢٥ ، ١٤٧ ، ١٥٦
راحيل ٣٣	حواريو المسيح ١٤١
الراذانية ٢٥٣	الحوقلي ١٠٥ -
الرازي ١٤٠ ، ١٦٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨٥ ،	خاش ١١٦
٢٨٩ ، ٣٢٧ .	الخافقانيون ٦٦
رجبم بن سليمان ١٦٤	الخرسانيون ٨١ (٨٠) ، ١٠٩
الرستميون ٣٨	الخرمدينيون ٧٦ ، ١٣٣
الرشيد ١٨٦	الخرمية ١٣٣
ركن الدولة ٧٧	الخرميون ٧٦
ركوسي ١٤١	خزاعة ٥٤
الزوس ٢٥٧	الخزر ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
الروم ٢٥ (٦) ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤٩ .	المخلافه العباسية ٦٨ ، ١٣١ ، ١٨٤ ،
٥١ ، ٥٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٨ ، ٩٩ .	

سليمان ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٥	٢٠٤ ، ١٨٢ ، ١٦٤
سليمان الاسلام ١٦٤	٢٧٠ ، ٢٦٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥١
سليمان التوراة ١٦٤	الرومية ١٠٢ ، ١٦٤
سليمان بن داود ١١٣ ، ١٢٩ ، ١٦١ ، ١٨٢	زرادشت ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٤٣
سليمان بن عبد الملك ١٦٤	الزراشتيون ٢٧
سمير أميس ١٩١	الزوط ١١٥ ، ١١٦
سنان بن علوان ٢٨	زكريا ٣٣
السنة ٦٢ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨	الزنج ٣٥ ، ١٢٣ ، ٢٦٧
السنة الحنفية ٧٣	الزنفقة ٧٥
السنة المالكية ٧٣	الزهاد ٦٣
سندباد ٢٧١ ، ٢٨٣	الزيريون ٣٨ (٤٠)
السندباد البحري ٢٤٠	سابور ٢٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦
سمنار ١٨٨	سابور بن اردشير ١٩٧
سند هند (بدهة) ١١٥	ساحل مصر ٢٨
سوسترات الكتيدي ١٧٠ (٣٠)	ساسان ٣٠ ، ٢٠٦
سيف الدولة ٣٨	الساسانيون ٢٧ ، ٣١ ، ١٦٤ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٧٨ ، ٣٢٢
الشابشتي ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥١	السامانيون ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٧٩ ، ١٠٠ ، ٢٣١ ، ٣٢٢
الشار ٧٥	سامانيو خراسان ٥٠
شارل الخامس (كنت) ٢١١	السامرة ١٥٢ ، ١٥٣
الشافعي ٦١ ، ٧٨	السامريون انظر الاسامرة
الشافعية ٧٣ ، ٧٤	السرت ٢٤٨
انشام (الشاميون) ١٤١	سعيد ٢٩١
شاوول (طالوت) ٣٣	السعد ٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣٢٢
شريك ١٨٨	سفيان الثوري ٦٤ ، ٦٧
شريك بن عمرو بن شرحبيل ١٨٨	سفيان بن عيينة ٥٩
الشلغاني ٧٧	السلالة البويهية ١٢٠
شيراز بن فارس ٣٢ (٢٢)	السلالة السامانية ٨٤
شير الباميان ٤٢	سلمان الغارمي ١٦٤
شيرين ٢٠١	

عبد الله بن مسعود ٧٥	الشيعة ٦٣ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ،
عبيد بن الأبرص الأسدي ١٨٨	٧٦ ، ٧٨ ، ١١٨
العبرانيون ٢٦ (٩)	الشيعة الباطنية ٦١
عثمان ٣٣ ، ١٣٩	شيعة غالية ٧٧
عثمان (خليفة) ٨٨	الصائبة ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٥٧ ، ١٩٢
العثمانيون ٢١١	الصائبي ١٤١
الحجم ٩٩	الصائبيون ١٥٢
العرب ٢٨ ، ٣٠ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ،	صالح ٢٧ ، ٩٨
٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٣ ، ١١٧ ،	النصحية ٣٢
١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ،	الصند ٩٢
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٩٦ ،	الصفارية ١١٦
٣٣٢	الصفاريون ٣٨
عرب الخير ١٨٦	الصفالية ٢٥٢ ، ٢٥٧
عضد الدولة ١١٦ ، ٢٠٥ ، ٣٢٩	الصوفية ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٦
عضد الدولة البويهى ٤٧	الصوفيون ٦٣
الفلويون ١٨٢	الضحاك ١٨٥ (٦٤)
علي ٨٨	الضيزن ١٩٠
العمالقة ١٢١	الطاهريون ٣٨
عمالقة فلسطين ١٠٢	الطبرية ٤٧
العماليق ٢٧	طهمورث (نمرود) ٢٨
عمر (خليفة) ٣٣٧	الطولونيون ٣٨
عمرو بن عبد العزيز ٨٩	طيء ٤٧
عمر بن الليث ١١٦	عاد ١٩٣
عيسى ١٤٠ ، ١٧٢	عاصم ٣١١ (١٥٦)
عيسى بن ابراهيم ١٣١	العباد ٦٣ ، ٦٦
عيسى الدجال ٣٣	العباد ٦٣ ، ٦٦
عيسى بن مريم ٢٥	عباس بن فرناس ١٩٩
غانة ٢٧٥	العباسيون ١٥٣ (١٠٥) ، ١٨٤ ،
النجر ١١٥	٢١١
الفرج ٣٠١	عبد الصمد ٢٦٩
غسانة الشام ٣٠	عبد الصمد بن جعفر ٢٦٩
غلاة ٧٦ ، ٧٧	عبد الملك ٣٢٧
غلاة الحنابلة ٧٨	عبد الله السرخي ٧٥

الكرامية ٧٤
 كسرى ٩٨ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٠١
 كسرى انوشروان ٢٠٦
 كعب القرطبي ١٢٢
 الكندي ١٢٣
 الكنيسة الملكية ١٣١ ، ١٤٩
 الكنيسة النسطورية ١٤٦
 الكنيسة اليعقوبية ١٤٦
 لقمان ٣٣
 لوزريق ٣٠
 لوط ٢٥
 لومبار ٢٨٤
 ليفي ستروس
 المارونية ١٣٨
 مازيا القبطية
 مالك
 مالك بن عقبة ١٩٢
 المالكيون ٧٦
 المالكية ٧٩
 المأمون ١٩٦
 المانوي ١٤١
 المانوية ١٣١ ، ١٣٢
 ماني ١٣١ ، ١٣٢
 ماه آخت سابور ١٩٠
 المجوس ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢
 ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤
 ١٥٥ ، ٣٣٢
 المجوسية ١١٦ ، ١٢٦ ، ٢٢٩ ، ١٣٠
 ١٨٦
 محمد ٢٤ ، ٥٧ ، ٨٠ ، ٩٨ ، ١٣٦
 ١٤٠ ، ١٧٢
 محمد الياس ٤٢
 محمد بن زبد بود ٢٦٩

غلمزاي (قبيلة) الافغانية ١١١
 غورشا ١١٠
 الفاطمي ٤٢
 فاطميو القاهرة ٣٨
 الفاطميون ٣٦ ، ٥١ ، ١٠٤ ، ١٠٦
 ١٦٩ ، ٢٣٠
 الفراعنة ٢٧ ، ٢٨
 الفرثيون الارشاقيون ١٩٠
 الفرس ٤٤ ، ٦٣ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١١٢
 ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٨٩ ، ٢٩٩
 فرعون ٣٥ ، ٩٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤
 ١٧٥ ، ٢٤٢
 فرعون ابراهيم ٢٨
 فرعون موسى ٢٨
 فطوس بن سمنار ٢٠٢
 الفرنج انظر الافرنج
 فيان بوريس ٣٠٦ (١٣٣)
 فيلبس المقدوني ٤٧
 قباذ ٢٠٤
 قباذ بن فيروز ٢١٩
 القبط ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤١ ، ١٥٥
 ٢٣٣
 قبيلة الغساسنة ١٠٣
 قدامة ٤٣ ، ٩٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٥
 القدرية ٧٥
 القرامطة ٣٥ ، ٧٦
 القريشيون ١٤٨
 قضاة ١٩٠ ، ١٩١
 القفص ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨
 قيس عيلان ١٠٣
 كاهن كلود ٢٨٤
 كراتشكوفسكي ٢٨٢
 الكرامية ٧٤

٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،
 ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ،
 ٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ،
 ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٨ ،
 ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
 ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
 ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
 ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٧٤ ،
 ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ،
 ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،
 ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
 ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
 ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨١ ،
 ٢٨٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
 ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،
 ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ،
 ٣٣٧ ، ٣٣٩ ،
 المكتفي ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
 المكيون (سكان مكة) ٥٤ ،
 ملكة سبا ١٨٠ ،
 ملك الغرج ١١٠ ،
 ملكي ١٤١ ،
 الملكية ١٣٨ ، ١٥٦ ،
 الملكيون ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٦ ،
 ملوك الطوائف ٤٧ ،
 ملوك لحم ١٨٨ ،
 ملوك الهند ٩٨ ،
 الممتدة ٦٩ ،
 المنذر ١٨٨ ،
 المنصور ١٦٤ ،
 المنذر بن امرئ القيس ١٨٨

محمد بن علي الشلمغاني ٧٦ ،
 محمد بن القاسم بن أبي عقيل ٣١ ،
 محمد بن مسلم بن قتيبة ٩٦ ،
 محمد بن موسى الخوارزمي ١٦١ ،
 المدائني ١٦٠ ،
 المرجئة ٥٩ ، ٧٠ ، ٧٦ ،
 مرقيون ١٣٢ ،
 مرقوني ١٤١ ،
 المرقونيون ١٣٢ ، ١٣٨ ،
 مريم ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٦ ، ١٤٧ ،
 مزدك ١٤٣ ،
 المزدكية ١٣٢ ، ١٣٣ ،
 المسعودي ٢٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
 ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
 ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
 ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٦٠ ، ١٨٢ ،
 ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢١٨ ،
 ٢٥٣ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٦٣ ، ٢٧١ ،
 مسلمة بن عبد الله ٢٩ ،
 المسيح ٣٣ ، ٨٦ ، ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٥١ ،
 المسيحيون ١٥٨ ،
 المشبهة ٧٧ ،
 المصريون (اهل مصر) ١٧٧ ،
 مصعب بن الوليد ٢٨ ،
 معاوية ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٣٩ ،
 المعتزلة ٣٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
 ٧٦ ، ٧٩ ،
 المغول ٥٥ ،
 المقتدر ١٦٩ ،
 المقدسي ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ،
 ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ،
 ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ،
 ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،

نوح ٢٥ ، ٢٦	المهرية ٢٩٠
ثينيس ١٩١	موسى ٢٦ ، ٣٣ ، ٨٥ ، ٩٦ ، ١٣٤ ،
نيقولا في ١٤١	١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ،
هاجر ١٢١	١٧٧ ، ١٧٥
هارون ٢٦ (٩)	مولير ٩
هارون الرشيد ٣٥ ، ١٤٠	الميد ١١٥
الهراصة ١٥٣	نابوليون ٢١١
هرقل ١٦٥	ناصر الدولة ٥٤
هشام بن عبد الملك ١٥٧	نبيذ نصر ٢٥ (٦) ، ٢٩ ، (١٥) ، ١٣٦ ، ١٥٥ ،
الهمداني ١٤٢ ، ١٧٨ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ ،	النبي ٣٠ ، ٦١ ، ٨٣ ، ٨٣ ، (٨٩) ،
٢٧٣ ، ٢٨٩	٨٦ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٢١ ، ١٣٨ ،
هند بنت النعمان ١٤٧ (٧٥)	١٤٠ (٣٥) ، ١٤١ ، ١٧٨ ، ٢٣١ ،
هود ٢٧ ، ٩٨	النجارية ٦٩
الهيون الهياطة ١٩٠	التساطرة ١٣٨
الهياطة القدامي ١١١	نسطوري ١٤١
هيلانة ١٨٤	النصاري ٣٤ ، ٤٩ ، ١١٣ ، ١٢١ ،
واصل بن عطاء ٦٨	١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
الوليد بن عبد الملك ١٦٤	١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ،
يحيى ٣٣	١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٧ ،
يحيى بن زكريا ٢٥ ، ٣١ ، ١٨٣ ،	١٨٨
يحيى بن محفوظ ١٢٢	نصاري نجران ١٤٢
يزدجرد ٣١	النصاري التسطورية ١٤٢
يزيد (خليفة) ٧٨ (٦٩)	النصرانية ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٦ ،
يسوع ٣٢ ، ٨٦ ، ١٣٨	النضيرة ابنة النضير ١٩٠
يشوع بن نون ١٠٢	النعمان ١٨٩ ، ١٩٦
اليحافية ١٣٧ ، ١٣٨	النعمان بن امرئ القيس ١٨٩
يعقوب الحضرمي ٨٣ (٨٦)	نقفور فوقاس ٤٩
يعقوب بن الثبث ١١٦	نمرود ١٨٤ ، ١٨٥
اليعقوبي ٢٢ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ،	نمرود طهمورث ٢٩ (١٥)
٩٩ ، ١٠٢ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،	النمرود كتمان ٢٥
١٦٥ ، ٢٦٥ ، ٣٣٤	النوبية ١٣٨
يعقوبي ١٤١	النواقي ٦٦
اليعقوبية ١١٣	

يونس ، ٥٢ ، ٨٩	اليهود ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ،
يونس بن متى (يوزان) ١٩١	١٥٢ ، ١٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
اليونان ١٢١ ، ١٩٢ ، ٢١٤	يهود فلسطين ١٥٢
اليونانيون فالقندامي ١٣١	يوحنا المعمدان ٣١ ، ٨٧
	يوسف ٢٥ ، ٢٦ ، ١٧٣

* * *

ثالثاً : فهرس المصطلحات التقنية

١ - الإدارة	٧ - الحياة اليومية
٢ - الموازين والمكاييل	٨ - الأغذية
٣ - العملات	٩ - النسيج
٤ - الطوائف والمذاهب	١٠ - الألبسة والأحذية
٥ - الطرقات	١١ - منوعات
٦ - السفن	

١ - الإدارة

ارباع ٢١٦	ربيع ارباع ٢١٦
استان ٢١٦	رستاق ٢١٤ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣٥
اصبهاذ ٤١	٢٣٧
اصل ٢٣٦ (٧٤)	رم رموم ١١٢ - ١١٤ - ٢١٦
اقليم ٢١٣ - ٢١٤ - ٢٢٤ - ٢٢٥	سلطان ٢٣٠
٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١	شير ٢١٦ (٢٨)
٢٣٢ - ٢٣٧	صق ٢١٣ - ٢١٨ - ٢٢٤
ام امهات ٢٣٦	صوافي ٣٠٦ (٣١)
امير ٢١٢ - ٢٢٩	طسوج ٢١٤ - ٢١٦ - ٢١٧
بلاد ٢١٥ - ٢٢٤	عامل ٢١٢
جانب ٢٢٧	عمل اعمال ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢٢٤
جند ٢١٣	٢٣٠ - ٢٣٣
خراج ٢٩٧ (٨٥)	قائد ٢٣٦ (٧٤)
خزانه ٢٣٦	قرية ٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦
مخطط ٣٧٢	قصبة ٢٢٩ - ٢٣٦
مغن ٢١٦	كورة كور ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥

مصر امصار ٢٢١ - ٢٢٩ - ٢٣٠ -	٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٣٧
٢٣٦ - ٢٣٣	ماه ٢١٧
ناحية ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٩ - ٢٣٧	مخلاف ٢١٦
نظر ٢١٦	مدينة ٢١٦ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣٣ - ٢٣٤
الولاية ٢١٥	٢٣٥ - ٢٣٦

٢ - الموازين والمكاييل

فنيق ٣٣٨ (٢٧١)	اردب ٣٣٨ (٢٧١)
قب ٣٣٨ (٢٧١)	ارزة ٣٣٨ (٢٧١)
فسط ٣٣٨ (٢٧١)	اوقية ٣٣٨ (٢٧١)
قفيز ٣٣٨ (٢٧١) - ٣٣٩ - ٣٤٠	پهار ٣٣٨ - ٣٣٧ (٢٧١)
تنطار ٣٣٨ (٢٧١)	تليس ٣٣٨ (٢٧١)
قيراط ٣٣٨ (٢٧١)	تمونة ٣٣٨ (٢٧١)
كارا ٣٣٨ (٢٧١)	ثمن ٣٣٨ (٢٧١)
كر ٣٣٨ (٢٧١)	جريب ٣٣٣ (٢٧١) ٣٤٥
كف ٣٣٨ (٢٧١)	حبة ٣٣٨ (٢٧١)
كيل ٣٣٨ (٢٧١)	حبيل للمساحة ٣٣٨ (٢٧١) - ٣٤٠
كيلجة ٣٣٨ (٢٧١)	دائق ٣٣٨ (٢٧١)
كيجي ٣٣٨ (٢٧١)	درهم ٢٣٩ - ٣٤٠
مختوم ٣٣٨ (٢٧١)	دوار ٣٣٣ (٢٧١)
مد ٣٣٧	ربع ٣٣٨ (٢٧١)
مدى ٣٣٨ (٢٧١)	رطل ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٣٨ (٢٧١)
مطل ٣٣٨ (٢٧١)	سنجة لوزن العملات ٣٣٨ (٢٧١)
مكوك ٣٣٧ - ٣٣٨ (٢٧١) - ٣٤٠	صاع ٣٣٧ - ٣٣٨ (٢٧١)
ملجم ٣٣٨ (٢٧١)	غرامة ٣٣٨ (٢٧١)
من ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٣٨ (٢٧١)	فدان المساحة ٣٣٨ (٢٧١)
ويبة ٣٣٨ (٢٧١)	فرق ٣٣٨ (٢٧١)
	فلغلي (رطل) ٣٣٨ (٢٧١)

٣ - العملات

اوقية ٣٢٨ (٢٢٠)	اختمي ٣٢٨ (٢٢٠)
بغوي ٣٢٨ (٢٢٠)	اسماعيلي ٣٢٨ (٢٢٠)

عشرية ٣٢٨ (٢٢٠)	ثلاثي ٣٢٨ (٢٢٠)
عدي ٣٢٨ (٢٢٠)	نمن ٣٢٨ (٢٢٠)
تلوية ٣٢٨ (٢٢٠)	حبة ٣٢٨ (٢٢٠)
غطريفي ٣٢٨ (٢٢٠)	خاتم ٩١ (١١٩)
قاهرية ٣٢٨ (٢٢٠)	خروبة ٣٢٨ (٢٢٠)
قرضي ٣٢٨ (٢٢٠)	دائق ٣٣١ - ٣٢٨ (٢٢٠)
قروي ٣٢٨ (٢٢٠)	درهم ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٣١
قطاري ٣٢٨ (٢٢٠)	دينار ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩
قطع قطاع ٣٢٨ (٢٢٠)	راضن ٣٢٨ (٢٤٠)
قند عارية ٣٢٨ (٢٢٠)	رباعي ٣٢٨ (٢٢٠)
قنطار ٣٢٨ (٢٢٠)	زكوي ٣٢٨ (٢٢٠)
قيراط ٣٢٨ (٢٢٠)	مديسي ٣٢٨ (٢٢٠)
مثنال ٣٢٨ (٢٢٠)	سمرقندي ٣٢٨ (٢٢٠)
محمدي (مكي ما وراء النهر) ٣٢٨ (٢٢٠)	شعيرة ٣٢٨ (٢٢٠)
مزبن ٣٢٨ (٢٢٠)	طاطري ٣٢٨ (٢٢٠)
مسيبي ٣٢٨ (٢٢٠)	طبل ٣٢٨ (٢٢٠)
مطوق ٣٢٨ (٢٢٠)	طسوج ٣٢٨ (٢٢٠)
مقطع ٣٢٨ (٢٢٠)	

٤ - الطوائف والمذاهب

أهل الكلام ٧٢ (٤٦)	الاباضية ٧٢ (٤٦)
أهلية ٧٢ (٤٦)	الابيضبة (بيض الثياب) ٧٢ (٤٦)
أوزاعية ٧٢ (٤٦)	الانزقية ٧٢ (٤٦)
الباطنية ٧٢ (٤٦)	الادريسية ٧٢ (٤٦)
بريهارية ٧٢ (٤٦)	الاسماعيلية ٧٢ (٤٦)
الثورية ٧٢ (٤٦)	اشعرية ٧٢ (٤٦)
الجهمية ٧٢ (٤٦)	أصحاب الحديث ٧٢ (٤٦)
الحيية ٧٢ (٤٦)	أصحاب الرأي ٧٢ (٤٦)
الحسينون ٧٢ (٤٦)	أصحاب الهدى ٧٢ (٤٦)
الحشوية ٧٢ (٤٦)	أصحاب السنة والجماعة ٧٢ (٤٦)
الحميرية ٧٢ (٤٦)	أهل العدل والتوحيد ٧٢ (٤٦)

العطائية ٧٢ (٤٦)	الخنبلية ٧٢ (٤٦)
الغالية ٧٢ (٤٦)	الخنغية ٧٢ (٤٦)
الغلاة ٧٦ - ٧٧	الخميدنية ٧٢ (٤٦)
الغلائية ٧٢ (٤٦)	الخوارج ٧٢ (٤٦)
الغريقان ٧٤ (٥٤)	الخوارزمية ٧٢ (٤٦)
الفضليون ٧٢ (٤٦)	الداودية ٧٢ (٤٦)
القدرية ٧٢ (٤٦)	الراقعية ٧٢ (٤٦)
القدرية ٧٢ (٤٦)	الراهوية ٧٢ (٤٦)
القرامطة ٧٣ (٤٦)	الرساقية ٧٢ (٤٦)
القطعية ٧٢ (٤٦)	الروافض ٧٢ (٤٦)
الكرمية ٧٢ (٣٦)	الزعفرانية ٧٢ (٤٦)
الكلابية ٧٢ (٤٦)	الزنادقة ٦٢ (٤٦)
الكيسانية ٧٤ (٤٦)	الزندقة ٧٢ (٤٦)
المأمونية ٧٢ (٤٦)	الزيدية ٧٢ (٤٦)
المالكية ٧٢ (٤٦)	السالية ٧٢ (٤٦)
المجبرة ٧٢ (٤٦)	السنوخسية ٧٢ (٤٦)
المراق ٧٢ (٤٦)	السمكية ٧٢ (٤٦)
المرجعية ٧٢ (٤٦)	الشراة ٧٢ (٤٦)
المروشيون ٧٢ (٤٦)	شراية ٧٢ (٤٦)
المشبهة ٧٢ (٤٦)	الشكاك ٧٢ (٤٦)
المعتزلية ٧٢ (٤٦)	الشيعة ٧٢ (٤٦)
المنذرية ٧٢ (٤٦)	الصدقية ٧٢ (٤٦)
الموسويون ٧٢ (٤٦)	الصفيرية ٦٧ (٣١)
المؤمنون ٧٣ (٤٦)	الصفوية ٧٢ (٤٦)
التجارية ٧٢ (٤٦)	الصفويون ٦٢ - ٦٣
التنكارية ٧٢ (٤٦)	الطائفة ٧٢ (٤٦)
التواصب ٧٢ (٤٦)	العاماية ٧٢ (٤٦)
الواقفية ٧٢ (٤٦)	العثمانية ٧٢ (٤٦)
الوهبية ٧٢ (٤٦)	العروسية ٧٢ (٤٦)

٥ - الطرق

طريق ٢٧٥	امهات الطرق ٢٧٤
طريق الجادة ١٧٤ (١٣٨)	اهلة ٢٧٤ (١٣٩)
طرق ٢٧٥	بريج جلدان ٢٧٢
الفرسخ ٢٧١	البريد ٢٧١ - ٢٧٤ (١٤٠)
قريبة ٢٧١ (١٢٣)	البنيات ٢٧٤
المحجة ٢٧٤	جاد ٢٧٤ (١٣٣)
المرحاة ٢٧٣	جادة ٢٧٤
منزل ٢٧٢	جادة الطريق ٢٧٤ (١٣٣)
منزلة ٢٧٢	خفيف ٢٧٣ (١٣٦)
منهل ٢٧٢	رحلة ٢٧٢
منهلة ٢٧٢	رياضي ٢٦٨ (١٠٦)
نهار ٢٧٣ (١٣٦)	سكة ٢٧٤ (١٤٥)
هلال ٢٧٤ (١٣٤)	شهر ٢٧٣
يوم ٢٧٣	صيحة ٢٧١ (٢٣)

٦ - السفن

خيطية ٢٦٤ (٨٥)	بارجة ٢٦٤ (٨٥)
درمون (٢٦٤) (٨٥)	يراكية ٢٦٤ (٨٥)
دقل ٢٦٤ (٨٥)	برعاني ٢٦٤ (٨٥)
دولي ٢٦٤ (٨٥)	بركة ٢٦٤ (٨٥)
دونيج ٢٦٤ (٨٥)	بلافا ٢٦٤ (٨٥)
زام ٢٦٤ (٨٥)	يرجة ٢٦٤ (٨٥)
رقة الماء ٢٦٤ (٨٥)	تلودي ٢٦٤ (٨٥)
رقية ٢٦٤ (٨٥)	تيرماهي ٢٦٤ (٨٥)
زبرباذية ٢٦٤ (٨٥)	جاسوس ٢٦٤ (٨٥)
زبذب ٢٦٤ (٨٥)	جبلية ٢٦٤ (٨٥)
زورق ٢٦٤ (٨٥)	جلبة ٢٦٤ (٨٥)
سفينة ٢٦٤ (٨٥)	حمامة ٢٦٤ (٨٥)

طيرة ٢٦٤ (٨٥)	سمارية ٢٦٤ (٨٥)
عرداس ٢٦٤ (٨٥)	سميرة ٢٦٤ (٨٥)
عشري ٢٦٤	سوفية ٢٦٤ (٨٥)
قارب ٢٦٤ (٨٥)	شانية شواني ٩٠ (١١٩) ، ٢٦٤ (٣٥)
كاروانية ٢٦٤ (٨٥)	شوق ٢٦٤ (٨٥)
مثانة ٢٦٤ (٨٥)	شذان ٢٦٤ (٨٥)
مركب مراكب ٢٦٤ (٨٥)	شرندي ٢٦٤ (٨٨)
مسيحية ٢٦٤ (٨٥)	شلندي ٢٦٤ (٨٨-٨٥)
مسطح ٢٦٤ (٤٠)	شلنديات ٩٠ (١١٩)
مطال ٢٦٤ (٨٥)	شموط ٢٦٤ (٩٥)
مدير ٢٦٤ (٨٥)	شنكول ٢٦٤
مكية ٢٦٤ (٨٥)	شنكولية ٢٦٤ (٨٥)
ماتقوة ٢٦٤ (٨٥)	صاري ٢٦٤ (٨٥)
واسطية ٢٦٤ (٨٥)	صيني ٢٦٤ (٨٥)
وحيه ٢٦٤ (٨٥-٨٧)	صينية ٢٦٤ (٨٥)
	طيارة ٢٦٤ (٨٥)

٧ - الحياة اليومية

٣١٤ (١٧٩)	اشقاني ٣٠٢ (١١٢)
قصب فارسي ٦٧ (٢٩)	اشكوز (اشقان) ٣٠٢ (١١٢)
كخانات ١٠٩ (٦٢)	خرجاه خركاهات ١٠٩ (٦٢)
كوخ ١٠٩ (٦٢)	خركاه ١٠٩ (٦٢)
	خلنج ٢٩٣ (٦٠) ، ٢٩٤ (٦٩)

٨ - الأغنية

الدارقي ٣٠٨	آزافوتيدا (حلتيت) ٣٠٠
دوري عنب ٣١١	اذتيرج ٢٩٥
الرحقين ٣٠٢ (١١١)	اشترغاز ٣٠٠ (٩٩) ، ٣٢١
الرخين ٣٠٠ (١٠) - ٣١١ (٢٠٢)	انجبات ٢٩٧ (٨٥)
زوقال ٣١٣ (١٦٨)	انجذان ٣٠٠ (٩٩)
	حلتيت ٣٠٠ - ٣٠١

القشوية ٣١٣	السباعي (تين) ٣١١ (١٥٨)
قشمش ٣٣٩	الصدر ٣١١ (١٦٠)
كشمش ٣٢١ (٢٠٠)	الطري (خوخ) ٣١١ (١٥٧)
الكماة ٣١١ (١٦١)	عاصمي عنب ٣١١
كيلكان ٣٠٠ (٩٨)	المصلوني مشمش ٣٠٨
مري ٣٠٢ (١١١) ٣١٦٠ (١٨٧)	عينوني عنب ٣١١
التيق ٣١١	عكوب ٣١١ (١٥٩)
	غوشة ٣٠٠ (٩٩)

٩ - النسيج والمناسج

عالمي ٢٩٥	خييش ٢٩٥ (٧٢)
قرويني ٢٩٥	روياتي ٢٩٥
قومي ٢٩٥	سبينة ٢٩٥ (٧٥)
ويذارية ٣٢٣	طبري ٢٩٥

١٠ - الثياب والأحذية

الأكسية الرازية ٢٩٦	حلل ١٨٥ (٧)
---------------------	-------------

١١ - متنوعات

٢٩٤ - ٣٠٣ - ٣٠٧ - ٣٢٥ - ٣٣٥	ابدال ٦٥ (٢٤)
ارباب الصنائع ٢٦٣ (٨٤)	احداث ٩١ (١١٩)
اعاجم ١٥٨	احياء ١١٢
اعتزال ٦٩	اخبار ٢٣ (٤)
اغتراب ٢٨٣	اختيار ٨٢
اقامة ٧٤ (٥٦)	الاخلاص سورة ٣٢٧ (٢١٥)
اهل المهن ٢٦٣ (٨٤)	أدب ٩٧ (٥) - ٩٩ - ١٢٢ - ١٥١
ايوان كسرى ١٨٦	١٦٠ - ١٦٦ - ٢١٢ - ٢١٥ - ٢١٧
بادق ١١٣ (٨٤)	٢١٨ - ٢٢١ - ٢٢٣ - ٢٤٦ (٢٣) -
بازهر ٣١٨ - ٣٢٣ (٢٠٩)	٢٥٨ - ٢٨١ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٩ -

خصائص ٨٥	الباطن ٦٢
خوار ١٠٩ (٥٨)	بجاذة ٣٠١ (١٠٣)
خوخ ١٩٢ (٧٨)	بخت بخاني ١١٥
خول ١١٤ (٨٦)	بدع ابتداع ٧٩ (٧٧)
خولي ١١٤ (٨٦)	برام ٣٢٢ (٢٠٥)
دعوة ٦٥ (٢٤)	بربا براي ١٧٧
دكان ١٤٦	برزون ٣٠٠ (١٠٣)
دولة ٣٨ (٤٠)	بلد ٣٠٩
ذكر ٦٥ (٢٤)	بوقير طير ١٤٩
الذمة ١٥٢ - ١٥٣ (١١٥)	ترك ٤٧ (٦٦)
الراذنية ٢٥٣	التسوية ٩٨ (٧)
رئيس ٩١ (١١٩)	تصوف ٩٢ (١٢٣)
رازي ٢٢١	نعارف ٢٣٥
الراهدان ٢٥٦	تقرب ٧٥ (٥٩)
رباط ٤٨ (٧٣) - ٦٤ - ٦٥ (٢٤)	تقوى ٧٥ (٥٩)
٨٤ (٩٢) - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢	تمري ٣١١ (١٥٨)
(١٢٣) ١١٠ - ٢٧٦ - ٢٨٠	توحيد ٦٩
رزم ١٠٩	ثغر ثغور ٣٣٣
رطبة رطاب ٣١٢ (١٦٤)	جابدق ١١٣ (٨٤)
رعام ١١٤ (٨٦)	جاهلية ٢٧ - ٣٢ - ٩٩
رفاق ٢٤٩ (٣٤)	بزائر النخيل ٢٧٥ (١٤٦)
رفيغ ٣٠٩	الجزية ١٥٣ - ٣٣٢
رفاق رقيق ٢٤٩ (٣٤)	الجماز ١١٧ (١٠٠)
الرومية ٢٥٥	جند ٣٠٩
زعق ٦٥ (٢٤)	الحدود ٢٢٩
ززم ٩٩ (١٢)	الحديث ٦١ - ٦٤ - ٨٠
سباعي ٣١١ (١٥٨)	حقيقة ٦٥ (٢٤)
سجزي ٢٢١	الحنين ٢٨٣
سريرة سرائر ٦٥ (٢٤)	خائل ١١٤ (٨٦)
سلوقية ٢٩١	خان خانات ٢١٦ (٢٠)
سواء ٩٨ (٧)	خائفاه خوانق ٦٦ (٢٧) - ٧٥ (٥٧) - ٩٢
سواد ٢٣٤ (٦٦)	خراج ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٥

قبة قباب ٢٧٩ (١٥٦)	سوق ٢٦٠
قبلة ١٣٨	الشاذروان ٢٠٥ (١٠٣)
قراءة ٨٢	شار ٤٣
قصاص ٨١ (٨١)	الشموية ٢٧ - ٩٧ - ٩٨ - ١٦١ -
قضيبي - ١٤ (٣٥)	١٧٨ - ١٩٣ - ١٦٦
قط ٣١٢ (١٦٤)	شهرية شهاري ٣٠٢ - (١١٠)
قياسية قياسير ٢٥٩	شير ٤٢
كاتب ١٥٨ (١٤٦)	الصنائع ٢٦٣ (٨٤)
كتابة ١٥٨	مناع ٢٦٣ (٨٤)
الكلام ٦١ - ٦٠ - ٦٤ - ٦٩	صوف ٦٤ (٢٣)
كليما (يونانية) ٢١٤	مائدة ٦٥ (٢٤)
متجر ٢٥٨	طريقة ٦٥ (٢٤)
محارس ٩٠ (١١٨)	الطويل (البحر) ٥٤ (٩١)
محراب ٨٦ (١٠٢) - ٢٢٣ (٣١٢)	عبادة ٩٠ (١١٨)
منوخ ١٩٢	عجائب ٨٤ - ٨٥
مدن الاقليم ٢٤٠	عدل عدول ٦٩
مذهب مذاهب ٦٩	عرب عرب ٦٩
مرابطون ٨٩ (١١٥) - ٩٢ (١٢٣)	عزيز ٣٣١ (٢٣٦)
مروري ٢٢١	عكاز ١٤٠
مسافات ٢٤٦ (٢٣)	غائط ٣٠٤ (١١٨)
مسجد ٢٦ (٩)	غاف ١٠٩ (٥٨) ١٣٠ (٨٤)
مستقيمة ٧٤ - ٧٦	غاوخوار ١٠٩
مشاهد ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - (٩٨)	غراب ٥٧ (١)
مصر ١٦٤	غضائر ٣٢٢
مطرح ٢٥٨	غيضات ٣٠٤
معدن ٣٠٩	غيط ٣٠٤ (١١٨)
منوثة ٢٤١ (٥)	غيطان ٣٠٤ (١١٨)
المقابلة ١٥٥ (١٢٠) - ١٥٧ (١٤٠)	فائق ٣٠٩
الملعب ١٨٢	فرضة ٢٥٨
مكن ٣٣١ (٢٣٦)	الفقه ٦١ - ٦٠
الملكة ٩٩	فقير ٦٥ (٢٤)
ملكة الاسلام ٢٢ - ٤٠ - ٤٣ - ٤٩ - ٩٩	قائم ١٤٦

موالي ٤٠	١٠١ - ١٢٣ - ١٦٠ - ٢١١ - ٢١٢
موضع ٣٠٩ (١٤٦)	٢١٤ - ٢٢٣ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٣٥
نقيس ٣٠٩	٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٣ - ٢٤٦ - ٢٧٤
والي ولاية ٢١٢ (٣)	(١٣٧) - ٢٨٤ - ٢٩٨ - ٣٢٨
الورس ٢٩٠	متارة ٩٠ (١١٩)
الوعد والوعيد ٧٠ (٣٨)	متارة الاسكندرية ١٦٢
يورت ٢٥٦ (٥٨)	مناع ٥٥ (٩٤)
	منير ٢٣٤ - ٢٣٥

رابعاً - فهرس الأشكال والصور

- ٧١ جماعة من المثقفين امام المسجد
١١٧ كفن القديس جوس . قطعة حرير
١١٨ كفن القديس جوس . قطعة حرير
درهم عباسي عليه صورة جاموس (المقتدر ٢٩٥ هـ / ٧٠٧ م -
١١٩ ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م)
١٢١ قرية قصب في بطيحة الفرات الكبرى في العراق
١٢٧ جامع الشاه ، اصفهان ، المحراب
١٢٨ دير قبطي مبني بالطين المضغوط ، تود ، وادي النيل ، مصر
١٧٣ جزء من مأطورة الحمامات
١٧٥ قطعة من طنف (افريز) الطيور المنسجمة
١٨١ تدمر ، سورية : منظر عام لهيكل بعل
١٨٧ ايوان طيسفون (المدائن) العراق
١٩٤ مصراع باب مصدره تكريت ، العراق ، سامراء ، القرن التاسع
١٩٥ جسر على طريق برزجان في كازرون (فارس)
جزء من افريز الثمار والطيور . مصر . الحقبة القبطية العربية ،
٢٠٨ القرن الثامن

- ٢٤١ طريق الحرير : قافلة على جسر تشكرغان في آسية الوسطى
- ٢٥٤ السفر بالمراكب على النهر (صورة الفرات)
- ٢٦٠ الخان
- ٢٦٨ كوكبة السمكتين
- ٢٧٢ صوّة ميلية : فلسطين ، القرن الثامن : حجر كلسي أبيض
- ٢٧٧ خان في اقليم الجبال
- ٢٧٧ بندر قوافل امزرو قرب زاغورا في الصحراء الكبرى الشمالية
- جزء من افريز وطنف حيوانات تعدو (ارنب برى وكلاب
- ٢٩١ سلوقية)
- كفن القديس جوس . قطعة حرير . فارس الشرقية . منتصف
- ٣٠٠ القرن العاشر
- كفن القديس جوس . قطعة حرير . فارس الشرقية . منتصف
- ٣٠١ القرن العاشر
- ٣١٥ دولاب الغزل
- ٣١٧ استراحة قافلة في دميّاط
- صورة قدح مثلث عليه صور بشر وحيوانات ، نيسابور ، فارس ،
- ٣٢٠ القرن العاشر
- ٣٢٤ حياة الحرير في تركستان الأفغانستانية
- عملة بويهية : درهم مسكوك سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م . بأمر أبي
- ٣٢٨ القاسم كافي الدولة ، وزير فخر الدولة البويهى .
- دينار عباسي (الراضي) مسكوك في مكة سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٧ م ٣٢٩

خامساً - تصحيح الأخطاء وتعويض الاسقاطات

الصفحة والسطر أو الحاشية	الخطأ أو الاسقاط	التصويب
٢٣ : ح ٤	البلدان أو المدن	البلدان أو المدن
٢٤ : ١٠	وتبع والاسكندر	وتبع ، يسليمان ، والاسكندر
٢٥ : ٢	ويونس المبعوث	ويونس أو يونان المبعوث
٢٥ : ٤	وعيسى بن مريم وحواروه	وعيسى بن مريم وحواروه
٢٥ : ح ٦	بعد الطوفان / ثنتين	بعد الطوفان / ثنتين
٢٥ : ح ٦	يخذ نصر	يخذ نصر
٢٦ : ح ٨	الكعبة أين حوئل	الكعبة أين حوئل
٢٩ : ٦	ديار العرب في القرنين	ديار العرب ذا القرنين
٣٣ : ٤	طالوت	طالوت (شاول)
٣٧ : ١٥	أفكاره الرئيسية	أفكاره الرئيسية
٤١ : ١ - ٢	الا صبهباذ	الا صبهباذ
٤١ : ١٢	وجدنا قبها	وجدنا فيها
٤٢ : ٣	محمد الياس	محمد الياس
٥٢ : ١٠	وكان الناس	وكان الناس
٥٤ : ١	قتر	قطر
٥٤ : ح ٩١	اسقاط في س ٢ بعد ج ٢	٤٧٦) ، ٢٢٠ (البحر الطويل) انظر أيضاً الآيات الواردة في ج ١٥ ، ج ٢ ،
٥٨ : ١٠	الينة	الينة
٦٠ : ٩	أو ثنائي	أو ثنائي
٦٦ : ١٤	الخائفين	الخائفين
٦٨ : ٨	تاريخهم	تاريخهم
٦٩ : ١٤	رجود	رجود
٧٢ : ح ٤٦ ص ٩	اوزراعية	اوزراعية

الصفحة والسطر أو العاشية	الخط أو الاسقاط	التصويب
٧٣ : ١١	لكن حتى هذه	لكن حتى في هذه
٧٤ : ٨	ايلاف	ايلاق
٧٤ : ٩	وسواد بخارى وسنج	وفي سواد بخارى ، سنج
٧٧ : ١	والبابا	والصبايا
٧٧ : ٥	وتزين	وتزيا
٧٧ : ٦	بكفرهم	اكفارهم
٧٧ : ٧٨	حجبتهم	حجبتهم
٧٩ : ٢	يعبر	يعبر
٨١ : ١٢	والاذان	والاذان
٨٩ : ١٢	ويثني	ويثني
٩٨ : ١٩	بتباينهما	بتباينهما
٩٨ : ح ٧	وليس	وليس بالسواء
١٠٤ : ١٢	المتبددين	المتبددين
١٠٦ : ١٤	الاندلس الاموي	الاندلس الاموية
١٠٩ : ٧	تراهى	تراهى
١١١ : ٥	الخلج	الخلج
١١٢ : ٥	الران	الران
١٢٣ : ٧	صقلية	صقلية
١٣١ : ٧	وقسيس . . . واسقف	وقسيس ، ويودوط ، وجورالغينطس ، واسقف
١٣١ : ٩	المائنة	المائنة
١٣٢ : ٦	المزدكية	المزدكية
١٣٢ : ١١	المرقونيون	المرقونيون
١٣٢ : ١٩	المائنة	المائنة
١٣٣ : ٢	المزدكية	المزدكية
١٣٦ : ٧	بخت نصر	نبلخت نصر
١٣٧ : ١٧	المرقونيين	المرقونيين
١٤١ : ٦	حواري المسيح	حواري المسيح
١٤١ : ٩	اقليم الشمال	اقليم الشام

الصفحة والسطر أو الحاشية	الخطأ أو الاستفاد	التصويب
١٤١ : ١١	الصائبي والمافي	الصائبي والمافي
١٤١ : ١٣	حزقيال	حزقيال
١٤٢ : ٢	بعلية	بعلية
١٤٢ : ٨	يخطيئة	يخطيئة
١٤٢ : ١٦	الشمالي	الشمالية
١٤٣ : ٩	مزدق	مزدك
١٤٤ : ٦	يحيث	يحيث
١٤٥ : ٧	ارست هنا	ارست هنا
١٥٢ : ٧ - ١٥	الصائبيين	الصائبيين
١٥٣ : ٣	هرات	هراة
١٥٣ : ح ١١٠	نصاري	نصاري
١٥٥ : ٩	بخت نصر	نبحذ نصر
١٦٠ : ١٤	كتايا	كتايا
١٦٣ : ١٢	طاق قطيسفون	طاق طيسفون
١٨٢ : ١٧	ويمرف المقدني	ويمرف المسعودي
١٩٠ : ١	الهياطلة	الهيون الهياطلة
١٩١ : ٨	يوسف بن تقي	يونس بن مقي
١٩٢ : ح ٧٨ س ٢	لحن يمح	لكن يمكن
١٩٢ : ١٢	فرماسين	قرماسين
٢٠٢ :	استنبرفة	استنبره
٢٠٥ : ٣	خوارذ	خوارذ
٢٠٦ : ١	الشادروان	الشاذروان
٢٠٦ : ٨	بحر الخزر	بحر الخزر
٢٠٦ : ١٦	سميران	سميران (سميروم)
٢١٤ : ١٥	عن اليونان	عن اليونان (كليما)
٢١٦ : ٩	الخن	الخان
٢١٧ : (٢٤)	ماه ديناور	ماه دينار (حسب الأصل)
٢١٩ : ١٤	القشوع	القنائة

الصفحة والسطر أو الحاشية	الخطأ أو الأسقاط	التصويب
٧٣ : ١١	لكن حتى هذه	لكن حتى في هذه
٧٤ : ٨	أيلاًف	أيلاًق...
٧٤ : ٩	وسواد بخارى وسنج	وفي سواد بخارى ، سنج
٧٧ : ١	والبابا	والصبايا
٧٧ : ٥	وتزوين	وتزينا
٧٧ : ٦	يكفرهم	اكفارهم
٧٧ : ٧	حجبتهم	حجبتهم
٧٩ : ٢	يعبر	يعبر
٨١ : ١٢	والأذان	والأذان
٨٩ : ١٢	ويشي	ويشي
٩٨ : ١٩	بنيائهما	بنيائهما
٩٨ : ح ٧	وليس . . .	وليس بالسواء
١٠٤ : ١٢	المتبددين	المتبددين
١٠٦ : ١٤	ألا ندلس الاموي	ألا ندلس الاموية
١٠٩ : ٧	تترامى	تترامى
١١١ : ٥	الخلج	الخلج
١١٢ : ٥	الران	الران
١٢٣ : ٧	صقيلية	صقيلية
١٣١ : ٧	وقسيس . . . واسقف	وقسيس ، ويودوط ، وهورالينطس ، واسقف
١٣١ : ٩	المانية	المانوية
١٣٢ : ٦	المزدقية	المزدكية
١٣٢ : ١١	المرقونيون	المرقونيون
١٣٢ : ١٩	المانية	المانوية
١٣٣ : ٢	المزدقية	المزدكية
١٣٦ : ٧	بخت نصر	نبخذ نصر
١٣٧ : ١٧	المرقونيين	المرقونيين
١٤١ : ٦	حوارى المسيح	حوادفي المسيح
١٤١ : ٩	اقليم الشمال	اقليم الشام

الصفحة والسطر أو الحاشية	الخطأ أو الإسقاط	التصويب
١٤١ : ١١	الصائبى والمائى	الصائبى والمائى
١٤١ : ١٣	حزقيال	حزقيال
١٤٢ : ٢	بعلية	بعلية
١٤٢ : ٨	بخطيئة	بخطيئة
١٤٢ : ١٦	الشمالي	الشمالية
١٤٣ : ٩	مزدق	مزدك
١٤٤ : ٦	يحيث	يحيث
١٤٥ : ٧	ارست هنا	ارست
١٥٢ : ٧ - ١٥	الصائبين	الصائبين
١٥٣ : ٣	هرات	هراة
١٥٣ : ح ١١٠	نصاري	نصارى
١٥٥ : ٩	بخت نصر	بخت نصر
١٦٠ : ١٤	كتايا	كتايا
١٦٣ : ١٢	طاق قليسفون	طاق طيسفون
١٨٢ : ١٧	ويعرف المقدنى	ويعرف المسعودى
١٩٠ : ١	الهياطلة	الهون الهياطة
١٩١ : ٨	يوسف بن مئى	يونس بن مئى
١٩٢ : ح ٧٨ س ٢	لحن يمح	لكن يمكن
١٩٢ : ١٢	فرماسين	قرماسين
٢٠٢ : ٢	استنيرة	استعيرة
٢٠٥ : ٣	خوارذ	خوراذ
٢٠٦ : ١	الشادروان	الشاذروان
٢٠٦ : ٨	بحر الحرر	بحر الخزر
٢٠٦ : ١٦	سميران	سميران (سميرون)
٢١٤ : ١٥	عن اليزقان	عن اليهقان (كليما)
٢١٦ : ٩	الحن	الحان
	والاستان (اوستن)	الاستان (الاستان)
٢١٧ : (٢٤)	ماه ديناور	ماه دينار (حسب الأصل)
٢١٩ : ١٤	القنوع	القنعة

الصفحة والسطر أو الحاشية	الخطأ أو الإسقاط	التصويب
٢٢٢ : ٤	فان أهله	فان في أهله
٢٢٧ : ٩	الران	اران
٢٢٢ : ٥	الصليف	الصليق
٢٣٠ : ٤	المصر الاقليم	مصر الاقليم
٢٣٥ : ح ٦٨ س ٢	اين	آين
٢٤٢ : ١٤	اثيوبية الغربية	اثيوبية القزمية
٢٤٤ : ٤	ونكور واريجكوك	وناكور ... واريجكوك
٢٤٥ : ١٥	اشروسانة	اشروسنة
٢٥٣ : بين ١٢ و ١٣	اسقاط عنوان	مسلكان شهران
٢٥٥ : ١	والفارسية والرومية	والفارسية والرومية
٢٥٦ : ٤	خليج	خميلج
٢٥٦ : ١٢	ويرجع	ويرجع
٢٥٧ : ٤	تنيس	تنابس
٢٥٧ : ٥	بمخليج	بمخليج
٢٥٨ : ٤	خطأ	خطأ
٢٥٩ : ١٢	الران	اران
٢٦٠ : ح ٧٥	رونرود	زرينرود
٢٦٣ : ٣	احداها	احداها
٢٦٤ : ١١	ومثل	ومثل
٢٦٤ : ح ٥٨ س ٧	كروانية ... مسيحية	كاروانية ... مسيحية
٨ س	شابوق	شبق
٩ س	سمارية	سميرية
٢٦٦ : ١	(٩٩)	(٩٤)
٢٦٩ : ٢	عدن ، ومحمد بن	عدن ، أو في سيرات
	زيدن	ومحمد بن زيدن
٢٧٢ : ١	القيمة أولى	القيمة الأولى
٢	بريد جلدان	بريع جلدان
٢٨١ : ١٣-١٤	بالتجارة وإلحاحظ	بالتجارة للجاحظ الزائف وإلحاحظ
٢٨٣ : ١	المائة	المائة
٢٨٤ : ٢	وفد	وقد
٢٩٣ : ٧	الران	اران

الصفحة والسطر أو الهاشية	الخطأ أو الإسقاط	التصويب
٨ : ٢٩٣	في باكه	في باكه (باكو)
٤ : ٢٩٥	قوس	قوس
١ : ٢٩٦	هضباب	هضباب
٣ : ٣٠٢	شاس	الشاش
٥ : ٣٠٥	الران	اران
١٥ : ٣٠٦	اشرسونة	اشرسنة
١٣٣ ح : ٣٠٦	بوريس فيان	بوريس فيان
١٢ : ٣٠٧	الران	اران
١٨ : ٣٠٩	ميرقة . . . صقيلية	ميورقة . . . صقيلية
٧ : ٣١١	انجاص	اجاص
١٥٧ ح : ٣١١	اسقاط بعد كافور)	انفخرج دا ، ج ٣ ، ص ٤٤١ ، ح ٥ ، الطري (لعله الخوخ الأسود المبكر)
٦ : ٣١٤	فالابريسم من	فالابريسم يجهز من
٢ : ٣٠٦	المزقان	المسرقان
٥ : ٣١٨	وليس كل...لدوى	وليس هذا كل ... لدوى
١ : ٣١٩	وبتواز	وبتوز
٢	ابرقوقة	ابرقوية
١١ : ٣٣٣	يجتمع	يجتمع

فهرس المواد

٥	تنبيه
٩	المصادر والمراجع
١٥	ثبت المؤلفين ومصنفاتهم بالرموز
	القسم الأول
	الخافية التاريخية
	الفصل الأول
	التاريخ والسلطات
٢٢	التاريخ والجغرافية
٢٤	من التوراة إلى الاسلام
٣٠	الاسلام وريث مقيم
٣٦	البلدان والسلطات
٤٣	السلطة : من الشك إلى زوال الوهم ومن زوال الوهم إلى القلق
٤٩	جغرافي مصمم على التشاؤم : ابن حوقل
	الفصل الثاني
	دار الاسلام
	المذاهب ، الشعائر ، الأماكن
٥٨	الاعتدال في الاسلام
٦٢	بعض اصحاب الاصاله : الصوفيون

٦٧	حالات خاصة جداً : الخوارج ، والمعتزلة ، والمرجئة
٧٢	التنوع والوحدة
٧٨	الله مع الأكثرية
٨١	الايمان بالاعمال وفي الاسفار
٨٤	اماكن مقدسة واماكن مكّرمة
٨٩	الرباطات : من التعبّد العسكري إلى التعبّد عامة

الفصل الثالث

العرب وغير العرب

٩٥	نقاش اساسي
١٠٠	الفرس والعرب
١٠٢	البربر
١٠٧	الانتراك في دار الاسلام
١١١	الاكرد
١١٤	بعض الأقوام الأخرى

الفصل الرابع

أهل الذمة

١٢٥	في تبعية فارس
١٣٢	اليهود والنصارى
١٣٩	نظرة عامة إلى الجماعات الدينية
١٤٣	ديارات الشابشتي
١٥١	مع اقتراب العام الف

الفصل الخامس

الأبنية العجيبة

١٦٠	القلع وآثار أخرى
-----	------------------

١٦٥	المغرب الرززين ومصر الوقور
١٧٨	جزيرة العرب والشام : المدن والقلاع
١٨٤	العراق : تاريخ طويل
١٨٩	نحو الشمال الغربي : ذكريات متناثرة
١٩٣	هضبة فارس (اقليم الجبال) قلعة الماضي
٢٠٣	فارس الجنوبية : حيث المياه أوفر
٢٠٦	على تخوم فارس الشمالية : تجاوز حدود الخريطة
٢٠٧	نظرة عامة الى الهند المسلمة

القسم الثاني

دار الاسلام عضوية كبيرة حية

الفصل السادس

تنظيم دار الاسلام

٢١٢	التنظيم النظري : موضوع ثقافة عامة
٢١٧	موضوع ثقافة عامة آخر لائحة البلدان والمدن
٢٢٢	مخطط تنظيم ارضي عام عند الاصطخري وابن حوقل
٢٢٧	لوحة حقيقية معاد تصورها : المقدسي

الفصل السابع

الطرق البرية والمائية

٢٤٠	على البحار الشرقية
٢٤٣	بحار اخرى على الاجمال وبعض الأنهار
٢٤٦	طرق افريقية
٢٤٩	نحو مفترق طرق بلاد ما بين النهرين

٢٥١	باتجاه الشمال والشرق
٢٥٣	مسلكان شهيران (بعد السطر الثالث من آخر الصفحة ٢٥٣)
٢٥٨	المعارض والأسواق
٢٦٣	الأسفار المائية
٢٧١	الأسفار البرية
٢٧٦	بعض الذكريات
٢٨٠	حركات المبادلات التجارية : بعض صفاتها العامة

الفصل الثامن

أصناف المبادلات التجارية وركائزها

٢٨٥	الأندلس والمغرب
٢٨٨	مصر وجزيرة العرب والشام
٢٩٢	بلاد ما بين النهرين والأراضي العالية صعدا
٢٩٤	الجبال والهضاب في فارس
٢٩٦	من فارس الجنوبية إلى الهند
٢٩٩	فارس أيضاً في الاتجاه الشمالي الشرقي
٣٠٢	المزارع الكبرى كما يراها ابن حوقل والمقدسي
٣٠٧	مبادئ تعداد أصناف معاد النظر به ومصحيح
٣٠٩	الحقل والمحرف
٣٢٧	العملات والآليات الاقتصادية
٣٣١	الضرائب
٣٣٦	الموازين والمكاييل

..... ط ۱۰۰ / ۱۹۹۵

جغرافية دار الإسلام البشرية

حتى منتصف القرن الحادي عشر

القسم ٢ - ٣

أندرية ميكل

جغرافية دار الإسلام البشرية

حتى منتصف القرن الحادي عشر

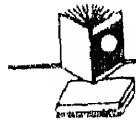
الجزء الرابع

الأعمال والأيام

القسم ٢ (تمت) - ٣

ترجمته:

أبراهيم حموري



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

١٩٩٥

دمشق

العنوان الأصلي للكتاب :

ANDRÉ MIQUEL

La géographie humaine
du monde musulman
jusqu'au milieu du 11e siècle

Les travaux et les jours

جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر =
La geographie humaine du monde musulman jusqu'au
milieu du 11e siecle / أندريه ميكيل ؛ ترجمة إبراهيم خوري -
دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ - ج ٤ : مص ٢٤ سم .

١ - ٩١٠ م ي ك ج ٢ - العنوان ٣ - العنوان الموازي
٤ - ميكيل ٥ - خوري
مكتبة الأسد

الابديع القانوني : ع - ١٣٤٣ / ١٩٩٥

الفصل التاسع

نظرة اجمالية الى المدن

تعد المدينة رمز الرموز . فلا ريب ان الحضارة الاسلامية ، خلافا لجميع الحضارات الاخرى المسماة كلاسيكية ، لم تعامل المدن معاملة متميزة ، بل شجعت الاكثار من انشائها وتكبير حجمها إلى حد لم يعرفه لا حوض البحر المتوسط ولا الشرق الأدنى او الاوسط . فلو قارنا باريس المتواضعة في العام الف ، بقرطبة او الفسطاط او بغداد او سمرقند او بخارى ، لبدت جميعها امصارا ، وتراوح عدد سكانها بين عدة مئات الآلاف من الانفس وبين مليون نفس ، وربما تجاوزت المليون . لكن ما المقصود بالمدينة وماذا كانت آنذاك من الاندلس إلى نهر مهران ؟ التعاريف كثيرة جدا . فهل نتبنى تعريف ليفي ستروس (١) الذي يعتبر ان المدينة « ترتبط بأن واحد بالانجاب البيولوجي ، والتطور العضوي ، والابداع الجمالي » ؟ ام يجب علينا ان نؤيد رأي بروديل (٢) الذي يقول : تتميز المدينة بجلاء لا بأسوارها

(١) لك = ليفي ستروس ، المدارات الحزينة ، باريس ، ١٩٥٥ ، ص ١٠٣ .
(٢) ف . بروديل ، هوية فرنسة ، ج ١ : المساحة والتاريخ ، باريس ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٣ .

او عدد سكانها ، بل بالطريقة التي تنحصر بها انشطتها ضمن مساحات ضيقة جدا الا ان المدينة مؤسسة سيطرة قبل كل شيء » . نحن ايضا سوف نحدد رؤيتنا إلى مدن دار الاسلام ، ونعمل قائمة بها . لكن لا بد لنا في البدء ان نمر عليها مرورا سريعا .

الحديث عن بعض المدن

تتوفر لدينا وثائق كثيرة عن المدن - تنطوي على شيء من المكر والاستعداد لارهاقنا . فكيف نتعامل معها لنأخذ فكرة واضحة عن المدينة الحقيقية الكبيرة ؟ نقول بصراحة تامة اننا نستطيع ان نعطي فكرة عامة عنها بعد خبرة طويلة دامت ثلاثين سنة ونيفا ، وان نسمي سبع عشرة مدينة تتميز عن غيرها ، دون ان نقع في خطأ فادح . ونعتمد على بعض المعايير الحسية مثل حجمها ، وسلطانها وتاريخها الذي جعلها دائمة منذ مدة متفاوتة الطول ، والفارق الاساسي البارز على هذا النحو بينها وبين الارض المجاورة لها التي تتباين سعتها (٣) .

وفي المغرب ، تمثل قرطبة وحدها عظمة الاندلس ، وترمز إلى رأس الجسر الاسلامي ، وإلى السلطة الاموية القائمة التي لم تبدل منذ

(٣) نكتفي في السطور اللاحقة ، فيما يتعلق بالحواشي ، ببعض الاحالات المعبرة جداً ، المختارة من احالات كثيرة غيرها تمثل وثائق المدينة التي سنستقي منها فيما بعد . والمراجع عن المدينة الاسلامية وافرة جداً يمكن العودة الى البيان الوارد بها عند د . سورديل ، اسلام القرون الوسطى ، باريس ، ١٩٧٩ ، ٢١٨ آخرها - ٢١٩ ، ١ . ميكيل ، الاسلام وحضارته ، الطبعة الثانية ، باريس ، ١٩٧٧ ، ص ٤٣٦ ، ب . شلميتا ، سيد زوكو في الاندلس ، مدريد ، ١٩٧٣ ، ص ١١٤-١١٥ ، وا . ريمون ، المدن العربية الكبرى في العهد العثماني باريس ، ١٩٨٥ ، ص ٣٦١ - ٣٦٣ .

البدء (٤) . وتقدم مصر الاسكندرية ، التي تتوجها على الدوام دالة نفوذ مؤسسها ، وتجعلها مدينة عجيبة فاتنة (٥) ، والفسطاط ، احدى الاسواق العظام في الدنيا ، ومقر الخلافة الشيعية الفاطمية المنافسة ببغداد (٦) . ولا أؤكد على جزيرة العرب : ففي حالات عديدة ، يستهل وصف العالم بها . بقطي الايمان مكة والمدينة ، حيث ظهر الاسلام ، وتجتمع جماهير حاشدة كل سنة في موسم الحج . اما الشام فهي بالدرجة الاولى بلد دمشق ، التي لم تنس انها كانت عاصمة دار الاسلام قرنا كاملا في عهد الامويين الذين خلفوا فيها اروع مسجد (٧) .

والعراق بلد مدن البصرة والكوفة وبغداد . فالبصرة والكوفة موقعان عسكريان كبيران ، تأسستا في اثناء الفتح الاسلامي ، وتخصصا وغارا على تاريخهما الحديد المجيد ، وعلى دورهما الثقافي ايضا . وزاد التباين بينهما ، وانحطت الكوفة . وازدادت البصرة إلى ازدهارها ، الفوائد التي جنتها من التجارة البعيدة بالجملة . مع ذلك ، ثابر الكتاب على جمعهما في ذكرى شهرتهما المشتركة القديمة (٨) . اما بغداد فلم يحل البكاء على امجادها الذابطة التي زالت كما زالت امجاد

(٤) ابن الفقيه ، ٨٣ ، ابن حوقل ، ١ ، ١١١ - ١١٣ ، المقدسي ، ٢٣٣ .

(٥) انظر ما تقدم ، الفصل الخامس .

(٦) ابن حوقل ، ١٤٦ ، المقدسي ، ١٩٣ ، ١٩٧ وما تقدم الفصل ٧ ، طرق افريقية ، آخرها .

(٧) ابن حوقل ، ١٧٤ ، آخرها ، (اكبر مسجد جامع بيت المقدس : المرجع ذاته ، ١٧١) .

(٨) الجاحظ (١) ، ورقة ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ابن حوقل ، ٢٣٥ - ٢٣٩ المقدسي ، ١١٦ - ١١٧ .

غريمتها سامراء ، دون الاستمرار بالاشادة بنشاطها التجاري ،
وبمكانيها الرفيعة الناشئة عن وجود الخليفة العباسي فيها (٩) .

وتسترعى الموصل الانتباه متى اتجهنا إلى الشمال . فهي حاضرة
الجزيرة بلا منازع ، وملتقى طرق تجارة عظيم على تخوم ارمينية
وحوض دجلة الاوسط ، اي بين البلدان العربية والكردية والفارسية .
وتعرض ابن حوقل ، فزعم انها بدأت تنحط ، لكنه قال عنها انها كانت
من عظم الشأن بصورة اكبر البلدان في دار الاسلام (١٠) . ثم يأتي
اقليم الجبال بثلاث مدن هي همذان والري واصبهان . ويمجد ابن الفقيه
— وليس وحده — موطنه همذان، التي تلتقي فيها ذرية نوح ونبخذ نصر
وسليمان ، وداريوس الذي اعاد بناءها بعد ان خربت ، والاسكندر .
وهمذان كبيرة وغنية ، وكثيرة المقاتلة في اقليم الجبال « (١١) . وتقع
الري عند منفذ طرق بحر الخزر وخراسان ، ويدوم فيها الورد أربعة
اشهر ، وهي « باب من ابواب الارض ، واليها متجر الخلق .. باب
التجار » (١٢) . ويثني ابن رسته على اصبهان ، ويقول ان الاسكندر
امر ببنائها لأنه كان يشعر بعيوب المدن الكبرى ، واصبهان طيبة الهواء ،
عذبة الماء ، غنية وجميلة وكبيرة ، وهي بغداد الثانية (١٣) .

(٩) المقدسي ، ١١٣ ، ١١٩ - ١٢٠ (١٢٢ - ١٢٣ سامراء) .

(١٠) ابن حوقل ، ٢١٥ (تحزب عائد الى كره سياسة الحمدانيين) .

(١١) ابن الفقيه ، ٢١٧ - ٢٢٠ ، ابن حوقل ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ (محدثة اسلامية)

(١٢) ابن الفقيه ، ٢٧٠ - ٢٧١ ، مسعر (ب) ، ٣٣ ، ابن حوقل ، ٣٧١ ،

٣٧٨ - ٣٧٩ .

(١٣) ابن الفقيه ٢٥٤ ، ٢٦١ - ٢٦٢ ، ٢٦٦ - ٢٦٨ ، ابن رسته ، ١٥١ -

١٦٣ ، مسعر (ب) ، ٤١ ، ابن حوقل ، ٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٣٦٦ - ٣٦٧ .

ولا تنقف التبعية الفارسية هنا . فلا بد من ذكر شيراز في الجنوب ، وهي حاضرة فارس ، التي تتحكم بداخل الخليج (١٤) . وتقع نيسابور في أقصى الشمال ، وهي عقدة طرق خراسان الكبرى ، التي تعج بالمسافرين والقوافل والمحارف . وكان يمكن اعتبارها المدينة المثالية ، لو ان مياهها تظهر في البلد . ولا تجري في قنى تحت مساكنها (١٥) . ويشار ايضا إلى سمرقند وبخارى ، المدينتين العظيمتين القائمتين في قسب بلاد السغد الغنية الحصينة ، عند منفذ طرق الصين واوربة الشرقية (١٦) من نواحي بحر آرال .

هذه هي المدن الاسلامية الكبرى ، وعددها سبع عشرة مدينة ، اخترتها على اساس رأي عام واجماعه بالنسبة إلى بعضها — يمكن تكوينه من قراءة النصوص . ماذا بعدها ؟ يصعب الجواب لكثرة تمدن المدن في دار الاسلام . مع ذلك ، يحدد المقدسي ، كما قلنا (١٧) قريته الاولى ، فيسمي امصارا حاضرات الاقاليم ، فحصلت لدينا اللائحة التالية :

اقليم المغرب :	قرطبة والقيروان	اقليم الديلم :	شهرستان
اقليم مصر :	الفسطاط	اقليم الجبال :	همدان
اقليم جزيرة العرب :	مكة وزبيد	اقليم خوزستان :	الأهواز

(١٤) ابن حوقل ، ٢٧٩ ، ٢٨١ .

(١٥) ابن حوقل ، ٤٣١ - ٤٣٣ ، الثعالي ، ١١٤ - ١١٦ .

(١٦) ابن حوقل ، ٤٧٢ - ٤٧٣ ، ٤٩٢ وما يليها .

(١٧) انظر ما تقدم ، الفصل ٦ ، ص ١٣٥ وما يليها ، وحاشية ٤٩

اقليم الشام : دمشق	اقليم فارس : شيراز
اقليم العراق : بغداد	اقليم كرمان : السيرجان
اقليم اقور : الموصل	اقليم السند : المنصورة
اقليم الرحاب : اردبيل	اقليم المشرق : نيسابور و سمرقند

يلاحظ اولاً ان المقدسي توصل إلى عدد مماثل بطرقه الخاصة :
نعي سبع عشرة مدينة . اذن مهما كانت الطريقة المتبعة ، يحدد هذا
الرقم ، فيما يبدو ، عدد المدن الكبيرة جداً في دار الاسلام . اما
بالنسبة إلى المدن الباقية ، التي تقل اهميتها عن اهمية المدن السابقة ،
فيستحسن ان نعتمد على امصار المقدسي غير الواردة في لائحتنا ، وعلى
اسماء اخرى تستخلص منزلتها من المطالعة العامة للنصوص . وهكذا ،
نحصل في النهاية على القيروان ، وزبيد ، و اردبيل (١٨) ،
وشهرستان (١٩) والاهواز والسيرجان ، والمنصورة في لائحة اولى ،
وعلى فاس ، وتاهرت ، وبالرمو ، ثم صنعاء في اليمن ، والرملة وبيت
المقدس في فلسطين ، وواسط في العراق ، وبرذعة في اران ، ودبيل
في ارمينية ، وسيراف البندر الكبير في فارس ، وزرنج في سجستان ،
والملتان في السند وغزنة وهرارة وكابل في افغانستان ، وبلخ ومرو
في خراسان ، والكشانية وبنجكث وبنكث في ما وراء النهر (٢٠) ،
في لائحة ثانية ، او ما جماعته سبع وعشرون مدينة ، اذا اضعفنا اليه

(١٨) في اذربيجان .

(١٩) في جرجان .

(٢٠) نعرف انه ليس هذه الاعتبارات قيمة مطلقة . مع ذلك اذا استعنا منهجياً باين
حوقل ، استطعنا ان نثبت قيمتها الاجمالية . نظراً لدقة اخباره . المراقبة على الدوام ، والمتدرجة =

العدد ١٧ السابق ، حصلنا على ٤٤ مدينة كبيرة او كبيرة جدا ، اي المدن الرئيسية في شبكة مدن دار الاسلام

بعض التعاريف المقبولة

لاتهمنا الصورة كثيرا ، سواء اطلق على توزيع المدن هيكل المدن او نسيجها او شبكتها . وما نحرص على ابرازه هو ان المدينة احدى اوضح علامات الحضارة . على هذا الاساس ، يقول مؤلف اخبار الصين والهند المجهول (سليمان التاجر في الحقيقة) : اكثر الهندلا مدائن لها ، واهل الصين في كل موضع لهم مدينة محصنة عظيمة (٢١) . والمدينة علامة يدركها الانسان بسمعه ايضا : فالجالحظ يذكر ان غناء

= (خاصة فيما يتعلق بنسب الحجم من مدينة الى اخرى) البعيدة عن التمهيج على خلاف أخبار المقدسي . انظر عن فاس ، ابن حوقل ٩٠ - ٩١ ، عن تاهرت ابن حوقل ، ٨٦ ، ٩٥ - ٩٦ (والمقدسي ، ٢٢٨ - ٢٢٩ : مقارنة مع مناقشة ، بدمشق وقرطبة ، ٣٠٢ ح د : مقارنة ببلخ) ، عن بلرم ، ابن حوقل ، ١١٨ - ١٢١ ، عن صنعاء ، ابن حوقل ، ٣٦ - ٣٧ (وابن رسته ، ١٠٩ وما يليها) ، عن الرملة وبيت المقدس ، ابن حوقل ، ١٧١ (وابن الفقيه ، ٩٣ - ١٠٢ ، ١١٦ ، المقدسي ١٦٤ - ١٧١) . عن واسط ابن حوقل ، ٢٣٩ (وابن رسته ، ١٩٦ ، المقدسي ، ١١٨) ، عن بردعة ابن حوقل ، ٣٣٧ - ٣٣٩ (والمقدسي ، ٣٧٥ : بغداد هذا الاقليم) عن دبل ، ابن حوقل ، ٣٤٢ ، عن سيراف ، ابن حوقل ٢٨١ ، ٢٩٠ - ٢٩١ (والمقدسي ، ٤٢٦ : مقارنة بالبصرة) ، عن زرنج ، ابن حوقل ، ٤١٤ - ٤١٥ (والمقدسي ، ٣٠٥ «بصرة خراسان») عن الملتان ، ابن حوقل ، ٣٢١ (والمقدسي ، ٤٨٠ : مقارنة بالمنصورة) ، عن غزنة ابن حوقل ، ٤٥٠ ، عن هراة ، ابن حوقل ، ٤٣٠ ، ٤٣٧ ، عن كابل ، ابن حوقل ، ٤٥٠ ، عن بلخ ، ابن حوقل ، ٤٣٠ ، ٤٤٧ - ٤٤٨ (والمقدسي ، ٣٠١) ، عن مرو ، ابن حوقل ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ - ٤٣٦ (والمقدسي ، ٣١٠) عن الكشانية ، ابن حوقل ، ٥٠٠ - ٥٠١ ، عن بنجكاث (بنجيكاث ، يونجكاث) ، ابن حوقل ٥٠٣ (رجالها نحو ١٠٠٠ رجل) ، عن بنكث ، ابن حوقل ، ٥٠٨ - ٥٠٩ .

(٢١) اخبار الصين والهند ، فقرة ٧٢ .

النوتي الممسك بسكانه ، وصوت حادي الابل (٢٢) يذهلان الغريب القادم إلى البصرة ، ويقول المقدسي ان الناس في السفن تسمع لهم جلبة وضوضاء في بغداد (٢٣) . اخيرا المدينة علامة مقررة على نحو معين في اطار تفكير اعم في الظاهرة المدنية . وتشرح موسوعة اخوان الصفا هذه الناحية وتقول مامعناه : مصير الانسان الوحيد ، الفشل . لذلك اصبحت ظاهرة تجمع البشر (٢٤) شبه حيوية . ومن هنا أتى نشوء المدن ، باسم التعاون . ومن هنا ايضا بالتالي توزيع المهام وابتكار الاجور، والاسعار، والعملات والموازن والمكايل (٢٥) . وقد اعلن قدامة قبل اخوان الصفا ان الانسان لا يستطيع ان يكون في وقت واحد فلاحا وبناءا ونجارا لذلك اضطر ان يحيا حياة جماعية تؤمنه ، وتؤول إلى توزيع الأنشطة وتجمعها في مكان واحد ، اي في المدينة ، اوضح رمز يدل على ابتعاد البشر عن الحياة الحيوانية (٢٦) .

تمثل هذه الاحاديث تعاريف نظرية . فما هو الوضع في الحياة اليومية ، مثلما يراه الرحالة ، ويكتب عنه الجغرافي ؟ . يعلن ابن حوقل ان قرطبة اعظم مدينة ، لا تلتاينها مدينة اخرى في « كثرة اهل ، وسعة رقعة ، وفسحة اسواق ، ونظافة محال ، وعمارة مساجد ، وكثرة حمامات وفنادق » (٢٧) . هذا النص هام لأنه يزودنا بجدول

(٢٢) الجاحظ(١) ، ورقة ٢٦ .

(٢٣) احالة مذكورة في الفصل ٧ ، ص ١٤٥ .

(٢٤) الاخوان ، ج ١ ، ٩٩ - ١٠٠ .

(٢٥) انظر الفصل ٨ ، العملات والآليات الاقتصادية آخرها .

(٢٦) قدامة ، م ١٢٣ ، ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢٧) ابن حوقل ، ١١١ .

قراثن ممكنة عن المدينة . واول هذه القرائن عدد السكان . فاذا ذكر ان المسجد الجامع في بلرمو يتسع لسبعة الاف رجل ونيف ، وان فيها هي والخالصة نيف وثلاث مائة مسجد . وهذا الرقم هائل ، لا يفوقه الا عدد مساجد قرطبة البالغ ٥٠٠ مسجد (٢٨) .

ويحكى المقدسي انه سمع الناس يذكرون في الفسطاط انه يصلي قدام الامام يوم الجمعة نحو عشرة الاف رجل ، وانه ابطاً يوما عن السعي إلى الجمعة ، فالفى صفوف المصلين في الاسواق على اكثر من الف ذراع من الجامع السفلائي من عمل عمرو بن العاص . وفي القياسير والدكاكين (٢٩) . وهذه الارقام كبيرة تؤيدها ابعاد المدن . فاذا اخذنا بعين الاعتبار ما ينبغي ادخاله ضمن الحدود المعلنة للمدن ، كالارباض واحيانا المستغلات الزراعية التي تزودنا بالاغذية ، تبين لنا ان مساحاتها ضخمة ، بل هائلة . فهي ميل راجح في ميل للرملة او ميل في مثله في الطول والعرض للمنصورة ، اي ما يعادل كياو مترين (٣٠) ، وثلاثة اميال من النهر إلى باب البادية للبصرة . والقبروان اقل من ثلاثة اميال في مثله . (٣١) والفسطاط نحو فرسخ (٥,٧ كم) . وليس لطبرية عرض ، وطولها نحو فرسخ (٣٢) . وبرذعة نحو فرسخ طولاً في اقل منه عرضاً ، ونيسابور نحو فرسخ في مثله (٣٣) . والري

(٢٨) ابن حوقل ، ١١٨ ، ١٢٠ .

(٢٩) المقدسي ، آخر ١٩٨ - ١٩٩ .

(٣٠) ابن حوقل ، ٣٢٠ ، المقدسي ، ١٦٥ .

(٣١) المقدسي ، ١١٧ ، ٢٢٥ .

(٣٢) ابن حوقل ، ١٤٦ ، المقدسي ، ١٦١ (طبرية موضوعة بين الجبل والبحيرة

فهي ضيقة) ، عن الفسطاط ، المقدسي ، ١٩٨ ، افسطاطنحو ثلثي فرسخ .

(٣٣) ابن حوقل ، ٣٣٧ ، ٤٣١ ، المقدسي ، ٣١٦ .

فرسخ ونصف في مثله (٣٤) . وقطر السور المحيط بربض سمرقند نحو فرسخين في فرسخين (٣٥) . وتضرب بخارى الرقم القياسي : فالمدينة ضمن السور الداخلي نحو فرسخ في مثله ، وبين السور الداخلي والسور الخارجي قصور وابنية وبساتين وحال وسكك وقرى متصلة ، ما يكون اثني عشر فرسخا في مثلها ، اي حوالي تسعة وستين كم (٣٦) وهنالك حالة على الحد ، لكنها لا تقنع كثيرا ، وتتعلق ببلد يعد مدينة : فحجم التجمع البشري الذي يعتبر مدينة ينبغي ان يتعين . ولا بد من تحديده على مستوى ادنى . لكن عند اي عتبة ؟ اذا استأنسنا بابن حوقل ، وجدنا انه يقول عن سوق ابراهيم في المغرب : « هي مدينة ايضا صغيرة ، وفيها سوق وحمام » (٣٧) . ويتحدث في مكان آخر ، في كلامه عن وسط الفرات ، عن عانة المدينة الصغيرة التي تقارب اصاغر المدن في الحال (٣٨) . والحقيقة ان حجم المدينة ضئيل الاهمية في النهاية ، اذا ما قورن بعلاقتها باهلها . لكن امامنا هنا مفاجأة .

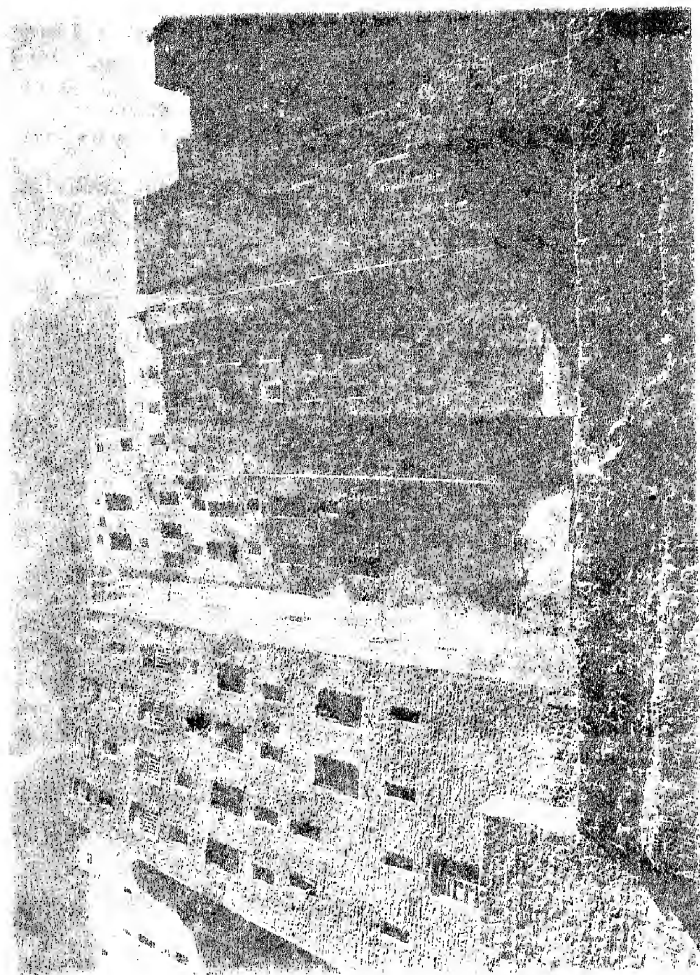
(٣٤) ابن حوقل ، ٣٧١ ، ٣٧٨ (قياس آخر : ١٥ × ٥٥) . المقدسي ، ٣٩١ (نحو فرسخ) .

(٣٥) ابن حوقل ، ٤٩٣ .

(٣٦) ابن حوقل ، آخر ٤٨٢ - ٤٨٣ . امثلة اخرى عن ابعاد اخرى لشتى المدن : ابن حوقل ، ٤٣٧ ، ٤٤٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ واماكن اخرى ، المقدسي ، ١٥٧ ، ٢٧٦ واماكن اخرى .

(٣٧) ابن حوقل ، ٩٠ (يليها مباشرة صيغة مماثلة لتاجنا) .

(٣٨) ابن حوقل ، ٢٢٩ (اصاغر المدن) . انظر أيضاً ابن حوقل ، ٣٢٥ (كبريات مدن مكران صغيرة الأبعاد) ، ٣٣٦ ، المقدسي ، ١٢١ - ١٢٣ (وهذه المدن على غربي دجلة وسائر المدن صغار في العراق) .



بنام من طین منسوخ . دایرة شام یی "سین الخلیجی (تصویر شمس ووج . افراد . پروکسیل)

بالفعل نستخلص من النصوص الجغرافية نموذجين متناقضين تماما . فمن جهة ، تقاس قوة المدينة بسعة الرقعة المخصصة لها ، لمنازلها (٣٩) وللبساتين حولها (٤٠) ، وسعة شوارعها واسواقها والرحاب المعدة في نطاقها ، كما في قرطبة او الموصل (٤١) . ومن جهة ثانية ، نجد المدينة الضيقة المشبكة بعضها ببعض ، التي تضطر السكان ، او الاغنياء منهم في الحلد الأدنى ، إلى التفرق في الرساتيق المجاورة في الهواء الطلق والآفاق المكشوفة (٤٢) . وينطبق هذا الكلام على مدن فارس ، وفي طليعتها سيراف ، بمنازلها المبنية على مستويات عديدة ، وعلى الري ، والملاثان ، ووسط مدينة بخارى ، وشيراز ، ودمشق (٤٣) واخيرا وخاصة على الفسطاط : فابن حوقل والمقدسي يقفان مذهولين امام دورها المؤلفة من سبع وست وخمس طبقات ، التي يسكن في الدار منها المائتان من الناس احيانا ، وهي كالمنابر يدخل اليها الضياء من الوسط (٤٤) .

فأي النموذجين نختار ؟ وهل يجب ان نختار ؟ الاختيار افضل ، اذا وثقنا بابن حوقل الذي يقول عن كرج ابي دلف في فارس (٤٥)

-
- (٣٩) المقدسي ، ١٦٤ ، ٣٠٢ (ح د) .
 (٤٠) اليعقوبي ، ٣٦٢ .
 (٤١) ابن حوقل ، ١١٢ ، ٢١٥ ، المقدسي ، ١٦٤ ، ٢٨٠ - ٢٨١ . (بلخ : ظاهرة مقترنة بضيق البيوت) ، ٣٠٢ ، ٤٦٤ .
 (٤٢) ابن حوقل ، ٣١١ .
 (٤٣) ابن حوقل ، ٢٨٠ - ٢٨١ ، ٣٧١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٧ ، المقدسي ، ١٥٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٨١ .
 (٤٤) ابن حوقل ، ١٤٦ ، (ذات رحاب في محالها وأسواق عظام) ، المقدسي ، ١٩٨ .
 (٤٥) ابن حوقل ، ٣٦٧ .

مايلي : « والكرج مدينة متفرقة ليس لها اجتماع المدن » . مع ذلك ، يبدو ان المدينة المثالية تنشأ من تنسيق موفق بين النموذجين المدينيين ، كما هي الحال في نيسابور التي يقول عنها ابن حوقل (٤٦) : « وليس بخراسان مدينة افسح فضاءا واشد عمارة » ، او عن بخارى : « وليس بخراسان وما وراء النهر مدينة اشد اشتباكا من بخارى ، ولا اكبر اهلا على قدرها منها » (٤٧) .

في النهاية . يظن ان المعطيات عن موارد المدينة والتجهيزات الجماعية فيها ، موثوقة . ويتحدث ابن حوقل (٤٨) عن فارياب في خراسان ، فيعتبرها « صالحه » تجمع سائر ما يكون في المدن من الصنائع » . اما فيما يتعلق بالابنية العامة . فالمدينة تعرض من خارجها للقادم اليها اسوارها التي تساء الافق ، وتشير اليها . خاصة عندما تتعدد تدريجيا . فيحيط احد الاسوار بارياضها . وسور آخر بها بالمعنى الضيق . وسور اخير بقاعاتها (٤٩) . وهذا دليل على الساطة وعرض القوة . بلا شك . وايضا على رقابة دقيقة ، ضعيفة ، وقلقة احيانا ، مستعدة لرفض الغريب او للانغلاق على السكان : فالسور يحيط احيانا بالسجن (٥٠) . فيما عدا ذلك ، يبدو التسلسل المفروض واحدا في جميع نصوص

(٤٦) ابن حوقل ، ٤٣٣ .

(٤٧) ابن حوقل ، ٤٨٣ ، ورد في آخر النص : على قدرها ، حرفيا بالنسبة الى (أو : رغم) حجمها . القراءة واضحة ، اعتمادا على ما قلناه من قبل عن سعة المدينة : الأمر يتعلق فعلا بتوافق بين رقعة كبيرة وكثافة سكان عالية .

(٤٨) ابن حوقل ، ٤٤٢ .

(٤٩) ابن حوقل ، آخر ٤٣١ - ٤٣٢ .

(٥٠) المقدسي ، ٤٢٩ .

المدن ، ويتضمن دار الامارة ، وابنية الادارة ، والمساجد ، والحمامات والفنادق ، والمستودعات الكبيرة ومحال التجارة ، والخانات التي تمثل لازمة في وصف المدينة . وتعد هذه النواحي علامات ناطقة توضح وضعها ، لأنها تثبت وجود عدد كاف من السكان وتعبيرهم عن ارادة جماعية وتنظيمية لشؤونهم (٥١) تبرز للرأي العام : فالمحتسب في الري يراقب الاسعار والاسواق والطرق ، والحياة العامة على الاجمال ، «وهو يتمتع بشيء من النفوذ» ، على حد قول المقدسي (٥٢) اجل النفوذ . فمنازل المدينة ، اذا ما قورنت باكواخ الرساتيق ، قد يكون فيها بناء زخرفة ، بل بدخ ثابت : انظر إلى « الدور الحسنة » في السرجان او في الفسطاط (٥٣) ، وفي سيرا ف التي يحمل اليها الساج واخشاب البناء من بلاد الزنج . ويبالغ اهلها في نفقات الابنية ، حتى ان الرجل الواحد من رجالهم لينفق على داره زيادة على ثلاثين الف دينار من غير ان يستسرف ولا يستنكر ذلك له (٥٤) . الا ان نفوذ المدينة يظهر اولا في جمال ابنتها العامة ، « الرائعة » ، على حد قول المقدسي عن اسواق الفسطاط ، التي يعتبرها ابن حوقل كلها حسنة (٥٥) وماذا نقول عن الجامع ؟ فالمنابر تظهر عظمة المدينة ، مثلما ترسخ

-
- (٥١) مثلا ابن حوقل ، ٧٢ ، ٢١٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
(٥٢) المقدسي ، ٣٩٠ . انظر أيضاً المرجع ذاته ، ١٩٨ للفسطاط حيث المحتسب كالامير ، وآخر ٣١٥ حيث ليس للمحتسب هيبة ولا صرامة .
(٥٣) المقدسي ، ٤٦٤ ، ابن حوقل ، ١٤٦ .
(٥٤) ابن حوقل ، ٢٨١ ، انظر أيضاً المقدسي ، ٤٢٦ (تشتري الدار الواحدة بفوق المائة ألف درهم) . ٤٨٠ .
(٥٥) ابن حوقل ، ١٤٦ ، المقدسي ، ١٩٧ (التقيض عند المقدسي ، ١٢١ ، بعض مدن العراق الصغيرة التي ليس لها بهاء) .

المساجد الايمان ، حتى ان اهل المدينة التي ليس فيها منارة ، يقررون مجتمعين سد هذا الفراغ واستحدثوها (٥٦) .

ويقرن الجمال والعظمة بالنظافة ايضا . لذلك يذهل ابن حوقل لارسال الماء من نهر فاس في اسواقها لغسلها (٥٧) ، والمقدسي ، لارسال النهر في شوارع بيار في الديلم عندما تقع الثلوج ، ليحملها باجمعها ويغسل الازقة (٥٨) . وهذه النظافة اساسية ومتوقعة إلى حد كبير دفع المقدسي إلى ذم مدن المزابيل ومدن البلاذات ، التي تتكدس فيها الاقدار ، وتكثر ميازيبها المنتهية إلى الشوارع او الانهار (٥٩) فتحول دون شرب الماء ، وتضطر المارة إلى دوس الاوساخ بارجلهم ، إلى ان يتقرر نقلها إلى الريف المجاور .

وليس الجمال والنفوذ في النهاية سوى وجهين من وجوه السلطة ومظهرين من ابرز مظاهرها وتمارس هذه السلطة على الرساتيق المحيطة بالمدن اولا . وتؤلف المدينة ومزارعها وحدة متكاملة ، حتى يستطيع المرء ان يتحدث بالنسبة إلى الري مثلا عن تشابك منازلها او مستوى حياتها العالي وعن خصبها ايضا (٦٠) ، وان يجمع حمامات مدن

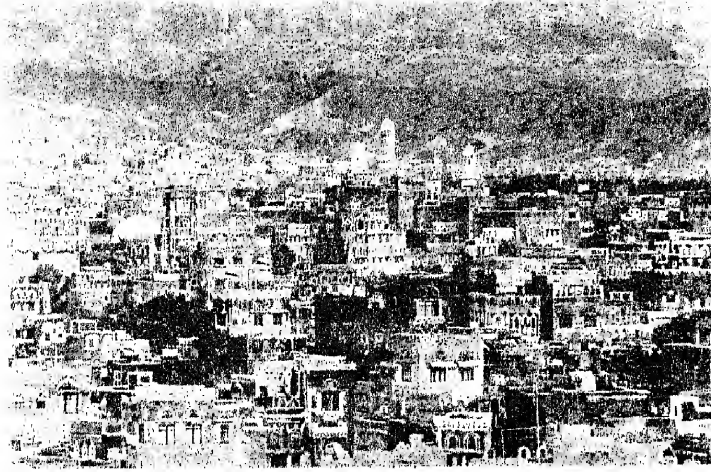
(٥٦) ابن حوقل ، ٤٤٢ (وهم يأبون الا قولهم هذه سنة ، وقبيح بالخلف تغيير رأي رآه السلف ، مبرزين قوة ارادة الكبرياء المدني) .

(٥٧) ابن حوقل ، آخر ٩٠ .

(٥٨) المقدسي ، ٣٧٠ .

(٥٩) المقدسي ، ٢٠١ ، ٢٨٨ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ (عن بخارى ، مترجم في جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، آخر ١٦٥ - ١٦٦) آخر ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٩ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٨١ (انظر ، المقدسي بالتناقض ، ٤٤٠ ولا يطرح النقض الا في وضع واحد)

(٦٠) ابن حوقل ، ٣٧١ .



(تصوير ش بستيڻ وچ . افراڊ ، بروكسيل)

صنعاڻ ۾ اليمڻ الشمالي

الوجه البحري واسواقها وعمالها او اقليمها ، اي المزارع التابعة لها (٦١) ، وان يعرف بالالفاظ التالية بعض مدن اخرى : « فهي ممالك صغار . ومدن لطاف متقاربة في الكبر ، خصبة . واسعة المرافق » (٦٢) . على هذا الاساس ، تتناسب اهمية المدينة مع الساطة المارسة : « فبرذعة امّ ارّان (٦٣) وعين (٦٤) تلك الديار ... اما دبيل ، فهي قصبة ازمينية ، وفيها دار الامارة ... كما ان دار الامارة لأرّان ببرذعة ولأذربيجان باردبيل » .

لعلنا نتجراً، ونقترح تعريفا للمدينة، مع الجملة المعترضة التالية، التي تعيدنا إلى اعقد قضية بلا ريب : ما هي العتبة التي تجيز لنا استعمال لفظ مدينة ؟ لكن في الواقع ، هل يتدخل الحجم في الموضوع ؟ قلنا من قبل ان ابن حوقل يتحدث عن اصغر المدن ، ويقارن في المنطقة الواحدة ، بلدانا صغيرة يسميها مدنا ، ببلدان يسميها قرى (٦٥) ، مع ان عدد اهلها يزيد على عشرة آلاف نسمة . وقد رأينا ان المقدسي (٦٦) يميز المدينة عن القرية بوجود مسجد جامع فيها او عدم وجوده، وبوجود منبر رمز السلطة المسلمة ايضا . الا ان هذا التصنيف يحتمل بعض الاستثناءات (٦٧) ، ولا يطبق عند ابن حوقل الذي يشير

(٦١) ابن حوقل ، ١٣٨ ، وما يليها .

(٦٢) ابن حوقل ، ٣٤٢ .

(٦٣) ابن حوقل ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ .

(٦٤) أو العين ، اداة البصر .

(٦٥) ابن حوقل ، ٣٧٩ .

(٦٦) ما تقدم ، الفصل السادس ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٦٧) ما تقدم ، ذكر .

إلى وجود منبر في مساجد بعض بلدان الوجه البحري ، ويظل يعتبرها
قرى (٦٨) .

ويبدو ان المدينة لا تقاس بقيم مطلقة ، رقمية ومنعزلة ، بل بتوفر
ثلاثة عناصر فيها ، اولها وجود مزارع تغذيها ، سعتها كافية ، تفوق
سعة الحقول البسيطة الموزعة حول القرية ، وثانيها السلطة الممارسة
على هذه المزارع ، وحتى على منطقة كاملة او اقليم تام احيانا ، وثالثها
وآخرها وجود المؤسسات العامة ، والابنية العامة — اذ لا يكفي
الجامع وحده — نكتفي بذكره (٦٩) — لتمييز المدن عن القرى وتقل
اهميته عن اجتماع الهيئات المهنية ، التي يعتبرها ابن حوقل مرافق (٧٠)
اقول توفر ثلاثة عناصر لأن نقص احدها لا يميز تسمية التجمع البشري
مدينة . ومن هنا هذه القرى الكبيرة التي تعد عشرة الاف نسمة ونيفا ،
وتحوي حمامات ومسجدا جامعا واسواقا ، لكنها خاضعة لسلطة غريبة
عنها (٧١) . ومن هنا مدن المقدسي الزائفة التي تمارس السلطة بلارب
لأن المدينة والقصبة مترادفتان عنده ، الا انها قريتان في الواقع على
حد قوله (٧٢) . يعني انها تجمعين لا يقومان بنشاط مهني متعدد
الاشكال ، ويخلوان من المرافق التي تعتبر شروطا ضرورية في الظاهرة
المدينة . لذلك نحسم الموضوع ونلج على ان احتواء المكان على المزارع

(٦٨) ابن حوقل ، ١٣٩ وما يليها .

(٦٩) يتمير أدق ، كما رأينا ، الجامع بمنبر .

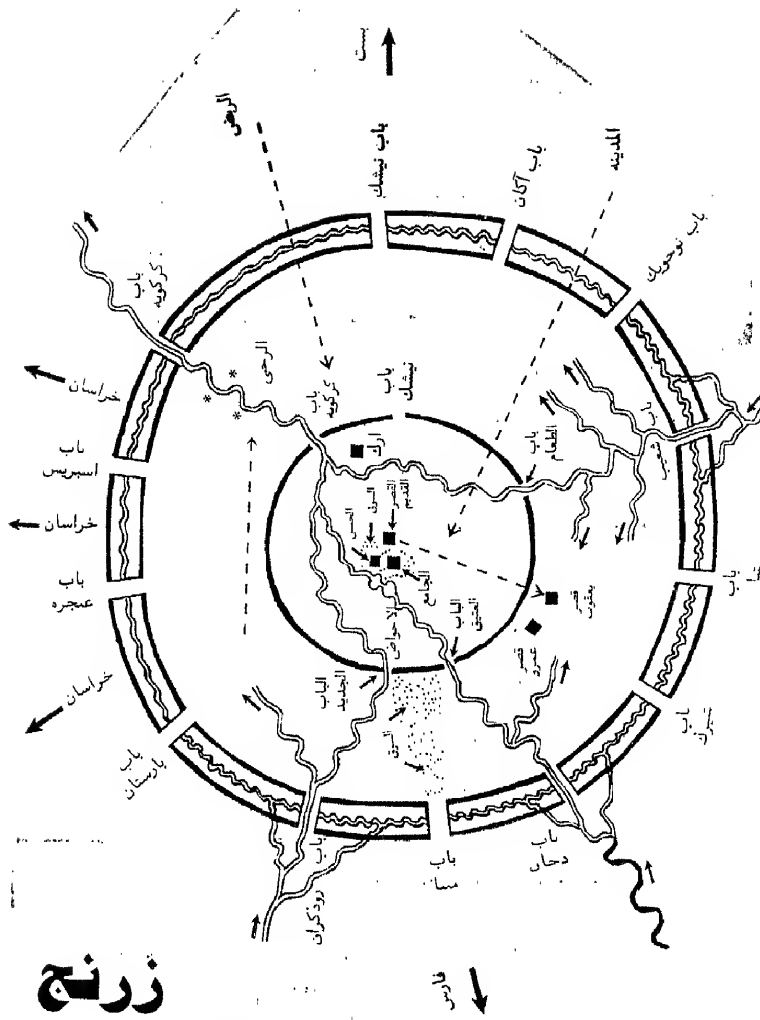
(٧٠) مرافق عند المقدسي (ما تقدم فصل ٦ ، ح ٦٤) ز ، ابن حوقل (ذكر من

قبل ح ٦٢) يستعمل لفظ مرافق : تسهيلات ، مؤسسات ، دوائر خدمات (بالمعنى العام) .

(٧١) عن القرى الواردة عند ابن حوقل ، ما تقدم ، الحاشيتان ٦٥ (قرى تابعة

صراحة للري) و ٦٨ .

(٧٢) انظر ما تقدم الفصل السادس ص ١٣٨ - ١٣٩ .



وممارسة اهل السلطة فيه ، وتعاطيهم مهنا متنوعة ترسم كلها وجه المدينة الحقيقي ونفوذها .

وصف مدينة زرنج :

آن لنا الآن ان نصف المدن وصفا عاما . ونختار اسوة ببلاشير نموذجا له ، مدينة كبيرة ، ليست واسعة جدا ، نعتها بالكلاسيكية ، اذا جاز لنا هذا التعبير : وهي زرنج قصبة سجستان (٧٣) .

وزرنج مدينة سجستان العظمى . وهي مدينة عليها حصن (٧٤) . ولها ربض واسع الابنية ، كثير السكان ، وفيه دور الامارة لآل الصفار (٧٥) ، إلى غير ذلك من المحال والفنادق ، وعليه سور وحصن دائر بالربض ، وخذق على الربض حصين ، وفيه ماء ، وماؤه ينبع من مكانه ، ويقع فيه فضل من المياه الجارية اليها . ولها خمسة ابواب . احدها الباب الحديد ، والآخر الباب العتيق ، وكلاهما يخرج منهما إلى فارس ، وبينهما قريب مسافة . وباب كركوية يخرج منه إلى خراسان والرابع باب نيشك يخرج منه إلى بست (٧٦) . والخامس يعرف بباب الطعام ، يخرج منه إلى الرساتيق . واعمر ابوابها باب الطعام (٧٧) ، وكلها حديد . وللربض ثلاثة عشر بابا : فمنها باب مينا ، يأخذ إلى

(٧٣) ابن حوقل ، ٤١٤ - ٤١٥ (نص نقله بلاشير جزئياً ودرمون في د ج ع ، ١٣٧ - ١٣٩) .

(٧٤) عن معنى الحصن الشائع ، انظر م ج ع ، ٤م ، ٢١٦ .

(٧٥) اشير اليه فيما تقدم ، الفصل ١ ، ص ٢٦ .

(٧٦) نحو الشرق شمال شرقي ، على تخوم سجستان وتبعية غزنه : انظر المقدسي ،

٢٩٧ .

(٧٧) حرفياً الطعام الغذاء .

فارس ، ويليه باب دحان ، ثم يليه باب شيرك ، ثم يليه باب شاراو ،
ثم يليه باب شعيب ، ويليه باب نوجريك ، ويليه باب آكان . ويليه
باب نيشك ، ثم يليه باب كركويه ، ويليه باب اسبريس . ويليه باب
غنجرة ، ويليه باب بارستان ، ويليه باب روذكران .

وابنيتهما كلها من طين معقودة ، لأن الخشب بها يأرض ، ولا
يلبث ، ومسجد الجامع في المدينة منها دون الربض اذا دخلت باب
فارس منها . ودار الامارة في الربض ، بين باب الطعام وباب
فارس (٧٨) خارج المدينة . والحبس في المدينة عند الجامع . وهناك
ايضا دار امارة على ظهر الجامع ، عند الحبس ، قديمة ، ومنها نقلت
إلى الخارج بالربض . وبين باب الطعام وباب فارس قصران ليعقوب
بن الليث ، ولعمرو بن الليث (٧٩) . ودار الامارة دار يعقوب بن
الليث . وداخل المدينة . بين باب كركويه وباب نيشك ابنية عظيمة
تسمى ارك، كانت خزانة لعمرو بن الليث بناها الذي (٨٠) . واسواق
المدينة الداخلة حوالي مسجد الجامع ، وهي اسواق على غاية العمارة ،
واسواق الربض اسواق عامرة ايضا، منها سوق يسمى سوق عمرو التي
بناها ، ووقفها على المسجد الجامع ، والبيمارستان ، والمسجد الحرام (٨١)
وغلة هذه السوق في كل يوم نحو الف درهم .

وفي المدينة الداخلة انهار ، منها نهر يدخل من الباب العتيق ،

(٧٨) اسم يطلق على أحد البابين الجديد أو العتيق : انظر مايلي ح ٨٣ .

(٧٩) اميران صفاريان .

(٨٠) خزانة : قد تكون المحفوظات أو المكتبة .

(٨١) في مكة .

والثاني من الباب الحديد والثالث من باب الطعام مدخله . ومقدار هذه الانهار اذا اجتمعت ما يدير الرحي . وعند المسجد الجامع جوفضان عظيمان ، ويدخلهما الماء الجاري ، ويخرج ، ويتفرق في بيوت اهل البلد وسراديبهم (٨٢) ... ومعظم دور المدينة والربض ذوات مياه جارية وبساتين . وفي ربضها انهار تأخذ من هذه الانهار التي تدخل المدينة . والسوق (٨٣) ممتدة من باب فارس من المدينة إلى باب مينا ، متصل ذلك غير منقطع نحو نصف فرسخ .

يمكننا هذا النص ، رغم ما فيه من نواقص ، من رسم مخطط زرنج العام ، ان لم يكن مخططها الدقيق : واحيل إلى الشكل المقترح هنا . لكن ترد عند ابن حوقل معلومات هامة جدا عن صفات زرنج العامة ، وعن حياتها ووظائفها . ويأتي الحجم في الطليعة : فهي مدينة كبيرة جدا ، بلا نزاع ، اذ قيل ان سوقها تمتد بين بابين متناظرين من المدينة والريف ، على طول نصف فرسخ ، اي اقل قليلا من ثلاثة كم ، وعلى طول كيلو مترين للمدينة ذاتها على الارجح فيصبح قطر هذا التجمع البشري حوالي عشرة كم . فعلى غرار بخارى ، المشار إليها من قبل ، لدينا مدينة واسعة ، لها رساتيق واسعة الابنية (٨٤) ، وبالتالي مساكن متفرقة ، حولها بساتين ، حتى في المدينة ذاتها :

(٨٢) يضيف النص «كجرى مياه ارجان في سرايب البلد ودورهم بالقنى» ترجمت سرداب بكهف الفرنسية لأن سرداب يمكن ان تعني حجرة محفورة تحت الأرض للرطوبة أو قناة دفينة. يتردد وايت (ترجمة ٤٠٣) بين كهف والمعنى الثاني .

(٨٣) سوق الربض نظرا للموقع بين بابي فارس والمينا .

(٨٤) واسع الابنية واوسع مساحة مبنية أوسع ابنية متفرقة جداً ، والمعنى واحد نظرا لاتساع الربض .

ثم انها مدينة محصنة ، لها سوران على جانبي خندقها (٨٥) يحيطان بالربض ، ثم سور المدينة الداخلية ، اي وسط التجمع البشري . ولاريب ان هذه الاسوار العظيمة تستهدف الحماية ، لكنها تثبت ايضا سلطة السلالة الصفارية التي حكمت مدة من الزمن فارس وافغانستان وخراسان ، وبقيت في سجستان حتى منتصف القرن السادس / الثاني عشر .

وهي مدينة ابنيتهها من طين ، ازاج معقودة ، مستديرة او من نوع مدور ، تام او تقريبي ، تكرر احد المخططات العامة المفضلة في مدن المشرق ، الذي طبق نموذجه في بغداد ، ولنا عودة إلى هذا الموضوع . ولعل الدائرة لم تقررها ارادة مؤسسها وحده ، مثلما حصل على ضفاف دجلة ، بل نشأت عفويا ، وتمت تدريجيا حول النواة الاصلية . وهذا لا يهم . وتبقى الناحية الاساسية الدائرة التي تبرز بقوة . فالسور يثبت ذلك ، لأنه دائر بالربض . وما دامت ابواب المدينة لها ما يناظرها على سور وسطها (٨٦) ، يسهل ايضا ان نستنتج شكل الوسط المستدير . في النهاية ، تملؤ زرنج ، اذا ما قورنت بنموذج المدن المربعة التي ازدهرت في حوض البحر المتوسط في العهدين الروماني والهلنستي ، مدينة نجمية بلعاً من وسطها الذي تندفق عليه الاغذية والمياه ، وتتشعب منه بواسطة ابوابه ، طرق التجارة الزاهية إلى جميع الآفاق .

(٨٥) ورد في النص عن الخندق : خندق على الربض حصين (حصين ، عن حصن انظر ما تقدم ح ٧٤) .
(٨٦) تناظر ثابت على الأقل لثلاث مجموعات : كركويه ، نيشك ومينا (أو فارس : ما تقدم ح ٧٨ ، ٨٣) .

وتتمون زرنج من الرساتيق المحيطة بها بلا انقطاع . ويقال ان باب الطعام اعمر ابوابها . ويرجح ان هذه الرساتيق تقدم لها جميع اغذيتها، ليس فقط الثمار والخضار من رساتيق المدينة، بل اللحوم والالبان: بالفعل يتحدث ابن حوقل عن الغذاء عامة اي الطعام الذي اطلق اسمه على الباب . والمياه هامة بالقدر ذاته . فلدينا مياه الدفاع . مياه الخندق . والمياه الجارية بغاياتها الثلاث: الاستعمال العام في الاحواض القريبة من المساجد، والاستعمال الخاص في البيوت والبساتين، واستعمالها قوة محرك في الارحية . وتتصل المياه العامة والخاصة بفيض من المياه الجارية التي تصب في الخندق . لكن تبقى قضية مطروحة : كيف تدخل المياه إلى الربض وإلى وسط المدينة ؟ من الابواب إلى وسط المدينة ، على حد ما ورد في النص . اذن بقي ان نشير إلى حد ادنى من الانشاءات الضرورية ، مثل قناة مفتوحة بارض الباب والماء الجاري عند الحاجة تحت الباب متى اغلق . لكن ماذا عن سور الربض ؟ وكيف يعبر الماء الخندق ؟ بنظام مماثل ، ويلعب الباب دور جسر وقناة ، او بانطونيات ومزملات (٨٧) اضمن لاستمرار التزود بالماء عندما يقفل نظام الدفاع ويغلق الباب .

نصل اخيرا إلى وظيفة المدينة . فمن البدهي ان زرنج مركز تجاري هام جدا ، خاصة باتجاه خراسان (٨٨) . والشواهد المحال ،

(٨٧) كانت تعرف بهذه الاسماء : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٢ .

(٨٨) توجد اربعة أبواب تتابع حسب الترتيب المذكور بين باب مينا الذهاب دربه إلى فارس وبين باب كركويه الذهاب دربه إلى خراسان . لكن تشمل وجهة خراسان في الواقع قطاعاً عريضاً جداً من الشمال الشرقي (بلخ) إلى الشمال شمال غربي (نيسابور) : ومن هنا عدد الأبواب المفتوحة في هذا الاتجاه .

والفنادق ، والأسواق المتعددة والواسعة والغنية . وتترافق التجارة مع وجود السلطة . فلدى مدينة زرنج العظيمة مسجد جامع له منبر يخطب من اعلاه لصاحب السلطة ويمدح كل يوم جمعه . لكن السلطة قريبة جدا ، بل هي هنا ، لأن زرنج قصبة الصفاريين ، وفيها المباني التي تذكر بسلالتهم ، كدار الامارة ، وبيت المال ، والحبس الذي تقام فيه الحدود ، واقامتها وظيفة شرعية عالية ، يعتبرها البعض ، كما نذكر (٨٩) احدى علامات المصر .

المدينة الكبيرة معنويا وطبيعيا

قطعا تسيطر صورة واحدة من خلال وصف زرنج او مدن اخرى : هي صورة المدينة الكبيرة . وتدخل هذه الصورة في الادب الذي يعود كما يحلو له « امهات المدن » و « عين البلد » التي تؤثر فيه (٩٠) . ويمر هذا الوضع في اختبار الاحداث ... وينجز منه ظافرا عند جغرافي دار الاسلام في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . ونتبعه احيانا صفحة صفحة عند ابن حوقل او المقدسي . وقد تحدثنا نحن عنه بعدهم بالحاح وعلى نطاق واسع . ولن نعود اليه كثيرا ، لكن لا بد لنا ايضا ان ندقق نقطتين . تتعلق النقطة الاولى منهما بالاخلاق في المدينة ، والاخرى باخلاق المدينة الكبيرة ، وهذا هو الواقع . وتبدو لنا نصوص المقدسي قيمة إلى اقصى حد في هذا البحث ، وملحاحة عليه . فبعد مدح المدينة ، يأتي فيها عرض مثالب اهلها . : كجور

(٨٩) ما تقدم ، فصل ٦ ، ص ١٣٦ .

(٩٠) هذا الموضوع اساس كتاب اسحاق بن الحسين آكام المرجان في ذكر المدائن بكل مكان . انظر أيضاً من بين أمثلة اخرى ، الثعالبى ، ١١٤ ، ١٢٠ .



(تصوير جورج جستر / رافو)

مدينة مستديرة وأرباضها : أربيل في العراق

السلطة القريبة الملحوظ مباشرة ، وردود الفعل عليه فوضى أو تعصب ،
واهمال يعبر عنه بالالوساخ ، كما قلنا ، ومن لا مبالاة عامة ، وخفة ،
وحتى فسق ودعارة ، وسوء نية ومكر ، وعدم ترحاب وقساوة
وفظاظة ، ومن جهل يتعدى جماهير الشعب (٩١) أخيراً .

هذا من الناحية الاخلاقية. اما من الناحية الطبيعية . فابرز شرة
المدينة بالتردد . وقد قلت من قبل ان حجمها لا قيمة له بحذ ذاته .
مع ذلك تفرض رؤيتها نفسها . فالعلاق المدني ينتصب في الافق
من غبراء الطريق ، ويمتد شيئاً فشيئاً ، ويستحوذ على المرء متى عبر
الابواب ، ولا يُخلى سبيله . فيسير ويسير فيه ... وفي بخارى مثلاً التي
نعود اليها. وقد اعتبرتها المدينة — البلاد لسيين : ارلها ان المدينة الكبرى
والارض التابعة لها يحملان احياناً اسماً واحداً كما هي الحال في
دراجرد وقصبتها في فارس (٩٢) ، او يحملان اسماً واحداً ، ويضيفان
اليه اسماً خاصاً بالمدينة : وهذه طريقة تثبت بها المدينة ذاتها ، وتظل
تشمل البلد باجمعه . وتأتي مصر في ذروة هذا الكبرياء المدني ، اذ
تعني الفسطاط وبلاد مصر ، لكن هنالك ما يشبه في ايامنا بال المدينة
وبال الريف ، مثل اليهودية واصبهان وشهرستان (٩٣) ، وايران شهر
ونيسايور (٩٤) ، ونموجكث وبخارى . اذن المقصود المدينة — البلاد

-
- (٩١) المقدسي ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٥٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ،
٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
٨٧٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠٧ ، آخر ٤١٠ — ٤١١ ، آخر ٤٢٦ — ٤٢٧ ، ٤٢٩ ،
٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٧٨ ، واماكن اخرى .
(٩٢) المقدسي ، ٤٢٢ (انظر أيضاً المرجع ذاته ، ٤٢٣ ، ٤٦٠ ، واماكن اخرى) .
(٩٣) المقدسي ٣٨٨ .
(٩٤) المقدسي ، ٣١٤ .

وبالتالي ، لأن الاسم والواقع متطابقان . ويتفق ابن حوقل والمقدسي (٩٥) اتفاقاً تاماً ، فيذكران العملاق الذي يمتد على نحو من سبعين كم (١٢ فرسخاً) في حالة بخارى : ففي الوسط يقع القهندز وله بابان تليه المدينة ولها سبعة ابواب ، ويليهما الربض وله عشرة او احد عشر باباً ، ويليه وسط الربض في بخارى بعدد مماثل من الابواب (٩٦) . ولا يقتصر وسط الربض على البساتين والاجنة التي تغذي العملاق ، بل يتضمن خمس مدن حقيقية ماحقة بالمدينة الاصلية وفيها كلها مسجد جامع ، وهي الطواويس وزندنة وخجاده ، ومغكان ، ومجكث (٩٧).

وقد قلنا من قبل في سياق كلامنا عن بخارى ان وضعها لا يقنع كثيراً في نهاية الامر في تعيين تعريف المدينة . والاصح على الأرجح ، وجوب اعتبار بخارى نموذجاً مدينياً مضمخاً جنوبياً تقريباً يبغي بالصفين المتناقضتين المشار اليهما سابقاً إلى متبهما : هنا

(٩٥) ابن حوقل ، ٤٨٢ - ٤٨٨ ، المقدسي ، ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٩٦) يضيف المقدسي ، آخر ٢٨٠ ، بعد تعداد ابواب الربض العشرة : وقد جاوزها العمارة (والاستغلال أيضاً : العمارة) ، وداخلها عشرة دروب آخر اليها كانت العمارة في القديم (عن داخل ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، آخر ٢٣٢ - ٢٣٣ ، والمقدسي ، المرجع ذاته ح و) تخالف بعض هذه الأسماء . ويشير ابن حوقل أيضاً آخر ٤٨٣ - ٤٨٤ الى ان على الربض سورين (لكل منهما ١١ باباً) ويجعل اسماء الأبواب في السور الخارجي اسماء ابواب السور الداخلي عند المقدسي . لكن تبقى الظاهرة الاساسية ، رغم هذه التباينات ان نمو المدينة جرى نحو ربض اول ، ثم نحو ربض ثاني يشكل كل بلاد بخارى ويذكر السور الخارجي بصراحة ويحيط بالمدن التابعة لها التي ستحدث عنها (فهذه المدن الخمس داخل الحائط : ابن حوقل ٤٨٩ ، المقدسي آخر ٢٨١ .

(٩٧) يصحح وفقاً لهذا الاسم الوارد عند المقدسي ، ٢٦٧ (ح د) . وآخر ٢٨١ ، نمجكات ابن حوقل ، ترجمة ٤٦٩ .

الرقعة الواسعة - حتى ضمن الجامع - وهناك تشابك المساكن الضيقة ،
وقريئة لا تحدح هي ارتفاع اسعار الاراضي (٩٨) .

وتعد بخارى نموذجاً ايضاً بترتيب الاماكن : فالقهنندز والمدينة والريص
والرساتيق ، سواء كانت مسورة ام لا ، تتكرر بمقياس اصغر في
العديد من مدن دار الاسلام ، بدءاً من البلدان الشمالية الشرقية ، اي
خراسان وما وراء النهر (٩٩). ويتحدث المقدسي عن قصور الجرجانية ويقول
عن احدها: « وقد بنى ابنه علي قصراً آخر قدامه ، على بابة سهلة تشاكل
سهلة بخارى ، فيها تباع الاغنام » (١٠٠) . اخيراً بخارى نموذج
بتوسيعها على وجه التخصيص : فقد اخترقت سورها ، ثم سور ربضها ،
وسيطرت على ارض شاسعة . ويلح ابن حوقل مرتين (١٠١) على ان
ليس داخل حائط بخارى ارض غامرة : لم تبني فيها مساكن او لم
تزرع .

(٩٨) نستغرب ان يقترح ابن حوقل والمقدسي معا تمايز يمكن قراءتها على وجهين
بالنسبة الى علو (المساكن او الاسعار) . انظر المقدسي ٢٨١ (ح ك) : مساكن عالية
(أو غالية) ، وابن حوقل ، ٤٨٧ : وجميع ابنية بخارى كلها على اشتباك البناء والتقدير
في المساكن وارتفاع اراضي الأبنية ، فهي محصنة بالقهندزات والاجتماع . ترجمة وايت
ص ٤٦٧ : ادى تقدير ب : ترتيب جيد التنسيق واحال الى م ج ع ، ج ٤ ، ٣٢١
وادى ارتفاع اراضي الأبنية ب : ارتفاع الأرض المبنية عليها . ويفهم ا . ميكيل تقدير
تخمين دقيق للمساحات وارتفاع بمعنى غلاء اسعار اراضي البناء .

(٩٩) ابن حوقل ، ٤٣١ - ٤٣٤ ، آخر ٤٣٤ - ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٩٢ - ٤٩٨ ،
٥٠١ - ٥٠٢ ، آخر ٥٠٢ - ٥٠٣ ، آخر ٥٠٣ - ٥٠٤ ، ٥٠٨ ، ٥١٢ .

(١٠٠) المقدسي ، آخر ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(١٠١) ابن حوقل ، آخر ٤٨٢ ، ٤٨٧ .

٣٦٩ جغرافية دار الاسلام م-٢٤

ونندو المدينة ، وتنفرع . ويعتبر تعدد مراكز نشوئها احدى علامات صحتها الجيدة - العابرة احيانا ، ولنا عودة إلى هذا الموضوع . وثبتت هذه الظاهرة بوجود جامعين او اكثر (١٠٢) في المدينة - تحوي القاهرة سبعة جوامع ، اثنان منها في وسطها في الفسطاط (١٠٣) وبمنصوص جغرافية صريحة ونقول ان بعض المدن مزدوجة ، او مؤلفة من ثلاث مدن او اربعة او ما يزيد عن ذلك (١٠٤) . ويفرض الموقع هذا الوضع احيانا ، كأن تتوزع المدينة على ضفتي احد ، الانهر (١٠٥) او تقع قرب مرفأ أو بعيدا عنه (١٠٦) ، او تشمل مدينة عليا ومدينة سفلى (١٠٧) . وتتدخل السلطة السياسية في بعض الاماكن ، فتزدوج المدينة المصر مع مدينة السلطان (١٠٨) . وقد يطرأ تبديل على المخطط الاصيل ، فيصحح أو يتغير أو يزول ، نتيجة توسع المدينة الذي يكفي في حالات كثيرة لتعليل اندماج عدة مدن في مدينة واحدة

-
- (١٠٢) ابن حوقل ، ٨٦ ، ٣٦٢ ، ٤٣٤ ، المقدسي ، ١١٧ .
(١٠٣) ابن حوقل ١٤٦-١٤٧ ، المقدسي ، ١٩٧-٢٠٠ (و ح ف من ١٩٩) .
(١٠٤) مسعر (ب) ، ٣٩ ، ابن حوقل ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١١١ ، ١١٩ ،
آخر ٢٣١-٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٣٦٣ - ٣٦٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ،
٤٣٢ ، المقدسي ، ١٩٧-٢٠٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٧٧ ، ٣٠٣ - ٣٠٥ ،
٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٥٧ - ٣٥٨ ، آخر ٣٧٥-٣٧٧ ، ٤٠٦ ، ٤١٠ - ٤١٢ ، ٤٢٦ ،
٤٣٠ (ح ك) ، ٤٣٧ ، آخر ٤٦٦ ، ٤٧٨ ، وما يلي مثال الفسطاط .
(١٠٥) ابن حوقل ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٣٨٢ ، المقدسي ، ١٢٠ ، ٢٢٩ -
٢٣٠ ، ٢٧٧ ، ٣١٢ ، ٣٥٧ ، آخر ٣٧٥-٣٧٧ ، ٤١٠ - ٤١٢ ، ٤٣٧ ، آخر
٤٦٦ ، ٤٧٨ .
(١٠٦) ابن حوقل ، ٧٩ ، ١١٩ ، المقدسي ، ٢٣٢ .
(١٠٧) المقدسي ، ٢٢٨ - ٢٣٠ ، ٣٠٣ .
(١٠٨) ابن حوقل ، ١١١ ، ١١٩ ، المقدسي ، ٢٢٦ ، آخر ٣٠٤ - ٣٠٥ ،
آخر ٤٣٠ (و ح ك) .

وبهذا المعنى ، تمثل بخارى من بدء نموها الداخلي حتى صارت مدينة ، مثالا هامشيا افراط في تجاوز الحد بلاريب لكنه بقي واضحا . وليست وحيدة في وضعها . فابن حوقل مثلا يقارن اصبهان بقرطبة (١٠٩) ويقول ان كليهما مزدوجتان وتضم اصبهان اليهودية وشهرستان البعديتين عن بعضهما حوالي ميلين اي اقل من اربعة كم ، ويجمعهما الوصف قبل انتقاله إلى الكلام عن الرساتيق المجاورة لهما مباشرة ثم عن الرساتيق التي تؤلف مع الرساتيق السابقة والمدينتين اصبهان المدينة الواحة الهائلة .

وماذا نقول عن الفسطاط العظيمة ؟ فابن حوقل والمقدسي (١١٠) يميزان فيها بحق عدة مدن اندثرت او ما زالت قائمة . ففي وسطها اي الفسطاط بالمعنى الضيق ، مسجدان لصلاة الجمعة بنى احدهما عمرو بن العاص ، والآخر بناه ابو العباس احمد بن طولون ، واسمهما السفلاني والفوقاني . والجزيرة خفيفة الاهل ، وبها بساتين ونخيل ، ومنتزه امير المؤمنين . والجزيرة ، والجادة منها إلى المغرب . والقطائع ، وهي ابنية خارج مصر كان يسكنها جند احمد بن طولون . والقاهرة على جادة الشام ، بناها جوهر الفاطمي ، وبها ديوان مصر . وعين شمس (هليوبولس) على جادة الشام ايضا . والقرافة التي ازدهرت في اثناء الفتح . اخيرا العزيزية وبها كان ينزل فرعون ، قد اختلت وخربت تماما تقريباً . فمن يستطيع ان يكتب افضل من هذا الكلام؟

(١٠٩) ابن حوقل ، ٣٦٢ - ٣٦٦ .

(١١٠) ابن حوقل ، ١٤٦ - ١٤٧ ، المقدسي ، ١٩٧ - ٢٠٥ (و ح ف من ١٩٩) . ينقص العسكر في هذه اللائحة ، وهو حي الحكام العباسيين . عن العزيزية ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ١٢٠ .

المدينة الحصينة

أثبتنا من قبل ان اسوار المدينة تمثل تأكيداً على ذاتها ووسيلة دفاع عن نفسها(١١١) . لكن متى حَتَمَ الموقع الجغرافي او الاحداث التاريخية ، تنقلب المدينة باجمعها هي وصورتها : فيزول مخططها العام الكلاسيكي ، وتزول معه دفاعاتها الاساسية ، ويصير لدينا مدينة حصينة ، اي نظام مديني صمم كاملاً من أجل التحصين ، واصبح خاضعاً له .

وحيدا لو قلنا كلمة عن المدين العسكرية الاولى التي تأسست في دار الاسلام لتأمين الفتوحات الاسلامية واعداد ضروب اخرى من التوسع . الا ان تطور اللفظ الدال عليها (مصر) من مدينة الجند إلى الحاضرة ، يبرز ابرازا كافيا ان ما طرأ من تغيير على المدين قضى تدريجيا على وظيفة مصر الاولى ، او على مخططه القديم المبني على تحديد احياء (خطط) مخصصة للقبائل ، ولكل منها مدفناتها(١١٢) . الا ان المدينة الحصينة الحقيقية تختلف عن المصر عند ابن حوقل والمقدسي اللذين شاهداها عيانا ، وشاهدا نشاطها اذا جاز هذا القول .

ونستهدي بالمفردات اللغوية لتتعرف عليها ، فعساها ترشدنا . فعندنا شاع لفظ «مصر» . ادركنا ان المقصود نظام دفاع كلاسيكي متقدم بعض الشيء . ويبدو ان خطوة إلى الامام خطيت ، عندما

(١١١) سنود اليها في قضية المداخل في الفصل التالي .

(١١٢) انظر عن البصرة والكوفة ، اشهر الامصار: اليعقوبي، ٣٠٩ - (٣١٠ ، ٣٢٢ ابن الفقيه ، ١٦٣ ، ١٨٨ - ١٩١ ، ابن حوقل ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، المقدسي ، آخر ١١٦ - ١١٧ . عن الكوفة ، في متناول يدنا مصنف أساسي الآن ، هو هـ . جعيت الكوفة ، نشأة المدينة الاسلامية ، باريس ، ١٩٨٦ .

نعت المدينة بمحصنة او حصينة، مما يدل على ان الدفاعات اجتاحت المشهد المدني ، وتصوره على التخصيص . وعلى هذا الاساس ، وصفت بعض المدن مثل فاس والفسطاط وحلب ، وآمد في الجزيرة ، وتفليس والعديد من مدن جزيرة العرب او ما وراء النهر ، ودربند على بحر الخزر (١١٣) .

وتبدو جميع هذه المدن نقاط ارتكاز متفاوتة القيمة . ولا يتحتم قطعاً نعت جميع المدن بالحصينة او المحصنة . وتنشأ صورتها احياناً ببساطة من وصفها وحده والحرص على تفصيل تجهيزات دفاعها ، وسنعود إلى هذه التجهيزات في الفصل التالي . اما هنا ، فنود ان نبقي في نطاق الرؤية العامة ، ونقول بضع كلمات عن مدن فارس ، وفارس بلاد القلاع المنيع . ويعد الدخول إلى هذه العرائن في نظر المقدسي مأثرة من مآثر تجيز للجغرافي ان يقص اخباراً صحيحة وكاملة (١١٤) في نص رائع ، ويثبت مرة اخرى ان الكاتب يعرف المؤلفات الكلاسيكية فهذا الموضوع ادني بالدرجة الاولى (١-١٥) .

ويحدد الاصطخري عدد القلاع في فارس بما يزيد على خمسة

(١١٣) انظر ابن حوقل ، آخر ٢٧١ ، ٣٤٠ ، آخر ٣٨٠ ، ٥١١ المقدسي ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ، ٢٠٠ ، ٢٢٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٣١٢ ، ٣٧٥ - ٣٧٧ ، ٤٢٨ ، واماكن اخرى ، عن دربند انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٢٦٣ م ج ع ، ج ٤ ، ٢١٦ تعطي حصينة عند المقدسي ، ٤٨٤ ، س ٥ (عوضاً عن حصينة) (١١٤) المقدسي ، ٤٥ .

(١١٥) طرح الاصطخري ، وهو فارسي ، هذا الموضوع الشائع طبعاً في بلدان فارس في الأدب الجغرافي : لما يلي ، انظر الحاشيتين التاليتين .

آلاف قلعة (١١٦) ، لا تقرب من المدن ، منفردة في جبالها ، كما يقال لنا (١١٧) ، وتوزع على السواحل ، والجزر (١١٨) ، او تحيد عن البنان ، قائمة بذاتها ، او تظل داخل المدن . اذن لا علاقة للحصن في فارس بالمدينة ، واذا كان يشكل احيانا جانبها منها ، فهو يحرص على ان يتميز عنها . وقد تحصن المدينة بقلعة في بعض الاحيان ، او تحمي بها ، لا بالحصن المستقل ذاته . مع ذلك يختلف الامر عند ابن حوقل (١١٩) ، الذي يقول : « واما حصون فارس ، فان اكثر مدنها محصنة بحصون منيعة ، واسوار وثيقة شاهقة عالية ، ومنها حصون داخل المدن وقهندزات ، وحواليها ارباض . ومنها حصون في جبال منيعة ، منفردة عن البنان ، قائمة بانفسها . ومن المدن المحصنة اصطخر وكثة ، والبيضاء ، وقرية الآس ، وشيراز ، وجور ، وكارزين ، وكير ، ودرايجرد وروبنج ، وسميران ، وفسا ، وسابور ، والجنجان ، وجفته (١٢٠) » .

وقطعا تبدو بعض هذه المدن صغيرة ، حتى بتجهيزاتها الدفاعية (١٢١)

-
- (١١٦) الاصطخري ، ٧٣ ، ابن حوقل آخر ٢٦٥ - ٢٦٦ ، ٢٧١ - ٢٧٣ ، المقدسي ، آخر ٤٤٦ - ٤٤٧ (وح ب مع الرقم ٥٠٠) .
(١١٧) الاصطخري ، مشار اليه ، ابن حوقل ، ٢٧٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، آخر ٢٢٧ - ٢٢٨ .
(١١٨) من جملة وظائفها حماية السفن من القرصنة ، وجباية الضرائب على الملاحة : انظر ابن حوقل ، ٢٧٢ وما تقدم فصل ٧ ، حاشية ١١٨ .
(١١٩) ابن حوقل آخر ٢٧١ ، ٢٧٢ (الاصطخري ، ٧٣) ، في الترجمة الجزئية في ج دا ٣ ، آخر ٦١ : هي القاعدة .
(١٢٠) يذكر ابن حوقل باختصار بالغ دفاعات كل مدينة .
(١٢١) انظر الحاشية السابقة ، عن معنى حصن ، انظر ما تقدم ح ٧٤ ، سنتناول بمزيد من التفصيل مفردات الدفاعات في الفصل التالي .

ففيها احيانا تحصين واحد قد يكون قلعة او سوراً . لكن تعتبر بعض المدن الاخرى من اكبر مدن فارس ، بدءاً بشيراز العاصمة . مهما يكن ، يتأخص الوضع الاساسي في ان مفهوم الحصن ، يشمل بأن واحد ، من خلال نفس الالفاظ العرائن المنعزلة المنطوية على نفسها بكبرياء ، ومانا هامة او غير هامة . ويقال ان صورة المدينة الحصينة ترتفع قليلا في النهاية ، عن صورة المدينة العادية وعن دفاعاتها الداخلة في المشهد المدني الكلاسيكي . لكن ينبغي ان نعرف ، اعتمادا على المفردات ، واستنتاجا من احد تفاصيل الوصف ، او من تأكيده على هذه النقطة ، ان المدينة الحصينة هي هنا المدينة — وهذا افضل ما لدينا — التي افرطت بالاهتمام بالتحصين ، بالنسبة إلى المخططات العامة الشائعة ، فجعلت الدفاع عنصرا مميزا ورئيسا ، لا عنصرا عاديا . فالقضية قضية درجة اختلاف في مستوى تحصين المدينة ، لا في طبيعتها .

البنادر والاسواق

ويكرر الكلام ذاته في الحديث عن المراكز الكبرى للتجارة البحرية او البرية ، التي ترفع إلى اعلى مستوى احدى الصفات التقليدية للمدينة ، نعي التبادل التجاري . وقد اشرنا من قبل (١٢٢) في شرح الطرق البحرية ، الى سلسلة البنادر الرئيسة في دار الاسلام ، ولن اعود اليها هنا الا لاستعراض خصائصها الكبرى ، كما وردت في وصفها . فالخاصة الاولى اولوية الموقع ، بمعناه الواسع ، بالنسبة إلى الموضع ، واولوية مقتضيات التجارة ، المتفاوتة بعد مدى العمل ،

(١٢٢) ما تقدم ، الفصل السابع .

بالنسبة إلى الشروط الطبيعية . وينطبق هذا الكلام على بنادر جزيرة العرب ، اذ يقول المقدسي (١٢٣) : « وانما سكنوا تلك المدن لاجل البحر » . وينطبق ايضا على عدن على وجه التخصيص ، المفتوحة على بحار المشرق والزنج ، في وسط صعب جدا ، تسحقه الحرارة ، ويخلو من الماء ، لكنه محمي جدا في النهاية : فقد قص الجبل لوصول هذا البندر بالداخل وصلا محدودا (١٢٤) .

والخاصة الكبرى الثانية ، اهمية المدينة البحرية وحجمها ، ونطاق علاقاتها التجارية . فلدينا من جهة اولى ، بنادر تعد « خزانة المشرق » ، او « فرصة الدنيا » ، او « مجمع تجارة الدنيا » (١٢٥) . ولدينا من جهة ثانية المدن الصغرى التي تشكل مطارج ساحلية لمدن اكبر منها واقعة في الداخل ، والامثلة عليها من جزيرة العرب (١٢٦) غلافقة لزبيد ، والشرجة والحردة وعطنة (١٢٧) لعدن ، وعشار لصنعاء وصعبه ، والسرّين للسروات (١٢٨) .

(١٢٣) المقدسي ، ٩٥ .

(١٢٤) ابن خرداذبه ، ٦١ ، الهمداني ، ١٩٠ ، المقدسي ، ٨٥ .

(١٢٥) انظر ابن حوقل ، ٣١١ ، ٣٢٣ ، المقدسي ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٥ (و ح ز) ، ٩٢ ، ٩٣ (م ج ع ، ٤ ج ، ٣٥٩ ، لفظ نبع) ، ٩٧ (و ح هـ) ، ١٢٨ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢٦ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٧٤ ، وما تقدم ، الفصل ٧ .

(١٢٦) المقدسي ، ٨٦ (انظر أيضاً المرجع ذاته ، ٨٣ ، ٨٤ ، عن ساحل ، انظر م ج ع ، ٤ ج ، ٢٥٨) .

(١٢٧) عن الشكل ، انظر المقدسي ، ٦٩ (ح . م) .

(١٢٨) في الواقع ، منطقة كاملة : الداخل الجبلي (انظر المقدسي ، ٧٠ ، ٩٤ - ٩٦ ، ١٠٣ ، وياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ٢١٧) . تحديد وضع بعض هذه المطارج غير دقيق احياناً : قارن معطيات المقدسي بكورنو ، الأطلس ، المغربيتين ٧ و ٨

والخاصة الاخيرة ، الثروة والحياة المطمئنة وما يصحبها من خفة
وانحلال . وقد اشرت إلى وساوس الشيطان في عدن ، وإلى الارباح
الضخمة المجنية فيها (١٢٩) او ايضا إلى الافتخار بفخامة البيوت في
سيرايف ، بندر فارس العظيم ، في هذا الفصل ذاته . وابرز عدم
اتعاض سيرايف واستمرار انتشار الزنا بكثرة فيها وتعاطيها الربا رغم
انذار الله لها (١٣٠) بزلزلة قلقلتها . فالبندر يشبه المدينة الحصينة من
الناحية الاخلاقية ، ويضخم خصائص المدن . بالاحرى الكبيرة منها .
وهذا ما عبر المقدسي عنه مثلما نذكر (١٣١) بطريقته الخاصة :
« وكل بلد على بحر او نهر فالزنا واللواطه فيه كثير » .

فهل يختلف بندر البحر عن بندر القوافل ؟ الحقيقة ان بعض المدن
تجمع الصفتين ، مثل هرموز في كرمان ، اوديبيل في السند (١٣٢) .
وفي جميع الاحوال ، المدينة السوق ، شأنها شأن البندر البحري ،
رمز الظاهرة المدنية وتضخم لها من ناحية وظيفتها التجارية والرفاهية
المفرطة في الغالب والبقاء . وقد اشير إلى هذا الوضع في متاجر ومطارج
مناطق كثيرة في شرح الطرق الكبرى في دار الاسلام ، ونذكر بها هنا
لبيان مكانتها في المجتمع . وهذه المكانة باهرة بالضبط مادامت المدنية

(١٢٩) انظر ما تقدم ، الفصل ٧ ، عن البحار الشرقية .

(١٣٠) المقدسي ، آخر ٤٢٦ - ٤٢٧ (مذكورة في جغرافية دار الاسلام . ج ٣ .

١٠٥) .

(١٣١) انظر ما تقدم الفصل السادس ، عن قائمة البلدان والمدن .

(١٣٢) ابن حوقل ، ٣١١ (تبعه هرموز في الواقع فرسخا عن البحر : المقدسي ،

٤٦٦ ، ٣٢٣) .

والتجارة تقترنان اقترانا تاما. فيها اكثر من غيرها على الأرجح (١٣٣) .

حياة المدن وزوالها

وقد لا يكون توسع المدينة ، وسرعته ، والتهامه موضعها ، كما المحنا من قبل ، علامة صحة ثابتة على الدوام . فهناك واقع واحد اكيد في الحدا الأدنى : هو أن أحداث احياء جديدة ، في القسقاط مثلا ، ادى إلى انحطاط مساحات اخرى ضمن حدود المدينة ، وإلى زوالها احيانا . وقد يقول قائل أن اختفاء بعض الاجزاء في هذه الحالة ، يترافق مع ظهور غيرها في مكانها ، وهذا دليل على الحياة على وجه الاجمال . الا ان الخطورة البالغة تبدو متى تعممت الظاهرة وخربت المدينة باجمعها ، وزال الناس : فالموت الجزئي ، حتى لو نشأ عنه انتعاش رائع ، ينتهي بالزوال التام .

فאי عجيبة تنجي المدينة من مصيرها المحتوم ؟ فالكواكب تتحكم بالمصائر ، وتنسق الكائنات والنبات مع الارض ، في دور الحياة والموت الكبير السائد في الكون : وهذا ينطبق على المجتمعات البشرية وعلى جميع اشكال الحضارة وغير ذلك (١٣٤) ثم يجب ان نؤكد

(١٣٣) انظر ما تقدم ، الفصل السابع ، المعارض والأسواق ، وابن حوقل ، ٦٦ - ٦٧ ، ١١٩ ، ١٤١ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، آخر ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، آخر ٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٣٧٨ ، ٤٣٢ - ٤٣٣ ، ٤٢٨ ، ٤٤٥ ، ٤٥٠ ، آخر ٤٧٧ ، ٤٩٤ ، المقدسي ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٥ (و. ح. ز.) ٩٧ (و. ح. ه.) ، آخر ١١٩ - ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٣٨ ، ١٩٧ وما يليها ، ٢٣١ ، ٢٧٧ ، ٣٠٢ (و. ح. د.) ، ٣٠٤ ، ٣١٣ (و. ح. د.) ، ٣١٥ ، ٣١٨ - ٣١٩ ، ٣٢١ (و. ح. ز.) ٣٧٨ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ (و. ح. ب.) ٤٠٩ (و. ح. ي.) ، ٤١١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ .

(١٣٤) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ١٥ - ١٦ ، وما تقدم ، الفصل الأول ص ٢٩ وما يليها .

ان الاسلام يسرّ هذه السيرورة في المدن . ويقضي مبدأ الاسلام يهدم ما قبله (١٣٥) - واضيف انه يجدد دوما ما يحدثه - ان نستنتج انه يتصرف تصرف مستهلك مستعجل في ازالة المدن ، على حد قول المقدسي (١٣٦) : « ان امصار العراق بمحدثه ابدا . ينسخ في الاسلام بعضها بعضا . الا تعلم انه كانت الكوفة ، ثم الانبار ، ثم بغداد ، ثم صارت سامراء ، ثم عادت إلى بغداد . وامصار المشرق قديمة ، لا ينقض بعضها بعضا . فان قال قائل: اليست نيسابور هي التي نقضت طوس ، قيل له : لم يكن بطوس مصر قط ، فينسخ . فان قال : ان لم تنسخ طوس ، فقد نسخت مرو ، قيل له قد تحررنا من هذا بقولنا : ينسخ في الاسلام بعضها بعضا ، ونيسابور انما نسخت مرو بمجيء الاسلام » .

بالفعل يعرف الله جميع المدن التي أنشأها او يشاع انه انشأها . فالاغنياء موثوقون ويُقرّضون . ويعدد المسعودي (١٣٧) المدن العظيمة السبع التي احدثت في الاسلام . وهي فسطاط مصر ، والرملة في فلسطين (١٣٨) ، وخمس مدن في العراق : البصرة والكوفة وواسط ومدينة السلام (بغداد) وسر من رأى . ويكفي ان نعود إلى تصانيف

(١٣٥) المقدسي ، ٢٠٧ (ان الاسلام يهدم ما قبله : صيغة واردة مرتين على لسان عمرو بن العاص ، فاتح مصر في عهد الخليفة عمر) .
(١٣٦) المقدسي ، آخر ٢٧٠ - ٢٧١ .
(١٣٧) المسعودي (ت) ، ٤٥٨ - ٤٦٢ .
(١٣٨) عنها ، انظر ما تقدم الفصل الخامس الحصون وآثار اخرى .
(١٣٩) انظر ابن خرداذبه ، ١٧١ - ١٧٢ ، اليعقوبي ، ٢٣٨ ، ابن الفقيه ، آخر ٥٦ - ٥٧ (ترجمة ، ٧٢ ، ح ١) ، ابن حوقل ، ٣٦٢ ، المقدسي ، آخر ١٣٨ - ١٣٩ وما تقدم الفصل الأول ، حاشية ٢٢ .

الجغرافيين لكي نضيف إلى اللائحة فاس والقيروان والمهدية ومدناً كثيرة غيرها . ولو توسعنا في البحث ، ضبعنا لأنه يحتمل ان تكون المدن المستحدثة والامصار في دار الاسلام ، في العديد من الحالات . مدنا وجدت قبل الاسلام ، لكنها بدأت تلعب دورا جديدا - يرمز له منحها نسخة من قرآن الخليفة عثمان - وتحيا حياة جديدة يعبر عنها فعل مصّر ، الذي لا يعني دوما اسس مصرا ، بل حول إلى مصر ، قصبة حضارة اسلامية . يضاف إلى ذلك ايضا ، كما قلنا من قبل ، جميع المدن القديمة التي نسبت إلى الاسلام في اخبار دار الاسلام . وهكذا تستطيل القائمة بطريقة او باخرى ، وتشتمل في النهاية على الموصل ، والري ، ومرو ، ودمشق ، ونهاوند ، وهمدان ، واصبهان وشيراز ، وبلخ ، وسمرقند ، وحتى المدينة ومكة (١٣٩) . وهذا يعني جميع المدن التي تدين للاسلام بحياتها او باجمادها .

وتقرر الكواكب ومشية الله وارادة البشر موقع المدينة الناشئة ، فيدفع ثمن عادل لاصحاب الارض (١٤٠) . ويتدخل السحر في نشوئها احيانا. فقد بنى الاسكندر اسوار اصبهان؟ مرارا كثيرة مربعة ومدورة ، فكانت تتساقط ، إلى ان امر ببنائها على مَجَرٍّ حية (١٤١): وهذه هي احدى الطرق التي يبدو فيها الرسم المتعرج نبلا . ومتى اختطت المدينة ، مثل البصرة ، تنطلق ، فتحدث المنازل والابنية العامة ثم تهدم ، وتشاد من جديد بمواد افضل (١٤٢) . ويصبح

(١٤٠) اليعقوبي ، ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(١٤١) ابن الفقيه ، ٢٦٢ .

(١٤٢) ابن الفقيه ، ١٨٨ .

الارتجال احيانا قاعدة ، كما حصل في سر من رأى . فكلما وصل شاغلون جدد ، كانت مسورات الحكرات تهدم ، وترفع في مكان آخر ابعد من الاول . ولما هدمت ، تمت اقامة المدينة على الجانب الشرقي من دجلة ، ولوحظ ان الجانب الغربي اغنى بالمياه ، فانشأت فيه مدينة جديدة (١٤٣) . وكان المعتصم مهووسا بالبناء ، فاستدعى جيشا من العمال . وكان الخليفة المتوكل يفخر بالعمارة ، فاسس حيا جديدا ، بل مدينة ملكية كاملة ، وقال : « الآن علمت اني ملك ، اذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها » (١٤٤) . الا ان مدينته زالت معه : فلما ولي نجله المنتصر ، امر الناس ان يهدموا المنازل ، ويحملوا النقص إلى سر من رأى ، ففعلوا ، وصار الموقع موحشا ، لا سكان فيه ، والديار بلاقع (١٤٥) .

ويتكرر موضوع زوال المدينة عند المقدسي . فهنا الزوال يبدأ من خرائب القلعة ، وهي علامات مجد ضائع ظاهرة . وهناك يحتاج الخراب الاطراف والاسواق ، والارباض التي تحدد صحتها رقعة مشكوكا بمستقبلها (١٤٦) ، حول ما تبقى من المدينة . ولا يعطي المقدسي اسباب حدوث الزوال او توقعه ويكتفي بذكر الاضرار

(١٤٣) اليعقوبي ، ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(١٤٤) اليعقوبي ، ٢٦٤ - ٢٦٧ .

(١٤٥) اليعقوبي ، ٢٦٧ .

(١٤٦) المقدسي ، ٨٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ - ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣١١ ، ٣١٣ (ح ٥) ، ٣١٩ ، ٣٧٥ - ٣٧٧ ، ٣٩١ (و ح ١) ، ٣٩٢ (و ح ١) ، ٣٩٤ ، آخر ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، آخر ٤١٣ ، أك ٤٢٦ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ واماكن اخرى .

الناشئة عنه كالفوضى ، والبحور ، وعودة البداوة الداهمة (١٤٧) .
ويحرص ابن حوقل على التلميح إلى هذا الانحطاط الذي يقضي على
استبسال السكان المتمسكين بموطنهم ، ويشير إلى عيون انعدمت
الافادة منها ، وإلى انتشار الصحراء والرمل في رقعة بناء المساكن (١٤٨).
لكنه ينفرد عن المقدسي بالتساؤل عن اسباب هذه الاوصاع . فهنا نهر
يخترق حواجزه (١٤٩) . وهناك تطغى السلطة ، فتهدم الاسوار
والابواب ، وتفتح بهذا الاجراء الرمزي ابوابا اخرى لانحطاط
محتمل (١٥٠) . ويظهر البدو في اماكن اخرى (١٥١) . اخيرا يرى
ابن حوقل ، خلافا للمقدسي ، ان انحطاط الاخلاق العام والبغي
والخسد ، كلها شروط تسبق هذا النوع من الكوارث ، ولاتبعة (١٥٢)
على هذا الاساس ، يمكن فعلا ان يكتب ان هذه المدينة او تلك
تتوسع باستمرار ، وانها كل يوم في زيادة (١٥٣) . لكن لا يجوز
البتة ان نغفل في وسط الثلاثية ، مدنا اخرى ، لم تعد مثلما كانت ،
ولا في آخرها ، المدن التي اندرست . اذن ينبغي ان نضيف إلى وصف
المدينة الكلاسيكي — اي المدينة المتمتعة بصحة جيدة ، مثل زرنج

(١٤٧) المقدسي ، ٤٠٨ ، آخر ٤١٣

(١٤٨) ابن حوقل ٧٦ - ٧٧ ، ٨٦ ، ٢٤٣ ، ٣٣٤ ، ٤٣٥ ، ٥٠٤

(١٤٩) ابن حوقل ، ٤١٧ ، ٤٧٨ .

(١٥٠) ابن حوقل ، ٣٣٤ ، آخر ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٤ ، آخر ٣٣٥ ، ٣٣٧ ،

٣٤٤ ، آخر ٤٣٧ ، ٤٩٤ .

(١٥١) ابن حوقل ، ٨٥ ، ٣٦٠ .

(١٥٢) ابن حوقل ، ٨٥ ، عن موضوع الانحطاط العام ، الوارد بكثرة عند ابن

حوقل ، انظر ما تقدم فصل ١ ، آخر خ .

(١٥٣) المقدسي ، ١٦٠ ، ٢٨٠ ، آخر ٢٨٨ .

التي زرنها - تفصيلاً أخيراً اقصد يرى على الابواب ، وهو نص
يعني تقريبا : مايلي : « هل تظفر بي الحياة ام الموت » ؟

بغداد النموذجية في السراء والضراء

لا يجوز اختتام استعراض المدن العام في دار الاسلام ، دون
ذكر المدينة المثل ، التي تشكل افضل رمز بين جميع المدن المستحدثة ،
اي بغداد ، مدينة السلام . فاليعقوبي يخصصها بصفحات عديدة (١٥٤)
دون باقي الجغرافيين ، ويصفها اتم وصف . فهي رمز في نظري ،
وتقع في الاقليم الرابع الذي يعد وسط الدنيا وسرة الارض . وقد
اسست هذه المدينة بامر الخليفة المنصور . لذلك يبدأ اليعقوبي بها وصف
الارض . ويشير إلى انها مفترق طرق بين بحار الشرق وبحار الغرب ،
وبين بلدان العرب والعجم وبين دجلة والفرات . وقد اختارها تدبير
الله منذ الازل . وكان يكفي انتظار الوقت الدقيق الذي يحدده المنجمون
(نوبخت) لوضع حجر اساسها .

فهي سرة الارض . وجعلت مدورة ، ولا تعرف في جميع اقطار
الدنيا مدينة مدورة غيرها ، على حد قول اليعقوبي الجازم . ونقول نحن
بتعقل انها اتقنت نموذجاً كان معروفاً قبلها (١٥٥) ، وتكيفت تكيفاً
عظيماً مع الارادة السياسية لمؤسسها ، الذي يريد بناءها دفعة واحدة ،

(١٥٤) اليعقوبي ، آخر ٢٣٣ - ٢٤٥ ، عن المراجع ، انظر الترجمة ص ٤٣ - ٤٤
ومقالة اساسية ل د . سورديل في ١٢ (٢) ، ج ١ ، ٩٢١ وما يليها .
(١٥٥) انظر المرجع ذاته ، ٩٢٣ ، وابن رسته أيضاً ، ١٦٠ (اصبهان من بناء
الاسكندر مستوية التدوير) ، ابن الفقيه ، ٨٩ (مدينة لم يسمع السامعون بمثلها) ،
١٩١ (رحبات مستديرة لمساجد البصرة) ، وصبره مدورة مثل الكاس ، لا ترى مثلها
على عمل مدينة السلام ، ابرز ذلك المقدسي بصراحة ، المقدسي ، ٢٢٦ (صبره في المغرب) .

دون ان يتعرض إلى مجازفات : فلم يتبدىء بالبناء حتى تكامل له من
الفعلة واهل المهن مائة الف . وقبل وضع الاساس ، ضرب اللبن
العظام المربعة واللبن المنصفة . وشقت قناة ماء للشرب وضرب اللبن
وبل الطين .

ففي وسط الرحبة العظمى القصر ، وإلى جنب القصر المسجد
الجامع ، وحوله دار الحرس . وحول الرحبة ، كما تدور ، منازل
اولاد القصر الاصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده ، وخزانة
السلاح ، وبيت المال ، والدواوين ، وكلها داخل السور . وينتظم
المخطط بعد ذلك انتظاما نجميا نحو ابواب المدينة الاربعة ، التي يدخل
في احدها الفارس بالعلم ، والرامي بالرمح الطويل من غير ان يميل
العلم ولا يثني الرمح . وحول السور فصيل له ابرجة عظام ، وخارج
الفصيل ، كما يدور ، مسناة بالآجر والصاروج . والخنق بعد المسناة
قد اجرى فيه الماء من قناة تأخذ من نهر كرخايا . وبين الباب والباب
سكك . وخلف الخنق الشوارع العظيمة . وجعل لابواب المدينة
اربعة دهاليز معقودة ، لها ابواب ايضا . وعلى كل باب من ابواب
المدينة التي على السور الاعظم ، قبة معقودة عظيمة ، وحولها مجالس
ومرتفعات يجلس فيها ، فيشرف على كل ما يعمل به يصعد إلى هذه
القباب على عقود . قد عملت آزاجا بعضها اعلى من بعض ، فداخل
الآزاج للرابطة والحرس وظهورها عليها المصعد إلى القباب التي على
الابواب على الدواب . ويفهم بسهولة حديث الخليفة ومهندسيه :
فالمقصود تأمين مدينة الخلافة ، واستقلالها الذاتي ، والدفاع عنها ضد
الخارج بالسور ، وضد الداخل ايضا ، ما دام يمكن تعطيل الحركة

على السكك الدائرية في كل لحظة ، باغلاق ابواب خاصة صممت على الجادات الناهبة من القصر إلى الابواب الاربعة (١٥٦) .

وتقع بغداد الاخرى خارج السور الاعظم . فقد قسمت الارياض إلى اربعة ، بين كل بابين ربض ، وقلد للقيام بكل ربض رجل من المهندسين ، الذين طلب منهم ان يكون عرض الشوارع خمسين ذراعاً بالسوداء ، والدروب ست عشرة ذراعاً ، وان يجعلوا من قطائع القواد والجند ذراعاً معلوماً للتجارة بينونه وبتزولونه ، ولسوق الناس واهل البلدان ، وان يبنوا في جميع الارياض والاسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكفي بها من في كل ناحية ومحلة . وفي كل طرف من الجانب الغربي مقبرة ، سوف تنحصر بسرعة كبيرة بين الربض والقرى المتصلة ، حتى ان استحداث البناء استمر دون وضع حل دائم .

ويكاد تفرغ المدينة يكون نموذجياً ، مثل بخارى . فقد عم هوس البناء في البدء لأن كل انسان كان يبني على قطعة او ارض غير مقطعة له . مع ذلك ، يفرض الوسط حدود تتحكم بالمشروع الكامل هنا : فلا تتعلل جميع الامور بالحاجة الماثلة للاستهلاك والانتاج في مدينة الخلافة ، قلب الدولة والامبراطورية ، ولا حجم السكان المتزايد ، والضغط والاستعجال الناشئ عنه . فخلافاً لوضع المدينة المدورة ، المبنية في ارض خالية ومستوية ، اضطرت ابنية الارياض ان تأخذ بعين

(١٥٦) على هذا النحو ، ينبغي فهم ما ورد عند اليقوي ، ٢٤١ (ترجمة ١٧) . ولا تتصل سكة منها بسور الرحبة التي فيها دار الخلافة ، لأن حوالي السور الرحبة كما تدور الطريق » .

الاعتبار المنشآت المقامة قبلها ، مثل الدير العتيق الذي ينزله الجائلق ، رئيس النصارى النسطورية ، ومثل الرحا العظمى التي يقال لها رحي البطريق وكانت مائة حجر ، وشكل الموضع خاصة ، وشبكة الاقنية التي لا تصدق . وعلى وجه الاجمال ، تجاوز اندفاع المبادرات الخاصة العظيم في بغداد الثانية ، ارادة التنظيم ، وجرفها ، واكتسحها . ولدينا برهان آخر في الاسواق . والكرخ اشهرها واعظمها - مادة مقدار فرسخين طولاً وفرسخ عرضاً ، اي احد عشر كم بستة كم - وما تزال تحمل طابع المخططين (١٥٧) : فهي في الحقيقة مدينة تجارية كاملة ، لها احيائها الخاصة ، وفيها لكل جماعة تجار وتجارة شوارع معلومة وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت وعراص ، وليس يختلط قوم يقوم ولا تجارة بتجارة ، ولا يختلط اصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم ، وكل سوق مفردة ، وكل اهل تجارة متفردون بتجاراتهم ، وكل اهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم . وعلى النقيض (١٥٨) ، لا يبدو ان تعدد الانتاج المعروض اقتنع مدة طويلة بالتوزيع الثابت ، بل لا يقال لنا شيء عن هذا الموضوع .

ولم تنته اخبار المدينة الاخطبوطية . فكان لابد لها ان تعبر دجلة ، وتمتد على ضفته اليسرى (الجانب الشرقي) في الرصافة . وجاءت المبادهة مرة اخرى من فوق ، من الملوك الذين وقعوا في حباله التوسع المدني ، ولم يعد لديهم قطائع . وجارت التيار مدينة بغداد الثالثة ، بأسوارها وجوامعها ، وقصورها ، بما فيها قصر الخلافة ، بعد ولي العهد المهدي بن المنصور الذي اختط قصره في الرصافة . ويمضي

(١٥٧) اليعقوبي ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ . بولغ بالأرقام المذكورة : انظر مايلى ، عن ابن حوقل .

(١٥٨) اليعقوبي ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

ردح من الزمن دام بضعة اعوام ، ثم احدثت في الشمال سر من رأى (١٥٩) غريمة بغداد . وفيما عدا المخطط المستدير اعدا التاريخ نفسه في اعداد البناء ، وحشد اليد العاملة ، وتوزيع المهن ، وامر اصحاب القطاعات ان ينوا المباني العامة ، وامتداد المدينة على ضفة دجلة اليسرى وانتقالها إلى اليمنى هذه المرة . وتم ذلك كله بفخامة مذهلة : فعرض الشوارع مائة ذراع بالسوداء ، لثلا بضيق على المتوكل الدخول إلى المسجد اذا حضره في الجمع بجيوشه وجموعه وخيله ورجله . واصبحت سر من رأى بالمعنى الضيق ، مدينة مترامية الاطراف ، تمتد حتى القصور الملكية الجديدة (الجعفرية) المبنية بامر من الخليفة المتوكل ، على مسافة سبعة فراسخ ، اي اربعين كم ، على حد قول اليعقوبي .

لكن لنرجع إلى بغداد . فهي نموذجية بتأسيسها ، ونموذجية باتساعها ، ومع الاسف بالمصير الذي يتهددها ، مثل كثير من المدن الاخرى ، وفي طليعتها سر من رأى التي نازعتها ، وهجرت بعد خمسين عاما ونيف . فمن جهة يدهش المقدسي لجلبة السفن والناس وضوضائهم على ضفتي دجلة (١٦٠) ، ويطري بغداد الممدوحة في الوري ، التي يحلم بها كل حاذق وكل قلب (١٦١) . ومن ناحية اخرى ، يذكر هو نفسه ملاحظة حزينة : « وهي في كل يوم إلى ورا ، واخشى ان تعود كسامرا » (١٦٢) .

(١٥٩) اليعقوبي ، ٢٥٥ - ٢٦٨ .

(١٦٠) انظر ما تقدم ، الفصل السابع ، ص ١٤٥ .

(١٦١) المقدسي ، ١١٣ ، ١١٩ .

(١٦٢) المقدسي ، ١٢٠ (ذكر في ما تقدم ، الفصل الأول ، ص ٣١) . انظر أيضاً المقدسي ، ١٣١ (عن الخلفاء العباسيين : « والآن لا يرون ، ولا يلتفت الى رأيهم » ، ١٩٣ ، ١٩٧ (الفسطاط ناسخ بغداد) .

كذلك يفعل ابن حوقل (١٦٣) ، ويقارن في آخر القرن ٩/هـ م ،
المدينة العظيمة التي كانت تحتل مساحة ثلاثين كم^٢ (١٦٤) على ضفتي
دجلة ، بالمدينة التي شاهدها عيانا ، ويقول : « وبين الجانبين في
وقتنا هذا جسر ... وكانا اثنين لعب المجدازين . ولما بان النقص عليهما ،
عطل احدهما لبيان الاختلال : وهلك اكثر محالها ... وعرضها فقد.
اختل ايضا من الجانبين جميعا نحو خمسة اميال (١٦٥) ، ونقص ،
وهلك منه الكثير » .

لا ريب ان بغداد عاشت على امجادها ، وليست وحدها في هذا
المضمار . لكنها شارفت على الخراب . في جميع الاحوال ، دام
كسوفها مدة طويلة جدا ، إلى ان اعادتها ارادة سياسية اخرى عاصمة .
فهل اصبحت مدينة مختلفة ، ام بقيت على حالها ؟ قطعاً ، احتفظت
بالقليل من آثار ماضيها البعيد . مع ذلك تشبه عددا من مثيلاتها ،
وتثبت ان الزوال لا يحصل دوما ، وان المدينة ، حتى لو توقفت تطورها
يمكن ان تمتعش في وقت لاحق ، اذا بدلت هيئتها ووجهها تماما .
لكن هل عرف هذا الوضع حوالي العام الف ، عندما كان ما نسميه
تاريخنا ، ونحكم عليه كما نريد بالعودة الضرورية إلى الوراء ، ما
زال مستقبلا لابد ان تحياه البشرية ، وبالتالي مستقبلا مبهما .

(١٦٣) ابن حوقل ، ٢٤١ - ٢٤٢ ، (الاصطخري ٥٨ - ٥٩)

(١٦٤) بحسوبة على أساس ٤٣٧٥ جريباً ، وكل جريب ١٣٦٦ م . انظر سوردیل
مشار إليه ، ٩٢٥ مع تقديرات أخرى ، لاسيما ٤٧ كم^٢ (٦,٥×٧٢٥٠ كم^٢)

(١٦٥) أي ١٠ كم : رقم مبالغ به ، نظرا للابعد المعطاة من قبل .

الفصل العاشر

نظرة مفصلة إلى المدن

حددنا من قبل بعض المبادئ التي يحتمل الاعتماد عليها في تعريف المدينة . وننتقل الآن إلى العناصر المكونة لها . ونبدأ بدورها ، لأنها به تنشأ . ونعيد إلى الذاكرة مدينة زرنج وباب الطعام فيها المفتوح على مر الايام على ريف فيه معاش (١) . ففي هذه الظاهرة ترابط تعاوني وثيق ، يبرزه الجغرافيون على الدوام .

المدينة ومزارعها

ونشير ايضا إلى بخارى ، وهي مدينة عظيمة ، تحيط بها قوى متصلة ، يحيط بها كلتها سور يجمع ضمنه بناءها وضياعها الحصبة جدا التي تقدم لها الغذاء باستمرار . ولن اذكر من اشباهها الا بعض المدن المؤقتة . منها بونة على نحر البحر ، وفواكهها وقمحها من باديتها ، شأنها شأن كثير من المدن الصغيرة في شرقي الجزائر (٢) . ومنها

(١) المقدسي ٣٠٦ ، يسمي هذا الباب ناحية .

(٢) ابن حوقل ، آخر ٧٥ - ٧٦ ، آخر ٨٦ - ٨٧ .

نهاوند بكورها المزدهرة (٣) ، ودمشق وغوطتها الشهيرة « باشجارها وزروعها المتصلة » (٤). وأعل اصبهان، أفضلها ، فوصفها يرد في جملة صفحات، يذكر فيها أسماء القرى والضياح ، والأسواق، والأنهار ، وكل ذلك متصل بالمدينة ، ويعيش في ظلها (٥) .

وفي حالات عديدة ، يكتفي الجغرافيون بابرار ظاهرة التدوين وحدها . فبانياس مثلاً، في حوض نهر الأردن الأعلى « خزانة دمشق » (٦) والمهدية خزانة القبروان، وجيان ميرة قرطبة (٧) . ويفصلون المعطيات أحياناً كما بالنسبة إلى بونة مثلاً، وإلى الطائف. فأكثر فواكه مكة منها (٨)، وإلى اردبيل: فكثرة خيراتها من جبل في اذربيجان (القبق) (٩). ولا بد من تخصيص السواحل بإشارة مستقلة : مثل المرافئ الصغيرة في جزيرة العرب الجنوبية (الشرجة ، الحردة ، عطنة) وفيها خزانة الذرة تحمل إلى عدن ، والشحر معدن السمك ينحمل إلى عمان وعدن والبصرة (١٠) وهنالك خاصة دامية أخرى ، نعني قيام الأماكن

(٣) ابن حوقل ، آخر ٣٦٠ .

(٤) ابن حوقل ، ١١٤ .

(٥) ابن حوقل ، ٣٦٢ - ٣٦٦ .

(٦) المقدسي ، ١٦٠ ، إضافة إلى الغوطة قطعاً . حول معنى خزانة انظر م ج ع ،

ج ٤ ، ٢٢٥ .

(٧) المقدسي ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ (ميرة : تموين) انظر أيضاً الكلمة ذاتها عند

المقدسي ، آخر ٣١٨ - ٣١٩ : رستاق استوايرة نيسابور) .

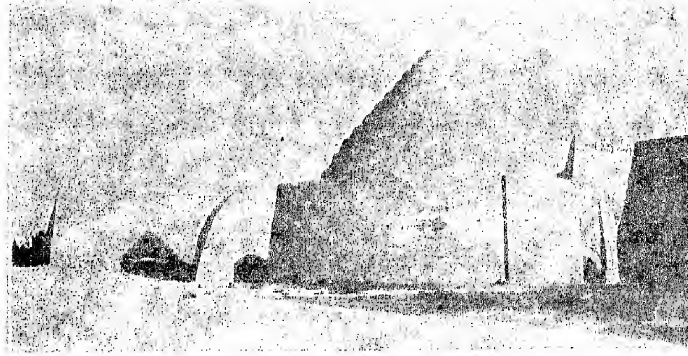
(٨) المقدسي ، ٧٩ .

(٩) المقدسي ، ٣٧٥ ، حول معنى خيرات ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣١ ،

ودوزي ، ج ١ ، لفظ خيرات .

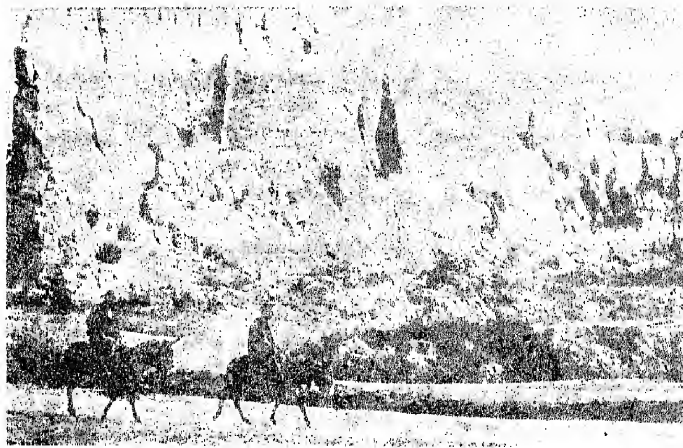
(١٠) المقدسي ، ٨٦ ، ٨٧ (من أجل عدن ، انظر أيضاً المرجع ذاته ، ٨٥) .

من أجل السمك ، انظر أيضاً المقدسي ، ٤٤٦ : شيراز تتمون بالسمك من بحيرة دشت ارزن .



(تصوير ميشيل ستون / رافو)

بيت تلج من القرن ١٣ ، كرمان ، فارس



(تصوير يورت غلين / الأكاير)

الأسوار القديمة في بخارى

البعيدة بتموين مدن مستهلكة كبيرة ، محرومة من المزارع او لا تكفيها مزارعها ، مثل مكة والمدينة التي تهتم بهما مصر (١١) . ويذكر عرضا خشب البناء او الحطب (١٢) . ويشار إلى الماء على الدوام تقريبا .

المدينة والماء

تتحدث النصوص الجغرافية عن الماء دوما تقريبا (١٣) ، سواء طرأ نقص على نوعيتها او كميتها ، ام ازدانت المدينة بضروب سحرها . ويتفهم المرء هذا الامر جيدا ، متى تصور على وجه التخصيص استعمالات المدن الكبرى لها في حاجاتها الاساسية كالغذاء والاستحمام وغسل الاواني والبناء وسقي الجنان ، اضافة إلى المناهل ، والحمامات العامة ، واحواض الوضوء . ويمثل كل هذا الاستهلاك في حالات كثيرة تحديا للمنطقة الجافة التي تقع فيها المدينة .

والوضع خرج إلى اقصى حد ، عندما يحمل الماء من بعيد بالسفن او على ظهور الابل ، كما هي الحال في العديد من بنادر بحر القلزم والخليج العربي (١٤) . وهو يحظى بالرضى ، لكنه غير مأمون العاقبة دوما ، اذا امتعين ، حصرا تقريبا ، بماء المطر ، المخزون في مواجين (١٥)

-
- (١١) المقدسي ، ١٩٣ ، ١٩٥ (ذكر الكعك ، خبز جاف يبقى عاماً) : انظر م.ج.ع ، ج ٤ ، ٣٤١ .
(١٢) ابن حوقل ، ٨٧ ، ٤٩٧ .
(١٣) عن الماء ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، الفصل الثاني .
(١٤) مثال المقدسي ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٥ - ٨٧ ، ١٩٦ ، ٤٢٧ ، وجغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١٣٨ ، ح ٥ .
(١٥) مثال المقدسي ، ١٥٦ ، ٢٢٤ - ٢٢٨ .

وافضل من ذلك ، الآبار (١٦) ، والبحيرة ، والنهر او القناة الفرعية (١٧) والعيون ، البعيدة ، قرب الاسوار او البازغة في قلب المدينة (١٨) . ويجب سحب هذه المياه وتوزيعها وخزنها . ومتى وصلت ، تحفظ في احواض ، وخزانات وصهاريج . (١٩) وتشاهد على طول مجرى الماء قنى من آجر او حديد ، ظاهرة او تحت الارض ، يقال ان بينها وبين وجه الارض ستين ذراعاً احياناً (٢٠) ، وقنى معلقة كما في صور (٢١) .

(١٦) مثال ابن حوقل ، ٧٨ - ٧٩ ، ١٢٣ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧٨ ، ٤٤٥ ، المقدسي ، ٨٥ ، ٩٢ - ٩٣ ، آخر ١٦٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ - ٢٢٧ ، (١٧) مثال ابن حوقل ، ٧٩ ، ٨٤ - ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٢٣ ، ١٧٤ ، ٢٤٢ ، ٢٣٧ ، آخر ٢٨٠ ، ٣١١ ، ٣٣٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٧٩ ، ٤٨٤ ، ٤٨٧ ، المقدسي ، ٩٢ - ٩٣ ، ١٣٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٢٥ ، آخر ٢٣١ - ٢٣٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٤٦٤ .

(١٨) مثال ابن حوقل ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، آخر ٢٢١ - ٢٢٢ ، المقدسي ، ١٤٠ ، ١٦١ ، ٣٨٩ ، ٤١٤ ، ٤٣٤ . تلاحظ احياناً العيون الحارة : ابن حوقل ، ١٧٣ ، ٣٤٠ .

(١٩) مثال ، ابن حوقل ١٧٣ ، المقدسي ، ٨٠ ، آخر ١٦٤ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٢٤ - ٢٢٨ ، ٢٧١ - ٢٧٢ ، ٤١١ - ٤١٢ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ (ح ب) .

(٢٠) مثال ابن حوقل ، ٢١٤ - ٢١٥ ، ٣٨٠ ، ٣١٢ ، ٣٦٩ ، ٣٨٠ ، ٤٢٠ ، ٤٤٦ ، المقدسي ، ٨٠ ، ١٥٥ (شرب حلب من نهر قويق الذي يدخل الى البلد الى دار سيف الدولة في شباك حديد ، حول شباك ، انظر م ج ع ، ج ، ٢٧٠ ، ١٥٦ ، ٢٢٥ ، ٢٧١ - ٢٧٢ ، ٢٧٩) الماء يدخل الى سمرقند في قناة من رصاص فوق الخندق) ، ٣٠٨ ، ٣٢١ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ (ح ا) ٣٩٤ (جعلوا على افواه عيون سيراوند مزملاط واطونيات يتفجر منها الماء : انظر م ج ع ، ج ، ١٨٢ ، ٤٠٩ (ح ي) ، ٤٥٠ (ح ب) .

(٢١) المقدسي ، ١٦٤ . يجب أيضاً ذكر السقا كما في الفسطاط : المقدسي ، آخر ٢٠٧ (يحملون الماء في الروايا ، ويصعدون كل طبقة بنصف دائق مزينة) .

ويدون الجغرافي جودة الماء وعيوبه (٢٢) نقلا عن الرحالة .
 فما أسعد المدن التي تشرب من عيون جميلة وطيبة وعذبة أو من
 أنهار صافية . ونختار منها مثالين . فزريروذ يبهج واحة أصبهان (٢٣)
 وهناك مدينة واقعة وسط آبار، يتعذر سبرها، وفيها من العيون أكثر من
 ثلاث مائة عين جارية، كلها صافية، بـيّن ما تحت مياهها في قعرها
 على أراضيها ، وفيها غير عين لا يعرف لها قرار . نقصد رأس
 العين (٢٤) في الجزيرة، وهي اسم على مسمى ، لأنها العين المثالية ،
 عين الحياة بين كثرة المياه . وعلى النقيض ، الماء وبيء أو مالح في
 قزوين ، وعدن والرملة وهذه المدينة أو تلك في المغرب أو فارس أو
 مكران (٢٥) ... والماء الملاصق للبصرة ، القرية جدا من البحر، غير
 حلو ولا طيب ، لأن بعضه من مد البحر ، ولأن الجزر يحمل إليه
 بلاذات الناس (٢٦) . وماء بخارى ملوث إلى حد كبير ، يدفع فقيه
 اللغة إلى القول بأن أصل اسمها من كوه خوران (٢٧) .

ويلحظ وجود تناقضات مماثلة على كمية المياه . ففي بعض المدن ،
 يشح الماء أو لا يدوم ، كما يحصل في قزوين المحرومة من كرم

(٢٢) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١٥٧ - ١٦٨ .

(٢٣) ابن حوقل ، ٣٦٣ .

(٢٤) ابن حوقل ، آخر ٢٢١ - ٢٢٢ ، المقدسي ، ١٤٠ .

(٢٥) ابن حوقل ، ٣٦٩ ، ٣٨٠ ، المقدسي ، ٨٥ ، آخر ١٦٤ ، ٢٢٦ ، ٤٢٥ ،
 ٤٢٧ ، ٤٧٨ .

(٢٦) ابن حوقل ، ٢٣٧ ، المقدسي ، آخر ١٢٩ ، وجغرافية دار الاسلام ج ٣ ،
 آخر ١٦٣ .

(٢٧) انظر الاحالات في جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، آخر ١٦٥ .

الطبيعة وسرخس في خراسان (٢٨)، والرملة والاسكندرية وتينيس ، وماؤها مخزون في جباب محروسة بشدة ومقفلة ، « تبقي الفقراء عطشى والغرباء في حيرة » (٢٩) . وتتنوع موارد المياه في بعض المدن الاخرى ، وتأخذ من آبار وعيون او من عيون وانهار (٣٠) ، وتكثر في صقلية والاندلس ، وفي فرغانة في الاهواز او شيراز (٣١) . وتشرب دمشق من عين الفيحة الغزيرة (٣٢) ، وطبرية من بحيرتها العذبة الخفيفة المياه (٣٣) . وتجري المياه في سلك سغد سمرقند وميادينها ودورها ، فهي ازكى بلاد الله ، ما تخلو محلة ولا سوق ولا دار من « نهر جار او بركة واقفة » (٣٤) . وبسمرقند ، زيادة على التي مكان يسقى فيها ماء الجسد مسبّل عليه الوقوف ، من بين سقاية مبنية ، وحجاب نحاس منصوبة وقلال خزف مثبتة في الحيطان . (٣٥) .

الابواب والاسوار

وقد تحدث ابن رسته (٣٦) عن تأسيس اصبهان الاسطوري ، وذكر ان ابوابها كانت اربعة ، مفتوحة على مطلع الجدي ومغيبه ، ومطلع السرطان ومغيبه . ثم احدث الناس لها بابا خامسا ، فتحوه على

(٢٨) ابن حوقل ، ٣٦٩ ، ٣٨٠ ، ٤٤٥ .

(٢٩) ابن حوقل ، آخر ١٦٤ ، ١٩٧ ، ٢٠١ .

(٣٠) ابن حوقل آخر ٧٨ - ٧٩ ، ١٢٣ ، ٢٧٨ ، المقدسي . آخر ١٦٧-١٦٨ ،

(٣١) المقدسي ، آخر ٢٣١ - ٢٣٥ ، ٢٧١ - ٢٧٢ ، ٤١١ - ٤١٢ ، ٤٤٩ ،

٤٥٠ (ح ب) .

(٣٢) ابن حوقل ، ٧٤ .

(٣٣) المقدسي ، ١٦١ .

(٣٤) ابن حوقل ، ٣٦٩ ، ٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٣٣ ، ٤٤٥ ، آخر ٤٧٣ - ٤٧٤ ،

المقدسي ، ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩٤ ، ٤١٦ ، ٤٦٤ .

(٣٥) ابن حوقل ، ٤٦٧ .

(٣٦) ابن رسته ، ١٦١ .

«غير حساب ولا قياس نجومى وفلسفى». اذن تحدد عدد مداخل المدينة المثالية المدورة بالرقم الذهبى اربعة ، الاصلي والانتقالي . والواقع انه يتردد هنا وهناك عند الجغرافيين : في بغداد مثلما رأينا (٣٧) وفي غيرها (٣٨) . ويشار ايضا إلى الرقمين اثنين وثمانية ، وحدهما او مصحوبين بلفظ باب في حال وجود سورين او ثمانية (٣٩) . لكنني عدت احيانا ثلاثة ابواب كما في تاهرت او تفليس (٤٠) ، او ستة في ارجان (٤١) وعدن (٤٢) ، واثنى عشر بابا في بلخ او اصبهان (٤٣) وسبعة او عشرة او احد عشر بابا لبخارى (٤٤) ، ووجدت ايضا خمسة ابواب لمدينة زرنج الداخلية (٤٥) ، وثلاثة عشر لارباض زرنج ، وخمسة عشر للقيروان (٤٦) ، وخمسين في السور المحيط ببلاد نيسابور (٤٧) وبابا واحداً فقط هنا وهناك ، لا للسور وحده بل للمدينة ذاتها (٤٨) .

-
- (٣٧) ما تقدم فصل عاشر ، بغداد مثالية .
 (٣٨) ابن حوقل ، ٣٦٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، المقدسي ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣١٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ - ٤٦٥ ، ٤٦٦ .
 (٣٩) ابن حوقل ، ٥٠١ ، آخر ٥٠٣ ، المقدسي ، ٧٧ ، ١٢٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣١٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣٨ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٧٨ .
 (٤٠) اسحاق ، ٤٥١ ، ابن حوقل ، ٣٤٠ ، المقدسي ، ٧٤ ، ٢٩١ ، ٣٧٥ .
 (٤١) المقدسي ، ٤٢٥ .
 (٤٢) المقدسي ، ٨٥ (خمسة ابواب وباب من جهة الجبل : اسحاق ، ٤٣٥ ، يهتم بهذا الأخير فقط) .
 (٤٣) اسحاق ، ٤٤٥ ، المقدسي ، ٣٨٩ .
 (٤٤) انظر ما تقدم الفصل التاسع ، وصف مدينة .
 (٤٥) ابن حوقل ، ٤٨٣ ، وما تقدم ، فصل ٩ ، «المدينة الكبيرة معنوياً وطبيعياً» .
 (٤٦) انظر ما تقدم ، فصل ٩ « وصف مدينة » ، والمقدسي آخر ٢٢٥ - ٢٢٦ .
 (٤٧) المقدسي ، ٣١٦ .
 (٤٨) ابن حوقل ، ٨٠ ، ٨١ ، ٤٥٠ ، ٥٠١ ، المقدسي ، ٢٨٨ ، ٣١٢ ، ٣٥٧ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ .

أنعلق أهمية كبيرة على هذه الأرقام ، ونخص بعضها بمعنى رمزي
شتمل ؟ الحقيقة ان الجغرافيين العرب في القرن الرابع الهجري / العاشر
الميلادي ، الميدانيين منهم على الأقل ، كانوا يهتمون بترتيب الابواب
وتوجيهها ، ودورها في نظام الدفاع عن المدينة : فالباب ليس سوى
قطعة ، لا غنى عنها ، في جهاز يضم مع السور والقلعة ، ما اتفق على
تسميته التحصينات .

وهذه التحصينات بارزة جدا في المشهد المدني ، حتى انها صارت
تجتاحه وتغمره (٤٩) ويتوقع الجغرافي وجودها على الدوام ، ويستغرب
وضع المدينة ، اذا كان سورها غير منيع ، او كانت بلا سور (٥٠) ،
او خالية من القلعة في بعض رسائيق فرغانة خاصة (٥١) . اذن بعض
التحصينات مسيطرة ، عجيبة ، ابوابها رهيبة ، واسوارها متينة ومنيعة
وجميلة النسق (٥٢) . وبعض البنادر ، وهي اماكن استثنائية ، او
عدد قليل منها ، تضطرها بين البحر والبر ، إلى الاكثار من التحصينات
وتنويعها وتجميلها : وهذا صحيح في دربند على بحر قزوين (٥٣) ،

(٤٩) انظر ما تقدم ، فصل ٩ ، المدينة الحصينة .

(٥٠) ابن حوقل ، آخر ٤١٨ - ٤١٩ ، المقدسي ، ١٢١ ، ١٤١ ، ٢٢٥
٢٢٧ ، ٣٠٣ (ح د من ٣٠٢) . يلاحظ ما يقوله ابن حوقل : ٤٣٧ : خارج حصن
هراة جدار يطوف به كله اطول من قامة .

(٥١) ابن حوقل ، ٤٤٦ ، المقدسي ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٥٢) ابن حوقل ، ٣١٢ ، ٣٣٩ ، ٣٥٩ ، ٤٣٧ ، ٤٥٠ ، واماكن متفرقة ، المقدسي
٧٩ ، ٨٢ ، ٣٠٤ ، ٤٣٢ ، ٤٦٤ ، واماكن متفرقة .

(٥٣) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، ٢٦٢ آخرها - ٢٦٣ .

وصور ويافا (٥٤) وبخاصة عكا (٥٥) التي بنى ابو بكر البناء ، جد المقدسي ، على استدارة مينائها حائطا بالحجارة والشيظ على فلق الحمير وصله بسور المدينة ثم جعل على الباب قنطرة تحميها سلسلة حديد في الليل :

ويتبين عدد الاسوار . لكن يبدو ان السور الواحد اعم ، او على الاقل ، يجوز ان يعتبر كذلك ، ما دام التدقيق الاضافي ناقصا ، او عندما يستنتج تلقائيا ، كما في المدن الجبلية مثلا ، المحمية طبيعيا ، ذات الباب الواحد (٥٦) : فمتى شيدت المدينة او ميز بينها وبين رقبها وبين كل الرساتيق التابعة لها ايضا ، عندئذ يرتفع عدد الاسوار إلى اثنين وثلاثة واربعة وخمسة وستة وسبعة (٥٧) . وتتنوع ايضا المعطيات التفصيلية العائدة إلى العناصر التي يتألف منها التحصين ، اذكر منها : مياه الخنادق (٥٨) ، ومواد بناء السور كالحجر والآجر والجص او

(٥٤) المقدسي ، آخر ١٦٣ - ١٦٤ ، ١٧٤ .

(٥٥) المقدسي ، آخر ١٦٢ - ١٦٣

(٥٦) ابن حوقل ، ٨٠ ، ٨١ ، ٣٣٤ ، آخر ٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ،

٣٦٩ وأماكن متفرقة ، المقدسي ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ - ٢٣٥ ، ٢٧٥ ، ٢٨٨ ، ٤٣٨ وأماكن متفرقة .

(٥٧) الأثنين ، انظر مثلا ابن حوقل ، ٣٢٢ ، ٣٤٠ ، ٤٣٧ ، ٤٨٢ - ٤٨٣ ، المقدسي ، آخر ٧٩ ، ٣٥٦ - ٣٥٧ ، ٤٠٨ ، لثلاثة ، ابن حوقل ، ٥٠٨ ، المقدسي ٨٣ لأربعة ، انظر حالة بخارى (ما تقدم ، فصل ٩ ، المدينة الكبرى ، عنويا وطبيعيا ، لخمسة وسبعة ، المقدسي ، ٧٩ و ٢٧٤) انظر مايلى ، ح ٧٧ عن تعريف الحصن .

(٥٨) ابن حوقل ، ٤٨٥ ، ٤٩٣ ، المقدسي ٢٣٢ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٣٠٥ ، ٤٧٩ (سور يشرف على البحر) لاحظ المقدسي ، ٢٧٩ (سمرقند) : ما تقدم ،

ح ٢٠ .

الطين افراديا او مجتمع احيانا (٥٩) والسماكة (٦٠) : وفيما يتعلق
بالابواب ، يحتل تضعيف نظام مراقبة المداخل (٦١) ، ووجود
منجنيقات او جسور تسحب او ترفع كل ليل (٦٢) ، او سرادقات (٦٣)
بجوارها مباشرة ، او استعمال الحديد او الحديد (٦٤) ، وفي النهاية
الشرف (٦٥) ، وفي اعلى جدران القلعة ، صور وحوش وطيور وسباع
ذهب وشمس وقمر (٦٦) .

وتعد القلعة (٦٧) العنصر الاساسي في جهاز التحصين ، والملاذ
الاخير . وللمدينة قلعتان (٦٨) احيانا ، الا ان القلعتين شواذ يؤيد
قاعدة القلعة الواحدة . والقلعة رهبة متعالية تشرف على منظر المدينة (٦٩)

-
- (٥٩) ابن حوقل ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، المقدسي ، ٧٩ ، ٢٢٦ (مكمل بالجيل :
انظر م ج ع ، ٤ ، ٢١٠ و ٣٣٨) .
(٦٠) المقدسي ١٤١ (الرقة بحصن عريض يسير على منته فارسان) (٢٢٦ عرض
سور صبرة اثنا عشرة ذراعا) .
(٦١) المقدسي ، ٧٤ .
(٦٢) المقدسي ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ (مثالان عن الجسور التي ترفع كل ليلة) .
(٦٣) المقدسي ، ٢٩١ (عن السرادق انظر م ج ع ، ٤ ، ٢٥٩) .
(٦٤) لعله يجب التفريق بين باب حديد وباب محدد انظر م ج ع ، ٤ ، ٢١٢)
انظر ابن حوقل ، ٣٦٢ ، المقدسي ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٢٠٠ ، ٢٢٦ ، ٢٨٩ ، ٢٥٧ ،
٤٦٤ آخرها .
(٦٥) شرفة (الجمع شرف) ، شرافة ، شرافية ، وفعل شرف (م ج ع ، ٤ ،
٢٧٣) : انظر المقدسي ، ٤٣٨ (و ١٥٧ ، ١٦٨) جامعا دمشق وبيت المقدس) .
(٦٦) المقدسي ، ٣٦٠ ، آخر ٣٨٠ - ٣٨١ .
(٦٧) تتناوب القلعة في المشرق مع اللفظ الفارسي قهندز .
(٦٨) المقدسي ، ٢٢٩ (فاس مدينة مزدوجة) ، ٤٦١ - ٤٦٢ (احدى القلعتين
في الخارج مع بستين وآبار) .
(٦٩) المقدسي ، ١٥٦ ، ٣١٢ ، ٤٣٢ ، ٤٦٢ (يصعد اليها على الدواب الجبلية
المعتادة على صعودها) .

وتقع في وسطها (٧٠) ، وبها الجامع (٧١) او بيت المال (٧٢) .
ويدور بها سور ، تتفق اتجاهات ابوابه مع اتجاهات المدينة ، وعددها
اثنان او واحد فقط (٧٣) : وقد تلتصق القلعة بالسور (٧٤) ، او
تبتعد عنه بعض الشيء (٧٥) ، او تنتصب في الربض (٧٦) .

ونفرد للحصن شرحا خاصا . فمعناه الحرفي المكان المحمي ،
او على وجه الدقة السور ، وعندئذ ، قد يستحسن ان نميز — والنصوص
الجغرافية غير حاسمة في هذه الناحية — الحصن عن السور : فالسور
جدار بسيط ، لا يصلح للدفاع الا بضخامته ، دون الاجهزة الاضافية
التي تجعله حصنا . مهما يكن ، يجب التذكير بالسور وبعده بالمساحة
المدينية المحصورة ضمنه في معظم الاحيان (٧٧) . ويشار احيانا ،

(٧٠) ابن حوقل ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٥٠٠ ، المقدسي ، ١٤٠ ، ٣٠٤ ، ٤٢٨
(وسط البلد قلعة على تل) ، ٤٦٢ ، ٤٦٥ (نهر يدخل القلعة) .

(٧١) في القلعة (المقدسي ، ١٢٣ ، ٤٦٥) أو ملتصق بها (المقدسي ، آخر ٢٧٦ ، ٤٦٢) .

(٧٢) المقدسي ، ١٥٥ (وخزائن السلطان : يمكن أيضاً محفوظات ومكتبة خزائن :

انظر ما يلي ح ٢٢١) .

(٧٣) ابن حوقل ، ٣٧٨ ، آخر ٣١ ، المقدسي ، ٢٩١ ، ٣١٦ .

(٧٤) المقدسي ، ١٥٦ (لم يشر اليه صراحة ، لكن كمله ابن جبير وياقوت :

انظر المقدسي ، ترجمة ، ١٦٤ ، ح ٨٤) ، ٤٦٢ .

(٧٥) المقدسي ، ٢٩١ .

(٧٦) المقدسي ، ٢٧٣ ، ٣١٦ ، ٤٣٣ ، ٤٦١ .

(٧٧) انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢١٦ ، وابن حوقل ، ٣٦٨ (تصحح الترجمة ،

٣٦٨ قلعة) المقدسي ، ٧٩ (أمج بها خمسة حصون اثنان حجر وثلاثة مدر ، وهي في

جزيرة العرب : اشير اليها من قبل عند الحديث عن عدد الحصون ، المرجع ذاته للجبلة : يسمى

الحصن المهدي) ، ١٢٣ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ (حصن عريض يسير على منته فارسان) ،

٢٣١ (مهم : سجل ماسة عليها سور من طين وفي وسطها حصن) ، ٢٣٤ ، ٢٧٣ — ٢٧٥

(مع مسجد ضمن الحائط أحياناً) سوران كبيرة ، عليها سبعة حصون « بعضها خلف بعض »

أشير إليها من قبل في عدد الحصون (٢٨٨ — ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣١٦ ، ٣٥٦ — ٣٥٧ ،

٤٦٣ ، ٤٦٢ .

باللفظ ذاته ، إلى الاجهزة التي تحدثنا عنها من قبل ، مثالها قصبة
نرماسير في كرمان ، التي لها على احد ابوابها (المسمى بـ) ثلاثة
حصون ، المقصود بها هنا قلاع على الاصح بلا شك ، وتعني معاقل تعرف
باسم « الاخوات » ، واللفظ مشروح بقلاع (٧٨) . وهذه حالة
نادرة ، لكن لها امثالها : ففي مقطع آخر ، فيه اللفظ ذاته ، يعبر
بكلمة حصن عن القلعة الواقعة في وسط البلد (٧٩) . ويقال لنا ان
مزدانكان في خوارزم كبيرة حولها اثنا عشر الف حصن ، لاريب
انها ابراج صغيرة اقيمت في وجه الغارات التركية (٨٠) .

وقد رأينا ان كل هذه الانشاءات فخر للمدينة ووسيلة دفاع
عنها : وهي مثل المدينة ، مقدر لها ان تتوسع وتزدهر او ان تنجو
وتنقرض احيانا . فاذا ارتاب بها جاور او ملك ، ألحق سورها (٨١)
بالخضيض وطمس آثاره ، في حين يترأى عمل الزمن والانحطاط.
الحتمي وراء آثار القلاع والاسوار التي يتكرر ذكرها على وتيرة
واحدة تقريبا في الحديث عن بلدان كثيرة (٨٢) . وهكذا يفرغ وسط
المدينة او تجرد من هيكلها ، فهل تظل مدينة ، وعندئذ ، ما هو الثمن
وكم يدوم بقاؤها ، وما هي ضماناتها ؟

احياء المدينة بدقة

إلى اين نوجه خطانا بعد عبورنا ابواب المدينة ؟ لكن لنفتش في

(٧٨) المقدسي ، ٤٦٣ (و ح و) .

(٧٩) المقدسي ، ٦٢ (و ح ب) .

(٨٠) المقدسي ، ٢٨٨ ، يبدو الرقم هائلا ومبالغا به .

(٨١) ابن حوقل ، آخر ٤٣٧ .

(٨٢) المقدسي ، ٢٧٣ - ٢٧٥ ، ٣١٢ واماكن متفرقة .

البدء عن مخطط ودليل . فمنمن نطلبهما ؟ قطعاً ليس من الجغرافيين : مع أنهم وصفوا دار الاسلام باجمعها فلم يكن بوسعهم ان يهتموا بجميع تفاصيل طوبغرافية المدينة . لا بأس : كنا نود ان يقوموا ولو بدراسة بعض المدن دراسة منهجية وكاملة . ونغتاز احياناً عندما نراهم يتوقفون في منتصف الطريق ، كما فعلوا في وصف مدينة زرنج المذكور في الفصل السابق ، ولاشك أنهم تصدوا له وعلى الوجه الصحيح ، لكنهم لم يذهبوا في وصفهم إلى النهاية ، وامتنعوا عن التفصيل حياً حياً (٨٣) .

لنأخذ نحن الاحياء . فعلى اي اساس يتم تنظيمها بالنسبة إلى بعضها ، واين وكيف ؟ في افضل الحالات ، يذكر حياً يهودياً في بلرمو (٨٤) . ويقول ابن حوقل عن الموصل ان اهلها عرب ، واكثرهم ناقلة الكوفة والبصرة ، ولهم بها خطط : اي قطائع في المدن الجديدة ، وهم موزعون على الاحياء (٨٥) . لكن هذا الكلام خارج على القاعدة . وتكرر قليلاً الإشارة إلى وجود اليهود او النصارى وتقدير عددهم في قابس وبيعت المقدس وديبل او اصيهان (٨٦) : واغرب من ذلك على الأرجح تقسيم مرو إلى ارباع محددة جيداً ، كما يقال لنا ، دون ان يرضى فضوانا (٨٧) .

(٨٣) باستثناء بغداد عند اليعقوبي على الأرجح ، وهي مذكورة بآخر هذا الفصل . وهي مدينة شبه مثالية لكنها باطلة .

(٨٤) ابن حوقل ، ١٢٢ .

(٨٥) ابن حوقل ، ٢١٥ . انظر أيضاً المقدسي ، ١١٧ ، ١٢٦ حي السنة في الكناسة في الكوفة .

(٨٦) ابن حوقل ، ٧٠ ، المقدسي ، ١٦٧ ، ٣٧٧ ، ٣٨٨ .

(٨٧) ابن حوقل ، ٤٣٥ .

والخصيلة العامة ضئيلة المعطيات . وتنحصر الناحية الجوهرية في هذا الموضوع في الاحالة إلى الحرف ، وان كانت لا ترد الا بطريقة غير مباشرة ، في الحديث عن جامع ، يتحدد موضعه بالنسبة إلى احداها . وسواء وجد الجامع ام لم يوجد ، على ماذا تدل هذه الاستشهادات فعلا : على احياء ام على اسواق ؟ لقد سمي ابن حوقل والمقدسي (٨٨) اصحاب المهن التالية ، واحصيناهم عندهما . وهم العوّاجون والنحاسون والقلانسون ، والاساكفة ، والحياون ، والصيارفة ، والشوّاؤون (٨٩) والقصابون ، والحيازون والصاغة والخصافون ، وفي طليعتهم البرازون . ويقترون اسمهم احيانا بإشارة إلى اسواقهم ودكاكينهم ، ولا شيء آخر يتحدث صراحة عن الاحياء ، الا اذا افترضنا ، بلا شطط ، انهم يسكنون حيث يعملون (٩٠) .

الاسواق

تحتل السوق ، بل الاسواق ، حيزا اهم بكثير من حيز الاحياء . وهذا ما نشعر به مسبقا . وقد اشرنا منذ قليل إلى بعض اختصاصاتها . اكن هنالك اختصاصات اخرى كثيرة يعثر عليها هنا وهناك ، واردة على حالها او بمناسبة ما يجاورها ، كالجامع ، كما قلنا ، او ابواب المدينة التي تعطى احيانا اسماءها . وثبت جميع هذه الانشطة وجود حيوية عظيمة ومتنوعة : مثلا اجند في القيروان باب الصرافين ، باب

(٨٨) ابن حوقل ، ٣٢١ ، ٤٣٢ ، المقدسي ، ١٤١ ، ١٧٤ ، ٢٧١ - ١٧٢ ، ٣١١ ، ٣٧٧ ، ٣١٢ ، ٤٠٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ .

(٨٩) دكاكين على حدة ، المقدسي ، ٤٤٠ .

(٩٠) انظر ما يلي الحديث عن اسواق رامهرمز .

الرهادنة ، باب الفضوليين ، باب الصبّاغين ، باب الحواريين ، باب الخاصة في التمارين ، باب اللحامين ، وسوق الرماحين (٩١) ، يضاف إليها هنا سوق الحنطة (٩٢) ، وفي امكنة اخرى سوق الزيت (٩٣) والسّمك (٩٤) والطيور (٩٥) ، او الرقيق . والشاهد عليه السوق التي يذكرها اليعقوبي في حديثه عن سر من رأى (٩٦) .

وينخضع تحديد موضع هذه الاسواق إلى نموذجين رئيسيين . فاما ان تحويها المدن داخل نطاق سورها ، حول الجامع ملتصقة به او على مقربة منه (٩٧) . واما ان تقوم الاسواق في الرّض (٩٨) . ويلحق بهما نموذج ثالث ، تتوزع فيه الاسواق ضمن السور وفي الرّض بأن واحد (٩٩) . في النهاية ، تعتبر هذه النماذج عن حياة المدينة :

-
- (٩١) المقدسي ، آخر ٢٢٥ . عن حواريين ، ورهادنة ولحامين ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٠ ، ٢٥١ ، ٣٤٨ .
 (٩٢) المقدسي ، ٤٢٥ .
 (٩٣) المقدسي ، ١٩٦ .
 (٩٤) المقدسي ، ٤٢٦ .
 (٩٥) المقدسي ، ١٩٨ .
 (٩٦) اليعقوبي ٢٦٠ (فيها الحجر والغرف والحوانيت للرقيق) .
 (٩٧) انظر ما تقدم عن الأحياء ، في الأخير . امثلة اخرى : ابن حوقل ، ٤٤٨ ، ٤٧٦ ، المقدسي ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٣ ، ١١٧ ، ١٣٨ (والبلد ... في ثلثه يشبه حصناً يسمى المربعة . . . ويعرف بسوق الأربعماء ، داخله فضاء واسع) ، ١٢١ - ١٢٣ ، ١٦١ (من باب إلى آخر) ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ٢٢٩ ، ٢٧١ - ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩ وما يليها ، ٣٠٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٧٧ (دليل : اسواقه صليب . . . الجامع على رابية كبيرة) ، ٣٨٩ (ح هـ) ، ٤٢٥ (مصلبة) ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ .
 (٩٨) مثال ابن حوقل ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، آخر ٣٣٨ ، ٣٧٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، المقدسي ، ٨٣ ، ٢٣٤ ، ٢٧٦ ، آخر ٤٦٢ .
 (٩٩) مثال ابن حوقل ، ٦٩ ، ٤١٥ ، المقدسي ، ٢٣٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٣٠٤ ، ٤٣٦ .

تنحط الاسواق مع المدينة ، وتنقرض معها (١٠٠) او ، على النقيض .
تتوسع (١٠١) ، فتغادر داخل المدينة ، وتنتشر في الرض لاسباب
تتعلق احيانا بسعة المكان و احيانا بالاضرار ، او ترجع إلى المدينة من
الرض بامر السلطة الخريضة على حمايتها ومراقبتها وفرض الضرائب
عليها (١٠٢) .

ويعظمها المقدسي ، ويدين مكانتها الرفيعة في المدينة ، فينعثها
بنعوت احصيت ما يقرب اثنتي عشرة صفة منها ، كقوله اسواق
طويلة ، اسواق كبيرة وفسيحة (١٠٣) ، اسواق حسان ، اسواق
نزهة ، سوق نظيفة ، اسواق لبقة ، رائعة ايضا (١٠٤) . وخاصة
ممتازة لأنها عامرة جدا ، ومزدحمة وملينة بالحياة و«نشيطه» (١٠٥) .
على النقيض ، يندد ببعض الاسواق الحاملة ، القلدة ، او المفرطة
بالطول والسيئة التنظيم حتى ان الغريب يفضل فيها ، او الضيقة جدا
كما في شيراز ، حتى ان سير بهيمتين في سوق واحدة فيها مستحيل ،

(١٠٠) المقدسي ، ٤٣٣ .

(١٠١) انظر المقدسي ، ٤٦٤ ، السرجان . . . ، لها سوقان عتيق وجديد ، والجامع
بينهما .

(١٠٢) ابن حوقل ، ٦٩ .

(١٠٣) المقدسي ، ٣٩٠ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ واماكن متفرقة .

(١٠٤) المقدسي ، ١١٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ١٩٦ ، ٢٨٣ ، ٤٠٧ ،
٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٦٦ واماكن متفرقة .

(١٠٥) المقدسي ، ١٢٢ ، ٢٠٣ ، ٣١٨ (ح د) ، ٣١٩ ، ٢٢١ ، ٣٥٦ ،
٣٩٠ ، ٤٠٩ ، ٤٢٦ ، آخر ٤٣٣ - ٤٣٥ واماكن متفرقة ، عن جاد ، حار وسوى ،
انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٠٢ ، ٢١٣ ، ٢٦٧ .

ويزدحم الناس من الضيق في اسواقها ويضطدمون بعضهم ببعض في
جو من الضوء الضعيف القليل الهواء (١٠٦) .

وهكذا تمر امام ناظرينا حياة يومية على مدى اسبوع ، تغلق فيه
الاسواق بوم الجمعة احيانا (١٠٧) : وتذكر ايضا واردات الاسواق .
فسوق عمرو في زرنج في سجستان ، وقف على المسجد الجامع ،
واليسمارستان والمسجد الحرام، وغلة هذه السوق في كل يوم نحو الف
درهم (١٠٨) : وفي اسبيجاف في بلاد سيحون (دسيرواريا)، سوق وقف
غاتها في كل شهر سبعة الاف درهم، يُجسرى بها على الضعفاء الخبز
والادام (١٠٩). وفي الدامغان بين الديلم وخراسان، لهم سوقان، سفلى وعلو،
وقف على رباط افراوة ودهستان ، وابناء السبيل (١١٠) . لكن تكثر
النبد عن البناء . ففي البصرة ثلاثة اسواق هي قطع الكلاء على النهر
والسوق الكبيرة وباب الجامع (١١١) . وفي همدان اسواقهم ثلاثة
صفوف (١١٢) . وفي دير العاقول الاسواق متشعبة وتمتد على
الشوارع المجاورة لها (١١٣) . وفي ارجان سوق الازارين صفوف
مصابة في وسطها الجامع (١١٤) .

-
- (١٠٦) المقدسي ، ٢٨١ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٤٠٩ ، ٤٢٩ . عن عطيف (منفي
هنا) وغام ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٠١ و ٣١١ .
(١٠٧) المقدسي ، ٢٠٥ (مصر) .
(١٠٨) انظر ما تقدم ، فصل ٩ ، « وصف مدينة » .
(١٠٩) المقدسي ، ٢٧٣ .
(١١٠) المقدسي ، ٣٥٦ .
(١١١) المقدسي ، ١١٧ .
(١١٢) المقدسي ، ٣٩٢ ، ٤٢٥ ، عن صف ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٨١ .
(١١٣) المقدسي ، ١٢٢ ، ٤١٢ ، عن متشعب ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٤ .
(١١٤) المقدسي ، ٣٧٧ ، ٤٢٥ .

وقد تسيح المياه في الاسواق . ولا نقصد الماء المخصص لغسلها(١١٥)
بل المسحوب من ساقية او نهر قريين (١١٦) . وتزهو بهجة الاماكن
بفرش الاسواق بالآجر (١١٧) وبعقودها . ويشار إلى السوق المغطاة
على النحو الصحيح (١١٨) ، فهنا سوق كلها خشب (١١٩) ، وهناك
تظلل الاسواق في الصيف (١٢٠) . وفي النهاية تتطور السوق وتصبح
مدينة ضمن المدينة، لها خاناتها (١٢١) وابوابها التي تغلق كل ليلة (١٢٢)

(١١٥) انظر ما تقدم ، فصل ٩ ، بعض التعاريف المقبولة .

(١١٦) المقدسي، ٤٧٩، ٣٨٩، ٣٨١) عن ديبيل، عند مصب نهر مهران ، ورد في
النص ، والبحر يسطع جدارات المدينة . افهم بحر بمعنى النهر الكبير ، المستعمل في
تمبير بحر النيل الذي يشبه به نهر مهران تقليديا ويقترون به : انظر جغرافية دار الاسلام،
ج ٣ ، ١٨٠ ، ٢١٧ - ٢١٨) .

(١١٧) المقدسي ، ٢٩١ .

(١١٨) المقدسي ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، آخر ١٥٦ - ١٥٧ ، آخر ٢٧٧ ،
٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣٧٥ ، آخر ٣٨٨ ، ٣٩٣ .

(١١٩) المقدسي ، ٤٣١ .

(١٢٠) المقدسي ، ٣١٤ ، لا يبين كيفية التظليل .

(١٢١) المقدسي ، ١٣٨ ، ٤٢٨ ، وما تقدم ، فصل ٧ ، المعارض والاسواق.
تقترن كلمة خان احيانا بكلمة قيسارية ، جدها قياسير (من قيسرية) : المقدسي ، ٧٦
(و ح و) ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، م ج ع ، ج ٤ ، ٣٢٤ . د . هوبرت
قيساريات النسيج : تجهيز المدينة ، مجلة الدراسات الشرقية ، ٣٦ ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٧ -
١٣٥ ، دوزي ، ج ٢ ، ٤٣٢ ، ج. سوفاجيه ، حلب ، دراسة عن تطور مدينة سورية
من البدء حتى منتصف القرن التاسع عشر ، باريس ، ١٩٤١ ، م ، ص ١٢٠ - ١٢١ (مذكور
عند س . مغربي ، رحالة المغرب الاسلامي من القرن ١٢ إلى القرن ١٤ ، اطروحة ، باريس ،
١٩٨٦ ، ص ١٩٦) . ا . ريمون ، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن
عشر ، دمشق ، ١٩٧٤ ، مجلدان ، انظر م ١ ص ٢٥١ آخرها - ٢٥٣ - ٢٦٢ - ٢٦٣ .
و د . ج . سورديل ، حضارة الاسلام الكلاسيكي ، باريس ، ١٩٦٨ ، ص ٥٧٦
(١٢٢) المقدسي ، ٤١٣ ، ٤٢٥ (سرق البزازين... وهو صفوف مصلية) .

وشبكة شوارعها (١٢٣) ، ومدخلها الخاصة بتيّسات مغطاة (١٢٤) .
 باختصار ، متى كانت جميع الاسواق منتظمة ، تسجر الالباب ،
 وتزداد فتنّتها عندما تزين في اعياد الكفرة (١٢٥) . ولشرك المقدسي
 يحدثنا في الختام عن رام هرمز في خوزستان (١٢٦) : « رام هرمز ...
 بها وجامع بهي عنده اسواق في غاية الحسن ، بناها عضد الدولة ،
 ما رأيت اعجب منها ، نظيفة ، طريفة ، قد زوقت ، وبربقت (١٢٧) ،
 وبلطت ، وظللت ، وجعل عليها دروب تغلق في كل ليلة ، يسكنها
 البزازون والعطارون والحصارون (١٢٨) . وفي سوق البزقياسير
 حسنة » (١٢٩) .

الجامع

المسجد الجامع يسترعي الانتباه في المدينة لاول وهلة دون سائر
 ابنتها . وهذه ناحية بديهة . ويختار له افضل مكان في وسطها ، هو
 والحرف والاسواق التي استعرضناها منذ قليل . ويعطى احيانا تفصيل
 يحدد بدقة هذا الموضع او يبرزه ، مثل شبكة الازقة التي يندرج
 فيها (١٣٠) ، او على النقيض ، الميدان الفسيح الذي ينتصب فيه (١٣١)

-
- (١٢٣) المقدسي ، ٤٢٦ .
 (١٢٤) المقدسي ، ٢٧٧ ، عن تيم . انظر أيضاً المرجع ذاته ، آخر ٢٧٢ في
 نص أقل صراحة ، م ج ع ، ٤٤ ، ١٩٩ ، ٢٨١ .
 (١٢٥) المقدسي ، ٤٢٩ (شيراز) البهجة مخففة لأن الأعياد وثنية (مجوسية بلاريب).
 (١٢٦) المقدسي ، ٤١٣ .
 (١٢٧) عن فعل بريق ، انظر م ج ع ، ٤٤ ، ١٨٦ - ١٨٧ .
 (١٢٨) حصارون ، انظر م ج ع ، ٤٤ ، ٢١٥ ، ودوزي ، ج ١ ، ٢٩٥ .
 (١٢٩) قياسير .
 (١٣٠) المقدسي ، ٨٤ ، ٣٥٦ ، ٣٩٣ ، ٤٢٨ .
 (١٣١) المقدسي ، ٤٦٢ .

قرب السوق، او ايضا وقوعه في معزل بين سوقين قديمة وجديدة (١٣٢).
 لكن يمكن ان يتميز الجامع بمواقع طريفة . فقد يظل ضمن نطاق المدينة
 ويقوم على حافة نهر او قناة (١٣٣) وعلى باب من ابواب المدينة ،
 او على البحر الذي يحدها من تلك الجهة (١٣٤) . وتكفي خطوة
 اخرى ، لكي يغادر الجامع المدينة ، وينتقل إلى الرض (١٣٥) ،
 خارج البلد في وسط البساتين (١٣٦) . وهناك حالات خاصة تتمثل
 في المساجد الصغيرة التي تلتصق بجدار القلعة او تحتمي بداخلها (١٣٧) ،
 يقابلها الجامع الذي يثبت على رابية داخل نطاق المدينة او خارجه (١٣٨)
 او في وسط السوق (١٣٩) . اخيرا تتكاثر الجوامع في المدن المزروجة
 خاصة (١٤٠) وفي الامصار الكبيرة على وجه الدقة (١٤١) .

-
- (١٣٢) المقدسي ، ٤٦٤ (انظر المرجع ذاته ، ٣٥٦ : طريقة الجامع كأنه حصن
 وسط الأسواق) .
 (١٣٣) المقدسي ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٣٢ (ح ز من ٣٢١) ، ٤٦٥ .
 (١٣٤) المقدسي ، ٨٣ ، ٨٥ آخرها - ٨٦ ، ٩٢ ، آخر ١٤١ ، آخر ٢٩١ ،
 ٣٥٩ ، ٤٠٨ ، ٤٢٦ ، ٤٦٦ .
 (١٣٥) ابن حوقل ، ٤٣١ واماكن اخرى ، المقدسي ، آخر ٧٩ ، ٨٥ ، آخر
 ١٤٠ ، ٢٧٢ ، ٣١٦ ، ٣٧٦ واماكن متفرقة .
 (١٣٦) المقدسي ، ٤٣٣ .
 (١٣٧) ابن حوقل ، ٤٨٣ ، ٤٩٣ ، المقدسي ، ١٢٣ ، ٢٣١ ، آخر ٢٧٦ ،
 ٣٢٢ (ح ز من ٣٢١) . يتضح الحرص على الحماية أيضاً أكثر من ذلك ، عندما يؤكد
 ان الجامع - احيانا مع ابنية اخرى والمدينة بأجمعها - محصور ضمن التحصين (في الحصن):
 مثال المقدسي ٨٦ ، ٣٧٣ - ٢٧٥ ، ٢٩١ .
 (١٣٨) المقدسي ، ١٣٩ ، ٢٩٢ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٤٢٧ ، آخر ٤٢٨ ، ٤٣٤ .
 (١٣٩) المقدسي ، ٧٩ .
 (١٤٠) مثال ابن رسته ، ١٦٣ ، ١٨٧ ، المقدسي ، آخر ٧٩ ، ٢٢٩ ، ٣١٠ .
 ٣٥٩ ، آخر ٣٩٣ ، ٤٢٧ .
 (١٤١) انظر ما تقدم ، فصل ٩ ، المدينة الكبرى معنوياً وطبيعياً .

يلاحظ حتى الآن ان موقع الجامع يدل على اهميته ، لكن ليس مثل وصفه بالذات . فهنا نقع في حيرة ، متى اقدمنا على الاختيار . ونود قبل ذلك ، ان نذكر بعض الصفات العامة المنعوتة بها الجوامع . فالجوامع حسنة ، بهية ، غنية ، مليئة بالسحر والبهجة والحيوية ، تغسل بماء وافر ، واسعة (١٤٢) . بالمقابل بعض الجوامع شعث (١٤٣) وروادها قلائل . وهنا يشرح المقدسي بسرد بعض الهنات . فيقول عن اهل الري: ائمة الجامع عندهم مختلفة يوم للحنفيين ويوم للشافعيين (١٤٤) وفي مصر ، يكثر ان الاشارة في الصلاة ، والنخع والمخاط في المساجد ، ويجعلونه تحت الحصر (١٤٥) . وفي الاهواز ، ليس لجامعها حرمة ، وذلك انه ابدا مملوء بخلق لا يبالون بواجب ديني ، يتعدون اليه ، ويجتمعون فيه ، وهو بيت الشحاذين ومركز للفاسقين (١٤٦) .

ونلقي نظرة عامة اخرى على الترتيبات الخارجية ، كالاقنية والانهار المشار اليها من قبل (١٤٧) ، والدرج ينزل عليه إلى الجامع احيانا (١٤٨) او يصعد اليه في اغلب الاحيان (١٤٩) ، وفي الملحقات

-
- (١٤٢) المقدسي ، ١٥٩ (ح د) ، ١٦١ ، آخر ١٦٢ ، ٢٠١ ، آخر ٢٠٣ (مصر مثالية بنسبة التردد على الجوامع ، لكنها منتقدة من جهة اخرى انظر ماييلي) ، ٣٠٢ ، ٢٨٩ ، ٢٨٣ (ح د) ، آخر ٣٠٥ ، ٣١٤ (ح د من ٣١٣) ، ٤٠٧ ، ٣٩٣ (عن سوي) ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٦٧ (٤٣٥) واماكن متفرقة .
- (١٤٣) المقدسي ، آخر ١٤١ ، ٣٢١ ، عن شعث ، انظر م ج ع ، ٣٧٤ ج ٤ ، (١٤٤) المقدسي ، ٣٩١ ، انظر أيضاً المرجع ذاته ، ١٠٢ .
- (١٤٥) المقدسي ، ٢٠٥ .
- (١٤٦) المقدسي ، ٧ انظر أيضاً المرجع ذاته ، ٤٢٩ ، ٤٤١ (ح ا) .
- (١٤٧) اصف ، المقدسي ، ٣٥٩ ، ٤٦٦ : مياه جارية في الجامع ذاته .
- (١٤٨) المقدسي ، ٣٠٢ (ح د) .
- (١٤٩) المقدسي ، ٤٢٧ - ٤٢٨ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٦٣ .

القريبة منه ، هنا حياض الوضوء (١٥٠) ، وهناك أروقة معقودة تؤمن الاتصال بالمدينة والأسواق (١٥١) ، وهناك أيضا المطاهر (١٥٢) ، وهناك روضة مشجرة على باب الجامع (١٥٣) ، أو حتى كنيسة إلى جنبه ، كما في ارمينية (١٥٤) . لكن لا تعطى عن الجامع صورة عامة حقيقية دون وصف المنارة ، التي تفتخر بها المدينة (١٥٥) والمسجد . فمضى خرجت المنارة عن المؤلف ، قيل عنها انها بهية ، بل عجيبة ، محكمة ، مربعة او مستديرة ، من حجر او طين او آجر ، ومطلية بالصفير او مزينة بالفسيفساء (١٥٦) . وعلى رأسها احيانا اعمال من الخشب دقيقة ، منها ما يدور ، مثلما يقال (١٥٧) .

وللجامع احيانا صحنان (١٥٨) بينهما سقيفة (١٥٨) ، قد يزدانان

-
- (١٥٠) المقدسي ، ١٢٩ (مياضي بالكري في العراق خلافا لروح الخدمة العامة أو العمل الصالح . عن بالكري ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٤٠) .
(١٥١) المقدسي ، ٣٥٩ مثلاً (.
(١٥٢) المقدسي ، ١٨٢ (مطاهر : استعمال عام في الشام : على ابواب الجوامع الكبرى وفي الأسواق ، مما يسمح في هذه الحالة فيما يبدو بالغاء معنى حياض الوضوء .
(١٥٣) اشجار مسماة للشبه بالواق واق : المعقدي ، آخر ٢٧١ ، ٢٩٧ (انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٧٩ ، ح ٢) هذه الأشجار واقعة في الزيادة (م ج ع : ج ٤ ، ٢٥٦ Propylaeum templi) .
(١٥٤) المقدسي ، ٣٧٧ .
(١٥٥) انظر ما تقدم ، فصل ٩ ، « بعض التعاريف المقبولة » .
(١٥٦) المقدسي ٩٢ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٨٢ (المناير المربعة خاصة بالشام) ، ١٩٩ ، آخر ٣٠٥ ، ٣١٢ ، آخر ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ . يشار الى الجاحظ (١) ، ورقة ٢٩ : التأثيرات النصرانية في منارة جامع الكوفة .
(١٥٧) المقدسي ، ٤٦٤ قارن بما سيقال فيما بعد عن زخرفة المحراب .
(١٥٨) المقدسي آخر ٤٣١ (صحنان موصولون بثقيفة . عن ثقيفة انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٦١) .

بشجرة او اثنتين او ثلاث : عناية ، تينة ، نخلة ، ليمونة (١٥٩) .
وجامع عكا كبير فيه غابة زيتون تقوم بسرجه وزيادة (١٦٠) . وفي
الصحن ايضا صهريج (١٦١) ومصلى (١٦٢) . اما الارض فمرصوفة
عادة ، ويمكن ان نستخلص هذا الرصف من بعض التدقيقات المعطاة
التي يبدو انها تدون بعض الغرائب كالفسيفساء (١٦٣) او الحصى (١٦٤)

وتتنوع مواد بناء الجامع ، فتشمل الحجر والطين والآجر ،
منفردين او مجتمعين . وتكسى بالحص الرتيب او المزخرف ، او
بالخشب المخرم او الرخام (١٦٥) ... والتنوع مماثل في مواد بناء
اساطين الجامع فهي من حجارة موصلة او طين او آجر ، وبعضها
من خشب او من حجارة سود إلى قامة ، او مبيضة ببيض ، مدورة
احيانا كما في الشام او فارس ، ومزينة ان امكن ، بزخرفة اضافية ،
مثل الساج او التحف الفنية ، كالبقر الموضوع على رأس اساطين
احد الجوامع ، الذي ذكروا انه كان في القديم بيت نار (١٦٦) .

(١٥٩) المقدسي ، ١٤١ ، آخر ١٦١ ، آخر ٣٥٩ .

(١٦٠) المقدسي ، آخر ١٦٢ .

(١٦١) ابن رسته ، ١١١ .

(١٦٢) المقدسي ، ١٤١ : مسجد معلق على عمود ، قرب اشجار الصحن .

(١٦٣) المقدسي ، ١٧٥ (بالنسبة إلى عمان في الحاشية ي : الفسيفساء في القاعة لا في
الصحن) .

(١٦٤) المقدسي ، ١٦١ (طبرية) ١٨٢ (عن الشام : ولا ترى الحصى الا في صحن
جامع طبرية) ، ٤٣٨ (مدينة في فارس) .

(١٦٥) المقدسي ، ٣٠٢ (ح د) ، ٣٥٧ ، آخر ٤٣١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٧٩ ،
واماكن متفرقة . عن ياناظ (المقدسي ، ١٣٨ ، ٣١٠) ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٣ -
١٨٤ : حجر كالرخام لكنه لين .

(١٦٦) المقدسي ، ١١٧ ، ١٦١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٣١٤ (وح د من ٣١٣) ،
٣٧٥ ، آخر ٣٨٨ ، ٤٠٧ ، ٤٣٠ (وح ك) ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ ، ٤٧٩ ، واماكن
متفرقة .

وبيت المال في الجامع ، في صحنه أو في قاعة الصلاة الكبيرة . وهذا تقليد اتخذه بنو امية بمصر وغيرها . وهو بناء صغير مرفوع باساطين حجارة ، يصعد اليه بسلم يمكن اخفاؤه (١٦٧) . لكن يتضح ان الانظار تتجه ضمن الجامع إلى المحراب الذي يحدد اتجاه مكة ويثير الاعجاب اذا زين ، كما في صحار في جزيرة العرب ، حيث المحراب بلولب يدور ، تراه مرة اصفر ، وكرة اخضر ، وحينئذ احمر (١٦٨) . ومن دواعي الاعجاب ايضا المقصورة (١٦٩) ، والمنبر والقبّة . باختصار الجامع نطاق الايمان وتعبير جماعي ورسمي عنه . فلتزره في بعض اشهر مبانيه الفخمة .

شهرة الجوامع الكبيرة

يُعَدُّ المقدسي جغرافي الجوامع . فقد فاق سائر الجغرافيين في وصفها ، ودوّن بمزيد من الاهتمام والانتظام موضع بناءها في المدينة وخصائصها ان وجدت ، ولم يحارّه احد منهم في هذا المجال . اذن من الطبيعي جدا ان نعود اليه ونسأله عن الجوامع الكبيرة في دار الاسلام . ويبدو جوابه بديها . فهو يبدأ بمكة والمدينة ، ويضيف ان العظمة هنا ، في قلب دار الاسلام ، يجب فهمها في جميع الاتجاهات ، اذ تؤخذ بعين الاعتبار سعة الاماكن ، والتردد عليها ، واعتناء

(١٦٧) ابن رسته ، ١١٦ (والترجمة ١٣١ ج ١ ، مصر) ، الاصلطخري ، ١٠٩ (وابن حوقل ، آخر ٣٣٢ - ٣٣٩ ، الترجمة ٣٣٢ ، ح ٦١٠ . من أجل برذعة في الران : تقليد اموي متبع في مصر وغيرها) ، المقدسي ، آخر ١٥٧ (دمشق) ، ١٨٢ (الشام) .

(١٦٨) المقدسي ٩٣ ، انظر أيضاً ابن حوقل، آخر ٤٨٩ (محراب مزين بلا تدقيق).

(١٦٩) المقدسي ، ١٥٩ ، ٣٩٤ (شائق ورائع) .

المعماريين والمزخرفين بها . لكن لا يستنفد وصف هذين المكانين المقدسين روحانية الجامع . لتأخذ بيت المقدس من بين الاماكن الرفيعة الشأن . فوصف المسجد الاقصى وقبة الصخرة يستغرق حوالي خمسين سطرا في كتاب احسن التقاسيم (١٧٠) ، يقابلها حوالي اربعين لمكة (١٧١) ، وخمسة وثلاثون للمدينة (١٧٢) . ولا شك ان المؤلف ابن بيت المقدس ، الا ان هذا لا يعلل كل شيء . ففي المحال الاخرى ، يجتذبه الجامع ايضا ، ويفتنه ، ويستوقفه طويلا احيانا ، لكي نعلم نحن من مصنفه اين تقع هذه الجوامع الكبيرة التي نفتش عنها .

اذن مكة خطط حول الكعبة . والكعبة في وسط المسجد الحرام . وفيه باب الكعبة ، وتقع عن الارض نحو قامة ، وعليه مصرعان ملبسان بصفائح الفضة قد طليت بالذهب . والحجر الاسود على الركن الشرقي . وفيه برز زمزم تقابل الباب ، والطواف بينهما . وفيه اثر قدم ابراهيم . وقد فرش الطواف بالرمل والمسجد بالحصى . وادير على حافته اروقة ثلاثة على اعمدة رخام . وقد البست حيطان الاروقة من الظاهر بالفسيفساء ، حملها اليها صنائع الشام ومصر . وترى اسماؤهم عليه . وقد احاط بالطواف اميال من الصفر ، وخشبات فيها قناديل معلقة ، ويجعل فوقها الشمع . ويحتفظ المسجد الحرام من

(١٧٠) المقدسي ، ١٦٨ - ١٧١ .

(١٧١) المقدسي ، ٧١ (س ١١) - ٧٣ (س ١١) و ٧٤ (س ٣ - ٥) . بقصة اسطر اخرى اذا أضيفت منى وعرفة (المرجع ذاته ، ٧٦ ، ٧٧) .

(١٧٢) المقدسي ، ٨٠ - ٨٢ .

خلال تجميلاته وصادقاته والايان بالافعال والرموز ، بتقلبات تاريخ
البشر لاسيما بثورة عبد الله بن الزبير (١٧٣) .

والمسجد في المدينة ليس بالكبير ، وعلى عمل جامع دمشق .
بناه الوليد بن عبد الملك وتبارى الخلفاء من عمر بن الخطاب إلى المهدي
بتوسيعه وزيادة الاساطين عليه وتكبير صحنه . وهو مقدس ، فيه
اضرحة الرسول وابي بكر وعمر ، ومنبر النبي وسط المغطى . ويعدّ
مسجدا استثنائيا ومتميزا على الدوام . وروى ان معاوية الخليفة الاموي
امر بحمل المنبر إلى جانب المحراب كسائر المنابر . فلما اخذوا في
نقله تزلزلت المدينة ، واقبلت الصواعق ، وادركوا فورا انه لا يجوز
مس المقدسات ، فترك في مكانه ، وعمل له غلاف في روضة مرخمة .

وقد اشرنا عرضا منذ قليل إلى مسجد دمشق ، بل إلى مسجد
الشام على حد قول المقدسي (١٧٤) : فمن رسومهم المنابر المربعة ،
وبيت المال في المغطى او الصحن معلق على اعمدة ، وسقوف المغطى
المجمل ، والصحن المرصوف — ما عدا طبرية — والابواب بين
المغطى والصحن — الا اريحا — والقناديل المعلقة بسلاسل والموقدة على
الدوام (١٧٥) . ويشتهر هذا النموذج في جوامع دمشق وبيت المقدس
على الاجمال او في احد تفاصيله ، ويعثر عليه ايضا في المدينة ، وفي
شيراز او اصطخر في فارس (١٧٦) .

(١٧٣) انظر هـ . ا . ر . جيب ، ١٣ (٢) ، ج ١ ، ٥٦ - ٥٧ .

(١٧٤) المقدسي ، ١٨٢ ، عن بيت المال ، انظر أيضاً المرجع ذاته ، آخر ١٥٧

(١٧٥) « مثل مكة » .

(١٧٦) المقدسي ، ٤٣٠ (و ح ك) ، ٤٣٦ .

ونود الآن ان نستعرض هذه التفاصيل بدقة . لكن نذكر اولاً ان الخليفة الوليد بن عبد الملك جمع لبناء جامع دمشق (١٧٧) حذاق فارس والهند والمغرب والروم ، ولعله اروع جامع في دار الاسلام . ويسترعي الانتباه فيه حيطانه التي رفعت قواعدها بالحجارة الموجهة وجعل عليها شرف بهية ، وقبته الكبيرة التي على رأسها ترنجة (١٧٨) فوقها رمانة كلاهما ذهب . وله اربعة ابواب تؤدي إلى صحن ، بلط جميعه بالرخام الابيض ، واديرت عليه اروقة باعمدة . وفيه روعة يتميز بها ، تمثل في الفسيفساء التي تزين حيطانه من الداخل ، وترصع الشرافيات وقناطر الاروقة ، وحيطان بيت المال المقام في صحنه على ثمانية اعمدة ، وأحد منابره . ويعبر المقدسي عن اعجابه بهذه الكلمات : « في المذهبة صور اشجار وامصار وكتابات على غاية الحسن والدقة ولطافة الصنعة ... فترى الجدار كله ذهباً يقدر » . ويرى الناظر في قاعة الصلاة الكبرى اساطين اعمدة سودا ملسا ، ويجول بطرفه على حيطان الرخام المجزع المذهل ، ويرفع لحظه إلى داخل القبة ، ويبصر المحراب ، فيه وحوله ، فصوص عتيقية وفيروزجية (١٧٩) . لكن الا يكاد البذخ يندد به حتى لو في بناء جامع ؟ هذا السؤال طرحه المقدسي على عمه : يا عم لم يحسن الوليد حيث انفق اموال المسلمين على جامع دمشق ، ولو صرف ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورم الحصون

(١٧٧) المقدسي ، ١٥٧ - ١٥٩ (والحوادث) ، الترجمة ، ١٦٨ - ١٧٤ .

(١٧٨) ترنجة ، حرفياً كبادة (عن غموض مفردات الحمضيات ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٤٧ ، ح ٢) .

(١٧٩) يوجد أيضاً محراب آخر (المقدسي ، ١٥٨) خاص بالسلطان اصغر وأقل جمالا ، وكان قد تشعث وسطه فرمم حتى عاد الى ما كان .

لكان اصوب وافضل . فاجاب العم : الوليد رأى الشام بلد النصرارى وبيعها ، فلم يكن يسعه الا ان يتخذ للمسلمين مسجدا جعله احدى عجائب الدنيا (١٨٠) .

وتنتظرنا فلسطين بعد دمشق . ونبدأ بقصبتها الرملة (١٨١) . فجامعها ابنى وارشق من جامع دمشق ، ويسمى الابيض ، ليس في الاسلام اكبر من محرابه ، ولا يعد منبر بيت المقدس احسن من منبره . وله منارة هبة . وارض المغطى مفروشة بالرخام ، والصحن بالحجارة المؤلفة . وابواب المغطى من الشربين والتنوب مداخلة محفورة حسنة جدا . وقد دفع إلى بنائه الحرص على تثبيت الاسلام حيال النصرارى ، الذين اخذت منهم اعمدة رخام كانت مدفونة استعدادها لكنيسة بالعة ، ثم اظهروها بعد تهديدهم بهدم كنيسة اللد (١٨٢) .

وننتقل الآن إلى بيت المقدس « والحرم الشريف » (١٨٣) . واساسه من عمل داود ، وقد بنى عليه عبد الملك المسجد الذي كان احسن من جامع دمشق . لكن جاءت زلزلة (١٨٤) ، فطرحت المغطى ، الا ما حول المحراب . فلما بلغ الخليفة المهدي خبره ، وهو

(١٨٠) عن الخصومة المشار اليها وعن عجائب الدنيا ، انظر ما تقدم فصل ١ ، « الاسلام وريث مستقر » ، وفصل ٥ ، « القصور وآثار اخرى » .

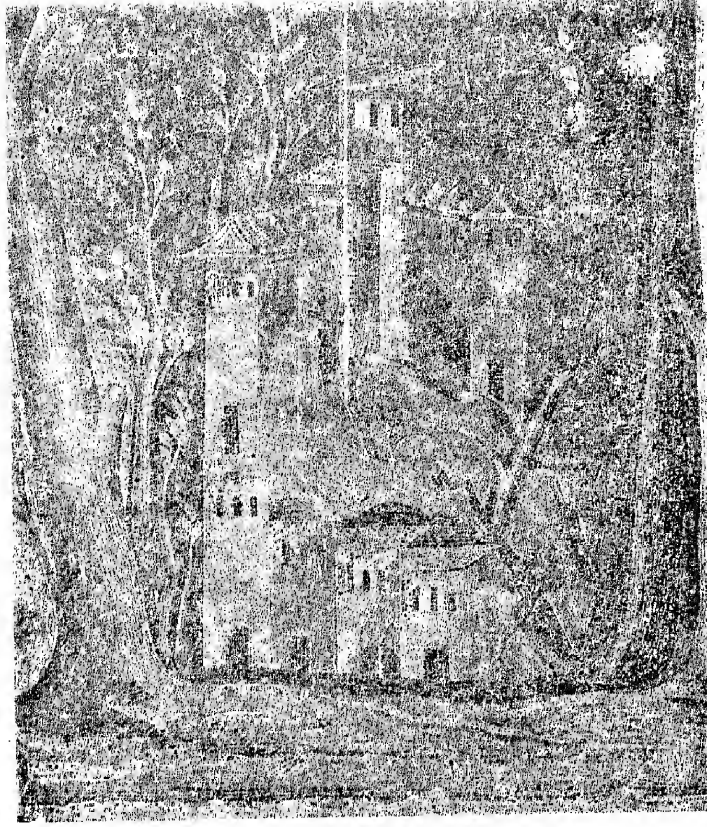
(١٨١) المقدسي ، ١٦٤ - ١٦٥ .

(١٨٢) اشير اليها من قبل ، فصل ٤٤ « حوالى العام الف » ، في الآخر .

(١٨٣) المقدسي ١٦٣-١٧١ الترجمة ١٩٠-١٩٧ (وح ١٨١ - ٢٠٨) .

(١٨٤) في عهد العباسيين : سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٨ ، ثم حوالى ١٦٠ هـ / ٧٧٧ ،

يقصد المقدسي هذه الزلزلة الأخيرة لما يقال بعد ذلك : حكم الخليفة المهدي من ٨١٥٨ هـ / ١٧٧٥ الى ٨١٦٦ هـ / ٨٧٨٥ .



منشورات الفن . البير سكيرا ، ش م . جنييف
الجامع الكبير بدمشق : فسيفساء الحائط الغربي في المصحف
(المصدر : الرسم العربي ، نص ريشار إيشنهاوزن ، جنييف ، البير سكيرا
(«سكيرا / فلا ماريون ») ، ١٩٧٧) .
(تصوير موريس باي ، أولتن)

المشار إلى سخائه في توسيع بناء جامع المدينة ، وقيل له ان بيت مال المسلمين لا يفي برده إلى ما كان ، امر امراء الاطراف وسائر القواد ان يبني كل واحد منهم رواقا ، فبنوه اوثق واغلاظ صناعة مما كان . مع ذلك بدأت هيئته بهية على حد قول المقدسي .

ويدخل إلى المسجد من عشرين بابا . وفي الجنوب ، على وسط المغطى ، جمل عظيم ، خلف قبة حسنة ، ويقع خمسة عشر بابا في جهة الشمال ، واحد عشر بابا نحو المشرق . وبعض الارقام عنه مذهلة . سبع مائة عمود رخام ، اربعة آلاف خشبة في السقوف ، خمسة واربعون الف شقفة رصاص على السطح ، مائة قسط من الزيت (١٨٥) تحرق في قناديله كل شهر ، ثمان مائة الف ذراع من الحصر في كل سنة (١٨٦) . وتتوزع حول المسجد المصليات والمحاريب . وتسمى الابواب باسماء وردت في الاخبار ، تبدأ بابراهيم وتنتهي بآل الرسول . وصحن المسجد كله مبسط وعليه من الشمال والغرب اروقة على اعمدة رخام . وفي وسطه دكة ، وفي الدكة اربع قباب ، اشهرها واكبرها قبة الصخرة ، المسماة مسجد عمر بلا وجه صحة .

وهي على بيت مشن باربعة أبواب ، في داخله ثلاثة اروقة دائرة على اعمدة معجونة اجل من الرخام واحسن ، لا نظير لها . الا ان ما يسترعي انتباه المقدسي في المسجد هو منطقة متعالية في الهواء فوق

(١٨٥) قسط حرفيا اناء . يساوي هذا المكيال نصف لير تقريباً . انظر المقدسي ، ترجمة ، ١٩٧ ، ح ٢٠٧ .

(١٨٦) وظيفته . . . كل سنة ، مقدسي ، ترجمة ١٩٧ ، اي ما يعادل ٤٠٠ كم وهذا مبالغ فيه حقيقة .

قناطر مدورة ، فيها طيقان كبار ، والقبة الواقعة فوق هذه المنطقة ، التي يبلغ طولها من القاعدة الكبرى مع السفود في الهواء مائة ذراع . والقبة ثلاث سافات ، الاولى من الواح مزوقة والثانية من اعمدة حديد ثم الثالثة من خشب . والقبة ملبسة من الخارج بالصفير المذهب : « فاذا بزغت الشمس عليها ، اشرقت القبة ، وتلألأت المنطقة ، ورأيت شيئاً عجيباً . وعلى الجملة لم أرَ في الاسلام ولا سمعت ان في الشرك مثل هذه القبة » . والاستنتاج المتوقع ، شبيه بما مر في جامع دمشق وجامع الرملة - وان لم يُصَغَّ مباشرة بصراحة : هو ان جامع الشام من بين كل الجوامع سبق في تثبيت الاسلام القوي في اراضيه الجديدة (١٨٧) على افضل وجه .

وهكذا نحصل في تاريخ الجوامع واهميتها ، على نوع من الظهرة او خط الذرى ، بين مكة ودمشق مع المرور بالمدينة وبيت المقدس . اما في الغرب ، في مصر ، وبدقة في القسطنطينية ، فيتوارى الوصف السريع وراء ظاهرة اخرى ، هي كثرة الجوامع المرتبطة بظاهرة المدينة الكبيرة : ففيها سبعة جوامع كبرى ، كما قلنا (١٨٨) ، لا تدخل في حسابها المساجد الصغيرة . ومع الاستمرار في الاتجاه إلى الغرب ، يتحدث المقدسي سماعاً عن الجوامع ، ويذكر جامع

(١٨٧) انظر استنتاجات ار . غراير في ١٣ (٢) ، ج ٥ ، ٢٩٧ - ٢٩٩

(١٨٨) انظر ما تقدم فصل ٩ ، حاشية ١٠٣ . عن جوامع القسطنطينية ، انظر المقدسي ،

١٩٩ - ٢٠٠ .

القيروان في السباط الكبير . وهو احد اكبر الجوامع في دار الاسلام (١٨٩) . . .

وبالتجاه الشرق ، نلقى مدينة سامراء (١٩٠) ، وان كان جامعها الكبير قد خرب مثاماً خربت باجمعه وآثاره رائعة حقاً . منها حيطان لبست بالطين ، واساطين رخام . ومنارة طويلة شهيرة (١٩١) . ونقف بعدها في شيراز التي يقال ان جامعها لا نظير له في الاقاليم العجمية الثمانية في دار الاسلام (١٩٢) . ونمكث ايضاً فترة اطول قليلاً في نيسابور (١٩٣) . فالجامع فيها ست قطع ، ومسجد المنبر على سواري خشب وآجر ، وسطه بيت صغير مزخرف ، له احد عشر باباً على اعمدة رخام مجزّع سقفه سدلاً (١٩٤) .

وهكذا فنتهي من زيارة اكبر الجوامع في دار الاسلام . وقد برزت في زيارتنا ، الحج على هذه الناحية . جزيرة العرب والشام اللتان لعبت الاولى منهما دور النموذج الرمزي والثانية دور النموذج المعماري . وسواء وقع الجامع في غرب دار الاسلام او في وسطها او

(١٨٩) المقدسي ، ٢٢٥ . الجامع اكبر من جامع ابن طولون وجامع ابن طولون اوسع من جامع عمر في القسطنطينية أيضاً ، وجامع عمر اوسع من جامع دمشق (المقدسي ١٩٩) . ولا يقول المقدسي شيئاً أو يكاد عن جامع قرطبة (المقدسي ، ٢٣٣) ، وكذلك ابن حوقل (ابن حوقل ، ١١٣) الذي لا يذكر جامع القيروان في حين يؤكد على مسجد الجامع الأكبر في بالرو (ابن حوقل ، ١١٨ ، ١٢٠) .

(١٩٠) المقدسي ، ١٢٢ - ١٢٣ .

(١٩١) دون الإشارة الى الدرج الحلزوني الذي يصعد الى أعلى المنارة .

(١٩٢) المقدسي ، ٤٣٠ .

(١٩٣) المقدسي ، ٣١٦ (وح ك) .

(١٩٤) عن سدلاً ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٩ : ثلاث شقق أو طوابق .

في شرقها ، فهو يظل دائماً علامة رئيسة في مشهدها : لا في المدينة وحدها . فالمسجد الصغير في القرية ، او المصلى البسيط في قلب الريف ، يذكر ان الحضارة كاملة ويمثلان طابعا لها على الدوام . لذلك يدون المقدسي الجوامع في صفحاته باشكالها وتفصيلها والاماكن التي اختارتها . والجامع الكبير يبرز قليلا في خلفية الوصف العام ، لكنه لا ينفرد في تفخيم الاسلام ، وكل ما في الامر ان وضعه يرتبط باهمية المدينة وشهرتها . وفي هذه الحالة ، وفيها بدقة ، يتخذ مكانه الطبيعي في وصف المشهد المدني : ولا ننسى دور المسجد ووجوده في صميم الارياف . ونذكر ان اجمل الاسماء يطلق على المسجد في المدينة وحدها وفي المدينة الكبرى بالذات . فهو مسجد في الريف او القرية او الحلي ، ويصبح جامعا في قلب المدينة التي يحتشد اهلها في ايام التجمع (الجمع) في المكان السامي المقصود لاداء الصلاة الجماعية ، والمخصص للمسلمين الملتئم شملهم : في الجامع .

المدينة ومرافقها

عندما حاولنا (١٩٥) تعريف المدينة ، أبنّا تلك المرافق التي يستحيل وجود المدينة بدونها : مثل تجمع كل الهياكل الحرفية بلا ريب ، ومثل الابنية والاماكن العامة الاخرى ايضا . وقد اكدنا كثيرا على دور السلطة في تعريف المدينة ذاتها ، فلا يجوز الآن ان نتحاشى ذكر البناء الذي تقوم فيه السلطة ، نعي دار الامارة (١٩٦) . ويشار إلى هذه

(١٩٥) ما تقدم فصل ٩ ، « بعض التعاريف المقبولة » .

(١٩٦) دار الامارة ، دار السلطان ، دار الملك ، دار الخليفة (يعداد : المقدسي

ز ، ١٢٠) ، دار الأمير (المرجع ذاته) .

الدار تارة في نطاق المدينة بلا تدقيق اضافي (١٩٧) ، وطورا معزولة في الرحبة (١٩٨) ، على شط نهر او قنطرة (١٩٩) ، واحيانا على ظهر مسجد (٢٠٠) او في القهيندز (٢٠١) او في الرېض بعيدا عن المدينة (٢٠٢) . وفي دار الامارة الديوان ، والخزان وبيت المال وربما السجن وحمام الامراء (٢٠٣) . وتارة يطلق عليها اسم خاص (٢٠٤) او تنعت بصفة (٢٠٥) ، ويندر ان يذكر ما تحويه بدقة (٢٠٦) ، ما عدا دار الامارة في شيراز التي زارها المقدسي (٢٠٧) : فالعارف يستدل بها على نعمة الجنة ، فقد احيطت بالبساتين ، ونصب عليها القباب ، وحفر فيها الحياض ، وبنيت الاروقة ، وخرقت فيها الاعمهار وفيها ثلاث مائة وستون حجرة ، مختلفة ومؤثثة بفاخر الاثاث ،

-
- (١٩٧) ابن الفقيه ، ٣٠٤ ، المقدسي ، ٢٣١ ، ٢٨٧ .
 (١٩٨) ابن الفقيه ، ١٨٨ ، ابن حوقل ، ٤٣١ .
 (١٩٩) ابن حوقل ، آخر ٥٠٢ - ٥٠٣ ، المقدسي ، آخر ٢٨٢ - ٢٨٣ .
 (٢٠٠) ابن حوقل آخر ٤٣٤ - ٤٣٥ ، المقدسي ، ٨٦ ، ١٥٩ (ومن الخضراء وهي دار السلطان ابواب الى المقصورة) ، ٤٢٦ .
 (٢٠١) المقدسي ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ .
 (٢٠٢) ابن حوقل ، ٤٣٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٤ ، المقدسي ، ٢٣٣ .
 (٢٠٣) ابن الفقيه ، ١٨٨ ، المقدسي ، ٢٨٠ ، ٣٨٩ ، ٤٤٩ .
 (٢٠٤) الخضراء دار الامارة الأموية في دمشق ، المقدسي ، ١٥٩ ، ترجمة ١٧٢ - ١٧٣ ، ح ١١٥ و ١٢٠ . انظر أيضاً دار البطيخ في الري (الملاحظة ذاتها) ، المقدسي ، آخر ٣٩١ ، ودار الشط (في الفسطاط ، الملاحظة ذاتها) ، المقدسي ، ١٩٩ دار عبد العزيز بن مروان في الفسطاط (ابن حوقل ، ١٤٦ : تسمى أيضاً باسم الحاكم الأموي المقيم فيها) .
 (٢٠٥) الا ترى لملك مثلها : المقدسي ، ٤٣٠ (ح ك) .
 (٢٠٦) ودار الامارة متقايلة كثيرة القصور المقدسي ، ٤٢٦ .
 (٢٠٧) المقدسي ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ (ح ب) .

ومزخرفة . ومبردة ، وكان السلطان يجلس كل يوم في حجرة إلى الحول .

لكن للسلطة وجوه اخرى ، اقصد وجوه القمع . ففي هذا المشهد الخاص ، اشير إلى المشانق (٢٠٨) ، وبخاصة إلى السجن (٢٠٩) قرب الجامع مباشرة ، او قرب دار السلطان او القلعة ، او ضمن دار الامارة او الحصن . واكاد اقول ان هذا مشهد ، والحقيقة ان الوصف يختفي وراء الاسم وكأنه يكفي إلى حد كبير . وتستثنى الري من ذلك : فابو دلف مسعر يتحدث عن سجن واسع ورهيب فيها ، من طين ، قاس جدا ، حتى ان لا احد من المساجين استطاع ان يخرق حيطانه ليهرب . من ناحية اخرى ، احيط ببناء السجن بخندق عميق مملوء بالمياه ، ويغسل عريض من القصب

وتعبر اماكن وابنية اخرى عن حياة خفية في مدينة كاملة تحت الارض احيانا ، كما في مكامن ومخابئ همدان (٢١٠) ، وتحكي في الاغلب بمزيد من الابتدال عن ضائقة ضرورات الحياة اليومية وصعوباتها ونهايتها . وقطعا تعد فضلات المدينة الكثيرة ونفاياتها مبتذلة . فالكناسة على طرف البادية ، الا ان توسع المدينة يمتاحها احيانا ويطنى عليها ، حتى ان هذا اللفظ اصبح يعني في الكوفة حي السنة دون الشيعة (٢١١) .

(٢٠٨) الميقوبي ، ٢٦٢ .

(٢٠٩) المينوني ، ٢٤٨ واماكن مفرقة ، ابن فخر ، ١٨٨ ، مسعر (ب) ٣١

ابن حوقل ، ٤١٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٨ ، ٤٩٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٩ ، ٥١٣ ، المقدسي ، ٣٠٥ .

(٢١٠) المقدسي ٣٤٣ .

(٢١١) الميقوبي ، ٢٤٤ ، المقدسي ، ١١٧ ، ١٢٦ .

واهم من ذلك دار الغرباء او الضيوف الرسميين ، كما في شيراز ونيسابور (٢١٢) ، والمؤسسات الخيرية (٢١٣) كالملاجأ والضيافة الدائمة التي فيها طباطخ وخجاز وخدام مرتبون يقدمون العدى بالزيت لكل من حضر من الفقراء والمسافرين ، او اليمارستان الحقيقي ، كما في اصبهان وشيراز ، الذي به آلات حسنة واطباء حذاق . اخيرا تذكر المقابر على اطراف المدينة او على الجبل المشرف عليها ، او على ضفة النهر المقابلة لها ، واحيانا في وسطها (٢١٤) . وتستحق الذكر المقابر العالية، بقبابها العجيبة . في بعض بلدان فارس (٢١٥) . وعلى صيحة من التسطاط مقابر القرافة في غاية الحسن والعمارة (٢١٦) .

(٢١٢) المقدسي، ٤٣٠ (عن شبستان، انظر م ج ع، ج ٤، ٢٧٠ : Xenodochium)
يبدو هذا البناء مختلفاً جداً عن الفنادق والهاطات العادية: فقد جاء في النص ، لمخ شيراز، ان: لها شبستان شبيها بشبستان نيسابور، يسمى دار قرى. ويمكن أيضاً التفكير بمؤسسة خيرية، اذا افترضنا انه يستعمل تسمية محلية (مطبقاً على هذا النحو نهجا اعلن عنه عند المقدسي، ٢٤ ، ٣٢، لكن لم يتقيد به دوماً) ، لأن المقدسي يستخدم للمؤسسات الخيرية لفظي بيمارستان أو ضيافة : انظر ما يلي ح ٢١٣ .

(٢١٣) ابن حوقل ، ٤١٥ ، آخر ٤٥٤ ، المقدسي ، ١٢٠ ، آخر ١٧٢ - ١٧٣ (و ح د : معلن دون تعيين مكان ، المرجع ذاته ، آخر ٤٤ . عن ضيافة ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٨٦ : دار الضيافة) ، ٣٥٩ ، ٤٣٠ (و ح ك) . انظر د . م . د نلوب و ج . س . كولن ، بيمارستان ، م ١ (٢) ، ج ١ ، ١٢٥٩ - ١٢٦١ وما تقدم ، فصل ٤ ، ص ٨٥ (دير) .

(٢١٤) اليعقوبي ، ٢٤٤ ، الاصلطخري ، ٤٤٨ ، ابن حوقل ، ٤٣٢ ، المقدسي ، ١٦١ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ (و ثم موضع قد نضدد فيه موتى الكفار بعض على بعض ، ومقابر المسلمين وسط البلد (تنيس) : انظر ما تقدم ، فصل ٥ ، ح ٤٢) ، ٢٠٩ ، ٣٥٨ ، ٤٠٩ (٢١٥) المقدسي ، ٤٣٨ (ح ق) : منطقة بين فارس وكرمان .

(٢١٦) المقدسي ، ١٩٩ (ح ا ف) ، ٢٠٩ . وعلى النقيض ، في المقابر مجتمع النساك : المقدسي ، ٤٢٩ .

تري البلد غبراء ، والمقابر بيضاء ، وفيها جامع حسن وموضع جلوة
: وسوق لطلاب الآخرة وعيون ، وقبور بعض الاولياء المسلمين .

بقي ان نتحدث عن المنتزهات والمستجمعات . فقد يتخذ ميدان
الجامع ، كما رأينا ، اشكالا اخرى ، ويصبح عندئذ مصلى او فناء
واسعا مخصصا للاعياد الاسلامية الرئيسة في المدينة او الربض او حقل
النخيل المجاور (٢١٧) . ويصير متنزها (٢١٨) في امكنة اخرى ،
او حتى حديقة حيوان ، كما في سر من رأى ، حيث يشاهد الوحش من
الظباء وحمر الوحش والايائل والارانب والنعام (٢١٩) . الا ان
افضل مكان راحة ، ولو كان مقتصر على المثقفين ، الذين يفخر
المقدس بكونه واحدا منهم ، هو خزائن الكتب (الخزائن) ، دار
الكتب (٢٢٠) . ويشير كتابه احسن التقاسيم (٢٢١) إلى وجود

(٢١٧) ابن حوقل ، ٤٣٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، المقدسي ، ٩٢ ، ٢٠٠ ، ٤١٣ .

(٢١٨) المقدسي ، ٢٠٠ (ومنتزه أمير المؤمنين عند الخليج بموضع يسمى المختارة) .

(٢١٩) اليعقوبي ، ٢٦٣ .

(٢٢٠) ضمير « لا يدخلها » يمكن ان يعود الى دار علي بن بويه بكاملها لكن هذا
التأويل يتناقض مع قيل ص ٤٤٩ ، س ٦ . عن دور الكتب ، انظري . إيش ، خزائن
الكتب العربية العامة ونصف العامة في الجزيرة والشام ومصر في القرون الوسطى ، دمشق
١٩٦٧ .

(٢٢١) عامة أو خاصة : المقدسي ، ٣ ، ٤ (ح ل) ، ٥ (و ح ا) ، ٦ (ح ا) ،

١٠ (خزائن «أمير خراسان» ، أي الملك الساماني : انظر ح ٢٢٢) ، ٣٩ ، ١٣٣ ،
١٣٣ ، ١٥٥ (حلب : خزائن ، بيت مال ، محفوظات ، مكتبة ، انظر الاستشهاد
اللاحق) ، آخر ١٥٩ (ووجدت في كتاب في خزائن عضد الدولة) ، آخر ٣٩١ ، ٢٥٨ ،
(عن احذوثة «رائع» ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢١٣) ، ٤١٣ ، في ص ٤٤٩ و ٤٥٠ .
يستعمل جمع خزائن بمعنى «حجيرات مكتبة» : انظر ما يلي عن خزائن كتب شيراز . انظر
أيضا ابن حوقل ، ٤٤١ .

خزائن في نيسابور ، وبخارى (٢٢٢) ، وحلب ، والبصرة ، ورامهرمز ،
والري وشيراز . ويصف دار كتب شيراز بافتتان ويقول عنها :
وخزانة الكتب حجرة على حدة ، عليها وكيل وخازن ومشرف من
عدول البلد (٢٢٣) . ولم يبق كتاب صنف إلى وقته بانواع العلوم
كلها ، الا وحصله فيها . وهي ازج طويل في صفة كثيرة ، فيه
خزائن من كل وجه . وقد الصق إلى جميع حيطان الازج والخزائن
بيوتا (٢٢٤) من الخشب المزوق ، عليها ابواب تتحدر من فوق .
والدفاتر منصدة على الرقوق لكل نوع بيوت ، وفهارس فيها
اسامي الكتب .

وقد اشرفت نزهتنا على الانتهاء . ونختتمها بالمتعة المقترنة بواجب
في الحديث عن احد الابنية الضرورية جسدا في مشهد المدينة أي
الحمامات (٢٢٥) . مرة اخرى ايضا ، يتضح ان المقدسي يوليها
مزيدا من الاهتمام بانتظام فريد دون سائر الجغرافيين العرب . لنتبعه
اذن حتى الحمام في المدينة بلا تلدقيق موضع (٢٢٦) ، واحيانا في
الربض ايضا (٢٢٧) . وقبل الدخول اليه يخبرنا ان الحمام نظيف (٢٢٨)

(٢٢٢) خزافة «ملك المشرق» التي يتحدث عنها المقدسي ٦٠ (ح ١) يقصد الملك
الساماني ومقره في بخارى (ابن حوقل ، ٨٢ ، المقدسي ، ٢٨٠) .
(٢٢٣) عدول المفرد عدل لعله شخص مكلف على وجه الدقة بتنفيذ الاجراءات عند
كتاب العدل أو القضاة : انظر ا. تيان ١م (٢) ، ج ١ ، ٢١٥ - ٢١٦ . تزيد النسبة
المختلفة ، المقدسي ، ٤٥٠ (ح ب) ، البوابين الى موظفي خزانة الكتب ، وتؤكد ان
الحجرة تقفل بالمفتاح .

(٢٢٤) « طولها قامة في عرض ثلاثة اذرع » (حوالي ٥ ، ١ م) .
(٢٢٥) عنها ، انظر ج . سورديل - تومين ، ١م (٢) ، ج ٣ ، ١٤٢ - ١٤٧ .
(٢٢٦) استثناء : المقدسي ، ٤٦٥ ، مع تسمية اسم الشارع .
(٢٢٧) المقدسي ، ٨٤ ، ٣١٢ (انظر ابن حوقل ، ٣٣٩) .
(٢٢٨) المقدسي ٨٤ .

وحسن وجيد ، لا مثيل له (٢٢٩) ، او على التقيض ، وسخ (٢٣٠) ، رديء (٢٣١) ووضر (٢٣٢) . وتخرج بعض الحمامات على الاعراف عندما يحرسها النساء ويدخلها الناس بلا ميازر (٢٣٣) . ويبدو بعضها ممتازا بسبب او آخر . ففي فارس مثلا البيت الداخلى من الحمام لا يمكن فيه المكث من الحر (٢٣٤) . وفي الرملة ، في الحمام ديوان ، ويدور في الدولاب خدام (٢٣٥) . اخيرا في طبرية ، الحمامات الثمانية تستغني كلها تقريبا عن الوقيد . فهنا كما في تفليس يأتي الماء الساخن من باطن الارض ويكفي بخاره (٢٣٦) .

المدينة كيان

لا ريب ان المدينة تفرض نفسها على العين وعلى القلم . فمشهدا ،

-
- (٢٢٩) المقدسي ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٨٩ ، ٣٧٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ (ح ١) ، ٤٠٧ ، آخر ٤٦٣ ، ٤٦٥ .
 (٢٣٠) المقدسي ، ٢٠١ .
 (٢٣١) المقدسي ، ٨٥ ، ٣١٩ .
 (٢٣٢) المقدسي ، ٨٦ ، ٣١٥ ، ٤٣٨ .
 (٢٣٣) المقدسي ، ٣٩٩ ، ٤١٦ ، ٤٢٩ ، ٤٤٠ (وح ز) : النطاق الفارسي (الجبالي ، خوزستان وفارس) . هذا المئزر فوطة مربوطة حول الخصر : انظر سورديل تومين ، مشار اليه .
 (٢٣٤) المقدسي ، ٤٤٠ (فارق مشار اليه حول هذه النقطة بين فارس وفلسطين) .
 (٢٣٥) المقدسي ، آخر ١٦٤ - ١٦٥ . الاستشهاد مأخوذ من مقطع خاص بمشالب المدينة (الرملة) : فالدولاب يحركه عادة حيوان اهلي . يشار أيضاً الى «الديوان» الذي يبدو انه يدل على اسعار ثابتة ومحاسبة نظامية : والحمام مريح بلا شك ويدر امتيازه وارادات ثابتة ، لكنه مؤسسة خيرية وكل من يدخله يجب عليه ان يدفع أفضل ما يستطيع دفعه ، لا ان يؤدي رسماً : على الأقل هذا ما يوحي به المقدسي . انظر أيضاً في نفس الذهنية ، ما تقدم ، حاشية ١٥٠ .
 (٢٣٦) المقدسي ، ١٦٢ ، ١٨٥ ، ٣٨٠ .

واحاطتها بالاسوار ، وابنيها وفي طليعتها جامعها ، ومشاهير رجالها
او محاصيلها الهامة ، وممارستها السلطة على ما حولها على مسافة قريبة
او بعيدة ، كل ذلك يسهم في جعلها معلما من معالم الحضارة . ولا
نسى ما بينها وبين المدن المجاورة لها من فوارق قد تؤدي إلى ظهور
خصوصية مكشوفة (٢٣٧) . وقد الح كلود كاهين في دراسة عميقة
على بعض عناصر نشيطة من سكان المدن من دائمي الحركة ومثيري
الاضطراب بلا ريب ، وان كانوا دعامة صريحة ومقبولة بصورة
متفاوتة في المطالبة بالاستقلال الذاتي عن السلطة المركزية خاصة (٢٣٨) .
ويطبق الجغرافيون العرب اسم العيارين على هذه العناصر ، وينددون
بها طبعا ، ويستغربون ، متى سنحت لهم الفرصة افلاتهم من نيل جزاء
آثامهم (٢٣٩) ، لكن لا يسعهم الا ان يسيروا الى وجودهم وإلى
دورهم في اثبات هوية محلية .

بقي ان نقول ان الحياة النشيطة جدا في المدينة تبدو في النهاية
مضطربة إلى أقصى حد ، ومشوشة ، بل مدمرة . ويعتبر المقدسي ان
البلدان التي تنعم بالسلام المدني (٢٤٠) تمثل حالات استثنائية ، وان
الوضع العام مبال كثيرا جدا إلى الفوضى والانفصالات ، حتى ان هذه
التوترات الاجتماعية تعد في الغالب في رأي المقدسي نفسه ، عنوانا

(٢٣٧) المقدسي ، ٣٧١ ، ٤١٧ .

(٢٣٨) ك . كاهين ، «الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي المدني في آسية المسلمة في
القرون الوسطى» ، ارابيكا ، ٥ روماني ، ١٩٥٨ ، ص ٢٢٦ - ٢٥٠ و ٦ روماني ،
١٩٥٩ ، ص ٢٣٣ - ٢٦٠ .

(٢٣٩) المقدسي ، ١٣٠ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٤٦٣ (عن طارق ، انظر م ج ع ، ٤٤ ،

٢٨٩) .

(٢٤٠) المقدسي ، ٢٢٥ - ٤٨١ .

حتمياً في وصف الأقاليم والمدن ، يرسم بالفاظ عصبياث ، حروب ، عداوات ، عنف وحشي لم يسمع بمثله « على المذهب او الاسباب الاخرى » (٢٤١) . اذن عصبياث بين اتباع هذا المذهب او ذاك (٢٤٢) او بين اتباع المذهب الواحد (٢٤٣) ، او بين اصحاب المهن (٢٤٤) ، او بين الاحياء (٢٤٥) او بين القبائل (٢٤٦) او بين اللاتنيات (٢٤٧) . وقد تقع تداخلات ، كما حدث في مكة بين الخياطين وهم شيعة وبين الجزارين وهم سنة (٢٤٨) ، وكما حصل في البصرة بين الشيعة والسنة ودخل فيها اهل الرساتيق (٢٤٩) .

وهل يصدق المقدسي نفسه ما يسمعه: وهل يعتقد ان احدا لم يشرب من ماء قويق الا تعصب (٢٥٠) . مهما يكن، يؤكد على ان المجاهبات داخلية صرفة . ولا تنقص صيغ التعبير: فالقن تعمي القلب والعصبية تجرح الصدر. واهل الرساتيق خير من اهل القصبة، تراهم سباعا وفي غيرها نعاجا وهم في ذاتهم عقارب يطعن بعضهم بعضا في القصائد ،

-
- (٢٤١) على المذهب، على غير المذهب ، عصبياث ، حروب ، عداوات ، تمت أحيانا بوحش أو عجب : المقدسي ، ١٠٢ ، شعر ١٢٩ - ١٣٠ ، ٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣٦ ، ٣٧١ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ ، ٤١٧ ، وأماكن متفرقة .
- (٢٤٢) المقدسي ، ١٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٩٦ ، ٤١١ ، ٤١٧ .
- (٢٤٣) المقدسي ، ٢٠٠ .
- (٢٤٤) المقدسي ، ١٠٢ .
- (٢٤٥) المقدسي ، ٣٣٦ .
- (٢٤٦) المقدسي ، ١٣٠ .
- (٢٤٧) المقدسي ، ١٠٢ .
- (٢٤٨) المرجع ذاته (وثبين هؤلاء الجزارين والبدو في اليمامة المرجع ذاته) .
- (٢٤٩) المقدسي ، ١٣٠ .
- (٢٥٠) المقدسي ، ٣٣٦ .

ويقتلون بعضهم بعضا (٢٥١) . ويقولون للغريب القادم إلى مدن جزيرة العرب : « كن مع أيّنا شئت ، وإلاّ فانخرج » (٢٥٢) .

فماذا نستنتج ؟ يجب ان نلح على قوة المدينة ورغبتها بالاستقلال الذاتي ، ام على تمزقها الداخلي ؟ سوف يتردد التاريخ بعد العام الف ، ويقدم للغزاة الجدد من اترك ومغول ، بلدانا منقسمة على نفسها ، يسهل فتحها . وسوف يمحي فعلا من الخريطة بعض المدن او يحولها إلى قرى ، لكنه سيقتي اقواها واشدّها تماسكا وحذرا على الارجح . ويتوقع ان يكون الثمن احتجاج طويل احيانا . لتأمل مرة اخرى مصير بغداد النموذجي . فقد كانت شاهدا رائعا على حضارة حددها كثيرون من خلالها . واذا بها في آخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، تستعد استعدادا سيئا لمواجهة الاضطرابات المنتظرة في دار الاسلام . لآبأس، مصيرها مجنون . مع ذلك حملت ما استطاعت من مقومات قوتها من تجارة وانتاج وثقافة وسلطة ، وهذه كلها وسائل نجاح في الايام العصيبة المقبلة ، او في اسوأ الاحتمالات ، وسائل ترك ذكرى عظيمة تسمح لها بالبقاء او بالنهوض من كبوتها اذا ساعدها الحظ .

* * *

(٢٥١) المقدسي ، ٢٧٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٥ .

(٢٥٢) المقدسي ، ١٠٢ .

القسم الثالث البشر والحياة

الفصل الحادي عشر البشر حبيداً وأخلاقياً

وصلنا إلى القسم الأخير من الكتاب ، بعد استعراضنا اوصاف مملكة الاسلام العامة . ولم يبق علينا الا ان نتعرف على حياتها اليومية ونوعيتها . ونكتشف سكانها ، لا من زاوية صنعهم التاريخ او بنائهم الاقتصاد ، بل باعتبارهم كائنات حية من لحم ودم ، تمتلئ وتكد وتلهو وتتكلم ... ونتساءل لأول وهلة عن جبلتهم . ونذكر ان التأمل في تكوينهم وتصرفاتهم وجداراتهم لا يمكن ان يعزل مسلم العام الف عن اقاربه على سطح الكرة الارضية . هذا هو النهج العام المتبع ، بذهنية الادب ، في الموسوعات والمختارات التي استقت منها الجغرافية الاولى بعض موضوعاتها وصيغها (١) . وسنبداً بها دون ان نتوقف طويلاً عندها . فهي تهم البشر في الدنيا كلها ، لا سكان مملكة الاسلام وحدهم ، وهذه ناحية يجب التأكيد عليها . وسوف نفتش عن هؤلاء

(١) احيل الى جغرافية دار الاسلام ، ج ١ (المجلد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) لدراسة هذه المصنفات ، والى ج ٢ ، اماكن متفرقة لدراسة طبائع شتى الشعوب ، والى ج ٣ ، ج ٢ ، فصل ١ و ٢ . من اجل علاقات الانسان بوسطه . فالتفصيلات المعطاة من قبل تدفعنا الى عدم التوقف طويلاً جداً عند هذه المصنفات ، واحداً مشروح فيما يلي .

البشر ، مرة اخرى ، في تصانيف جغرافي القرن الرابع الهجري /
العاشر الميلادي الذين يعتمدون على تجربتهم الشخصية في حديثهم لنا
عن الخصائص الجسدية او الصفات الاخلاقية التي يتميز بها سكان
دار الاسلام . ولا يمكننا في هذه الظروف ان نهمل كلياً المصنفات
الاولى ، لأن المقدسي وابن حوقل يثابران على السير في اتجاه درس
حفظوه على ضوء تجربتهم الميدانية ، عندما يتكلمون بطريقتهم الخاصة
امام الناس .

مما يتكون البشر

يستشهد الموسوعيون وأصحاب المختارات بالآيات القرآنية ،
او يستندون اليها ليؤمنوا النقد (٢) . لكنهم لا يفوتهم ان يعرضوا كل
ما قيل عن سر الحياة عند الاغارقة وعند عرب الجاهلية . اذن امدينا
من جهة مذاهب العرب في الجاهلية (٣) في النفوس . فممنهم من زعم
ان الروح هي الهواء الذي في باطن جسم المرء منه نفسه ، وان النفس
هي الدم لا غير . وزعمت طائفة منهم ان النفس طائر ينسبط في جسم
الانسان ، فاذا مات او قتل ، لم يزل مطيفا به ، يصرخ على قبره
مستوحشا .

وترد قضية الحمل بدقة في القرآن الكريم : فانا خلقناكم من تراب
ثم من نطفه ثم من علقه (٤)

(٢) انظر مثلاً المسعودي (م) فقرة ١٣٢٠ - ١٣٢٣ (عرض النظريات البيونانية) ،
١٣٢٤ (تذكير بالآيات القرآنية المتعلقة باصل الحياة) .
(٣) مثال المسعودي (م) فقرة ١١٩٠ - ١١٩٥ .
(٤) المسعودي (م) فقرة ١٣٢٤ . تحيل الى القرآن ٣ ، ٤ / ٦ ، ٢٢ ، ٥ ،
٣٣ ، ١٤ ، ٤٩ ، ١٢ .

لكن في هذا المجال ، نتمسك باليونان بالدرجة الأولى ، ونتوسّع بأموالهم ، كما ألتجنا من قبل ، وفي المقام الأول ، بأصل الأصول ، نقصد الحبّ ، الذي تنمّيه عوامل عديدة ، منها قرانات الكواكب وتبدلات الأمزجة ، ويرتكز على المبدأ التالي : حبا الله كل روح شكلاً مستديراً على صورة الكرة السماوية . ثم قسّمه إلى نصفين ، يؤلف كل نصف منها جزءاً مختلفاً ، يوحدّهما الحب من جديد في وقت لاحق (٥)

ومنذ تلك اللحظة، يشرف كائن حيّ جديد على رؤية النور ، وهو مكوّن ، مثل جميع الكائنات الحية التي سبقته من أربعة أمزجة أساسية : الدم والصفراء والسوداء والبلغم ، يشترط توازنها صحة البدن (٦) . لكن مرة أخرى ، ينحصر السرّ العظيم في ما يحدث قبل الولادة . وهذا ماشرحه بوضوح مصنّف مثل ابن عبد ربّه ، حيث يقول : فما دام الطمث يتوقف عند المرأة الحامل ، فلا بدّ أن يذهب دمها إلى مكان ما ، هو حتماً الجنين الذي يغذّيه الحبل السري (٧) أما المسعودي (٨) فارصن— ولا أجروء ان أقول انه أكثر اطلاعاً — فيقابل تصور ارسطوطاليس بتصور جالينوس . ويقول صاحب المنطق ان المني بمنزلة الفاعل . وان

(٥) المسعودي (م) ج ٦ ، ٣٧٦ - ٣٨٦ .

(٦) ابن عبد ربّه ، العقد ، ج ٦ ، ٢٢٩ .

(٧) العقد ، ج ٦ ، ٢٣٢ . ذكر هذا الدور الحيوي للسرة في عجائب الهند ، فقرة ١٢١ : عندما تنزع ، يموت الانسان .

(٨) المسعودي (م) فقرة ١٣٢٠ - ١٣٢٣ .

الجنين يتصور في دم الطمث من المني والمني يعطي الدم حياة وحركة .
وذكر جالينوس ، الذي يفضل المسعودي ، في كتابه عن بقراط أن «مقام
المني مقام الفاعل والمفعول في تصور الجنين » . وان الجنين يكون من
المني . ويجذب إليه دم الطمث والروح والريح من العروق والشرينات .
وحكى جالينوس عن انبد قلس ان اجزاء الولد منقسمة في مني الذكر
والأنثى ، وان شهوة الجماع تسوق هذه الأجزاء إلى الالتئام . ومهما
كانت أصول الجنين ، فهو ينمو في وقت لاحق كالنبات . وكما
ينبت سوق من بزر النبات ، ومن السوق أغصان كبار ، ثم من هذه
الأغصان أغصان أخرى . تتفرع أولاً حتى تنتهي إلى الأقاصي ، نظير
ذلك يوجد في الجنين ، حول ثلاثة محاور رئيسة هي الشريان الأعظم
والعرق الأجوف والنخاع .

وبعدّ موضوع الحياة واسعا جدا بعيد الغور ، اضافة إلى آلياتها
وعجزها (٩) ، وحالاتها الانتقالية ، كالنوم (١٠) ، واشخاصها
الغامضين ، كالخصيان والخلاسيين (١١) ، وذوي العاهات او
المشوهين ، والاجسام الناقصة او المديزة ، وحاملي القوى الخيرة او

(٩) انظر مثلا المسعودي (م) ، فقرة ٩٨٨ (علاقة الجسم بالوطن) ، ١٣٢٦
(تأثير القمر في الأمراض) ، ١٣٥٨ (الهضم) ، ١٣٦٨ (أسس الطب وتطبيقاته :
انظر أيضاً ٢٨٥٧ وما يليها) ، ج٧ ، ١٨٠٤ - ١٨١ (الانسان) .

(١٠) انظر المسعودي (م) ، فقرة ١٢٤٢ - ١٢٤٦ ، عن النوم في القرآن ،
انظر ا . ميكيل ، اعادة قراءة القرآن : حول الجذر نوم ، دراسات اسلامية ، ٤٨ .
روماني ، ١٩٧٨ ، ص ٥ - ٤٣ .

(١١) اهتم بهم الجاحظ في كتاب الحيوان ، اماكن متفرقة : انظر أيضاً البيهقي ،
محاسن ، ١٠٦ - ١٠٧ ، والمسعودي (م) ، ج٧ ، ١٤٩ - ١٥٠ .

الحيثية ، او امارات تحتاج إلى اكتشاف (١٢) . وعظيم جدا ايضا ،
حقل تأثيرات الكون في البشر (١٣) . وبخاصة الرقمين سبعة واربعة
التي تتحكم بها (١٤) . وعلاقة الانسان بوسطه الطبيعي المباشر ،
اهم من ذلك كله ، بالنسبة إلى الجغرافية ، ، بمعناها الصحيح ، لاسيما
جغرافية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . التي اتخذتها إحدى
مواضيعها المنفصلة فهنا لابد من وقفة اطول .

الانسان والطبيعة

في الاصل ، لا نجد الا ما هو معروف جيدا . ومثلت حركة
الترجمة الكبرى احد امجاد الخلافة في بغداد ، ونقلت إلى اللغة ،
العربية (١٥) انجاث الطب والفيزياء اليونانيين ، فتدرجت في الادب
كما هي او مختصرة . ويعد الحافظ رائد ما اتفق على تسديته ثقافة
العصر العامة . فهو الذي كتب عددا من النماذج ، التي اشتهرت
بعده ، نذكر منها ثلاثة : فالاهواز قصبة خوزستان تولد الحميات

-
- (١٢) الاهتمام بهم تمثل بقدر كاف في قوائم اصحاب العاهات أو التشوهات الجسدية
الأخرى ، على نحو ما وردت عند ابن رسته ، ٢٢١ - ٢٢٧ (حسب ابن قتيبة : انظر المرجع
ذاته ، ترجمة ٢٦٤ ، ح ٤) . انظر امثلة على حالات خارقة جسمية أو رمزية عند هذه .
الكائنات عند المسعودي (م) فقرة ١٢٣٨ آخرها ، ج ٤ ، ٤١٦ ، ج ٥ ، ١١٥ .
يذكر بهذا الشأن بما قاله . ليفي ستروس في « النيم والمشوي » ، باريس ١٩٦٤ ، ص ٦١
(١٣) انظر اخوان الصفاء ، ج ١ ، ١٤٨ وما يلها ، الخوارزمي (م) ٢٢٧ -
٢٢٨ ، المسعودي (م) ، فقرة ١٣١٣ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٥ ، ١٣٣٠ ، ١٣٥٩ ، ١٣٨١ ،
المسعودي (ت) ، ٤٧ ، ٥٤ - ٥٥ ، ١٠٤ - ١٠٦ ، المقدسي ، ج ٢ ، ٥١ - ٥٢
(١٤) انظر المسعودي (م) فقرة ٧٤٢ ، ١٣٣٠ ، ١٣٥٩ - ١٣٦٠ .
(١٥) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ١ ، ١٤ - ١٧ .

والبخل (١٦) ، ومن دخل ارض تبت لم يزل ضاحكا مشروحا حتى يخرج منها (١٧) ، ولا بد لكل من قدم إلى بلاد الزنج ، في افريقية الشرقية ، الا يزال جربا ما اقام بها (١٨) .

ويعتبر ابن خرداذبة احد رواد الجغرافية العربية . ويحوي مصنفه وصف الارض ، والخريطة الادارية لدار الاسلام ، والادب (١٩) ، ويكرر المواضيع السابقة وغيرها (٢٠) . ولا ينفرد بهذا الاتجاه . فقد حرص جماعة من الجغرافيين ان يثبتوا هم ايضا انهم يعرفون هذه او تلك من الكتابات البارعة او احيانا النظرية التي تركز عليها ، والهمداني ، والثعالبي واخوان الصفا (٢١) ، وطبعا الاديبان الكبيران المسعودي وابن الفقيه . واتحدث عن المسعودي لأنه يعرف حق المعرفة ، دون غيره ، كيف يحلل المعطى ، ويستخرج منه المواضيع

-
- (١٦) الجاحظ (ح) ، ج ٤ ، ١٤٠ - ١٤٣ ، مترجم في ج ١ ، ج ١ ، ٤٨ - ٤٩ (و ح ١ ، عن استثمار الموضوع بعد الجاحظ) ، انظر أيضاً مختصرا له ، الجاحظ (١) ورقة ٢٣ - ٢٤ .
- (١٧) الجاحظ (ح) ، ج ٤ ، ١٣٥ ، ج ٧ ، ٢٣٠ (عن الموضوع بعد الجاحظ انظر ج ١ ، ج ٢ ، ٨٢ ، ح ٣) .
- (١٨) الجاحظ (ح) ، ج ٤ ، ١٣٩ (عن الموضوع بعد الجاحظ انظر ج ١ ، ج ٢ ، ١٤٤) ، ح ٦ . امثلة اخرى معروفة : الجاحظ (١) ورقة ١٢ (تبدلات نسب ولادات الذكور أو الاناث حسب البلدان) ، ٢٤ - ٢٧ (ضرر الماء بالجسم أو فائدته) ، ٣٣ (تأثير مناخ البحرين) .
- (١٩) انظر ج ١ ، ج ١ ، ٨٨ - ٩٢ .
- (٢٠) ابن خرداذبة ، ١٧٠ - ١٧٢ .
- (٢١) مثال مقدمة (فصل ٢ و ٨ من كتاب الخراج) ، ابن رسته ، ٨٢ - ٣٣ ، المقدسي ، ج ٢ ، ٦٩ ، مسعر (ب) ، ١٦ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٣٨ ، الهمداني ، ١٩٣ ، الثعالبي ، ٩٦ - ٩٧ ، ١٣١ ، اخوان الصفا ، ج ١ ، ١٤٨ - ١٥٣ ، ٣٠٢ وما يليها .

الاساسية ، ويلخصها ويعرضها على « الرجل الشريف » المعاصر له بصيغة سهلة الفهم ، خالية من كل تعقيد علمي بالمعنى الضيق . وهكذا يعرض (٢٢) شتى العوامل التي تحدد تأثير الوسط في حياة البشر : الوسط القصي أعني الكواكب ، والوسط القريب المباشر بالقدر ذاته ، اي موضع البلد على خريطة الارض ، وما فيه من مياه وغابات ، وقربه من الجبال او البحار ، وارتفاعه ، وتركيب تربته... وتلي التطبيقات النظرية بعد ذلك في الحديث عن احد تلك العوامل (٢٣) : فالمسعودي يوزع المناطق الكبرى في دار الاسلام على ارباع العالم ثم يحدد تأثيراتها في الطبيعة من جهة وفي جسم الانسان وعقله من جهة اخرى.

ومقطع ارباع العالم اساسي ، لأنه يرسم الخطوط الرئيسة ، ولو من بعيد جدا ، لأطلس طبائع البشر ومؤهلاتهم وتصرفاتهم في اقاليم دار الاسلام : الشام ، مصر ، اليمن ، الحجاز ، المغرب ، العراق ، الجبال ، خراسان ، فارس ، خوزستان ، الجزيرة ، وسوف ينهج ابن الفقيه مثل هذه المحاولة ، ويضع لها اول مخطط ، وينقل مواضعها بقوة وبطريقة لا مثيل لها إلى الجغرافيين بعده ، ويعتبر عراهم في هذا المجال (٢٤) .

ويتخذ هذا العمل منحى مزدوجا ، من زاوية الوضع ومن

(٢٢) المسعودي (ت) ، ٣٩ - ٤٠ ، ٤٦ - ٤٧ .

(٢٣) المسعودي (م) فقرة ٩٧٣ وما يليها ، مع استنتاج عن امتياز العراق : انظر أيضاً المرجع ذاته ، فقرة ١٣٦١ - ١٣٦٣ .

(٢٤) انظر ج دا ، ج ١ ، ١٨٧ - ١٨٩ .

الناحية التطبيقية . فالتأمل العام في العلاقة بين الطبيعة والانسان يندرج بعد الآن في عمل الادب بلا ريب ، لكن نقصد الادب الذي يريد ان يكون جغرافيا ، بمعنى انه يتخذ البلدان اساسا لعرض معطياته : فالحديث لا يتغير كثيرا ، بل توزيعه هو الذي يتبدل ، اذ يحل علم البلدان محل الموسوعة (٢٥) . وهكذا قبلت جغرافية الانسان جسديا واخلاقيا ، في العلم الجليل الذي اسسه ابن الفقيه ، وتلقت منه عنوانا ثابتا ، لن يفوت اخلافه الانتفاع منه (٢٦) . اما من الناحية التطبيقية ، فسوف تتناول جغرافية الانسان على هذا النحو ، مع ابن الفقيه ، الامثلة المعروفة من قبل ، لكنها سوف تطور غيرها ، متقدمة بالذهنية ذاتها ، حسبما يمدّها الوحي ، فتغني « الاطلس » المشار اليه سابقا ، في نطاق لوحات المقارنة بين البلدان (٢٧) والتدوينات الدقيقة عند وصف احد البلدان (٢٨) .

لم يبق على الجغرافيين من خلفاء ابن الفقيه ، كما قلنا، الا ان يحذوا حذوه . وافكر باين حوقل (٢٩) وبخاصة بالمقدسي الذي يعود صراحة ، في عدة اماكن من كتابه ، إلى الجاحظ ، وابن خرداذبة ، وقدامه وابن الفقيه (٣٠) . ولا شك انه ينتقدهم ، ويزعم انه يؤسس

-
- (٢٥) انظر ج دا ، ج ١ ، آخر ١٦١ - ١٦٢ ، ١٧٧ وما يليها .
(٢٦) شريطة اجراء بعض التحفظات ، اسوة بالمقدسي ، لكن تحفظات لا تؤدي الى التعلي عن استثمار هذا النوع من المواضيع .
(٢٧) ابن الفقيه ، ٧٦ ، ١١٤ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ، ١٨٦ - ١٨٧ .
(٢٨) ابن الفقيه ، ٥٩ ، ٧٤ - ٧٥ ، ٨٤ واماكن متفرقة .
(٢٩) ابن حوقل يذكر الجاحظ ، وابن خرداذبة وقدامه ، من بين المصنفين السابقين ، ابن حوقل ، ٣٢٩ ، ٣٧٢ ، ٤٥٣ ، ٤٧٣ .
(٣٠) المقدسي ، ٤ ، ٥ (ح ١) ، ١٦ (ح و) ، ٣٣ ، ٥٧ ، ٦٨ (ح ا ف) ، ١٠٥ ، ١٨٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٤١ ، ٣٤٠ (ح د) ، ٣٦٢ .

الجغرافية الحقيقية بعدهم وضدهم . لا بأس . فلولا ان هؤلاء الرواد في ادب البلدان فرصوا مبدأ معرفة البشر جسديا وروحيا ، ووصفوا نماذجهم الاولى ، لما استطعنا البتة ان نفتتح كتابي ابن حوقل والمقدسي ، ونلاحظ معهم مملكة الاسلام في العام الف .

ابن حوقل والمقدسي : التركة الموروثة

اذن يأتي الثقات في الطليعة . وهم الأئمة القدامى ، سواء ذكروا صراحة ام لم يذكروا : وتشهد على هذه الحالة نبذة المقدسي عن الاهواز (٣١) ، المنقولة عن الجاحظ بداهة . وبعد ان انطلقت جغرافية صفات البشر ومكوناتهم ، بذلت كل ما في وسعها لتنجح ، واستقت من شتى الاماكن التي استطاعت الوصول اليها . واثرت فيها الامثال والمعتقدات (٣٢) ، وفقه اللغة الذي يزعم انه يكشف مزايا السكان وعيوبهم (٣٣) من احرف اسم المكان واصواته . واقتربت المواضيع بمنهج آخر : هو لائحة خصائص شتى البلدان والسكان على غرار الجاحظ (٣٤) ايضا ، وتأثير فارس بالقدر ذاته في هذه الحالة : وهكذا تبين اللائحة الشهيرة التي نظمها ملوكها ، بلا ترتيب ، الجيد والسيء من اراضيها واهلها (٣٥) . ويعاد سرد جميع ذلك ، ويخلط به ، ويسهب ، ويؤلف من جديد احيانا . ومن مزايا المقدسي ، تنهيج

(٣١) المقدسي ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ (ح ١) .

(٣٢) مثال المقدسي ، ١٦٠ - ١٦١ .

(٣٣) انظر ما تقدم ، فصل ٦ ، ص ١٢١ .

(٣٤) انظر ما تقدم ، فصل ٦ ، ص ١٢٨ وما يليها (عن هذه التشابهات ، انظر

مثلا حالة الرحاب ، وكرمان والسند . . المرجع ذاته ، ص ١٣٠) .

(٣٥) المقدسي ، ٢٥٧ - ٢٥٨ . (ابن الفقيه ، ٢٠٩ - ٢١١) .

مقارنة المؤهلات والنواقص لا بين بلدين او مدينتين على الدوام ، بل ضمن كل منهما ، ومدحها او ذمها على التوالي (٣٦) : وهذا العمل تمرين انشائي في الحد الاقصى ، لا يجوز قبول معطياته الا بتحفظات صريحة جدا ، الا اذا تمكنا بواسطتها من بلوغ حكمة نهائية لا تختلف كثيرا عن حكمة المألوف ، على نحو ما نتوصل إلى معرفته من خلال مصنفه : فمهما يكن ، لكل بلد ولكل انسان محاسنه ومساوئه ، وجميعهم متساوون .

وتبدو مقاطع لا تحصى ، ارضن وافضل للاستفادة منها ، لأن التدوين لا يعني الا بما يسجل فيه : وتسمح اولا بادراك المرتكز النظري الذي عرفناه من قبل ، اقصد العلاقة بين الانسان والارض ، انما بشكل ايضاحات حسية تتعلق بالموقع والخريطة والمناخ والمياه والتربة (٣٧) فالموقع يبين مثلا ان الاتجاه إلى الغرب يزيد بياض البشرة ، وصفاء العيون ، وكثافة اللحي . ويقول المقدسي ان هذه الظاهرة بادية في بلاد المغرب (٣٨) . فالهواء « رديء » في زم على جيحون ، لذلك اهلها مصفرو الالوان ، والهواء قوى في نيسابور ، لذلك تطول اعمارهم ، وهذا تضاد واضح بين زم ونيسابور (٣٩) . والغالب على اهل كرمان السمرة لشدة

(٣٦) على الأقل اهمها : وهي اقاليم ومدن ، وصفها المتضاد شبه منهج ، يبدأ معظم الاحيان بالخصال الحميدة ونادرا بالمساوىء (المقدسي ، ٣٦٠ ، ٤٢٩) . يلاحظ هنا أيضاً ، وجود سابقات ، مثلا الجدل بين أهل الكوفة وأهل البصرة عند ابن الفقيه .

(٣٧) حيث يعثر على بعض العوامل الواردة عند المسعودي كما نرى .

(٣٨) المقدسي ، ٢٤٣ .

(٣٩) المقدسي ، ٣٣٢ .

الحر (٤٠) وكل بلد شديد البرد ، فاهله اسمن واضخم واحسن واكبر لحي ، مثل فرغانة وخوارزم وارمينية (٤١) . وآثار المياه معروفة ايضا : فصغر بلد قاتل للغرباء ورديء الماء ، واهلها سودان غلاظ وماؤها حميم ، وهنا تتميز الارجاء الجنوبية من البسحيرة المنتنة (٤٢) : اخيرا لنسمع ابن حوقل يتحدث عن قرية سمرقند : « وتربة سمرقند من اصح الترب واييسها ، ولولا كثرة البخارات من المياه الجارية بها في سككهم ودورهم ، وكثرة اشجار الخلاف بينهم ، لأضر بهم فرط يابسها على ما يحكيه بعض الاطباء (٤٣) » .

وهناك فكرة رئيسة اخرى ، معروفة ايضا ، ومدروسة على ضوء حالات حسية : هي الصلة التي لا تنفصم بين الطبيعة والاخلاق بسلسلة كاملة من الآليات ، اولها تأثيرات الكواكب التي تعمل في العقول والابدان معا : فلدمشق مثلاً خاصية بطالعتها المحيل بطاعتها إلى الخلاف (٤٤) . وترتبط العلاقة احياناً بحالة بيولوجية ناشئة عن النظام الغذائي . ويقول ابن حوقل عن ذلك في حديثه عن بارمو (٤٥) :

(٤٠) بن حوقل ، ٣١١ ، انظر أيضاً ابن حوقل ، ٢٨٩ (الصرود والجروم في فارس) .

(٤١) المقدسي ، ٣٦ ، وبذا ترسم منطقة برد نحو المناطق القصوى في الشمال والغرب ، كما قيل من قبل .

(٤٢) المقدسي ، ١٧٨ ، لم يبرز صلة العلة والمعلول بصراحة ، الا ان المقطع بكامله وارد في سياق الحديث عن الماء (« ولا اعرف في الاسلام لها نظيراً في هذا الباب » . عن تأثيرات المياه ، انظر ج دا ، ج ٣ ، آخر ١٤١ - ١٤٢ وما يليها .

(٤٣) ابن حوقل ، ٤٩٤ .

(٤٤) ابن حوقل ، آخر ١٧٥ .

(٤٥) ابن حوقل ، ١٢٣ - ١٢٤ .

« واكثر مياه البلد والحارات من الآبار ثقيلة غير مريثة . وانما صرفهم إلى شربها ، رغبة عن شرب الماء الجاري العذب ، ثقله مروءاتهم (٤٦) ، وكثرة اكلهم للبصل ، وفساد حواسهم بكثرة تغذيتهم بالنبي منه ، وما فيهم من لا يأكله كل يوم او يؤكل في داره صباح مساء من سائر طبقاتهم ، وهو الذي افسد تخيلهم ، وضر ادمغتهم ، وحير حواسهم وغير عقولهم ، ونقص افهامهم ، وبلد معارفهم ، وافسد سحنة وجوههم ، واحال امزجتهم حتى رأوا الاشياء او اكثرها على خلاف ما هي به . . . فاما نتيجتها ، فليس بالبلد عاقل ، ولا فاضل ، ولا عالم بالحقيقة بفن من فنون العلم ، ولا ذو مروءة و متدين » .

وتطراً بعض التبدلات على الموضوع ذاته . فالمقدسي يوحى بطيبة خاطر بوجود ذهن ثاقب مثقف يتناسب مع حد ادنى من رغد العيش . فحلب في نظره بلد نفيس في اهلها ظرف ، ولهم يسار وعقول — واليسار مادي ومعنوي (٤٧) . والعراق اخف على القلب ، واحد للذهن ، وبها تكون النفس اطيب ، والخطر ادق ، اذا كانت كفاية (٤٨) . يتخني الآليات في بعض الاحيان وراء حدة الذهن والتفاعل ، لأن المؤهلات تؤثر في الاوضاع الاقتصادية ، التي تؤثر بدورها في تصرفات البشر . ويشرح ابن حوقل (٤٩) الوضع في مثال الموصل ويعتبر ان غنى البلد « دليل على اوصاف اهله وشأنهم في ذات انفسهم » . ويضيف

(٤٦) حرفياً : « المروءات » . ويمثل هذا التقص في مياه الآبار « غير المريثة » تلا حظ المقابلة الدقيقة بين العنصرين الطبيعي والبشري ، التي تبرزها المفردات (٤٧) المقدسي ، ١٥٥ .

(٤٨) المقدسي ، ٣٢ - ٣٣ ، ذكر من قبل ، الفصل ٦ .

(٤٩) ابن حوقل ، ٢١٦ و (عن القسم الثاني من جملة الجاحظ ، المذكورة في ج دا ، ج ١ ، ٤٩) « يشتهر الناس بأموالهم » . انظر أيضاً ما تقدم ، فصل ٨ ص ١٩٦ آخرها - ١٩٧ .

مباشرة : « قوام الدنيا واهلها بالاموال ، اذ محلهم في انفسهم ،
وكيفيتهم في عيشتهم وسياستهم في مروءاتهم بمقدار ما يملكونه ، وبه
يكنهم المروءة والافضال والتصرف في كل جهة وحالة » .

لقد اختيرت هذه الامثلة من بين كثير غيرها . وهي تشهد على
حفظ الدروس واختباره بالوقائع . وفي تاريخ الجغرافية العربية يثبت
الرجوع ، بصراحة او ضمنا ، إلى طروحات معروفة من قبل ، ان
التطور الجاري فيها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، نشأ
عن وراثته النظرية وعن مقتضيات التطبيق : بقي ان نعرف الآن ما
يقوله التطبيق في الوقائع .

خريطة بيولوجية معممة للبلدان دار الاسلام

لا نتوقع من ابن حوقل والمقدسي بيانا كاملا عن بنية الجسم عند
شعوب دار الاسلام (٥٠) . ويقبل وضع وسطي ضمنا ، لذلك نعننى
بالحالات المثيرة مثل الصحة الجيدة الاستثنائية ، والامراض المستوطنة
مثلا ، او ايضا حالة شخص هامشي يكشف قدومه عن وضع تآلف
معه سائر الناس ، نقصد الغريب الذي تضره هنا وهناك المياه الرديئة
او الهواء الوبيء (٥١) . اذن لدينا من جهة البلدان السيئة ، المليئة
بالحميات والامراض بدون تدقيق اضافي : كمخوزستان وفارس (٥٢) ،

(٥٠) تناولنا هذه المعطيات من وجهة نظر اخرى ، هي الوسط الطبيعي في ج دا ، ج ٣ ،
١٦٧ وما يليها و ٣٠١ وما يليها .

(٥١) ابن حوقل ، ٧٣ ، ٢٥٤ ، المقدسي ، ١٧٨ ، ٤١٠ ، و ج دا ، ج ٣ ،
٣٠٤ ، ج ٣ . نذكر بشأن هذا الموضوع ، بصيغة الجاحظ (مرت في ج دا ، ج ١ ، ٤٩)
«آلة لقتل الغريب» ، في حديثه عن الاهواز .

(٥٢) ابن حوقل ، ٢٥٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩ ، المقدسي ، آخر ٧٧ - ٧٨ (الجحفة
في جزيرة العرب) ، ٤٣٣ .

او التي يخيم عليها شؤم ظل الحرب في مصر (٥٣) ، والشلل في فارس (٥٤) والجذام في مصر خاصة ، وايضا في المغرب وكرمان والشام وصنعاء باليمن ، التي يظهر لقلة سطوة الشمس وتأفة تحليلها عن جسمهم (٥٥) ، حسب ابن حوقل : وتأتي في الجهة الثانية الاستثناءات : فخراسان وما وراء النهر ليس فيهما جذام ولا يعرفونه ، وبفارس مجذومون قلائل ، فهي تبدو بمنجاة منه في الحد الأدنى (٥٦) .

وهناك بعض التدوينات الحسنة في سياق وصف الاجسام : فالغالب على اهل بصرة المغرب جمال القدود عند البربر ، والصحة ونقاء البشرة في اهل خوزستان فيما بعد عن مياه دجلة المالحة ؟ (٥٧) . والصحة واللحية الكثيفة ظاهرتان من مرتفعات ارمينية الى اخريجان وبحر قزوين (٥٨) . وحسن القدود والشطاط دليل اعتدال الخلق والابتلاء ، ومصدر فوضى (٥٩) مثل كل تفريط . ويشاهد في خوزستان بعض حالات غريبة ، منها رؤوس اهل رامهرمز المقاطعة ، والتشوهات التكوينية

(٥٣) المقدسي ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ (لعله متصل بالجذام على الأرجح ، وبالقدارة وبالافراط باستهلاك السمك) .

(٥٤) المقدسي ، ٤٣٩ (مع كثرة العور أيضاً) .

(٥٥) ابن حوقل ، ٣٧ ، المقدسي ، ٩٥ ، ١٧٩ ، ٢٠٢ (عن الجذام ، انظر ما تقدم ، ح ٥٣) ، ٢٣٦ (مع خصيان كثر في المغرب والاندلس من الرقيق المستورد طبعاً) ، آخر ٤٦٨ .

(٥٦) المقدسي ، ٣٢٣ ، ٤٣٩ .

(٥٧) ابن حوقل ، ٨٠ ، ١٠٣ ، ٢٥٣ ، ٢٨٩ .

(٥٨) المقدسي ، ٣٦٨ ، آخر ٣٧٨ ، تردد عند ابن حوقل ، آخر ٣٧٦ ، ٣٨١ حول قضية زوال الشعر في هذه المناطق .

(٥٩) ابن حوقل ، ٨٠ ، المقدسي ، ٣٦٨ (حول ابتلاء انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٣ ، ٤٢٥ (و ح ق : عن اغن انظر م ج ع ، ج ٤ ، آخر ٣١١ - ٣١٢) .

عند بعض الرجال الذين لهم ثدي كبير كثندي النساء ، واذناب بين القبل والدبر مثل الاصابع (٦٠) ، ثم مجموعة الاعلاء والمفاويين والسقماء ، ممن عمرهم قصير وشعرهم قليل ، واجسامهم نحيفة تحاكي الخلال ، كما في كرمان (٦١) .

والموقف مماثل في ملاحظة الوان البشرة . ويفترض ان اللون « الجميل » و« الصافي » هو القاعدة (٦٢) . لذلك ، لن نذكر الا الشواذات : فكل مصفر عليل (٦٣) ، كما قلنا . والبشرة سمراء او سوداء في البلدان الشديدة الحر ، كبطائح العراق وجزيرة العرب الجنوبية وبلد الاردن والبحيرة المنتنة ، والفسطاط وفارس وكرمان والسند (٦٤) . وتلك الاوضاع حالات خاصة هنا ايضا . فارض برقة حمراء خلوقية التربة ، وثياب اهلها ابداء محمرة . ويعرف اهلها بالفسطاط من بين اهل المغرب بحمرة ثيابهم وتغيرهم (٦٥) : وصفاء

(٦٠) المقدسي ، آخر ٤٠٣ (ومن الاهانة الذنباني : أبو ذنب ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٤٢) ، ٤١٨ (عن مبلطح ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٣) .
(٦١) ابن حوقل ، ٢٥٤ (نحافة وخفة شعر متناقصة مرتبطتان بالبلدان الحارة) ، المقدسي ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ٣٦٨ ، ٤٣٣ ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ ، آخر ٤٦٨ ، ٤٧٩ (عن بلغماني ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٣) .
(٦٢) تدوينات نادرة بهذا المعنى ، تبرز جمالا استثنائيا (ابن حوقل ، ١٠٣ ، المقدسي ، ٣٦٨ ، والأمثلة المذكورة في ما يلي) أو ليس للبشرة صفاء (المقدسي ، ٤١٨) .
(٦٣) ابن حوقل ، ٢٥٤ « خوزستان وبلدان حارة اخرى » ، ٢٨٩ (فارس) ، المقدسي ، ٤٠٤ (ح ١ : خوزستان) ، ٤٣٣ « سابور في فارس » ، ٤٤٨ (فارس) ، وما تقدم ، حاشية ٣٩ .
(٦٤) ابن حوقل ، ٢٨٩ ، المقدسي ، ٨٧ ، ٩٥ ، ١٢٦ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٠٠ (بشرة غامقة محسوبة ضد الفسطاط ، آخر ٤٦٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، وما تقدم حاشية ٤٠ .
(٦٥) ابن حوقل ، ٦٦ .

البشرة الرائع « والوجوه الجميلة كاللؤلؤ والمرجان » في البلدان الواقعة على سواحل بحر الخزر (٦٦) . واهل الري احسن الوانا من سائر اهل الجبال ، والباقون مخضرون (٦٧) . وقد خلف المقدسي دراسة وافية (٦٨) صغيرة عن بلدان شمالي شرقي دار الاسلام ، فقال : « والوانهم مختلفة ، احسنهم اهل الشاش وفرغانة وما وقع في ذلك الصقع ، ثم اهل نسف وطراز وباراب ، ولا نظير لنسأهم . ثم السمرقنديون ، ثم البخاريون ثم المراوزة ، ثم لا شيء ، والوان طبس التمر حجازية ، مثل سجستان وغزنة . واهل خوارزم بيض حمر ، غير ان لهم خلقة اخرى » (٦٩) .

في الختام ، نطرح تساؤلا حتميا في هذا المجال : هل ينطوي هذا الموضوع على شيء من العصبية العرقية ؟ فصحيح ان اللون الصافي المعقول مفضل ، وان البشرة السوداء القائمة المنتشرة في البلدان الحارة منبوذة (٧٠) . لكن في النهاية لا يحكم ابن حوقل ولا المقدسي على الشعوب المدروسة على هذه الاسس . والاخلاق ترتبط بصفات الاجسام ، الا ان الحكم الاجمالي لا يتم الا اعتمادا عليها (٧١) .

(٦٦) المقدسي ٣٦٨ ، ٣٧٨ .

(٦٧) المقدسي ، ٣٩٨ ، (عن مخضر زيتوني ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٦ ، Fuscus)

(٦٨) المقدسي ، ٣٣٦ ، توجد دراسة اخرى ، ليست كاملة مثل هذه تتناول الديلم

(المقدسي ، ٣٦٨ : انظر ما تقدم ، ح ٦٦) .

(٦٩) مذكورة بلا اضافة ولا تدقيق .

(٧٠) نبذ ضمني (مثال الجبال) أو أعلن عنه صراحة (ما تقدم ، حاشية ٦٤

لفسطاط) .

(٧١) مثال المقدسي ، ١٧٨ ، ٢٠٠ ، ٤٨٢ : التدوينات الجسدية أقل من تدوينات

التصرف الاخلاقي والحقني أو اللغوي ، أو بالنسبة الى التدوينات المتعلقة بشروط الحياة .

ومن هنا نشأت أهمية جغرافية التصرفات والاهليات التي لا تنفصل عن جغرافية الطبائع . وهي اهم في نظر الجغرافيين كما ونوعا .

الخطوط الكبرى في الجغرافية الاخلاقية في دار الاسلام :

يرتبط المعطى الجغرافي ارتباطا عضويا ، صراحة او ضمنا ، بالبيئة . فعلى غرار الجسم وبواسطته في الغالب ، يؤدي العقل ضريبة إلى الوسط الذي يعيش فيه . وأحيل من اجل هذه الناحية إلى الامثلة المذكورة من قبل عن الاهواز ودمشق وبلرمو . وقلت ايضا ان هذه الجغرافية اساسية في نظر الجغرافيين . ونتغاضى عن التدوينات المتفرقة التي لا تحصى الواردة في كتابي ابن حوقل والمقدسي ونذكر ان هذا الاخير يشعر احيانا بالحاجة إلى أفراد نبذة لهذه المواضيع . يعنونها « الاخلاق » (٧٢) . اذن هذا المعطى غني جدا ، لكن لا يجوز تناوله والحكم عليه الا بعد اتخاذ كثير من الاحتياطات ، لأن هذه الجغرافية تميل في الغالب إلى التطرف ، والتفضيل ، والآليات الذاتية .

وعلى غرار الجسم ، لا يسترعي العقل انتباهنا الا عندما يجيد ، بالخير او الشر عن متوسط مقبول ضمنا . ولابد من الاعتقاد اصلا بان هذا المتوسط ، الفكري ، او الاخلاقي ، في هذه الحالة ، ينتشر انتشاراً او يتيسر تيسراً ، يقل كثيرا عما نتصوره . والبرهان على ذلك ان جنر « وسط » الذي يعبر عنه ، عند المقدسي ، يتجه اما إلى ما

(٧٢) اخلاق : المقدسي ، ١٠٣ ، تتوفر تدوينات اخرى أيضاً تحت عنوان اكثر انتظاماً مسمى رسوما ، سوف ندرس الجوهري فيه في الفصل التالي . يلاحظ في اقليم النجبال عنوان « عيوبهم » . (المقدسي ، ٣٩٩) .

دون هذا المتوسط وحتى إلى الأسوأ ، واما إلى الوضع النموذجي الكامل (٧٣) . مهما يكن فهذه مؤهلات او مواقف بينة بوضوح في هذا الاتجاه او ذاك ، يعرضها بكثرة ابن حوقل والمقدسي .

ويعلل قسم كبير منها ، حتى في تطرفه ، بافضليات المصنفين الجغرافيين . فاذا سيطر مذهب شرعي او فقهي يجذونه في احدى المدن ، او حكمت سلالة يعتبرونها شرعية ، انطلقت السننهم بالمديح ، وعلى النقيض ، اذا حفظوا ذكرى سيئة عن بلد من البلدان ، حار جدا او بارد جدا ، او قصر في استقبالهم عما كانوا يتوقعونه ، ثارت ثائرتهم بالنقد اللاذع لاهله . ولابن حوقل مثالان مكملان وطويلان عن هذا الرأي القبلي : هما مثال صقلية التي مرغت في الوحل ، وما وراء النهر الذي اطنب في اطرائه . ونستطيع ان نستشف على وجه التقريب الخيارات السياسية الكامنة وراء هذه المقاطع (٧٤) ، لذلك لا يجوز اخذ مضمونها حرفيا ، وهذا اقل ما يمكن التفكير به .

يضاف إلى ما تقدم الاهتمام بالتعبير ، قلّ ما يكون عند المقدسي وقد اشرت من قبل إلى المقابلات والمقارنات ، وقلت انها ترتبط في اغلب الاحيان بتمرير الانشاء ، لا بالتقصي . فعندما يتوخى الانسان اثبات امكاناته الكتابية بالادلة المادية ، ويصمم على عرض افكاره

(٧٣) المقدسي ، ٣٣ ، ٦٨ (ح او) ٤١٦ ، (١ح) ٤٧٨ ، ج ع ، ج ٤ ، ٣٧٥ ، ودوزي ، ج ١ ، ٨٠١ - ٨٠٢ .

(٧٤) عن صقلية المشكوك دوما تقريبا بنزعتها الى الاستقلال الذاتي عن السلطة الفاطمية ، انظر ا . ميكيل « ابن حوقل » ، ١٣ (٢) ، ج ٣ ، ٨١٠ و ١٠ = ريزتانو « الكليون » ، المرجع ذاته ، ج ٤ ، ٥١٧ - ٥١٨ . أما الموقف من السامانيين فاسبابه قريبة بلا ريب من اسباب المقدسي : انظر ج ١ د ، ج ١ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ .

باسلوب ثقافة عصره ، ويبالغ فيه ، ويعدل احيانا إلى استعمال النثر المسجوع الذي يُعْنَى بالحرس اكثر من المعنى ، فيغالي في تسيير منحى النقاش في اتجاه خير او سيئ . وطبعا اختيرت هذه المغالاة لأنها اهم من اي متوسط ، ودغدغتها خيارات سياسية او عاطفية ، وجمّلتها ميول الكاتب المفرطة . فاصبحت تمثل مجازفة خطيرة تضلل القارئ . وتقوده إلى حيث تريد ، اي إلى التطرف بالذات . اذن علينا نحن ان نتصف بالتعقل ، وان نقوم اولا بجميع هذه المقاطع التي شاء حسن الحظ بوضوح الا تتدخل فيها لا الحاجة إلى الاصلة باي ثمن . ولا الخيار الشخصي ، ولا غاية الاسلوب . وفيما تبقى ، اعني حيث تتدخل هذه العناصر — صراحة في غمرة تحمس القلم ، او بطريقة خفية بالنسبة إلى العاملين الآخرين — يجب علينا ابصاح الامور ، وتحاشي عقبتين : عقبة السذاجة التي تدفع إلى التسليم بصحة المعطى بلا تمحيص ، وعقبة التشدد بالنقد الذي يرفضه دفعة واحدة لأنه مبالغ به ، او شخصي او ادبي (٧٥) .

اخلاق البشر في مغرب دار الاسلام

إذا ألقينا نظرة عامة إلى مختلف اقاليم دار الاسلام ، وراقبنا الناس فيها ، استجلينا ثلاث نواحي تتعلق بهم ، هي جدارتهم للقيام باحد الانشطة ، وخاصة استعدادهم الفكري وصفاتهم الاخلاقية . وقد تتميز كلها بعلامات فارقة أبنائها من قبل مبتدئين ببلدان المغرب .

(٧٥) و احيانا ناحيتان ما أو ثلاث .

بالفعل ، لا يعتبر ابن حوقل ، ولا حتى المقدسي (٧٦) المغرب بمعناه الواسع ارضا لا يعتد بها بل على التقيض ، لا بد من اخذ التعاطف الفاطمي بعين الاعتبار ، حيال بلاد الاندلس التي بقيت متعصبة للامويين ، وحيال جزيرة صقلية التي لم يحل الحكم الفاطمي فيها دون ظهور محاولات استقلال ذاتي ، وحيال مدن او امارات صغيرة متمردة باستمرار وموزعة في جميع الاماكن . ولا بد من وضع البربر في فئة مستقلة تلام تارة ويُسَنَّى عليها طورا (٧٧) . فليدبرهم استعداد خاص ، هو قدرتهم الفارقة على تنظيم حياتهم وتجاوهم في الصحراء مثل اقاربهم البدو في آسية الوسطى (٧٩) .

ولا بد من وضع سجل ماسة على حدة ايضا . فهي مركز كبير للتجارة والقوافل ، على تخوم مراكش والصحراء . واهلها سعاة مع كرم وثقافة وصيانة ولباقة ، وقد اكتسبوا هذه الخصال لانفتاح اذهانهم من كثرة اسفارهم وتغريبهم عن اوطانهم (٨٠) . ويوجد باقي المغرب الاقصى الأفضل والاسوأ ، الموروث بالاحرى عن المالكين والفكر من ابن حوقل فلا تستغرب - خصوم الشيعة (٨١) . ومع الاتجاه إلى الشرق ،

(٧٦) المقدسي لا يعرف المغرب الا بصورة غير مباشرة ، وسماعا . يوجد تقويم عام ومختصر جدا أو نقدي جدا عند المقدسي ، ٣٣ (انظر أيضا ما يلي حاشية ٨١) .
(٧٧) انظر ابن حوقل ، ٦٨ ، ٨٣ آخرها - ٨٥ ، ٩٥ .
(٧٨) ابن حوقل ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٥ - ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ وما يليها ، وما تقدم فصل ٣ .
(٧٩) ابن حوقل ، آخر ١٠١ - ١٠٢ .
(٨٠) ابن حوقل ، ٩١ ، ٩٩ .
(٨١) ابن حوقل ، ٨٠ ، ٩١ ، المقدسي ، آخر ٢٢٩ - ٢٣٠ ، يشير الى كثرة الحروب والقتل في فاس (المرجع ذاته ، ٢٣٦ ، معلومات عامه عن الاندلس والمغرب) : يحبون العلم وأهله ، ويكثرون التجارات والتغريب ، كثيرو الثقلاء والبخلاء .

يشمل المديح (٨٢) بلا تمييز جميع البلدان الساحلية المعروف أنها خاضعة لسلطة الفاطميين (٨٣) لاسيما بنزرت ، و سوسة ، وفاس ، وبخاصة طرابلس ، التي اشتهرت « بمذهب في طاعة السلطان سديد » .

ويشاد بغنى الاندلس ، لكن يقسى عليها (٨٤) ، لأن غنى أهلها وادارتهم البسيطة الموفقة ، يتناقضان تناقضا كبيرا مع عيوب أهلها من ضعة في نفوسهم ، ونقص في عقولهم ، وبعدهم عن البأس والشجاعة ، والفروسية والبسالة . لذلك يحلمون بان يأتي الفاطميون في يوم من الايام ، ليقفوا ضد اعدائهم النصاري ، ويرفعوا عاليًا شأن الاندلس ، ويوفروا لها مبرر وجودها تقريبا (٨٥) . لكن لا علاقة لهذه الاعتبارات في نقد صقلية (٨٦) . ففي هذه الجزيرة ، التناقض باد بين موارد الحقول وكثرة السكان ومشهد البشر الحزين . وقد اشرنا من قبل إلى ما اصاب أهلها من فساد في دماغهم من جراء اكل البصل ، ومن رياء ونفاق دفعهم إلى تحويل الروابط على ساحل البحر ، من ثغور جهاد إلى اماكن فسق (٨٧) . وشر ما عندهم المعلمون الذين ينتقدون في صفحات كاملة (٨٨) ، وتعجب عدتهم المفرطة في الزيادة — خمسة

-
- (٨٢) ابن حوقل ، ٦٩ ، ٧٠ (قابس : وأهلها قليلو الدماء غير محظوظين من الجمال والنظافة ، ولهم سلامة .) ، ٧٢ ، ٨٤ ، ٧٨
- (٨٣) ابن حوقل ، آخر ٨٣ .
- (٨٤) بالنسبة إلى المقدسي ، انظر ما تقدم ، حاشية ٨١ : المرجع ذاته ، ٣٥ (ح ح) امان وعدالة في قرطبة .
- (٨٥) ابن حوقل ، ١٠٨ — ١٠٩ ، ١١٣ .
- (٨٦) ابن حوقل ، ١٢٠ وما يليها ، (المقدسي ، ٢٣١ — ٢٣٢ لا يتحدث بهذا الشأن) .
- (٨٧) انظر ما تقدم ، فصل ٢ ، آخره عن الروايات .
- (٨٨) ابن حوقل ، ١٢٦ — ١٣٠ .

معلمين في المكتب الواحد ، وبالبلد منهم ما يقارب ثلاث مائة معلم ، ولا ينقصون عن ذلك الا قليلا ، وهم فارون من الغزو وراغبون عن الجهاد — عن تفضيلهم المناظرات الكلامية ، لقاء اجر فاقه ، على الجهاد في سبيل الله ، لأنهم يمضون اوقاتهم باطلاق النسيمة وسرد الحماقات . ويعتقد جميع اهل صقلية ، البلهاء الفاسدون ، ان طائفة المعلمين اعيانهم ولبابهم وفقهاؤهم (٨٩) . ونكتفي بهذا القدر لأن الموضوع اصبح اتهاما لا بحثا جغرافيا .

ولا يتطرق ابن حوقل (٩٠) إلى عرض احوال مصر ، ويحل المقدسي محله ، فيمدح الفاطميين وفسطاط مصر المدعو إلى نسخ بغداد (٩١) . مع ذلك في وصفه البلد او بالاحرى فسطاطها ، تفاوت بل تناقض . فالفسطاط في نظره معدن الخير والعالم الا انه كرب البيوت ، قدر الدور ، فطيع البمين ، لا يتورع مشايخهم عن شرب الخمر ، ونساءهم عن الفجور ، وللمرأة زوجان (٩٢) .

ويهتم ابن حوقل بجزيرة العرب من زاوية سياسية . فهو لا يشير البتة إلى تصرف اهلها ، الا ان لديه مقاطع عديدة تتحدث عن السلالات المحلية ، واماكن نزول القبائل ، وتاريخ البلاد الحديث ، وكل هذه

(٨٩) ابن حوقل ، ١٢٧ ، ١٢٩

(٩٠) عن موقفه من سياسة مصر واقتصادها ، انظر ابن حوقل ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ر ج د ا ، ج ١ ، ٣٠٠ . مع ذلك ، يلاحظ في هذا الشأن الذي يهمنا ، مدح البربر (في الواحات) ابن حوقل ، آخر ١٥٣ - ١٥٤ (مقارنة بما يقال عن بربر المغرب) عن الاقباط ، انظر ما تقدم ، فصل ٣ ، « بعض الشعوب الاخرى » .

(٩١) المقدسي ، ٣٦ ، ١٩٣ ، ١٩٦ .

(٩٢) المقدسي ، ٣٣ ، ٣٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ .

النواحي مفيدة ، بل لا يستغنى عنها لتأمين مصالح الفاطميين ووسائل دعاوتهم (٩٣) . وتختلف نظرة المقدسي عن نظرة ابن حوقل ، وتدعو كثيرا إلى الدهشة ، اذ ان جزيرة العرب بلاد عربية اصيلة ، وفيها الاماكن المقدسة المسلمة . فهو يجعلها مضطرا في مقدمة مصنفه او في عرض اقليمها عرضا عاما (٩٤) . ويثني في الختام على اهلها اصحاب القناعة والنحافة (٩٥) . وتتمثل هذا الشرح مجموعة تدوينات يغلب فيها النقد . ويتصف العرب بالبأس والشدة (٩٦) ، وفي صنعاء مشايخ ليس بجمع اليمن مثلهم هيبة وعقلا (٩٧) وفيما عدا ذلك ، يتهمون بلا خفاء عند الحديث عن احدى المدن ان المناطق ، بآثام كبيرة مثل التمرد الدائم ، والمستوى الثقافي المتدني جدا ، والشح والجفاء وانعدام الظرف والفسق ، ولا يتورع (٩٨) عن التجريح باهل مكة .

ولنصعد الآن إلى الشمال . فابن حوقل يرى ان الشام قسمان : قسم جنوبي منفتح على اطماع الفاطميين (٩٩) . وتمثله دمشق ، المندد

-
- (٩٣) اشير اليها صراحة عند ابن حوقل ، ٣٧ ، عن هذه المعطيات السياسية . انظر المرجع ذاته ، ٢٣ - ٢٧ . ٣٤ ، ٣٩ ، ٤١ .
- (٩٤) المقدسي ، ٣٣ ، ٣٥ (و ح ب) ، ٦٧ .
- (٩٥) المقدسي ، ١٠٥ ، نحافة (هزال) يجب أخذها هنا بالمعنى الجيد: هيف، قد حسن
- (٩٦) المقدسي ، ٩٣ ، وتوأم قد غلب عليها قوم من قريش فيهم باس وشدة ، تدفعانها الى العنف .
- (٩٧) المقدسي ، ٣٥ (و ح ز : الأمن والعدل في صعدة) ، ٨٦ .
- (٩٨) المقدسي ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٩٣ ، ٩٥ (تدوين عام : قليل الفقهاء والمكرين والقراء) ، ٩٦ ، ١٠٣ .
- (٩٩) مشار اليهم صراحة عند ابن حوقل ، ١٧٢ وعند المقدسي ، ١٨٠ ، ١٨٩ .

بها ، لغلظ طباعها ، وميلها إلى التمرد على وجه التخصيص (١٠٠) .
ويثنى على بنادر الساحل مثل طرابلس وخاصة بيروت (١٠١) التي
يرابط بها اهل دمشق وسائر جندها ، وينفرون اليهم عند استنفارهم .
والشجاعة نادرة ومفقودة في الاماكن الاخرى ، متى وصلنا إلى
القسم الثاني من الشام ولا يعلل طمع الروم كل شيء . ولم يكن بوسعهم
ان يفتتحو ارجاء كاملة في الشمال ، لولا سوء تدبير الحمدانيين في
حلب (سيف الدولة) ، وما علق ببلاد المسلمين من الخلدان وقلة
الايمان والتخاذل (١٠٢) .

ولا يدون المقدسي الا ما يعاينه فيما يبدو ، على غرار ما فعل في
اقليم جزيرة العرب . ولا شك ان فلسطين « بلده » ، لذلك يكيل لها
المديح في عدة اسطر بكلام مسجوع (١٠٣) . ويقول ان كل شيء
فيها افضل من غيرها ، والحياة اسعد (١٠٤) . وعندما ينتهي من
ذكر فضائل المناطق والمدن ، يستعرض ما لها من عيوب . اذن من
جهة اولى حسناتها ، وفي طليعتها الايمان ، المعهود في بلاد التاريخ
المقدس . ومن جهة ثانية ، عامتهم الجهال ، ولا نهضة عندهم في
جهاد ، ولا حمية على الاعداء ولديهم استعداد للتمرد والاضطراب (١٠٥)

(١٠٠) ابن حوقل ، آخر ١٧٥ - ١٧٦ . رأينا من قبل ان هذه الصفة عائدة الى
تأثير الكواكب .

(١٠١) ابن حوقل ، المرجع ذاته .

(١٠٢) ابن حوقل ، ١٧٦ - ١٨٤ ، ١٨٨ ، وما تقدم فصل ١ ، آخره .

(١٠٣) المقدسي ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ (و ح و) ، ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٧٩ .

(١٠٤) المقدسي ، ٣٦ (عن الرملة) .

(١٠٥) المقدسي ، ١٥٢ (مع بيان الأضرار التي أحدثها الروم : موقف مماثل لموقف

ابن حوقل لكنه أقل الحاحاً وأقل عنفاً) ١٧٩ .

وتتوالى المقاييسات من مدينة إلى أخرى . فاهل حلب اهل ظرف ، ولهم يسار وعقول ، ويسان رحبة في حوض نهر الاردن . ولعافر بين الرملة وحبرون (التحليل) رغبة بالخير ، والاناقة في نابلس (١٠٦). بالمقابل ، اهل عمان والرملة ؟ جهال ، واهل بعلبك يفرطون بشرب الخمر (١٠٧) . ويظهر التناقض احيانا ضمن المدينة الواحدة . فبيت جبريل بلد الغوال والرخاء (١٠٨) . وتقع صغر جنوبي البحيرة المقلوبة ، واهلها غلاظ . وهي بقية مدائن لوط وانما نجت لأن سكانها لم يكونوا يعملون الفاحشة (١٠٩) . واهل دمشق اعصى الناس ، وفيهم شعب وخروج (١١٠) . واهل حمص حمقى (١١١) . وبيت المقدس مثال لكل البلد ، بين الخير والشر فهي جنة من احد الوجوه ، و« طشت ذهب مليء عقارب » من ناحية أخرى (١١٢) .

وبرى ابن حوقل في العراق ذكرى عظمة العباسيين ومجد علي ونجمله الحسين . فهذا الاقليم اعظم الاقاليم ، واهله اوفر عقولا واوسع علوما وافسح فطنة . وهذا الكلام قليل . لكنه يخلو من تجريح ، العراقيين (١١٣) . ويشعر المقدسي بمجد بغداد الغابر ، وبشقائها

(١٠٦) المقدسي ، ٣٤ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٧٦ .

(١٠٧) المقدسي ، ٣٤ ، ٣٦ ، ١٧٥ .

(١٠٨) المقدسي ، ١٧٤ .

(١٠٩) المقدسي ، ١٧٨ .

(١١٠) المقدسي ، ٣٤ ، ٣٦ ، ١٣٧ ، ١٦٠ .

(١١١) المقدسي ، ٣٤ ، ١٥٦ .

(١١٢) المقدسي ٧ ، ١٦٦ ، ١٦٧ (يذكر النص ان الاحالة مأخوذة من التوراة (التوراة) ، عن صور بيت المقدس ، انظر اشعيا ، ٥٩ ، ٤ - ٥ ، حزقيال ٨ ، ١٠)

(١١٣) ابن حوقل ، ٢٣٤ .

الحاضر (١١٤) ، فيصف العراق وصفا مزدوجا من زاويتين . فالعراق على الاجمال او من خلال مدنه ، يبدي مجموعة مذهلة من الخصال : الذكاء والاستقامة ، الورع والمعرفة ، اللباقة والمروعة ، وخبرة في الملاحة ايضا (١١٥) . غير انه ، من ناحية ثانية ، بلد الجور ، وبيت الفتن والغلاة من جميع الجوانب خاصة الدينية ، مع قدارة وجشع وسخافة (١١٦) .

والجزيرة آخر الاقاليم العربية حسب تصنيف المقدسي . وبها يجد ابن حوقل اعداءه الالاء ، اي الحمدانيين . وهذا يعني ان الحكم واهلها معا لهم صورة قائمة مثل القسم الشمالي من اقليم الشام وتزيد ، مع شيء من المغالاة في الوصف (١١٧) . ويتعارض هذا الموقف مع موقف المقدسي . ولا نبالغ تقريبا اذا قلنا ان الجزيرة لا يوجد لها نقد البتة من ناحية الاخلاق ، وتعد وطن الفضائل والخصال الحميدة بانواعها ، مع الوقوف بحزم في وجه الروم جيرانهم واعدائهم .

(١١٤) تحدثنا من قبل عن انحطاطها وازدهار الفسطاط . انظر أيضاً نبوءة الرسول الوارد ، عند المقدس بآخر ١٢٠ « وجبايرتها يخسف بهم ، فهم أسرع هوياء في الأرض من التودد الحديد في الأرض »

(١١٥) المقدسي ، ٣٣ ، ٣٤ ، ١١٣ ، ١١٧ - ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٠
(١١٦) المقدسي ، ١١٣ (غلاء تلميح إلى الشيعة المتطرفين) (الغلاء) يمكن أن نفكر أيضاً بـ « غلاء » ، أي ارتفاع الأسعار . أو أن مجاورة فتن « اضطرابات » تدفعني إلى تبني التأويل الأول) ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٠

(١١٧) احميل الى ما قيل من قبل عن الشام والى الفصل ١ ، آخره .

باختصار ، تتجلى فيها الصورة الكاملة التي ينبغي ان تظهر بها دار الاسلام (١١٨) .

اخلاق البشر في مشرق دار الاسلام

يطلق المقدسي اسم الرحاب على الجبال الممتدة من ارمينية إلى اذربيجان . ويكيل ابن حوقل المديح لهذا الاقليم . ويستنكر موقف بعض الامراء (١١٩) ، لكنه يلاحظ ان اهل الرحاب سعداء ، وان اكثر اهل اذربيجان وارمينية والران اهل سلامة ورغبة في الخير وطلب المعاش والستر لمادهمهم من المصائب وتكاثف عليهم من النوائب . وليس فيهم متكلم ولا متعصب للكلام والنظر ، وفيهم اطباء عقلاء اجلاء ، مياسير بصناعة الطب . وفيهم قبول للغريب وميل إلى الطارئ عليهم ، حتى ان احاطتهم المسافر بالملاطفات تثقل عليه (١٢٠) . ويرى المقدسي ان فيهم اريحية لاسيما صلابة في الدفاع عن دار الاسلام

(١١٨) يتجلى الاسلوب العام عند المقدسي ، ٣٣ : اوسط الاقاليم اقور (عن جذر وسط ، انظر ما تقدم م ح ٧٣) . انظر أيضاً المقدسي ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ وسط ، انظر ما تقدم م ح ٧٣) . انظر أيضاً المقدسي ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ يلاحظ ان احالة المقدسي العامة ، ص ٣٣ ، غير واردة في المخطوطة ب ، المعروفة بزيادة تعاطفها مع الفاطميين (عن هذه القضية ، انظر ج دا ، ج ١ ، ٣١٧ - ٣١٨) . وهكذا نعود الى موقف اقرب من موقف ابن حوقل ، حيال الحمدانيين ، الذين تضلل سلطتهم في شمالي الاقليم الشامي الاطماع الفاطمية . الا ان الاسلوب العام يتعارض مع لهجة ابن حوقل (البرهان وجود احالات اخرى في النسختين ب و ج) .

(١١٩) ابن حوقل ، ٣٣١ وما يليها ، واماكن متفرقة .

(١٢٠) ابن حوقل ، ٣٤٠ - ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣ .

ضد الروم . وهم على العموم ثقلاء وبخلاء ، لا ينظرون في العواقب ، ولا يعذرون اهل المذاهب (١٢١) .

وتغلب العجلة والطيش ، حسب ابن حوقل ، على اهل البلدان الواقعة على شط بحر الخزر (١٢٢) ولا يحب المقدسي السلالة البويهية لأن اصلها من تلك الارحاء (١٢٣) . فيوجه اليهم نقدا لاذعا ، ويرميهم بالمقذعات من الوسخ إلى الخفة إلى ايمان ضعيف وفسق عظيم ، وكلام عجل ، وغير ذلك (١٢٤) . لكن لا يسعه من جهة اخرى الا ان يعجب بنجاح البويهيين ، فيذكر انهم رجال في القتال (١٢٥) . ويصفهم بنخصل تتنافى كليا مع عيوبهم السابقة . ففيهم مخافة ، وتقاليدهم نقية وشريفة ، ويرحمون الضعيف ، ويحلبون الشريف ، اذكاء ، كبراء في الفقه واجلة في الحديث ، ولهم عمل لطيف ، وهم ماهرون في الحياكة (١٢٦) . وقد ابرز المقدسي بجلاء مثالين على هذا التردد : في قصبة شهرستان (١٢٧) وخاصة في مدينة بيار موطن اجداده

(١٢١) المقدسي ، ٣٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ (مع ملاحظة تتعارض مع ملاحظة ابن حوقل : ولا طبيب حاذق) .

(١٢٢) ابن حوقل آخر ٣٧٦ - ٣٧٧ ، ٣٨١ . العزة والأباء والفروسية . منفية (على الاصح مخنفة : ابن حوقل ، ٣٨٢) أو مقتصرة على بعض الفئات الارستقراطية (ابن حوقل ، ٣٧٩) .

(١٢٣) انظر ج دا ، ج ١ ، آخر ٣١٦ - ٣١٧ ، والمقدسي ، ٤٧٢

(١٢٤) المقدسي ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(١٢٥) المقدسي ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ ، ٤٠٠ وما تقدم ، فصل ١ ، «البلدان والسلطات» .

(١٢٦) المقدسي ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ (عن نحافة ، انظر ماتقدم ، ح ٩٥) ٣٦٠ - ٣٧٠ .

(١٢٧) المقدسي ، ٣٥٧ - ٣٥٨

لأمه (١٢٨) . فهل هذا تردد ام موضوعية ؟ نميل الى الموضوعية لأنه كان بالاحرى بالمقدسي ان يبدأ بالاشياء السيئة وينتهي بالحسنة بالنسبة إلى بيار ، لكنه عمل العكس . وهذا يعني انه لا يأبه لترتيبها ، وما يهمه فقط عناصر الوصف .

وننتقل الآن إلى اقليم الجبال ، الذي نلمس في الحديث عنه سماحة ابن حوقل الذي يصف بالنبل والشجاعة والنباهة والثقافة — الدينية خاصة — الارستقراطية الارضية او المدنية (١٢٩) ، او مدن الري وقزوين والدينور (١٣٠) . اما المقدسي فيواصل اندفاعه ، فيتناول الاقليم عامة او بعض المدن ، ويذكر ما لها وما عليها (١٣١) ، وبغلي احيانا بالعيوب : فاصبهان والري جيدتان في زعمه حتى يمكن تقدسهما او نبذهما (١٣٢) .

ويمثل اقليما خوزستان وفارس في جغرافية الاخلاق ، بلدين متميزين في عرف ابن حوقل ، ولدا واحدا في نظر المقدسي . فابن حوقل (١٣٣) يروي ان الغالب على اخلاق خوزستان الشراسة والمناقشة

(١٢٨) المقدسي ، ٣٤ ، ٣٥٦ — ٣٥٧ ، ٣٦٧ (مهارة في البناء مع التذكير بأسرة ابن حوقل لجهة أمه) .

(١٢٩) ابن حوقل ، ٣٥٨ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ .

(١٣٠) ابن حوقل ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٩ ، على النقيض ، فقد ضمنى للشرب والقصف والعزف إبان النبروز في سوق كرينه في منطقة اصفهان (ابن حوقل ، ٣٦٤ ، يذكر في ما تقدم ، فصل ٧ ، « المعارض والأسواق ») .

(١٣١) المقدسي ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨٤ . ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ وإحالات الحاشية اللاحقة .

(١٣٢) المقدسي ، ٣٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، آخر ٣٩٠ — ٣٩١ ، ٣٩٩ (وفي أهل اصفهان بله وغلو في معاوية) .

(١٣٣) ابن حوقل ، ٢٥٤ — ٢٥٥ (مع البخل كصفة ثانوية) .

فيما بينهم في السير من الامور . وفي عوامهم واهل مهنتهم من الرياضة بالكلام والعلم به وبوجهه ، ما يضاهون به الخواص من ارباب البلاد وعلمائهم . ثم يقول حرفيا : « ولقد رأيت حمالا عبر وعلى رأسه وقر ثقيل او على ظهره ، وهو يسير حمالا آخر على حاله ، وهما يتنازعان في التأويل وحقائق الكلام غير (١٣٤) مكثرين بما عليهما في جنب ما يخطر لهما » (١٣٥) .

ويحظى اقليم فارس بثقة ابن حوقل باهله لأن العلم شائع فيهم جميعا ، وانهم منزهون عن الاخلاق الدنية (١٣٦) ، ما عدا الاراء المتطرفة في النسك والتصوف بزعامه الحسين بن منصور الحلاج ، او في بعض التشيع او الاعتزال (١٣٧) ، ويذكر ولع اهل بندر سيراف العظيم بالسفر ، وان رجلا منه الف البحر ، ولم يخرج من السفينة نحو اربعين سنة ، وكان اذا قارب البر اخرج صاحبه ، فقصى حوائجه في كل مدينة ولو كانت موطنه (١٣٨) .

أمّا المقدسي ، فلا يزكي خوزستان وفارس . فما يخصان به من سديج ، ينصب في الاساس على الحياة المادية ، والثروة الناشئة عن التجارة ، وانتاج الاصناف الشهيرة وفي طليعتها النسيج (١٣٩) .

(١٣٤) عن حقيقة ، انظر ل . غرديه ، م (٢) ، ج ٣ ، ٧٧ - ٧٨ .

(١٣٥) عن في جنب (بمقارنة) ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٠٩ .

(١٣٦) ابن حوقل ، ٢٠٠ - ٢٩٢ .

(١٣٧) ابن حوقل ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ وما يليها .

(١٣٨) ابن حوقل ، ٢٩٠ .

(١٣٩) انظر ما تقدم ، الفصل ٨ . تستر معدن كل حاذق في عمل الديباج والقطن ، المقدسي ، ٤٩٠ . تلاحظ صيغة المقدسي ، ٤٠٣ ، من أجل خوزستان : « فما أجله من اقليم لولا أهله . . . وأهله شر الناس » .

وما عدا ذلك ، فالنواحي الجيدة نادرة جداً ، مثل صحة موازين ومكايل عسكر مكرم (١٤٠) ، ومثل بعض آثار الفضائل والثقافة التي تقضي عليها العيوب مباشرة تقريباً (١٤١) . ويستشهد بارفع الثقات مثل علي ر عمر والنبي نفسه (١٤٢) في اعطاء حكم عام يشمل جميع السكان ، بلا استثناء الارستقراطية (١٤٣) . ونستعيض عن تعداد مسميات هذه اللامحة الحزينة (١٤٤) بالصيغ او الاوصاف التالية : « الاهواز مزبلة الدنيا » ، « رسوم شيراز عار على الاسلام » ، وفي المقابر مجتمع الفساق ، وتنزو النساء كالتقطط عندما تزهر الغبيراء ، ودور الزنا بشيراز ظاهرة حتى قرب الجوامع ، يدخلون اليها بقبالات كالحمامات (١٤٥) . فما الداعي إلى هذه القضاة ، وهذا التواطؤ في الطرد من المجتمع ؟ ربما لأننا هنا عند البوميين ، ولأن الاعجاب بنجاح هؤلاء الامراء لا يستبعد التنديد بدورهم عند خلفاء بغداد الخاضعين نوصايتهم ، من خلال تساهلهم الاخلاقي عند رعاياهم :

(١٤٠) المقدسي ، ٣٤ ، ٤١٦ .

(١٤١) المقدسي ، ٣٤ ، مدينة فسا ، (٤٠٧، ٤١١ - آخر ٤٢٩ - ٤٣٠ ، ٤٣٣ ، ٤٣٧ ، اشير في المخطوطات الى تصحيحات لإلغاء مديح أو نقد : المقدسي ، ٤١١ (ح ٥) ، ٤٢٩ (ح م) .

(١٤٢) المقدسي ٤٠٣ ، لا ننسى أيضاً تأثير الجاحظ ، المشار اليه من قبل والواضح ، المرجع ذاته ، من أجل الاهواز .

(١٤٣) المقدسي ، ٣٣ ، ٤١٤ .

(١٤٤) المقدسي ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ (ح ١) ، ٤٠٨ - ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ (عن اغن ، انظر ما تقدم ، ح ٥٩) - ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤١ (ح ١) ، ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(١٤٥) المقدسي ، ٣٤ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٦ (مذكور في ج دا ، ج ٣ ٣٣٦ - ٤٧٥) ، ٤٤١ (ح آ) .

ومن هنا على النقيض ، الثناء على الحراسانيين الذين اعتبروا اخلص
انصار الخلافة (١٤٦) .

ونعود إلى مزيد من الكلاسيكية في اقليمي كرمان والسند .
فالتوازن فيهما دقيق بين الحسنات والعيوب . ففي كرمان (١٤٧) .
باستثناء مناطق اللصوصية وفقدان الامن (١٤٨) ذكرت بين ضروب
المديح ، ستة جروم جيرفت الذين لا يرفعون من ثورهم ما اسقطته
الريح ، ويأخذ الضعفاء والمساكين بغير كره من اربابها (١٤٩) .
ومن بين نواحي التقدير ، فساد النسوان (في نرماسير) (١٥٠) . لكن
يبدو جميع ذلك في النهاية بجلاء احدى الممارسات القسرية ، واميل
إلى الظن بان ايس لابن حوقل والمقدسي ما يقولانه . والبرهان مدينة
بم الاعتبار سكانها اهل صناعة وحداقة ، لكنها تنتقد ... لأن عامتهم
حاكة (١٥١) .

-
- (١٤٦) المقدسي ، آخر ٢٩٣ - ٢٩٤ (ابن الفقيه ، ٣١٥) ، ٤٤٨ - ٤٤٩ .
الموقف ذاته بالنسبة الى البويهيين والديلم ، بلدهم الأصلي ، لكنه تخفف كما رأينا لهذا
البلد ، لأنه أيضاً موطن اجداد المقدسي لأمه . عن التناقض مع خراسان ، انظر أيضاً ج دا
ج ١ ، آخر ٣١٨ - ٣١٩ .
- (١٤٧) ابن حوقل ، ٣١٢ - ٣١٣ ، ٣١٥ ، المقدسي ، ٣٣ ، ٤٥٩ - ٤٦٠ ،
٤٦٢ (وح ٥ : تصحيح المخطوط ج) - ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ .
- (١٤٨) تملل اللصوصية بالفقر : ابن حوقل ، ٣١٣ . عن القفص والبلوص
والأقوام الأخرى في هذه الأصقاع ، انظر ما تقدم ، الفصل ٣ ، «بعض الأقوام الأخرى» .
يلاحظ أيضاً الانتقاد الخبيث عند ابن حوقل للتفريط في المادة الدينية عند الخوارج خاصة
(ابن حوقل ، ٣١٢) .
- (١٤٩) ابن حوقل ، آخر ٣١٢ - ٣١٣ (مذكور في ج دا ، ج ٣ ، ٤٦٧) .
(١٥٠) المقدسي يذكره مرتين : المقدسي ، ٤٦٣ ، ٤٦٩ .
(١٥١) المقدسي ، ٤٦٥ .

ويغلب انطباع مماثل في السند (١٥٢) . فليس لاهله « رسوم تذكر » (١٥٣) . والواقع ان الجدل يستهدف التضاد بين البدهة او الميذ النازلين في جميع الاماكن وبين المسلمين الذين يحاولون مناوئتهم بلغتهم العربية وعلماؤهم او انصاف علماؤهم ، مثل ابي القاسم البصري الذي كان يتولى « القضاء والامارة والبندرة » ، وكان لا يعرف ثلاثة في عشرة ، بل كان رجلا من اهل القرآن » (١٥٤) .

والحكم متوازن ايضا في سجستان (١٥٥) وافغانستان (١٥٦) . ويرز ابن حوقل مهارة اهل سجستان وخبرتهم في نقل الرمل العنيد والداهم . اما افغانستان . وبدقة الغرج (غرج اشار : غرجستان) ، شمالي خط يمر في هراة وفي باميان ، فالمقدسي يدون ثلاث مرات ، ما بدا له ابرز ما في جميع هذه الارحاء ، وربما في جميع الدنيا : اي مجتمعها كاملا مبني على « العدل الحقيقي » ونظر العزيزي الحكيم وبقيّة من سنن العمرين . وفيه قوم سلماء صالحون من « الطينة الاولى » (١٥٧) .

(١٥٢) ابن حوقل ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، المقدسي ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ - ٤٨٢ . عن اهل السند ، انظر ما تقدم ، فصل ٣ مذكور سابقاً .

(١٥٣) المقدسي ، ٤٨١ .

(١٥٤) ابن حوقل ، ٣٢٤ . عن بندرة ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٤ .

(١٥٥) ابن حوقل ، ٤١٥ - ٤١ ، ٤١٩ ، المقدسي ، ٣٤ (عن تاويل انقب ، انظر الترجمة ، ٧٨ ، ح ١٣) ، ٣٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(١٥٦) ابن حوقل ، ٤٣٨ ، ٤٤٩ ، المقدسي ، ٣٤ ، ٣٥ (ح ز) ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(١٥٧) من الطينة الاولى : حرفيا من الطينة الاولى (طينة ، طبيعة ، خلق ، عن طين «غضار») .

ونختتم باقليمي خراسان وما وراء النهر ، اللذين يوحدهما ابن حوقل والمقدسي (١٥٨) ، لأن خراسان تساند باخلاص القضية العباسية كما قلنا ، ولأن السامانيين في ما وراء النهر ملوك مستنبرون وحكام (١٥٩) . لذلك يعبر عن الرضى التام عن خراسان (١٦٠) ، ويخص ما وراء النهر بصفحات من التقريظ (١٦١) في ثلاث نواح ، هي حسن السلوك والمعرفة والنشاط البارز بخاصة على التخوم التركية العدو أحيانا . ويقول المقدسي (١٦٢) عن هذه البلدان (في إقليم المشرق) أنها « مفخر المسلمين » وأهلها اصحاب دين مستقيم « وقوم لباسهم الحديد ، وأكلهم القديد ، وشرابهم الجليلد » . وعلى وجه الاجمال ، يخلو كلام ابن حوقل عنهم من النقد ، ونقدهم نادر جدا

(١٥٨) نذكر ان البلدين يشكلان عند المقدسي اقليما واحدا يسميه المشرق ، في حين يميز ابن حوقل ما وراء النهر وخراسان (مع افغانستان) وسجستان . ويوزع المديح على المشرق اجمالا ، فيجب ان ينعكس بالتالي حسب المقدسي ، على سجستان وافغانستان ، لكن رأينا في الواقع ان الحكم أكثر تدرجا .

(١٥٩) انظر ما تقدم ، ح ٧٤ .

(١٦٠) ابن حوقل ، ٤٣٠ ، المقدسي ، ٣٣ ، ٢٦٠ ، ٢٩٣ - ٢٩٤ (ص ٢٩٥ ، نقد مختصر لزيادة فساد الاخلاق . انظر أيضاً ٣٢٣ عن المذاهب ، و ٣٣٦ عن العصبية) . (١٦١) ابن حوقل ، ٤٦٤ - ٤٧٢ ، المقدسي ، ٣٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ (نقد ضمن مدح « أغلظ رقابا » . بلا شك خطأ نسخ اذ ان التعبير ذاته (أغلظهم رقابا) يصف الأتراك فيما بعد : المقدسي ، ٢٩٤ ، يكرر ابن الفقيه ، ٣١٦) ، ٣٢٣ (مع بعض التحفظات بشأن بعض نقاط ايمان هنا وهناك) ، ٣٣٦ (ملاحظة ماثلة) .

(١٦٢) المقدسي ، ٢٦٠ - ٢٦١ .

وقصير عند المقدسي (١٦٣) . بالمقاييل ، المديح (١٦٤) وافر وعام
او مفصل في الحديث عن المدن او الرساتيق ، ويبرز مدن مرو ونيسابور
وبلخ وسمرقند وبخارى ، ويجعلها منابر الثقافة والاخلاق .

اذن هذا هو وصف الاخلاق في دار الاسلام حوالى العام الف .
ولا شك انه متفرق ، الا ان تنائره اضعف بكثير من تنائر جغرافية
الامزجة . وفي الاصل ، لابد ان نضيف إلى علم المؤهلات الفكرية
والاخلاقية اسماء جميع الاعلام الشهيرة المولودين او المتوفين هنا
وهناك . فذكرهم ترمز إلى فضائل البلد ، ويحتمل ان تقترب آثارها
بذكرى الاتقياء والشهداء والزهاد والعلماء (١٦٥) . وبذا تحبو جغرافية
المشاهد معرفة الطبيعة البشرية وثيقة اخرى تثبت فائدتها وصحتها .
وقد يؤخذ على هذه المعرفة تأثيرها المفرط بميول المصنف السياسية

(١٦٣) نادر الى اقصى حد على المستوى العام (انظر ما تقدم ، ح ١٦٠ - ١٦١)
وبالتالي في الأساس خاص بمدن أو رساتيق وأقصر من المديح : المقدسي ، ٣٤ ، ٣٦ ،
٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ (فضائل وعيوب متوازنة في العرض) ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ،
٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٣٠٠ ، ٣١١ (نقد اطول قليلا لمرو) ، آخر ٣١٥ - ٣١٦
(ملاحظة مماثلة لنيسابور) ، ٣١٩ ، ٣٢٠ : حوالى مرتين أقل من تدوينات الحسنات
(انظر الحاشية التالية) .

(١٦٤) من أجل الأمور العامة ، انظر ما تقدم ، ح ١٦٠ - ١٦١ . من أجل المدن
أو الرساتيق ، انظر ابن حوقل ، ٤٣٤ ، ٤٤٣ ، ٤٤٨ ، آخر ٤٥٣ ، ٤٨١ ، ٤٩٠
آخر ٤٩٤ (كثرة الخير تؤدي الى انحطاط اقتصادي) ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، المقدسي ، ٣٣
٣٤ ، ٣٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ (انظر ح . سابقة) ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ،
٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣٠١ - ٣٠٢ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٥ - ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ،
٣٢١ ، آخر ٣٢٧ - ٣٢٨ ، آخر ٣٣٢ .

(١٦٥) عن «جغرافية الشفاعات الروحية» ، انظر ما تقدم ، فصل ٢ ، «الايمان بالأعمال
والسفر » .

او العاطفية ، وبتخصيص حيز كبير للمؤلف . مع ذلك ، لم يزعم ابن حوقل والمقدسي البتة ان شخصيتهما تزول في كتابيهما . فقد كانا يتوخيان تأسيس جغرافية بشرية يثبت فيها الانسان وجوده في البداية والنهاية من خلالهما وعبر الكائنات البشرية المعينة (١٦٦) . بالتالي ، يتحتم تدوين المعطى الانساني في جغرافية ابن حوقل والمقدسي مثلما تصوره وحسب اهميته الكبرى ، ولا يجوز رفض هذا الاجراء ، والا اهمهما الباحث زورا .

* * *

(١٦٦) انظر ج دا ، ج ٢ ، ص ١٢ روماني .

الفصل الثاني عشر

الناس في الأسرة والمجتمع

كيف يتصرف هؤلاء الناس الذين تحدثنا عن بنيتهم الجسدية ، وعن تكوينهم الذهني والاخلاقي ، في حياتهم اليومية ؟ هنا ايضا ، لا يهم الوصف العام ، النادر جدا ، الجغرافيين العرب ، مثاماتهم بعض الخصائص المميزة . وتبدو عادات الطبخ المحلية في نظر ابن حوقل او المقدسي ، جذابة إلى اقصى حد ، اكثر من العادات التي تقارن بها ليحكم عليها ، ونحن لا نعرفها في الغالب . ويستحيل تقريبا استخلاص وصف شامل للطعام اليومي في دار الاسلام حوالي العام الف من نصوص الجغرافيين .

بعض الأطعمة

بعد هذا التمهيد ، لا يجوز الظن بان ما لدينا من وسائل ، اعني الجغرافيين ، محدود لا يعتد به . وبرهاننا على ذلك ، ما يقرب من عشرين مصطلحا فنيا ، جمعناها من كتابي ابن حوقل والمقدسي ، ما عدا اسماء الاصناف مثل الخبز او السمك او الارز . ولنا استطراد

من هذه المواضيع الطبخية ، نود ان نعرضه قبل الدخول في عسميم
مبحثنا .

تقضي آداب الرجل الشريف ان يتقيد باصول الجلوس إلى المائدة
كما جاءت في ثقافة العصر العامة ، التي لم تدرج الاطعمة في عداد
المعارف الموصى بحفظها . ونشير إلى بعض الامثلة المتفرقة عليها :
كالمقارنة بين الاطعمة وآثارها من جهة وبين عناصر الجسم الاربعة
الدم والمرارة الصفراء والمرارة السوداء والبلغم ، وافضل الاوقات لاستهلاكها
من جهة اخرى ، ومن هنا جاءت فكرة النظام الغذائي المنسجم مع
المزاج (١) . والجاحظ ، امام الادب العربي ، بحاري ، هو ايضا ،
مثلا في حديثه عن عادات البدو الغذائية التي يتجلى فيها كرم العرب
وضيافتهم (٢) . ويذكر الجاحظ شراب العسل الذي يتبذد في مصر ،
ويتخذ ، على حد قول ابن الفقيه ، في زمان مدود النيل ، ويعمل من
ذلك الماء الخائر الكدر ، لا من الماء الصافي النقي (٣) . وانتم هذا
الاستطراد المختصر بما ذكره ابن الفقيه من ان اول من ثرد الثريد
عمرو ، وهو هاشم بن عبد المناف ، والد جد النبي (٤) .

لنرجع الآن إلى الاسماء التي اعلنا عنها من قبل . فتسعة منها
تختص بالمعجنات والحلويات والمربيات وغيرها من السكاكر (٥) ،

(١) ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٦ ، ٣٠٨ وما يليها (انظر أيضاً المسعودي (م) ،
فقرة ٥٣٣) . عن ادب الفقه والحديث ، انظر مثلاً البخاري ، ج ٣ ، ٦٥٤ وما يليها
(٢) انظر ش . بيلا ، مجلة ارايكا ، ٢ روماني ، ١٩٥٥ ، ص ٣٢٢ وما يليها ،
في حديثه عن الفصل الأخير من كتاب البخلاء . نذكر بان الجاحظ الف في الموضوع ذاته
كتاب اطعمة العرب .

(٣) الجاحظ (ح) ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ ، نقله ابن الفقيه ، ٦٦ .
(٤) ابن الفقيه ، ١٨ ، انظر عن تجديد آخر في مجال الغذاء ، ابن رسته ، ١٩٢
(٥) م ج ع ، ج ٤ ، لفظ افروشة ، عسل القطر ، عصيدة ، حيس ملبن ، ناطف ،
نيدة ، قبيت ، سمنو .

يليه ، في ثلاثة استشهادات ، الخبز والخبز والملح (٦) ، وضروب
القديد والحساء والهريس والسلوق (٧) ، واخيرا اللحم المذكور
مرة واحدة (٨)

لا ريب ان هذه الاطعمة اصناف محلية ، لا يجوز ان تنسبنا كل
ما ورد في كتابي ابن حوقل والمقدسي عن الثمار والسمك (٩) ،
والارز ، والعسل ، اضافة إلى المحور . ويعثر في شرح هذه الاصناف
ذاتها على بعض المعطيات الممتازة ، المعروفة اصلا ، والدخالة في
تاريخ التغذية في الشرق (١٠) : مثل طعم السكر بل الروع به ، وهو
غذاء اساسي مصنوع من خبز وألبان ، ومثل اهمية الملح الذي يسهم
مع التوابل الاخرى بتبديل وتيرة مطبخ ثابتة لا تتغير الا في حالات
استثنائية : فاللحم المذكور منهدا مرة واحدة (١١) ، كما قلت ،

(٦) انظر على التوالي م ج ع ، ج ٤ ، لفظه اثير ، كك ، رستاق ، حالوم ،
رخبين ، شيراز (الحليب يدخل أيضاً في تركيب اطباق اخرى) : انظر ملبن في ح .
سابقة (مشور (ملح ناعم) ، مري (مملح) نفطي (ملح رائحته نفطية غريبة جدا) .
(٧) المرجع ذاته ، لفظ بيسار ، هريسة ، ثريد .
(٨) المرجع ذاته ، لفظ نمكسود بقي لختام هذه اللائحة : ندا أو نده ،
وهو غامض .

(٩) حوالي ثلاثين اسما تشير اكثريتها الساحقة الى اسماء نهر دجلة (المقدسي ،
١٣١ ، ح ١٠ من ١٣٠) انظر م ج ع ، ج ٤ ، الفاظ : العروس ، العين (العير) ،
البي ، البرسوح ، البيضاء ، البني ، الدبقة ، الجري ، الحراق ، الاربيان ، الاسبول ،
الكرتلك ، المارماهي ، الربلتي (الربيثي) ، الرماين ، الساح ، السائم ، الشلاني ،
الشليق ، الشرب (السرب) ، الشيم ، سرماهي ، صير ، تريخ ، عشب ، ورق ،
زجر ، الزجر ، زراقن ، الزنجور . (القرش ، المذكور عند المقدسي ، ١٠١ ، ح . يد ،
انه ردى) ، انظر الاسماك في ج دا ، ج ٣ ، ٣٦٥ وما يليها .

(١٠) انظر م . ر رودنسون ، غذاء ، ١٠١ (٢) ، ج ٣ ، ١٠٨١ - ١٠٩٧ .
(١١) نمكسود تعني لحماً مقسماً الى شرائح مملحا ومبهر (المقدسي ١٤٥ ، ٣٨٤ ،
٣٩٦ و م ج ع ، ج ٤ ، ٣٦٨) .

يطبخ عادة قطعاً مخلوطة مع شيء مساق أو يخنة أو حساء . وكنت
أتحدث عن الشرق . إلا أن هذه الأطعمة ، أو بعضها على الأقل ،
تمثل عادات شاعت في العالم القديم في القرون الوسطى على مدى زمني
طويل جداً (١٢) .

ونذكر بعض الخصائص من هنا وهناك ، قبل أن نصل إلى
جغرافيتي القرن الرابع المجري / العاشر الميلادي فنسر الباطل أحلى من
أي مكان في سهل فحش البوط الشهير في الاندلس . والسماك وافر
في مصر ، وهو من حقيقي يسقط على رمال الساحل ، ولا يحتاج إلى
صيد (١٤) . وطين الأكل مشهور بنيسابور ، لكن استبدلتنا جزيرة
العرب بورق التنبول (١٥) . وفي اليمن لحم صائهم وبقريهم لا ينضج
إلا على الحمر (١٦) ، ويخفون الشهد الحصورى الماذي (١٧) على
الوجه التالى : يخرونه في الشمس ، ويصبرونه في عقود قصب اليراع ،
ويضعون قصبته أياها في بيت بارد حتى يعود إلى جموده ، ثم تختم
أفواه القصب ، وتبقى أريد تقليده على الموائد ، تضرب الأرض
بالقصب ، فتتفلق عن اصبع عسل يقطع بالسكين .

(١٢) تخزين اللحم في أوربة « اللاحمة » : انظر ف . بروديل ، الحضارة
المادية . والاقتصاد والراسمالية ، من القرن ١٥ إلى ١٨ ، ج ١ ، بنات . الوضع اليومي :
الممكن والمستحيل ، باريس ، ١٩٧٩ ، الفصل ٢ و ٣ .
(١٣) الرازي ، ٨٣ . تلاحظ عنده أيضاً الاحالات إلى القنص والصيد : الرازي ،
٩٠ - ٩١ .

(١٤) اسحاق ، ٤٤٧ (منطقة تنيس) .

(١٥) ابن رسته ، ١١٢ .

(١٦) ابن رسته ، ١١٢ .

(١٧) الهمداني ، ١٩٨ - ١٩٩ .

الاطعمة الاساسية

والآن نتبع ابن حوقل والمقدسي . امكن قبل الحديث عن الاطعمة ،
نقول بضع كلمات عن المطبخ عامة . ولا يتوفر لدينا الا التزر القليل
عنه في الحقيقة . ويقال ان مدينة فربر في اقليم ماوراء النهر مقصودة لفاخر
المطاعم والمآكل اللذيذة الطيبة (١٨) . ويعدد المقدسي عرضا بلا توقف
بعض الاطباق المألوفة عند بعض الفئات الاجتماعية او المهنية او غيرها
كهرايس الصوفية ، وترايد الخانقائين ، وعصائد النواني ، والخبز
والجلبان في اديرة الشام النصرانية ، وحساء البلوط المحلى والشعير
عند صوفي اسحاق البلوطي في جبل الجولان (١٩) . اخيرا نُعدُّ أهمَّ
من ذلك الفوارق والمقارنات الواردة عند المقدسي (٢٠) : " ولحم
الافرنه ، والقرياطين الطوايين ، تنور في الارض صغير ، قد فرش
بالحصى . فيوقد الزبل حواه وفوقه . فاذا احمر ، طرحت الارغفة
على الحصى (٢١) . وبه طباخون (٢٢) للعدس والبیسار . ويقولون
القول المنبوت بالزيت ويساتمونه (٢٣) ، ويباع مع الزيتون . ويطبخون

(١٨) ابن حوقل ، آخر ٤٨٩ .

(١٩) المقدسي ، ٤٤ ، ١١٨ . عن السيق (دير شامي من الطقس الملكي) ، انظر
المرجع ذاته الترجمة ، ١١٢ ، ج ١٤ .

(٢٠) المقدسي ، ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢١) لا يقول النص اذا كانت الارغفة توضع مباشرة على الحصى أو على اثافي
موضوعة فوق الحصى . زبل يمكن ان تعني أيضاً قش الدواب ، قش الاصطبل : انظر دوزي ،
ج ١ ، ٥٨٠ .

(٢٢) عن طباخ ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٨٢ .

(٢٣) عن سلق عوضا عن السلق ، انظر م ج ع ، ٤٦ ، ٢٨٢ ، و دوزي ، ج ١ ،

٨٤٣ .

الترمس ، ويكثر من اكله . ويصنعون من الخرنوب ناطفا ، يسمونه القبيط . ويسمون ما يتخذون من السكر ناطفا . ويصنعون زلابية في الشتاء من العجين ، غير مشبكة (٢٤) . وعلى اكثر هذه الرسوم اهل مصر ، وعلى اقلها اهل العراق واقور .

ويبدأ الطعام بالخبز (٢٥) . وتقدر اهميته بسهولة بالانتباه إلى سعره (٢٦) ، وصنعه (٢٧) ، وتجارته (٢٨) ، وجودته او رداءته : الخبز الحواري ، من بر صافي لا نظير له ، معجون بالزيت والادهان (٢٩) او على النقيض ، اثير ، ويسكر استهلاكه (٣٠) . ويلى الرز الخبز ، ويصنع منه خبزا او لا يذكر عن اكله شيء في البلدان الواقعة على شواطئ بحر الخزر وفي افغانستان وخوزستان والسند حيث يستهلك المسلمون خبز الحنطة والوثنيون خبز الارز (٣١) . ويقال عرضا ان دة الاخصار من اكل الاور (٣٢) . اخيرا تأتي الذرة والدخن بعيدا

-
- (٢٤) مشبكة : معمول بشكل دقران مع خطوط مليئة بالعسل (م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٠
(٢٥) اضافة الى الاحالات المذكورة فيما يلي ، يمكن الرجوع الى ما قيل من قبل ،
فصل ٨ ، ج ١ ، ٣ ، فصل ٥ و ٦ .
(٢٦) ابن حوقل ، ٣٣٥ .
(٢٧) ابن حوقل ، ٣٤٦ (بورق البخازين) ، المقدسي ، ٢٠٥ (مجفف في مصر
(٢٨) ابن حوقل ، آخر ٣٣٧ (علامة انحطاط مدينة : ٥ خبازين عوضا عن ١٢٠٠
في الماضي) .
(٢٩) المقدسي ، ٣٣ ، آخر ١٥١ ، ١٩٩ ، ٣٥٧ ، ٣٠٧ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ،
٤١١ ، ٤٢٩ ، ٤٦٩ . عن حوارة وحواري ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٠ ، و دوزي ،
ج ١ ، ٣٣٤ .
(٣٠) المقدسي ، ٣٥٩ (عن اثير ، من اليونانية اثر ، حساء طحين أو برغل ،
انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٧) . يسكر : حرفيا : يفقد العقل .
(٣١) ابن حوقل ، ٣٨١ ، ٤٣٩ ، ٤٤٤ ، المقدسي ، ٣٣ ، ٣٥٤ ، ٣٧١ ،
٤١٦ ، ٤٨٠ . عن تقدمه نحو الغرب ، انظر ج ٦ ، ج ١ ، ٣ ، ٤٠٥ .
(٣٢) المقدسي ، ٣٧١ .

وراء الارز ، في اصبهان وحزيرة العرب الجنوبية وحامة كرمات
والهند (٣٣) .

والبقول عنصر آخر اساسي في الغذاء ، يذكر الجغرافيون ،
زراعتها (٣٤) ، ونادرا اعدادها او استهلاكها وتكثر في انحاء بحر
الخر ، حيث يقول المقدسي ان حدة الابصار وحسنها من اكل
الخضرة (٣٥) . وتلتهم صقلية البصل التهاما (٣٦) : اخيرا في مصر
من خصائص فلسطين ، القلقاس (٣٧) . ويذكر اللحم في تدوينات
متفرقة واذربيجان مستهلكة كبيرة له (٣٨) ، واستهلاكه ضئيل في
مصر (٣٩) . وكل ما تبقى اعراف غريبة او مرفوضة : وفيما يتعلق
باعداد اللحم ، لا يسلمون في المغرب الاغنام اذا شووها (٤٠) .
وفي بونه ، قل من اهلها من تفوته التحليل السائمة للنتاج ، وليس ،
للحمها (٤١) : وفيما يختص باكل اللحم . يربون في مصر - القبطية

(٣٣) ابن حوقل ، ٣١٢ ، ٣٦٦ ، المقدسي ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٤٧٠ .

(٣٤) انظر ج دا ، ج ٣ ، ٤١٤ وما يليها .

(٣٥) المقدسي ، ٣٧١ .

(٣٦) ابن حوقل ، ١٢٣ - ١٢٤ ، ذكر من قبل ، فصل ١١ ، «ابن حوقل» ، والمقدسي
التركة الموروثة .

(٣٧) المقدسي ، ٢٠٤ (ر ح ج) . عرف مشترك مع فلسطين (عن القلقاس انظر
ج دا ، ج ٣ ، ٤١٧) ينهني اكمال اللوحة بكل ما قيل عن بستان البقول (ما تقدم ،
ج ٣٤) . عن فلسطين مثلا ، انظر ما تقدم فصل ٨ ، «الحقل والمحرف» .

(٣٨) ابن حوقل ، ٣٣٥ (مدينة اردبيل) من خلال تحديد اسماء متدنية جداً ،

(٣٩) المقدسي ، ٢٠٥ .

(٤٠) المقدسي ، آخر ٢٣٨ - ٢٢٩ .

(٤١) ابن حوقل ، ٧٦ .



(تصوير توماس هوبكر / الأكبر)

فرن خبز في فارس

طبعا - قطعانا كبيرة من الخنازير ، وبأكلون لحم الكلاب (٤٢) في
المجاعة في الهرائس : وتباع لحوم الكلاب على القنارات في مدينتي
قسطيلية ونقطة في المغرب (٤٣) . وهناك شواذات وفضاعات اخرى :
ففي القازم في موقع قفر ، قرب سويس الحالية ، يأكلون لحم التيس (٤٤)
ويقددون الرثة في اليهودية (اصبهان) ويقدمونها في المآدب (٤٥) .

ولا تذكر الدواجن والطرائد الا عرضا عند تسمية الطيور وغيرها ،
مثل الدجاج ، والدجاج السندي والسماقي ، والحجل او اليربوع الذي
يتنوقه كثيرا بدو جزيرة العرب (٤٦) . واصناف البحر والمياه العذبة
اوفر انتشارا (٤٧) . ويعد السمك طعاما اساسيا في مجمل دار الاسلام .
مهما يكن يعثر عليه على شواطئ بحر الروم وفي جزيرة العرب
الجنوبية ، وفلسطين ، وبحيرتي طبرية والحولة حيث يربي السمك
البنّي العراقي ، وفي الجزيرة وارمينية واذربيجان ، وعلى سواحل
بحر الخزر ، وفي العراق ، وفي بحيرات فارس وسجستان ، حيث
يكثر جدا حتى انه يؤكل مع جميع الاطعمة (٤٨) . ومن رسوم

(٤٢) المقدسي ، ٤٠ (مع المدينة ، المعائد) ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ .

(٤٣) المقدسي ، ٤٠ ، ٢٤٣ .

(٤٤) المقدسي ، ١٩٦ .

(٤٥) المقدسي ، ٣٨٨ ، ٣٩٩ .

(٤٦) أنظر ج دا ، ج ٣ ، ٣٤٧ - ٣٥١ .

(٤٧) المرجع ذاته ، آخر ٣٦٦ - ٣٨ ، ٣٧٥ - ٣٧٧ .

(٤٨) ابن حوقل ، ٣٨ (علف الابل : أنظر ج دا ، ج ٣ ، آخر ٣٧٦) ،

٧١ ، ٢٧٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٨١ ، ٤١٧ ، المقدسي ، ٨٧ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١١٩٠

١٣١ (ح يو من ١٣٠ ، قائمة اسماك نهر دجلة : أنظر ما تقدم ح ٩) ١٤٥ (تحمل

من الموصل) ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٤٤٦ .

مصر ، حسب المقدسي ، جبههم المفرط لرؤوس السمك ، واكثرهم من اكل الدلّيس الذي يفلقون زلفتيه ، ويحتسونه مثل المخاط (٤٩) .

ويعتبر اللبن ومشتقاته احد الاطعمة الاساسية الاخرى ، ويشتهر بها جميعا اقاليم الجبال . لجودتها فيه وتنوعها (٥٠) . ويعد الحالموم (٥١) احد الاجبان الشهيرة في مصر : وتمثل الفواكه على الاجمال انتاجا شهيرا في بعض البلدان مثل فلسطين وارمينية واذريجان وصغانيان على ضفة نهر جيحون الاعلى اليمنى (٥٢) ، وتقطف من البساتين او تؤخذ من البرية ، ويتبوا مكانة خاصة بينها البطيخ الاخضر والاصفر ، والخوخ ، والمشمش ، والعناب والتين ، واللوز والجوز ، والتفاح والاعناب والتمور التي تؤمن قسما كبيرا من الغذاء في جزيرة العرب وكرمان (٥٣) :

مواد الطعام وما يؤخذ معها

ويحتاج اعداد الطعام بالدرجة الاولى إلى الزيت ، اي زيت الزيتون الذي يأتي معظمه من المغرب والشام (٥٤) : ولا نظير لزيت الانفاق (امفاكيون باليونانية) في فلسطين ، المأخوذ من الزيتون قبل تمام

(٤٩) المقدسي ، ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٥٠) ابن حوقل (جزيرة العرب الجنوبية) ، ٣٧٣ (ترجمة ، ٣٦٤ ، ح ٨٧٢-٦٧٣) المقدسي ، ٣٣ .

(٥١) المقدسي ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢١٨ ودوزي ، ج ١ ، ٣١٨ (جين مالح) .

(٥٢) المقدسي ، ٣٣ ، ٣٤ .

(٥٣) ابن حوقل ، ٣٨ ، المقدسي ، ٤٧٠ ج ١ ، ج ٣ ، ٤١٤ - ٤١٥ ، ٤١٦ وما يليها .

(٥٤) انظر ج ١ ، ج ٣ ، ٤٥٠ - ٤٥٢ .

نضجه (٥٥) . ويذكر الملح في جميع أنحاء دار الاسلام ، ويستخرج من المنجم او من ماء البحيرات ، ويعثر عليه من تخوم صحراء المغرب إلى اقليم ما وراء النهر ، مروراً بفلسطين والجزيرة والعراق وخراسان وفارس (٥٦) . ولا يكفي اعداد الاطباق . ولابد من تحسينها ايضاً : فعلى مائدة المسلم في العام الف . يؤكل الثوم لأنه يطيب النكهة (٥٧) والسمسم (٥٨) والحلثيت (٥٩) . ويضاف اليها البصل في صقلية في الحلد الأدنى ، لأن اهلها يضعونه في جميع المرق ، ثم الترمس الذي يماحونه ويكثررون اكله في اقليم الشام (٦٠) : ويحلونه في مصر ، ويملحونه ويحمل الى بخارى (٦١)

انتهت مواد اعداد الطعام ، ومواد تحسينه : بقي استعراض ما يتناوله الناس معه . ويذكر ابن حوقل من الحلويات ناطف الزبيب المعمول في منبج بالحوز والفسق والسمسم ، الذي ليس له شبه الا ما بمخارى منه ، فانه يزيد عليه حلاوة ، ويجعل البخاريون فيه الطيب على العموم ، فهو لذيد (٦٢) . ويبدو المقدسي اشره من ابن حوقل ، فهو ينظم قائمة حقيقية بالتحليات : ونتغاضى عن العسل الصافي ، ولو كان من رحيق الزعر وما اشبهه (٦٣) ، وننتقل إلى المأكول

-
- (٥٥) المقدسي ، ١٨١ ، م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٢ ، ودوزي ١٦ ، آخر ٤١ - ٤٢ .
(٥٦) ابن حوقل ، ٩٢ ، آخر ٢٢٧ - ٢٢٨ ، ٢٧٧ ، ٤٨٧ (ملاحظات) ،
٥٠٢ ، المقدسي ، ١١٩ ، ١٨٤ (البحيرة المنتنة) ، ٣٣٣ ، ٤٤٦ . عن سباح البحر المتوسط الكاثوليكي ، انظر بروديل ، الحضارة المادية ، ج ١ ، مشار اليه .
(٥٧) ابن حوقل ، ٣٨١ ، المقدسي ، ٣٥٩ ، ٣٧١ .
(٥٨) ابن حوقل ، ٣٦٦ .
(٥٩) ابن حوقل ، ٤١٨ (انظر ج دا ، ج ٣ ، ٤٢٢) .
(٦٠) المقدسي ، آخر ١٨٣ ، ذكر من قبل .
(٦١) المقدسي ، ٢٠٤ (و ج ج) : انظر ٦ دا ، ج ٣ ، ٤١٦ .

الطيبة فعلاً . فالعصيدة حساء مُحَلَّى بالخل أو التمور (٦٤) . والحيس طعام من التمر المعجون والدقيق والسمن واللبن (٦٥) ، على ما جاء في المعاجم . والناطف ايضاً نوع من المعجنات مع الفواكة (٦٦) وافضلها جميعاً النيدة والافروشة . فالنيدة معروفة في مصر والشام وبلدان فارس التي تسمى فيها سمنو ، وتجمع من حب البر المنقوع والمجروش والمطبوخ بالماء كي يعطي نوعاً من المعجينة الحلوة التي تحذف (٦٧) . اما الافروشة (٦٨) فتشتهر بها مدينة بيار ، موطن اجداد المقدسي لأمه . بين بحر الخزر وخراسان . وهي هدية حتمية في حفلات الزواج ، التي تختتم بها بعد تناول طبق من اللحم المجرد من العظام ، والمرق والارز . وتعد من الدقيق والسمن والدوشاب (٦٩) . ويمكن ان تحفظ مدة طويلة تمتد شهوراً . وتفضل طازجة على كل شيء .

-
- (٦٢) ابن حوقل ، آخر ١٨٠ - ١٨١ .
 (٦٣) المقدسي ، ٣٣ ، ٨٤ ، ٨ ، ١٨٤ . انظر أيضاً عسل القنار : المقدسي ، ٤٠٢ و ٤٠٣ ج ع ، ج ٤ ، ٣٢٧) القبيط (ذكر من قبل) والمعجنات بالألبان (ملبن : المقدسي ١٨١ ، ٣٢٥ ، ٣٢ و ٣٢ ج ع ، ج ٤ ، ٣٤٧) .
 (٦٤) المقدسي ، ٤٦٨ و ح ج ، ٤٧٠ .
 (٦٥) المقدسي ، ٢٠٤ .
 (٦٦) المقدسي ، ٣٧٦ ، في الشام ، معادة بالسكر : المقدسي ، آخر ١٨٣ - ١٨٤ ، ذكر من قبل .
 (٦٧) المقدسي ، ٧٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ (ح ج) ، ٢٠٦ ، ج ع ، ٢٦٥ ، ٢٦٥ (لفظ سانا) ، ٣٦٩ ، ودوزي ، ج ٢ ، ٧٤١ .
 (٦٨) المقدسي ، ٣٥٦ ، ٣٧٠ (و ح يا) ، ج ع ، ٤ ، ١٧٥ .
 (٦٩) دوشاب ، انظر ابن الفقيه ، ١٢٤ ، ترجمة ، ١٥١ ، و م ج ع ، ٤ ، ٢٤٠ (عسل : انظر المرجع ذاته ، ١٧٥ ، لفظ افروشة) .

يجب ادخال طين الاسكل في عداد الوان الموائد الطيبة ؟ انه مستحب كثيرا ، ولو اعتبر من الاصناف الاضافية . وهو يؤكل اخضر لماءاً ويحمل من فارس وخراسان إلى بلدان الترك وإلى مصر (٧٠). والاشربة مرغوب بها جدا ، والخمر والاشربة المخمرة (٧١) مضمنة في وصف الذين يكثرون الشرب ويسكرون (٧٢) : ويرد ذكر شراب النارجيل ، والمزر ، وشراب العسل في مصر ويستعمل له ماء فيضبان النيل ، كما يقول الجاحظ (٧٣) : الا ان الماء يظل افضل شراب ، خاصة اذا برد بجمد (٧٤)

الاستشفاء ان امكن

اشرنا إلى الطب في الفصل السابق ، عندما تحدثنا عن علاقات الجسم بالعالم ، التي تتحكم بالطبائع والامزجة والخلق : وهذه معارف قديمة في الحقيقة ، توافقت مع غيرها في مهد الجغرافية العربية ، ثم مثلت ، عندما نظرت إلى ارض البشر والشعوب الغريبة عناصر الاطار الطبيعي في دار الاسلام : كالتراب والمياه والحيوانات والنباتات (٧٥) .

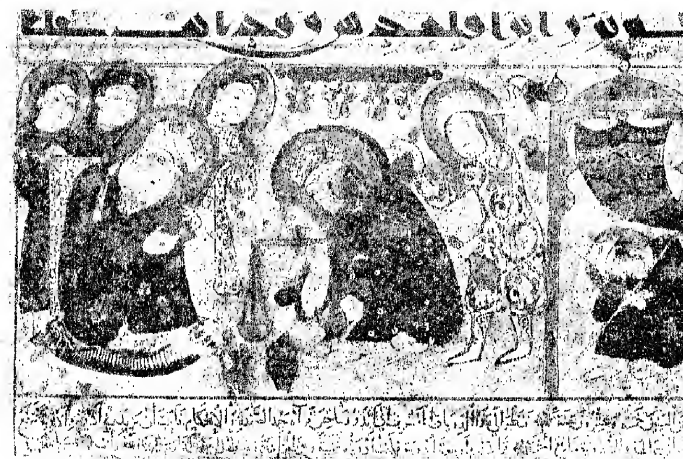
-
- (٧٠) ابن حوقل ، ٢٩٨ ، آخر ٤٤٦ - ٤٤٧ ، المقدسي ، ٣٢٦ (وح يه) ، ج ٢ ، ج ٤ ، ٢٩٣ وما تقدم ج ١٥ .
 (٧١) المقدسي ، ٢٠٠ .
 (٧٢) مثال ابن حوقل ، ٣٦٤ ، المقدسي ، ٧ ، ٢٠٠ .
 (٧٣) ابن حوقل ، ١٦١ ، ٣٢٤ ، المقدسي ، ٣٩٣ . عن فقاع ومزر ، انظر دوزي ، ج ٢ ، ٢٧٤ و ٥٨٧ .
 (٧٤) ابن حوقل ، ٣١١ ، ٣٦٤ ، ٣٨٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧ (توزيع ماء مسبل بجمد في شوارع سمرقند : انظر ما تقدم ، فصل ١٠ ، «المدينة والماء» المقدسي ، ٤٣٩ ، ٤٦٦ .
 (٧٥) انظر ج ١ ، ج ١٦ ، ١٧ ، ج ٢ ، ٣٤ وما يليها ، والفهرس ، آخر ٦١٦ ، ٦١٨ ، ج ٣ ، اماكن متفرقة .



تصوير المكتبة الوطنية ، باريس المكتبة الوطنية ، المخطوطات العربية ورقة ١٥

استشارة طبية

تصوير المكتبة الوطنية ، باريس المكتبة الوطنية ، المخطوطات العربية ، ٢٩٦٤ ورقة ١٧



ولابد من العودة إليها مرة أخرى ، وفي مملكة الاسلام دوما ، لكي نرى كيف يعتني الانسان بصحته ، ويشفي باذن الله . وفي البدء نطرح سؤالا ينصب على احتمال استمرار المواضيع ، من النصوص الاولى التي نشأت فيها الجغرافية العربية إلى المتون التي شاهدت ازدهارها النهائي في نطاق وصف دار الاسلام في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

ونميز هنا مجالين: من جهة أولى مجال التطورات النظرية في الطب واسماؤها ومبادئها ومناهجها ، مثلما نراها معروضة عند المسعودي مثلا (٧٦) ، ومن جهة ثانية التطبيقات . لكن يجب ان نحدد معنى هذا اللفظ . اجل يعلن الهمداني (٧٧) ان حشائش اليمن « فيها اكثر حشائش العقار . لكن اهلها البدوية لا يعرفونها ، وانما يعرفها الحكماء من الناس من اهل صناعة الطب » ، اي فن الطب وممارسته . ويبيّن هذا النص التمرين على المعرفة (٧٨) . لكن كم من النصوص غيره ، ان لم نقل

(٧٦) المسعودي (م) ج٧ ، ١٧٣ - ١٨٠ . يلاحظ ان مصنف ادب مثل مصنف ابن الفقيه يغفل ذكر اسماء الأطباء العظام : فلا يذكر جالينوس وبقرات لا يشار إليه إلا في سياق الحديث عن علاقات الجسم بالوسط ، أو في سياق معطيات خرافية : ابن الفقيه ، ١٥٣ ، ٢٣٨ ، ٣٠١ .

(٧٧) الهمداني ، آخر ١٣٣ .

(٧٨) يحتل القمة عالم مثل ابن البيطار طبعا . لكن يمكن جمع امثلة اخرى هنا وهناك في كتب الادب : انظر البيهقي ، محاسن ، ٢٩٤ - ٢٩٦ (نصائح طبية وصحية) ، ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٦ ، ٢٢٩ - ٢٣٠ (الطب والفصول) ، ٢٣١ ، ٢٧١ (الصحة العامة والجنس) . عن الفقه والحديث ، انظر البخاري ، ج ٤ ، ٥٠ وما يليها ، ٦٢ وما يليها .

كل النصوص تقريبا ، تجعل صناعة الطب نتيجة بسيطة ناشئة عن استعمال اختبار (٧٩) ان لم يكن ظلنا طارثا او وهما فقط .

ومتى وضعنا النظرية والتطبيق ، يسهل علينا كثيرا اثبات احتمال استدراج المواضيع . فالنظرية لا ترد البتة في مصنفي ابن حوقل . والمقدسي (٨٠) . لكن على ضوء ما بيناه بدقة ، استمر التطبيق يلهم الجغرافيين العرب حتى عهد هذين الكاتبين . ولا نرى بالتالي ما يدعو لتمييزهما هذه المرة . والافضل ان يوزع المعطى حسب اسس هذا الطب اليومي . طب العوام اي جميع الناس تقريبا : مع ذلك نعلم ان هذا الطب لا يعرض عرضا منهجيا مثلما يعرضه مصنف اختصاصي لابن البيطار او سواه . الى حسب ما يبين في هذا المظهر الخاص او ذلك وفي مناسبة .

ونبدأ بالمياه . فاحيانا، يُكسَنَتَمَي بتحديد نجوعها في العلاج . ولا شيء آخر (٨١) . لكن على وجه العموم . يحدد اصلها اولا : وهو عين دائما تقريبا . ونهر في بعض الاحيان (٨٢) . ثم نوعيتها : هل تستحيل إلى حجر . ام هي مرة او آزوتية ، او كبريتية او قيرية (٨٣) ،

(٧٩) عند ابن البيطار نفسه .

(٨٠) ذكر جالينوس مرة واحدة عند ابن حوقل . في سياق الاشارة الى وجود قبره في تينس . ابن حوقل ، ١٦٠ .

(٨١) الشابثي ، ١١٥ ، مسعر (ب) ، ٢١ ، المقدسي ، ٤٤٨ .

.. (٨٢) ابن الفقيه ، ١٧٥ (الفزات) . انظر أيضاً المقدسي آخر ٣٩٦ - ٣٩٧
١

(رشح كرشح العرق لا يسيل ، دون تحديد الافادة منه) .

(٨٣) مسعر (ب) ، ١٠ ، ١١ ، ٢١ ، ٣٨ ، الشابثي ، ١٩٧ .



تصوير المكتبة الوطنية باريس
المكتبة الوطنية المخطوطات العربية ٢٥٦٤ ورقة ٥ روماني
النرياق. إعداد عقار

وعلاقتها بالشهر أو بوقت معين من النهار (٨٤) ، وطريقة المعالجة (٨٥) وعضو الجسم الواجب معالجته (٨٦) ، ومزية معنوية منسوبة إلى المياه كما في حوض الطهر في مصر ، الذي تملأه عين من جبل ، فاذا مس الماء جنب أو حائض ، انقطع من ساعته وانتن ما في الحوض منه ، حتى ينظفه الناس ، فيعود الماء إلى الجريان (٨٧) . وتستري الانتباه العلة الواجب شفاؤها (٨٨) في معظم الاحيان ، كما نتوقع : كالحمى ، والبواسير ، والكلب ، والجرب ، والبثور والجروح ، والقوباء ، والنفس الرديء ، ومضاعفات السكري ، واصابات العيون أو الطحال ، والامساك ، والحناق ، والكآبة والحصاة (٨٩) .

ونذكر على وجه التخصيص المياه الحارة المعدنية (٩٠) في فلسطين وارمينية او بلدان فارس النافعة في علاج التهاب المفاصل ، والجروح ،

(٨٤) ابن رسته ، ١٥٨ (تير شهر فارسي) ، مسعر (ب) ، ٣٨ (صا) ، المقدسي آخر ١٨٥ .

(٨٥) مسعر (ب) ، ٣٨ (غسل) ، المقدسي ، آخر ١٨٥ (غسل) .

(٨٦) مسعر (ب) ، ١٥ (العيون) .

(٨٧) ابن رسته ، ٨٢ .

(٨٨) انظر العرض المنهجي عند المسعودي (م) ، فقرة ٨٩٧ (شتى تاثيرات المياه المتنوعة) .

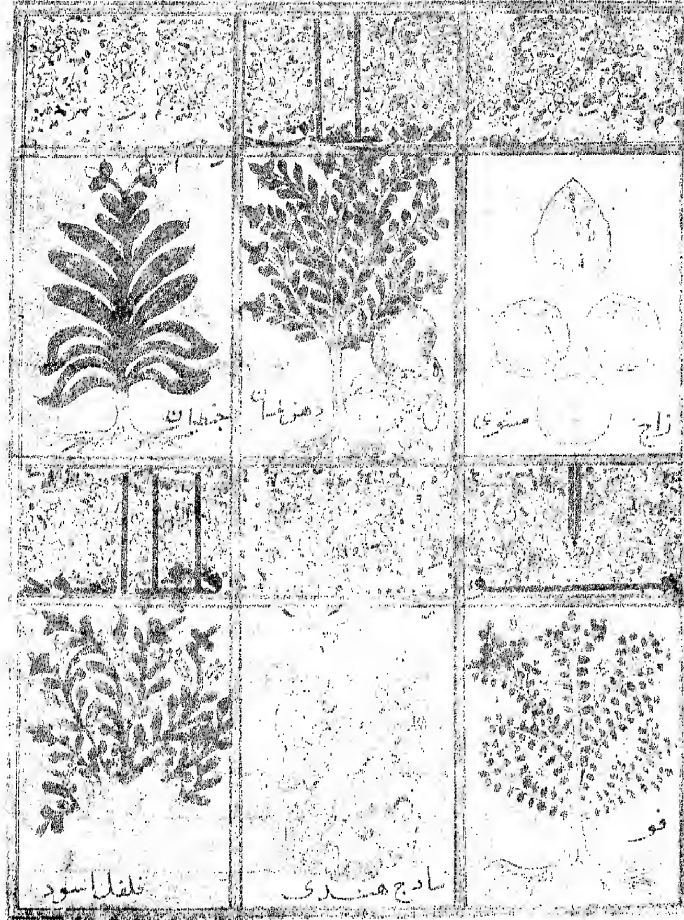
(٨٩) ابن رسته ، ١٥٨ ، ابن الفقيه ، ١٧٥ ، الهمداني ، ١٠٤ ، الشاذلي ، ١٩٦ - ١٩٨ ، مسعر (ب) ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ٣٨ ، المقدسي ، ٤٤٤ (عن عنا ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٠٦) . عن حفاء (تقرح الأوجل من جراء فرط السير ، خاصة على الرمال الحارقة) ، انظر دوزي ، ج ١ ، ٣٥٥ .

(٩٠) ابن رسته ، ١٥٨ ، مسعر (ب) ، ١٠ - ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٣ ، الهمداني ، ١٠٤ ، ابن حوقل ، ٣٦٦ ، المقدسي ، ١٨٥ (وح . ١٠) ، ابن حوقل ، ٤٨٨ ، يذكر حمة في ما وراء النهر ، لكن دون تعيين وجهة العلاج بها .

والشرث ، والقرح ، والقرحة ، والجرب وغيره من الامراض الجلدية . وبرستاق كه كاوسان ، في منطقة أصبهان ، حمة شبه عجيبية ، موصوفة للاورام والتلل القديمة والاسقام ، يرجع المقعد منها على رجله سليبا ماشيا . والمريض صحيحا . ويذكر المقدسي ان بكورة طبرية ماء مسحنا . يسمى الحمة ، حاراً ، من اغتسل فيه ثلاثة ايام ، ثم اغتسل في ماء آخر بارد ، وبه جرب او قروح او ناسور ، برأ باذن الله . ويروي الطبرانيون انه « كان عليها ، بما يدور ، بيوت كل بيت لعة . فكل من به تلك العلة . واغتسل فيه ، برأ إلى وقت لكن جاء ارسطوطاليس : ثم سأل ملك ذلك الزمان هدم هذه البيوت ، لئلا يستغنوا عن الاطباء . وصحت للمقدسي هذه الحكاية ، لأن كل من دخله من أصحاب العلل ، وجب ان يخوض الماء كله ، ليوافق موضع شفائه (٩١) » .

وتشمل النباتات الطبية الافستين ، طارد الدود ، وحب الزلم ، وهو عسقول السعد لتنشيط الجنس ، ونوعا من الحال (قاقلة) ضد النقرس ، والتنبول ضد الانتفاخ ، ويمضغ بالنورة المبلولة مع القوفل فيطيب النكهة ، ويبيعث على الباه ، والجدامية تمر ينتفع من البواسير ، ونوعا من خلاف اصفهان يربي به السمسم ، فينفع دهنه من لسع الجحارات (الحيات والعقارب) (٩٢) .

(٩١) تصحح الترجمة التي أجريتها : المقدسي ، ترجمة ٢٣٠ ، اعتمادا على تنقيحاتي .
(٩٢) انظر ابن رسته ، ١٥٧ ، ابن الفقيه ، ٢٩ ، مسعر (ب) ، ١٥ ، ١٩ ، ٤١ ، المسعودي (م) ، فقرة ٥١٤ وائل وضوحاً بالنسبة الى الآثار المتوقعة أو الى اسم النبات : الهمداني ، ٢٠٠ ، المقدسي ، آخر ١٤٦ - ١٤٧ ، ٣٩٧ ، آخر ٤٨١ .
لا يجوز ان ننسى بهذا الشأن انه يمكن ان يذكر النبات وحده ، اذ يفترض بداهة ان استعماله معروف : انظر ج دأ ، ج ٣ ، ٤١٩ - ٤٢١ .



تصوير المكتبة الوطنية بباريس
المكتبة الوطنية المخطوطات العربية ٢٩٦٤
ورقة ٥٧

الترياق . النباتات الطبية

اما المواد المعدنية . فتذكر على انها نواذر لمواد مشهورة (٩٣) .
فالكسور تجبر بالقيصر الاسود والابيض الذي يظن انه محلول كربونات
الكالسيوم المتبلور المسمى موندلمخ (٩٤) عند علماء الكهوف . وهناك
حجر ابيض معتم . تقطع عين دويبة من الغيوم ، يعالج به سقوط
الشعر (٩٥) . ويستعمل اهل القلب الاحجار التي تخرج من البحيرة
المنتنة لمن به وجع الحساسة في المثانة . وهو نوعان ذكر وانثى (٩٦) .
والحجر المعروف باليشب نافع لاجتماع البطن والمعدة والماء الاضطر (٩٧)
وحجر الدم ماض له (٩٨) . اخيرا اللؤلؤ . اذا سقي من الزمرد
الخالص ، امن على نفسه من ان يسري السم في جسده (٩٩) .
ويلجأ إلى الحيوانات ايضا في العلاج . لكن على نطاق ضيق .

(٩٣) استثناء: ابن حوقل ، ٥٠٢ (« المواد المعدنية المستعملة في الطب » ، بلا تدقيق
اضافي) .

(٩٤) الثعالبي ، ١١٠ ، ١٩٩ - ٢٠٠ : كهف قرب ارجان ، على تخوم فارس
وخوزستان « يتفجر ماؤها ، ثم يتحول ، فيسير قيرا ابيض » . يفكر المرطبعا بعين محجرة ، الا ان
المادة المجموعة سنوياً في وعاء (قنينة) تحت رقابة السلطات تؤخذ في داخل الكهف بعيداً عن الباب
المقفول . لذلك افكر ان هذا القيصر الأبيض هو رقائق من الكلسيت الطافي فوق الماء (الا ان
الشبه بالقيصر لا يتلاءم مع هذا التأويل) أو « موندلمخ » ؟ خاص محلول جداً . عن أنواع
القيصر (موميا) انظر دي سابي رحلة عبد اللطيف الى مصر ، باريس ، ١٨١٠ ، ص ٢٠٠
٢٠١ ، ٢٧١ - ٢٧٧ .

(٩٥) مسعر (ب) ، ١٠ .

(٩٦) المسعودي (م) ، فقرة ٩٠ (الحجارة الذكر للرجال الحجارة والانثى للنساء ،
بلا تفصيل اضافي عن العلامات التي تسمح بتصنيف الأحجار) .

(٩٧) المسعودي (ت) ، ٨٩ (القول ذاته عن جذر المرجان) .

(٩٨) المسعودي (م) ، فقرة ٨١٦ .

(٩٩) المسعودي (م) ، فقرة ٨٨٩ (تبلع بشكل قطع) ، علاج مبني على خوف
العية من الزمرد الذي تذيب عينيها

فقد ذكر جالينوس ان السمك المعروف بالرعاد ، اذا جعل على رأس من به صدادع شديد او بثقيقة ، وهي في الحياة ، هدأ من ساعته (١٠٠) وترياق بيت المقدس من لحوم الحيات (١٠١) . والخنزير موصوف عند المسيحيين طبعا ، ضد الغدب (١٠٢) .

اخيرا ، نختتم مجذوعة وسائل الشفاء الكاملة بالاماكن ، المسيحية على وجه الدقة . فبعض الاديرة يعالج فيها الكلب والامراض الجلدية (١٠٣) . ويخرج تراب ابيض من بيت بقاليقلا في بيعة النصاري في ليلة الشعانين ، خاصيته ضد سموم العقارب والحيات (١٠٤) . قلت الاماكن المسيحية ، لأن الايمان الزائف والوهم (١٠٥) مرفوضان في جوامع دار الاسلام . وفي الحد الادنى ، اذا وقعت الابصار عليهما ، تجاهلتهما الاقلام ، لأن الجامع ، كما رأينا ، مخصص لشعائر اخرى وذهنية مغايرة ، تقرب من الايمان الحقيقي (١٠٦) .

(١٠٠) السمودي (م) فقرة ٨٠٤ .

(١٠١) المقدسي ، ١٧٥ (ح . ب) يضيف ان الحيات من اريحا في الحقيقة ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٩٧ ، لفظ ترياق .

(١٠٢) انظر ما تقدم ، فصل ٤ ، « ديارات الشابستي » .

(١٠٣) يرتبط المكان احيانا بعناصر اخرى مثل ماء العين مثلا : انظر ما تقدم ، فصل ٤ ، مشار اليه انظر أيضاً المقدسي ، آخر ١٤٦ .

(١٠٤) ابن الفقيه ، ٢٩٥ ، المقدسي ، ٤٤٤ ، يسمي أيضاً مكانا يوضع فيه الحيوان المريض حتى يشفى .

(١٠٥) عه انظر ما يلي .

(١٠٦) انظر ما تقدم ، فصل ٢ ، ص ٥١ وما يليها (مع التمييز بين مشاهد وعجائب أو خصائص) يرد مثال واضح جداً عن هذا الموقف في كتاب الهروي ، كتاب الزيارات ،

المخصص للاماكن المكرمة في دار الاسلام : لا أجد فيه سوى حوالي عشرين ممارسة خرافية أو علاجية (ترجمة ، ص ٩ ، ١٢ (مثالان) ، ٢١ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ١٠٩ - ١١٠ ،

آخر ١٢١ - ١٢٢ ، آخر ١٣١ - ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ (مثالان) ، آخر ١٥١ - ١٥٢ ، ١٦٧ ، ٢٠٩ ، آخر ٢٢١ - ٢٢٢ .

الهندام : موضوع تابع لذوق العصر

تحدثنا من قبل في بحث المدن عن أهمية الحمام . ويوصي الاسلام بالحاح بتطبيق هذا المبدأ الصحي . مع ذلك ، يندر وجود تفاصيل عنه مثل استعمال حجير الحفان (١٠٧) . بالمقابل يهتم اناس كثير بالهندام ، بمعناه الواسع . كالفقهاء (١٠٨) والشرفاء المعنيين بالادب ويعرض قدامة اساسها القانوني في دراسة عامة عن نشاط البشر المرتبط بوسطهم (١٠٩) ويعدد ابن رسته اسماء المجددين في ارتداء الالبسة (١١٠) وتعلل الذهنية ذاتها الاهتمام بالحجارة الكريمة والمعادن الثمينة (١١١) او الذبل او العاج او العطور (١١٢) او الفراء (١١٣) وتجهيزات السفر الخاصة (١١٤) .

ويعتمد الاصطخري وابن حوقل والمقدسي على وجه التخصيص ، على هذه التقاليد ، فيستفيضون في بحث جغرافية هندام حقيقية ويستدل على الاهتمام بها وعلى اهميتها ، من الانسجة الخام او المفصلة ، التي تحصل منها عدة اقاليم من دار الاسلام على اسباب حياتها . ويتضح

-
- (١٠٧) وصيف شاه ، ٦٨ ، تدوين آخر فريد : الشعر الطويل في بعض مناطق جزيرة العرب الجنوبية : المسعودي (م) ، فقرة ٣٦٤ .
(١٠٨) انظر البخاري ، ج ٤ ، ٩٢ ، وما يليها .
(١٠٩) قدامة ، م ١٢٥ - ١٢٦ .
(١١٠) ابن رسته ، ١٩٢ .
(١١١) انظر ج دا ، ج ٢ ، الفهرس ، ٦١٠ - ٦١٤ .
(١١٢) المرجع ذاته ، ٥٩٤ ، ج دا ، ج ٣ ، ٤٢٣ - ٤٢٨ .
(١١٣) انظر ج دا ، ج ٣ ، ٣٤٧ ، والمسعودي (م) ، فقرة ٤٥٤ .
(١١٤) ابن خردادبه ، ١٦٣ ، ابن فضلان ، ١٨٧ ، (وترجمة ، ٦٤ ، ج ٩١) .

من مفرداتها التي دأب على جمعها دي خويه بصبر بالغ . أنها تشمل ما يزيد على سبعين اسما تتناول احدى النواحي التالية او عدة اوجه منها احيانا : كالمادة والشكل واللون والمنشأ . والتركيب . والنوعية . والتقنية (١١٥) . ويجب ان يضاف اليها بعض الاسماء الخاصة المطلقة على الالبسة (١١٦) . والجلود . والاحذية (١١٧) ، ونعوت الانسجة (١١٨) :

ويتحدث جغرافيو مملكة الاسلام في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي عن الالبسة والهندام فيها اقليما اقليما . لكنهم لا يشيرون إلى ظاهرة عامة او بكادون ، ما عدا المقدسي ، الذي يذكر عرضاً امثلة تتعارض صراحة مع حسن التصرف . ويستاء منها . من ذلك كساءان يسميان دراعة وطيلسان ، يختلف شكاهما . فللدراعة اكمام . والطيلسان شبه عباءة متصلة بالعمامة ، له شكل هلال او نصف دائرة

(١١٥) م ج ع ، ج ٤ ، الألفاظ التالية : اباني ، عدني ، آرنج ، ارمني ، عتابي بدن ، بغدادي ، بلعيسي ، بيبي ، بنبوزي بركان ، بيباف ، بين الثوبين ، بطانة ، بيشكس ، بخاري ، بويبي ، بزبت ، ديبقي ، دق ، جنابي ، جز ، حفي ، خلدي ، كرباسه ، كندكي ، لحاف ، مغربي ، مكبي ، مروى ، مثقالي ، مبطنة ، شغل ، ملحم ، ممرجل ، منير ، مشطي ، مثلث ، نفوسي ، نيسابوري ، قلعون (ابو) ، قصري ، قنب ، قرقوبي ، راختج ، سبني ، ساپوري ، شاهجاني ، سعيدي ، سكب ، سمرقندي ، صناعاني ، شرابي ، شرب ، شطوى ، صقلي ، سقلاطون ، سينيزي ، سوسنجر ، طبري ، تاخنج ، طيبي ، تنيسي ، تونسني ، اشموني ، وبذاري ، واسطي ، يجانجي ، زنبغت ، ظرائفي .

(١١٦) سيجدها الفاري فيما يلي ، مع بعض اسماء النسيج والجلود أو الاحذية .
(١١٧) انظر ، م ج ع ، ج ٤ ، الفاظ حذوة ، هملخت (ران ، طماق) كنباتي ، كسر ، شمشك ، صندل ، طاق .

(١١٨) مثال رفرف ، رفيع (م ج ع ، ج ٤ ، ٢٤٨ - ٢٤٩) .

مضى نشر : ويدلان ايضا على مرتبة اجتماعية ، على الاقل الطيلسان ، الذي ترتديه الشخصيات البارزة بمنصبها او علمها او مرتبتها الدينية . ومن هنا تقصد شيراز التي تفرض الدراعة فيها الاحترام . ولا مقدار بها لاهل الطيلاسة ، وتغلق الابواب في وجوههم ، ذلك ان الطيلسان لباس المكدين والنصارى والمتسولين الذين يتبعون بطيلاسهم ، ويسحبونها (١١٩) . والوضع يختلف في اليهودية (اصبهان) ، فنيها يرى احدهم بخفيه وبزته وفي كفه رغيف يكدمه او زبيب يقضمه . وتحت عماثهم مخاد. (١٢٠) :

اللباس في البلدان العربية

لا يأتي ابن حوقل الا على ذكر القليل عن لباس المغرب . وجل ما يقوله ان اهل طرابلس مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الثياب ، متميزون في اللباس وحسن الصور (١٢١) . وعادة « اهل البرانس ان يتلثموا ، وهم اطفال ، وينشؤون على ذلك . ولا يرى لاحدهم من وجوههم غير عيونهم (١٢٢) . ويشاء حسن الحال ان يسهب المقدسي في حديثه عنهم (١٢٣) . ويقول : « ويدخلون الحمامات بلا ميازر الا القليل ، وبالمغرب رسومهم مصرية ، الا انهم

(١١٩) المقدسي ، ٧ ، ٤٢٩ ، ٤٤٠ ، عن هذين الكسائين ، انظر لسان العرب اللفظان ، دوزي ، ج ١ ، ٤٣٤ ومعجم مفصل لاسماء الثياب عند العرب ، امستردام ، ١٨٤٥ ، ص ١٧٧ - ١٨١ و ٢٧٨ - ٢٨٠ .

(١٢٠) المقدسي ، آخر ٣٨٨ ، ٣٩٩ .

(١٢١) ابن حوقل ، ٦٩ .

(١٢٢) ابن حوقل ، ١٠٢ .

(١٢٣) المقدسي ، ٢٣٩ .

قلّ ما يتطلسون ، وكثيرا ما يجعلون الرداء بطاقيّن ، ثمّ يطرحونه على ظهورهم مثل العباءة (١٢٤) . أصحاب قلانس مصبّغة . والبربر بيرانس سود . واهل الرساتيق بأكسية (١٢٥) والسوقة بتناديل (١٢٦) والتجار يركبون احمرّة مصرية وبغلا .

لكن ماذا نقول عن مصر التي بتشبه بها ويقاس بها هنا ؟ الحقيقة انها غامضة : فتارة يشاد باناقة اهلها . وطورا تدم بوضع كلمات قاسية جدا ، كأن يقال : قلّ ما يلبسون ثوبا غسيلا او نعلا قد امتعطت (١٢٧) . اما جزيرة العرب . فتتلازم مع مقتضيات شدة الحر الدائمة تقريبا . فلا يتقون المطر ، ولباسهم في الصيف والشتاء واحد ، ومن قطن في الغالب . والرسوم في هذا الاقليم لبس الوزر والازر بلا قميص الا القليل . وبنحوا يعيبون على من يترز ، انما هو ازار واحد يلتف فيه (١٢٨) . وتبدو الشام (١٢٩) على خلاف ذلك : فلهم تجمل يلبسون الاردية كل عالم وجاهل ، ولا يتخففون في

(١٢٤) عباءة ، عباية : معطف يدو جزيرة العرب : انظر دوزي ، الثياب ، ٢٩٢ - ٢٩٧ .

(١٢٥) كساء : قطعة صوف تستعمل غطاء سرور أو معطفا : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٤١ ، دوزي ، ج ٢ ، ٤٦٨ ، والثياب ، ٣٨٣ - ٣٨٦ .

(١٢٦) منديل : قطعة قماش مستطيلة ملفوفة كالعمامة : انظر دوزي ، ج ٢ ، ٦٥٣ ، والثياب ، ٤١٤ - ٤١٨ .

(١٢٧) المقدسي ، ٢٠٥ (عن امتعط ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٥٥) .

(١٢٨) المقدسي ، ٩٥ ، آخر ٩٩ - ١٠٠ ، ١٠٥ ، تفصيل آخر : استعمال عجينة سوداء : استعمال عجينة سوداء لازالة الشعر أو الوشم ، عن وزر وازر ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، آخر ٣٧٤ - ٣٧٥ ، ودوزي ، قا الثياب ، ٢٤ - ٣٨ .

(١٢٩) المقدسي ، ١٨٣ .

الصيف ، انما في نهال الطاق (١٣٠) . ويكشفون الماطر (١٣١) ، ولا يقورون الطيالة . وترد بعض التفاصيل المحلية او الخاصة بطبقة اجتماعية . فلا جلّة البزازين بالرملة حُمْرٌ مصرية بسروج، ولا يركب الخيل الا امير او رئيس ، ولا يتدفع الا اهل العري والكتبة . ولباس القرياتين برستاق ايليا ونابلس كساء واحد بلا سراويل (١٣٢) : ورسوم العراق التجميل (١٣٣) ، وليس الشروب (١٣٤) والتطلس ، ويكثرّون التنعل وتسطيل العمام (١٣٥) . ولبس الخطباء الاقية (١٣٦) والمناطق .

اللباس في بلدان العجم

ويزداد الاهتمام باللباس مع الاتجاه نحو الشرق إلى اقاليم العجم الثمانية عند المقدسي (١٣٧) : ويقال ان اهل جرجان جنوبي بحر

-
- (١٣٠) نهال الطاق ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٩٢ .
(١٣١) يكشفون الماطر ، حرفيا يبينون ثياب المطر . ترجمت سابقا (المقدسي ، ترجمة ، ٢٢٦) يطوون ، لكن لم تعد هذه الترجمة تبدو لي ملائمة للتأويل الوارد هنا . عندئذ قد يكون القماش مشعاً وغير منفذ (دوزي ، ج ٢ ، ٦٠٠) يظهر الحرص على الاناقة أو التباهي . سوف يذكر فيما بعد (انظر ما يلي ح ١٤٦) الفعل ذاته في الحديث عن ثياب الصوف ، الا انني اعترف ان تأويلي مشكوك فيه .
(١٣٢) عن كساء ، انظر ما تقدم حاشية ١٢٥ ، سروال : يحتمل معنى اللباس تحت الثياب ومعنى البنطال : انظر دوزي ، الثياب ، ٢٠٣ - ٢٠٩ .
(١٣٣) المقدسي ، ١٢٩ .
(١٣٤) شرب انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٦٠ .
(١٣٥) عن سطل ، انظر م ج ع ، ٢٦٠ .
(١٣٦) كبن ، الأصل : لباس خارجي باكام وازرار : انظر دوزي ، الثياب ، ٣٥٢ - ٣٦٢ .
(١٣٧) تحفظ بالنسبة لهذا الاهتمام لبلدان ارمينية واذريجان ، التي يقول عنها المقدسي ان كل من كان من اصحاب السلطان يتختم بالذهب : خاتم مع ختم تتكون الاعمال رسية : المقدسي ، ٣٨١ (و ح . يب) .

الخزر لا يكثرُونَ التطالس (١٣٨) . وزى اهل اقليم الجبال زي اهل العراق ، على الاقل في الري (١٣٩) على حد قول ابن حوقل . ويتحدث المقدسي عن اليهودية (اصبهان) ، فيذكر ان تحت عمائهم نخاد ، وان البهستهم واسعة الاكمام ، كما اسلفنا ، وانهم يتنعلون الخفوف (١٤٠) يمتد تأثير العراق إلى خوزستان (١٤١) : فزيهم زي اهل العراق في الملابس من القميص والطيلسة والعمائم ، وفي اضعافهم من يلبس الازر والمياز (١٤٢) : ويعمل بالأهواز فوط من القز حسنة ، تلبسها النساء (١٤٣) . ويختصون بركوب البقر (١٤٤) عوضاً عن الدواب : ويذهل المقدسي على نحو ما أشرت من قبل ، لعكس العرف المألوف في فارس (١٤٥) ، وجعل المقدار لأصحاب الدرايع ، لا لأهل الطيلسة : وترد عنده تفصيلات أخرى أيضاً ، منها أن الطيلالسة لباس الخائث والحجام والرساقي ، وان العوام يلبسون الثياب السود ويكثرُونَ لبس الشمشكات والنعال ويسطلون العمائم ، ويكشفون الصوف (١٤٦) . وقد خلف ابن حوقل (١٤٧) وصفا مفصلاً - او

(١٣٨) المقدسي ، ٣٦٨ .

(١٣٩) ابن حوقل ، ٣٧٩ .

(١٤٠) المقدسي ، ٣٨٨ (مع تدقيق : نخدة على الرأس مغلقة بالعمامة ، مما يبرر المقارنة السابقة) ، ٣٩٩ .

(١٤١) ابن حوقل ، ٢٥٤ .

(١٤٢) ازرا انظر ما تقدم حاشية (١٢٨) ومثزر (م ج غ ، ج ٤ ، اخر ١٧٨ -

١٧٩) ودوزي ، الثياب ، ٣٨ - ٤٦ .

(١٤٣) المقدسي ، ٤١٦ ، الذي يضيف بعض التباينات بالنسبة الى ابن حوقل .

(١٤٤) المقدسي ، ٤١٦ .

(١٤٥) المقدسي ، ٧ ، ٤٢٩ ، آخر ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ٤٤١ (ح ١) غز. شمشك

(نعل حذاء) انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٧ ، ودوزي ، الثياب ، ٢٣١ .

(١٤٦) بطانة أو صوف ثياب الجلد : عن المعنى ، انظر ما تقدم ، ح ١٣١ .

(١٤٧) ابن حوقل ، ٢٨٩ - ٢٩٠ .

واضحاً جداً (١٤٨) - للباس اصحاب المراتب العليا ، فقال : « واما زعيم ، فكان السلطان زيه الاقبية ، وقد تلبس سلاطينهم الدرايع ، وان كانوا فرساً (١٤٩) : ومن لبس الدرايع منهم ، اوسع فروعها ، وعرض جربانها (١٥٠) . وجيوب دراريهم كدرايع الكتاب . والعمائم تحتها القلائس المرتفعة : ويلبسون السيوف بحمائل ، وفي اوساطهم المناطق ، وخفافهم تصغر عن خفاف اهل خراسان . وقد تغير زي سلطانهم في وقتنا هذا ، لأن الغالب على اصحابه لباس الديلم (١٥١) . وقضاتهم يلبسون الدنيات (١٥٢) وما اشبهها من القلائس المشمرة عن الاذنين مع الطيالة (١٥٣) . والقمص والحجاب (١٥٤) . ولا يلبسون دراعة (١٥٥) ، ولا خف بكسرة (١٥٦) ولا قلنسوة تغطي الاذنين . وكتابهم يلبسون ملابس كتاب العراق ، ولا يستعملون القبي ولا الطيلسان . وتناؤهم (١٥٧) بين لباس الكتاب

-
- (١٤٨) انظر ملاحظة وايت عند ابن حوقل ، ترجمة ، ٢٨٣ ، ج ٢ ، ٢٨٩ .
(١٤٩) يتوقع بالاحرى خاصة اذا كانوا فرساً (اعتماداً على لبسهم الدراعة حسب المقدسي) . اذن يجب ان نفهم ان الدراعة لباس جميع الناس المرموفين . ولم تكن الشخصيات الرسمية تتميز بلباس خاص . سنرى فيما بعد التغييرات الطارئة .
(١٥٠) جربان . يمكن أيضاً توسيع الظهر (جربان بمعنى قطعة قماش تغطي الظهر : انظر دوزي ، ج ١ ، ١٨١)
(١٥١) تحت تأثير البويهيين اسياذ البلاد .
(١٥٢) دنية : بشكل برميل (دن) (دوزي ، الثياب ، ١٨٥) .
(١٥٣) بالتالي مثل العوام .
(١٥٤) انظر دوزي ، الثياب ، ١٠٧ - ١١٧ .
(١٥٥) الاختلاف عن العجة بالخفة وازرار الدراعة تقديراً : دوزي ، الثياب ، ١٧٧ ، ١٨١ .
(١٥٦) بكسرة : انظر م ج ع ، ج ٤ ، آخر ، ٣٤٠-٣٤١ .
(١٥٧) م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٨ لفظ ثاني .

والتجار من الطيالة والاردية والاكسية القومسية والخز والعمائم والخفاف
التي لا كسر فيها والقمص والجباب والمبطنات (١٥٨) : ويتفاضلون
في جودة الملابس وحسن الزي ، وزيمهم كزي اهل العراق » .

وتعبر تفاصيل هذا النص عن ظاهرتين عامتين : اولاهما تصنيف
— متبدل اصلا — اللباس حسب طبقات المجتمع او الوظائف ، والثانية
تصدير الزي ، كنموذج من العراق — او كفرض من الساطة —
البويهيون في الديلم : ويلاحظ وصول تأثير العراق إلى سجستان (١٥٩)
حيث يكورون العمائم مثل التيجان (١٦٠) في حين يقارب اهل كرمان ،
حسب المقدسي ، اهل فارس في اكثر رسومهم (١٦١) :

وتتميز السند ، البلد الهندي ، ببعض الخصائص ، على طرف
دار الاسلام الشرقي : فاهل مكران ، حسب المقدسي (١٦٢) ،
يلبسون القراطق (١٦٣) ، ويسبلون الشعور ، ويشققون الآذان مثل
الهند ، ويكثرون لبس الازر ، الا التجار والمشايخ ، وقل ما يلبسون
الاخفاف . واهل الملتان لا يحنكون العمائم (١٦٤) . وبذكر ابن
حوقل (١٦٥) ان زي اهل المنصورة كزي اهل العراق ، غير ان زي

(١٥٨) مبطنة : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩١ .

(١٥٩) ابن حوقل ، ٤١٩ .

(١٦٠) المقدسي ، ٣٢٨ .

(١٦١) المقدسي ، ٤٦٩ ، مع ابراز اناقة اللباس ، يقاربون الفرس في اكثر
رسومهم التي تحمل محل العراق حسب ابن حوقل .

(١٦٢) المقدسي ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ (و ح . هـ) .

(١٦٣) قرطوق : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٢٣ ودوزي الثياب ، ٣٦٢ .

(١٦٤) عن حنك عوضا عن تحنك ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٠ .

(١٦٥) ابن حوقل ، ٣٢١ ، ٣٢٥ .

ملوكهم يقارب زي ملوك الهند في الشعور والقراطق . وفي السند عامة ، حسب ابن حوقل ، زي المسلمين والكفار واحد في اللباس ، وارسال الشر . ولباسهم الازر والميازر لشدة الحر ببلدانهم .

ولا يتوسع ابن حوقل كثيرا في الحديث عن المناطق الشمالية الشرقية في دار الاسلام ، ويكتفي بذكر لبس الاقبية والقلائس في ما وراء النهر (١٦٦) . والمقدسي (١٦٧) ادق ملاحظة ، يستخلص من العرف العام فوارق بالطبقة الاجتماعية او الوظيفة او المنطقة . فالخفاف تلبس في الشتاء والصيف ، وقل ما تنتعل النعال . ويلبس العوام الاقبية المفتوحة في ما وراء النهر . ويتطلس الفقهاء المسنون والكبراء وكبار التجار ، ويقال بان انصاف العلماء (١٦٨) يعمرون الطيالة على احد اكنافهم مجتمعة : ويتحنك الفقهاء ، والكبراء (١٦٩) ، ولا يتحنك كبار التجار ومن دونهم . ولهم جميعا ، وبلماعة (١٧٠) من طوس وابيورد وهرارة ، فوق ذلك دراعة ، ويخى ما فوق العمامة على طرف الدراعة من خلف . ولا يتردى الخطيب ، ولا يتقي : انما عليه دراعة (١٧١) . واكمام اقبية الجند

(١٦٦) ابن حوقل ، ٤٩٠ .

(١٦٧) المقدسي ، ٣٢٧ (ح ز) ، ٣٢٨ (ح . و) .

(١٦٨) انصاف العلماء : م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٠ .

(١٦٩) اتبع هنا المقدسي ، ٣٢٨ (ح . و) وهو تبين اصح من النص الذي اتبعه دي خويه (انظر اصلا المرجع ذاته ، ح ب) . هنا تحنك (انظر ما تقدم حاشية ١٦٤) .

(١٧٠) جماعة بلا تنسيق آخر .

(١٧١) مع منطقة . المقدسي ، ٣٢٧ (ح . ر) .

ضيقة . وركوب الخيل مباح لجميع الناس . واذا تكلم اهل بخارى ،
هزوا اكتافهم إلى فوق : وتضرب الفرائق قدام السلاطين (١٧٢) .

بعض الاعراف او الرسوم

تسترعي الاعراف ، باوسع معانيها ، انتباه المقدسي باستمرار .
وهو الوحيد الذي يفردها في حديثه عن كل اقليم عنوانا خاصا يسمى
رسوما (١٧٣) . وتتضمن هذه الرسوم ، عدا المقارنات العامة بين
البلدان (١٧٤) ، وبعض التفاصيل عنها (١٧٥) ، ثلاثة حقول رئيسة
هي اللباس الذي استعرضناه منذ قليل ، وواجه التباين في الممارسة
الثقافية او التطبيق الشرعي ، وعادات الزواج او الجنابة .

وهذه بعض التفاصيل التمهيدية : ففي العراق (١٧٦) ، للهرايسين
مواضع ، فوق دكاكينهم ، فيها الحصر والموائد والمرى وخدام (١٧٧)

(١٧٢) فرائق عوضا عن فراقع : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣١٦ ودوزي ، ج ٢ ،
٢٦٠ .

(١٧٣) رسوم : المقدسي ، آخر ٩٩ - ١٠٠ ، ١٢٩ ، ١٤٢ ، ١٨٢ ، ٢٠٥ ،
٢٣٨ - ٢٣٩ ، ٣٢٧ - ٣٢٨ ، ٣٦٨ - ٣٧٠ ، ٣٨١ ، ٤١٦ ، ٤٣٩ - ٤٤٠ ،
٤٦٩ .

(١٧٤) مثال المقدسي ، ١٤٢ (اقور تأخذ عن الشام وعن العراق معاً) ، ٣٢٧
المشرق يختلف عن مجمل الاقاليم العربية) ، ٤١٦ (خوزستان يتقيد بالعراق أو الشام أو
مصر) ، ٤٦٩ (كرمان تقلد فارس) ، ٤٧٩ (مدينة المنصورة في السند تتبع عرف
العراق ، انظر ما تقدم عن المدينة ذاتها ، بشأن اللباس : وهذا دليل على تعريب ظاهر فيها
اكثر من باقي الاقليم) .

(١٧٥) ذكر عدد منها من قبل ، مثلا ما يتعلق بالجامع وغيره من الأبنية العامة ،
والسلوك الأخلاقي ، والمطبخ اضافة الى اللباس الذي اتحدث عنه هنا .

(١٧٦) المقدسي ، ١٢٩ .

(١٧٧) هراس : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٧٠ ، ودوزي ، ج ٢ ، ٧٥٤ .

وطشوت و اباريق واشنان ، فاذا انحدر الرجل ، دفع دانقا ، وهذا منتهى الرخص (١٧٨) . وفي الديلم يقصد الغريب دورهم ، فيأخذ من الطعام ما يحتاج اليه ، وذلك ما يسرههم (١٧٩) : ولاهل الديلم ايضا مجالس في السكك والاسواق مرتفعة ، يجتمعون بها ، بأيديهم الروبينات ، وعليهم الاكسية الطبرية (١٨٠) . وفي المقطم مواضع يفضلونها ، وصوامع يقصدها ليالي الجمع : ويمينهم الكبرى « ورأس الله » والصغرى « وحق علي » (١٨١) .

ويقودنا هذا القول إلى حقل آخر ، اعني ما يخص الدين من قريب أو بعيد ، والطقوس والشرائع . ويدون المقدسي بدقة التنوع الكبير في تنظيم داخل الجامع ، وترتيب الصلاة ، ونداء المؤذن ، وشهر رمضان ، والادعية الخاصة . ونستخلص من هذا التعداد انه يعكس تنوع الشرع وغيره إلى اقصى حد في الاسلام : ولن ندخل في التفاصيل ، ونحيل المختص إلى خرفية نص المقدسي (١٨٢) .

ولم يدون طقوس الزواج بطريقة اخرى . مع ذلك ، يخص الزواج عند الديلم بمقطع رائع ، اشير فيه إلى اعراف اخرى . وانا انقله حرفيا

(١٧٨) حوالي سدس درهم . هذه المطاعم خاضة بالرجال طبعا : يسمى الداخل اليها الرجل .

(١٧٩) المقدسي ، ٣٦٩ .

(١٨٠) المقدسي ، المرجع ذاته ، عن زوين ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٥ ، وديميزون ، معجم فارسي فرنسي ، ج ٢ ، ١٢٩ (ربح برأسين) .

(١٨١) المقدسي ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ . يلاحظ سنة القامجارية بكر في النيل كل عام ،

وابطال الاسلام لها : المقدسي ، آخر ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(١٨٢) انظر المقدسي ، احالة في ما تقدم في الحاشية ١٧٣ واماكن اخرى .

عن المقدسي (١٨٣) عالم الاجناس . قال : وللديلم رسوم عجيبة لا يزوجون إلى غيرهم . وكنت في بعض الخانات ، فاذا بصبيبة تعدو ورجل شاهر سيفه يعدو خلفها يروم قتلها . فقلت ما فعلت حتى استوجبت القتل؟ قال: انها زُوِّجت إلى غيرنا . وقتل من فعل ذلك واجب عندنا ولهم اسواق على ايام الجمعة في السهل ، لكل قرية يوم . فاذا فرغوا ، انحاز الرجال والنساء إلى معزل ، يتصارعون فيه ، ورجل جالس معه حبل كل من غلب عقد له عقدة . فاذا هوى الرجل امرأة ، راح معها . فيتلقاه اهله بالبشر والرحيب ، ويتباهون به اذا رغب في كرمهم ، فيضيّفونه ثلاثة ايام ، ثم ينادي المنادي بعدما اجتمع معها اسبوعا في عمارة له بمعزل . فيجتمعون ، ويختطون . وسألت ابا نابذة الانصاري قلت : هل يصيبها قبل العقد ؟ قال او علموا بذلك قتلوه . وكثيرا ما حضرت عقود اهل بيار . يجتمع الناس بعد العتمة مع كل رجل قارورة من ماء ورد ، والنيران تقد على باب الختن والعروس . فيبدأ بعض المشايخ ، فيخطب خطبة بليغة يطلب فيها الزوجين ويطلب المرأة . ثم يجيبه آخر من قبل العروس في خطبة باحسن جواب . واكثرهم خطباء ادباء . ثم يعقدون النكاح . ويقوم اصحاب القوارير ، فيضربون

(١٨٣) المقدسي : آخر ٣٦٨ - ٣٧٠ . ترجم في مقال ا . ميكيل ، « جغرافية واتنوغرافية » : حالة المقدسي (القرن الرابع - القرن العاشر) ، في « الطاهي والفيلسوف » . تكريم مكسيم رودنسون (دراسات اتنوغرافية تاريخية للشرق الأدنى ، جميعها ج . ب . ديفار) ، باريس ، ١٩٨٢ ، ص ١٩١ - ١٩٧ . ينطبق الحذف في المقطع مع بعض الأحداث التي اشير اليها من قبل (صيانة الشوارع ، اللباس ، الغذاء) أو التي سوف تذكر فيما بعد (الدفن) وفي الفصل الأخير (اللغة) .

(١٨٤) اصحح النص حسب المقدسي ، ٣٧٠ (ح ١) .

بها الحيطان ، ثم يعطى صاحب كل قارورة طبقة من آفروشة (١٨٥) ...
ومكثت اربعة اشهر احضر دعواتهم واعراسهم ، فمارأيتهم يزيدون (١٨٦)
على ثردة لحم قد اخرج عظامه ، ثم الارز ، ثم الآفروشة الرطبة ...
ولا ترى امرأة بالنهار ، انما يخرجن بالليل في اكسية سود . ولا تتزوج
امرأة مات عنها زوجها ، فان فعلت ، ضرب الصبيان على بابها بالخزف
وحوانيتهم في الدور ، والباعة نساء » . (١٨٧) .

وتدوينات عادات الجنائز اقصر ، لكنها اوفر عددا . ويقصد
بها ابراز ما يحيد هذا وهناك عن العرف المفروض معرفته . وهذا ما
جرى قبل المقدسي ، بخاصة فيما يتعلق بموت احد العظماء : فعند
السعد يعبر عن الحزن بقطع الاذان حسب ابن عبد ربه (١٨٨) .
ويقول الهمداني (١٨٩) عن النياحة في جزيرة العرب (خيوان) انه
اذا مات الرجل المنظور منهم ، لا يزال يناح إلى ان يموت مثله ،
فيتصل النواح على الاول بالنواح على الآخر ، وتكون النياحة بشعر
ضعيف تلحنه النساء ويتخالسنه بينهن ، وللرجال من الموالي لحون
غير ذلك .

لكن لنعد إلى المقدسي . ففي العراق ، يجعلون على جنائز النساء

(١٨٥) بشأن الغذاء ، انظر ما تقدم « المواد وما يتبعها » .

(١٨٦) المقدسي ٣٧٠ (حاشية يا) يبدل ترتيب الطبقيين الأولين .

(١٨٧) أخذت هذه الجملة (مع التصحيح العائد الى غياب النساء كليا في المشهد المدني
من المقدسي ، ٣٧٠ (ح بو) .

(١٨٨) العقد الفريد ، ج ٦ ، ٢٥٤ .

(١٨٩) الهمداني ، ٢٠٣ .

قبابا عالية وجحشة (١٩٠). وفي الشام (١٩١) قبرهم مسنمة ، ويمشون خلف الجناز ، ويسلون الميت (١٩٢) ويخرجون إلى المقابر ليجتمع القرآن ثلاثة أيام (١٩٣) . وفي المغرب ، لا يأخذون الميت الا من الراس او الرجلين (١٩٤)

وفي بلدان شمالي شرقي دار الاسلام ، يأخذون الميت عند الدفن من قبل القبلة ، الا الشيعة ، فانهم يسلمونه . فاستغرب المقدسي ، وقال لاهل اببور : انتم على مذهب الشافعي ، والامر لكم في بلادكم . فلم لا تسلون الميت سلا . ولا ستغرابه ما يبرره لأن الشافعين والشيعة يتبعون عادة واحدة في اماكن اخرى (١٩٦) . وقد اجابوه : « ما كنا لتتابع الشيعة ، ونخالف المسلمين » والمقصود بمحمل السنة .

وعلى شواطئ بحر الخزر ، اذا كان لهم ماتم ، كشفوا رؤوسهم ، واجتمعوا ، وقد التفت المعزي والمعزى في الاكسية ، واداروها على رؤوسهم ولحاهم (١٩٧) . وفي فارس ، يأخذون الميت سلا ، ويمشي الرجال قدام الجنازة ، والنساء خلفها . وفي خوزستان ، يمضون من الناحيتين ، ويقيمون الزمر والطبل في المآتم وفي المقابر . ويضيف

(١٩٠) المقدسي ، ١٢٩ .

(١٩١) المقدسي ، ١٨٣ .

(١٩٢) عادة شافعية وشيعة : انظر المقدسي ، ٣٢٧ (مشار إليها فيما يلي) والترجمة

٢٢٥ ، ح ٦٣ .

(١٩٣) انظر ف . برهل ، ختمة ، ١٠ (٢) ، ج ٤ ، ١١٤٤ .

(١٩٤) المقدسي ، ٢٣٨ .

(١٩٥) المقدسي ، ٣٢٧ .

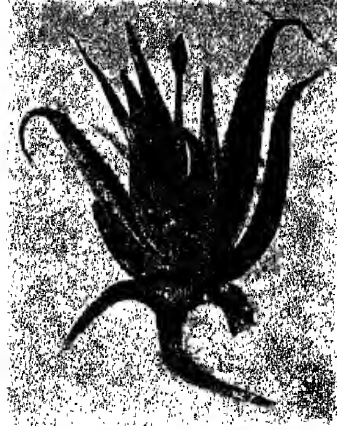
(١٩٦) من هنا اهمية الخريطة الدينية للشام في هذا الوقت ، واهمية الملاحظة السابقة

عن عادات الجناز في هذا البلد : فالشافعيون والشيعة أكثرية فيما يبدو ، ويأتي الحنفيون

بعدهم : انظر المقدسي ، آخر ١٧٩ - ١٨٠ .

(١٩٧) المقدسي ، ٣٦٩ .

المقدسي ان اقاليم العجم لا تعرف الخروج إلى المقابر لحتم القرآن ،
وانما يجلسون للتعزية في المساجد ثلاثة ايام (١٩٨) .



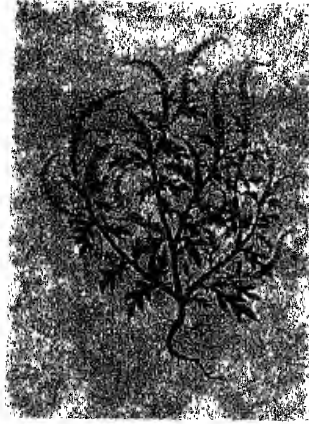
النمسة ، محفوظات المكتبة الوطنية النمساوية القسم الطبي اليوناني ١ ، ورقة ١٥
الألوة (الصبر) القسطنطينية قبل ٥١٢ هـ
(المصدر : ديوسقوريدس ، المواد الطبية)

التقاويم :

كيف يسمى الزمن الذي يمضي يوما يوما ، الوقت الذي نحياه ؟
وكيف نحسبه ؟ لا ريب ان للاسلام تقويمه ، الا ان ذاكرة العلماء
والمتقنين وذاكرة الشعوب احيانا حفظت لنا ذكرى تقاويم اعياد
قديمة طبقت في الماضي في الاراضي التي خضعت للاسلم في وقت لاحق .
وسوف نلقي نظرة إلى تقويم البلدان المجاورة مثل الهند والصين
والروم (١٩٩) عند الحاجة ، لكن نادرا . اختيرا يوحى توالي الزمن

(١٩٨) المقدسي ، آخر ٤٤٠ .

(١٩٩) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج٢ : ١١٥ ، ٤٦٦ . بشأن الهند يذكر
عمل البيروني الاساسي طبعاً . ويلاحظ ان التقويم التركي مجهول في النصوص الجغرافية .
بشأنه ، انظر ل. بازين ، التقاويم التركية وتقاويم القرون الوسطى ، جامعة ليل الثالثة ، ١٩٧٤ .



النمسة ، محفوظات المكتبة الوطنية النمساوية ، القسم الطبي اليوناني ، ١ ، ورقة ٢١ ظ
الامبروازية Ambrosie ، القسطنطينية قبل ٥١٢ هـ
(المصدر ، ديوسقوريدس ، المواد الطبية)

بطريقة هامشية جدا ، بادب مختص ، هو ادب العمل في الحقول .
وقد خَلَّفَ لنا ابن حوقل مثالا عن مصر (٢٠٠) . وعلى وجه التخصيص ،
صنف في الاندلس كتاب كامل سمي تقويم قرطبة ، يتميز بتفاصيله
الدقيقة واطلاعه الواسع ، لكنه حرر لقراء معينين ، لأنه كتاب هندسة
زراعية (٢٠١) .

ويرد افضل عرض منهجي لشئى التقاويم الاسلامية (٢٠٢) عند

-
- (٢٠٠) ابن حوقل ، ١٣٦ ، ١٣٧ .
(٢٠١) انظر ش . بيلا ، امثال مسجوعة ، انواء ومنازل القمر عند العرب ، ارايكيا ،
٢ روماني ، ١٩٥٥ ، ص ٤١ : في هذا المجال أيضاً الاصلة استثنائية . عن مصر في
القرن ١٣ هـ / ١٣ م - ١١ هـ / ١٧ م ، انظر ش . بيلا ، خمسة تقاويم مصرية ، القاهرة ،
١٩٨٦ .
(٢٠٢) أو الباقية مستقلة عنه (وضع بينزطة) أو في كنفه (حالة التقويم القبطي
ابن فوكل ، ١٣٦ - ١٣٧) .

المسعودي (٢٠٣) الذي يشرح اصل التسمية اللغوي ونشوء الحساب وتبدلاته ، وكبس الايام او الشهور للتوفيق بين التقويم وبين السنة الشمسية . ويعطي الجدول التالي قائمة هذه التقاويم ، وتشير النجمة إلى اول شهر في السنة (٢٠٤) .

أسماء شهور التقاويم

الجاهلية	المسلمة	الرومية	السريانية	القبطية	الفارسية
فاجر	ربيع الآخر	يناير يوس*	كانون الثاني	طوبه	فروردين ماه*
اسلخ	جمادى الاولى	فبروار يوس	شباط	امشير	ارديبهشت ماه
اميج	جمادى الآخرة	مرت يوس	آذار	برمهاث	جرداد ماه
احلك	رجب	ابريل يوس	نيسان	برميه	تير ماه
كسع	شعبان	مايوس	ايار	بشتن	مرداد ماه
زاهر	رمضان	يونيو يوس	حزيران	بؤرنه	شهر يرمه
برك	شوال	يوليوس	تموز	ايب	مهر ماه
سحرف	ذو القعدة	اغسطس	آب	مسرى	ابان ماه
نفس	ذو الحجة	سبتمبر يوس	ايلول	توت*	اذرمه
فاتق*	محرم*	اكتوبر يوس	تشرين الأول	بابه	داي ماه
ثقيل	صفر	نوفمبر يوس	تشرين الثاني	هاتور	بهمن ماه
طالق	ربيع الأول	دجمبر يوس	كانون الأول	هيهك	اسفندر مازماه

(٢٠٣) المسعودي (م) فقرة ١٢٨٢ - ١٢٩٠ ، ١٢٩٤ - ١٣١٨ ، المسعودي

(ت) ، ٢٨٧ - ٢٩٢ .

(٢٠٤) المقصود بقطة انطلاق بالنسبة الى اشهر السنة المسلمة ، من أجل التوافق مع الفصول

ومع شهور سائر التقاويم (مع الانتباه الى الغاء الاسلام لشهر النسيء مرة كل ثلاث سنوات)

ففي التقويم القديم ، كان شهر فاتق - المحرم بداية اشهر الشتاء الثلاثة : انظر م .

بليسر ، ١٣ ، ج ٣ ، ٧٤٦ . التوافق توت - اذرمه (المسعودي (م) فقرة ١٢٨٢)

يستتبع بدايتين للسنة الفارسية : هذه (انظر أيضاً ابن الفقيه ، ترجمة ، ٣١٩ ، ح ١)

والنيروز : اعتدال ربيعي أو انقلاب صيفي (انظر ر . ليفي ، نوروز ، ١٣ ، ج ٣ ، =

وبقيت هذه التقاويم في ذاكرة العلماء فقط . وقد قضى الاسلام على التقويم الجاهلي . واستمرت بيزنطة تستخدم الاشهر الرومية . وحافظ على التقاويم الفرسية والسريانية والقبطية في نطاقاتها التقليدية . فالتقويم الفارسي والسرياني تحسب بهما الاعياد (٢٠٥) . والتقليد القبطي يستعرض حياة الريف المصري وما يتعلق بمحاصيله الزراعية المرتبطة بنهر النيل وفيضانه (٢٠٦) . ولا يتحدث احد عن التقويم الا الاسلامي او يكاد . ولا غرابة في ذلك لأن دار الاسلام تحسبه على الدوام وتحياه يوماً يوماً

الاعیاد

والحديث عن الاعياد قليل . والتدوينات بشأنها محدودة ومتناثرة ، تشير إلى صفات فريدة تخالف الاعراف ، لكنها تعين مكان الاحتفال او تمجدها . وعلى هذا النحو ، يذكر ابن حوقل في سياق كلامه عن

=٩٤٩ - ٩٥٠) . يلاحظ ان الاعدال الربيعي يمكن استنتاجه من مقطع آخر من نص المسعودي ذاته ، (م) فقرة ١٢٨٧ : اذا وقع عيد المهرجان ، وهو بداية فصل الشتاء (تشرين الاول) بعد ١٦٩ يوماً (أو ١٩٤ : (م) فقرة ١٢٩٨) بعد النيروز يأتي النيروز في الربيع . يلاحظ أيضاً التردد بشأن بدء السنة الرومية : ينواربوس (المسعودي (م) فقرة ١٢٩٧ أو تشرين الاول (المرجع ذاته فقرة ١٣١٢ آخرها) . اشكالات أخرى ابرزها بيلا ، في خمسة تقاويم مشار اليه ص ٦ - ٧ و ١٥ روماني . (٢٠٥) انظر ما يلي . انظر أيضاً من أجل التقويم السرياني ، المقدسي ، ١٨٣ : وشهورهم (اي في الشام) رومية - كذا - : تشرين الأول والثاني » وللتقويم الفارسي ، المقدسي ، ٤٤١ - ٤٤٢ .

(٢٠٦) ابن حوقل ، ١٣٦ - ١٣٧ . انظر أيضاً المسعودي (م) فقرة ٧٧٤ ، (ترجم في ج ١ ، ج ٣ ، ١٨٤) ويميل الى كثير من الحماس وقليل من التقية . يلاحظ ان التقويمين السرياني والقبطي يتداخلان احياناً : قارن المسعودي (م) فقرة ٧٣٤ و ١٢٨٦ بالمرجع ذاته فقرة ٧٧٩ .

مرو أو إحدى مدن ما وراء النهر مصلى العيد في مربعة أبي جهر (٢٠٧)
 أما المقدسي ، فيبين العدول عن المذاهب في أربع (٢٠٨) ، ويشيد
 بكلمة هنا أو هناك ببهجة الأعياد أو التأثير بها (٢٠٩) ، ويقدم لنا
 وصفين دقيقين في مناسبتين . الأولى في اليمن (٢١٠) حيث يقول :
 « ويزينون بعدن السطوح قبل رمضان بيومين ويضربون عليها الدبادب .
 فاذا دخل رمضان ، اجتمع رفق يدورون عند السحر ، يقرؤون
 القصائد إلى آخر الليل . فاذا قرب العيد (٢١١) . جئوا الناس » .
 والثانية في مكة هذه المرة (٢١٢) : « وبمكة تنصب القباب ليلة الفطر ،
 ويزين السوق بين الصفا والمروة (٢١٣) ، ويضربون الدبادب إلى
 الصباح » .

والأعياد مهمة أيضا عند اليهود والفرس والنصارى (٢١٤) .
 ونرجع إلى المقدسي (٢١٥) بشأن أعياد اليهود . فهو يعدد خمسة منها .

(٢٠٧) ابن حوقل ، ٤٣٥ ، ٥١٢ .

(٢٠٨) المقدسي ، آخر ٣٩ ، ٤١ .

(٢٠٩) المقدسي ، ١٨٣ .

(٢١٠) المقدسي ، ١٠٠ . من أجل تأويل هذه الفتات ، وجمع رفق لرفيق (هنا
 صاحب ، شريك ، قرين) انظر دوزي ، ج ١ ، ٥٤٤ . عن جبي (طلب مالا أو صديقة
 انظر المرجع ذاته ، ج ١ ، ١٧٢ .

(٢١١) عيد الفطر .

(٢١٢) المقدسي ، ١٠٠ .

(٢١٣) استوحى هنا من النص ومن تباينه (ح يا) . قباب : جمع قبة ، أو تعني
 خيمة أبيه . انظر دوزي ، ج ٢ ، ٢٩٧ .

(٢١٤) من أجل فترة لا حقة ، لكن تبقى معلوماتها صحيحة على نطاق واسع ،
 انظر التويري ، نهاية الارب ، ترجمة اسبيروني .

(٢١٥) المقدسي ، ج ٤ ، ٣٩٦ .

ففي الحامس عشر من شهر نيسان ، يحتفلون بعيد الفطير الذي يحيي فيما يزعمون ذكرى غرق فرعون . وبعد سبعة اسابيع منه : يقع عيد العنصرة (٢١٦) او استلام موسى الواح الشريعة في طور سيناء . وفي اول تشرين الاول من السنة التاسعة (٢١٧) ذكرى خلاص اسحاق من التضحية . وتنتهي قائمة الاعياد بانكبور ، يوم الصوم الكبير والغفران الكبير ، وبعيد انطال الذي يستظل فيه اليهود تحت اغصان الآس والصفصاف لاحياء ذكرى الخروج إلى الصحراء .

وقد يرتبط العيد عند الفرس ببيت النار . كما في مدينة جور في فارس (٢١٨) التي تندفق عليها الجماهير مرة في السنة على « عين هناك عجيبة » . ويذكر احتفال آخر يسمى السدق ، تقام التيران فيه طيلة الليل (٢١٩) . وعندهم ثلاثة اعياد عظيمة . اولها المهرجان ، ويحتفل به في العراق ويذكر بوفاة مهر ، احد ملوك الفرس الطغاة ، وهو اول يوم من الشتاء ، وتغير فيه الفرش والآلات وكثير من الملابس (٢٢٠) وفي اول يوم من اذرماء . يخرج الكوسج — يبدو ان هذا التقليد بطل

(٢١٦) مشار إليه ، ج ٢ .

(٢١٧) يرى التباين مع معطيات المسعودي .

(٢١٨) المسعودي (م) فقرة ١٤٠٤ ، لا ادري اذا كان المقدسي يشير الى هذه العين ، ٤٥ ، من ضمن اسفاره: «ورایت يوم الفوارة» (عين غزيره ، نافورة ماء ، والفوارة موجودة في المغرب : المقدسي ، ٢٤٦) .

(٢١٩) المقدسي ، ٤٥ (ح د : ذكر فقط باملاء مختلف : السدة) من أجل اصل العيد وتاريخه ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٥٩ ، ودوزي ، ج ١ ، ٨٢٥ ، لفظ صدق . انظر النويري ، مشار إليه ، ٨٨ - ٨٩ .

(٢٢٠) المسعودي (م) ، فقرة ٥٣٨ (مع صيغة مختلفة عن اصل العيد) ، ١٢٨٧ ، المسعودي (ت) ، ١٢٨٧ ، المقدسي (ت) ، ٤٥ (ح د) ، ٤٤١ .

تدريجياً - والكوسج شخص يمثل شدة الشتاء - راكمها بغاله بالعراق
وأرض فارس ، ويطعم مدة من الايام الجوز والثوم واللحم السمين ،
وما عدا ذلك من الاطعمة الحارة والاشربة المسخنة (٢٢١) ، ويصب
عليه الماء البارد ، فلا يجد ذلك شيئاً من الله ويصبح بالفارسية كرما
كرما يعني الحر الحر . ويحتفلون اروخ احتفال في الايام الجميلة بعيد
رأس السنة او النيروز (النوروز) (٢٢٢) . ففي فارس طبعاً ، في
شيراز مثلاً ، تزين الاسواق . ويعيد المسلمون مع المجوس (٢٢٣)
قرب اصبهان ، اذ يجتمع الناس في سوق كرينة كالموسم للشرب
والقصف والعزف ابان النيروز ، فيندمج المعرض والعيد (٢٢٤)
وفي عدن ايضاً (٢٢٥) ، يجتمع رفاق كما في رمضان ، « ويتخذون
في النيروز قباباً (٢٢٦) يدورون بها على المباشرين ، ومعهم الطبول
فيجمعون مالا جزيلاً » (٢٢٧) .

-
- (٢٢١) المسعودي (م) فقرة ١٢٩٩ ، المسعودي (ت) ، ٢٨٨ ، لم يذكر
النوري هذا العيد .
(٢٢٢) المسعودي (م) ، فقرة ١٢٨٧ ، المسعودي (ت) ، ٢٨٧ عن الموضع
انظر ما تقدم ، حاشية ٢٠٤ وما يلي ، ح ٢٣٣ ، والنوري ، مشار اليه ، ٨٣ .
(٢٢٣) المقدسي ، ٤٢٩ ، ٤٤١ .
(٢٢٤) ابن حوقل ، ٣٦٤ ، مترجم في ما تقدم ، فصل ٧ ، المعارض والأسواق
(مكان مسمى كرينة) .
(٢٢٥) المقدسي ، ٤٥ (ح د) ، ١٠٠ .
(٢٢٦) القباب غامضة بالنسبة الى رغم تفتيشي في المعاجم (انظر دوزي ، ج ٢ ،
٢٩٧ خاصة) . فهل نفكر بمحفلة محدبة تنتقل في المدينة الا ان الوضع الاجتماعي لهؤلاء
المستجدين يتناسب قليلاً مع هذا التأويل . ومعنى « خيمة مستديرة » لا يتفق أيضاً مع جو
التسكع . ارى في النهاية دون ان اكون واثقاً جداً ، ان قباب جمع قبة ، اسم وحدة قب
تمر نصف رطب صف ناضج ، تقدم للمارة كتعويض .
(٢٢٧) عن باشر ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٩٠ ، عن دار (دارة) على (فتش
عن أحد الأشخاص) ، انظر دوزي ، ج ١ ، آخر ٤٧٠ ، ٤٧١ .

اخيراً، يُعْنَى الجغرافيون كثيراً بأعياد النصارى ، لأن المسلمين يحضرونها في الغالب بدافع الفضول على الاغلب (٢٢٨) . واول يوم من كانون الثاني ، يوقدون في ليلته النيران ، ويظهرون الافراح في جميع الأرض النصرانية تقريباً ، لاسيما في مدينة انطاكية : عرض القربن المقدس : قدّاس، تم ولائم ونيران مباهج اتضاً . ويأتي بعده ظهور المسيح للملوك (٢٢٩) ، وليلة الغطاس (٢٣٠) التي خلف المسعودي وصفا رائعا لها في الفسطاط . وهي تحيي ذكرى معمودية المسيح (٢٣١) بلا ريب ، لكنها تقترن باقامة الافراح : فالناس يجوبون النيل بالزوارق ، ويسرجون المشاعل والشمع في شطوطه ، ويحضرون المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة ، ويغطس اكثرهم في النيل مسلمون ونصارى ، ويزعمون ان ذلك امان من المرض ومبرىء للداء (٢٣٢) . وفي اليوم الثاني والاربعين من الصوم يقع احد الشعانين ، ويذكر بدخول المسيح إلى بيت المقدس . ثم يأتي عيد الفصح بعد اربعة ايام ، إحياءاً للذكرى الخروج من مصر (٢٣٣) والقيامة بعد ذلك بثلاثة ايام . وبعد اسبوع يحيى الاحد الجديد الذي

(٢٢٨) انظر عن هذه الأعياد، المسعودي (م) فقرة ٧٧٩ - ٧٨٠، ١٢٨٦، ١٢٨٨ ، ١٢٩٠ - المقدسي ، ج ٤ ، ٤٥ ، ابن التديم ، ٣٢٢ - ٣٢٥ ، المقدسي ، آخر ١٨٢ - ١٨٣ ، ٢٠٦ .
(٢٢٩) مذكور عند المسعودي ، مشار اليه .
(٢٣٠) من ١٠ الى ١١ طوبه ، أو ٥ - ٦ كانون الثاني : المسعودي (م) ، فقرة ٧٧٩ - ٧٨٠ .
(٢٣١) عن الغطاس ، بهذا المعنى ، انظر دوزي ، ج ٢ ، ٢١٦ .
(٢٣٢) مترجم ، جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١٩٠ .
(٢٣٣) المقدسي ، آخر ١٨٢ ، يحددها في النيروز : عن تحديد رأس السنة ، انظر ما تقدم ، حاشية ٢٠٤ و ٢٢٢ .

ظهر فيه المسيح اتلامذته ، والصعود بعد ثمانية وثلاثين يوما ، والعنصرة
في وقت الحر ، واخيرا عيد الميلاد وقت البرد .

تضاف اعياد القديسين إلى الاعياد السابقة ، مثل عيد مار
سرجه (٢٣٤) وعيد القديس جاورجيوس في اللسد ، ويخضره
المسلمون (٢٣٥) . وتُحْمَس من ايلول عيد زكريا (٢٣٦) ، وعيد
البرباره وقت الامطار في الرابع من كانون الاول (٢٣٧) . وهناك
ايضا احتفالان عظيمان : فالحمس من تشرين الاول عيد كنيسة
القيامة ببيت المقدس ، وفي هذا اليوم يجتمع النصارى من سائر الارض
على حد قول المسعودي ، وتنزل عليهم نار من السماء ، فيسرج هناك
الشمع (٢٣٨) . ويقع عيد الصليب في ١٣ او ١٤ ايلول في وقت قطاف
العنب ، وفي هذا اليوم تفتح الترخ بنصر (٢٣٩) لفيضان النيل .

ونذكر في الختام بعض الاحتفالات الدنيوية . ففي اقليم الجبال ،
في قرية البارجي ، عند اهلها خضرء اسمانجونية ، يزعمون انها طلسم
للبرد : فاذا كان ايام الربيع ، وخافوا على زروعهم وثمارهم منه ،
نصبوها على قناة إلى موضع عيد لهم معروف في يوم من السنة معروف

-
- (٢٣٤) على أقل ، هكذا اقرأ المقدسي ، ٤٥ (ح د) : مار سرجه .
(٢٣٥) ابن خرداذبه ، ٧٩ ، المقدسي ، ١٨٣ (ح ا) : « عيد اللد » في وقت الزرع
(عيد القديس جاور جيوس يحتفل به في ٢٣ نيسان) .
(٢٣٦) المسعودي (م) فقرة ١٢٨٦ .
(٢٣٧) المقدسي ، ٤٥ ، آخر ١٨٢ (الترجمة ، ٢٢٤ ، ح ٥٢) .
(٢٣٨) المسعودي (م) فقرة ١٢٨٨ مع تفصيل آخر : « ويقتلع فيه ورق الزيتون » .
(٢٣٩) المسعودي (م) ، فقرة ١٢٨٦ ، المقدسي ، ج ٤ ، ٤٥ ، المقدسي ، ١٨٣ ،
٢٠٦ .

فلا يصيبهم البرد . وفي ملك فيروز ، مطر الناس في فروردين ماه في اوزابان بعد سبع سنين من الجفاف التام (٢٤٠) . فصبروا الماء بعضهم على بعض اطول عهدهم به ، فصارت تلك سنة إلى اليوم . وفي العراق ، اذا كان بوقت حمل الثمر الحديث إلى واسط (٢٤١) نظر اول سفينة نقل ، فيزين لها ذلك البائع (٢٤٢) الشط إلى دكانه بالانماط والستور . وفي العراق ايضا ، اذا كان اول البنفسج ، داروا به في الاسواق ، وتجسروا عليه . (٢٤٣) . اخيرا ، مدينة كرد فنا خسرو ، قرب شيراز ، خفت بعد موت مؤسسها عضد الدولة ، واشرفت على الخراب وكان لها عيد في كل سنة ، يجتمع فيه للفسق واللهو (٢٤٤) .

المعتقدات والالوهام الشائعة

لا يقضي الدين ، لا هنا ولا في اماكن اخرى ، على المعتقدات القديمة الموروثة عن الازمنة الغابرة . ويعتبر موضوعها حقلا شاسعا في الحقيقة ، يستوعب كتابا كاملا ، بل عدة كتب . وقد اخذ منه جغرافيون واسلافهم . ويستحيل علينا ايفاء حقه في نطاق هذا الكتاب (٢٤٥) ، فنكتفي بالاحالة إلى ما وصف من عجائب العالم الطبيعي (٢٤٦) وباقتراح بعض الارشادات الاساسية .

(٢٤٠) ابن الفقيه ، آخر ٢٦٥ ، ٢٦٧ .

(٢٤١) المقدسي ، ١٢٩ .

(٢٤٢) بيع : انظر دوزي ، ج ١ ، ١٣٦ .

(٢٤٣) المقدسي ، ١٢٩ ، عن تجمل على ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٠٨ .

(٢٤٤) المقدسي ، آخر ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٢٤٥) ما عدا ما يتعلق بالمصنفين المختصين بوصف ملكة الاسلام (القرن الرابع

الهجري / الماشر الميلادي) الذين حللنا مؤلفاتهم .

(٢٤٦) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، اماكن متفرقة .

ونقصى اولا المعطيات المجردة عن الارقام والزمن مثلا . فعلى مستوى الارقام ، ينصبّ الجدل على الاربعة او السبعة (٢٤٧) . وعلى مستوى الزمن ، نتناول طول اعمار البشر في الماضي : فابن رسته يقول عن ايام العماليق (٢٤٨) : لقد كان في ذلك الزمان الاول تمضي اربع مائة سنة ، وما يسمع بجنازة « ، وخص المسعودي (٢٤٩) علل هذه الظاهرة بتحليل مستفيض . اما الايام ، فيتحدث المقدسي عن اعتقاد الفرس بعودة روح الاموات في الايام الخمسة الاخيرة من شهر فروردين (٢٥٠) ، ويقول المسعودي عن الايام النحسات انها يوم اربعاء يوافق اربعا من الشهر ، مثل اربع خاون ، واربع عشرة نخت ، واربع عشرة بقيت ، واربع وعشرين واربع بقين ، اي المحسوب من اول الشهر او من آخره (٢٥١) : وهنالك اصرار على تأثير الحجارة الكريمة : فالحيات والافاعي والثعابين اذا ابصرت الزمرد الخالص ، سالت احداقها (٢٥٢) ، والفيروز يشجع ويحيي الامل ، والياقوت يفرح (٢٥٣) . ويقول ابو دلف مسعر عن احدى مناطق فارس (٢٥٤) « عندما يشاهد النمل يكثر من تجميع الحب خلافاً لعادته ، يستنتج ان السنة القابلة جافة ومجدبة . على النقيض ، في حالة الامطار الدائمة

(٢٤٧) المسعودي (م) فقرة ١٣٥٩ - ١٣٦٠ ، المقدسي ، ١٦ - ١٩ ، آخر ٤١

(٢٤٨) ابن رسته ، ٩٠ .

(٢٤٩) المسعودي (م) ، فقرة ١٢٦٠ - ١٢٦٣ ، انظر أيضاً المقدسي ، ج ٣ ،

٣٧ .

(٢٥٠) المقدسي ، ج ٢ ، ١١١ (اشير اليه ، في الفصل ٤ ، «في التبعية الفارسية») .

(٢٥١) المسعودي (م) ، فقرة ١٣١٠ .

(٢٥٢) المسعودي (م) ، فقرة ٨٨٩ . انظر ما تقدم ، حاشية ٩٩ .

(٢٥٣) الثعاليبي ، ١١٦ .

(٢٥٤) مسعر (ب) ، ٣٥ .

التي يراد ايقاف اضرارها ، يسكب على النار حليب معز » . اما المسعودي فيسمي ثلاث مدن (حمص ، المعرة ، البصرة) لا يدخلها عقرب ولا حية ، ويذكر ان البق كان لا يدخل إلى انطاكية ، ثم صار يعم اكثر دورها (٢٥٥) . والاشق دابة انياها جيدة للمحبة ، يؤخذ انياها ومخالبيها ، وتجفف ، وتسقيه من تحب ، فانه يحبك حبا شديدا (٢٥٦) . ويقولون في مصر (٢٥٧) ، حسب المقدسي ، ان الجدي اول ما يولد يقول اخرجوا يا غرباء . وبالاسكندرية سمك مخطط من اكل منه ، رأى منامات وحشة ، الا ان يكون ممن يشرب الخمر ، فانه لا يضره . وبالفرا طير السماني ، من اكل منه زَمَنَ ، وتعقدت مفاصله . اخيرا في القسطنطين من واطب على اكل السمك ، جرب جربا لا يفارقه سبع سنين .

وتعد المياه شكل حياة جوهريا ، ويمكن ان تتميز بخصائص متضادة . ففي فسا ماء ، اذا شرب منه الانسان عناء كما يعنيه الداء . وهناك ماء من شرب منه مات ، واذا كانت بحلقه علقه ماتت في الوقت (٢٥٨) . وماذا نقول عن عيون في المغرب ، تخرج في اوقات الصلاة ، ثم تغور ، فان قصدها رجل كان قد قتل نفسا بغير حق ، لم يخرج له شيء (٢٥٩) .

(٢٥٥) المسعودي (م) ، فقرة ٨١٥ .

(٢٥٦) ابن الفقيه ، ٢٩٧ ومعجم الالفاظ ٥٢ .

(٢٥٧) المقدسي ، آخر ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢٥٨) المقدسي ، ١٤٦ ، ٣٩٧ ، ٤٤٤ .

(٢٥٩) المقدسي ، ٢٤١ .

وللأماكن قوتها ... فعندما تصل الأمطار إلى مكة . تعم سنة
 خصب جميع البلدان الواقعة من جهة من يرى الغيث قادما . ومن
 لا يعلم ان المدينة « العطرة » لا تجتذب اليها نفحة جميع الاراتج (٢٦٠)
 ويتفاوض اهل بخارى في الحديث عن غير خلاف ، ان من بركة
 قلعهم وقهندزهم انه ما اخرج منها جنازة وال قط ولا عقد فيه لواء
 ولا راية خرجت منه ، فهزمت ابدا (٢٦١) . ويتحدث المصريون
 عن لعنة الفراعنة في وصف هلاك نحو الفي عامل في الحفر عن دفائن
 ارضهم تحت انظار ديك من ذهب عيناه ياقوتتان ، يقوم بحراستها (٢٦٢)
 وباليمن جبل به شق ، يدخل منه الرجل الضمخ حتى ينفذ إلى
 الجانب الآخر ، ما خلا ولد الزنا ، فانه يضيق عليه حتى لا يقدر ان
 ينفذ منه (٢٦٣) . وفي فارس يبنىء جبل دنباوند اهل الارض في
 اتجاه بدء ذوبان ثلج القمة ، بالاضطرابات والدماء (٢٦٤) . وقرب
 نهاوند صخرة عظيمة ، من نام عندها يرى في النوم غائبه او آبقه وما
 سرق له (٢٦٥) . وبعض الاماكن محرمة. ففي طبرستان ، شبيه

(٢٦٠) الثعالبي ، ٩٣ - ٩٤ . انظر أيضاً البخاري ، ٥٩٩ - ٦٠٥ (مع بعض
 الأقوال المتناقضة عن سوء مناخ المدينة) .

(٢٦١) ابن حوقل ، آخر ٤٩٠ - ٤٩١ مع هذا الاستنتاج : وهذا من الاتفاق
 العجيب .

(٢٦٢) المسعودي (م) ، ٨٢٣ - ٨٢٤ (حفر فاجح ، المرجع ذاته ، فقرة
 ٨٢٥) .

(٢٦٣) ابن الفقيه ، آخر ٣٨ (يعثر على القصة ذاتها في منطقة عمان عند اسامة بن
 منقذ ، كتاب الاعتبار ، ترجمة ا . ميكيل ، كتاب الاعتبار ، باريس ، ١٩٨٣ ، ص
 ١١١) .

(٢٦٤) مسعر (ب) ، ٣٥ .

(٢٦٥) ابن الفقيه ، ٢٩٠ .

بدكان ، ان صار اليه انسان ، ولطخه بعذرة ، ارتفعت سحبات عجيبة ، ومطرت عليه حتى تغسله وتنظفه (٢٦٦) . وعلى الطريق ، من هراة إلى سجستان ، موضع ، شبه جبل صغير بين الرمل ، اذا القي عليه قدر او بول ، سمع منه صوت شديد ودوي هائل (٢٦٧) . اخيرا في خوزستان ، منزلان مهجوران لا يجرؤ انسان ان يمضي فيهما ليلة واحدة (٢٦٨) .

وقد تكلمنا من قبل عن ممارسات طبية ، يقترب بعضها احيانا من التخوم المبهمة للاوهام الشائعة ومثاما يمكن ان نتوقع ، قد تحتل حيز العناية الطبية باجمعه . ويذكر المقدسي (٢٦٩) ان بنواحي قاشان جبلا يرشح كرشح العرق ، ولا يسيل ، يجتمع اليه الناس بالاواني ، ويقرعه صاحب الآنية بفهر ، ويقول له اسقنا من مائك لعلك كذا وكذا . ويدعون ان كعب الارنب ، اذا شد بساق الملسوع لم يضره (٢٧٠) : والحتمل من المواضيع المفضاة ففي احدى كنائس مصر ذخيرة ، اذا حملتها المرأة بحجرها ، عرفت انها حامل ام لا (٢٧١) ، وتجعل خرزة في حقو المرأة لكي لا تحبل (٢٧٢) ، وعلى شفير حمة قرب منبج صورة رجل من حجر اسود ترعم النساء ان كل من لا تلد ، تحك فرجها بانف الصورة ، فيولد لها (٢٧٣) .

(٢٦٦) ابن الفقيه ، ٣١٠ .

(٢٦٧) ابن رسته ، ١٧٤ .

(٢٦٨) اليعقوبي ، ترجمة ، ٢٢٨ .

(٢٦٩) المقدسي ، آخر ٢٩٦ - ٣٩٧ .

(٢٧٠) ابن الفقيه ، ٧٦ .

(٢٧١) انظر ما تقدم ، فصل ٥ ، «مغرب رزين ، ومصر جليلة» ، آخرها .

(٢٧٢) ابن الفقيه ، ٧٦ .

(٢٧٣) ابن الفقيه ، ١١٧ .

وهكذا نقرب من الطلسمات . فبعضها يشفي مثل سمكة حمص التي تديرها الرياح ، و ابو رياح حمص للعقارب (٢٧٤) . وبعضها يحمي بالمعنى الواسع : ففني بعض المواضع من جزيرة العرب ، لا تضر الافاعي (٢٧٥) ، وفي جكذه . احدى قرى فارس ، الحيات كثيرة ومطلسة ، لا تؤذي حتى ان الصبيان يلعبون بها ولا تضرهم ، وفي قرية اخرى منها ، يقال لها اباذ ، لا يعرض فيها الثعالب ، للدجاج (٢٧٦) . ولا يدخل البق إلى انطاكية ، كما رأنا (٢٧٧) ، بفعل حق من نحاس في داخله بق مصور من نحاس ، موضوع في اعلى عمود . وسور اصبهان مطاسم من الفأر ، فانهضت به الحيات ايضا . لأنه لم يعد لها اجحار تأوي اليها (٢٧٨) . ولا تضر التماسيح في كورة القسطنطين بسبب طلسمي منارتي عين شمس او مسالتيها (٢٧٩) . اخيرا ، بنيت منارة الاسكندرية طلسماً لئلا يغلب ماء البحر على ارض مصر (٢٨٠) :

ولا تكون الطلسمات الا بمصر والشام وفارس (٢٨١) ، ويقال انها من عمل الانبياء ، على حد قول المقدسي ولا منازعة في ان ابن

-
- (٢٧٤) المقدسي ، ١٥٦ ، ١٨٦ (و ح ي ب : طلسم في بيت المقدس له صلة بما قيل عن الممارسات الطبية عن النادرة الموضوعة عن هذا البلد) .
 (٢٧٥) الهمداني ، ٢٠١ .
 (٢٧٦) ابن رسته ، ١٥٩ .
 (٢٧٧) المسعودي (م) ، فقرة ٨١٥ ذكر من قبل .
 (٢٧٨) ابن رسته ، ١٦١ .
 (٢٧٩) المقدسي ، آخر ٢١٠ - ٢١١ .
 (٢٨٠) المقدسي ، ٢١١ .
 (٢٨١) المقدسي ، آخر ٢١١ . تصحيح بمعطيات ابن الفقيه (انظر ما يلي) الذي ينسب عددا منها الى الجبال .

الفقيه، خصبها باوسع حيز (٢٨٢) من مؤلفه ، دون سائر الجغرافيين :
 والطلسمات مجهولة الفاعل او تنسب في اغلب الاحيان إلى المعلم
 بليناس (ابولونيوس التيانى) (٢٨٣) : ولا يعرف احد شكلها ولا
 مادتها فهي نصب او بيت ، او صور بشر او حيوانات ، كالأسد
 والسمك والثور ، وتمثال الحصان ، وثلج او عشب ، وهي تخفي
 مناجم الذهب والفضة ، وتؤمن النصر ، وتحمي من الريح والبرد
 والثلج ، والعقارب والاسود والحيات ، والبراغيث ، والذباب
 والزناير ، والحميات او الآفات ، والشقاق ، وضعف الدولة ،
 والغرق ، والقيح والملح اللذين يلوثان الماء ، وغمر الارض او على
 النقيض ، نضوب العيون ، وجفاف العشب ، والارض الاسفنجية
 التي تبتلع البشر والدواب ... فالطلسمات متنوعة الطبيعة والوظيفة ،
 نشوءها قديم وراسخ ، لذلك تقضي ، كما قلنا ، ببقاء معتقدات
 عتيقة ، لم ينجح الاسلام حتى ذلك التاريخ في استئصالها من عقول
 الشعوب .

الأمثال

نشأ ادب شعبي ، بالمعنى الصحيح ، والله اعلم ، من الادب

(٢٨٢) والمسعودي أيضاً في كتابه المفقود أخبار الزمان : المسعودي (م) ، فقرة
 ١٤٢٢ . التدوينات التالية مأخوذة من ابن الفقيه ، ٢١٢ - ٢١٤ ، ٢٤٠ - ٢٤١ ،
 ٢٤٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ، ٢٩٢ ، ٣١٩ ، يلاحظ ذكر
 الطلسمات الضارة عندما اراد ابولونيوس (باليناس) ان يبطش عندما استهان أهل ارونده به :
 به : ابن الفقيه ، آخر ٢٤٠ - ٢٤١ ، ٢٦٦ ٢٧٤ .

(٢٨٣) ذكر اشخاص اتخذوا الطلسمات بصورة عابرة ابن الفقيه ، ابن الفقيه ،
 ٢٩٦ .

العربي الكلاسيكي (٢٨٤) ، وجاء ضعيفاً ، ومثل هذا النشوء حجة إضافية دفعتنا إلى جمع شذراته من الكتب ، بطلانها الابداعية المغفلة ، وإلى تحية المؤلفين الذين تقامناها عنهم . ومنهم ابن الفقيه الذي روى بعد كثيرين سواه عن مدسة همدان ان « نهارها رقاص » ، واما ليلهم فحمائل . يعني انهم يرقصون بالنهار ليخصر اطرافهم ، وبالليل يتدثرون ويحمون الثياب (٢٨٥) . مع ذلك ، يعدُّ المقدسي الوحيد الذي يستحق تقديرنا ، والوحيد ، فيما يبدو الذي شغف بسر الامثال ، كلما سنحت له الفرصة . ونحن نستعرضها الآن فيما يلي تكرّماً له .

— فعن اهل طبرية (٢٨٦) « يقال شهرين يرقصون ، وشهرين يقيمون ، (٢٨٧) وشهرين يثاقفون ، وشهرين عراة ، وشهرين يزمرون ، وشهرين يخوضون يعني يرقصون من كثرة البراغيث . ويلوكون النبق (٢٨٨) . ويطردون الزنابير عن اللحم والفواكه بالمذب ، وعراة من شدة الحر : ويعصون قصب السكر ، ويخوضون الوحل » .

— « ومن امثال اقليم الشام عن البرد (٢٨٩) قيل للبرد اين نطلبك ؟ قال بالبقاء (٢٩٠) : قال قال لم نجدك ؟ قال : بعلمك بيتي » .

(٢٨٤) غالباً ما استشهدنا بألف ليلة وليلة ذاتها التي لا يجوز ان توصف بالشعبية ، في بعض اجزائها في الحد الأدنى ، باعتبار المعنى والمبنى معاً لأن الناسخ عدل انشأها . بالتالي لا بد من الترحيب بعمل ج . بوهاس و ب . غليوم : فقد باسرا تنفيذ مشروع نشر سيرة بيبس حسب نص القصصين الشاميين الذين حفظوها لنا بصيغتها الشعبية الحقيقية . (٢٨٥) ابن الفقيه : ٢٣٠ .

(٢٨٦) المقدسي : ١٦١ (مكرر في نبذة ياقوت : معجم البلدان ، عن طبرية .

(٢٨٧) قمقم : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٣٣ .

(٢٨٨) النبق : انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٤٢ ، ح ٤ .

(٢٨٩) المقدسي : ١٧٩ (يمكن ان نقرأ برد بفتح الراء عوضاً عن برد) .

(٢٩٠) منطقة عمان .

- ومن امثال الناس عن مناخ فلسطين : « اذا جاء عيد بربرة ، فليخذ البناء زماره » يعني « فليجلس في البيت في فصل الشتاء (٢٩١) .
« .. ومن امثالهم اذا جاء القلندس ، فتدفأ واحتبس » (٢٩٢) .
- ولديس شمويل ، وهي قرية قريبة من ايليا ، هذا الوصف القصير (٢٩٣) : « قريبة من السما ، بعيدة من الوطا ، قليلة الابروط ، كثيرة البلوط ، تحتاج إلى الكد ، ولا تزكي بالرد ، يغالب غرّ ولوز مرّ . ازرع قبيّا وخذ قبيّا ، الا ان الذي نذرت كان انبل جببّا » .
- ومن امثالهم عن اهل القلزم ، في موقع حرمة الطبيعة ، قرب السويس : « ميرة اهل القلزم من بلبيس ، وشربهم من سويس » (٢٩٤)
- وعن اهل مصر يقول اهل الشام (٢٩٥) : « مطر اهل مصر الندى ، وطيرهم الحدا ، وكلامهم يا سيدي ، رخو مثل النسا » .
- وعن التماسيح الخطرة جدا بجوار سردوس على النيل ، من امثالهم : « (٢٩٦) : « احذر سردوس ، ولو كان الماء في قادوس » (٢٩٧) :

-
- (٢٩١) المقدسي : آخر ١٨٢ . بشأن عيد البربرة ، انظر ما تقدم ح ٢٣٧ .
(٢٩٢) المقدسي : آخر ١٨٢ - ١٨٣ .
(٢٩٣) المقدسي : ١٨٨ (وترجمة ٢٣٦ ، ح ١٠٥ - ١٠٧ من أجل شرح بعض المقاطع) .
(٢٩٤) المقدسي : ١٩٦
(٢٩٥) المقدسي : آخر ٢٠٥ - ٢٠٦ .
(٢٩٦) المقدسي : ٢٠٨ .
(٢٩٧) والقادوس كوز معلق بدولاب ناعورة : اظرم ج ع ، ج ٤ ، ٣٢١ ، ودوزي ج ٢ ، ٣١٤ . اعطى المقدسي نفسه هذا الشرح ، المرجع ذاته) .

— وقد قالت الحكماء عن أهمية قبا في فرغانة (٢٩٨) : « فرغانة قبا ، وما سواها حشيش وما » .

هذا ما يخص المقدسي . وننهي بمقطع شعبي لكاتب آخر ، هو المسعودي يجب فيه القمر عن اسئلة تطرح عليه حول طلوعه وزيادة ضوءه وتناقصه (٢٩٩) .

قيل للقمر : ما انت ابن ليلة — قال : رضاع سخيلة ، حلّ اهلها برميلة . قيل لليلتين ؟ — قال : حديث امتين ، ذواتي افك ومين : قيل فما انت لثلاث ؟ — قال : حديث فتيات ، يجتمعن من شتات : قيل : فما انت لاربع ؟ — قال غنمة رتع ، غير جائع ولا مرضع : قيل : فما انت لخمس ؟ قال حديث لثمان انس . قيل : فما انت لست ؟ — قال سر وبت . قيل : فما انت لسبع ؟ قال تصفر في الشفع . قيل : فما انت لثمان ؟ — قال : قمر اصبحان ، وقيل رغيف اقتسمه اخوان . قيل : فما انت لتسع ؟ قال : تلتقط في الجوع : قيل : فما انت لعاشر ؟ — قال : محق الفجر (٣٠٠) . قيل : فما انت لاحدى عشرة ؟ — قال : ارى مساءً وبكرة . قيل : فما انت لاثنتي عشرة ؟ — قال : موفق للسير في البلدو والحضر . قيل : فما انت لثلاث عشرة ؟ — قال : قمر باهر ، يعشي عين

(٢٩٨) المقدسي : ٢٧٢ .

(٢٩٩) المسعودي (م) : فقرة ١٣١٥ . لضرورات السجع عدلت القافية بالفرنسية (عمته ليشمل الحالات النادرة غير الموجود فيها بالعربية) ، وعدلت ترجمة ش . بيللا التي احيل اليها من أجل التأويل الحرفي الدقيق (الأكمل ، نظرا للتباينات التي احتفظت بها احيانا أو اخترت بينها) .

(٣٠٠) انظر النص العربي ، حاشية ٨ .

الناظر . قيل : فما انت لاربع عشرة ؟ قال : مقتبل الشباب ،
اضيء بين السحاب . قيل : فما انت لخمس عشرة ؟ - قال : تم
التمام ، ونفذت الايام : قيل : فما انت لست عشرة ؟ - قال :
ناقص الخلق في الغرب والشرق . قيل فما انت لسبع عشرة ؟ -
قال : ركب الفقير الفقر . قيل : فما انت لثمان عشرة ؟ - قال :
البقاء ، سريع الفناء . قيل : فما انت لتسع عشرة ؟ - قال : بطيء
الطلوع من الخشوع : قيل : فما انت لعشرين ؟ - قال : اطلع
سحرة ، وارى بكرة : قيل : فما انت لاحدى وعشرين ؟ - قال :
لا اطليل السرى الا ريثما ارى : قيل : فما انت لاثنتين وعشرين ؟ -
قال : مسفع خطب ، وليث حرب : قيل : فما انت لثلاث وعشرين ؟
- قال : كالكبس ، اطلع في الغلس : قيل : فما انت لاربع وعشرين ؟
- قال : اطلع في قسمة ، ولا اجلي ظلمة . قيل : فما انت لخمس
وعشرين ؟ - قال : انا في تلك الليالي ، لا قمر ولا هلال : قيل :
فما انت لست وعشرين ؟ - قال : دنا الاجل ، وانقطع الامل :
قيل : فما انت لسبع وعشرين ؟ - قال : دنا ما دنا ، فليس في
من سنا : قيل : فما انت لثمان وعشرين ؟ - قال : اطلع بكرا ،
ولا ارى ظهرا . قيل : فما انت لتسع وعشرين ؟ - قال : اسبق
شعاع الشمس ، ولا اطليل المجلس : قيل : فما انت لثلاثين ؟ -
قال : هلال مستقبل سريع الافل .

* * *

الفصل الثالث عشر

الإنسان المبدع

لقد فتحنا اضية الاختراعات والتقنيات من قبل^(١)، في هذا الكتاب ذاته وفي الكتاب (١) السابق ، في الاعمال المائية او الملاحه او في احد افضل انشطة المدن ، اعني الحياكة : وينبغي علينا الآن ان نكمل هذه المعطيات عند اللزوم ، او نجمع غيرها . وسوف ننجز ما هو جوهري منها في ثلاثة عناوين كبرى باوسع معانيها ، اي الزراعة والبناء والعمل الحرفي .

الارض والماء

لا يتصلر وصف الفلاح كتابنا ولا سائر الادب العربي الكلاسيكي ولا نلصحه الا بين الفينة والفينة ، او يتوارى عنا ، كما يخيل لنا ، محتجبا وراء الحديث عن قراه او عن محاصيل ارضه ، او مشهد حقوله . باختصار ، يسمح لنا عمل هذه الكتل البشرية ان نتصورها

(١) من أجل التقنيات المستعملة عند الأقوام الغريبة ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٢ ، الفهرس .

رغم شح السماء والارض ، مكبّةً بحماس على كسب قوتها من المناطق الجافة ، او موفقة في ادامة التقاليد المستقرة في اودية الغداء الكبرى : وادي النيل ، او بلاد ما بين النهرين ، او ما وراء النهر : عندئذ يمر امام ناظرنا تنوع الحقول وكثرة الحضرة ، ومشهد الارياف المذهل في دار الاسلام (٢) ، وفي الحد الاقصى ، رؤية فردوسية عندما يتوخى العمل المنجز على الارض والماء والاشجار ذاتها ، اقرار العين به ، ويؤول إلى هذه المعجزة ، التي قد تعد نادرة ، لكنها استحققت ثناء ابن حوقل ، واعتبرها بستان متعة مثل جنان سمرقند (٣) .

لكن كم بذلت جهود قبل وصول الطبيعة إلى هذا الوضع ؟ فالارض تختلف من مكان إلى آخر ، منها الجيدة ومنها الرديئة ، بل العدو ، اعني الرمل وتهديده الدائم بطم عمل البشر . عندئذ ، اذا عجز الناس عن التغلب عليه، يحتالون عليه مثلما فعل اهل سيجستان الماهرون في مكافحته ، ويستعينون بالرياح ، فيجعلون زربا وسياجا كالحائط من خشب وشوك حول الرمل الذي يريدون نقله ، ويفتحون في اسفله بابا من تلقاء الرياح ، فتدخله الرياح ، وتطير بالرمل إلى حيث آثروا نقله بعيدا عن المزارع (٤) في جميع الاحوال :

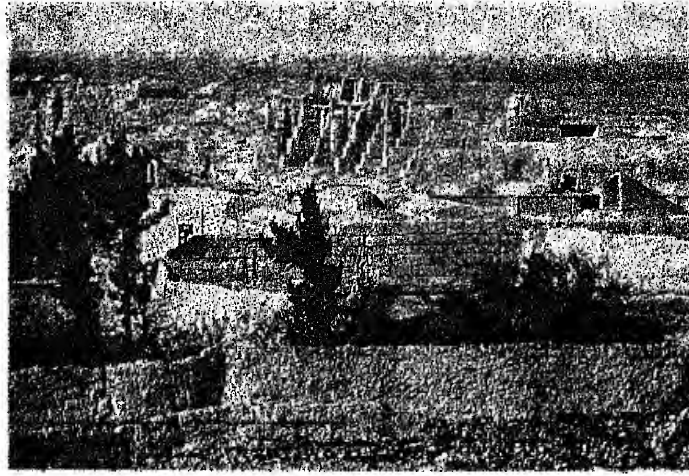
وهناك موضوع بحث آخر ، يتصف بالهدوء ، لكن يعوز الاستمرار والكمال ، نعني موضوع الارض والماء . فبلدان الانهار والسواقي

(٢) من أجل ذكرها ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٨٧ ، وما يليها .

(٣) ابن حوقل ، ٤٩٢ ، مترجم في جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١٥١٠ - ١٥٢ .

(٤) ابن حوقل ، آخر ٤١٥ - ٤١٦ .

والاقلنية القريبة ، سعيدة ، ترتفع في سحر الجريان المتواصل الامين
وصوت النواير (٥) : ومباركة ايضا الحقول المسقية من الآبار ،
ومن المياه المستقاة دلوا دلوا ، او ، بسهولة ، بآلة رافعة ، تحركها
الرياح (٦) ، او الابل او الابقار بخطاها المتثددة : اخيرا لا تستقر



(تصوير " رولان وسبرينه ميشو رافو)

طاحونة هواء قديمة ، خرجد (خراسان)

(٥) احيل اجمالا الى ما قيل بهذا الشأن في الفصل ٢ ، جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ .
انظر من بين الاحالات ١٥٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ابن حوقل ، ٩١ ، ٢٢٠ ، ٢٣٦ -
٢٣٧ ، ٢٤٢ - ٢٤٤ ، آخر ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٣٦٢ ، آخر ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ،
٤٣٨ ، آخر ٤٧٨ - ٤٨٠ ، ٤٨٤ - ٤٨٧ ، ٤٩٥ - ٤٩٧ ، ٤٩٩ ، المقدسي
آخر ١٦١ - ١٦٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٣٣٠ - ٣٣١ ، ٣٥٧ (عن طرجهاره ، انظر
م ج ع ، ج ٤ ، ٢٨٧ - ٢٨٨) ، ٤٠٢ ، ٤١١ ، ٤٤٤ ، ٤٦٢ ، ٤٨٣ .
(٦) انظر اليمتوبي ، ٣١٣ ، ابن رسته ، ١١٢ ، المسمودي (م) ، فقرة ٣٠٨ -

اوضاع الزروع ، اذا عقدت الآمال على مطر السماء ، ان شاءت
السماء ان تستجيب لها (٧) :

بعد هذه المقدمات ، يجب العمل في الارض ، والافادة من طمي
الثلج - وهذه حالة شهيرة - ومن طمي نهر تاجه في سنتريم او نهر
موندغو في كويمبره (٨) . يلي دمل الارض على طريقة النبي داود (٩)
فيما يقال ، وهذا ما يحصل في اغلب الاحيان ، باستعمال جميع
انواع الاقدار ، بدءاً بالبلاذات الجافة على حد قول الجاحظ (١٠) .
اخيراً ، ينتفع بالبقر للحرث ، وبالحمير للحمل (١١) . وفي رسائقي
اردبيل ، في اذربيجان ، يحرثون بثمانية ثيران واربعة سواقي ، لكل
ثورين سائق ، لا لصعوبة الارض ، حسب المقدمي ، بل من اجل
الثلوج ، فلعلهم يريدونها ان تتغلغل في الارض ، وتشكل مصدر
رطوبة في المستقبل (١٢) .

٣٠٩ (تقنيات القنن : ترجم في ج ١ ، ج ٢ ، ١٣٩ - ١٤٠) ، ابن حوقل ،
٢٢٢ ، المقدسي ، ٢٣٣ (عن سانية جمعها سواني ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٦٥) ،
٤٢٩ .

(٧) انظر ابن رسته ، ١١٠ ، ١١٢ ، ابن حوقل ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ،
٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٤٩٩ ، ٥٠٣ ، المقدسي ، ٣٠٨ ، ٣١٩ (وح ج) ، ٤١٤ ،
٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٤ . عن المباحث وبعث ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩١ ، ١٨٥ ،
ودوزي ، ج ١ ، ٥٥ ، ١٠٠ .

(٨) الرازي ، ٨٨ - ٨٩ ، ٩٨ (ريو بربات) .

(٩) ابن رسته ، ١٩٨ .

(١٠) الجاحظ (١) ، ورقة ٢٩ - ٣٠ ، المقدسي ، ٢٨٨ .

(١١) الهمداني ، ١٩٤ .

(١٢) المقدسي ، ٣٨١ .

وهناك علامات اخرى ، يستدل بها على تصميم الفلاح على الحصول على انتاج افضل من الارض . تشهد على ذلك كلمات ابن حوقل عن بعض رسائيق اذربيجان : « التامة العمارة بالسكراب والفلاحين » (١٣) وقول ابن رسته الذي تذهله خيرات اليمن : تدرك عندهم الحنطة دفعتين ، والشعير والارز ثلاث دفعات واربعاً (١٤) ويتحدث الرازي عن منطقة تاجه الاسفل وعن غنى لحقياتها ، ويذكر ان الحصاد يتم سبعة اسابيع بعد البذر فقط (١٥) . اخيراً في سجلماسة ، في المغرب الاقصى الجنوبي ، ينضج الزرع بالري نضارة عالية جداً : فربما زرعوا سنة عن بذر، وحصدوا مراع من زرعه، وتواترت السنوات بالمياه ، فكلما اغدقت تلك الارض سنة في عقب اخرى ، حصدوه إلى سبع سنين (١٦) .

ويلاحظ وجود تلميحات إلى التقويم عامة ، هنا وهناك ، وإلى تقويم قرطبة الذي احيل اليه ، او تقويم النيل ، الذي حفظه لنا المسعودي وابن حوقل والمقدسي (١٧) : فاذا انحسر ماء النيل في شهر بابه (تشرين الاول) ، وقعت باكورة البنود بالاقراط والكتان والحبوب ، والقرط الرطبة . و بهاتور (تشرين الثاني) يبتدأ بالحرث ، ويحصد الارز ، ويكون الزرع البذري في اكثر نواحيهم . وبهيهك (كانون

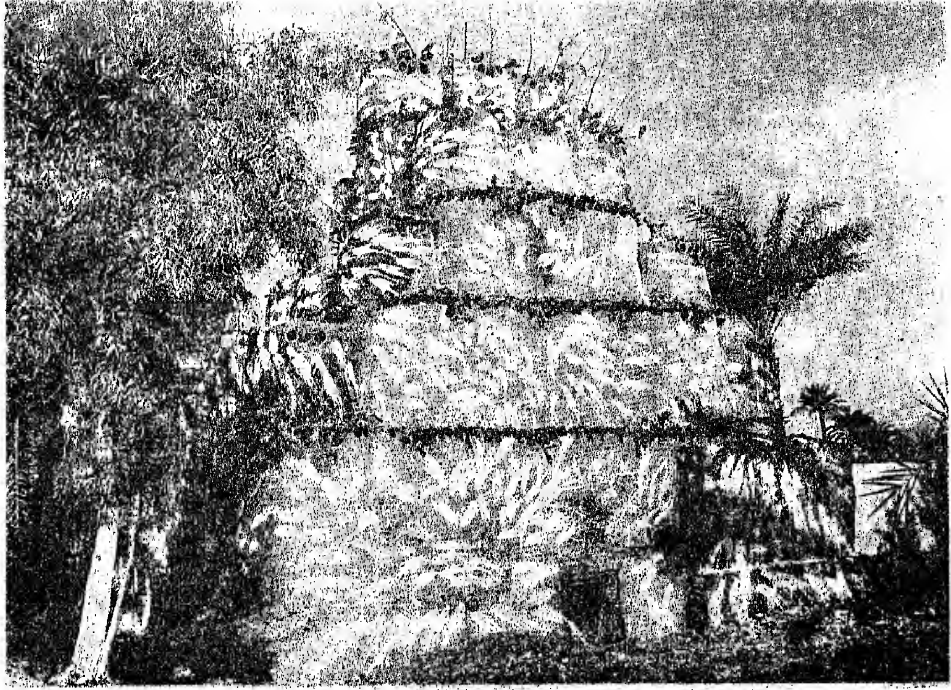
(١٣) ابن حوقل ، آخر ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(١٤) ابن رسته ، ١٠٩ ، اسحاق ، ٤٣٤ . يتحدث ابن رسته عن ثمارهم وعنبهم الذي يدرك في السنة دفعتين دون ان يحدد الثمار المقصودة .

(١٥) الرازي ، ٨٨ - ٨٩ ، يشير الى محصولين سنويين في بعض الأماكن .

(١٦) ابن حوقل ، ٩١ .

(١٧) ذكر في جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١٨١ وما يليها .



(تصوير ش. بستين و ج. افراارد ، بروكسيل)
برج حمام مبني من طين مضغوط بواحة الفيوم ، مصر

الاول يزرع من اوله إلى آخره الزروع المتأخرة ، ولا يزرع بعده في شيء من ارض مصر غير السمسسم والمقائي والعطب . وبرمهات (اذار) يزرع قصب السكر وما يشبهه . وبرموده (نيسان) يحصد بذري الزرع . وبابيب (تموز) ، اصل زيادة ماء الليل ويكون ضعيفا ، وفيه يزرع الارز في الفيوم ، ويحصد في هاتور وهيئك . اما الكتان ، فيسل في توت (ايلول) ، ويدق في بابه (تشرين الاول) في الوقت ذاته الذي يندر فيه كتان السنة القابلة (١٨) . اما في اليمن فيذكر الهمداني ان الجربة تحرث بايلول ، ثم تحرث في تشرين الاول كرة اخرى ، ثم في تشرين الآخر كرة ثالثة ، ثم تبذر في كانون الاول ، ويقم الزرع فيها إلى ايار ، ويضرب (١٩) .

ونذكر بعض الامور النادرة التي تذكر عرضا : منها الحميرية التي تخرج من البحر الميت ، ويطل به المناجل ، ويكسح بها الكروم ، ليؤمن من اللدود عليها وغيرها من العلاجات (٢٠) . وفي فلسطين يقال ايضا ان اهل مدينة زغر يلحقون كرومهم وكروم فلسطين كما تلقح النخل بالطلع الذكر ، وكما يلحق اهل المغرب تينهم بذكاهم (٢١) ويسترعي انتباه ابن حوقل في تربية حيوانات بلخ واعمالها ، النوق المتقدمة على سائر ما في جنسها ، وخلوص نتائجها والبخاتي التي بها تختار (٢٢) ، في حين يتحدث المقدسي عن كثرة ابراج الحمام في

(١٨) أخذت هذه المعلومات من ابن حوقل ، ١٣٦ - ١٣٧ ، على وجه التدقيق . عن القطن ، انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٣٢ (و ح ٢) .

(١٩) الهمداني ، ١٩٩ .

(٢٠) المسعودي (ت) ، ١٠٨ .

(٢١) ابن حوقل ، آخر ١٨٤ .

(٢٢) ابن حوقل ، آخر ٤٥٠ .

الجزيرة (٢٣) . اخيرا ، اشير إلى ملاحظات الهمداني عن اليمن بشأن
خزن الحبوب لحفظها: فقد رأى في جبل مسور بُسراً اتى عليه ثلاثون
سنة ، لم يَحْتَز ، ولم يتغير . فاما الذرة فانها لا تكون الا في بلد حار
ولا تختزن في البيوت لحال ما يسرع اليها من الفساد ، ولكن يحفر
لها في الارض ، وتدفن في مدافن ، ويسد عليها حتى ربما نبت على
السداد الشجر العري ، وتقيم العمر ولا تنخفش ، ولكن تغير رايحتها
وطعمها (٢٤) .

ويتم وصول الحبوب إلى الطواحين اقصى امتداد النشاط الزراعي .
ولا بد من الاعتقاد ان سحر الرحي والدولاب ، رمزي الحياة ،
الدائرين بهدوء واطمئنان ، قد اثرا في الجغرافيين العرب وفينا ايضا .
في جميع الاحوال ، تكثر التدوينات بشأنهما عند ابن حوقل والمقدسي .
وتذكر اولاً الطواحين او الدواميس او الارحية باختصار ، دون اي
ايضاح اضافي . ونجدها في اذربيجان ، وفي مصر في بلبس - ثلاث
مائة وستون طاحونة - وفي متيجة ، وفي الاندلس ، وفي فاس وبالرمو ،
والجزيرة وخراسان وفارس وخوزستان (٢٥) . وتدير الدواب
الارحية احيانا (سرخس ، خراسان) ، وتدار الطواحين بالحمال (٢٦)
في خوناوب في خوزستان . وادارة الطواحين بالرياح اقل شيوعا ،

(٢٣) المقدسي ، ١٣٩ .

(٢٤) الهمداني ، ١٠٨ .

(٢٥) ابن حوقل ، ٣٤٣ ، ٢١٤ ، المقدسي ، ١٦١ ، ١٧٤ (روح ب) ، ١٩٥ (روح يا) ،
٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٣١٢ ، ٣٢٩ ، ٤٠٢ ، ٤٥٠ (ح ب)
عن داموس ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٧ .

(٢٦) الرازي ، ٦٥ ، ٧٦ ، ابن حوقل ، ٤٤٥ ، المقدسي ، آخر ٤٦٢ .

لكنها مثيرة للاعجاب . فبلاد سجستان بلاد الرياح على حد قول
المسعودي ، وهو البلد الموصوف بان الرياح به تدبر الارحية وتسقي
الماء من الآبار (٢٧) . ويقول ابن حوقل ان رياح سجستان تشتد
وتدوم حتى انهم نصبوا عليها ارحية لطحن قموحهم يديرونها
بها (٢٨) . ويعتبر المقدسي طواحين الرياح بسجستان من العجائب (٢٩)
وطواحين الماء كلاسيكية واوسع انتشارا إلى ما لا نهاية له ،
ويشار اليها بلا اوصاف اضافية في طول دار الاسلام وعرضها (٣٠) .
وقد تقام الطاحونة على عين (٣١) او بئر (٣٢) او تيار المد والجزر (٣٣)
وقد تكون تحت الارض هي والقناة التي تمدّها بالماء المحرك لها (٣٤)،
او تطفو كما في خوزستان او نغليس او على دجلة ، الا انها تمثل
مشهدا خاصا في الموصل ، وتذهل ابن حوقل : فهي تعرف بالعروب ،
في كل عربة منها اربعة احجار ، وهي من الخشب والحديد ، قائمة

(٢٧) المسعودي (م) ، فقرة ٥١٠ .

(٢٨) ابن حوقل ، آخر ٤١٥ .

(٢٩) المقدسي ، ٣٣٣ (روح ز) .

(٣٠) ابن حوقل ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٢٢ ، ٣١١ (فيه ما هو بالتقدير يدير ٥٠ رحي
يجيرفت في كرمان) ٣٦٣ ، ٣٤٩ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤٤٨ ، ٤٨٣ ، آخر ٤٨٤ ، ٥٠٤ ، المقدسي ،
المقدسي ، ١٧٥ ، ٣٥٩ ، ٤٠٧ ، ٤٤٤ ، آخر ٤٦٥ ، ٤٦٦ (٢٠ طاحونة في
في جيرفت : انظر ما تقدم) .

(٣١) الرازي ، ٨٣ .

(٣٢) المقدسي ، ٤٤٥ (بئر لا يقف لها على قعر ، يغور منها ماء يدير رحي) .

(٣٣) المقدسي ، ١٢٥ .

(٣٤) ابن رسته . ١٧٠ ، المقدسي ، ٣٥٧ .

في وسط الماء ، وموثقة بالسلاسل الحديد ، وتشكل مشاريع كبيرة
لأن كل حجرين يطحنان في اليوم واللييلة خمسين وقرا (٣٥) .

بناء الدور

ايتحتم على الناس بناء الدور ؟ الجواب بديهي في رأينا ، لكنه
ليس كذلك في عرف ابن الفقيه وما يمثله من ادب تمثيلا جيدا جدا .
وسواء اعتبر الجدل اكايميا او زعم انه يديم اتخاذ الاسلام الفقي
احتياطات ، ان لم يكن ضد الحاجة إلى التعمير ، ففني الحد الأدنى
ضد الهوى او البذخ الذي يمكن ان يتخلل عملية القيام به ، فان ابن
الفقيه يخص هذه القضية الشائكة بحوالي عشر صفحات تتضمن فيما
يبدو كل ما يمكن قوله (٣٦) .

فمن جهة اولى يتصف البنيان بالعالمية . وتتخذ العالمية مدلولين ،
فتشمل كافة الارض وتاريخها اجمع ، بتأييد الثقافات المحتج ٣٣ من
اليونان وفارس وبعض اساطين الاسلام . والبنيان عالمي ايضا بمعنى ان
الدار ، على غرار بانيها ، في جميع الدنيا ، ولا يد لها ان تأخذ بعين
الاعتبار الموقع على الكرة الارضية ، والمناخ ، والتوجيه ، وحتى
كواكب الفلك . وجملة القول ان « دار الرجل دنيا » . من جهة
ثانية ، يعتمد البعض على آيات قرآنية واحاديث نبوية واقوال صحابة ،
فينددون بترف القصور ، ويسترشدون بقول ابي ذر لمعاوية عن قصر

(٣٥) ابن حوقل ، ٢١٩ - ٢٢٠ ، ٣٤٠ ، المقدسي ، ٤٠٨ ، اشرنا من قبل الى
طواطين الموصل : جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، آخر ٢٠٩ . عن العروب ، جمع عربية ،
انظر م ج ع ، ج ٤ ، آخر ٢٩٧ - ٢٩٨ ، كان منها في بغداد أيضاً : ابن حوقل . ٢٢٠
(٣٦) ابن الفقيه ، ١٥١ - ١٦١ .

الخضرء : ان كنت بنيت من مال الله فانت من الخائنين ، وان كنت بنيت من مالك ، فانت من المسرفين . وفوق ذلك كله ، يرد التأسي الدائم على زوال الاشياء ، حتى ان الحجر نفسه يلقي مصيرا مماثلا .

مع ذلك ، يميل الميزان لصالح البناة ، اذا كان لا بد من حسم الموضوع . ويتم الامر بذكر روائع البنيان ، مثل افخم الجوامع ، وابدع الكنائس ، واجمل القناطر ، وابنية مصر والشام والعراق او فارس ، وهيكل بيت المقدس (٣٧) ، والاحتياطات المتخذة في اثناء البناء وفي طليعتها الطلسمات (٣٨) ، والثقات المعتمد عليها ، مسلمة وغير مسلمة (٣٩) . وليس انتصار المؤسسين نظريا فقط ، فهو يؤدي في واقع الحال ، إلى استمرار الاهتمام بعجائب البناء القائم ، والجوامع الكبرى في دار الاسلام ، وابنية المدن ، واسوارها ، وحماماتها ، وقصورها . ويتبع الجغرافيون الميدانيون في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، هذا التقليد في اصغر آثاره ، ويريدون ببساطة ان يسجلوا كل ما يشاهدونه هنا وهناك ، فيفتحون صفحة جديدة ، يعنونونها البناء ، ويصفون فيها ليس فقط اعظم ما شيد ، بل اول ما بني واصغره . وعلى هذا الاساس ، نحصل منهم ، ان لم يكن على خريطة كاملة ومكملة للابنية ففي الحد الأدنى على عناصر هامة جدا في لوحة البناء في بلدان دار الاسلام حوالي العام الف .

(٣٧) ابن الفقيه ، آخر ٥٠ - ٥١ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٩٨ وما يليها ، ١٠٦ ، ١٠٨ - ١٠٩ ، ١٣٤ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٧ ، ابن رسته ، ٣٦ ، ٦٤ وما يليها .

(٣٨) ابن الفقيه ، ٢١٢ - ٢١٣ .

(٣٩) ابن الفقيه ، ١٠٨ - ١٠٩ ، ١٨١ - ١٨٣ ، ابن رسته ، ١٩٦ .

طريقة البناء

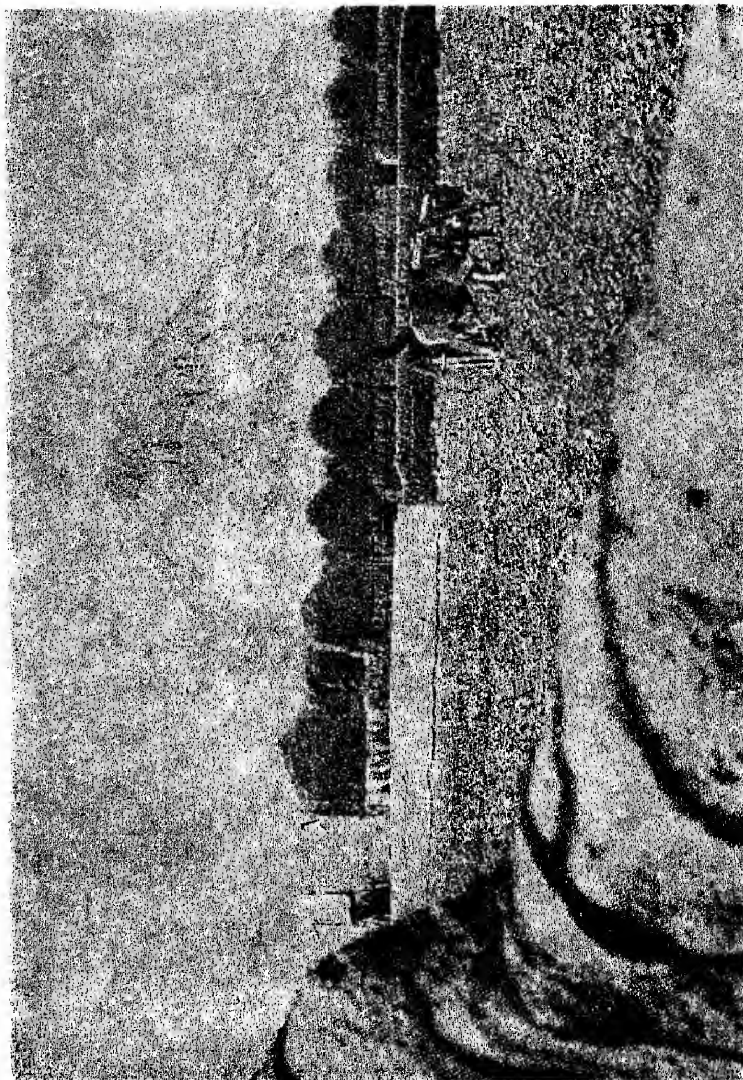
تستظم الصورة العامة لطريقة البناء حول اربع مواد اساسية :-
يختلف استعمال كل منها من منطقة إلى أخرى ، وحسب الابنية من
دور وقصور ، وهي الحجارة ، والطوب ، واللين والآجر (٤٠) .
ونتحدث عنها بدءاً من المغرب . ففي المغرب ، تستخدم المواد الاربع ،
لكن يقل البناء بالطين ، ويكثر البناء بالحجارة الخشنة او المكسية في
ساحل تونس وفي صقلية والاندلس (٤١) . وتعد مصر ، اذا حكم
عليها على اساس مثال الفسطاط ، بلد البنين بالطوب ، يليه البنين
بالآجر واللين الاسود ، الا ان الحجارة تحتل مكانة مرموقة في اسوار
دمياط ودور الإسكندرية المبنية بحجارة بحرية ، معدن الرخام (٤٢) .
ويغلب البناء بالطين في جزيرة العرب ، يليه الآجر (٤٣) ، في
حين يبدو ان الشام لا يتفوق فيها الطين او الآجر ، بل الحجارة
المنحوتة ، او النحام او الحجر الرملي اللين ، او الرخام احيانا ، وكلها

(٤٠) حجارة ، آجر ، طوب و لين ، طين ، مدر (غضار مجفف قوالب) طابية
(سياح مع قش . يبدو خاصاً بالمغرب) : انظر ابن حوقل ، ٦٨ ، ٨٧ (انظر ج .
مارسيه « بناء » ، ١م (٢) ، ج ١ ، ١٣٦٤ ، دوزي ، ج ٢ ، ٦٥ - ٦٦ ، ٥٧٥ .
أو . اورنش ، البيت الشرقي ، هندسة الشرق الأدنى القديم من البدء حتى منتصف الألف الرابعة
بازيس ، ١٩٨١ ، ٣ م ، انظر م ١ ، ص ١١ - ٩١ .

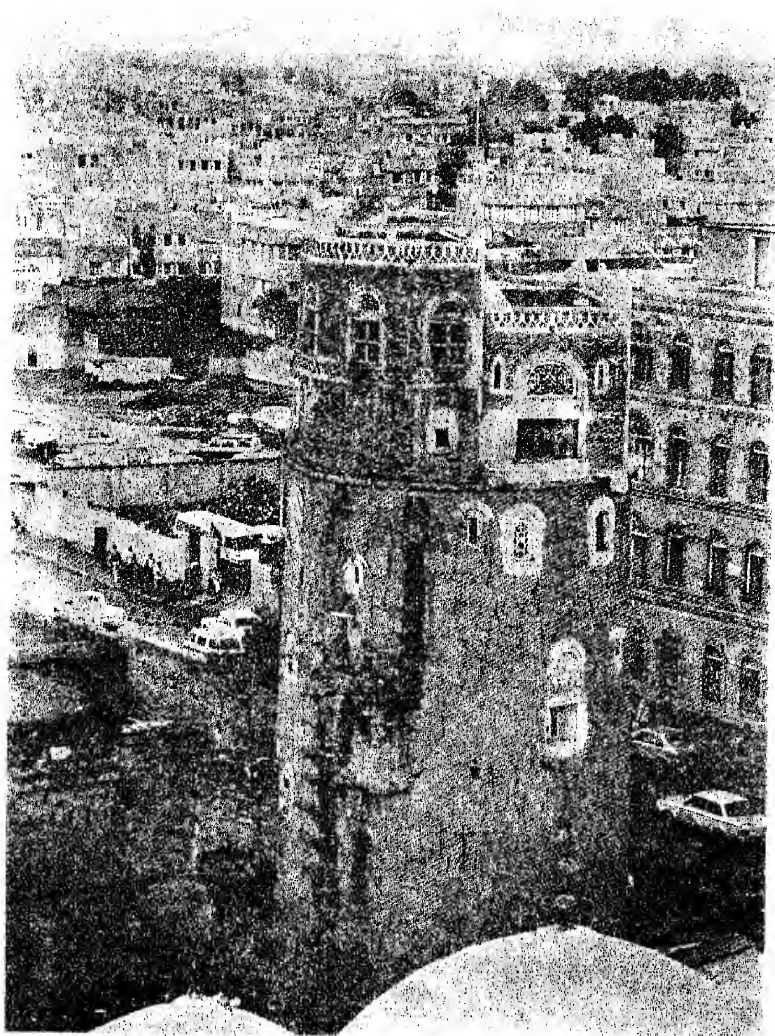
(٤١) ابن حوقل ، ٦٧ - ٦٩ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٣ ، المقدسي
٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ - ٢٣٥ .

(٤٢) ابن حوقل ، ١٤٦ ، المقدسي ، ١٩٥ ، ١٩٦ (وح ي ب) ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ،
٢٨٠ . عن الحجارة البحرية في الاسكندرية انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٥ .

(٤٣) المقدسي ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ابن رسته ، ١٠٩ (صنماء) : الآجر
والجص . والحجارة المهندبة .



(تصوير توماس هوبكر / الأكبر)
الزراعة التقليدية ، منازل مبنية بالطوب في فارس



تصوير ش . بستين وج . (فرارد ، بروكسيل)
صنعاء في اليمن الشمالية : أحد أبراج السور
بالتين المضغوط (الأسفل) والأجر (الأعلى)
في الخلف : منزل مبني بالحجر ، وبعدة منزل مبني بالطوب

يهندمها بسهولة حرفيون ورثوا تقليدا قديما (٤٤) . وبنيان العراق من الطين واللبن ، ومن الحجارة في الجبال القريبة من الحدود الفارسية (٤٥) واكثر ابنية الجزيرة بالحجارة والطين والحصى واللبن والجص ، او بحجارة الارحية السوداء او الرخام اللين ، ويبني بها دور لها قسباب احيانا (٤٦) .

وتشاهد ابنية مماثلة تقريبا في جبال ارمينية واذربيجان ، لكن يبدو ان الحجر يترافق فيها مع الآجر والجص خاصة (٤٧) . اما المناطق المشرفة على بحر الخزر فتتنوع مواد بنائها كثيرا ، وتشمل اللبن الذي يتقنه اهلها ، والطين والجص والآجر للسقوف المحدبة لاتقاء كثرة الامطار ، والخشب والقصب . ودور حشيش (٤٨) يزدهر بها المقدسي .

ويجمع اقاليم الجبال الحجر والجص احيانا ، خاصة في الري ، او الجص والطين . لكن يبدو ان اللبن هو الشائع . ولجامع اليهودية ، قصبة اصبهان ، منارة طولها سبعون ذراعا كلها من لبن لم يتغير منها شيء (٤٩) . وترى ابنية مشابهة وتنوع مماثل مع الاتجاه الى الجنوب

-
- (٤٤) المقدسي ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٧٤ (و ح ي ج) ، ١٨٤ (وترجمة ٢٢٧ ، ح ٧٣) ، ٤٤٠ ، عن الحوارة والسماق ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٠ ، ٢٦٤ .
(٤٥) المقدسي ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٤٦) ابن حوقل ، ٢١٥ ، ٢٢٢ - ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٣٦٨ ، المقدسي ، ١٣٨ - ١٤٢ عن باقاط ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٣ - ١٨٤ .
(٤٧) ابن حوقل ، ٣٣٤ ، المقدسي ، ٣٧٥ - ٣٧٧ .
(٤٨) ابن حوقل ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، المقدسي ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ . عن خركاه ، كوخ أو خيمة من قطع خشب (انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٤ ، ودوزي ، ج ١ ، ٣٦٦ .
(٤٩) ابن حوقل ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٨ ، المقدسي ، ٣٨٨ - ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ و ح يد) .

والجنوب الشرقي حتى فارس وكرمان ، لكن أبنية كerman أراج ذات
سقوف معقودة ، لقلة الخشب المستعمل في السقوف المستوية ، على ما
يقال ، أو هكذا ينبغي أن نفهم وضعها (٥٠) . هذا ما يرويه ابن
حوقل ، أما المقدسي ، فيدقق كثيرا في وصفه . ويذكر بلا شك البناء
باللبن ، بخاصة في كerman ، والبناء بالطين العلك (٥١) . ويتحدث
ايضا عن البناء بالآجر وخاصة بالحجارة المؤلفة - تأليفا سيئا احيانا -
او غير مؤلفة ، وعن البناء بالحجارة والجص ، وطين اساسه حجر (٥٢)
وتتبع سجستان باصرار اعراف كerman في ابنية كلها من طين
ازاج معقودة ، لا لتقص الخشب بل لأن الخشب يأرض بها ولا يلبث .
ولا يبنون بالحجارة الا في اماكن محدودة (٥٣) . وبناء افغانستان
وخراسان باللبن ، ويستخدمون الحجارة والجص ايضا (٥٤) هنا
وهناك . بقي علينا بلدان نهر جيحون وما وراء النهر لننتهي للبحث .
ففي ترمذ في ما وراء النهر ، البناء بالطين ، الاسود او المبيض بالكلس ،
ومعظم سككها واسواقها مفروشة بالطين او بالآجر (٥٥) .

-
- (٥٠) ابن حوقل ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ - ٢٨٢ ، ٣١٢ .
(٥١) المقدسي ، ٤٣٦ ، ٤٦٤ - ٤٦٦ ، عن علك (دقيق) انظر م ج ع ، ج ٤ ،
٣٠٣ - ٣٠٤ .
(٥٢) المقدسي ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، ٤٦٦ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ .
(٥٣) ابن حوقل ، آخر ٤١٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، المقدسي ، ٣٠٦ .
(٥٤) ابن حوقل ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ - ٤٤٩
المقدسي ، ٣٠٢ (ح د. عن ازار ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٧٨) ، ٣٠٧ - ٣٠٨ ، ٣٢٢
٢٢٢ (ح ز من ٣٢١) .
(٥٥) ابن حوقل ، ٤٧٦ ، ٤٩٥ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، المقدسي ، ٢٧٧ ،
آخر ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ .

ولحسن بنا ان نضيف الخشب إلى المواد الأربع الأساسية ، لا خشب السقوف او الابواب ، بل خشب البناء ذاته . ويمكن ان يجتمع الخشب واللبن بشكل الواح ، كما في دمشق وفارس وخاصة ما وراء النهر (٥٦) . ويحتاج الخشب احيانا كل البناء ، وجميع الابنية في منطقة معينة . لذلك يجب ان يضاف إلى النحاء بحر قزوين المذكورة آنفا ، اكواخ القصب في بطائح العراق ، والسند ، التي بنيت فيها مدن كاملة بالقش والخشب . ما عدا الملتان ، وربما وقع حريق في بناء القصب (٥٧) . وفي غزنين (غزنه) في افغانستان ، عامة بنيانهم خشب يقع فيه شيء يقال له غشك ، وهو فسيفساء يشبه فسيفس مصر (٥٨) . انجيرا يمكن تحديد نطاق انتشار استعمال الساج من الملتان إلى البنادر التي يصل اليها ، نعي صحار العمانية وسيراف الفارسية ، وهو خشب بديع يقترن في البناء بالآجر بلا شك ، لكنه يرى ، ويمد على الواجهاات ببرزخ وفخفخة لم يسمع بهما (٥٩) .

(٥٦) ابن حوقل ، ٢٨١ (خشب سرو) ٤٨٢ (خشب مشبك) : انظر م ج ع ، ج ٤ (٢٧٠) ، ٤٩٤ ، ٥٠٤ ، المقدسي ، آخر ١٥٦ ، ٢٧٧ ، آخر ٢٧٨ ، ٢٨٢ . (٥٧) ابن رسته ، ١٨٥ ، المقدسي ، ٤٨٠ ، مذكور أيضاً جمع الخشب واللبن (المقدسي ، ٤٧٩) أو اللين وحده (المقدسي ، ٤٧٨ في مكران ، المتوسط بين السند وكرمان) .

(٥٨) المقدسي ، ٣٠٤ ، عن غشك ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٠٩ . (٥٩) ابن حوقل ، ٤٩ ، ٢٨١ (مع نوع من الخشب غير محدد محمول من بلاد الزنج) ، المقدسي ، ٩٢ ، ٤٢٦ ، ٤٨٠ . انظر أيضاً الجاحظ (١) ، ورقة ٣١ (البصرة لكن لم تبرز) ، نطاق الانتشار يمكن ان يمتد باتجاه الداخل : انظر المقدسي ، ٧٦ (حوائث متى قرب مكة حسنة البناء بالحجر وخشب الساج) . اشرنا الى دور سيراف فيما تقدم ، الفصل ٩ ، ص ٢٠٩ و ٢٢٢ .

البنیان ایضا : داخل الدار والثأها

بقي ان نشير إلى بعض الخصائص المجمعة من هنا وهناك . فاولا ، اكثر البيوت تحت الارض في اردبيل في اذربيجان ، ويبدو ان هذه الظاهرة عامة (٦٠) . وكانت ديار ثمود في الحجر في جزيرة العرب ، كهوفا ، جاء في القرآن الكريم ذكر نحتها في الجبال (٦١) . وفي اقليم الجبال ، للمجوس المزدكية قرية ، بنيانهم من عظام البهائم (٦٢) . وفي منطقة سيراف ، يستخدمون اضلاع الخوت في هيكل سقوف ، دورهم (٦٣) . وفي صنعاء في اليمن ، اكثر سطوح منازلهم مفروشة بالخصي اتقاء لكثرة الامطار (٦٤) . ويعجب الجاحظ ابن البصرة لرؤية تناوب الآجر الاصفر والخص الابيض ، ولعائهما لمعان الذهب والفضة على حد قوله (٦٥) . ويعدد الجاحظ ايضا جميع مواد البناء ويذكر اللبن والطين والآجر وجذوع النخل والخشب والساج وسواه والحديد (٦٦) .

ولا يعثر الا على التزر القليل من المعطيات عن تقسيم البناء الداخلي . ولا يذكر سن ترتيبه العام سوى الارتفاع اي توالي الطوابق في سيراف والمثلتان وصنعاء والفسطاط . والبناء في الفسطاط ليس مجموع منازل

(٦٠) المقدسي ، ٣٧٥ .

(٦١) القرآن ٧ / ٧٢ ، الاصطخري ، ٢٤ ، ابن حوقل ، ٣٢ .

(٦٢) المسعودي (م) فقرة ٨٦٨ .

(٦٣) السيراقي ، ١٣٣ .

(٦٤) ابن رسته ، ١٠٩ ، عن منازل صنعاء ، انظر الهمداني ، ١٩٥ - ١٩٦ .

(٦٥) الجاحظ(١) ، ورقة ٢٧ .

(٦٦) الجاحظ(١) ، ورقة ٣١ .

عائلية ، بل مبنى حقيقي يأوي اليه جماعة من السكان (٦٧) . ويلدكر
المقدس معلومتين هامتين : ففي بنكث ، قصبة الشاش في ما وراء
النهر ، المنازل فسيحة ، اقل بيت فيه البستان والاصطبل والكرم .
وفي شيراز ، الرواشن ضيقة جدا حتى ان رؤوس اهل البيت تنطحها
اذا ما ارادوا القاء نظرة إلى الخارج (٦٨) .

واذا لم يسعد الحظ صاحب المنزل ، ولم يقيم منزله في احد البلدان
المباركة التي تصل المياه فيها إلى دورها (٦٩) ، اضطر إلى الاستقاء من بئر
(صهريج) (٧٠) ، او من عين عامة (٧١) ، او من بائعي الماء
بنصف دانتق مزبقة لكل طابق يصعدون اليه (٧٢) . والصمت مطبق
او يكاد بشأن زخرفة البيوت ، ما عدا اشارة عابرة إلى تزويق صنعاء
بالاحمر او الاخضر (٧٣) . وما تبقى فلا بد من تصور كل ما هو
بين الزخرفة والاثاث مثل البسط التي ذكرناها من قبل ويمكن جمع
اسماءها من مصنفات الجغرافيين (٧٤) ، او حصر بلعيسي في دمشق
وقدس ، قرب بحيرة الحولة ، وحصر الخلفاء والحصر السامان .

-
- (٦٧) ابن رسته ، ١٠٩ ، ابن حوقل ، ٢٨١ ، المقدسي ، ٤٨٠ ، عن الفسطاط ،
انظر ما تقدم ، الفصل ٩ ، ص ٢٠٧ .
(٦٨) المقدسي ، ٢٧٦ ، ٤٢٩ (مس ١٠ و ١٧ - ١٨) ، عن الروشن نافذة
بخرجة) ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٤٧ ، و دوزي ، ج ١ ، ٥٣٢ .
(٦٩) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١٥٠ ، وما تقدم ، الفصل ٩ ، ص
٢١٤ ، والفصل ١٠ ، ص ٢٣٢ آخرها .
(٧٠) ابن رسته ، ١١١ ، اسحاق ، ٤٣٤ .
(٧١) انظر ما تقدم ، الفصل ١٠ ، ص ٢٣٣ .
(٧٢) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ١٤٠ .
(٧٣) ابن رسته ، ١٠٩ ، اسحاق ، ٤٣٤ ، التزويق الخارجي بلا شك .
(٧٤) انظر ما تقدم ، الفصل ٨ واماكن اخرى ، عن انتاجات مختلف الاقاليم ،
م ج ع ، ج ٤ ، ٢٠٩ (جهري) ، ٢٧٦ (شقة) ، ٣١٨ (فتلي) ، ٣٦١ (نخ) .
- جغرافية دار الاسلام م-٣٥ ٥٤٥

(خيزران) من بحيرة الحولة ايضا ، وحصر العباداني نسبة إلى مدينة عبادان الهامة على حدود العراق وخوزستان (٧٥) .

ولا يقال شيء عن الاثاث بالمعنى الضيق ، فيها عدا استعمال الخشب في صنع بعض الادوات والاواني (٧٦) ، او حجر الفتيلة في بلدان جيحون الأعلى ، وهو شيء « يشبه البدي » ، تنسج منه اشرطة سهلة الصيانة إلى أقصى حد : متى اتسخت ، تفرش في فرن ، فتنظفها الحرارة . ويستعمل حجر الفتيلة في الاضاءة ، لا تحرقه النار ، يوضع في الدهن ، فيقد كما تقد الفتيلة ، ولا ينقص ، ويخرج ، وينطرح في النار المتأججة ، فيعود إلى ما كان عليه (٧٨) . وتوقد المصابيح بالصفيفة وهي دهن السمك في جزيرة العرب (٧٩) ، أو يستعمل حجر يجعل في البيت المظلم فيضيء ادنى شيء (٨٠) في النهاية تعطى معلومتان عن الالتقاء من الحر : ففي فارس بيوت الخيش ، على السطوح ، ينثر عليها الماء على الدوام ، فتبقى ابدا مبلولة (٨١) ، وفي مصر طم باذهنجات مثل اهل الشام ، يجلبون بها الهواء البارد بمجرى مجهز لهذه الغاية (٨٢) :

(٧٥) ابن حوقل ، ٢٤٠ ، المقدسي ، ١١٨ ، ١٢٨ ، ١٦٢ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠٣ ، ٤٤٢ ، ٤٥١ (ح ٤٥٠) ، م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٣ ، ٢٥٧ ، ٢٩٥ ، دوزي ، ج ١ ، ٦٢٢ ، ج ٢ ، ٩٠ - ٩١ .

(٧٦) جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٧٣ ، ج ٤ ، ٤٧٥ ، ح ١ .

(٧٧) المقدسي ، آخر ٣٠٣ ، عن خوان ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣١ .

(٧٨) المقدسي ، آخر ٣٠٣ .

(٧٩) المقدسي ، ١٠٠ ، (صيفه مشروحة دهن سمك) .

(٨٠) حجر فوسفوري طبعاً : المقدسي ، آخر ٣٠٣ . صبحت حجم وجعلته حجر في طبعة دي خويه .

(٨١) المقدسي ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ (ح ب) محسن إلى أقصى حد (ري بالأقنية) . الموضوع يتعلق فعلاً ببناء أميري ، لكن لا شيء يمنع التفكير باستعمال عام (ري باليد) . عن استعمالات أخرى لهذا القماش (خيش) ، انظر دوزي ، ج ١ ، ١٧٤ (مروحة يدوية ، بانكا) ، جغرافية دار الاسلام ، ٣ ، ص ٤٣١ . س ٢ : اقرأ سقوف ، لا خيطان (و خ) .

(٨٢) باذهنجات : المقدسي ، ٢٠٥ ، م ج ع ، ج ٤ ، ١٨٣ ، ودوزي ، ج ١ ، ٤٧

موضوع القناطر

لايستوفي فن البناء حقه في دار الاسلام بدراسة الدار وحدها: فهناك ايضا الجوامع، التي تحدثنا عنها مع المدن، والسدود والاقنية(٨٣)، والجسور المسماة قناطر عند الجغرافيين العرب : وتعتبر احدى هذه القناطر في الحد الأدنى ، نعي قنطرة سنجة ، احدى عجائب الدنيا(٨٤) لكنها ليست الوحيدة التي استحوذت على تفكير الجغرافيين ، لاسباب لم تكن ذات صلة بفن العمارة في البدء ، بل لعلاقتها بالجلد الثقافي الشعبي ، الذي كان يتعارض فيه العرب مع الانتبآت الاخرى ، وفي طليعتها الفرس : فالقنطرة ، كالقصر او الاعمال المائية ، سواء بنيت قبل ظهور الاسلام ام بعده ، تحمل في طياتها تاريخا متواصلا، وتعد رمزه (٨٥) : ولا شك ان جغرافي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، اهتموا قبل كل شيء بما يشاهدونه : بقي ان ندرك ان نظرهم إلى القناطر تنلرج ، غالبا جدا ، في تراث يجعل هذا البناء إلى جانب الجامع او القصر او اسوار المدينة ، عنصرا من العناصر المتميزة في مشهد خلقه الاسلام او رضي به :

ونتغاضى عن الحديث عن قنطرة سنجة الفريدة ، وعن القناطر الحجرية التي بناها الروم حسب اليعقوبي (٨٦) . ونتغافل ايضا عن

(٨٣) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، الفصل ٢ ، اماكن متفرقة .

(٨٤) انظر ما تقدم ، الفصل ٥ ، « القصور وآثار اخرى » .

(٨٥) انظر ما تقدم ، الفصل الأول ص ٢٢ آخرها، الفصل الخامس، ص ١٥١، ح ٧

(٨٦) اليعقوبي ، ٣٦٢ . عن قنطرة سنجة ، انظر ما تقدم الفصل ٥ ، « نحو الشمال

الغربي : ذكريات مبهمه » آخرها ، انظر أيضا المرجع ذاته ، ص ١١٥ .

جسور المراكب مثل جسر بست في سجستان ، او جسر عسكر مكرم في خوزستان في نحو عشرين سفينة ، (٨٧) او جسر الكوفة بسبع سفن حسب قول الجاحظ (٨٨) ، تحمل جذوع نخل مثبتة فوقها ببساطة وغير مغطاة بتراب ، حتى ان المشاة يجازفون بصعوبة بالمرور عليها ، ويحظر عبور الدواب والقطعان فوقه .

ويستحيل ، كما يتوقع المرء ، الحديث عن جميع القناطر ، التي نذكر على طول المسالك او الدروب ، او تندرج في مشهد نهري او مدني . ولا اتكلم الا عن الجسور التي استرعت انتباه الجغرافيين باحد تفاصيلها : فاليعقوبي يشير إلى قنطرة نهر الصراة العظمى ، في منطقة بغداد، المعقودة بالخص والآجر، المحكمة الوثيقة التي يقال لها القنطرة العتيقة (٨٩) . ويستفيض ابو دلف مسعر (٩٠) في الحديث عن قنطرة خوراذ، في فارس: فهنا يذاب الحديد والرصاص والنحاس خاصة، لتثبت دعائمها على الضفتين اللتين ترتكز عليهما . وقد مرت هذه القنطرة بتقلبات كثيرة ، وتعرضت للتخريب مرارا إلى ان قرر البويهيون ترميمها ، الذي استغرق عدة سنوات من الاعمال المتواصلة ، واذيب لها مزيد من الرصاص والحديد والحديدين . واشترك في التنفيذ عدد كبير من المهندسين والعمال ، وانفقت مبالغ طائلة بلغت ما لا يقل عن ثلاثماية وخمسين الف دينار: وتمثلت التقنية المطبقة بانزال المادة

(٨٧) ابن حوقل ، ٢٥٣ ، المقدسي ، آخر ٣٠٤ ، ٤١٠ (جسران) .

(٨٨) الجاحظ (١) ، ورقة ٢٨ .

(٨٩) اليعقوبي ، ٢٤٣ .

(٩٠) مسعر (ب) ، ٤٦ .

الاساسية اي الحجارة بالحبال والبكرات ، قبل تغطيتها بالمعدن المذاب . الخلاصة مشهد القنطرة مليء بالعبارة لمن يعتبر .

ويذكر ابن حوقل قنطرة حجارة عادية ، تعرف بقنطرة سيوك في فارس (٩١) ، وقنطرة ثكان ، وهي قنطرة بين فارس وخوزستان ، قليلة النظير ، ويعتبرها ابن حوقل اجمل من قنطرة قرطبة التي بالاندلس (٩٢) . ومحدثها بعض تناء فارس . ويقول ان على باب ارجان ، مماليي خوزستان ، قنطرة على نهر طاب تنسب إلى الديلمي طبيب الحجاج بن يوسف ، وهي طاق واحد سعة ما بين عموديه على وجه الارض ثمانون خطوة وارتفاعها مقدار ما يجوز فيه راكب الحمل بيده علم من اطول ما يكون من الاعلام (٩٣) . اخيرا في المنطقة ذاتها نهر طاب عميق ، وعلية جسر من خشب معلق بين السماء والماء (٩٤) .

ويشير المقدسي (٩٥) اشارة عابرة إلى عدة قناطر عجيبة (٩٦)

(٩١) ابن حوقل ، ٢٧٦ .

(٩٢) ابن حوقل ، آخر ٢٧٤ .

(٩٣) ابن حوقل ، ٢٩٨ ، الموضع نفس موضع الجسر السابق ، الا ان الاسمين مختلفان ، والنص رغم عدم دقته بهذا المعنى ، يمكن ان يشير الى نهر طاب الى فرع هام عنه (٩٤) ابن حوقل ، ٢٤٩ ، تدوين غمائي مبالغ به لأن الارتفاع عشر أذرع . يستعمل لفظ جسر لجسر السفن ، لكن يتساءل لماذا ابرز المصنف التفصيل المتعلق بالخشب انظر عن لفظ جسر ما يلي ، المقدسي ، حاشية ٩٥ .

(٩٥) يستعمل المقدسي فيما يبدو لفظي جسر وقنطرة بلا تفريق ، بينما تعني القنطرة مبدئياً الجسر المبنى والجسر جسر السفن . انظر خاصة المقدسي ، ٣٧٦ (جسر لقنطرة تفليس المبنية من حجارة وخشب) ، آخر ٣٠٤ ، ٤١٠ (جسر من سفن) . (٩٦) المقدسي ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ (و ح د) ، ٤٤٦ (و ح ا) .

لا نظير لها ، ويعطي تفاصيل عنها احيانا . فتفليس يخترقها نهر الكر ، فتصبح جانبيين بينهما جسر قد بني حيطانه بالحجارة ثم طرح عليها الخشب (٩٧) . وفي خوزستان ، سوق الاربعاء جانبان ايضا بينهما قنطرة من خشب ، تجري تحتها السفن (٩٨) . والاهواز جانبان بينهما قنطرة هندوان من الآجر ، عليها مسجد يشرف على النهر حسن (٩٩) وفي فارس قنطرة ابي طالب من الجبل إلى الجبل (١٠٠) . وفي شهرستان ، قصبة سابور ، خارج البلد ، قنطرة عظيمة ، كانت وقت مرور المقدسي بها (١٠١) منقطعة : خلاصة القول ، في هذه المناطق قناطر كثيرة عجيبة محدثة وجاهلية (١٠٢) . وتعتبر فارس وخوزستان ، في رأي المقدسي وابن حوقل ، بقناطرهما ، وابنية اخرى فيهما ، شواهد على استمرار تاريخي يتصف به التراث الفارسي القديم الذي قبله الاسلام .

موضوع النسيج

قيل الشيء الاساسي (١٠٣) عن النسيج ، وعن مناطق انتاجه

(٩٧) المقدسي ، ٣٧٦ .

(٩٨) المقدسي ، ٤١٢ .

(٩٩) المقدسي ، ٤١١ .

(١٠٠) المقدسي ، ٤٤٦ (ح ١) .

(١٠١) المقدسي ، ٤٣٣ .

(١٠٢) المقدسي ، ٤٤٠ ، آخر ٤٤٥ ، ٤٤٦ (و ح ١) . بما فيه القناطر المعاد بناؤها (انظر ما تقدم استشهاد ابي دلف مسعر لجسر هنا أيضاً في التبعية الفارسية) .

(١٠٣) انظر ما تقدم ، الفصل ٨ ، اماكن متفرقة ، الفصل ١٢ ، موضوع الثياب الفصل ١٣ ، البتيان أيضاً والتنظيم آخرها (عن حجر الفتيلة) أيضاً ج دا ، ج ٣ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٤٢٨ وما يليها . عن النسيج ، انظر م . لومبار المنسوجات في عالم الاسلام ، من القرن ٧ إلى القرن ١٢ ، باريس لاهاي ، نيويورك ، ١٩٧٨ ، ر.ب . سارجنت ، « مواد لتاريخ المنسوجات المسلمة حتى الفتح المغولي » ، الفنون الاسلامية ، ٩ روماني ، ١٩٤٢ و ١٦ روماني ، ١٩٥١ .

الكبرى ، ومواده الاولية . مع ذلك ، الح ايضا ، ولو عرضا ، على
الولع بالاقمشة والجنون بها : فهي مصدر حياة بلدان باجمعها ،
يعمل كل اهلها بالحياكة (١٠٤) . بقي ان نقول بضع كلمات عن
طريقة صيانتها او تهيئتها : فللغسيل ، نعلم ان بالامكان استعمال طين
ايض خاص والرماد (١٠٥) : اما الصباغة ، فيستخدمون فيها الورس
من اليمن لتلوين الاصفر كما قلت من قبل (١٠٦) ، والبقم لتلوين
الاحمر الغامق ، والعصفر للاحمر البرتقالي . لكن تستعمل اربعة
اصناف اساسية في الصبغ ، هي القرمز والزعفران والنيل والقوة :

ويدل لفظ قرمز (١٠٧) على النبات وعلى الحشرة الطفيلية ،
ويعرف في الاندلس ، وفارس ، وارمينية وحتى مشارف قزوين
الجنوبية الغربية . ويحصل اللون الاحمر القرمزي من اليرقة (١٠٨)
التي يغزها الارمن بابة نحاس : والزعفران (١٠٩) اصفر صاف
او برتقالي ، واوفر انتشارا ، لكن يبدو مع ذلك انه يفضل المغرب
الشرقي وبلدان بحر قزوين ، ووادي جيحون ، وخاصة اقليم الجبال .
اما النيل (١١٠) ، فيعثر عليه في البلدان الحارة ومنخفض نهر الاردن

-
- (١٠٤) انظر مثلا المقدسي ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٤٠٤ (ح) ، ٤٢٨ .
(١٠٥) ابن رسته ، ١٧٦ ، ابن حوقل ، ٥١٥ .
(١٠٦) جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٣٤ - ٤٣٥ .
(١٠٧) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٣٤ - ٤٣٥ .
(١٠٨) وليس كما يتوقع المرء من البيوض المجففة . لكن انظر ر . دوغران و ر .
فراس ، لتغذوك المنخفض ، الكوص ، السيفين ، باريس ، ١٩٧٤ ، ص ٢٨ يرقات
حمراء معجونة بالخل .
(١٠٩) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٤٣٥ .
(١١٠) انظر المرجع ذاته ، آخر ٤٣٥ - ٤٣٦ .

والبحر الميت ، واليمن ، وكرمان ، ومنطقة كابل التي تأتي في الطليعة بالجوذة ووفرة الانتاج ، بحاصل سنوي مقداره مليون دينار من الموسم دون ما يكسب من بيع المخزون . ومناطق الفوة (١١١) متنوعة اكثر من سائر الاصناف . ويستخرج من جذورها لون احمر رائع . ويمكن تصديرها حتى الهند ، وهي تنمو برية و تزرع في الاندلس ، وفي واحات مصر ، وبلدان نهر جيحون ، وبخاصة في الاودية النازلة نحو بحر الخزر وجزره .

موضوع المعادن

يتكرر الحديث عن غنى دار الاسلام بشئى المعادن بانتظام في الكلام عن الاقاليم . اما تقنيات استخراجها فلا تلقى اهتماما دؤوبا مماثلا . ويذكر المقدسي (١١٢) ان بنيسابور جبالا يقطعون منها الملح كما يقطع الحجر : ويقول ابن الفقيه (١١٣) ان بجوار همدان بحيرة برستاق الفراهان « تكون اربع فراسخ طولاً في عرض فرسخ اقل واكثر » (١١٤) ، طلسم عليها بليناس (ابولونيوس) التيانى ، ما دام لا يحظر عليها ، فاذا حظر عليها جفت . واذا كانت ايام الخريف ، واستغنى اهل الرستاق عن الماء للزراعة ، القى جميع امواه الرستاق إلى هذه البحيرة ، فلا يزال ينصب اليها الماء في الخريف

(١١١) انظر المرجع ذاته ، ٤٣٥ . اضيف الى هذه النظرة الاجمالية ، ابن حوقل ، ١١٤ ، من أجل الأندلس : حشائش صين تختص بالاندلس بلا تدقيق .

(١١٢) المقدسي ، ٣٣٣ .

(١١٣) ابن الفقيه ، ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(١١٤) اي حوالي ٢٣ كم على ٧ ، ٥ .

وطول الشتاء ، حتى اذا جاء الربيع واحتيج إلى الماء ، قطع الماء عن البحيرة ، فصار ذلك الماء كله ملحا » :

لننتقل إلى نحت الحجارة . يقول المقدسي (١١٥) انه وحش بشرار ، ينقشونها بمعاول وحشة ، تكسر البلاطة حيث لا يريدون ، لكنه رأى لهم اعمالا يعجز عن مثلها كل بناء في الشام واقور . ويروى (١١٦) ان في المقطم ، المشرف على القسطنطينية ، مقاطع حجارة بيض حسنة تنشر كما ينشر الخشب .

ويفوق سحر المنجم سحر غيره ، لأنه يكشف اسرار باطن الارض . ويشير ابن عبد ربه (١١٧) إلى الاحتياطات الضرورية الواجب اتخاذها بداهة ضد غاز الكربون ، وذلك بوضع مصباح على طرف عصا طويلة تمتد امام حاملها ، ويجب ان يبقى لونه جميلا ، والا تحتم التراجع . اما الحجارة الكريمة ، فيتم الحصول عليها على ثلاث مراحل ، تبدأ بحفر التراب من معدنه ، ثم تستخرج من غلافها ، وينتهي العمل بغسلها (١١٨) . ويصف ابن رسته استخراج المعادن وصفا يبدو حديثا جدا ، اذا ما نقل إلى اجواء الغرب في اوروبا وامريكا ويقول (١١٩) عن مناجم الفضة المهجورة في وقته التي لا يعمل فيها : « واثار العمل الذي كان يعمل فيها قائمة ، من آبار محفورة ،

(١١٥) المقدسي ، ٤٤٠ .

(١١٦) المقدسي ، ٢٠٩ .

(١١٧) العقد الفريد ، ج ٦ ، ٢٣٢ .

(١١٨) ابن الفقيه ، ٧٨ ، الأسواني ، ٢٦٧ (يستشهد بالجاحظ) : مناجم البجة والنوبة .

(١١٩) ابن رسته ، ١٥٦ .

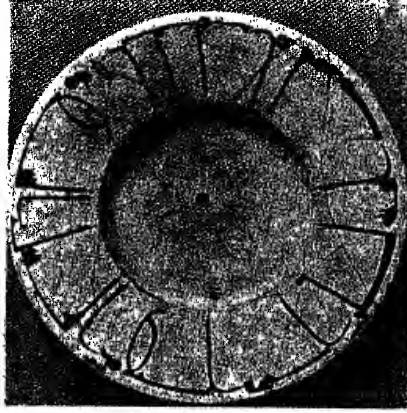
كان يستخرج منها الجواهر ، ومعادن ظاهرة ، ومواضع مضارب كانت مضروبة ، وآثار المواضع المسكونة ، ومن أماكن السبك ، وما كان يحتاج إليه في استخراج الفضة من الحجر ، وتخلصها منه . كل ذلك قائم بين ظاهر . وكان العمل فيها قائماً حتى جاء الله ، بالاسلام » (١٢٠) .

ونرجع إلى ما قاله ابن حوقل (١٢١) عن المومياى . فلقرية من قرى ورايجرد في فارس ، غار في جبل قد وكل به من يحفظه ، وهو مسدود الباب والمداخل مغلق مقفل مختوم ، معلم بعلامات كثيرة لمن يحضر فتحه من ثقات السلطان ، ويفتح في كل سنة في وقت معروف . فاذا جمع المومياى ، يكون الموجود منه في كل سنة كالرمانة ، ثم يختم بمشهد من ثقات السلطان والحكام واصحاب البرد والمعدلين من اهل الأمانة . ويشرح المقدسي (١٢٢) كيف يعمل اهل القرى في جبال كرمان ليحصلوا على اكسيد الزنك (التوتياء) : فلنحفظوا المعدن بشكل ملائم ، يتخذون اصابع من الخزف كباراً ، ثم يصبونه عليها ، فيلتزق بها ، فيبقى كالمازيب اخيراً نعود إلى ابن حوقل (١٢٣)

(١٢٠) « جاء الله بالاسلام » في النص ثم وكان أهلها مجوساً ، فأخذوا بالجزية ، ولم يكونوا عهوداً ، فشغلوا عن العمل بها ، فتعطلت » .
(١٢١) ابن حوقل ، ٣٠٠ ، انظر أيضاً الثعالبي ، ١١٠ ، للتأكد من جودة الصنف ، تكسر رجل ديك ، ويوضع قليل من المومياى على الكسر ، فاذا كان جيداً تقلص الكسر . /
يبين ابن حوقل استعمال هذا المومياى . عن المومياى الأبيض انظر ما تقدم الفصل ١٢ «الاستشفاء ان امكن» .

(١٢٢) المقدسي ، ٤٥٩ ، ٤٧٠ (و ح ط) و م ج ع ، ج ٤ ، لفظ رزح
(١٢٣) ابن حوقل ، ٥٠٥ - ٥٠٦ ، المقدسي ، آخر ٢٣٩ ٢٤٠ ويرتفع من اصقيلية نواذر كثير أبيض ، وسمعت انه انقطع معدنه واستغنى عنه أهل مصر بدخان (انظر م ج ع ، ج ٤ (٢٣٣) الحمامات ، هذا ما يقوله .

ونأخذ عنه ما يتعلق بالنوشاذر : فني كل جبل من جبال البتم ، في ما وراء النهر ، كالغار ، قد بني كالبيت ، وفيه عين يرتفع منها بخار ، يشبه بالنهار بالدخان وفي الليل كالنار . وعندما يراد جمعه ، يستوثق من اغلاق ابواب البيت وكواه ، فيتلبذ البخار على حيطان وسقفه معطيا النوشاذر . وداخل هذا البيت من شدة الحر ، ما لا يتهاى لاحد ان يدخله الا احترق ، الا ان يلبس اللبود المبلولة ويدخل كالمختلس ويأخذ ما يقدر عليه . اذن هذا العمل مخوف بالاضطار وغير مضمون النتائج لأن البخار ينتقل من مكان إلى مكان ، فيحفر عليه ، حتى يظهر ، فاذا خفي في مكان حفر عليه في آخر إلى ان يوجد .



متحف لوفر ، القسم الاسلامي ، آ ٩٦٢
 صحن كبير منقوش عليه كتابة . سمرقند . ما وراء النهر . القرن العاشر ، خزف
 مزخرف أسمر ضارب إلى السواد . على خلفية بيضاء . مع دهان عديم اللون
 مذاق العلم مر في أوله ، لكنه أحل من العسل في آخره صحه
 (تصوير ا . شوزفيل)



متحف للوفر ، القسم الاسلامي ، ماو ، نس ٥٦ رسم المتاحف الوطنية
ناطل عليه انصاف سعينات . فارس . سوس . القرن التاسع . خزف مزخرف ملون
بلون أزرق كوبات على دهان أبيض مظلم
(تصوير ٠١ شوزفيل)

حرف متنوعة

تبدع الحرفة جميع الطرف اذا خرجت عن الاشياء المألوفة ،
بجودة مبتكراتها واصالتها : والدليل على ذلك استعانة عظماء العالم
بها عندما يريدون ان يبنوا او يزينوا بفخامة ، كما في جامع دمشق
او قصور سر من رأى (١٢٤) : فالزجاج يتطلب تقنية عالية ، حسب
شرح المسعودي (١٢٥) ، لأن حدوث جوهرة يقتضي جمع الرمل
والمنغنيزيا والقي عند الطبخ والسبك . ويذكر الجغرافيون هنا وهناك
بعض المواد الاستثنائية كما ونوعا : ففي جبل ماردين ، في الجزيرة ،
يعثر على جواهر الزجاج الجيد (١٢٦) ، وبجبل كوهك ، بسمرقند

(١٢٤) المقدسي ، ١٥٨ ، يعقوبي ، ٢٦٤ .

(١٢٥) المسعودي (م) فقرة ٨١٦ .

(١٢٦) انظر ما تقدم ، فصل ٨ ، « الحقل والمحرف » .

طين مستعمل في الزجاج (١٢٧) ، واهل قاشان ، في اقليم الجبال
 حذاق في عمل القماقم (١٢٨) : ولا تُعَمَّنِي الحرف بالزجاج وحده ،
 بل تَهْم بالخزف والحجر . فابن رسته (١٢٩) يروي قصة ماء ، ان
 انصدعت آنية ، والقيت فيه ثلاثة ايام ، التأم صدعها : ويذكر ابن
 حوقل ان اهل تونس يعملون غضارا حسن الصباغ وخزفا حسنا كالعراقي
 المجلوب (١٣٠) . اما في فارس وخراسان ، فينحتون الموائد والغضار
 والآنية المستظرفة وقدور البرام (١٣١) :

والفسيفساء اشهرها جميعا . فالمسعودي (١٣٢) يعرفها بقوله :
 « والفسيفساء هي شيء يطبخ من الزجاج والاحجار ذو بهجة واللوان ،
 يدخل فيما فرش من الارض والبنيان كالفصوص ومنه على هيئة الجلامات
 شاف » . والمقدسي ادق من المسعودي في حديثه عن الفسيفساء الشهيرة
 في جامع دمشق (١٣٣) : « واما الفسافسا ، فانه شيء يعمل من الزجاج على
 شبه سنجة الدرهمين (١٣٤) ، اصفر واخضر واسود واحمر واندق والمذهب
 وقد جعل على وجهه ذهب من فوقه زجاج رقيق ، ثم يعجن الشيد

-
- (١٢٧) ابن حوقل ، ٤٩٥ .
 (١٢٨) المقدسي ، ٣٩٠ .
 (١٢٩) ابن رسته ، ١٥٩ .
 (١٣٠) ابن حوقل ، ٧٣ .
 (١٣١) ابن حوقل ، ٣٠٠ ، ٤٣٤ ، المقدسي ، ٣١٩ (عن برام ، انظر م ج ع ،
 ج ٤ ، ١٨٨ ، ودوزي ، ج ١ ، ٧٧ - ٧٨) .
 (١٣٢) المسعودي (م) فقرة ٦٢١ .
 (١٣٣) المقدسي ، ١٥٨ (ح ٥) .
 (١٣٤) حرفيا الوزن الأصلي (سنجة ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٦٥ ، ودوزي ، ج ١
 ، ٦٩٠) .

بالصمغ العربي ، ويبسط على الحائط ، ثم يرصع عليه هذا الفسافسا ويؤلف صورا وكتابات . وبعض يرصع عليه كله مذهبة ، فترى الجدار كله ذهباً يقدر . بالمقابل ، التفاصيل قليلة عن نحت الحجارة ، وعن عمل الحجارة الثمنية : فابن حوقل يتحدث عن الحجر المعروف بالحمشت في ديار العرب ، ويصبيه المطالبين بالناحية غشياً ، كسائر الحجارة فإذا عمل ظهر جوهره بالنار (١٣٥) : ثم يأتي الاختبار : فالفيروز يعرف جماله اذا قاوم النار والمبرد ، وبدا لونه بين الاخضر والانعكاسات البيضاء (١٣٦) ، في حين لا تلام العروق البيضاء الزمرد وتشوبه (١٣٧) اخيراً الصياغة بالمعنى الضيق : صقل الفضة والذهب بالشب ، ولحمها بالبورق (١٣٨) ، وتركيب الحجارة الكريمة الذي يجب ان يبرز بالنسبة إلى الشب تألقاً في اللون الاحمر والاخضر والاصفر لأنه طبيعي فقط ، بل لأنه يرتبط بالتقطيع والمنظر (١٣٩) .

وهناك مواد ثمينة اخرى ، كالعنبر والمرجان واللؤلؤ ، ينظر إليها من زاوية محصولها ومظهرها . واحيل إلى الجزء الثالث في كل ما يتعلق بها (١٤٠) : ولا يقال شيء او يكاد عن معالجة الحديد مما يدعوننا إلى ابراز ما بقوله ابن حوقل عن آلات الحديد التي تتخذ في فرغانة

(١٣٥) ابن حوقل ، ٣٧ .

(١٣٦) الثعالبي ز ، ١١٦ (ومعجم الألفاظ ٢٣ روماني ، لفظ شيرباميه) .

(١٣٧) المسعودي (م) فقرة ٨٨٩ .

(١٣٨) يختلق عن بورق الخبازين : ابن حوقل ، ٣٤٦ ، مسعر (ب) ، ٣٦ .

(١٣٩) المسعودي (م) فقرة ٨٤٠ .

(١٤٠) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، ٣٨٠ ، آخر ٣٨٢ - ٣٨٣ ، ٤٨١ -

وتجهز إلى العراق : « ذلك لأن الحديد بفرخانة لين ممكن لما يراد ،
قنيتة في اي صنعة قصد منه ، وتفتق لهم الخواطر بالغرائب التي
يتخلونها منه (١٤١) .

والحديث قليل ايضاً عن نسج الحصر وفتل الحبال ، ويترك
الجغرافيون لقراءهم تصور تقنياتها (١٤٢) ، وعن العطور والزيوت
ومستحضرات الزينة ، التي تشكل تجارتها ، كما رأينا ، احد اصنافها
الرئيسية . ويذكر ابن رسته اسم مخترع عطر الغالية (ابا جعفر عبد الله
بن جعفر بن ابي طالب) في عداد مشاهير العالم ، لكنه لا يعطي ،
تركيبها (١٤٣) : ويعدد ابن حوقل (١٤٤) المواد العطرية المجلوبة من
فارس مثل ماء الورد ودهنه وماء الطلع ، وماء ألقيسوم ، وماء الزعفران
وماء الخلّاف ، والقرنفل او البنفسج ، لكنه لا يبين صنعها .

والمعلومات افضل عن الجلود . فالمسعودي يخبرنا ان شعر الزرق
يجز مدّرجاً (١٤٥) ، وان جلد الدرق ينبغي ان ينقع في اللبن ليكون
كاملاً (١٤٦) : ويتحدث الرازي عن جودة مياه بيجا في البرتغال

(١٤١) ابن حوقل آخر ٥٠٦ . عن تفتق ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣١٣ ، انظر
ايضاً ما تقدم الفصل ٨ : «من فارس الجنوبية الى الهند» ، عن فارس ، منطقة اخرى كبيرة
لصناعة الحديد .

(١٤٢) ابن حوقل ، ٢٧٧ ، المقدسي ، ١٦٢ ، وما تقدم الفصل ٨ ، «الحقل
والمعرف» (بريير صقيلية يفتل حبالاً لمراشي المراكب) وفصل ١٣ «البنيان ايضاً داخل الدار
وائاثها (حصر) » .

(١٤٣) ابن رسته ، ١٩٨ ، عن هذا العطر انظر المرجع ذاته ، ترجمة ، ٢٣١ ، ح ٢

(١٤٤) ابن حوقل ، ٢٩٨ - ٢٩٩

(١٤٥) المسعودي (م) فقرة ٣٧٧ .

(١٤٦) المسعودي (م) فقرة ٨٥٩ .

للدباغة (١٤٧) : ويشيد ابن حوقل بجلود قابس ، التي تدبغ .
بالقرظ (١٤٠) ، فتأتي بطيب الرائحة ونعومة اللمس ويتحمس لجلود
خوارزم وتركستان القريبة منها (١٤٩) : جلود حملان وجداء حمير
قائنة الصبغ وسود حالكة وبيضاء ناصعة ، يعود جمال الوانها إلى
استعمال النتائج الثالث .

الكتابة

يتم الجغرافيون اهتماما حقيقيا بكل ما يمت بصلة إلى دعائم
نشاطهم المادية . فهل ترتبط هذه الظاهرة بكونهم كتابا ؟ مهما يكن
لدينا هنا حقل اوسع من ذي قبل . لكن اولا على اي شيء يكتبون ؟
اصطدم بردي مصر وبربر صقلية بنجاح خصم لهما في اوج الانتشار ،
يسمى ورق سمرقند التي تَلَقَّتْ من الصين سرّ صنعه (١٥٠) . وتقهرت
الرقوق هي ايضا فيما يبدو حسب الثعالي في الحلد الادنى (١٥١) ،
لكنه يبالغ بلا شك او انه يستبق احداث المستقبل : فالمقدسي (١٥٢)
يحدثنا عن رقوق المغرب حيث يعم استعمالها ، والمسعودي عن حك
الدفائر بحجارة خفاف بيض على هيئة الشهد (١٥٣) والطرافة في
الواح يكتب عليها في تبريز (١٥٤) .

-
- (١٤٧) الرازي ، ٨٧ .
(١٤٨) ابن حوقل ، ٧٠ .
(١٤٩) ابن حوقل ، ١٦٢ .
(١٥٠) ابن حوقل ، آخر ١٢٢ - ١٢٣ ، ٤٦٥ ، وما تقدم فصل ٨ ، اشارة ٣٢
(١٥١) الثعالي ، ١٢٦ .
(١٥٢) المقدسي ٢٣٩ .
(١٥٣) المسعودي (م) ، فقرة ٩١٢ ، المسعودي (ت) ، ٨٩ .
(١٥٤) لوح : المقدسي ، آخر ٤٤٣ و م ج ع ، ج ، ٤ ، ٣٥٠ .

ويكتب الصبيان على تلك الألواح بطين ابيض (١٥٥) . ويحدثنا الجغرافيون في اماكن اخرى عن طين اسود للختم والكتابة بلا تحديد اساس ، او عن تراب اسود فقط (١٥٦) . ولديهم في مصر معادن زاج الحبر لا ترى مثله (١٥٧) . ويعمل بفارس مداد اسود لدوى الكتاب واصباغ التزاويق (١٥٨) ، فيفضل على كل مداد في الارض غير الصيني ، لأنهما جميعا من تذاكي اكبر النيران المجوسية المتقدمة ، وهو في نفسه دخانها لا غير . اما ما تبقى ، فنذكر طين الختم (١٥٩) ، وخطوط اهل الاندلس المدورة (١٦٠) والتجليد الذي يدون المقدسي وضعه في اليمن (١٦١) كمايلي : « وفي اليمن يلزقون الدروج (١٦٢) ، ويطنون الدفاتر بالنشأ . وبعث إلي امير عدن مصحفاً جلده فسألت عن الاشراس (١٦٣) بالعطارين . فلم يعرفوه ودلوني على المحتسب (١٦٤) وقالوا عساه يعرفه . فلما سألته من اين انت ، قلت من فلسطين . قال انت من بلدة الرخاء لو كان لهم اشراس لأكلوه ، عليك بالنشأ ، ويعجبهم التجليد الحسن ، ويهذلون فيه الاجرة الوافرة . وربنا كنت اعطى على المصحف دينارين » .

(١٥٥) المقدسي الاحالة ذاتها .

(١٥٦) المقدسي ، ٣٢٦ ، ٣٣٣ .

(١٥٧) المقدسي ، ٢٠٩ .

(١٥٨) ابن حوقل ، ٣٠٠ .

(١٥٩) ابن حوقل ، ٢٦٠ ، المقدسي ، ٣٢٦ .

(١٦٠) المقدسي ، ٢٣٩ .

(١٦١) المقدسي ، ١٠٠ .

(١٦٢) دروج : انظر م ج ع ، ٤ ، ٢٢٣ و دوزي ، ج ١ ، ٤٣١ .

(١٦٣) اشراس : انظر دوزي ، ج ١ ، ٢٥ .

(١٦٤) عن هذا الشخص ، انظر ما تقدم فصل ٩ ، ص ٢٠٩ .

(١٦٥) مصحف : هنا كمل من قبل ، لعل المقصود ببساطة : كتاب ، مجلد .

الفصل الرابع عشر

شبه خاتمة جغرافية لفوارق

هل جمعنا ما يكفي من الفوارق ؟ فقد ضممننا إلى العرب جميع الأمم الاخرى كالفرس والترك والبربر والاكراد والهنود او الافارقة ، وإلى آثار الماضي الأقدم ابنية التاريخ الجديد ، وإلى المسلمين ، النصراني واليهود والمجوس ، وإلى احد مذاهب الاسلام ، المذاهب الاخرى بكثرتها اللامتناهية ، وإلى المدن الارياف ، وإلى بلدان الحجازة بلدان الآجر او الطين ، وإلى الخبز الارز ، وإلى مزروعات المناطق الجافة ارياف الاودية الكبرى مثل وادي النيل والجزيرة وآسيه الوسطى ، وإلى المهارات الفذة ، العيوب التي لا تقل بروزا عنها . واقتصرت تلك البحوث على ذكر لوحات ضمن اللوحة العامة ، في مشهد دار الاسلام بمعناه الواسع ، في نهاية العام الف تقريبا . لكن بقي علينا ان نتحدث عن اللغات وعن الطبقات الاجتماعية .

الالسنه : المبادئ

يمكن استعراض الالسنه بطرق عديدة : فالفيلسوف يتساءل عن

أصلها وتنوعها ، او عن اختراع الالبجدية . وهذا ما فعله اخوان الصفا او ابن النديم او المسعودي (١) : وهذا كلام عام ، لا يدخل مباشرة في نطاق هذه الدراسة ، ما عدا ابراز المواريث . فالتفكير في اللغة او اللغات والبحث فيها جزء متمم لثقافة الرجل الشريف ، يقترن بطرح السؤال التالي صراحة احيانا وضمنا على الدوام : بماذا تثبت اللغة العربية ما حباها الله من تنوع ورد في القرآن ؟ يأتي احد الاجوبة من ابن الفقيه (٢) ، الذي يروي جدلا بين اليمينيين الذين يفخرون بانهم العرب العاربة وغيرهم متعربة وبين خصومهم الذين اجابوهم : « وكيف يكون ذلك لقوم ليست لهم السن فصيحة ، ولا لغة صحيحة ، ولا حجة نزل بها كتاب ، ولا جاءت بها سنة ؟ » .

تتفق نتائج هذه الفكرة مع خاطر آخر يرتبط بالادب ويتناول هذه المرة مضمون اللغة العربية ذاته . ويضم كتاب هذه اللغة الكبير مواضيع كثيرة تمثل كنوزها وتشمل الصرف والنحو والمعجم والشواهد الشعرية والانخبار والامثال ، وما يشبه بحوث الجغرافية من اسماء الاماكن وتخريج اشتقاقها ، على نحو ما فعل ابن الفقيه (٣) : « وانما سميت الجزيرة لأنها تقطع الفرات ودجلة وبعد تقطع البر . وانما سميت الموصل ، لأنها وصلت بين الجزيرة والشام » .

وهكذا فعل آخرون بعد ابن الفقيه ، ومنهم المقدسي عندما اقترح

(١) المسعودي (م) ، فقرة ١١٦٤ ، ١١٨٠ ، الاخوان ، ج ٣ ، ٨٤ وما يليها
ابن النديم ، ٤ - ٢١ .

(٢) ابن الفقيه ، ٤٠ .

(٣) ابن الفقيه ، ٢٦ ، المرجع ذاته ، ٢٧ ، شرح اسم الحجاز .

اشتقاقات لاسماء البصرة او دمشق او الشام (٤) . الا انه يتفوق على ابن الفقيه في كثرة معطياته . فهو يقبل جوهر ما جاء به اسلافه من افكار ، ولا يتقيد بحرفية صيغها ، اعني ان تقليد الاشتقاق اصبح متبعاً ، فصار المقدسي يعتمد عليه ويستند اليه ليجدده ، وليفتح جميع الابواب الكبرى مشرعة امام جغرافية لغوية على طريقته الخاصة : فدفع المقدسي — ومع ابن حوقل على نطاق ضيق — لم تعد اللغة موضوع جدل ، بل اسلوب مشاهدة ميدانية .

وصار لزاماً على الجغرافي بعد الآن ان يستبين اذا كانت اللغة عربية او فارسية او سواهما في جميع اراضي دار الاسلام ، وان يقوم ايضا نوعيتها ، لا على اساس مبادئ نظرية ، بل اعتماداً على شيوع استعمالها الذي يحبوها اعلى مستوى من الفهم والوضوح . ويعلن المقدسي (٥) في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم مايلي : « وسنتكلم في كل اقليم بلسانهم ، ونناظر على طريقتهم ، ونضرب من امثالهم ، لتعرف لغتهم ورسوم فقهاءهم . فان كنا في غير الاقاليم مثل هذه الابواب ، تكلمنا بلغة الشام ، لأنها اقليم الذي به نشأت ، وناظرت على طريقة القاضي ابني الحسين القزويني ، لأنه اول امام عليه درست : الا ترى إلى بلاغتنا في اقليم المشرق ، لأنهم اصح الناس عربية (٦) ،

(٤) المقدسي ، ١١٨ ، ١٥٢ ، آخر ١٥٩ - ١٦٠ .

(٥) المقدسي ، ٣٢ .

(٦) كلام غريب ، لأن الأمر يتعلق ببلدان فارسية : ويتنقل المؤلف من وجود مراكز ثقافة عربية حقيقية وحية في هذه البلدان ، الى الثناء الشامل على السلالة الساسانية . وتتفق النسختان ب و ح على هذه النقطة .

لأنهم تكلفوها تكلفا ، وتعلموها تلقئاً ، ثم إلى ركافة كلامنا في مصر والمغرب وقبحه في ناحية البطائح . لأنه لسان القوم .

وهذا الرهان رائع ، لكنه كله تبجّج . وسوف يتغلى عنه المقدسي أو يغفله . مع ذلك يبقى أثر الاهتمام بالظاهرة اللغوية ملحوظا . فأولا يشار إلى تنوع المقدرات ، الذي يدون مع توالي الوصف أو يرد في مدخل المصنف عندما يتعلق ببعض الحالات مثل أشياء المنزل وتعداد المهن واصناف السفن (٧) . وتذكر ايضا العناية بتباين اللفظ ، وتبدل الصرف أو النحو ، ليس بالنسبة إلى اللغة العربية فقط ، بل إلى الفارسية ايضا . ويتحدث المقدسي عن اللهجات المستعملة في البلدان الشرقية من الاسلام ، ويقول (٨) : « وجميعها تسمى الفارسية ، واختلافها بين ، وانعجامها (٩) مشكل . وسنبين ذلك في موضعه ... ونقربه جهدنا ، ونذكر من كلام كل قوم حروفا يستدل بها على مواضعها من سماعها في الآفاق » . وسوف نحافظ على وعده هذه المرة في أكثر من محل مثلما سوف نرى :

وهناك ناحية اخرى ايضا . فاللغة تسمح باجراء مقارنة انسانية ، لأن اواخر اسماء الاماكن تدل على خلق السكان . « فكل بلد آخره » ان ، له خاصية . قيل له بكثرة التجارب » . (١٠) ولا نظن ان هذا

(٧) المقدسي ، ٣١ - ٣٢ .

(٨) المقدسي ، آخر ٢٥٩ .

(٩) الانعجام مرتبط بعض الشيء بصفة اللغة غير العربية (عجمية) .

ولنا عودة الى هذا المقطع .

(١٠) نص وارد مع امثلة اخرى فيما تقدم ، الفصل ٦ ، ص ١٣١ .

الكلام من نواذر العلماء ، لأن المقدسي يرجع إلى هذا الموضوع (١١) في مقطع آخر ، ويقول : « فان قال قائل : ومن اين علمت ان كل بلد آخره «آن» له خاصية . قيل له ، بكثرة التجارب . وله ايضا دليل من كتاب الله تعالى . الا ترى ان المخلوق «يجوز ان يسمى رحيماً . فاذا دخلت الالف والنون . صار رحمان ، وصار خاصاً لله عز وجل . والا ترى ان كل ماء حار يسمى حميماً ، فلما تبعته الالف والنون ، صار لجهنم خاصاً (١٢) . والقطر هو النحاس ، فلما اراد الله تعالى ان يعلمنا انه عذاب على اهل جهنم ، الحق به الالف والنون : قطران » (١٣) :

اخيراً ، تحسم اللغة احياناً نقاش رسم الخريطة . فكيف تجز صيغة اسم احدى المدن ادخالها في احد اقليمين يتنازعان عليها ؟ يقول المقدسي (١٤) : « ومن الناس من جعل عبادان من هذه الكورة (الدورق) . وانما هي من العراق . فان قيل انما جعلناها من هذا

(١١) المقدسي ، ٤٦٧ ، يجب ان نفهم ان المهم في الأمثلة التالية ، انما هو القافية ان النهاية «آن» يجب أن تصحب الجذر الثلاثي الصامت ، لا اللفظ الأصلي حتماً بعد ذاته حسب شكله الأصلي .
(١٢) انظر القرآن ٥٥ / ٤٤ ، حميم ، حميماً ، يرى بعض المعلقين ان هذه النهاية الأخيرة تشير إلى أحد الأودية في جهنم . عن ورود حميم في أماكن أخرى انظر القرآن : ٦ / ٦٩ - ٧٠ ، ١٠ / ٤٢ ، ٢٠ / ١٩ ، ٣٧ ، ٦٥ / ٦٧ ، ٣٨ / ٥٧ ، ٤٠ ، ٧٣ / ٧٢ ، ٤٤ / ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ١٧ / ١٥ ، ٥٦ / ٤١ ، ٥٤ ، ٩٣ ، ٧٨ / ٢٥) .
تصحح ماء جار في طبعة دي خويه الى ماء حار .

(١٣) نحاس مرادف قطر ، ينبغي ان يؤخذ بمعنى شظايا معدن ملتهب مطروق بالمطرقة ، وصيغة التثنية قطران بمعنى القار الملتهب الذي يحيط بالهالكين : القرآن ، ١٤ ، ٥١ / ٥٠ .

(١٤) المقدسي ، آخر ٤١٢ - ٤١٣ .

الاقليم لاتفاقهم باللسان (١٥) . اما اتفاقهم في اللسان ، فليس بحجة . لأن سواد البصرة كلهم عجم . واما موافقتها هذه المدائن في آخر اساميها فإن لها نظائر في هذا الاقليم في القافية . الا ترى انك تقول عبادان ، مثل ما تقول باسيان ميراقيان البدان ؟ فالجواب : اما اتفاقهم في اللسان : فليس بحجة لأن سواد البصرة كلهم عجم (١٦) ، واما موافقتها هذه المدائن في آخر اساميها ، فان لها ايضا نظائر من مدن البصرة في هذا المعنى . مثل بدران رومان وشق عثمان (١٧) . فان قيل ما قلناه اولاً ، لأن هنا ترجيحاً ليس معكم ، وذاك أنها توافق الاقليم ايضا في هذه العلة . الا ترى انك تقول خوزستان . فالجواب يجب ان تجرى العلة في جميع المعلومات وتعم سائر النظائر ، فنقول ان سامان وسليمانان (١٨) ايضا من خوزستان فان ارتكب ذلك ، قيل له فما تشكر على قائل يقول ان عبادان من جزيرة العرب ، لأن لها نظائر فيها : وهي عمان ، نجران ، سمران فاذا لم يجزان نجعلها من الجزيرة من اجل هذه العلة ، علمت أنها لا تشبه بدليس لما قسناها على تفليس (١٩) ، لانا لم نجد باقور موضعاً على هذه القافية ، ووجدنا بالرحاب عدة من مدن وقرى .

(١٥) الفارسية

(١٦) مستتر : ومع ذلك تابع الى هذه المدينة العراقية العربية . اذن لا مانع مع عدم جواز ربط عبادان ، حتى لو كانت فارسية ، بتبعية البصرة .

(١٧) هذا الاسم عربي .

(١٨) سامان ، غير واردة في مكان آخر ، ينبغي ان تكون مثل سليمانان ، مدينة تابعة للبصرة : انظر المقدسي ، ١١٤ ، يتبع ابن حوقل سليمانان بخوزستان بسبب وقوعها على الضفة اليسرى من دجلة العراء (شط العرب) عند مصبها في البحر : ابن حوقل ، ٢٣٣ (الخريطة) . ٢٥١ (الخريطة) - ٢٥٣ .

(١٩) تجرى الحاجة على الوجه التالي : هل يجب اتباع بدليس بالرحاب (ارمينية واران واذريجان) أم باقور (الجزيرة) الجواب : القافية يس خاصة بتفليس وغيرها من مدن الرحاب عندئذ يشير ادخال بدليس في اقليم الرحاب أو اقليم اقور مشكلة (انظر المقدسي ، ٣٧٥ ، ١٤١) لأن ضمها الى اقليم اقور يجعلها المدينة الوحيدة فيه التي تنتهي بالقافية يس .

الالسة : خريطة

يحدد المقدسي انتشار لسانين كبيرين اساسيين في دار الاسلام . فيذكر من جهة أولى اللغة العربية في اقاليم العرب من المغرب إلى الجزيرة ، واللغة الفارسية (٢٠) على وجه العموم من ناحية الشرق في اقاليم العجم الثمانية . وتشير تسمية الاقاليم ، مثلما سوف نرى ، حسب كل حالة ، إلى استعمال اللغة الشاهل أو إلى استعمال اكثريّة السكان لها . فالمغرب مثلاً عربي في التصنيف السابق ، مع ذلك يخوي مراكز لغوية غير عربية ، كما هي حال البربر الذين يتكلمون لغة عربية منغلقة « ولهم لسان آخر يقارب الرومي » ، اصالة اللغة الشعبية الخليفة التي يتحدث عنها لومبار ، « ودامت مدة طويلة اذ ان آخر شخص يحكي بها توفي في منتصف القرن التاسع عشر في مدينة راغوز (٢١) . واذا ثابروا على الاتجاه إلى الشرق ، وجدنا ان مصر العربية تتميز عن مصر النصرانية التي تتكلم اللغة القبطية (٢٢) .

وتعد جزيرة العرب مهد اللغة العربية ، لكن هل يعني هذا الحدث ان استعمال اللغة العربية عام فيها ؟ تصحح عدة تعليقات هذا الانطباع

(٢٠) المقدسي ، آخر ٩ - ١٠ . انظر الفصل السادس ، «لوحة واقعية مجددة : المقدسي» . لايد من التفكير بالعبرية لغة الطوائف اليهودية (انظر في مايي ما يقوله ابن حوقل عن فارس اضافة الى شتى الالسة التي سوف نتحدث عنها)

(٢١) المقدسي ، ٢٤٣ . م . لومبار ، الاسلام في عظمته الاولى ، باريس ١٩٧١ ، الفصل الرابع . لعله تلميح (لكن غير صريح) الى الاندلس والى اللهجات الايبيرية في طور تكوينها (انظر لومبار ، المرجع ذاته) .

(٢٢) المقدسي ، ٢٠٣ .

عند الضرورة ، وتمثل تنوعا مقابلا لها . فابو زيد السيرافي يخبرنا مثلا ان لاهل بلاد الشحر « السنة بالعربية عادية قديمة ، لا يعرف اكثرها العرب » (٢٣) . يعلن المقدسي ان « جميع لغات العرب موجودة في بوادي هذه الجزيرة » ، ويذكر ان بطرف الحميري قبيلة من العرب « لا يفهم كلامهم » ، ويجزم ايضا ان صحار في عمان ، عربية ، لكن نداهم وكلامهم بالفارسية ، في حين اكثر اهل عدن وجدة فرس . الا ان لغتهم عربية (٢٤) . وينفرد الهمداني ، وهو يمني ، باعطاء اوفى التفاصيل عن السنة جزيرة العرب ، ويلح في عرضه (٢٥) على تنوع اللهجات الكبير جدا ، وعلى غلبة النجدية والحميرية (٢٦) ، ويبرز على وجه التخصيص ان انتشار اللغة العربية ، وافصحها يصل إلى اقليم الجزيرة .

ولنترك الآن جزيرة العرب . فيبدو ، والحق يقال ، ان الجغرافيين لا يثيرون جدلا حول خريطة الهمداني التي ابان فيها توزيع الالسنه خارج هذا الاقليم . ويوحى اغفالهم لها ان الامر بدهي لديهم . وينفرد المقدسي بابرار تعريب اقليم الجزيرة تعريبا شاملا في رأيه ، يجعله احسن من اقليم الشام من هذه الناحية (٢٧) ومن اقليم العراق ،

(٢٣) السيرافي ، ١٢٩ ، المقدسي ، ج ٤ : ٦٧ وما يلي حاشية ٢٦ .

(٢٤) المقدسي ، ٩٦ ، ٩٧ .

(٢٥) الهمداني ، ١٣٤ - ١٣٦ .

(٢٦) لسان عربي عربي قديم متأثر كثيرا بلغة جزيرة العرب الجنوبية : ج . و .

فوك « العربية » ، ١٣ (٢) ، ج ١ ، ٥٨٢ (١) آخرها .

(٢٧) المقدسي ، ١٤٦ . نعل في ذلك بالنسبة إلى اقليم الشام ، اشارة إلى بعض الانحاء التي تتكلم الآرامية (انظر ما يلي ما يقوله ابن حوقل عن السنة فارس ، محيلا إلى معرفة باللغة السريانية) .

الجنوبي في الحد الأدنى ، الذي بقيت أريافه فارسية حول البصرة ،
كسا ذكرنا من قبل . على تقيض ذلك ، تتنوع لوحة السن اقاليم العجم
تنوعا لا نهاية له مثلما سوف نرى .

وقد ابنا سابقا ان المقدسي الح على اختلاف اللسان المسماة فارسية ،
نسبة إلى اقليم فارس ، التي تدل على ان لهذه اللغة الاخيرة لهجات
متنوعة متفرعة عنها وشائعة بين الناس . ويتأيد هذا الرأي على الأرجح
بما جاء من الفاظ في مطلع النص ذاته (٢٨) : « وكلام هذه الاقاليم
الثمانية بالعجمية ، الا ان منها درية ، ومنها منغلقة (٢٩) ، وجميعها
تسمى الفارسية ، واختلافها بين وانعجامها مشكل » .

وفي الشمال الغربي ، تعطي ظاهرة التنوع الانطباع بان بها انعكاس
لظاهرة مماثلة غربية بائنة في جبل القبق المجاور (٣٠) . ويقال بان اهل
ارمينية واذربيجان واران يتكلمون لغتين ، هما الفارسية — التي
تقارب الخرسانية ببعض حروفها — والعربية ، يضاف اليهما الارمنية
والرانية والاذرية في الاطراف . وفي منطقة سلالان — وهو جبل
اردبيل — لاهل كل قرية لسان يتخاطبون به غير لسان الفارسية
والاذرية (٣١) .

(٢٨) المقدسي ، آخر ٢٥٩ .

(٢٩) حول هذين اللفظين انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٣ ، ٣١١ ، وما يلي ما يقال
عن الصغد .

(٣٠) انظر ابن الفقيه ، ٢٥ ، ٢٩٥ ، المقدسي ، ٣٧٥ ، وجغرافية دار الاسلام ،
ج ٢ ، ص ٢٧٠ — ٢٧١ . يبرز ابن حوقل ، ٣٤٧ ، بصراحة الانعكاس الذي اتحدث
عنه هنا .

(٣١) ابن حوقل ، ٣٤٧ ، آخر ٣٤٨ — ٣٤٩ ، المقدسي ، آخر ٣٧٨ . بقعة تتكلم
العربية بجوار دربند : المسعودي (م) ، فقرة ٤٧٦ .

ويلاحظ تنوع مماثل على ساحل بحر الخزر : فكل من بلدانه الصغيرة ، اي الجيلان، والديلم ، وطبرستان ، وجرجان ، وقومس (٣٢) ينفرد بلسانه . ويتحدث المقدسي ايضا عن تنوع اللسان على اساس وجود اللغة العربية هنا وهناك إلى جانب اللغة الفارسية (٣٣) ، لكن يبدو ان لسان السكان الفارسية ، حتى لو كان اصلهم عربيا (٣٤) . اما لسان اهل خوزستان ، فان عامتهم يتكلمون بالفارسية والعربية ، غير ان لهم لسانا آخر خوزياً ، « ليس بعبراني ولا سرياني ولا فارسي » ، على حد قول ابن حوقل (٣٥) .

وفي فارس قرأ احدهم بالفهلووية على بيت نار بارين ، وحدث ابن حوقل عن تكاليف بنائه (٣٦) . « ولهم في هذا الاقليم (٣٧) ثلاثة السنة : الفارسية التي يتكلمون بها وجميع اهل فارس يفقهونها ، وبكلم بعضهم بعضها ، الا الفاظا تختلف لا تستعجم على عامتهم ، ولسانهم الذي به كتب العجم وايامهم (٣٨) ومكاتبات المجرس فيما بينهم من الفهلووية التي تحتاج إلى تفسير حتى يعرفها الفرس ، ولسان العربية الذي به مكاتبات السلطان والمواوين وعامة الناس » : (٣٩) :

(٣٢) ابن حوقل ، آخر ٣٧٦ ، المقدسي ، ٣٦٨ .

(٣٣) المقدسي ، ٣٩٨ ، مع امثلة عن تحريف لفظ اللغة العربية .

(٣٤) ابن حوقل ، ٣٧٠ (حالة مدينة قم) .

(٣٥) اليعقوبي ، ٣٦١ ، ابن حوقل ، ٢٥٤ ، المقدسي ، ٤١٨ .

(٣٦) ابن حوقل ، آخر ٢٧٣ .

(٣٧) ابن حوقل ، ٢٨٩ . الصحيح في حدود اقليم فارس .

(٣٨) أيام ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٨٠ .

(٣٩) وأيت ، ترجمة ، ٢٨٣ ، يقول : « . . . تستعمل في وثائق الدولة وادارتها

وعند الشعب عامة » . لكن يبدو ان الشعب (عامة الناس) مضاف اليه الى (في الواقع مكاتبات) . ثم ان هذا التأويل يتناقض ما قيل من قبل عن استعمال الفارسية .

وبأشجاه الشرق ، لسان اهل كرمان الفارسية ، وهو مفهوم يقارب
الخراساني ، وربما انغلق لسان الرستاق . ولسان القفص والبلوص
غير مفهوم يشابه السندي أو إحدى اللهجات الفارسية (٤٠): ولسان اهل مكران
الفارسية والمكرانية والبلوصية (٤١). وثمة السند خلاف لغة الهند (٤٢)،
ويقول ابن حوقل والمقدسي ان كلامهم سندي وعربي ، ويفقهون
الفارسية (٤٣) .

اخيرا، تُعْطَى تفصيلات هامة عن شمالي شرقي دار الاسلام .
فبجانب نهر جيحون لهجات خراسان خمسة : السجستاني . والهروي ،
والنيسابوري ، والمروزي ، والبلخي ، وغيرها تبع لها ومشتق منها (٤٤).
وفيما وراء النهر ، لسان اهل خوارزم مفرد بلغتهم ، ولا يفهم (٤٥) ،
ويتخاطب اهل بلدي سمرقند وبخارى بالصغددي مع فارقيين ، وتنوع
اللهجات في الرساتيق إلى حد كبير ، ويستعملون الدرية الفصحى
والنبيلة ، التي يصفها المقدسي باللائفاظ التالية (٤٦) : « وانما يسمى
ما جانسها دريا ، لأنها اللسان الذي تكتب به رسائل السلطان ، وترفع

(٤٠) ابن حوقل ، ٣١٣ ، المقدسي ، ٤٧١ وما تقدم الفصل ٣ « بعض الشعوب
الآخرى » .

(٤١) ابن حوقل ، ٣٢٥ ، المقدسي ، ٤٧٨ .

(٤٢) المسعودي (م) ، فقرة ٤٢٣ .

(٤٣) ابن حوقل ، ٣٢٥ ، المقدسي ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

(٤٤) المقدسي ، آخر ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٤٥) ابن حوقل ، ٤٨١ ، المقدسي ، ٣٣٥ . عن هذه البلدان ، انظر ما تقدم الفصل
٣ الاتراك في دار الاسلام .

(٤٦) ابن حوقل ، ٤٩٠ ، (وترجمة ، ٤٧٠ ، ح ١٥٤٠) ، المقدسي ، ٣٣٥ -

٣٣٦ ، و م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٣ .

بها اليه القصص (٤٧) . واشتقاقه من الدر وهو الباب (٤٨) ، يعني
انه الكلام الذي يتكلم به على الباب » .

الالسة : الحكم عليها

اشرت من قبل إلى نشوب جدل بلدان او مدن تدعي انها تتكلم
افصح لغة عربية . ولم يتوقف الجغرافيون عن اثاره هذا النقاش ،
خاصة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، والاصح انهم
استمروا يدونونه هنا وهناك بذهنية جديدة ، لا بتكرار المسجلات
القديمة النظرية نوعا ما ، بل بالحكم على اساس ما يسمعون في الواقع
وزيد على بيان تحوير الالفاظ العربية التبدل الطارئ على الالفاظ
الفارسية ، وحيانا على اللغة عامة ، اي على طريقة نطقها ولفظها .
اذن لم يعد العرض يتناول طرح افكار ، بل تدوين وقائع حسية يمكن
التحقق منها على خريطة توزيع ايضاحية .

ولا يرد الا التزر القليل عن اقليم المغرب ، الذي يؤكد المقدسي
ان لغته عربية ، غير انها منعقدة ومخالفة لما هو سائر في الاقاليم
الاجرى (٤٩) . واللغة في القاهرة وفي اقليم مصر عامة ، عربية الا
انها ركيكة ، وكلامهم رخو مثل النساء (٥٠) . وجميع لغات العرب
موحدة في جزيرة العرب . الا ان اصحها في الداخل : لغة هذيل

(٤٧) قصص : انظر دوزي ، ج ٢ ، ٣٥٢ .

(٤٨) حرفياً الباب ، (انظر دوزي ، ج ١ ، ١٢٤) .

(٤٩) المقدسي ، ٢٤٣ ونص مذكور من قبل (انظر ح ٥) . عن متغلقه ، انظر م ج ع ،

ج ٤ ، ٣١١ .

(٥٠) المقدسي ، ٢٠٠ ، ٢٣٠ ، آخر ٢٠٥ - ٢٠٦ . انظر أيضاً الاسواني ، ٢٥٣

(عند المسلمين المستقرين جنوبي اسوان : لا أحد يتكلم اللغة العربية) .

والنجديين وبقية الحجاز ، واضعفا في الجنوب والشرق : لسان الاحقاف وحش (٥١) . اما الهمداني ، اليمني ، فيعرض التفاصيل ، بل يتوسع بها ، ويكرر تصنيف اهل الجزيرة إلى فصحاء وغم ، ويبرز تفوق فصاحة اهل المدن على فصاحة اهل الريف ، ويميز فصحاء القبائل عن رديي اللغة والاساط بينهما (٥٢) .

ويعتبر المقدسي لغة الشام نعة اقليمه الذي نشأ به ، بالتالي لغته الطبيعية التي يرجع اليها عفويا في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (٥٣) . ويذكر بدقة ان الكنية في الشام ومصر والعراق نصارى (٥٤) . ويقول عن العراق (٥٥) : « ولغاتهم مختلفة اصحها الكوفية ، لقربهم من البادية ، وبعدهم عن النبط (٥٦) . ثم هي بعد ذلك حسنة فاسدة (٥٧) بخاصة في بغداد . واما البطائح (٥٨) فنبط ، لا لسان ولا عقل » . ويكرر المقدسي وصف لغة البطائح بتعبير آخر

(٥١) ابن حوقل ، ٣٨ ، المقدسي ٩٧ .

(٥٢) الهمداني ، ١٣٤ - ١٣٦ .

(٥٣) نص مذكور من قبل (انظر ح ٥) .

(٥٤) المقدسي ، ١٨٣ (نص مذكور من قبل ، الفصل ٤ ، بآخره) .

(٥٥) المقدسي ، ١٢٨ .

(٥٦) نبط : إما ان يدل هذا اللفظ على اقوام قديمة محدودة العدد جداً آنذاك ، تشكل الآرامية (انظر ما تقدم ح ٢٧) ، أو على سكان الارياف غير البدو ، وبالتالي من يتكلمون عربية رديئة : وهذا هو الوضع هنا بالاشارة الى بطائح العراق : انظر ا . هونفمان ، م ١ ، ج ٣ ، ٨٥٧ .

(٥٧) حسنة فاسدة انظر م ج ع ، ج ٤ ، آخر ٢١٤ ، لعلها يجب ان تقرأ خشة فاسدة .

(٥٨) انظر ما تقدم حاشية ٥٦ .

ويقول ان الكلام قبيح في ناحية البطائح لأنه لسان القوم (٥٩) .
ويذكر المقدسي مبدأ معادلة اللفظ والتعبير الذهني ، والنظرية القائلة
بان افصح لسان عربي موجود في البادية ، التي تعمي الاعراف اللغوية
من احتمالات الافساد . وتبرأى الاحالة إلى البادية في تقويم لغة
الجزيرة ، فيقول « ولغتهم لغة حسنة ، اصح من لغة الشام ، لأنهم
عرب : احسنها الموصلية » (٦٠) .

وتؤلّى اقاليم العجم اهتماما متكررا مثل خريطة توزيع اللسان.
وليس لسان جبال ارمينية واذريبيجان بحسن ، وفيه تكلف (٦١) .
ولسان الاصفهانيين وحش ، وفيه مد (٦٢) . وللسان بلدان بحر الخزر
حلاوه او هو مخالف ومنغلق وفيه عجلة ، حسب المناطق . ولا يرى
في السنة الاعاجم اقرب مأخذاً من لسان اهل الري (٦٣) . وليس في
اقاليم العجم افصح من لسان خوزستان ، لكنه يوصف بالشيواني (٦٤) .
وقد قال رسول الله ابخص الكلام إلى الله الفارسية ، وكلام الشياطين
الخوزية ، وكلام اهل النار البخارية ، وكلام اهل الجنة العربية (٦٥) .
ويلاحظ تكرار نعت لسان اقليم فارس بالوحش (٦٦) ويظهر التناقض

(٥٩) المقدسي ، ٣٢ (مذكور فيما تقدم : انظر ح ٥) ، آخر ٣٤ ، ١١٩ .
حول معنى عطف ، حرفيا شرط ، انظر لسان العرب : عندما يتكلمون ، تكون عربيتهم
فاسدة وغير مفهومة .

(٦٠) المقدسي ، ١٤٦ ، مشار اليه من قبل (انظر حاشية ٢٧) .
(٦١) المقدسي ، ٣٧٤ ، آخر ٣٧٨ : لكن قارن بما ورد عند ابن حوقل ز آخر
٣٤٨ : عربية فصحي عند الأثرياء والتجار واصحاب الأطنان .
(٦٢) المقدسي ، ٣٨٩ (ح ب) ، ٣٩٨ .
(٦٣) المقدسي ، ٣٥٩ ، ٣٦٨ (بشأن منغلق ، انظر ما تقدم ح ٤٩) ، ٣٩٨ .
(٦٤) المقدسي ، ٤٠٤ (ح ١) ، ٤١٨ .
(٦٥) المقدسي ، ٤١٨ .
(٦٦) المقدسي ، ٤٢١ ، ٤٢٩ .

في وصف اللسان في اقليم كرمان (٦٧) والسند : فالفارسية فيهما
مفهومة ، الا ان كلامهم يشاكل اصوات الطيور (٦٨) .

اخيراً تتنوع اللسان ، - مثلما يتوقع لأن الاقليم شاسع - في
اقليم يسميه المقدسي المشرق اي سجستان وافغانستان وخراسان وما
وراء النهر . وقد قال قبله ابن فضلان عن لسان خوارزم انه يشبه
اصوات الزرازير او الضفادع (٦٩) . وقد قال ابن حوقل عن ابي
منصور البغوي صاحب بريد نيسايور ، انه ألكنهم بالعربية « وافصحهم
بالفارسية » (٧٠) . اما هو ، فيخص السنة المشرق بصفحتين طويلتين ،
ويضيف اليها معلومات اخرى يذكرها في وصف المناطق او المدن (٧١)

ويبدأ باعطاء فكرة عامة ، فيقول ان اللسان السجستاني يصلح
للقتال ، والنيسابوري للتقاضي ، والمروزي للوزارة ، والبلخي للرسالة ،
والهروي للكنيف . فيما عدا ذلك ، يعد ايسر الامور تصنيف اللسان
في ثلاث فئات ، تأتي في طليعتها اللسانة الحسنة : وهي لسان الشاش ،
ولسان نيسايور وان كان فيه رخاوة ولحاج . وتقابلها اللسانة الرديئة :
وهي السنة قوهستان وباميان وخوارزم وبخارى التي تحدثنا عنها من
قبل ، ولسان هراة الوحش الذي يفقمون به ويتكلمون ويتحاملون ،

(٦٧) المقدسي ، ٤٥٩ ، ٤٧١ (انطلق حول منفاق ، انظر ما تقدم ح ٤٩ و ٦٣) .

(٦٨) المقدسي ، آخر ٤٨٠ ، ٤٨٢ (و ح ٨) .

(٦٩) ابن فضلان ، ٨٢ (و ح ٢) .

(٧٠) ابن حوقل ، ٤٤١ .

(٧١) المقدسي ، ٣٣٤ - ٣٣٦ ، وايضاً ٣٤ ، ٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ (ح ٨) ،

٤١٨ .

ثم يخرجون الكلام آخر ذلك ملوثا بالكوه (٧٢) ، وكلام سجستان الذي فيه تحامل وخصومة ، يخرجونه من صدورهم ، ويجهرون فيه (٧٣) وتضم الفئة الثالثة لساني طوس ونسا ، ولسان بست ، وهو الاحسن في سجستان ، ولسان بلخ ، وهو احسن اللسان الا ان لاهلها فيه كلمات تستقبح ، ولسان مرو الذي لا بأس به وان كان فيه تحامل وطول ومد في اواخر الكلم (٧٤) .

الالسة : بعض التنوعات

لا ريب ان هذه المعطيات الثرية ، الذاتية احيانا ، تدفع عالم اللسان إلى الابتسام . مع ذلك لم يكن الاهتمام بحماس بنظرية اللغة ، او باللغة الوحيدة التي تستحق التنظير ، اي اللغة العربية ، او بالالسة المستعملة الاخرى ، عاملا سيئا جدا في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . فاللغة العربية طرحت البحث اللغوي الصحيح ، كما نفهمه ، والهمته الفارسية شيئا فشيئا : وهذا الوضع يؤيد المقدسي بلا تحفظ ، وبعض الجغرافيين الآخرين .

ونجد نبذا تتعلق بمغرب دار الاسلام ، اوحت بها كلها جزيرة العرب ، ما عدا تدويننا واحدا خاصا بالاندلس : فهنا ، على حد قول المقدسي ، منية (حرفيا ما يحلم به الانسان) تعني بستانا خارج

(٧٢) عن تحامل وفقم ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢١٩ و ٣١٧ . ملوث بالكوه : حرفيا تشوشه الغباوة (مثل شخص تفوح من نفسه رائحة الخمر) .

(٧٣) عن التحامل ، انظر الحاشية السابقة . عن لفظ خصومة ، انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٢٦ . تتفق هذه الاشارة مع ما قيل من قبل عن لسان « القتال » .

(٧٤) تحامل هنا أيضا .

المدينة ، تسريح فيه احدى الشخصيات البارزة : او البغية (٧٥) .
لننتقل اذن إلى جزيرة العرب . فالمسعودي يقول ان اهل الشجر
وغيرهم من العرب يجعلون الشين بدلا من الكاف في ضمير المخاطب
المفرد ، ويعطي مثالين على ذلك (٧٦) . ويقول ابن الفقيه (٧٧) ان
اسم العين بلغة اليمن الجحمة ، والسن الميذر ، والاذن الصنارة ،
والاصابع الشنائر ، واللحية الزب ، والذئب الكتع ، وهي اسماء
مستعارة (٧٨) . ويبرز الهمداني (٧٩) بعض الخصائص هنا وهناك :
كنزوعهم إلى امالة الالف في آخر الكلم ، وابداهم اللام بالميم في
الرجل ، وحذفهم الاحرف في مثل قولهم يابن معم في يا ابن العم وسمع
عوضا عن اسمع في صيغة الامر ، واستعمالهم المثني المرفوع في مثل
قولهم قيد بعيرك ورأيت اخواك (٨٠) . ويذكر المقدسي (٨١) .
ان اهل عدن يجعلون الجيم كافا (٨٢) فيقولون رجب ركب ولرجل

(٧٥) المقدسي ، ٢٣٥ (و ح ز) و م ج ع ، ج ٤ ، ٣٥٧ . نستغرب ملاحظة دوزي
ج ٢ ، ٦٢٠ - « المقدسي لا يعرف هذا المعنى » لا سيما انه يحيل الى م ج ع المشار اليها .

(٧٦) المسعودي (م) فقرة ٣٦٤ .

(٧٧) في الحقيقة ، في نطاق الجدل الأزلي حول « افصح اللغة العربية » : ابن الفقيه ،
٤٠ - ٤١ . انظر أيضاً الهمداني ، ٨٦ ، ١١٨ واماكن اخرى .

(٧٨) ناز « مضطربة العين » (ميذر عوضاً ميذر) للسن ، « شخص » (انظر دوزي ، ج ١ ،
٨٤٦) للاذن ، الذكر للحية ، « ماهر » أو « خسيس » للذئب . ترد بعض هذه الألفاظ في المعاجم
بالمعنى المشتق المستعمل هنا . لا تبدو لفظة شنائر استعارة .

(٧٩) الهمداني ، ١٣٤ - ١٣٥ .

(٨٠) مثلاً : قيد بعيرك ، رأيت اخواك .

(٨١) المقدسي ، ٩٦ .

(٨٢) يتردد المخطوطان (انظر الاحالة في ح يو) في اداء الجيم القوية بين الكاف
والقاف .

ركل ، ويقولون لرجليه رجليه وليديه يديه (٨٣) ، فلا يخذفون من
المثنى النون الواقعة قبل الضمير المتصل .

وفي نطاق استعمال الفارسية (٨٤) ، تبرز أولا فروق اللفظ في
استبدال الحروف الصامتة : فاهل بلدان بحر الخزر يستعملون الهاء
والحاء ، ويقزوين القاف ، واهل الري الراء ، والسغد الكاف ،
وفيه «برد» في تقدير المقدسي (٨٥) . ويذكر ايضا استعمال بعض
التعابير : فاكثروهم يقول للجيد لوك في الديلم (٨٦) ونج في اقليم
الجهال (٨٧) . وفي خوزستان ، يسمون الكباد خيمال (٨٨) ، واذا
ارادوا اسمع ، قالوا ببخش (٨٩) .

ويشار في المتن إلى قواعد الصرف او النحو او اساليب الكتابة .
ففي اقليم الجمال ، في ساوه ، يضيفون في آخر اسماء العلم ان ، ويقولون
ابو العباسان ، حسنان ، جعفران (٩٠) . ويضيف اهل همذان في آخرها

(٨٣) موضوع كقاعدة : وقس عليه « لكل مثال مشابه » على حد قول المقدسي بعد
هذين المثالين .

(٨٤) المعطيات اللاحقة مأخوذة من المقدسي ، ٣٣٤ - ٣٣٦ (و ح ا) ، ٣٦٨ ،
٣٦٩ ، ٣٩٨ ، ٤١٨ .

(٨٥) المقدسي ، آخر ٣٣٥ (و ح س) : «الحرف بين كاف وقاف» .

(٨٦) انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٣٥٠ .

(٨٧) منقول نج : المقدسي ، ٣٩٨ (و ح ي ح) .

(٨٨) كباد ، لكن ربما كباد أيضاً بتشديد الباء (اترجة ، برتقال مر : انظر

دوزي ، ج ٢ ، ٤٣٧) : انظر م ج ع ، ج ٤ ، ٢٣٢ .

(٨٩) معنى اسمع هنا «اعط» أو «سامح» ، استنادا الى معاني فعل بخشیدن الوارد هنا بصيغة
الأمر . ذكرت أمثلة أخرى عن المفردات في خراسان عند الخوارزمي (م) ، ١١٤ وما
يليه . نشير أيضاً الى الأسماء العادية الواردة في لائحة المترادفات عند المقدسي ، آخر ٣٠
وما يليها .

(٩٠) المقدسي ، ٣٩٨ (ح ي ح) ، يقترح نهاية ايان .

لا ، ويقولون احمدلا ، ومحمدلا وعيشلا . وبغيرها اهل الري ويضيفون
 كما في آخرها ، ويقولون علكا (علي) وحسكا (حسن) وحسكا
 (احمد) . وفي لسان البخاريين تكرار : فعوضا عن درهم ورجل :
 درمي ، سردى او يلك درم ويليك مرد او يلك درمي ويليك مردى ،
 يقولون يكي درمي ويكي مردى باضافة ياء إلى يلك (٩١) . ويكثر
 البخاريون قول دانستي في لغتهم الدرية (٩٢) في خلال كلامهم (٩٣)
 بلا فائدة . وفي نيسابور يكسرون اوائل الكلم ، ويزيدون الياء في
 فعل الامر مثل بيكو (عوضا عن بوجو : قل) ، وبيشو عوضا عن
 بشو (ليكن او غسل) ، ويزيدون السين بلا فائدة مثل بخردستي
 (اكلت) وبكفاستي (ضربت) وبخفتستي (نمت) (٩٤) . ويقولون
 بفرغانة بازامدم وبازشدم ، مستبدلين نهاية الفعل بميم او بلنظها على
 هذا النحو (٩٥) . ويقول اهل نيسابور براي ابن ، ويقولون بترون
 ابن ، يعني من اجل هذا (٩٦) . ويستعماون صيغتي فاتم . فاتو :

(٩١) انظر لازار ، صرف ونحو ، فقرة ٤٧ و ٧٧ .

(٩٢) درية : افظر ما ورد من قبل عن الخريطة في الأخير .

(٩٣) يمكن قراءة المقدسي ، ٣٣٥ ، س ١١ (دانستي ، اسم مفعول « معروف » ،
 او دانستني (واجب معرفته) : انظر لازار ، صرف ونحو ، فقرة ١٦٣ - ١٦٤ .
 (٩٤) على الأقل كما افهم ، فظرا لعدم شرح المؤلف .

(٩٥) المقدسي ، ٣٣٦ (ح ١) : باز - آمدم (عوضاً عن باز - امدن : بقي في
 الخلف) ، باز - شدم (ورد باز - شدم عوضاً عن باز شدن : رجع) .

(٩٦) المقدسي ، ٣٣٤ (حرفيا : « يقولون بمنااسبة حكم ، إن (برأي إن) ،
 هكذا : تفكرون اذن ، فكروا اذن (يتزون إن ، معناه من أجل هذا ، باضافة إن .
 تأملوا قليلا بالحدث تجدوا انه كثير الوقوع . ترون تبدو صيغة عربية ثابتة اضعف في
 اولها ب لكن برأي إن يمكن قراءتها برأي - إن : بسبب هذا . اعترف بشكي في تفاصيل
 التأويل .

قلت ، قالوا ، في همدان (٩٧) . اخيرا ، كثيرا ما يمزج اهل خوزستان فارسيتههم بالعربية ، وتسمع عندهم تعابير مثل اين كتاب وصالاكن (اعد قراءة ؟ هذا الكتاب) واين كار قطعاكين (اوقف هندا العمل) (٩٨) .

وتغلب احيانا عادة استعمال بعض صيغ اسماء الرجال إلى جانب ما ذكرناه سابقا من تسميات اتبعت فيها قواعد صرفية معينة . ففي جرجان يكثر استعمال « ابو صادق وابو الربيع وابو نعيم » ، وفي طبرستان « ابو حامد » ، وفي نيسابور ومرو وسرخس « ابو العباس » ، وفي قم « ابو جعفر » ، وفي اصفهان « ابو مسلم » ، وفي قزوین ، « ابو الحسين » (٩٩) . وتعد هذه التسميات من مخلفات ماض ما يزال حيا في الازهان ، اذ ان هذه الاسماء تذكر بالحركة العباسية التي انطلقت من بلدان فارس بقيادة ابي مسلم ، او بعض الرجال العظام او الشهداء من الشيعة من امثال الحسين بن علي والامام جعفر الصادق والمحدث ابي نعيم ، المتعاطفين صراحة مع انصار علي (١٠٠) .

اما اسماء الاماكن ، فتعاد إلى اصل اشتقاقها . فاصل بخارى كوه خوران ، اي الجبل المقترس (١٠١) ، ويذكر اسم خوارزم

(٩٧) انظر ديميزون ، معجم ، ج ٤ ، ١٦٩ . آخر الكلمة الاول فارسي ، والثاني عربي .

(٩٨) تعابير مبنية على صيغة الأمر كن ، من فعل كردن « عمل » . بشأن وصلا بمعنى خاط معا ، ربط انظر دوزي ، ج ٢ ، ٨١٠ - ٨١١ .

(٩٩) المقدسي ، ٢٦٨ ، (ح س ، ٣٩٨) .

(١٠٠) انظر ف . روزنتال ، ١٢ (٢) ، ج ١ ، ١٤٧ .

(١٠١) انظر جغرافية دار الاسلام ، ج ٣ ، آخر ١٦٥ - ١٦٦ .

بالغذاء والخطب (١٠٢). و اردستان ، في هضبة فارس ، ارد تدل على بياض الدقيق ومنه اشتق اسمها (١٠٣). والاهواز ، لما بناها سابور جانيين ، سمي احدهما باسم الله والآخر باسمه ، ثم جمعهما باسم واحد ، فاسمها هرمزداراوشير ، ثم طرح اسمه ، وبقي داراوشير ، ثم سميتها العرب الاهواز (١٠٩) . وجور المشؤومة تذكر بالحد ، وكان اسمها بالفارسية كور يوافق اسم القبر ، فكان اذا خرج اليها نضد الدواة ، قيل ملك بكور رفت ، يعني قد ذهب الملك إلى القبر ، فقلب اسمها إلى احسن ما يكون وسماها (فيروزاباد) ، يعني في اتم دولة (١٠٥) . اما طبرستان (١٠٦) ، فيقال انه اجتمع خلق كثير في حبوس كسرى ، فوضعهم في جبال لا ساكن فيها ، ولما كان بعد حول ، وجه اليهم رسولا يقف على خبرهم ، فسألهم ماذا تريدون ، فقالوا طبرها طبرها اي نريد فؤوسا نقطع بها الشجر ، ثم اعاد الرسول من قابل ، فسألهم عن حالهم ، فقالوا زنان زنان اي نريد نساء ، فسمي مكانهم طبرزنان اي الفؤوس والنساء ، وحوار الناس هذه الكلمة ، وقالوا طبرستان .

نظرة إلى بعض عناصر المجتمع

هل يجب الحديث عن طبقات المجتمع ؟ كلا بلا ريب على الاطلاق ، بمعنى الطبقة الحالي في عرفنا . ويمكن الكلام مثلا عن

(١٠٢) انظر ما تقدم ، الفصل ٣ ، «الأتراك في دار الاسلام» .

(١٠٣) المقدسي ، ٣٩٠ .

(١٠٤) المقدسي ، ٤٠٦ . الملك هو سابور ، المسمى هنا عمليا باسم يجمع دارا

(ملك كبير) وشير (اسد) .

(١٠٥) المقدسي ، ٤٣٢ .

(١٠٦) ابن الفقيه ٣٠١ - ٣٠٢ .

« البرجوازيات الحاكمة » في اصفهان ، مثلما فعل وايت . ويستعمل لها ابن حوقل لفظ « ارباب » ولا شيء سواه (١٠٧) . لذلك يفضل ، حسب منطوق النصوص . الحديث لا عن طبقات تتمتع بقدرة ، اقتصادية او رأس مال او طاقة عمل ، بل عن فئات اجتماعية تتحدد بشئ وظائفها . ولا تنظر هذه القضايا الا قليلا ببال الجغرافيين ، ولا تنصب الشذرات النادرة الواردة عنها في متونهم ، لا على جغرافية اجتماعية ، ولا على وعي ظاهرة الطبقات والتوترات الناشئة عنها . واذا وجدت خصومات نسبت إلى وضع سياسي او ديني (١٠٨) .

وعلى وجه الاحتمال ، وفي الحد الأدنى ، يبدو المجتمع مقسوما إلى حاكم بيده ، السلطة ، وإلى لفييف من المحكومين . ولعل هذا التقسيم وحيد . ولا يتحدث الجغرافيون عن المحكومين او يكادون . ولا يشيرون اليهم الا في تدوينات قليلة تتناول مساكنهم او حوانيتهم او ملابسهم ، او ، في الغالب ، في سياق الكلام عن حصيلة عملهم الظاهرة او المستخدمة او المتفاوض عليها ، في الحقل او في المنزل او في المحرف . اما الرقيق فلا يرى تقريبا . ولا شك ان الفلاحين ، والحرفيين الصغار من اصحاب الدكاكين مفيدون في تأمين الغذاء والمأوى والاثاث واللباس . لكن من اهتم بوصفهم فعلا ؟ فذكرهم يأتي عرضا ، ويقال عنهم ، مثلما جاء عند المقدسي ، ان بفارس منازره كثيرة ، الا ان الطيلسان النبيل يرتديه الخائلك والحجام والرساقي ، او ان جم في كرمان قصبة جلييلة طيبة لولا ان عامتها حاككة (١٠٩) .

(١٠٧) ابن حوقل ، ٣٦٧ ، ترجمة ٣٥٩ .

(١٠٨) انظر مثلا ابن حوقل ، آخر ١٥٧ - ١٥٨ ، ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(١٠٩) المقدسي ، ٤٤١ (ح ١) ، ٤٦٥ .

فالمديح خاص بالعظماء ، كذلك الاهتمام والوصف ، كالمثقفين الذين يفتخر بهم المقدسي وبالانتماء اليهم بشيء من المغالاة ، ويقول : وخزانة الكتب في شيراز لا يدخلها الا وجيه . وطف في هذه الدار كلها سفلهاء وعلوها (١١٠) . ولا يدخل في عداد هؤلاء المفكرين الكبار ، المعلمون ، وهم من ارث الناس واغشهم واشدهم ضررا ، كما يؤكد ابن حوقل بحق في حديثه عن صفلية (١١١) . ويخص بالاكرام العلماء المشهورين ، النافذة كلمتهم ، الذين تتناسب سلطتهم الاجتماعية والاخلاقية مع علمهم . ويبرز المقدسي هذا الفارق ويقول : « وكما يرفع بالمشرق العلماء ، ها هنا ترفع الكتب » (١١٢) .

فماذا يقول الجغرافيون عن صاحب السلطة الحقيقية على رأس الدولة ؟ لا ريب انه لا ينجو من طعنهم اذا لم يجدوه كاملا ، او اعتبروه ظلما جدا . وقد تكلمنا عن تجريج ابن حوقل للحمدايين (١١٣) الا ان هذه الحالات الاستثنائية لا تحول دون الثناء على الملوك والامراء والموظفين الكبار كلما اتىحت الفرصة . والدليل على ذلك بيوتات يتوارثون فيما بينهم اعمال الدواوين في فارس (١١٩) ، واشراف العجم في خراسان او اصبهان (١١٥) ، وارباب الضياع فسي اذربيجان (١١٦) .

-
- (١١٠) المقدسي ، ٤٤٩ (انظر ما تقدم الفصل ١٠ ، ص ٢٤٩ آخرها - ٢٥٠)
(١١١) ابن حوقل ، ١٢٦ وما يليها .
(١١٢) المقدسي ، ٤٤٠ .
(١١٣) انظر ما تقدم ، الفصل ١ ، آخره .
(١١٤) ابن حوقل ، آخر ٢٩٢ وما يليها .
(١١٥) اليعقوبي ، ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ابن رسته ، ١٥٣ .
(١١٦) ابن حوقل ، ٣٤٧ - ٣٤٨ .

ولا ننسى التجارة ، نعني تجارة الجملة ، التي تلح الاعراف على ضرورتها وتنبئ على فضائلها . فيها تكثر الحاجات ، وتشهد المصم . ونشير إلى مياسير تجار سيراو ومنازلهم الفخمة (١١٧) ، وإلى التجار الذين يركبون احمره مصريه وبغالا في المغرب وفلسطين (١١٨) . في الختام، نذكر الثناء وبلا تخصيص على صغار اشراف العجم من زعماء الرساتيق ، الذين يمتلكون اراضي موروثة - تقتصص اصلا احيانا على بضع قطع من الارض ويمارسون السلطة المحلية قبل استيلاء الضرائب . وقد كانت جميع هذه الاوضاع سائدة في عهد الساسانيين ، وابتقتها دار الاسلام (١١٩) . ويسمي الجغرافيون (١٢٠) الواحد منهم دهقاناً وتاناً (١٢١) ، ويصفونه وهو مقيم في ارضه في العراق الشرقي وفارس وما وراء النهر واذربيجان ، ومرتبطة بها ، يديرها من منزله فيها او من حصن في المدينة الصغيرة المجاورة ، ويحرص على امتيازات ،

(١١٧) انظر ما تقدم الفصل ٩ ، ص ٢٠٩ ، ٢٢٢ ، والفصل ١٣ ، ص ٣١٩ .

(١١٨) المقدسي ، ١٨٣ ، ٢٣٩ .

(١١٩) حول التعريف بهذه الشخصية ومنصبها ، انظر ا . ك . س . لمبتون ، دهقان ،

١٢ (٢) ، ج ٢ ، ٢٦١ .

(١٢٠) اليعقوبي ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ - ٢٨٠ (اشراف العجم) ، ٢٩٣ ، ٣٢١ -

٣٢٢ ، ابن الفقيه ، ١٩١ ، ٢٤٤ ، ٣١٦ ، المسعودي (م) ، فقرة ٦٦٢ ، ابن

حوقل ، آخر ٢٨٩ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٧٣ ، آخر ٤٩٩ - ٥٠٠ المقدسي ، آخر ٢٨٥

٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣٣٦ (ح يد) ، ٤٣٠ ، ابن حوقل ، ١٩٦ يستعمل أيضاً تأنيء للدلالة

على ارباب الضياع في الامبراطورية البيزنطية .

(١٢١) حول هذه الكلمة (وتانية) انظر م ج ع ، ج ٤ ، ١٩٨ .

ويدخل في نزاع مع جيرانه (١٢٢) ، فيكاد يكون اقطاعياً على حد تعبيرنا (١٢٣) .

* * *

كيف نختم دراستنا ؟ لابد ان نبني نقاشنا على اساس وحدتها وواجه تباينها ، على غرار ما فعل آخرون قبلنا . ففي الجزء الاول منها ، حاولنا ان نبين تعدد المراجع التي استقت منها الجغرافية العربية الناشئة ، وتنوع فروعها بعدما وصلت إلى طور النضج . لكننا ابنا في الوقت ذاته تماسكها الكبير في صميم الادب الذي اندرجت فيه جميع اعمالها على مدى زمن طويل شمل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، عندما عبر الجغرافيون الاقليميون ، الاختصاصيون في وصف مملكة الاسلام عن رغبة مزدوجة تمثلت في تصنيف مؤلفات طريفة لم تعرف من قبل ، وفي استعمال جميع الوسائل ، بما فيها اساليب الكتابة ، لكي تتمتع هذه المؤلفات بالنفوذ في ذلك الادب وتحظى باقراره .

واستعرض الجزء الثاني الشعوب الغربية عن دار الاسلام . وظهر التنوع هذه المرة في الخارج ، حسب تسليط الانوار على عوالم مختلفة : كالصين والهند وآسية التركية وافريقية السوداء وبيزنطة واوربة الطفلة . وقد بدت وحدة دار الاسلام قوية حيال هذه العوالم . ولم

(١٢٢) يستخلص من المقدسي ، ٣٣٦ (ح يو) : وجود عصبية بين الدهاقين .

(١٢٣) يستعمل لمبتون (ما تقدم ح ١١٩) هذا اللفظ مع ذلك يجدر بنا ان نلاحظ ان الاقطاع في دار الاسلام لم يكن له الاتساع والتجانس والوضع المعروف في الغرب ، مع اناة معمة في الاقطاع وسلطات اقطاعية كاملة في التشريع والبدالة والمالية والجيش .

يؤد عرض الحضارات الاخرى التي اثني على مزاياها - او حسدت عليها احيانا - إلى الغض من فضل دار الاسلام الكبير او انقاصه . ،
نعني دينها الذي يصونها من جميع الانحرافات الملحوظة عند عبور الحدود ، مما دفع إلى القول بوجود شرح تام وانتقال إلى عالم مختلف :
فدار الاسلام ، بمعناها الصريح ، لا ارباض لها .

ويبحث الجزء الثالث في الوسط الطبيعي في دار الاسلام . وتبدو قضية الوحدة والتنوع فيه خارجة عن موضوعه . مع ذلك ... لم يخل النمو والازدهار ، في البساتين مثلا ، دون تعارف البشر الختمي واجتماعهم حول بعض الشعارات ، بل حول رمزين هما الحمل والنخل اللذين اعتبر الاول حيوان العرب والثاني شجرة العرب .
ونذكر عرضا ان استعادة الاندلس من العرب ترافقت مع القضاء عليهما في اقصى مغرب دار الاسلام . فهل تم ذلك بدافع الثأر الخافق ؟ (١٢٩) .

اما الجزء الرابع ، فقد بدأنا فصاه الاخير بكلمة ذكرنا فيها العديد من وجوه الرجال والنساء في دار الاسلام . فهل نقف عند هذا الحد ؟ ام نبرز كل ما يجمعهم ؟ فالجغرافيون كما قلنا ، اناس من الطبقة المتوسطة ، يؤمنون باسلام متوسط ، يرفض التطرف من حيث يأتي . من اجل المصلحة والخلاص العامين . ويتمثل التماسك عندهم

(١٢٤) تمد حقول النخيل (وليس الأشجار افراديا) الشهيرة في الش، العائدة اصلا الى عهد الفينيقيين ، حالة شاذة : « وهي الوحيدة التي تستحق هذا الاسم في شبه جزيرة ايبيرية » (ا . ليفي بروفنسال ، تاريخ الأندلس المسلمة ، باريس - لندن ، ٣ مجلدات ، ١٩٥٠ و ١٩٦٧ ، المجلد ٣ ص ٢٨٤ و ح ١ مع ما لمراجع) .

في لزوم قبول المدارس والالتفات والاضاع الاجتماعية والالسن ،
كما هي ، لا كحالات تصدع . وتزن دار الاسلام ، اذا اصبحت
تلك الظاهرات خطرة . على هذا النحو ، ينبغي فهم تأنيب ابن حوقل ،
الذي هاله توسع الروم في بلاد الشام الشمالية ، ولا يجوز اعتباره ذما
موجها إلى هذا الشخص او ذاك ، الذي يسمى بسهولة كبش الفداء .
وهذا التماسك جماعي في هذه الحال : فدار الاسلام مسؤولة كلها ،
وسوف تزول كلها او تنقذ نفسها كاملة .

وبدا تاريخ جديد بعد العام الف . نعي تاريخ توسعات اخرى ،
لكن تسيطر عليها شعوب اخرى ، على رأسها الاثراك . وتاريخ
اختلاجات اخرى ايضا ، اخطرها زوال الخلافة تحت ضربات المغول
سنة ١٢٥٨ ، وتبدل الخريطة تماما ، وتغيير المعارف . وقد آلت دار
الاسلام إلى الزوال ككيان سياسي موحد فعلا او رمزيا . وسوف
تظهر آداب اخرى وجغرافيون آخرون (١٢٥) يعبرون عن تنوعات
اخرى وعن وحدة اخرى ايضا تراءت في الحقيقة قبل العام الف ،
وسوف تختل دار الاسلام باجمعها بعد الآن : فالخياة المشتركة ،
والخياة اليومية ، وطريقة مواجهة المكان والزمان ، وعلاقة الانسان
بالله والمعرفة ، باختصار كل هذه الامور تتكون منها وتتميز بها حضارة
دار الاسلام حتى نبي ايماننا .

(١٢٥) انظر ا . . . ميكيل ، « الجغرافية العربية بعد العام الف »

Popoli e paesi nella cultura altomedievale, Settimane di Studio
del Centro italiano di studi su' alto medioevo,

سبوليتو ، ٢٩ روماني (٢٣ - ٢٩ نيسان ١٩٨١) ، ص ١٥٣ - ١٧٤ .

المصادر والمراجع

- لا تذكر هنا إلا أسماء المؤلفين ، التي لم ترد في مصادر المجلدات السابقة الأول والثاني والثالث بأقسامها . مع ذلك نكرر ثبت المؤلفين بالرموز .
- اشتور (١) ، تاريخ الأسماء والمرتببات في الشرق في القرون الوسطى ، باريس ، ١٩٦٩
- الياد (م .) ، مظاهر الاسطورة ، باريس ، ١٩٦٣
- اورنفس (او .) ، الدار الشرقية ، عمارة الشرق الأدنى من البدء حتى منتصف الألف الرابع ، باريس ٣ مجلدات ، ١٩٨١
- ايش (ى) ، الخرائط العربية للكتب ، العامة ونصف العامة ، في بلاد ما بين النهرين (الجزيرة) والشام ، ومصر في القرون الوسطى ، دمشق ، ١٩٦٧
- بروديل (ف.) ، الحضارة المادية ، والاقتصاد والرأسمالية ، من القرون ١٥ إلى القرن ١٧ ، م ١ ، بنيات التصرف اليومي : الممكن والمستحيل ، باريس ، ١٩٧٩
- بروديل (ف.) ، هوية فرنسة ، م ١ ، الحيز الأرضي ، التاريخ ، باريس ، ١٩٨٦
- بولينياك (ف . دى) ، « الأسكندرية : عين العالم وحلود المجهول » ، منوعات المدرسة الفرنسية في رومة ، القرون الوسطى — العصور الحديثة ، ٩٦ روماني (١) ، ١٩٨٤ ، ص ٤٢٥ - ٤٣٩
- بولينياك (ف . دى) ، « ذو القرنين ، بصورة الاسكندر ، من الرمزية الاغريقية إلى علامات يوم الدين في الاسلام ، المرجع ذاته ، ص ٢٩ - ٥١
- بيلا (ش .) ، خمسة تقاويم مصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦
- بيلا (ش .) ، « اللغة والأدب العربيان » الطبعة الثانية . ، باريس ، ١٩٧٠
- تارديو (م .) ، « الصابئة في القرآن وصابئة حراة » ، المجلة الاسيوية ، ٢٧٤ روماني ، (١ - ٢) ، ١٩٨٦ ، ص ١ - ٤٤
- جايت (ه .) ، الكوفة ، نشوء مدينة اسلامية ، باريس ، ١٩٨٦

- جل (م) ، « التجار الراذانيون وارض راذان ، » مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الشرق ، ١٧ روماني (٣) و « ايلول ١٩٧٤ ، ص ٢٩٩ - ٣٢٨
- حوراني (ج. ف.) ، الملاحة العربية في المحيط الهندي في القرون الوسطى القديمة والأولى برنستاون ، ١٩٥١
- دوزي (ر .) المعجم المفصل لأسماء الثياب عند العرب ، امستردام ، ١٨٤٥
- ريغ (د .) ، معجم عربي فرنسي ، فرنسي عربي ، باريس ، ١٩٨٥
- ريمون (ا .) ، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثالث عشر ، دمشق ، مجلدان ، ١٩٧٤
- ريمون (ا .) ، المدن العربية الكبرى في العهد العثماني ، باريس ، ١٩٨٥
- سامي (ا. ي. سلفسترد) ، رحلة مصر لعبد اللطيف ، باريس ، ١٨١٠
- سورديل (د .) ، الاسلام في القرون الوسطى ، باريس ، ١٩٧٩
- سورديل (د . و. ج.) ، حضارة الاسلام الكلاسيكي ، باريس ، ١٩٦٨
- سوفاجيه (ج.) ، حلب ، دراسة طور مدينة كبيرة سورية من البدء إلى منتصف القرن ١٩ ، باريس ، ١٩٤١
- شلميتا (ب .) ، سيد زوكو في اسبانية ، مدريد ، ١٩٧٣
- عزيزي (محسن) ، السيطرة العربية وانتعاش الشعور القومي في فارس في القرنين ٢ ، ٣ ، باريس ، ١٩٣٨
- غوسين (ج. س.) ، « ابن حوقل والمشرق والمغرب » ، مجلة المغرب الاسلامي والبحر المتوسط ، ٣٥ روماني (١) ، ١٩٨٣ ، ص ٧٧ - ١٩١
- غيلد ميستر (ج .) - -
- «Beiträge zur Palästina kunde aus arabischen Quellen»,
Zeitschrift des deutschen Palästina - Veriens,
- ٧ روماني ، ١٨٨٤ ، ص ١٤٣ - ١٧٢ ، و ٢١٥ - ٢٢٦
- كريستنسن (ا .) ، فارس في عهد الساسانيين ، كوبنهاغن - باريس ، ١٩٣٦
- كوريو (ج.) ، اطلس العالم العربي الاسلامي في الحقبة الكلاسيكية ، القرن ٩ - ١٠ ، لايدن ، ١٩٨٣ - ١٩٨٥
- لازار (ج.) ، صرف ونحو اللغة الفارسية المعاصرة ، باريس ، ١٩٥٧

- لاووست (هـ .) ، الا نشقات في الاسلام ، الطبعة الثانية ، باريس ، ١٩٧٧
- لومبار (م.) ، المعادن في العالم القديم من القرن ٥ إلى القرن ١١ ، باريس ، ١٩٧٤
- ليسكوير (ر .) ، « مزار أهل الكهف في الأردن » ، مجلة الدراسات الاسلامية ، ٣٦ روماني (١) ، ١٩٦٨ ، ص ٣ - ٩
- ليفى ستروس (لك .) الفكر البدائي ، باريس ، ١٩٦٢
- ليفى ستروس (لك .) ، « المدارات الحزينة » ، باريس ، ١٩٥٥
- ليفى ستروس (لك .) « النيه والمطهر » ، باريس ، ١٩٦٤
- متنوعات ، تكريما لقرنان يروديل ، باريس ، مجلدان ، ١٩٧٣
- المغربي (س .) رحالة المغرب المسلم من القرن ١٢ إلى القرن ١٤ ، باريس (اطروحة ، جامعة باريس ٣) ، ١٩٨٦ (لم نطلع عليها إلا بعد انجاز الكتابة)
- ميكيل (ا .) ، الامبراطورية العربية الاسلامية (القرن ٧ - ١٣) في « مفهوم الامبراطورية (باشراف م . دوفيرجييه) » بار ١٩٨٠
- ميكيل (ا .) جغرافية دار الاسلام البشرية . . . باريس - لاهي ، م ١ ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣ ، م ٢ ، ١٩٧٥ ، م ٣ ، ١٩٨٨
- ميكيل (ا .) ، « الجغرافية العربية بعد العام الف » (ايطالي) سبوليتو ، ٢٩ روماني (٢٣ - ٢٩ نيسان ١٩٨١ ص ١٥٣ - ١٧٤)
- النويري ، نهاية الأرب ، مختارات مترجمة ومعلق عليها لم . اسبيرونية ، «النويري: اعياد الاسلام ، والقرس والنصارى واليهود » مجلة ارايكا ، ٢٢ روماني (١) ، اذار ١٩٨٥ ، ص ٨٠ - ١٠١
- هويرت (د .) ، « تفسيرات النسيج : تجهيز في المدينة » ، مجلة الدراسات الشرقية ، ٢٦ روماني ، ١٩٨٤ ، ص ١٣٧ - ١٣٥

* * *

ثبت المؤلفين ومصنفاتهم (بالرموز)

نكرر هنا ثبت الجزء السابق مع بعض الإضافات لتيسير الرجوع إليه

اسم المؤلف	اسم المصنف	الرمز
ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي الاصطخري أبو اسحاق	كتاب المسالك والممالك	اصط
ابراهيم بن وصيف شاه	مختصر المعانيب	و ص
ابراهيم بن يعقوب الاسرائيلي	رحلة إلى أورية الغربية	ابرا (ا)
الطرطوشي	رحلة إلى الصقالية (١)	ابرا(ص)
احمد بن اسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب	كتاب البلدان	يعق
ابن واضح اليعقوبي ، أبو العباس		
أحمد بن عمر ابن رسته ، أبو علي	كتاب الأعلام النفيسة	رست
أحمد بن فضال بن العباس بن الراشد	رسالة	فض
بن حماد		
أحمد بن محمد بن اسحاق بن ابراهيم الهمداني،	كتاب البلدان	فقي
أبي الفقيه		
أحمد بن محمد الرازي ، أبو بكر	صفة الأندلس	راز
اخوان الصفاء وخلا ن الوفاء	رسائل	اخ
اسحق بن الحسين	كتاب آكام المرجان	اسح

(١) لا سباب تتعلق بتفسير المراجعة ، سوف نشير ، بعد الاشارة إلى طبعة كوالسكي ، إلى طبعة الحجوي .

تميم بن بخر المطوعي	رحلة في بلاد خاقان التغزغر (١)	م
الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود من بني همدان ، أبو محمد ، ابن الحائك أو ابن ذي الدمينه	صفة جزيرة العرب	هم
الحسن بن أحمد (محمد) المهلي	مقاطع من أبي الفداء	مه (ف)
	مقاطع من صلاح المنجد	مه (م)
	مقاطع من ياقوت	مه (ي)
صهر آب (ابن سواييون) مع احالات إلى طبعة فون من بك	كتاب عجائب الاقاليم السبعة	سر
عبدالله بن أحمد بن سليم الأسواني ، أبو محمد	كتاب أخبار النوبة	اسو
عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، أبو المتصور الثعالبي	لطائف المعارف	ثعا
عبيد الله بن أحمد بن خر داذبه ، أبو القاسم	كتاب المسالك والممالك	خر
علي بن الحسين بن علي المسعودي أبو الحسن	مروج الذهب	مس (م)
	التنبيه والاشراف	مس (ت)
علي بن محمد الشافعي ، أبو الحسن	كتاب الديارات	شاف
عمر و بن بخر بن محبوب ، الكتاني بالولاء ،	كتاب الامصار وعجائب البلدان	جا (أ)
أبو عثمان ، الشهير بالحافظ	كتاب الحيوان	جا (ج)
	كتاب التبصر بالتجارة	جا (ت)
قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد ، البغدادي ، أبو الفرج	كتاب الخراج وصناعة الكتابة	قد
ماشاء الله بن سارية	كتاب الاسعار	ماشر
محمد بن أحمد بن أبي البناء الشامي المقدسي البشار شس الدين ، أبو عبد الله	أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم	مقت

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

محمد بن أحمد بن يوسف ، أبو عبد الله ، الكاتب البلخي الخوارزمي	مفتاح العلوم	خو(م)
محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق ، أبو الفرج بن أبي يعقوب ، ابن النديم	الفهرست	ند
محمد بن حوقل البغدادي الموصل	كتاب صورة الأرض	حو
محمد بن موسى الخوارزمي ، أبو عبد الله	صور الأرض	خو(ص)
محمد بن يزيد السيرافي ، أبو زيد	ملحق أخبار الصين والهند	سيرا
محمد بن يوسف الوراق ، أبو عبد الله	كتاب المسالك والممالك	ور
محمد بن يسهل الخزرجي البنبوي ، أبو دلف	ترجمة تجزئة للبكري لف ، موفتيل ذكر في جغرافية دار الاسلام البشرية ٢ قسم أول ، ص ٢٨	ور(م)
مطهر بن طاهر المقدسي	الطريق إلى آسية	س(ا)
نورون	الرسالة الثانية	مس(ب)
يحيى بن الحكم البكري الجبلي ، المعروف بالغزال	كتاب البدء والتاريخ	مقب
يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي	قصص حاتمهم	مغ
مجهول	رحلة إلى القسطنطينية	غز(ق)
مجهول	رحلة إلى بلاد النورمان	غز(ن)
مجهول	رسائل فلسفية	كن(الر)
مجهول	أخبار الصين والهند	اخب
مجهول	تقويم قرطبة	تق
مجهول	حدود العالم	حد
مجهول	عجائب الهند	عج

* * *

الفهارس

أولاً - فهرس أعلام الأماكن والمياه بأنواعها

ثانياً - فهرس أعلام الرجال والنساء والأمم والأقبائل والسلالات ونحوها

ثالثاً - فهرس المصطلحات التقنية

رابعاً - فهرس الأشكال

فهارس مواد الأجزاء الثلاثة السابقة

فهرس مواد القسم ٢ (إتمة) - ٣

أولاً - فهرس أعلام الأماكن والمياه بأنواعها

استرا انظر نيسابور	الآس (قرية) ٣٧٤
الاسكندرية ٣٤٣ ، ٣٥٩ ، ٥١٨ ،	آسية التركية ٥٨٧
٥٣٨ ، ٥٢١	آسية الوسطى ٤٥٤ ، ٥٦٣
اسوان ٥٧٤ (٥٠)	آكان ٣٦١
اصبهان ٣٤٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ،	آمد ٣٧٣
٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٢ ، ٤٢٥ ، ٤٦٣ ،	آموداريا انظر جيحون
٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٩ ، ٤٩٥ ، ٤٩٨ ،	اباذ (قرية) ٥٢١
٥١٣ ، ٥٢١ ، ٥٤١ ، ٥٨٥ ،	ابر رياح حمص ٥٢١
اصبهان المدينة ٣٧١ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ،	الابيض (= جامع الرملة) ٤١٧
اصطخر (برسيبوليس) ٣٧٤ ، ٤١٥ ،	ابيورد ٥٠١
اصفهان ٥٨٢ ، ٥٨٤	الاحقاف ٥٧٥
افراوة ٤٠٦	اذرييجان ٣٥٧ ، ٣٩٠ ، ٤٤٨ ، ٤٥١ ،
افريقية السوداء ٥٨٧	٤٦١ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٥٣٠ ،
افريقية الشرقية ٤٤٠	٥٣١ ، ٥٣٤ ، ٥٤١ ، ٥٤٤ ، ٥٧١ ،
افغانستان ٣٤٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ ، ٤٧٦ ،	٥٧٦ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ،
٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٧٧ ،	اران ٣٤٦ ، ٣٥٧ ، ٥٧١ ،
اقليم المعجم ٤٩٧ ، ٥٠٧ ، ٥٦٩ ،	ارجان ٤٠٦
٥٧١ ، ٥٧٦ ،	اردبيل ٣٤٦ ، ٣٥٧ ، ٣٩٠ ، ٥٣٠ ،
اقليم العرب ٥٦٩	٥٤٤
الاقليم العربية ٤٦٠	اردستان ٥٨٣
اقليم اقور ٣٤٦	ارلك ٣٦١
اقليم الجبال ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٤٦٣ ، ٤٨٠ ،	ارمينية ٣٤٦ ، ٣٥٧ ، ٤١١ ، ٤٤٥ ،
٥١٥ ، ٥٤٤ ، ٥٤٤ ، ٥٥١ ، ٥٥٧ ، ٥٨٠ ،	٤٤٨ ، ٤٦١ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٨ ،
اقليم الجزيرة ٥٧٠	٥٥١
اقليم جزيرة العرب ٣٤٥ ، ٤٥٨ ،	اريجا ٤١٥
اقليم خراسان ٤٦٨ ، ٤٣١ ، ٤٥٢ ،	اسبريس ٣٦١
٤٨٣	اسيجاب ٤٠٦

الباب الجديد ٣٦٠ ، ٣٦٢	اقليم خوزستان ٣٤٥
باب الخواريين ٤٠٤	اقليم الديلم ٣٤٥
باب دخان ٣٦١	اقليم الرحاب ٣٤٦
باب الرهانة ٤٠٣ - ٤٠٤	اقليم السند ٣٤٦
باب روثكران ٣٦١	اقليم الشام ٣٤٦ ، ٤٦٠ ، ٤٨١ ، ٥٢٣ ، ٥٣٠
باب شاراو ٣٦١	اقليم العراق ٣٤٦ ، ٥٧٠
باب شعيب ٣٦١	اقليم فارس ٣٤٦ ، ٤٦٤ ، ٥٧١ ، ٥٧٦
باب شيرك ٣٦١	اقليم كرمان ٣٤٦
باب الصباغين ٤٠٤	اقليم ما وراء النهر ٤٧٥ ، ٤٠١
باب الصرافين ٤٠٣	اقليم المشرق ٣٤٦ ، ٤٦٨ ، ٥٦٥
باب الطعام ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٨٩	اقليم المغرب ٣٤٥ ، ٥٧٤
الباب العتيق ٣٦٠ ، ٣٦١	اقليم مصر ٣٤٥ ، ٥٧٤
باب غنجرة ٣٦١	اقور ٤٧٦ ، ٥٥٣ ، ٥٦٨
باب فارس ٣٦١	امج ٤٠٠ (٧٧)
باب الفضوليين ٤٠٤	امريكة ٥٥٣
باب كركويه ٣٦٠ ، ٣٦١	الانبار ٣٧٩
باب الكعبة ٤١٤	الاندلس ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٩٥ ، ٤٥٥
باب مينا ٣٦٠ ، ٣٦٢	٤٧٤ ، ٥٠٨ ، ٥٣٤ ، ٥٣٨ ، ٥٤٩
باب نوجويك ٣٦١	٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٧٨ ، ٥٨٨
باب نيشك ٣٦٠ ، ٣٦١	انطاكية ٥١٤ ، ٥١٨ ، ٥٢١
البادية ٥٧٥ ، ٥٧٦	الاهواز ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٩٥ ، ٤١٠ ، ٤٣٩
باراب ٤٥٠	اوربة ٥٥٣ ، ٥٨٧
البارجي (قرنة) ٥١٥	اوربة الشرقية ٣٤٥
بارستان ٣٥٩	ايرانشهر ٣٦٦
بارين ٥٧٢	ايليا ٤٩٧ ، ٥٢٤
باسيان ٥٦٨	باب آكان ٣٦١
بالرمو ، بلرمو ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٤٠٢ ، ٤٤٥	باب ارجان ٥٤٩
٤٤٥ ، ٤٥١ ، ٥٣٤	باب اسبريس ٣٦١
بال الريف ٣٦٧	باب البادية ٣٤٩
بال المدينة ٣٦٧	باب بارستان ٣٦١
باميان ٥٧٧	باب الجامع ٤٠٦
بافياس ٣٦٠	
بثر زمزم ٤١٤	

٥٧١ ، ٥٦٨	بِم (جبال) ٥٥٠
البطائح ٥٧٥ ، ٥٧٦	البجة ٥٥٣ (١١٨)
بطائح العراق ٥٤٣	بحار الشرق ٣٧٦ ، ٣٨٣
يطائح العراق الكبرى ٤٤٩	بحار الغرب ٣٨٣
بعلبك ٥٢٣	بحر آرال ٣٤٥
بغداد ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٦٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩١ ، ٤٣٩ ، ٣٥٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٥ ، ٥٤٨ ، ٥٦٥	بحر الخزر ٣٤٤ ، ٣٧٣ ، ٤٥٠ ، ٤٦٢ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٤٩٨ ، ٥٠٦ ، ٥٤٨ ، ٥٥٢ ، ٥٧٢ ، ٥٧٦ ، ٥٨٠
بغداد الثالثة ٣٨٦	بحر قروين ٣٩٧ ، ٤٤٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥١
بغداد الثانية ٣٤٤ ، ٣٨٦	بحر القلزم ٣٩٢
بلاد الأندلس ٤٥٤	البحر الميت ٥٣٣ ، ٥٥٢
بلاد بلخ انظر بلخ	بحيرات سجستان ٤٧٩
بلاد تونس انظر تونس	بحيرات فارس ٤٧٩
بلاد الزنج ٣٤٥ ، ٤٤٠	بحيرة الحولة ٤٧٩ - ٥٤٥
بلاد السغد ٣٤٥	بحيرة طبرية ٤٧٩
بلاد سيحون ٤٠٦	البحيرة المقلوبة ٤٥٩
بلاد الشام الشمالية ٥٨٩	البحيرة المتسعة ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٩١
بلاد ما بين النهرين ٥٢٨	البحرين ٤٤٠ (١٨)
بلاد المسلمين ٤٥٨	بحارى ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٣٧ ، ٤٦٩ ، ٤٨١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٧
بلاد المغرب ٤٤٤	بدران ٥٦٨
بلاد النوبة ٣٥٣ (١١٨)	بدليس ٥٦٨
بلاد نيسابور ٣٩٦	البدان ٥٦٨
بلييس ٥٣٤ ، ٥٢٤	البرتقال ٥٥٩
بلخ ٣٤٦ ، ٣٨٠ ، ٣٩٦ ، ٤٦٩ ، ٥٣٣ ، ٥٧٨	برذعة ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٧
بلدان جيحون الأعلى ٥٤٦	برقة ٤٤٩
البلدان التركية ٥٦٦ ، ٤٨٣	بست ٣٦٠ ، ٥٧٨
البلدان العربية ٣٤٤	البصرة ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٤٣٨ ، ٥٤٤ ، ٥٦٥
البلدان الفارسية ٣٤٤	
بلدان الفرس ٤٨٨	
البلدان الكردية ٣٤٤	
بلد الأردن ٤٤٩	

جامع القيروان ٤٢٠ ، ٤٢١	البلقاء ٥٢٣
جامع ماردين ٥٥٦	بم ٤٠١
جامع المدينة ٤١٩	بمبكث ٣٤٦ ، ٣٦٨
جامع اليهودية ٥٤١	بنزرت ٤٥٥
الجبيل ٤٤١	بنكث ٣٤٦ ، ٥٤٥
جبال ارمينية ٥٤١ ، ٥٧٦	بونة ٣٨٩ ، ٣٩٠
جبال اليم انظر بيم	بيار ٣٥٥ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٨٢
جبال كرمات ٥٥٤	بيت جبريل ٤٥٩
جبال المنتجة ٥٥٥	بيت المقدس ٣٣٦ ، ٤٠٢ ، ٤١٤ ،
جبل اردبيل ٥٧١	٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٥٩ ، ٤٩٢ ،
جبل ٤٠٠ (٧٧)	٥١٤ ، ٥١٥
جبل الجولان ٤٧٥	بيجا البرتغال ٥٥٩
جبل جور ٥٣٤	بيروت ٤٥٨
جبل دنباوند ٥١٩	بيزنطة ٥١٠
جبل القيق ٥٧١	بيسان ٤٥٩
جبل كوهك ٥٥٦	البيضاء ٣٧٤
الجحفة ٤٤٧ (٥٢)	تاجه الاسفل ٥٣١
جدة ٥٧٠	تاجنا ٣٥٠ (٣٧)
الجديد انظر الباب الجديد	تاهرت ٣٤٦ ، ٣٩٦
جرجان ٥٧٢ ، ٥٨٢	التبث ٤٤٠
الجرجانية ٥٧٢ ، ٥٨٢	تبريز ٥٦٠
الجرجانية ٣٦٩	تركستان ٥٦٠
جروم جيرفت ٤٦٦	تفليس ٣٧٣ ، ٣٩٦ ، ٤٢٨ ، ٣٥٥
الجزائر ٣٨٩	٥٥٠ ، ٥٦٨
الجزيرة ٣٤٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٩٤	تنيس ٣٩٥
٤٤١ ، ٤٦٠ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٥٣٤	تونس ٥٣٨
٥٤١ ، ٥٥٦ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٨	نكان ٥٤٩
جزيرة العرب ٣٤٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ،	جامع دمشق ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ،
٤١٣ ، ٤٢١ ، ٤٣١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩ ،	٤٢٠ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ،
٤٨٠ ، ٥٠٥ ، ٥٢١ ، ٥٣٨ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ،	جامع الرملة ٤٢٠
٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٤ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩	الجامع السفلا في ٣٤٩
جزيرة العرب الجنوبية ٣٩٠ ، ٤٤٩ ،	جامع الشام ٤٢٠
٤٥٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩	جامع عكا ٤٨٢

الخليج العربي ٣٩٢	جسر بست ٥٤٨
الخليل ٤٥٩	جسر الكوفة ٥٤٨
خوارزم ٤٠١ ، ٤٤٥ ، ٥٦٠ ، ٥٧٧	الجعفرية ٣٨٧
خوراڤ (جسر) ٥٤٨	جفنة ٣٧٤
خوزستان (جسر) ٥٤٣	چكده ٥٢١
خوزستان ٤٠٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٧	الخنجان ٣٧٤
٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٥٤٨ ، ٥٤٦ ، ٥٢٠ ، ٥٣٤	جور ٣٧٤ ، ٥١٢ ، ٥٨٣
٤٧٦ ، ٥٣٥ ، ٥٠٦ ، ٤٩٨ ، ٥٤٩	الجولان ٤٧٥
٥٨٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٨ ، ٥٣٤	جيان ٣٩٠
خوناب ٥٣٤	جيحون (امو داريا ، اوکسوس) ٤٤٤
دار الاسلام ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤	الحيرة ٣٧١
٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٨٣ ، ٣٦٥	الجيل ٥٧٢
٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠	الجيلان ٥٧٢
٤٠٢ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤٢١ ، ٤٣٦	حبرون ٤٥٩
٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٧ ، ٤٥٠ ، ٤٥٣	الحجاز ٤٤١ ، ٥٧٥
٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٩ ، ٤٨١	الحجر الأسود ٤١٤
٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٥٠٠	الردة ٣٧٦ ، ٣٩٠
٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥١٠ ، ٥٢٨ ، ٥٣٥	الحرم الشريف ٤١٧
٥٣٧ ، ٥٤٧ ، ٥٥٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٩ ، ٥٦٥	حلب ٣٧٣ ، ٤٢٧
٥٧٣ ، ٥٧٨ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩	حمص ٥١٨ ، ٥٢١
دار الامارة ٤٢٣ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣١	حوض البحر المتوسط ٣٤١
دار البطيخ ٤٢٣ (٢٠٤)	حوض دجلة الأوسط ٣٤٤
دار الشط ٤٢٣ (٢٠٤)	حوض الطهر ٤٨٨
دار الغرياء ٤٢٥	الحولة انظر بحيرة الحولة
دار كتب شيراز ٤٢٧	نجاده ٣٦٨
الدماغان ٤٠٦	خراسان ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٣
ديبل ٣٥٧ ، ٤٠٢	٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٩ ، ٣٩٥
دجلة ٣٦٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧	٤٤١ ، ٤٤٨ ، ٥٣٤ ، ٥٤٢ ، ٥٥٧
٤٤٨ ، ٥٣٥ ، ٥٦٤	٥٧٣ ، ٥٧٧ ، ٥٨٥
دجلة العواء ٥٦٨ (١٨)	الخضراء ٥٣٧
درا بگرد ٣٦٧ ، ٣٧٤ ، ٥٥٤	خزانة الكتب ٤٢٦
دربند (باب الأبواب) ٣٧٣ ، ٣٩٧	خزانة المشرق ٣٧٦
دشت ارزن ٣٩٠ (١٠)	الخليج ٣٤٥

الزنج ٣٧٦	دمشق ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٨٠ ،
زرنج ٣٤٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،	٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٤٥٨ ، ٤٥٧ ، ٤٥١ ،
٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٨٢ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ،	٤٤٥ ، ٤٤٢ ، ٤٢١ ، ٥٦٥ ، ٥٤٥ ، ٥٤٣ ،
٤٠٢ ، ٤٠٦ ،	دمياط ٥٣٨
سابور ٣٧٤ ، ٥٥٠ ،	دهستان ٤٠٦
سامراء ٣٤٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨٧ ، ٤٢١ ،	الدورق ٥٦٧
سامان ٥٦٨	ديار شموذ ٥٤٤
ساوه ٥٨٠	ديار العرب ٥٥٨
سيلان جبل ٥٧١	ديبل ٣٧٧ ، ٤٠٧ (١١٦)
سجستان ٣٤٦ ، ٤٦٠ ، ٤٠٦ ، ٤٢٠ ،	دير شمويل ٥٢٤
٤٦٧ ، ٤٨٠ ، ٥٠٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٥ ،	دير العاقول ٤٠٦
٥٤٢ ، ٥٨٤ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ،	الدير العتيق ٤٨٦
سجلماسة ٤٥٤ ، ٥٣١ ،	الديلم ٣٥٥ ، ٤٠٦ ، ٤٩٩ ، ٥٠٣ ،
سرخس ٣٩٥ ، ٥٣٤ ، ٥٨٢ ،	٥٠٤ ، ٥٧٢ ، ٥٨٠ ،
سردوس ٥٢٤	الدينور ٤٦٣
سرمين رأى ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٤٠٤ ، ٣٨٧ ،	رامهرمز ٤٠٨ ، ٤٢٧ ،
٤٢٦ ، ٥٥٦ ،	الران ٤٦١
السروات ٣٧٦	رأس العين ٣٩٤
السرين ٣٧٦	الرحاب ٤٦١ ، ٥٦٨ ،
سغد سمرقند ٣٩٥	رحى البطريق ٣٨٦
السفلافي (جامع) ٣٧١	الرملة ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٧٩ ، ٣٩٤ ،
سليمانان ٥٦٨	٣٩٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٨ ، ٤٥٩ ، ٤٩٧ ،
سمران ٥٦٨	الرصافة ٣٨٦
سمرقند ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠ ،	روبنج ٣٧٤
٣٨٠ ، ٣٩٥ ، ٤٤٥ ، ٤٦٩ ، ٥٢٨ ،	روذكران انظر باب روذكران
٥٣٧ ، ٥٦٠ ، ٥٨٦ ،	رومان (مدينة) ٥٦٨
سميران ٣٧٤	الري ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ،
سنجة (قنطرة) انظر قنطرة سنجة	٣٥٤ ، ٣٨٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٦٣ ،
السند ٣٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ،	٤٩٨ ، ٥٤١ ،
٤٧٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٤٣ ،	زبيد ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٧٦ ،
سندهند ٥٧٣	زرينروذ ٣٩٤
السوسة ٤٥٥	زم ٤٤٤
سوق ابراهيم ٣٥٠	زندنة ٣٦٨

الصحراء ٤٥٤	سوق الأربعاء ٥٥٠
صحراء المغرب ٤٨١	سوق البزازين ٤٠٦
الصراة نهر ٥٤٨	سوق عمرو ٣٦١ ، ٤٠٦
صعدة ٣٧٦	السوق الكبيرة ٤٠٦
صغانيان ٤٨٠	سيحون (سيرداريا) ٤٠٦
صفر ٤٥٩	السويس ٤٧٩ ، ٥٢٤
الصفى ٥١١	سراف ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٧٧ ، ٤٦٤ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٨٦
صقلية ٣٩٥ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٧٧ ، ٤٨١ ، ٥٨٥ ، ٥٣٨ ، ٥٦٠	السيرجان ٣٤٦
صنعاء ٣٤٦ ، ٣٧٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٧ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥	سيرداريا ٤٠٦
صور ٣٩٣ ، ٣٩٨	سيوك جسر ٥٤٩
الصين ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٥٠٦ ، ٥٦٠	شاروا ٣٦١
الطائف ٣٩٠	الشاش ٥٤٥ ، ٥٧٧
طبرستان ٥٧٢ ، ٥١٩ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣	الشام ٣٤٣ ، ٣٧١ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢١ ، ٤٤١ ، ٤٤٨ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٩٦ ، ٥٠٦ ، ٥٢١ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٥٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦
لبس التمر ٤٥٠	الشجر ٣٩٠
طبرية ٣٤٩ ، ٣٩٥ ، ٤١٥ ، ٤٤٨	الشرجة ٣٧٦ ، ٣٩٠
طرابلس ٤٥٥ ، ٤٥٨	الشرق الأدنى الأوسط ٣٤١
طراز ٤٥٠	شط العرب انظر دجلة العوراء
الطعام (باب) انظر باب الطعام	شعيب ٣٦١
الطواويس ٣٦٨	شق عثمان ٥٦٨
الطواوين ٦٨	شتيريم ٥٣٠
طور سيناء ٥١٢	شهرستان ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٤٦٢ ، ٥٥٠
الطوس ٥٠١ ، ٥٧٨	شيراز ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ٣٩٥ ، ٤٠٥ ، ٤١٥ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٦٥ ، ٥٥٤ ، ٥٥٣ ، ٥٨٥
طوس مصر ٣٧٩	شيرك ٣٥٩
عافر ٤٥٩	صبره ٣٨٣ (١٥٥)
عبادان ٥٤٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨	صحار ٤١٣ ، ٥٤٣ ، ٥٧٠
العتيق انظر الباب العتيق	
عثر ٣٧٦	
عدن ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦	
العراق ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٧٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥	

فراهان ٥٥٢	٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤١ ، ٥٤٦
فربير ٤٧٥	٥٥٩ ، ٥٦٧ ، ٥٧٥
فرغانة ٣٩٥ ، ٤٤٥ ، ٤٥٠ ، ٥٢٥	العراق الشرقي ٥٨٦
٥٥٨ ، ٥٥٩	عرفة ٤١٤ (١٧١)
الفرما (بيلوز) ٥١٨	العزيزية ٣٧١
فسا ٣٧٤ ، ٥١٨	العسكر ٣٧١ (١١٠)
الفسطاط ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥١	عسكر مكرم ٤٦٥
٣٥٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨	عطنة ٣٧٦ ، ٣٩٠
٣٧٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٥ ، ٤٤٩ ، ٥١٤	عكا ٣٩٨
٥٢١ ، ٥٣٨ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣	عمان ٣٩٠ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠
فسطاط مصر ٤٥٦	عين شمس ٣٧١ ، ٥٢١
فلسطين ٣٤٦ ، ٤٥٨ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩	عين الفيجة ٣٩٥
٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٨ ، ٥٢٤ ، ٥٣٣ ، ٥٨٦	الفرج ٤٦٧
الفوارة ٥١٢ (٢١٨)	غرجستان ٤٦٧
الفوقاني (جامع) ٣٧١	غرج الشار ٤٦٧
فيروزاباد ٥٨٣	غزنة ٣٤٦
الفيوم ٥٣٣	غرئين ٥٤٣
قابس ٥٦٠	غلافقة ٣٧٦
قاشان ٥٢٠	غنجره انظر باب غنجره
قاليقلا ٤٩٢	غوطه دمشق ٣٩٠
القاهرة ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٥٧٤	فارس ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٦٠
قبا ٥٢٥	٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤
قبة الصخرة ٤١٤ ، ٤١٩	٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤ ، ٤١٢ ، ٤١٥
القبقي ٣٩٠	٤١٦ ، ٤٢٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٣
قدس ٥٤٥	٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٨١
القرافة ٤٧١	٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٩٨ ، ٥٠٦ ، ٥١٢
قرطبة ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥١	٥١٣ ، ٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢١ ، ٥٣٦
٣٧١ ، ٣٩٠ ، ٥٣١	٥٣٧ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٩ ، ٥٥١
قزوين ٣٩٤ ، ٤٦٣ ، ٥٥١ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢	٥٥٤ ، ٥٥٧ ، ٥٦٤ ، ٥٨٢ ، ٥٨٦ ، ٥٧٢
قسطيلة ٤٧٩	الفارياب ٣٥٣
القطائع ٣٧١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤٠٢	فاس ٣٤٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٠ ، ٤٥٥ ، ٥٣٤
قطع الكلا ٤٠٦	فحص البلوط ٤٧٤
القلزم ٤٧٩ ، ٥٢٤	الفرات ٣٥٠ ، ٣٨٣ ، ٥٦٤

الكوفة ٣٤٣ ، ٣٧٩ ، ٤٠٢ ، ٤٢٤
 كومبرة ٥٣٠
 كبير ٣٧٤
 اللد ٥١٥
 ما بين النهرين انظر الجزيرة
 ماردين ٥٥٦
 ما وراء النهر ٣٥٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٤٤٨ ، ٤٦٨ ، ٥٠١ ، ٥١١ ، ٥٢٨ ، ٥٤٢
 ٥٤٣ ، ٥٤٥ ، ٥٥٥ ، ٥٧٣ ، ٥٧٧ ، ٥٨٦
 المتيجة ٥٣٤
 مخا ٤٩٦
 المختارة ٤٢٦ (٢١٨)
 مدائن لوط ٤٥٩
 المدينة ٣٤٣ ، ٣٨٠ ، ٣٩٢ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤٢٠
 مدينة السلام ٣٧٩ ، ٣٩٣
 مراکش ٤٥٤
 مربعة أبي جهر ٥١١
 مرو ٣٤٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٤٠٠ ، ٤٦٩ ، ٥٠١ ، ٥١١ ، ٥٨٢ ، ٥٧٨
 مرو ٥١١
 مزداخكان ٤٠١
 المسجد الأقصى ٤١٤
 المسجد الجرام ٣٦١ ، ٤٠٦ ، ٤١٤
 مسجد الشام ٤١٥
 مسجد عمر ٤١٩
 المشرق ٣٧٩ ، ٥٧٧ ، ٥٨٥
 مصر ٣٤٣ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٩٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٨ ، ٤٥٦ ، ٤٧٤ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨ ، ٤٩٦ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٨ ، ٥٢١ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٣ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٤ ، ٥٧٥

قم ٥٨٢
 قنطرة ابي طالب ٥٥٠
 قنطرة تكان ٥٤٩
 قنطرة خوراذ ٥٤٨
 قنطرة سنجة ٥٤٧
 قنطرة سيوك ٥٤٩
 القنطرة العتيقة ٥٤٨
 قنطرة قرطبة ٥٤٩
 قنطرة نهر الصراة ٥٤٨
 قنطرة هندوان ٥٥٠
 قومن ٥٧٢
 قوهستان ٥٧٧
 قويق ٤٣٠
 القيروان ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٨٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٤٠٣
 كابل ٣٤٦ ، ٥٥٢
 كارزين ٣٧٤
 كازرون ٣٧٤
 كتة ٣٧٤
 الكرج ٣٨٦
 كرج أبي دلف ٣٥١
 كردفناخسرو ٥١٦
 كركويه انظر باب كركويه
 كرمان ٣٧٧ ، ٤٠١ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦٦ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨٤ ، ٥٤٢ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤
 كرينة ٥١٣ (٢٢٤)
 الكشانية ٣٣٦
 الكعبة ٤١٤
 الكناسة ٤٠٢ (٨٥)
 كنيسة بالعة ٤١٧
 كنيسة القيامة ٥١٥
 كنيسة اللد ٤١٧
 كه كاوسان ٤٨٩

نهر جيحون ٥٤٢ ، ٥٥٢ ، ٥٧٣	مصر العربية ٥٦٩
نهر جيحون الأعلى ٤٨٠	مصر النصرانية ٥٦٩
نهر طاب ٥٤٩	المغرب ٣٥٠ ، ٣٧١ ، ٣٩٤ ، ٤١٦ ، ٤٤٨
نهر فارس ٣٥٥	٤٨٠ ، ٤٧٩ ، ٤٥٤ ، ٤٥٣ ، ٤٤٨
نهر الكرك ٥٥٠	٥١٨ ، ٥٦٥ ، ٥٨٦
نهر كرخايا ٣٨٤	المغرب الأقصى الجنوبي ٥٣١
نهر مهران ٣٤١	مغكان ٣٦٨
نهر مونديفو ٥٣٠	المغرب الشرقي ٥٥١
نوجويك انظر باب نوجويك	مقابر القرافة ٤٢٥
نيسابور ٣٤٥ ، ٣٥٦ ، ٣٤٩ ، ٣٦٧ ،	المقطم ٥٥٣ ، ٥٠٣
٣٧٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٤٤ ،	مكة ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٨٠ ، ٣٩٠ ،
٤٦٩ ، ٤٧٤ ، ٥٥٢ ، ٥٧٧ ، ٥٨١ ، ٥٨٢	٣٩٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٠ ، ٤٣٠ ،
نيشك انظر باب نيشك	٤٥٧ ، ٥١١ ، ٥١٩
النيل ٤٧٢ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥٢٤ ،	مكران ٣٩٤
٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ، ٥٥١	الملتان ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤
هراة ٣٤٦ ، ٥٠١ ، ٥٢٠ ، ٥٧٧	ملكة الاسلام ٥٨٧ ، ٤٩٤ ، ٤٨٥ ، ٤٣٥
هرمز ٣٧٧	منبج ٤٨١ ، ٥٢٠
هضبة فارس ٥٨٣	المنصورة ٣٤٦ ، ٣٤٩
همدان ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٨٠ ، ٤٠٦ ،	المهدية ٣٨٠ ، ٣٩٠
٤٢٤ ، ٥٢٣ ، ٥٥٢ ، ٥٨٢	مهران انظر نهر مهران
الهند ٣٤٧ ، ٣٧٧ ، ٤١٦ ، ٤٧٧ ،	الموصل ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٨٠ ،
٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٧ ، ٥٥٢ ، ٥٧٣	٤٠٢ ، ٤٤٦ ، ٥٦٤ ، ٥٣٥
هندوان ٥٥٠	مونديفو نهر ٥٣٠
هيكل بيت المقدس ٥٣٧	ميراقيان ٥٦٨
واحات مصر ٥٥٢	نابلس ٤٥٩ ، ٤٩٧
وادي جيحون ٥٥١	نجران ٥٦٨
وادي النيل ٥٢٨ ، ٥٦٣	نزماسير ٤٦٦
واسط ٣٤٦ ، ٣٧٩ ، ٥١٦	نسا ٥٧٨
يافا ٣٩٨	نفطة ٤٧٩
اليمن ٣٤٦ ، ٤٤١ ، ٤٤٨ ، ٤٥٧ ،	نوجكث ٣٦٧
٤٧٤ ، ٥٤٤ ، ٥٣٤ ، ٥٣٣ ، ٤٨٥ ،	نہاوند ٣٨٠ ، ٣٩٠ ، ٥١٩
٥١١ ، ٥١٩ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٦١ ،	نهر الأردن ٤٥٩ ، ٥٥١
اليهودية ٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٤٧٩ ، ٤٩٥ ، ٤٩٨	نهر الأردن الأعلى ٣٩٠
اليونان ٥٣٦	نهر تاجه ٥٣٠

ثانياً - فهرس اعلام الرجال والنساء والأمم
والقبائل والسلالات ونحوها

٥٧٩ ، ٥٦٤	آل الرسول ٤١٩
ابن النديم ٥٦٤	آل صفار ٣٦٠
أبو بكر (خليفة) ٤١٥	ابراهيم ٤١٤ ، ٤١٩
أبو بكر البناء ٣٩٨	ابن البيطار ٤٨٦
أبو جعفر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	ابن جبير ٣٠٠ (٧٤)
٥٥٩	ابن حوقل ٣٤٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤
أبو الحسين القزويني ٥٦٥	٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥
أبو دلف مسعر ٤٢٤ ، ٥١٧	٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢
أبو ذر ٥٣٦	٣٧٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣
أبولونيوس ٥٢٢ ، ٥٥٢	٤٣٦ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦
أبو القاسم المصري ٤٦٧	٤٤٧ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤
أبو مسلم ٥٨٢	٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٢
أبو منصور البغوي ٥٧٧	٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨
أبو نابتة الانصاري ٥٠٥	٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٨١
أبو نعيم ٥٨٢	٤٨٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٨ ، ٥٠١
أبو نواس ٤٣١	٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥٢٨ ، ٥٣١ ، ٥٣٣
الأتراك ٥٨٩	٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٤٢ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠
أخوان الصفا ٣٤٨ ، ٤٤٠ ، ٥٦٤	٥٥٤ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦٥
أرباب الضياع ٥٥٥	٥٧٢ ، ٥٧٧ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٩
أرسطوطاليس ٤٣٧ ، ٤٨٩	ابن خرداذبة ٤٤٠ ، ٤٤٢
الأرمن ٥٥١	ابن رسته ٣٤٤ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥
أسامة بن منقذ ٥١٩ (٢٦٣)	٥١٧ ، ٥٣١ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩
إسحاق ٥١٢	ابن عبد ربه ٤٣٧ ، ٥٠٥ ، ٥٥٣
إسحاق البلوطي ٤٧٥	ابن فضلان ٥٧٧
الاسكندر ٣٤٤ ، ٣٨٠	ابن الفقيه ٣٤٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤١
أشرف المعجم ٥٨٥ ، ٥٨٦	٤٤٢ ، ٤٧٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٦ ، ٥٥٢

أهل الشام ٥٢٤ ، ٥٤٦ ، ٥٧٩	أصحاب الدراريح ٤٩٨
أهل صقلية ٤٥٦	أصحاب المختارات ٤٣٦
أهل طبرية ٥٢٣	الاصطخري ٣٧٣ ، ٤٩٣
أهل طرابلس ٤٩٥	الانبارقة ٤٣٦ ، ٥٦٣
أهل الطيالة ٤٩٨	الانباط ، النبط ، ٥٦٣ ، ٥٧٥
أهل عدن ٥٧٩	انيدقلس ٤٣٨
أهل العراق ٤٧٦ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠	أنصار علي ٥٨٢
أهل عمان ٤٥٩	أهل ابويرد ٥٠٦
أهل فارس ٥٠٠ ، ٥٧٢	أهل اذربيجان ٤٦١
أهل قاشان ٥٥٧	أهل ارمينية ٥٧١
أهل القرآن ٤٦٧	أهل اقليم الجبال ٤٩٨
أهل القلزم ٥٢٤	أهل الاندلس ٥٦١
أهل كرمان ٥٠٠ ، ٥٧٣	أهل بخارى ٥٠٢ ، ٥١٩
أهل مصر ٤٧٦ ، ٥٢٤	أهل بعلبك ٤٥٩
أهل مكران ٥٠٠ ، ٥٧٣	أهل بلاد الشحر ٥٧٠
أهل المغرب ٤٤٩ ، ٥٣٣	أهل بيار ٥٠٤
أهل الملتان ٥٠٠	أهل تونس ٥٥٧
أهل المنصورة ٥٠٠	أهل الجبال ٤٥٠
أهل نسف ٤٥٠	أهل جرجان ٤٩٧ ، ٤٩٨
أهل نيسابور ٥٨١	أهل الجزيرة ٥٧٥
أهل همذان ٥٨٠	أهل حلب ٤٥٩
البخارى ٥١٩ (٢٦٠)	أهل حمص ٤٥٩
البخاريون ٤٥٠ ، ٥٨١	أهل خراسان ٤٩٩
البدهة ٤٦٧	أهل خوارزم ٤٥٠ ، ٥٧٣
البدو ٤٥٤ ، ٤٧٢	أهل خوزستان ٤٤٨ ، ٥٨٢
البربر ٤٤٨ ، ٥٥٤ ، ٥٦٣ ، ٥٦٩	أهل دمشق ٤٥٩
البربارة ٥١٥ ، ٥٢٤	أهل الديلم ٥٠٣
بروديل فرنان ٣٤١	أهل رامهرمز ٤٤٨
بقراط ٤٣٨ ، ٤٨٥ (٧٦)	أهل الرحاب ٤٦١
بلاشير ريجيس ٣٦٠	أهل الري ٤١٠ ، ٤٥٠ ، ٥٧٦ ، ٥٨٠
البلوش ، البلوتش ، البلوص ٤٦٦	٥٨١
(١٤٨) ٥٧٢	أهل سجستان ٤٦٧ ، ٥٢٨
بليناس التياني ٥٢٢	أهل الشاش ٤٥٠

الرسول ٤١٥	بنو أمية ٤١٣ ، ٤٧٢
الزراشتيون انظر المجوس	البويهيون ٤٦٢ ، ٤٦٥ ، ٥٠٠ ، ٥٤٨
زكريا ٥١٥	اليروني ٥٠٧ (١٩٩)
الزنج ٤٤٠	بيلا شارل ٥٢٥ (٢٩٩)
سابور ٥٨٣	الترك ٥٦٣
الساسانيون ٥٨٥	الثعالبي ٤٤٠ ، ٥٦٠
السامانيون ٤٥٢ (٧٤) ، ٤٦٨ ، ٥٨٣	ثمود ٥٤٤
سرجا (مار) سرجه ٥١٥	الجالليق ٤٨٦
السغد ٥٠٥ ، ٥٨٠	الحافظ ٣٤٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣
السلالة البويهية ٤٦٢	٤٧٢ ، ٤٨٣ ، ٥٣٠ ، ٥٤٤
السلالة الصفارية ٣٦٣	جالينوس ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٩٣
سليمان ٣٤٤	جاورجيوس ٥١٥
سليمان التاجر ٣٤٧	جعفر الصادق ٥٨٢
السرقيديون ٤٥٠	جوهر الفاطمي ٣٧١
السنه ٤٢٤ ، ٤٣٠ ، ٥٠٦	الحجاج ٥٤٩
الشافعي ٥٠٦	الحجاج بن يوسف ٥٤٩
الشافعيون ٤١٠ ، ٥٠٦	الحسين ٤٥٩
الشيعة ٤٢٤ ، ٤٣٠ ، ٤٥٤ ، ٥٠٦	الحسين بن علي ٥٨٢
٥٨٢	الحسين بن منصور الحلاج ٤٦٤
الصفاريون ٣٦٥	الحلاج ٤٦٤
العباسيون ٤٥٩	الحمدانيون ٣٤٤ (١٠) ، ٤٥٨ ،
عبد العزيز بن مروان ٤٢٣ (٢٠٤)	٥٨٥ ، ٤٦٠
عبد الملك ٤١٧	الحميري ٥٧٠
عبد الله بن الزبير ٤١٥	الحنفيون ٤١٠
عثمان (خليفة) ٣٨٠	الخراسانيون ٤٦٦
المعجم ٣٨٣ ، ٥٧٢	الخلافة الشيعية الفاطمية ٣٤٣
العرب ٣٨٣ ، ٣٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧	داريوس ٣٤٤
٤٧٢ ، ٤٨٦ ، ٥٤٧ ، ٥٧٠ ، ٥٧٤	داود ٤١٧ ، ٥٣٠
٥٧٩	دي خويه ٤٩٤ ، ٥٠١ (١٦٩)
عرب الجاهلية ٤٣٦	الديلمي ٥٤٩
عضد الدولة ٤٠٨ ، ٥١٦ ، ٥٨٣	الرازي ٥٣١ ، ٥٥٩
علي ٣٣٩ ، ٤٥٩ ، ٤٦٥	الروم ٤١٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١
عمر (خليفة) ٤١٥ ، ٤٦٥	٥٤٧ ، ٥٠٧

هذيل ٥٧٤	مهر ٥١٣
الهمداني ٤٤٠ ، ٤٨٥ ، ٥٠٥ ، ٥٣٣ ،	موسى ٥١٢
٥٣٤ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ ، ٥٧٩	الموسوعيون ٤٣٦
الهنود ٥٦٣	الميلد ٤٦٧
وايت غستون ٣٦٢ (٨٢) ، ٥٨٤	نيجند نصر ٣٤٤
الوليد ٤١٦ ، ٤١٧	النبط ٥٧٥
الوليد بن عبد الملك ٤١٥ ، ٤١٦	النبي ٤٦٥
ياقوت ٤٠٠ (٧٤)	النصارى ٤٠٢ ، ٤١٧ ، ٤٥٥ ، ٤٩٢ ،
يعقوب بن الليث ٣٦١	٤٩٥ ، ٥١١ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥٦٣ ،
اليتموني ٣٨٣ ، ٣٨٨ ز ، ٤٠٤ ،	٥٧٥
٥٤٧ ، ٥٤٨	النصارى النسطورية ٣٨٦
اليهود ٤٠٢ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥٦٣ ،	نوبخت ٣٨٣
اليونان ٤٣٧	نوح ٣٤٤
اليمنيون ٥٦٤	النويري ٥١٣ (٢٣١)
اليونانيون انظر الاغارقة	هاشم بن عبد الملك ٤٧٢

* * *

ثالثاً - فهرس المصطلحات التقنية

١ - الإدارة	٦ - النسيج والمنسج
٢ - الموازين والمكاييل	٧ - الأليسة والأحذية
٣ - الطوائف والمذاهب	٨ - اللغات والألسنة
٤ - الحياة اليومية	٩ - التقاويم
٥ - الأغذية	١٠ - منوعات

١ - الإدارة

أرباع ٤٠٢	قصة ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٦٠
أقليم ٣٥٧ - ٣٤٥	محاسب ٣٥٤ - ٥٦١
حاضرات ٣٣٥	مدينة ٣٥٧
خطط ٣٧٢ - ٤٠٢	مصر أمصار ٣٧٠ - ٣٧٢ - ٣٧٩
عمل أعمال ٣٥٧	٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٦٥
قرية ٣٥٧ - ٣٥٨	ناحية ٣٨٩ (١)

٢ - الموازين والمكاييل

جريب ٣٨٨ (١٦٤)	سنجة ٥٥٧ (١٣٤)
----------------	----------------

٣ - الطوائف والمذاهب

التصوف ٤٦٤	الصوفية ٤٧٥
الحنفيون ٥٠٦ (١٦٩)	الصوفيون ٤٧٥
الشافعيون ٥٠٦ (١٩٦)	الغلاة ٤٦٠ (١١٦)

٤ - الحياة اليومية

سرداب سراديب ٣٦٢ (٨٢)	آجر ٥٣٨ (٤٠)
شباك ٣٩٣ (٢٠)	ازار ٥٤٢ (٥٤)
شقة ٥٤٥ (٧٤)	انطونية ٣٦٤ -- ٣٩٣ (٢٠)
صيفه ٥٤٦ (٧٩)	بازهنج ٥٤٦ (٨٢)
طابية ٥٣٨ (٤٠)	بليسي ٥٤٥
طوب ٥٣٨ (٤٠)	حجارة ٥٣٨ (٤٠)
طين ٥٣٨ (٤٠)	جهرمي ٥٤٥ (٧٤)
عباداني ٥٤٦	حجر ٥٤٦ (٨٠)
الغالية ٥٥٩	حوارة ٥٤١ (٤٤)
غشك ٥٤٣ (٥٨)	خرگاه ٥٤١ (٤٨)
فندي ٥٤٥ (٧٤)	خشب مشبك ٥٤٣ (٥٦)
لبن ٥٣٨ (٤٠)	خوان ٥٤٦ (٧٧)
مدر ٥٣٨ (٤٠)	دهن السمك ٥٥٦ (٧٩)
مزمله ٣٦٤ ٣٨٣ (٢٠)	روشن ٥٤٥ (٦٨)
نح ٥٤٥ (٧٤)	سامان ٥٤٥

٥ - الأغذية

رخين ٤٧٢ (٦) ، ٨٢	ازافوتيدا ٤٨١
رستاي ٤٧٣ (٦)	آفروشة ٤٧٢ (٥) ، ٨٢
زلا بيه ٤٧٦	اثير ٤٧٣ (٦) ، ٤٧٦ (٣٠)
سلق ٤٧٥ (٢٣)	انفاق ٤٨٠
سمنو ٤٧٢ (٥) ، ٨٢	بيسار ٤٧٣ (٧) ، ٤٧٥
شيراز ٤٧٣ (٦)	ثريد ٤٧٣ (٧)
طباخ ٤٧٥ (٢٢)	حالم ٤٧٣ (٦) ، ٨٠
عسل القطر ٤٧٢ (٥) ، ٨٢ (٦٣)	الحلتيت ٤٨١
عصيدة ٤٧٢ (٥) ، ٨٢	حوارة ٤٧٦ (٢٩)
فقاع ٤٨٣ (٧٣)	حواري ٤٧٦ (٢٩)
قييت ٤٧٢ (٥) ، ٨٢ (٦٣)	حيس ٤٧٢ (٥-٨٢)
القييط ٤٧٦	دوشاب ٤٨٢ (٦٨)

نطف الزبيب ٤٨١	قمقم ٥٢٣ (٢٨٧)
ندى ، نده ٤٧٣ (٨)	كباد ٥٧٩ (٨٨)
النبق ٥٢٣ (٢٨٨)	كمك ٤٧٣ (٦) ، ٣٩٢ (١١)
نقطي ٤٧٣ (٦)	مرى ٤٧٣ (٦)
نمكسود ٤٧٣ (٨)	مزر ٤٨٣ (٧٣)
النياه ٤٧٢ (٥) ، ٤٨٢٤	مشبكة ٤٧٦ (٢٤)
هراس ٥٠٢ (١٧٧)	ملا حات ٤٨١ (٥٦)
هريسة ٤٧٣ (٧)	ملين ٤٧٣ (٦) ، ٤٧٢٤ (٥) ، ٤٨٢٤ (٦٣)
يسكر ٤٧٦ (٣٠)	منثور ٤٧٣ (٦)
	نطف ٤٧٢ (٥) ، ٤٨٢

الاسماء

السائم ٤٧٣ (٩)	الأريبان ٤٧٣ (٩)
الساح ٤٧٣ (٩)	الاسيول ٤٧٣ (٩)
السرماهي ٤٧٣ (٩)	البرسوح ٤٧٣ (٩)
الشرب ٤٧٣ (٨)	البيجي ٤٧٣ (٩)
الشلاي ٤٧٣ (٩)	البيجي ٤٧٣ (٩)
الشليف ٤٧٣ (٩)	البيضاوي ٤٧٣ (٩)
الشم ٤٧٣ (٩)	تريخ ٤٧٣ (٩)
صبر ٤٧٣ (٩)	الجرى ٤٧٣ (٩)
العروس ٤٧٣ (٩)	الخرق ٤٧٣ (٩)
عشب ٤٧٣ (٩)	الدبقاه ٤٧٣ (٩)
العير ٤٧٣ (٩)	الربلي ٤٧٣ (٩)
العين ٤٧٣ (٠)	الريبي ٤٧٣ (٩)
الكرتلك ٤٧٣ (٩)	الرمين ٤٧٣ (٩)
المارماهي ٤٧٣ (٩)	زجر ٤٧٣ (٩)
القرش ٤٧٣ (٩)	الزجر ٤٧٣ (٩)
ورق ٤٧٣ (٩)	زراقن ٤٧٣ (٩)
	الزنجور ٤٧٣ (٩)

٦ - النسيج والناسج

سبي ٤٩٤ (١١٥)	آرنج ٤٩٤ (١١٥)
سعدى ٤٩٤ (١١٥)	اباني ٤٩٤ (١١٥)
سقلاطون ٤٩٤ (١١٥)	ارمني ٤٩٤ (١١٥)
سكب ٤٩٤ (١١٥)	اشموني ٤٩٤ (١١٥)
سمرقندي ٤٩٤ (١١٥)	بخاري ٤٩٤ (١١٥)
سينيزي ٤٩٤ (١١٥)	بدن ٤٩٤ (١١٥)
شاهجاني ٤٨٣ (١١٥)	بركان ٤٩٤ (١١٥)
شرابي ٤٩٤ (١١٥)	بزبست ٤٩٤ (١١٥)
شرب ٤٩٤ (١١٥)	بطانة ٤٩٤ (١١٥)
شطوى ٤٩٤ (١١٥)	بغدادى ٤٩٤ (١١٥)
شوسنجر ٤٩٤ (١١٥)	بلعيسى ٤٩٤ (١١٥)
شيرازي ٤٩٤ (١١٥)	بمي ٤٩٤ (١١٥)
صقلي ٤٩٤ (١١٥)	بنبوزي ٤٩٤ (١١٥)
صنعاني ٤٩٤ (١١٥)	بويهي ٤٩٤ (١١٥)
طبري ٤٩٤ (١١٥)	بيبان ٤٩٤ (١١٥)
طرائقي ٤٩٤ (١١٥)	پيشكش ٤٩٤ (١١٥)
طبيبي ٤٩٤ (١١٥)	بن الثوين ٤٩٤ (١١٥)
عتابي ٤٩٤ (١١٥)	تاختج ٤٩٤ (١١٥)
عدني ٤٩٤ (١١٥)	تنيسي ٤٩٤ (١١٥)
قرقوبي ٤٩٤ (١١٥)	توني ٤٩٤ (١١٥)
قصري ٤٩٤ (١١٥)	جز ٤٩٤ (١١٥)
قلمون أبو ٤٩٤ (١١٥)	جنابي ٤٩٤ (١١٥)
قنب ٤٩٤ (١١٥)	حفي ٤٩٤ (١١٥)
كرباسة ٤٩٤ (١١٥)	خلدي ٤٩٤ (١١٥)
كندكي ٤٩٤ (١١٥)	خيش ٥٤٦ (٨١)
لخاف ٤٩٤ (١١٥)	ديتي ٤٩٤ (١١٥)
مبطنة ٤٩٤ (١١٥)	دق ٤٩٤ (١١٥)
مثقالي ٤٩٤ (١١٥)	دمياطي ٤٩٤ (١١٥)
مثلث ٤٩٤ (١١٥)	راختج ٤٩٤ (١١٥)
مخمل ٤٩٤ (١١٥)	زنبغت ٤٩٤ (١١٥)
	سابوري ٤٩٤ (١١٥)

مروى ٤٩٤ (١١٥)	منير ٤٩٤ (١١٥)
مشطلي ٤٩٤ (١١٥)	نفوسي ٤٩٤ (١١٥)
مغربي ٤٩٤ (١١٥)	نيسابوري ٤٩٤ (١١٥)
مكي ٤٩٤ (١١٥)	واسطلي ٤٩٤ (١١٥)
ملحم ٤٩٤ (١١٥)	ويذاري ٤٩٤ (١١٥)
ممرجل ٤٩٤ (١١٥)	بجانجي ٤٩٤ (١١٥)

٧ - الثياب والأحذية

ازر ٤٩٦ - ٤٩٨ (١٤٢)	عباءة ٤٩٦
تختم ٤٩٧ (١٣٧)	عباية ٤٩٦ (١٢٤)
تحنك ٥٠٠ (١٦٤) ، ٥٠١ (١٦٩)	قرطق ٥٠٠ (١٦٣)
جبة ٤٩٩	قرمزي ٥٥١
جربان ٤٩٩ (١٥٠)	كساء ٤٩٦ (١٢٥) ، ٤٩٧
حذوة ٤٩٤ (١١٧)	كسر ٤٩٤ (١١٧)
دراعة ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩	كسرة ٤٩٩
دنية ٤٩٩ (١٥٣)	كنباتي ٤٩٤ (١١٧)
رداء ٤٩٦ ، ٥٠٠	مئزر ٤٩٨ (١٤٢)
سروال ٤٩٧ (١٣٢)	مبطنه ٥٠٠ (١٥٨)
سطل ٤٩٧ (١٣٥)	مماطر ٤٩٧
شرب ٢٩٧ (١٣٤)	منديل ٤٩٦
شمشك ٤٩٤ (١١٧) ، ٤٩٨ (١٤٠)	نعال الطاق ٤٩٧
صندل ٤٩٤ (١١٧)	هملخت ٤٩٤ (١١٧)
طاق ٤٩٤ (١١٧)	الورس ٥٥١
طيلسان ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠	وزر ٤٩٦

٨ - اللغات والألسنة

الاذرية ٥٧١	الارمنية ٥٧١
الآرامية ٥٧٥	انعجام ٥٧١
الارانية ٥٧١	انلق ٥٧٢

الصغدية ٥٧٣	الامالة ٥٧٩
السندية ٥٧٣	البخارية ٥٧٦
الفارسية ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٦ ،	البلوصية ٥٧٣
٥٧٧ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣	الحميرية ٥٧٠
ميرى ٥٧٢	الخراسانية ٥٧٠ ، ٥٧٢
الفهلوية ٥٧٢	الخورزية ٥٧٢ ، ٥٧٦
المكرانية ٥٧٣	الدرية ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٨١
منغلق ٥٧٦	الرائية ٥٧٢
منغلقة ٥٧١ ، ٥٧٤	السريانية ٥٧٢

٩ - التقاويم

السدق ٥١٢	ايبب ٥٣٣
طوبه ٥١٤ (٢٣٠)	اذرماء ٥١٢
فروردين ٥١٦	اورابان ٥١٦
كانون الثاني ٥١٥	ايلول ٥١٥
الكوسج ٥١٢	بابه ٥٣١
المهرجان ٥١٢	برمهات ٥٣٣
التيروز ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤	برموده ٥٣٣
نيسان ٥١٢	تشرين الأول ٥١٢
هاتور ٥٣١	توت ٥٣٣
هيك ٥٣١	تير ٤٨٨ (٨٤)

١٠ - المتنوعات

ارباب ٥٨٥	ابتلاء ٤٤٨ (٥٩)
اشرام ٥٦١ (١٦٣)	احدثة ٤٢٦ (٢٢١)
الا صابع ٥٧٨	الاخلاق ٤٥١
اصاغر المدن ٣٥٠ (٣٨)	ادب ٢٩٥ ، ٣٧٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٩
اغن ٤٤٨ (٥٩) ، ٤٦٥ (١٤٤)	٤٤٢ ، ٤٧٢ ، ٤٨٥ ، (٧٧ ، ٧٦) ، ٤٩٣
امتط ٤٩٦ (١٢٧)	٥٣٦ ، ٥٦٤ ، ٥٨٧
انف ٥٦٧	اذن ٥٧٩

- انصاف العلماء ٥٠١ (١٦٨)
- انعجام ٥٦٦ (٩)
- انقب ٤٦٧ (١٥٥)
- ايام ٥٧٢
- بأس ٤٥٧ (٩٦)
- الباب ٥٧٤
- بأشر ٥١٣ (٢٢٧)
- باناظ ٤١٢ (١٦٥) ٥٤١٤ (٤٦)
- بحر ٤٠٧ (١١٦)
- برام ٥٥٧
- بربق ٤٠٨ (٢٧)
- برد ٥٢٢ (٢٨٩)
- برد ٥٢٢ (٢٨٩)
- بعل ٥٣٠ (٧)
- بلغماني ٤٤٩ (٦١)
- البندرة ٤٦٧
- بيع ٥١٦ (٢٤٢)
- بيمارستان ٤٢٥ (٢١٢)
- تائي ٤٩٩ (١٥٧) ، ٥٨٦
- تبع ٢٢٢ (١٢٥)
- تجمل ٥١٦ (٢٤٣)
- تحامل ٥٧٨ (٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤)
- ترنجة ٤١٦
- تروان ٥٨١ (٩٦)
- ترياق ٤٩٢
- تفتق ٥٥٩ (١٤١)
- تقدير ٣٦٩ (٩٨)
- توتيا ٥٥٤
- تيم ٤٠٨ (١٢٤)
- جاد ٤٠٥ (١٠٥)
- جامع ٣٥٨ (٦٩) ٤٢٢٤
- جبي ٥١١ (٢١٠)
- الحمة ٥٧٩
- جسر ٥٤٩ (٩٥٤٩٤)
- جماعة ٥٠١ (١٧٠)
- جمعة ٤٢٢
- جنب ٤٦٤ (١٣٥)
- جور ٥٨٣
- حار ٤٠٥ (١٠٥)
- حدود ٢٩٥
- حديث ٤٧٢ (١) ، ٤٨٥ (٧٨)
- حروب ٤٣٠ (٢٤١)
- حصارون ٤٠٨ (١٢٨) ٤٠٠٤ (٧٧)
- حصن حصون ٢١٣ (٧٤) ٣٧٤٤
- حصينة ٣٣٣ (١٣)
- حفاء ٤٨٨ (٨٩)
- حقيقة ٤٦٤ (١٣٤)
- حميم ٥٦٧ (١٢)
- الحواريون ٤٠٤ (٩١)
- خان خانات ٤٠٧ (١٢١)
- خزانة خزائن ٣٦١ (٨٠) ٤٠٠٤ (٧٢) ٤٢٦
- خشنة فاسدة ٥٧٤ (٥٧)
- خصائص ٤٩٢ (١٠٦)
- خصيبة ٣٧٣ (١٣)
- خصومة ٥٧٨ (٧٣)
- خيرات ٣٩٠ (٩)
- خيال ٥٨٠
- دائر ٣٦٣
- داخل ٢١٧ (٩٦)
- دار ٤٢٦ (٢٢١)
- دارا ٥٨٣ (١٠٤)
- دار الامارة ٤٢٢ (١٩٦)
- دار الامير ٤٢٢ (١٩٦)
- دار الخليفة ٤٢٢ (١٩٦)
- دار السلطان ٤٢٢ (١٩٦)

دار أنصياقة ٤٢٥ (٢١٣)	ساحل ٢٧٦ (١٢٦)
دار علي ٥١٣ (٢٢٧)	سائية سواني ٥٣٠ (٦)
دار القرى ٤٢٥ (٢١٢)	سدلا ٤٢١ (١٩٤)
دار الكتب ٤٢٦	سرادق ٣٩٩
دار الملك ٤٢٢ (١٩٦)	سماق ٥٤١ (٤٤)
داموس ٥٣٤ (٢٥)	السن ٧٥٩
دخان ٥٥٤ (١٤٣)	سنة ٥٦٤
دروج ٥٦١ (١٦٢)	سور أسوار ٣٣٥ ، ٤٠٠ ، ٣٩٧
دهقان ٥٨٦ ، ٥٨٧ (١٢٢)	سوي ٤٠٥ (١٠٥) ، ٤١٠ ، ٤٢٢ (٤٢)
ديوان ٤٢٨	السيق ٤٧٥ (١٩)
الذئب ٥٧٩	شبهستان ٤٢٥ (٢١٢)
ذنباني ٤٤٩ (٦٠)	شدة ٤٥٧
رباط ٤٥٥ (٨٧) ، ٤٠٦	شرفة شرف ٣٨٩
الرجل ٥٠٢ (١٧٨)	شعث ٤١٠
الرحمان ٥٦٦	شموية ٥٤٧
الرحيم ٥٦٦	شناتر ٥٧٩
رسوم ٤٥١ (٧٢) ، ٥٠٢ (١٧٣)	شير ٥٨٣ (١٠٤)
رقاب ٤٦٨ (١٦١)	صف ٤٠٦ (١١٢)
رفرف ٤٩٤ (١١٨)	الصنارة ٥٧٩
رفيع ٤٩٤ (١١٨)	ضيافة ٤٢٥ (٢١٢)
رفيق رفيق ٥١١ (٢١٠)	طارق ٤٢٩ (٢٣٩)
رهادنة ٤٠٤ (٩١)	الطب ٨٣
روح ٤٣٦	طبرها ٥٨٣
روضة ٤١٥	طرجهارة ٥٢٩ (٥)
الزب (اللحية) ٥٧٩	طعام ٣٦٤
زنان ٥٨٣	طين طينة ٤٦٧ (١٥٧)
زوبين ٥٠٣ (١٨٠)	عجائب ٤٩٢ (١٠٦)
الزيادة ٤١١ (١٥٣)	عجمية ٥٦٦ ، (٩)

عجم ٥٦٨	قهندز قهندزات ٣٧٤ ، ٣٨٩ (٦٧)
عجيب ٤٣٠ (٢٤١) ، ٥٧١	قيسارية قياسير ٤٠٧ (١٢١)
عداوات ٤٣٠ (٢٤١)	الكنع ٥٧٩
عدل عدول ٤٢٧	كرى ٤١١ (١٥٠)
عربة عرب ٥٣٦ (٣٥)	كلام ٤٢٤
عصبيات ٤٣٠ (٢٤١) ، ٥٨٧ (١٢٢)	الكناسة ٤٢٤
عطيف ٤٠٦ (١٠٦)	لحامون ٤٠٤ (٩١)
عقط ٥٧٦ (٥٩)	لحية ٥٧٩
على قدرها ٣٥٣ (٤٧)	لوح ٥٦٠ (١٥٤)
علك ٥٤١ (٥١)	لوك (جيد) ٥٨٠
عمارة ٣٦٨ (٩٦)	ماء جاري ٥٦٧ (١٢)
عنا ٤٨٨ (٨٨)	ماء حار ٥٦٧ (١٢)
عيارون ٤٢٩	مباحس ٥٣٠ (٧)
عين ٣٥٧ (٦٤) ، ٥٧٩	مبلطح ٤٤٩ (٦٠)
غطاس ٥١٤ (٢٣١)	متشعب ٤٠٦ (١١٢)
غلام ٤٦٠ (١١٦)	محراب ٤١٥ ، ٤١١ (١٥٧) ، ٤١٥ ،
فتن ٤٦٠ (١١٦)	٤١٦ - ٤١٧
فرائق ٥٠٢ (١٧٢)	محصنة ٣٧٣ - ٣٧٤
فراقع ٥٠٢ (١٧٢)	مخضر ٤٥٠
فقم ٥٧٨ (١٧٢)	مذهب مذاهب ٤٣٠ (٢٤١)
فقه ٤٧٢ (١) ، ٤٨٥ (٧٨)	مرافق ٣٥٨ (٧٠)
قادوس ٥٢٤ (٢٩٧)	مروءات ٤٤٦
قار ٥٦٧ (١٣)	مريثة ٤٤٦ (٤٦)
قب ٥١٣ (٢٢٦)	مسجد ٤٢١
قبة قباب ٥١١ (٢١٣)	مشاهد ٤٩٢ (١٠٦)
القريلة ٥٠٦	مصحف ٥٦١ (١٦٥)
قداس ٥١٤	مصل ٤٢٦
قصر قصور ٤٢٣ (٢٠٦)	مظاهر ٤١١
القصص ٥٧٤	مقصورة ٤١٣ ، ٤٢٣ (٢٠٠)
قطر ٥٦٧ (١٣)	مكاتبات ٥٧١
قطران ٥٦٧ (١٣)	مالك ٣٥٧
قلعة قلاع ٣٧٣ ، ٣٨٩ ، ٤٠١	ملوث بالكوه ٥٧٨ (٧٢)
قطرة ٥٤٩ (٩٥)	ملكة الاسلام ٤٣٥ ، ٤٤٣ ، ٤٨٥

نبط ٥٧٥ (٥٦)	٥٨٧٤ (٢٤٥) ٥١٦
نبح ٣٣٦ (١٢٥)	منبر ٣٥٧ - ٤١٥ - ٤١٥
نح ٥٨٠	منية ٥٧٨
نحاس ٥٦٧ (١٣)	مهد ٤٠٠
نخافة ٤٥٧ (٩٥) ٤٦٢ (١٢٦)	موصل ٥٦٤
نفس ٤٣٣	موميا ٤٩١ (٩٤)
نفس ٤٣٣	موميا ٥٥٤ (١٢١)
النون ٥٦٧	ميدان ٤٢٦
واق واق ٤١١ (١٥٣)	الميزار ٥٧٩ (٧٨)
وحش ٤٣٠ (٢٤١)	ميرة ٣٩٠ (٧)
يسار ٤٤٦	ميزر ٥٧٩ (٧٨)

رابعاً - فهرس الأشكال والصور

٣٥٢	بناء من طين مضغوط . مدينة شبام في اليمن الجنوبي
٣٥٦	صنعاء في اليمن الشمالية
٣٥٩	زرنج
٣٦٦	مدينة مستديرة وارياضها : اربيل في العراق
٣٩١	بيت تلج من القرن ١٢ : كرمان ، فارس
٣٩١	الأسوار القديمة في بخارى
٤١٧	الجامع الكبير بدمشق ، فسيفساء الحائط الغربي في الصحن
٤٧٨	فرن خبز في فارس
٤٨٤	استشارة طبية
٤٨٧	الترياق : اعداد عقار
٤٩٠	الترياق . النباتات الطبية
٥٠٧	الالوة (الصبر)
٥٠٨	الامبروازية
٥٢٩	طاحونة هواء قديمة
٥٣٢	برج حمام مبني من طين مضغوط بواحة الفيوم ، مصر

- ٥٣٩ الزراعة التقليدية ، منازل مبنية بالطوب في فارس
صنعاء في اليمن الشمالية : أحد أبراج السور مبنية بالطين المضغوط
٥٤٠ (الأسفل) وبالأجر (الأعلى)
٥٥٥ صحن كبير منقوش عليه كتابة ، سمرقند ، ما وراء النهر
٥٥٦ ناطل عليه انصاف سعيقات . فارس . سوسة

* * *

تذكير
مواد الأجزاء الثلاثة السابقة من
جغرافية دار الاسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر

الجزء الأول
الجغرافية والجغرافية البشرية في الأدب العربي
من البدء حتى عام ١٠٥٠ م

١ - فهرس مواد القسم الأول من الجزء الأول

٥	تنبیه
١٧	ثبت المؤلفين
٢٣	أولاً - ثبت المؤلفين المدروسين في المجلد الحالي
	ثانياً - ثبت المؤلفين ومصنفاتهم الواجب استغلالها في دراسة
٦٧	الموضوعات الجغرافية
٧١	المراجع
٩٥	ملئخل

الفصل الأول
أصول الجغرافية العربية
العلوم الجديدة والعلوم التقليدية

١٠٣	رياضيات الخلق
	علوم الأرض : علم قياس الأرض وعلم التنجيم ونشوء نوع من
١٠٦	علم رسم الخرائط يسمى نمط صورة الأرض

- ١١٠ علوم الأرض : جغرافية الأرض الطبيعية
- ١١٢ علوم الأرض : الكائنات الحية
- ١١٣ العلم اليوناني والجغرافية
- ١١٥ العلوم الأخلاقية : علم الأخلاق
- ١١٧ العلوم السياسية : تنمية السلطة
- ١١٩ التقليد : علوم اللغة ، الجغرافية ، النزعة الفارسية ، اللغة العربية
- ١٢١ التقليد : العلوم الشرعية
- ١٢٣ التقليد : التاريخ
- ١٢٦ التاريخ والجغرافية والاعخبار – العلم اليوناني والعلم العربي

الفصل الثاني

الاتجاهات الحاسمة

الجغرافية والأدب

عند الجاحظ وابن الفقيه

- ١٢٩ قضية الأدب
- ١٣١ الجاحظ : أهميته في تكوين الجغرافية العربية
- ١٣٢ كتاب التبريع والتدوير : اهتمام جديد
- ١٤٠ كتاب الحيوان : بداية جغرافية بشرية
- ١٥١ كتاب الامصار وعجائب البلدان . الجغرافية والتقليد
- ١٥٤ ابن قتيبة : مستلزمات السنة
- ١٦١ ابن قتيبة والجغرافية

الفصل الثالث

الاهتمامات التقنية

علم الخرائط في صورة الأرض وتطوره
الأدب الإداري وتطوره — التحقيقات التجارية

١٦٩	سرابيون ، البلخي
١٧٨	نشوء الجغرافية الإدارية .
١٨١	رائد الجغرافية الإدارية : ابن خردادبة
١٨٥	الجيهازي خلف ابن خردادبه
١٨٨	قدامة ابن جعفر أو العلم الإداري الشامل
١٩٥	اليقوي والأدب الإداري
١٩٧	الموضوعات الإدارية في غير الأدب الإداري
٢٠٠	دوام الجغرافية الإدارية وصورة الأرض
٢٠٢	قوائم الأسعار والبيع

الفصل الرابع

الرحالة

٢٠٧	الموهوبون
٢١٠	التجارة والطرق البحرية في بحر الهند : أخبار الصين والهند
٢١٦	أبو زيد السيراني : إعادة النظر في أخبار الصين والهند وإكمالها
٢٢٢	كتاب عجائب الهند
٢٢٧	الطريق الشمالية والرحالة الرسميون : ابن فضلان
٢٣٥	الطريق الشمالية : أبو دلف مسعر : الرحلة الحقيقية والرحلة الخيالية

٢٤١	الطرق الشمالية الغربية والجنوبية : اورية وافريقية
٢٤٥	بداية جغرافية شفاعات روحية
٢٤٨	خاتمة

الفصل الخامس

ابن الفقيه أو

الجغرافية من وجهة نظر الأدب

٢٥١	مصنف ابن الفقيه ومشكلة انتقاله
٢٥٩	خصائص مصنف ابن الفقيه العامة
٢٦٤	مصادر كتاب البلدان : عناصره وموضوعاته
٢٥١	التقنيات والآليات في مصنف ابن الفقيه
٢٧٩	علم البلدان : علم على طريقة ابن الفقيه
٢٨٥	جغرافية بشرية أم نزعة انسانية جغرافية
٢٩٢	خاتمة

حواشي القسم الأول من الجزء الأول :

٢٩٥	- حواشي المدخل
٢٩٧	- حواشي الفصل الأول
٣١٥	- حواشي الفصل الثاني
٣٣٥	- حواشي الفصل الثالث
٣٦٧	- حواشي الفصل الرابع
	- حواشي الفصل الخامس

* * *

٢ - فهرس مواد القسم الثاني من الجزء الأول

الفصل السادس

الموسوعيون والمكثرون والمؤرخون وغيرهم

٦	الموسوعيون : ابن رسته
١٤	المسعودي أمام الموسوعية
٢٤	الموسوعيون : المقدسي وكتاب البدء والتاريخ
٢٩	موسوعة اخوان الصفاء
٣١	حالتان هامشيتان : الخوارزمي والبيروني
٣٧	المكثرون
٤١	الجغرافية والأدب : وضع البلاغة فهارس المصنفين
٤٧	الجغرافية والتاريخ

الفصل السابع

الدراسات الاحادية والمعاجم

٥٢	أدب جزيرة العرب ؟ عناصره المتنوعة
٥٥	جغرافية جزيرة العرب : الهمداني
٦٣	الأدب الاقليمي في ظل التاريخ
٦٦	الأدب الاقليمي : التقاويم
٦٨	الأدب الاقليمي : الاندلس وافريقية

الفصل الثامن

ظهور جغرافية بشرية حقيقية ، المسالك والممالك ودراسة أرض البشر

- ٧٦ عصر مصنفات المسالك والممالك
- ٨٤ تعريف نمط المسالك والممالك : تراث لكن بمعنى جديد
- ٨٧ تعريف نمط المسالك والممالك (تابع) : جغرافية المحسوس
- ٨٩ تعريف نمط المسالك والممالك (تابع) جغرافية بشرية
- ٩٣ تعريف نمط المسالك والممالك (نهاية) نمط أدبي
- ٩٧ اليعقوبي : بداية ناجحة لنمط المسالك والممالك
- ١٠٣ الاصطخري : تكوين نمط المسالك والممالك الموحد في النهاية
- ١١٠ ابن حوقل : وريث الاصطخري جغرافية التجارة والدعاة
- ١٢٠ المهلي ذلك المجهول
- ١٢٤ المقدسي وعصره
- ١٣٤ المقدسي وعمله : دروة نمط المسالك والممالك

الفصل التاسع

الجغرافية في محيطها

- ١٤٦ الاطار الاقتصادي : التجارة والجغرافية
- ١٥٠ الاطار السياسي : أساليب الجغرافية الامبراطورية
- ١٥٥ الاطار الاجتماعي والديني : أدب مدني مزيج على هامش السنة
- ١٦٠ جمهور مهذب بثقافة مشرقة
- ١٦٧ ذهنية الطبقة : العلم والفن والأدب

١٧١	ذهنية الطبقة : آداب السلوك وحسن التصرف
١٧٥	ذهنية الاحالة وذهنية النظام
١٧٩	اللغة والاسلوب : التعبير الوسيط والتعبير الفني
١٨٥	الخلاصة

اللاحق

١٨٩	الملحق الأول (مقارنة نص الاصطخري . وابن حوقل)
٢١٠	الملحق الثاني (تقويم)
٢٢١	الملحق الثالث (الأدب الجغرافي الفارسي)

حواشي القسم الثاني

٢٢٥	حواشي الفصل السادس
٢٦١	حواشي الفصل السابع
٢٧٥	حواشي الفصل الثامن
٢١٤	حواشي الفصل التاسع

فهارس القسمين الأول والثاني

٣٢٧	فهرس الأعلام
٣٥٩	فهرس المصنفات
٣٦٩	فهرس الأماكن
٣٧٦	فهرس الأقوام والشعوب والأمم والسلالات الخ
٣٧٨	الفهرس

الجزء الثاني
الجغرافية العربية وتصورها العالم
الأرض وممالك الأغراب
١ - فهرس مواد القسم الأول من الجزء الثاني

٥	تنبيه
٢٣	المصادر والمراجع
٢٦	ثبت المؤلفين ومصنفاتهم ورموزهم
٢٩	تمهيد

الفصل الأول
الأرض التامة

٣٤	الأرض والكون
٤٠	معدل الأرض : الحياة ، الموت ، النشور
٤٩	سعة الأرض : أشكالها ، أبعادها ، تمثيلها
٥٣	سعة الأرض : الحدود الحقيقية والحدود الأسطورية

الفصل الثاني
الأرض المجزأة

٦٧	الأرض النجمية ومقتضيات الجغرافية السياسية ونزاعاتها
٦٩	الأرض المجزأة : الهمداني والكرتوغرافية التنجيمية
	ما أتى على بطليموس القلوذي في طبائع العمران من الأرض على
٧١	التبعيض والتجزئة
١٠٠	الأرض المجزأة : تقسيم الأرض إلى أقاليم اليونان السبعة

- ١٠٤ ملوك العالم وأممهم : وحدة الحضارة وتنوعها
١١٤ الاقليم الرابع : العراق خلافة بابل

الفصل الثالث

الشرق الأقصى أو حضارات عظيمة ناقصة

- ١١٧ الأدب الغريب : التجارة ودار الاسلام
١١٩ الأدب الغريب : مشاهد طبيعية يحجبها البشر
الشرق الأقصى : من التجار إلى البحريين ومن البحريين إلى
١٢٣ الأدب
١٢٦ خريطة مختصرة لآسية
١٣٠ الحضارة ومساحة الممالك : الهند والصين بالإجمال
١٣٤ هيئة القارة
١٣٨ الطبيعة : أرض ثمينة من حجارة ومعدن
١٤٠ الطبيعة : الحيوان الوحشي
١٤٤ الطبيعة : الحيوان الأليف والقبيل
١٤٨ الطبيعة : الأشجار والنباتات المفيدة
١٥١ البشر : بساطة المواضيع العرقية وغموضها
١٥٤ البشر : مواضيع المبادلات
١٥٨ البشر : السلطة ومبادئ السلطة
١٦٤ البشر : الحياة العامة
١٦٧ البشر : أوجه تماثل الحضارات وأوجه تباينها
١٧١ البشر : عاداتهم وأخلاقهم
١٧٥ البشر : الدين
١٧٨ خاتمة

الفصل الرابع افريقية السوداء أو قارة متراثة

١٨٣	علماء احزام وتجار اصلااب
١٨٧	الغوامض الأفريقية
١٩١	شعار قارة : من الذهب إلى مسالك الجبال والكثبان الرملية
١٩٤	افريقية ونهرها : منابع النيل و « السودان »
١٩٨	وضع الزنج : احكام مسبقة والردود عليها
٢٠٦	نظرة إجمالية إلى البلدان : بروز السودان الغربي
٢١٢	نظرة إجمالية إلى البلدان : مناطق النيل الأعلى : النوبة
٢٢٢	نظرة إجمالية إلى البلدان : مناطق النيل الأعلى : البجة والحبشة
٢٢٨	نظرة إجمالية إلى البلدان : زنج بحر الهند
٢٣٤	أرض افريقية : منجم
٢٣٧	الكائنات الحية في افريقية : تأثير الشمس الغامض
٢٤٠	الحيوان في افريقية : الحيوان الطبيعي والعجيب واصالته
٢٤٧	نماذج من نبات افريقية
٢٤٨	البشر : الههجية والمجتمعات
٢٥٩	البشر : الديانة وعبادة الاوثان والعرق والطبيعة
٢٥٩	بعض أوجه النجاح في التقنيات والتجارة
٢٦٢	خاتمة

الفصل الخامس السهوب الفسيحة بين جبال الأورال

٢٦٣	حيث الانسان معروف أفضل من بلده
٢٦٦	في الشرق مع أتراك الجبال : التغرغز
٢٦٩	في الشرق مع أتراك الجبال الخزلخ

٢٧١	في الشرق مع أترك الجبال : يغما ، شيجل ، نخس
٢٧٢	في الشرق مع أترك الجبال : الخرخيز
٢٧٣	في الغرب مع أترك السهول : يماك وخفججاخ
٢٧٧	في الغرب مع أترك السهول : البجفرد
٢٧٨	في الغرب مع أترك السهول : البجناك
٢٧٩	في الغرب مع أترك السهول : الغز ، أشباه حقائق عن التخوم
٢٨٢	الغز : لعلمهم أترك السهول الحقيقيون الوخيدون
٢٨٤	أترك آخرون متفوقون
٢٨٧	بلاد الترك
٢٩١	الانسان التركي
٢٩٤	الحياة اليومية
٢٩٦	التقليد العائلي
٢٩٩	المجتمع والدين : بين الوحدة والتشتيت
٣٠٢	الترك حيال العالم
٣٠٨	من التجارة إلى الحرب
٣١١	خاتمة : . . الترك ودار الاسلام
٣٢١	الحواشي
٣٢١	حواشي الفصل الأول
٣٣١	حواشي الفصل الثاني
٣٣٨	حواشي الفصل الثالث
٣٨٢	حواشي الفصل الرابع
٤٦١	حواشي الفصل الخامس

الفهارس

- ٤٦١ ١ - فهرس الجبال والصحاري والوادي ونحوها
- ٤٦١ ٢ - فهرس المياه والجزر ونحوها
- ٤٦٥ ٣ - فهرس الحيوان
- ٤٦٨ ٤ - فهرس النبات
- ٤٧٠ ٥ - فهرس اعلام الرجال والنساء
- ٤٧٢ ٦ - فهرس اعلام الأمم والقبائل والسلالات ونحوها
- ٤٧٦ ٧ - فهرس القارات والبلدان والمدن والقرى ونحوها
- ٤٨٧ ٨ - فهرس البروج والكواكب السيارة والنجوم والمجرات
- ٤٩٠ ٩ - فهرس الكتب الواردة في النص
- ٤٩٠ ١٠ - فهرس الأشكال
- ٤٩٢ فهرس مواد الكتاب

٢ - فهرس مواد القسم الثاني من الجزء الثاني

الفصل السادس

اوربة الشرقية

٨	جبل القبق الشرقي
١٤	جبل القبق الأوسط : الافر والالان
١٦	جبل القبق الغربي والجنوبي
١٨	كل جبل القبق
٢٢	بلغار نهر الفولغا (نهر اتل)
٢٧	البلغار في دارهم : ابن فضلان
٢٩	المملكة والمجتمع البلغاريان
٣٤	بلد البلغار : الطقس المتقلب
٣٧	البر طاس
٣٨	الخزر : البلد وتاريخه
٤١	الحياة في بلد الخزر
٤٥	المجتمع الخزري
٤٧	مملكة الخزر : الرمزية الملكية
٥٣	وجود أمم معروفة بين نهري تنيس ودنية : البجاناكية والمجفرية
٥٦	نحو اوربة الدانوبية : امة بلغارية أخرى باسم ولندر
٦١	الصقالبة أمم غازية
٦٦	أجناس الصقالبة

٦٩	طريق رحلة ابراهيم بن يعقوب
٧٣	البلدان الباردة وأهلها
٧٧	الحياة اليومية
٨١	دين الصقلية
٨٧	الروس والورنك والريسو
٩٠	نظرة إلى الروس من بعيد
٩٣	الروس عن كتب : ابن فضلان
٩٦	جنازة الميت عند الروس

الفصل السابع

اوربة الغربية

١٠٧	في الشمال : النورمان
١١٣	من الفرنجة إلى الغسكون
١١٦	الاندلس الكافرة : الخلافة ونظرة اجمالية
١١٩	الافرنجة : امه عظيمة وأرض غامضة
١٢١	الفرنجة : تدوينات محدودة ونظرات اجمالية
١٢٤	طريق رحلة إلى بلاد الفرنجة
١٢٨	البرجان
١٢٩	إيطالية ما عدا الرومية : فرنجة أو نوكة
١٣٤	الرومية والروم
١٣٧	الرومية تاريخها أولا
١٣٩	رومية وعجائبها
١٤٥	بعض جزر بحر الروم

الفصل الثامن

اقرب البلدان إلى دار الاسلام : بيزنطة

- ١٥٢ الجغرافيون حيال بيزنطة
- ١٥٤ عالم الاخباريين
- ١٥٧ بيزنطة قريبة ونائية
- ١٦٠ بيزنطة في آسية
- ١٦٢ بلاد الروم المنظمة : التقسيمات الادارية (أعمال الروم)
- ١٦٦ أعمال الروم بعد ابن خردادبة
- ١٧٠ بنود الروم (أعمال الروم عند المسعودي)
- ١٧٥ محاولة كرتوغرافية : ابن حوقل
- ١٨٠ بيزنطة مدينة المدن ونهرها
- ١٨٧ بيزنطة : البحر والاسوار ، الحجارة والماء
- ١٩٢ بيزنطة كنائس وقصور
- ١٩٦ بيزنطة وعجائبها
- ١٦٩ الملوك : تاريخ
- ٢٠٥ النظام الملكي
- ٢٠٨ عجائب المقابلة الملكية
- ٢١٢ حاشية الملك
- ٢١٦ بعض خصائص الادارة البيزنطية
- ٢٢٣ بيزنطة : كنيسة أم هي الكنيسة

٢٢٩	الكنيسة : التنظيم والعبادة
٢٣١	النصرانية البيزنطية والاسلام
٢٣٥	بيزنطة بلا حياة يومية
٢٣٧	مساحة بيزنطة وتاريخها
٢٤١	بيزنطة واليونان
٢٤٦	بيزنطة ودار الاسلام : حالة الأسرى
٢٤٩	بيزنطة ودار الاسلام : تقويم التاريخ : التغور
٢٥٣	نهالة الروم أم نهاية دار الاسلام

الفصل التاسع

أبعد البلدان عن دار الاسلام بلدان الأساطير

٢٦٠	بعض خصائص العجيب
٢٦١	الجزر
٢٦٥	الجزر عند ابراهيم بن وصيف شاه
٢٦٨	بلدان المعدن
٢٧٢	عالم النساء
٢٧٤	الشمال الاسطوري
٢٧٦	في طرف آسية الوسطى : يا جوج وماجوج
٢٧٨	يا جوج وماجوج : قصة سلام الترجمان
٢٨٤	في بلاد ياجوج وماجوج
٢٨٧	أمة ياجوج وماجوج
٢٩٣	عندما يتصل المشرق بالجنوب : بلاد الواق واق

الفصل العاشر

مستوطنات المسلمين خارج دار الاسلام

- ٣٠١ اوجه النشاط والتنظيم
- ٣٠٢ مستوطنة المسلمين ومجتمع الاستقبال
- ٣٠٤ الاسلام واللغة العربية
- ٣٠٦ المستوطنات الاسلامية ودار الاسلام

الفصل الحادي عشر

دار الاسلام على الأرض

- ٣٠٩ تعريف أرض دار الاسلام : مملكة الاسلام
- ٣١٢ المملكة قصبتان ام ثلاث قصبات
- ٣١٥ المملكة جبال البحر
- ٣١٩ في البرور : مملكة راسخة
- ٣٢١ الحدود الهادئة والتغور المضطربة
- ٣٢٦ الحدود والاسطورة

حواشي القسم الثاني

- ٣٢٩ حواشي الفصل السادس
- ٣٨١ حواشي الفصل السابع
- ٤٠١ حواشي الفصل الثامن
- ٤٦١ حواشي الفصل التاسع
- ٤٧٧ حواشي الفصل العاشر
- ٤٨٣ حواشي الفصل الحادي عشر

الفهارس

- ١ - فهرس الجبال والاري والبوادي ونحوها ٤٩١
- ٢ - فهرس المياه والجزر ونحوها ٤٩٢
- ٣ - فهرس الحيوان ٤٩٧
- ٤ - فهرس النبات ٤٩٩
- ٥ - فهرس اعلام الرجاء والنساء ٥٠٠
- ٦ - فهرس اعلام الامم والقبائل والسلالات ونحوها ٥٠٨
- ٧ - فهرس القارات والبلدان والمدن والقرى ونحوها ٥١٤
- ٨ - فهرس البروج والكواكب السيارة والنجوم والمجرات ٥٢٧
- ٩ - فهرس الكتب الموجودة في النص ٥٢٧
- ١٠ - فهرس الأشكال ٥٥٢

الفهرس التحليلي لقسمي الجزء الثاني

- أولاً - الجغرافية التنجيمية والفلكية ٥٣٠
- ثانياً - الجغرافية الحيوية ٥٣٥
- أ - الحيوان ٥٣
- ب - المواد والمفرزات الحيوانية ٥٥٨
- ج - النبات ٥٦٤
- د - المواد النباتية ٥٨٤
- ثالثاً - الجغرافية الطبيعية ٥٨٨
- أ - العناصر ، المياه ، عالم المحيطات . التضاريس ٥٨٨

٦١٠	ب - المناخ والاقاليم
٦١٥	ج - المعادن واستعمالاتها
٦٢٦	رابعاً - الجغرافية البشرية
٦٢٦	آ - الأرض وشعوبها
٦٢٦	١ - الكرتوغرافية
٦٣١	٢ - امزجة الشعوب وطبائعها
٦٤٨	ب - الحياة اليومية :
٦٤٨	١ - الديموغرافية
٦٥٠	٢ - التغذية
٦٥٧	٣ - العادات والتقاليد
٦٨١	٤ - الملابس
٦٨٣	٥ - السكن
٦٨٥	ج - النشاط الاقتصادي
٦٨٥	١ - الزراعة
٦٨٩	٢ - الحرف والتقنيات والصناعة
٦٩٩	٣ - التجارة وموادها وطرقها
٧١٧	٤ - المدن والقرى
٧٢٢	٥ - المقاييس والعملات
٧٢٤	د - الحياة السياسية :
٧٢٤	١ - الملوك
٧٣٤	٢ - الادارة والسلطة والسياسة
٧٤٨	٣ - الجيش والحرب

٧٦٣	هـ - الحياة الفكرية والدينية
٧٦٣	١ - مظاهر الثقافة والحضارة
٧٧١	٢ - الفنون والأدب والعلوم
٧٨٤	٣ - الدين
٨١٧	فهرس المواد
٨٢٥	تصويب أخطاء طبع النص

الجزء الثالث

الوسط الطبيعي

١ - فهرس مواد القسم الأول من الجزء الثالث

٥	تنبيه
١٣	المصادر والمراجع
١٩	ثبت المؤلفين ومصنفاتهم والرموز
	الفصل الأول
	الأرض
٢٤	بنية الأرض
٣٢	بعض الجبال والمفاوز في دار الاسلام
٥٠	الجبل والجبال . جبل أو كتلة جبلية
٦٧	السهل لا يسترعي الانتباه
٧٥	بعض النواحي الرائعة في الجبال
٨٢	الحنان الجبلية
٨٨	الجبال ملاجئ أم مخابئ ؟ ملاحظها
٩٤	الجبال : تاريخ مقدس أو اسطوري
١٠١	البادية والمفاوز
١٢١	أرياف دار الاسلام
١٢٩	بداية أبحاث جيولوجية
١٤٠	حياة الأرض

تلازم الأرض والجوهر الأخرى :

١٤٥

من البركان إلى المياه الجوفية

الفصل الثاني

الماء على الأرض

١٥٤

جريان الماء على الأرض

١٦٧

شكوك جغرافية المياه

١٧٩

الماء الضروري

١٨٤

تصنيفات مائية جوهريّة

١٩٢

سحر الماء الجاري

٢٠٤

المياه الجارية : تصنيفها على ثلاثة مستويات

٢١١

القدس والمياه

٢١٦

بعض خصائص الماء الفرعية

٢١٩

مبادئ رسم خريطة مياه

٢٢٤

خريطة المياه : وضع المغرب العارض

٢٢٨

مصر والنيل

٢٥١

الجزيرة وخوزستان : مشاهد أرض وماء

٢٦١

خزان مياه ارمينية

٢٦٩

بادان فارس : المفازة والبحر يتجاذبان الأنهار

٢٧٤

الأنهار الكبرى الثلاثة في آسية الوسطى

الفصل الثالث

مجامع المياه

٢٨٤

البحيرة والبحر

٢٨٧

أصل البحار

٢٩٢	خريطة البحار
٣٠٥	البحيرات : محاولات تصنيف وخريطة ومشهد
٣١٢	العودة إلى البحر : عالم آخر
٣١٦	البحر المضطرب
٣٣٠	الانسان والبحر
٣٣٥	الجزر ، « جغرافية مبهمة »
٣٤١	حواشي القسم الأول
٤٩١	فهرس مواد القسم الأول

• • •

٢ - فهرس مواد القسم الثاني من الجزء الثالث

الفصل الرابع

الهواء

٨٠	الهواء على أعلى مستوى السماء
١٤	نظرة إلى موسوعة الهواء
٢٣	دائرة الرياح
٢٨	الانسان حيال الهواء
٣٥	تأثير الهواء في الانسان
٤٠	بعض ظاهرات الأنواء

الفصل الخامس

الحيوان وكتاب الحيوان

٥٦	الحيوان المغذي
٦١	الدواب والبراذين
٧٠	الدوبيات المفيدة والرفاق الفطنة
٧٣	الحيوان الوحشي والهوام أولاً
٧٧	بحث الحيات
٨١	أجناس متنوعة من الحيوان
٨٦	الدواجن ووحوش الطير

٩٢	الكائنات الأسطورية على الأرض وفي الهواء
١٠٤	في جوف الماء حياة أخرى
١٠٨	على ضفاف المياه : التمساح
١١٤	البحر : عالم فريد
١٢١	البحر أيضاً : من السرطان إلى اللؤلؤ
١٢٦	وحوش البحر وعجائبه
١٢٩	تأمل في الحيوان

الفصل السادس

النبات

١٣٦	هوامش الجغرافية النباتية
١٤٠	النبات : الأصل فيه الزراعة وزراعة الحبوب
١٤٤	القمح والخبز
١٤٦	الشعير والأرز والدخن والذرة
١٥٠	السكر تالي الخبز
١٥١	البستان : أرض غامضة الأوصاف
١٥٦	نبات البستان : البقول
١٥٩	العقاقير والأصماغ والراتنجات
١٦٢	الأزهار والأرايح]
١٦٦	الثياب والحاجات الأخرى : عودة إلى النبات المفيد
١٧١	المشجرة والفواكه
١٨٠	من الانبيج إلى الزيتون : نوادر الفواكه ومشاهيرها
١٨٣	نمو الكرمة في جميع الأماكن وفضائلها

١٩٠	المقايضة المتناقضة بين الحيلة والنخلة
١٩٤	انتشار النخيل
١٩٩	أنواع النبات البري
٢٠١	الحشب والأحشاب
٢٠٥	بعض النبات العجيب
٢٠٨	نبات البحر : العنبر والمرجان
٢١٣	خاتمة نظرة شاملة إلى دار الاسلا

حواشي القسم الثاني

٢٢١	حواشي الفصل الرابع
٢٣٧	حواشي الفصل الخامس
٢٨٣	حواشي الفصل السادس
٣٧١	فهرس المواد

* * *

الجزء الرابع الأعمال والأيام

١ - فهرس مواد القسم ١-٢ من الجزء الرابع

٥	تنبيه
٩	المصادر والمراجع
١٥	ثبت المؤلفين ومصنفاتهم بالرموز

القسم الأول الخلفية التاريخية الفصل الأول التاريخ والسلطات

٢٢	التاريخ والجغرافية
٢٤	من التوراة إلى الاسلام
٣٠	الاسلام وريث متيم
٣٦	البلدان والسلطات
٤٣	السلطة : من الشك إلى زوال الوهم ومن زوال الوهم إلى القلق
٤٩	جغرافي مصمم على التشاؤم : ابن حوقل

الفصل الثاني دار الاسلام : المذاهب ، الشعائر ، الأماكن

٥٨	الاعتدال في الاسلام
٦٢	بعض أصحاب الاصلالة : الصوفيون

٦٧	حالات خاصة جداً : الخوارج ، والمعتزلة ، والمرجئة
٧٢	التنوع والوحدة
٧٨	الله مع الأكثرية
٨١	الايمان بالأعمال وفي الاسفار
٨٤	أماكن مقدسة وأماكن مكرّمة
٨٩	الرباطات : من التعبد العسكري إلى التعبد عامة

الفصل الثالث

العرب وغير العرب

٩٥	نقاش أساسي
١٠٠	الفرس والعرب
١٠٢	البربر
١٠٧	الأتراك في دار الاسلام
١١١	الأكراد
١١٤	بعض الأقوام الأخرى

الفصل الرابع

أهل الذمة

١٢٥	في تبعية فارس
١٣٢	اليهود والنصارى
١٣٩	نظرة عامة إلى الجماعات الدينية
١٤٣	ديارات الشابشي
١٥١	مع اقتراب العام ألف

الفصل الخامس

الأبنية العجيبة

١٦٠	القلاع وآثار أخرى
-----	-------------------

١٦٥	المغرب الرزین ومصر الوقور
١٧٨	جزيرة العرب والشام : المدن والقلاع
١٨٤	العراق : تاريخ طويل
١٨٩	نحو الشمال الغربي : ذكريات متناثرة
١٩٣	هضبة فارس (اقليم الجبال) قلعة الماضي
٢٠٣	فارس الجنوبية : حيث المياه أوفر
٢٠٦	على تخوم فارس الشمالية : تجاوز حدود الخريطة
٢٠٧	نظرة عامة إلى الهند المسلمة

القسم الثاني

دار الإسلام عضوية كبيرة حبة

الفصل السادس

تنظيم دار الاسلام

٢١٢	التنظيم النظري : موضوع ثقافة عامة
٢١٧	موضوع ثقافة عامة آخر لائحة البلدان والمدن
٢٢٢	مخطط تنظيم أراضي عام عند الاصطخري وابن حوقل
٢٢٧	لوحة حقيقية معاد تصورهما : المقدسي

الفصل السابع

الطرق البرية والمائية

٢٤٠	على البحار الشرقية
٢٤٣	بحار أخرى على الاجمال وبعض الأنهار
٢٤٦	طرق افريقية
٢٤٩	نحو مفترق طرق بلاد ما بين النهرين

٢٥١	باتجاه الشمال والشرق
٢٥٣	مبيلكان شهيران (بعد السطر الثالث من آخر الصفحة ٢٥٣)
٢٥٨	المعارض والأسواق
٢٦٣	الأسفار المائية
٢٧١	الأسفار البرية
٢٧٦	بعض الذكريات
٢٨٠	حركات المبادلات التجارية : بعض صفاتها العامة

الفصل الثامن

أصناف المبادلات التجارية وركائزها

٢٨٥	الأندلس والمغرب
٢٨٨	مصر وجزيرة العرب والشام
٢٩٢	بلاد ما بين النهرين والأراضي العالمة صعدا
٢٩٤	الجبال والهضاب في فارس
٢٩٦	من فارس الجنوبية إلى الهند
٢٩٩	فارس أيضاً في الاتجاه الشمالي الشرقي
٣٠٢	المزارع الكبرى كما يراها ابن حوقل والمقدسي
٣٠٧	مبادئ تعداد أصناف معاد النظر به ومضمحه
٣٠٩	الحقل والمحرف
٣٢٧	العملات والآليات الاقتصادية
٣٣	البضرائب
٣٣٦	الموازين والمكاييل
	الفهارس

٢ - فهرس مواد القسم ٢ (تتمة) - ٣ من الجزء الرابع

القسم الثاني
دار الاسلام عضوية حية
(تتمة)

الفصل التاسع
نظرة إجمالية إلى المدن

٣٤٢	الحديث عن بعض المدن
٣٤٧	بعض التعاريف المقبولة
٣٦٠	وصف مدينة زرنج
٣٦٥	المدينة الكبيرة معنوياً وطبيعياً
٣٧٢	المدينة الحصينة
٣٧٥	البنادر والأسواق
٣٧٨	حياة المدن وزواها
٣٨٣	بغداد النموذجية في السراء والضراء

الفصل العاشر
نظرة مفصلة إلى المدن

٣٨٩	المدينة ومزارعها
٣٩٢	المدينة والماء
٣٩٥	الأبواب والأسوار
٤٠١	أحياء المدينة بدقة
٤٠٣	الأسواق

٥٠٨	الجامع
٤١٣	شهرة الجوامع الكبيرة
٤٢٢	المدينة مرافقها
٤٢٨	المدينة كيان

القسم الثالث

البشر والحياة

الفصل الحادي عشر

البشر جسدياً وأخلاقياً

٤٣٦	ماذا يتكون البشر
٤٣٩	الإنسان والطبيعة
٤٤٣	ابن حوقل والمقدسي : التركة الموروثة
٤٤٧	خريطة بيولوجية معممة لبلدان دار الاسلام
٤٥١	المخطوط الكبرى في الجغرافية الاخلاقية في دار الاسلام
٤٥٣	اخلاق البشر في مغرب دار الاسلام
٤٦١	اخلاق البشر في مشرق دار الاسلام

الفصل الثاني عشر

الناس في الأسرة والمجتمع

٤٧١	بعض الأطعمة
٤٧٥	الأطعمة الأساسية
٤٨٠	مواد الطعام وما يؤخذ منها
٤٨٣	الاستشفاء ان امكن

٤٩٣	الهندام . موضوع تابع لنوع العصر
٤٩٥	اللباس في البلدان العربية
٤٩٧	اللباس في بلدان العجم
٥٠٢	بعض الأعراف أو الرسوم
٥٠٧	التقاويم
٥١٠	الأعياد
٥١٦	المعتقدات والأوهام الشائعة
٥٢٢	الأمثال

الفصل الثالث عشر الانسان المبدع

٥٢٧	الأرض والماء
٥٣٦	بناء الدور
٥٣٨	طريقة البناء
٥٤٤	البنيان أيضاً : داخل الدار واثائها
٥٤٧	موضوع القناطر
٥٥٠	موضوع النسيج
٥٥٢	موضوع المعادن
٥٥٦	حرف متنوعة
٥٦٠	الكتابة

الفصل الرابع عشر
شبه خاتمة
جغرافيق الفوارق

٥٦٣	الالسنه : المبادئ
٥٦٩	الالسنه : خريطة
٥٧٤	الالسنه : الحكم عليها
٥٧٨	الالسنه : بعض التنوعات
٥٨٣	نظرة إلى بعض عناصر المجتمع
٥٩١	المصادر والمراجع
٥٩٥	ثبت المؤلفين ومصنفاتهم (بالرموز)
٥٩٩	الفهارس
٦٢٩	فهارس مواد الأجزاء الثلاثة السابقة
٦٥٩	فهارس مواد القسم ٢ (تتمة) - قسم ٣

* * *

۱۹۹۵/۱۰/۱۵ ۲۰۰۰

